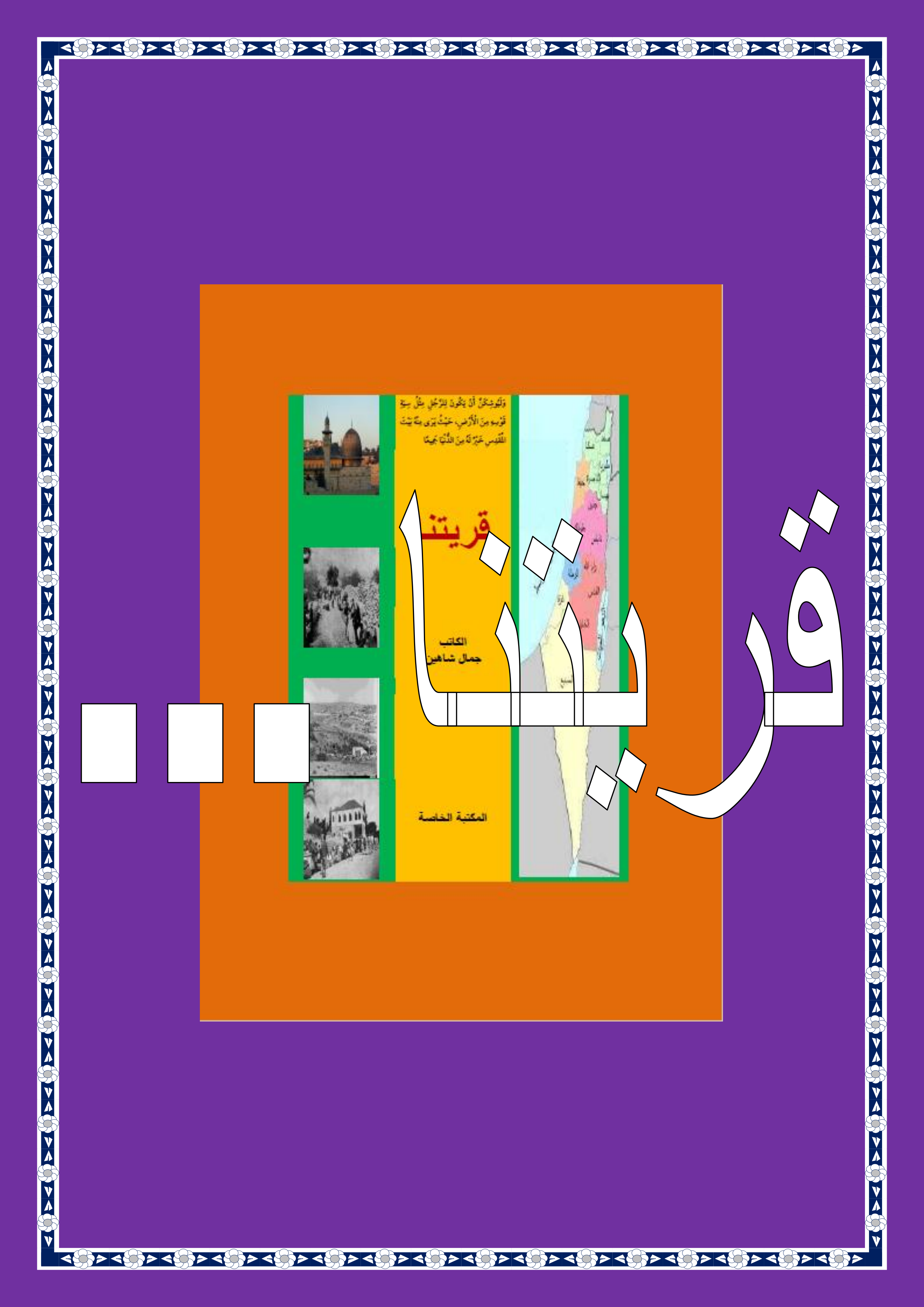
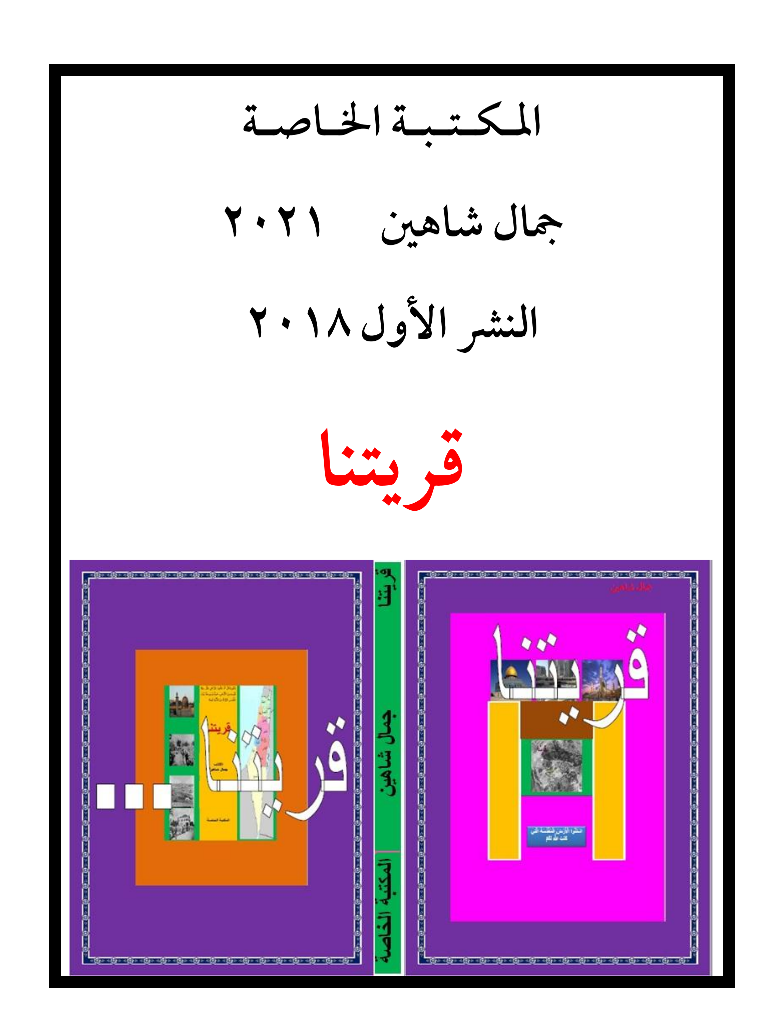

قريتنا
هوانت لاجيء
وهج الحرب 2014

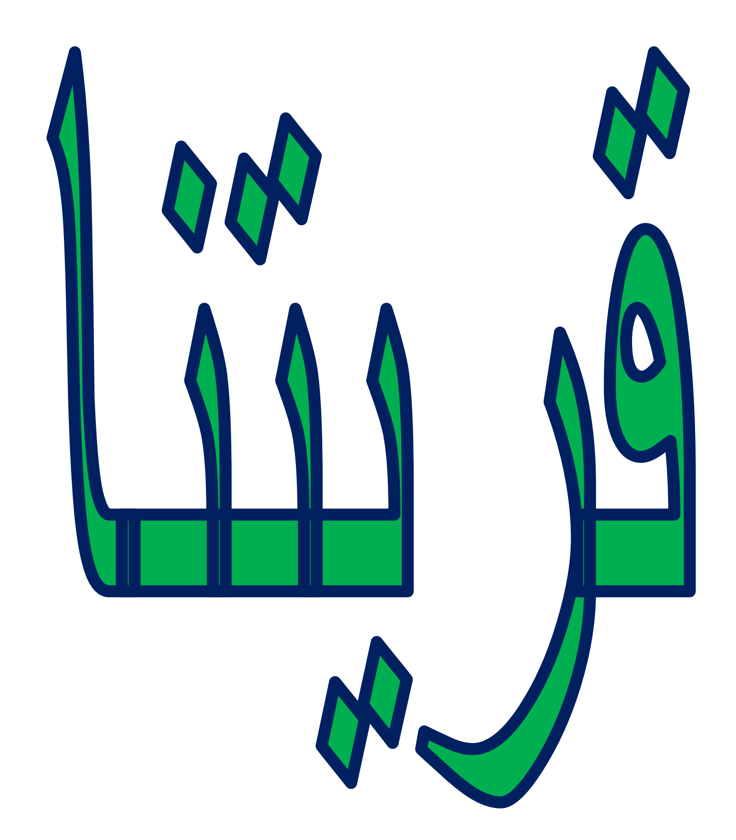


قريتنا...
وَلَيُوشِكَنَّ أَنْ يَكُونَ لِلرَّجُلِ مِثْلُ سِيَةِ
قَوْسِهِ مِنَ الْأَرْضِ، حَيْثُ يَرَى مِنْهُ بَيْتَ
الْمَقْدِسِ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الدُّنْيَا جَمِيعًا
قريتنا
الكاتب
جمال شاهين
المكتبة الخاصة

بسم الله الرحمن الرحيم



جمال شاهین



تسليم بيت المقدس

قبل أن نولد كان هذا الحدث ، مساء السبت ٨/ كانون الاول/ ١٩١٧ بعث متصرف القدس العثماني عزت بك وراء مفتي القدس السيد كامل الحسيني ورئيس بلديتها السيد حسني سليم الحسيني ، وخاطبهما عزت بك بقوله: "لابد أن تسقط القدس بيد الإنجليز الذين أحاطت جنودهم المدينة، أنا سأترك المدينة بعد نصف ساعة ، وسألقي بين أيديكم هذا الحمل الأدبي العظيم أي تسليمي المدينة للفاتحين"

قد كتب متصرف القدس وثيقة التسليم: "إلى القادة الإنجليزية : منذ يومين والنابل تتساقط على مدينة القدس في كل لحظة، ورغبة من الحكومة العثمانية في المحافظة على المدينة وبخاصة الأماكن المقدسة ككنيسة القيامة والمسجد الأقصى ، وعلى أمل أن تكون المعاملة من قبلكم على هذا الوجه . ويحمل هذه الرسالة رئيس بلدية القدس ، متصرف القدس"

وفي صباح يوم الأحد ٩/ ١٢/ ١٩١٧ خرج رئيس بلدية القدس ومفتشا الشرطة عبد القادر العلي وأحمد شريف وفريق من الشبان وهم يحملون العلم الأبيض إشارة للتسليم ، وسلم رئيس البلدية وثيقة التسليم للقائد الإنجليزي، ورحل الجيش العثماني عن المدينة وتحصنت القوات العثمانية في جبل الزيتون ، وحاولوا بعد ذلك دخول القدس عدة مرات ولكنهم فشلوا لقد انتصر الجنرال اللنبي على القوات العثمانية ومعها الدعم الألماني في معركة فاصلة غربي القدس في ٩/ ١٢/ ١٩١٧ وتوجه نحو المدينة المقدسة على صهوة حصانه ، وما كاد يقترب من سورها حتى ترجل وسار نحو حشد من أبناء المدينة خرجوا للترحيب به؟!

ثم أذاع الجنرال إدموند اللنبي بياناً إلى سكان المقدس أوضح بعضاً من نوايا هذه السيطرة الغربية الحاملة للأحقاد التاريخية والأطماع الحديثة :إن انهزام الأتراك أمام الجيوش التي تحت قيادتي أدى إلى احتلال لمدينتكم من قبل جيوشي، وفي الوقت الذي أذيع عليكم فيه هذا النبأ أعلن الأحكام العرفية ، وستبقى هذه الأحكام نافذة المفعول ما دامت ثمة صور حربية؛ ولئلا ينالكم الجزع كما نالكم من الأتراك الذين انسحبوا، أريد أن أخبركم أنني أرغب في أن أرى

كل واحد منكم قائماً بعمله وفق القانون دون أن يخشى أي تدخل من قبل أي كان وفضلاً عن ذلك بما أن مدينتكم محترمة في نظر أتباع الديانات الثلاثة الكبرى، وترابها مقدس في نظر الحجاج المعبدين الكثيرين من أبناء الطوائف الثلاث منذ قرون أجيال ، أود أن أحيطكم علماً بأن كل بناء مقدس، أو نصب أو معبد أو مقام أو أي مكان مخصص للعبادة من أي شكل، وإلى أي طائفة من الطوائف الثلاث، سيصان ويحتفظ به عملاً بالعادة المرعية وبالنسبة إلى تقاليد الطائفة التي تملكها.

وفي ١١/ ١٢/ ١٩١٧ خطب الجنرال اللنبي أمام حشد كبير من أعيان القدس وقراها، وساد الحضور وجوم عارم بسبب ما أشار إليه عن الحروب الصليبية وخاصة عندما قال جملته المشهورة "الآن انتهت الحروب الصليبية". وقد أثارت هذه الغطرسة والروح الصليبية استياء العرب والمسلمين ، فغادر مفتي القدس الشيخ كامل الحسيني الحفل وتبعه كبار المدعوين العرب دون أن يصافحوا المحتفى به.

دافع العثمانيون عن القدس بكل قوة وبسالة وبقي أمر دخولها سرا عدة أيام ثم دخلها اللنبي وبيكو والبعثات العسكرية الانجليزية والفرنسية والايطالية وكان الاحتفال بسيطا وسريعا لم يستغرق ساعة فإن الحرب لم تكن انتهت في الشام وقد فرح النصارى بهذا النصر في أنحاء العالم .

وفي خضم الحرب العالمية الأولى (١٩١٤- ١٩١٨)، وبإيعاز من الألمان الذين طالبوا حلفاءهم الأتراك بالدخول إلى مصر انطلاقا من فلسطين لإشغال الإنجليز وإبعادهم عن مضيق الدردنيل، انطلقت هذه الحملة التركية الأولى بالفعل في كانون الثاني ١٩١٥، لكن تمركز الإنجليز خلف قناة السويس ودفاعاتهم القوية ألحقت بالأتراك هزيمة ثقيلة خلفت ١٣٠٠ قتيلا، فضلا عن الجرحى وخسائر الإبل التي نفقت بسبب الحر والتعب.

فشل الأتراك في حملتهم الأولى، وأخذوا يتأهبون للقيام بحملة ثانية، ومدوا السكك الحديدية، واستخدموا عددا كبيرا من الجنود عمالا لهذه الغاية، وعهدوا بهذه الأعمال كلها إلى قيادة الصحراء التي وضعت كلها تحت إمرة القائد الألماني فون كرس بك، وعلى الجانب الآخر كان الإنجليز بفضل مخابراتهم وجواسيسهم على علم ودراية تامة بما يقوم به الأتراك والألمان.

انطلقت الحملة التركية الثانية في نيسان ١٩١٦، لكنها للمرة الثانية لاقت هزيمة كبيرة بفضل مدفعية الإنجليز وتمركزهم القوي خلف خطوط القناة، وخسر الأتراك ألف قتيل وأسر ثلاثة آلاف من جندهم ، وكانت هذه الهزيمة التالية سببا وجيها لتشجع الإنجليز على بدء الهجوم وإصدار الأوامر باحتلال فلسطين، حين علم الأتراك والألمان بنية البريطانيين بالزحف صوب فلسطين، قرروا المواجهة والدفاع لآخر نفس، وبدأت أولى معارك فلسطين يوم ٢٧ آذار ١٩١٧، والثانية في ١٩ نيسان من العام نفسه حين هاجم الإنجليز غزة، لكنهم فشلوا فشلا ذريعا في الهجومين مما اضطرهم إلى الانسحاب.

عندما تولى لويد جورج رئاسة وزراء بريطانيا في نهاية ١٩١٦، بدأ طالع بريطانيا في الشرق يتجه نحو التحسّن، فقد تلقى البريطانيون خطأ حكومة الهند البريطانية في زحفها الفاشل على بغداد سنة ١٩١٥ والذي انتهى في ربيع ١٩١٦ بهزيمة واستسلام الجيش الهندي البريطاني في كوت العمارة.

وتسببت هذه الهزيمة في عملية تطهير شاملة في جسد الإدارة البريطانية العسكرية والمدنية،

وتعيين قائد جديد للجيش الهندي هو الجنرال ستانلي مود، الذي استولى في نهاية المطاف على بغداد يوم ١١ آذار ١٩١٧. فتح هذا النجاح في بلاد الرافدين شهية رئيس الوزراء البريطاني الجديد، فقرر تعيين قائد عسكري في مصر مشهود له بالكفاءة هو الجنرال إدموند اللنبي، وكلفه بمهمة محددة هي غزو فلسطين واحتلال القدس قبل عيد الميلاد في نهاية سنة ١٩١٧.

اعتمد اللنبي على الكولونيل ريتشارد ماينرتزهاغن الذي عيّنه رئيسا للمخابرات العسكرية، وراح يستقصي أخبار الجيوش العثمانية في فلسطين وسوريا التي كانت تحت إمرة جمال باشا، اللنبي اعتمد على القبائل العربية الثائرة ضد حكم العثماني ، ولورنس الذي أثبت أهمية العرب في مساعدة البريطانيين ، لا سيما بعد الاستيلاء على ميناء العقبة، وإمكانية رسو الأسطول البريطاني في هذا الميناء ليكون منطلقا للحملة البريطانية المقبلة لغزو فلسطين وسوريا.

كانت بريطانيا وفرنسا وروسيا القيصرية قد اتفقت على تقسيم بلاد الشام والعراق بينهم في اتفاقية استعمارية سميت سايكس-بيكو السرية في ١٦ أيار ١٩١٦ بين الأطراف الثلاثة. جرى الاتفاق على أن تكون منطقة فلسطين من بئر السبع جنوباً إلى عكا شمالاً تقريباً منطقةً دوليةً مراعاةً لروسيا، ولكن بعد انتهاء الحرب عَدَلَتْ بريطانيا عن هذا البند من الاتفاقية فقد أرادت إنشاء معبرٍ أرضيٍّ متصلٍ بين الخليج العربي وميناء حيفا، فضلاً عن هدفها تأسيسَ دولةٍ صهيونيةٍ في فلسطين، كان الجنرال اللنبي قد تولى القيادة خلفا للجنرال موري، فقام بإصلاحات كبيرة في بنية الجيش البريطاني في مصر، بدءا من تحسين نشاط جهاز المخابرات العسكرية، مرورا بتسلمه مدافع وآلات ميكانيكية جديدة وذخائر وعتاد أقوى وأفضل من ذي قبل ، وشرع في تنسيق القيادة، وضاعف الجهود التي سبقت لمد الأنابيب وجر مياه النيل في صحراء سيناء، ومد السكك الحديد حتى وصلت بالفعل إلى دير البلح في غزة، واتخذ من مدينة القنطرة في بورسعيد مركزا لتموين جيشه بدلا من الإسكندرية الأبعد.

في المقابل، عقد الأتراك مجلس حرب بقيادة القائد العام أنور باشا، وقادة جيوش القفقاس والجيش الثاني والرابع بقيادة جمال باشا والسادس وغيرهم، ولم ينته هذا المجلس إلى قرار

حاسم. وبسبب هذا التخبط والتبدلات في القيادة ، كانت أحوال الجيش التركي تسير من سيئ إلى أسوأ، وكان الجوع يلازم الكثير من الجنود في تلك الأحيان ، بدأ الإنجليز في زحفهم صوب القدس، فاحتلوا بسهولة بئر السبع يوم ٣١ تشرين الأول ١٩١٧، وفي تشرين الثاني من العام ذاته احتلوا غزة، ثم انطلقوا صوب يافا والرملة واحتلوهما بسهولة أيضا، بعد ذلك قرر الجنرال النبي الزحف صوب القدس.

حاول الأتراك مقاومة تقدم الجيش البريطاني وقطع الطريق بكل السبل الممكنة، فأفلحوا في بداية الأمر، أمر اللنبي جنوده بالثبات حتى تأتيهم الكتائب الجديدة والمدافع الجديدة التي طلبها. وفي الأول من كانون الأول ١٩١٧ وقعت معركة صغيرة بين الفريقين في قرية شلتا هزم فيها الأتراك، وكانت هذه الهزيمة ذات تأثير معنوي ثقيل مكّن البريطانيين بعد ذلك من التقدم صوب القدس بسهولة. وحين أيقن المتصرف التركي عزت بك أن القدس لا محالة واقعة لانهيار المقاومة، طلب الاجتماع بمفتي القدس كامل أفندي الحسيني ورئيس البلدية حسين سليم أفندي الحسيني، واتفق الجميع على الاستسلام حفاظا على الأماكن المقدسة في المدينة، شريطة احترام الإنجليز الذين قبلوا هذا الأمر.

دخلت القوات البريطانية بقيادة الجنرال النبي مدينة القدس يوم ١١ كانون الأول ١٩١٧ محتلةً المدينة التي ظل العثمانيون يسيطرون عليها مدة ٤٠٠ سنة كاملة (١٥١٧- ١٩١٧)، وهناك أعلن لنبي بيانه الأول الشهير الذي فرض فيه الأحكام العرفية، وطالب الناس بمباشرة أعمالهم دون أي إضراب واحترام الخصوصية الدينية لمدينة القدس وأماكنها المقدسة

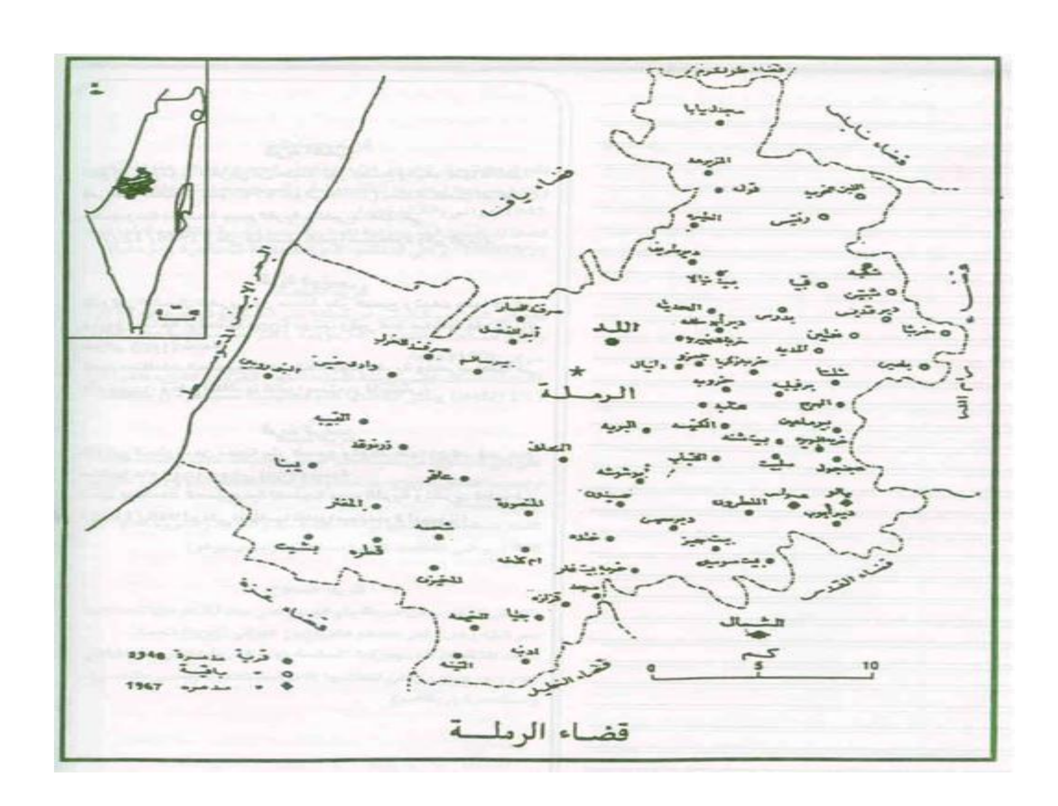
أوضح اللنبي لممثل فرنسا فرانسوا جورج بيكو أن المدينة واقعة ضمن المنطقة العسكرية، وأن السلطة فيها محصورة في القائد العسكري، وقال إنه بصفته القائد العسكري سيُقرر مدة بقاء المنطقة تحت الإدارة العسكرية حصرا. وأضاف لنبي أنه لن يسمح بإقامة إدارة مدنية إلا عندما يسمح الوضع العسكري بذلك، وحتى ذلك الحين تبقى مسألة اتفاقية سايكس بيكو والتصرف النهائي بشأن فلسطين مؤجلةً.

فرح رئيس الوزراء البريطاني لويد فرحا كبيرا بسقوط القدس في مناسبة عيد الميلاد، وكتب في مذكراته أنه استطاع تحرير أقدس مدينة في العالم، و"أنه بتحريرها تمكن العالم المسيحي من استرداد أماكنه المقدسة." وهكذا كان احتلال بريطانيا للقدس في نظر رئيس وزرائها مهمة صليبية مقدسة أعاد تكرارها في الربع الأول من القرن العشرين، بعد انقضاء زمن الحروب الصليبية في العصور الوسطى بأكثر من ثمانية قرون.

احتلت القوات البريطانية القادمة من مصر القسم الجنوبي من فلسطين من الدولة العثمانية، وفرضت عليها حكماً عسكرياً ، دخل قائد القوات البريطانية الجنرال إدموند لنبي مدينة القدس من باب يافا ، أثار ذلك مشاعر الابتهاج في أوروبا وأمريكا إذ وقعت القدس لأول مرةٍ تحت سيطرة الأوربيين من تشرين الأول ١١٨٧ بعد تحريرها من الصليبيين على يد صلاح الدين الأيوبي

أصرّت الحكومة البريطانية وكان ونستون تشرشل فيها وزيراً للمستعمرات على عصبة الأمم على إدراج تصريح بلفور في صك الانتداب على فلسطين لتصبحَ السياسةُ البريطانيةُ في فلسطين الداعمةُ للهجرةِ اليهوديةِ تحت غطاءٍ دولي، وعيّنت أول مندوبٍ سامٍ لها هربرت صموئيل الوزير البريطاني واليهودي الذي دخل ابنه القدس متطوعاً مع الفيلق اليهودي في حملة الجنرال اللنبي . لاحظ رونالد ستورس أولُ حاكمٍ للقدسِ ما بين ١٧-١٩٢٦ هذا التحيز الواضح وكتب في مذكراته:" لقد خرقت الإدارة العسكرية مبدأ "الوضع الراهن" في المسألة الصهيونية ، كانت فلسطين ولاية تابعة للدولة العثمانية المسلمة وكانت غالبية سكانها من العرب، وفي ظل سياسة "الوضع الراهن" كان علينا -بل كنا نتلقى تعليماتٍ- أن نقول للراغبين في إدخال تغييراتٍ سريعةٍ إننا مجرد "إدارةٍ عسكريةٍ" ولسنا منظمين مدنيين ، وكان علينا أن ندير البلاد كما نفعل وندير مصر أو غيرها من البلاد ذات الأقليات المهمة مستخدمين الإنجليزية كلغةٍ رسميةٍ وتقديم ترجمةٍ عربيةٍ مع معاملة المقيمين اليهود والأرمن والأوربيين وغيرهم على النحو الذي نعاملهم به في مصر.

فقد طبع الإعلان الأول للجنرال لنبي بالإنجليزية والعبرية والعربية، وكذلك الأوامر الصادرة مني، واستخدمتْ العبرية في لافتات الإدارة الحكومية، وما لبثت أن أضيفت على عجلٍ على إيصالات البلدية والإيصالات الرسمية الأخرى، وقمنا بتعيين موظفين ومترجمين يهود في مكاتبنا. وقد واجهت "إدارة أراضي العدو المحتلة" نقداً شديداً على هذا الخرق الواضح للوضع الراهن داخل وخارج فلسطين.



المسيرة الوطنية الفلسطينية الممتدة من سنة ١٩١٨، كانت جزءاً من الحركة العربية السورية، وقد كان بعض أعيان فلسطين ووجهائها منتمين إلى مختلف المنظمات والنوادي والأحزاب السورية العربية التي كانت تعمل على تحقيق استقلال سورية الكبرى وفصلها عن الدولة العثمانية ، وقد هبت المنظمات والنوادي في عامي ١٩١٨/ ١٩١٩ لمعارضة الحكم البريطاني والحركة الصهيونية العدوانية باسم الشعب السوري كله في أقاليم سورية كلها، وقد اتجهت الحركة الوطنية اتجاهاً إقليمياً بعد الحرب العالمية الأولى التي أسفرت عن تمزيق بلاد الشام إلى سورية ولبنان وفلسطين وشرق الأردن.

إن الخطر الصهيوني في فلسطين واستفحال شروره أدى إلى ظهور حركة وطنية فلسطينية تتولى مناهضة الاستعمار البريطاني ومقاومة الخطر اليهودي، وقد مرت الحركة الوطنية الفلسطينية بعدة مراحل، ونشأت عدة مؤسسات وأحزاب ولجان ابتداء من قيام النادي العربي برئاسة الحاج محمد أمين الحسيني مفتي فلسطين على يد الشبان الوطنيين المتحمسين للدفاع عن البلاد ضد الخطر البريطاني والخطر اليهودي، الذين قبلوا أن تكون الحركة الوطنية برعاية الوجهاء والزعماء والشيوخ، على أن يكونوا هم درعها الحامي، وقاوم البريطانيون والصهاينة الحركة الوطنية وحاولوا الضرب على نغمة الخلاف المسيحي الإسلامي، إلا أنهم لم ينجحوا، وسارع رجال الحركة الوطنية إلى تشكيل الجمعيات الإسلامية المسيحية إعلاناً عن وحدة الرأي وإعراباً عن التضامن الإسلامي المسيحي، وقد قامت هذه الجمعيات بقيادة الحركة الوطنية على أكمل وجه مستطاع، وكانت أقواها في القدس، ونابلس، ويافا ، وأنشأت هذه الجمعيات ما عرف بـ "المؤتمر العربي الفلسطيني" فجاء ممثلاً للبلاد بأسرها وتوحدت القيادة العامة للحركة الوطنية وانتهى دور الجمعيات الإسلامية المسيحية.

وعقدت في المدة من عام ١٩٢٠ وحتى عام ١٩٢٨م، سبعة مؤتمرات عربية فلسطينية تولت قيادة الحركة الوطنية وتركزت القيادة في لجنة تنفيذية كان كل مؤتمر ينتخبها قبل انفضاضه.

وقد انتخب موسى كاظم الحسيني في المؤتمرات كلها رئيساً للمؤتمر واللجان التنفيذية وبهذا أصبح زعيم البلاد الأول، بدأت هذه المؤتمرات نشاطها بصورة قوية ومقبولة لدى الشعب الفلسطيني ؛ ولكنها ما لبثت أن أصيبت بالضعف والهزال والتفكك بسبب ما نشب من خلافات حزبية، وما قام من تباين في الآراء حول الوسائل التي يجب اتباعها في مقاومة الحكم البريطاني والحركة الصهيونية، فجاءت اللجان التنفيذية الأخيرة ضعيفة وضمت في عضويتها شخصيات مشكوك في صدق وطنيتها ، خلال هذه الأعوام ظهر الحاج محمد أمين الحسيني في المجال السياسي، ثم جاء انتخابه مفتياً للقدس تحدياً للسلطة البريطانية ولعدد من العلماء الطامعين في مركز الإفتاء، ونشب الخلاف بين هذه الجماعات، وكان هذا الخلاف نواة للمشاحنات والخصومات الحزبية في فلسطين. ولما وافقت حكومة الانتداب على إنشاء المجلس الإسلامي الأعلى لمسلمي فلسطين، وأقر مشروعه أجريت الانتخابات وفاز الحاج محمد أمين الحسيني ومرشحوه فوزاً ساحقاً، وتولى رئاسة المجلس ورئاسة العلماء، وغدا بذلك يشغل مفتي فلسطين الأكبر، الأمر الذي أغضب الحاكم البريطاني واليهود فانطلقوا يقاومون المجلس ورئيسه وانضوى جماعة من الوجهاء والأعيان وذوي الأهواء لمقاومة المجلس ورئيسه عرفوا بالمعارضة في حين عرف من أيد الحاج محمد أمين الحسيني وهم الأكثرية من الجمهور الفلسطيني بالمجلسيين ، ثم جرت انتخابات للمجالس البلدية في فلسطين، وكانت سبباً آخر لاندلاع نيران الخلافات والمشاحنات بين الفلسطينيين، وعلى الرغم من كل شعبية المفتي، إلا أنه آثر الوقوف خلف القيادة السياسية الشرعية للبلاد (اللجان التنفيذية والمؤتمرات الفلسطينية) وتأييدها.

وقد شهدت الحركة الوطنية في عامي ١٩٢٨/ ١٩٢٩ الضعف والتشتت، فقد أصاب الشلل اللجنة التنفيذية بسبب المشاحنات الحزبية بين أعضائها واستشرى الخطر الصهيوني بالاستيلاء على المزيد من الأراضي وتفاقمت هجرتهم إلى البلاد فتأثر الشباب لهذا الوضع المحزن، وانتشرت بينهم فكرة تنادي بوجوب تكتل أصحاب المبادئ والآراء الواحدة في حزب خاص

بهم، واتصلوا بالحاج محمد أمين الحسيني وكاشفوه بشعورهم بضرورة أن يتولى قيادة الحركة الوطنية مباشرة مع اتباع سياسة المجابهة مع الوضع السياسي القائم، مع الحكم البريطاني والعدو الصهيوني، إلا أنه نصح بالتريث ولو على مضض حتى يحين الوقت المناسب للعمل الجاد، وأكد على ضرورة الإبقاء على القيادة السياسية الشرعية ، أي اللجنة التنفيذية خشية انهيارها وعدم استطاعته إنشاء قيادة جديدة بديلة.

استمر هذا الوضع قائماً حتى ربيع ١٩٢٩م، عندما ظهرت مطامع الصهاينة في الأماكن المقدسة، وخاصة حائط البراق الشريف بالقدس، فتصدت لها اللجنة التنفيذية وقام الحاج محمد أمين الحسيني بدور بارز في مقاومة هذه المخططات، وفي ٢٣/ ٨/ ١٩٢٩م نشبت ثورة البراق ، وعادت الوحدة ولو في الظاهر إلى الصف الفلسطيني واللجنة التنفيذية، وتعزز مركز الحاج محمد أمين الحسيني، والتف الشعب حوله، لكنه ظل على موقفه السابق يعمل على دعم اللجنة التنفيذية وتقويتها بصفتها القيادة الشرعية السياسية.

ولما لم تسفر المباحثات التي جرت بين الفلسطينيين والحكومة البريطانية بعد الثورة، عن أية مصلحة للعرب، عاد الخلاف الحزبي والمحلي يمزق الصف الوطني، فعاد الوطنيون إلى مراجعة المفتي لتولي القيادة السياسية، غير أنه ظل على موقفه السابق وحث الوطنيين على التريث والانتظار، ثم قامت جماعة من الوطنيين الذين كانوا يعتبرون من مؤيدي المفتي بتأسيس حزب الاستقلال الذي مارس نشاطه بهمة ونشاط ، وعقد المهرجانات لحث العرب على الجهاد والكفاح، غير أن الكثيرين من أعضائه انفضوا عنه قبل أن ينقضي عامه الثاني، وكان منهم عوني عبد الهادي، ورشيد الحاج محمد، ومعين الماضي، ومحمد عزة دروزة، وصبحي الخضراء، وسليم سلامة، وفهمي العبوشي، وأكرم زعيتر ، وعجاج نويهض.

ولما استشرى خطر الهجرة اليهودية عام ١٩٣٣م، وعمت المشاحنات الحزبية فلسطين بأسرها عقد فريق من شبان القدس اجتماعاً سرياً قرروا فيه وجوب القيام بمظاهرات شعبية في البلاد كافة ضد الحكومة، سمحت الحكومة لهم أم لم تسمح ونقل الشبان قرارهم إلى اللجنة التنفيذية، وكان أكثريتها من المجلسيين فحبذه موسى كاظم الحسيني، فاتخذت اللجنة قراراً بالتظاهر دورياً خلال شهر تشرين الأول عام ١٩٣٣م، في مدن فلسطين الواحدة تلو الأخرى، وهنا برزت زعامة المفتي والمجلسيين ؛ لأن الشعب اعتبرهم القائمين بالمظاهرات والذين تحدوا الحكم البريطاني ، وكان المؤمل أن تشتد الحركة الوطنية بعد مظاهرات تشرين الأول التي أدت إلى تلاشي الانقسامات والخلافات، ولكن الظروف بعثت الانقسامات من جديد، فمرض موسى كاظم الحسيني في أواخر عام ١٩٣٣م فشب خلاف حول من سيخلفه بين رجال اللجنة التنفيذية التي لم تستطع عقد اجتماع لها بعد اجتماع كانون الأول عام ١٩٣٣م ، وفي ٢٣/ ٣/ ١٩٣٤، توفي موسى كاظم الحسيني فشغر منصب الزعامة والقيادة للحركة الوطنية، فتفاقمت الخلافات رغم كل ما بذل من جهود، واشتد التباين في الرأي حول الرئاسة ووسائل المقاومة، مما أصاب الحركة الوطنية بالشلل، وإلى انهيار اللجنة التنفيذية، فخلت البلاد من الزعامة ، برز اتجاهان في صفوف المجلسيين، الأول يدعو إلى أن يتسلم الحاج محمد أمين الحسيني زعامة البلاد مباشرة، ويتولى قيادة الحركة الوطنية والمقاومة، والثاني ومعظمه من الشبان يدعو إلى تشكيل حزب سياسي يتولى العمل الوطني من أصحاب المبادئ والأهداف الواحدة، يتولى المفتي قيادته الحقيقية، حين كان المجلسيون يقومون بالدراسة والإعداد لتنظيم الجبهة الوطنية بواسطة اللجنة التي شكلت لهذا الغرض، سارع المعارضون إلى تشكيل حزب الدفاع الوطني، ثم تألف حزب الإصلاح، فحزب الكتلة الوطنية، بينما كان حزب الاستقلال قائماً ومؤتمر الشباب العربي الفلسطيني، فصار في البلاد خمسة أحزاب. وبعد مدة غير قصيرة أصدرت اللجنة التي شكلها المجلسيون تقريرها

وتوصياتها وعرضت على الاجتماع المنعقد في ٢٥/ ٤/ ١٩٣٤م، ضم ٧٥ شخصية من الوطنيين، وكان القرار بعد الدراسة تشكيل حزب سياسي يبني دستوره على أساس الميثاق الوطني الفلسطيني ومطالب البلاد المعروفة ،واختار المجتمعون لجنة تحضيرية جعلوا من اختصاصها الإعداد لتشكيل حزب، ووضع دستوره ونظامه الداخلي، وقبول طلبات الانتساب والتدقيق في المقبولين، واستمرت هذه اللجنة بمهمتها سبعة شهور فدعت إلى مؤتمر عام في القدس يحضره من ووفق على قبولهم أعضاء.

وعقد المؤتمر في ٢٥/ ٣/ ١٩٣٥ بالقدس وبلغ عدد الحضور ١٥٧١ عضواً من العلماء والقضاة والأطباء والمهندسين والصيادلة وشيوخ القبائل والعشائر والمحامين وعلماء الدين، وبرز من بينهم عنصر الشباب، وافتتح المؤتمر قاسم النمر بخطاب أعلن فيه تشكيل الحزب رسمياً باسم "الحزب العربي الفلسطيني " ودعا إلى انتخاب رئيس له جمال الحسيني فانتخب بالإجماع وعرض الرئيس المنتخب دستور الحزب وأنظمته الداخلية فأقرها المجتمعون بالإجماع، ثم طلب من المؤتمر انتخاب هيئة مكتب الحزب فاختير الفرد روك (يافا)، بالإجماع نائباً للرئيس، وإميل الغوري (القدس)، أميناً عاماً، وخالد الفرخ وكامل الدجاني (يافا)، ووجيه البشتاوي (نابلس)، أعضاء في مكتب الحزب، ثم تم انتخاب لجنة تنفيذية مؤلفة من أشخاص يمثلون جميع أقضية فلسطين وعشائرها.

تأسس رسميا في السابع والعشرين من آذار ١٩٣٥ ، المؤسسون هم : جمال الحسيني، قاسم آغا النمر، حسن أبو السعود ، فريد العنبتاوي، الشيخ محمد الخطيب، الحاج موسى الصوراني عبد الله سمارة ، يوسف العلمي ، ونتيجة لنشأة حزب الدفاع الوطني على يد آل النشاشيبي وجد آل الحسيني أنفسهم في وضع يحتم عليهم تأسيس حزب خاص بهم مؤلف من أعضاء متجانسين في الفكرة والاتجاه ، قانون الحزب وغايته استقلال فلسطين ورفع الانتداب، والمحافظة على عروبة فلسطين ومقاومة تأسيس وطن قومي يهودي ، وارتباط فلسطين بالأقطار العربية في وحدة قومية سياسية مستقلة استقلالاً تاما، وتحسين حالة الأمة العربية في

فلسطين، اجتماعياً واقتصادياً وثقافياً.

تميزت برامج الحزب العربي الفلسطيني بأنها استقلالية وقومية سعت إلى مواجهة الانتداب والحركة الصهيونية، وقد حددها القانون الداخلي للحزب بما يلي :العمل على استقلال فلسطين ورفع الانتداب عنها ، المحافظة على عروبة فلسطين ومقاومة تأسيس وطن قومي لليهود فيها، قامت نشاطات الحزب على إقامة مراكز للحزب لحشد أكبر عدد ممكن من الجماهير، إقامة مهرجانات لتوضيح خطر بيع الأراضي ، وإنشاء فرق الفتوة المؤلفة من الشباب ذوي الأبدان القوية، وإنشاء منظمة برئاسة عبد القادر الحسيني تطورت إلى منظمة الجهاد المقدس ، قام الحزب فور تشكيله بنشاط واسع ، فقام الرئيس وأعضاء مكتبه بجولات عديدة زاروا خلالها المدن والقرى الفلسطينية المختلفة، وتم تشكيل ١٧ فرعاً للحزب في البلاد ترتبط بالمركز في القدس، منها مقرا في قرية عنابة الرملة ، ثم توسع المكتب بتوسع مهام الحزب وأنشطته.

بذل الحزب جهودا مشكورة في تنظيم الصف الوطني ، ووضع مخططات عملية لمقاومة بيع الأراضي والسمسرة عليها ومقاطعة اليهود والبريطانيين بكل السبل، وعمل بجد على تعبئة طاقات الشعب وحشد إمكاناته للوقوف في وجه الحكم البريطاني، وتولى دعوة الشعب إلى مقاومة الحكومة البريطانية المنتدبة وإجراءاتها وتدابيرها وقوانينها وأنظمتها الرامية إلى تهويد فلسطين ، وشكل في مركزه دوائر ولجاناً خاصة لشؤون السياسة والدعاية والإعلام والأراضي والمقاطعة والأبحاث والدراسات والرياضة والتجارة والاقتصاد والتوعية ولإصلاح ذات البين ، وفض المنازعات والخلافات بالتفاهم في كافة المدن والقرى والمضارب البدوية، وشكل الحزب دائرة خاصة لتنظيم الشباب وإنشاء منظمة الفتوة القوة الأولى لجيش الجهاد المقدس، وأسهمت بدور فعال في ثورة ١٩٣٦م.. وبعد أن نظم الحزب العربي الحسيني أعماله أخذ يدعو الشعب إلى التمرد على الحكم البريطاني ومقاومته فوجه في ٣١/ ٥/ ١٩٣٥م، نداء للفلسطينيين يدعوهم فيه إلى الإضراب والقيام بالمظاهرات في ٤/ ٦/ ١٩٣٥م، احتجاجاً على

سياسة الحكومة وإعلاناً عن تصميمهم على صيانة عروبتهم ووطنهم ، وفي اليوم الموعود أضربت البلاد، وعمت المظاهرات كل المدن والقرى الفلسطينية ، وسقط عدد من القتلى والجرحى ، وتجددت المظاهرات والاصطدامات في البلاد في ٩/ ٦ و٢١/ ٦/ ١٩٣٦م، كذلك دعا الحزب إلى الإضراب العام التاريخي في ١٩/ ٤/ ١٩٣٦م، الذي استمر ستة أشهر وأسهم في إنشاء اللجان القومية في فلسطين ١٩٣٦م.

واصل الحزب أعماله حتى ٢٥/ ٤/ ١٩٣٦م، عندما تشكلت اللجنة العربية العليا لفلسطين برئاسة الحاج محمد أمين الحسيني، وتقرر إسقاط كل عمل حزبي والالتفاف حول اللجنة ورئيسها ، وقد ضمت اللجنة رئيس الحزب العربي الفلسطيني جمال الحسيني ونائبه ألفرد روك عن جميع الأحزاب.

وفي تشرين الأول/ أكتوبر عام ١٩٣٧م، حلت الحكومة البريطانية المجلس الإسلامي الأعلى وأقالت المفتي من رئاسته، وحلت اللجنة العربية العليا واللجان القومية، وضيقت على الزعماء الفلسطينيين، وحاولت إلقاء القبض عليهم، وعمدت إلى إبعادهم للخارج وفيهم المفتي وجمال الحسيني، وواصلت اللجنة العربية العليا زعامة الحركة الوطنية من بيروت، ثم من بغداد، ثم من أوروبا حيث وصلها المفتي مع بعض زملائه.

ساد الجمود الحركة الوطنية في فلسطين في عامي ١٩٤٠م و١٩٤١م، لأسباب كثيرة منها إجراءات البريطانيين التعسفية وبطشهم وإرهابهم على أثر نشوب الحرب العالمية الثانية، وغياب الزعماء والقادة في الخارج وامتلاء السجون والمعتقلات، وكان معظمهم من المنتمين للحزب العربي. واشتد الإرهاب الصهيوني وتظافرت جهود الأمريكيين والبريطانيين لخدمة أهداف الصهاينة والإسراع في تنفيذ السياسة الاستعمارية الصهيونية المرسومة، فشعر كثير من العرب بضرورة إحياء الحركة الوطنية الفلسطينية، واجتاحت فلسطين موجة من المطالبة بإطلاق حرية العمل للعناصر الوطنية في البلاد التي كانت السلطة تضطهدها، والسماح بعودة المبعدين، ورفع الفلسطينيون العرائض للمندوب السامي وطيروا البرقيات إلى الحكومة

البريطانية والدول العربية وزعماء العالمين الشرقي والغربي لشرح القضية الفلسطينية ، وعقدوا الاجتماعات وتظاهروا، واتسعت الحركات واتخذت شكلاً جدياً، فاضطرت الحكومة إلى تلبية بعض المطالب الوطنية، تجنباً لانفجار الشعب، فخففت قيودها الصارمة المفروضة على الوطنيين ورجال الحزب العربي الموجودون في فلسطين، وسمحت لمن كان منهم في البلاد العربية بالعودة، كما أفرجت عن كثيرين من المساجين المنفيين، وعدلت أنظمة الطوارئ والقوانين الاستثنائية بشكل يسمح بعض الشيء بتحرك الشعب سياسياً ووطنياً.

ولم تمر بضعة أيام على عودة من عاد من الوطنيين المبعدين والمشردين من رجال الحزب العربي حتى اتصلوا بإخوانهم المقيمين داخل البلاد، وعقدوا معهم سلسلة اجتماعات للمشاورة والبحث، لاستئناف الحركة الوطنية، وقرروا الاتصال بزعماء الأحزاب والهيئات السياسية لتأليف جبهة متحدة يقف وراءها الشعب الفلسطيني صفاً واحداً مرصوصاً، كما كان عام ١٩٣٦م، لكن الجهود لم تثمر، وعاود رجال الحزب في شباط ١٩٤٤م، اتصالاتهم بجميع الفرقاء الآخرين لإحياء الحركة الوطنية لكن دون جدوى، وإزاء هذا كله، وشعوراً بوجوب مباشرة العمل السياسي لمقاومة الخطر الاستعماري الصهيوني، ثم اعتماداً على ما لمسه رجال الحزب العربي من تأييد الشعب لهم، قرروا استئناف العمل السياسي باسم الحزب تاركين الباب مفتوحاً أمام سائر الفئات والجماعات للتعاون والإسهام في عمل وطني مشترك.

اجتمع زعماء الحزب العربي الفلسطيني في ٨/ ٤/ ١٩٤٤م، وقرروا إعادة تشكيل لجان الحزب ودوائره وفروعه ومباشرة العمل السياسي الوطني على أساس الميثاق الوطني مؤكدين تأييدهم للمفتي وإخوانه في أوروبا ولجمال الحسيني وإخوانه المعتقلين في روديسيا، وانتخب المجتمعون توفيق صالح الحسيني وكيلاً للحزب وإميل الغوري أميناً عاماً كما انتخبوا مكتباً مركزياً ومجلس إدارة وباشر الحزب أعماله بقوة ونشاط فأخذ في تنظيم الشباب وأعاد إنشاء فرق الفتوة التي حلتها الحكومة عام ١٩٣٧م وألف فرقة كشفية ورياضية وشكل لجاناً لمقاومة بيع الأراضي، وأرسل الوفود للأقطار الخارجية لشرح القضية وعقد سلسلة اجتماعات

ومهرجانات شعبية دورية لبعث روح الجهاد والمقاومة، وتجولت وفود في المدن والقرى لتوحيد الجهود، وتشكلت لجان للعناية بالمساجين وعائلاتهم والمرافعة عن قضاياهم أمام المحاكم ، وعادت الحكومة إلى مقاومة الحركة الوطنية فاضطهدت وسجنت ونفت وفرضت الإقامة الجبرية ورفضت الترخيص للحزب بإصدار جريدة أو مجلة مما أثر على عمل الحزب ونجاحه في مهمته الوطنية بتشكيل جبهة وطنية موحدة تضم الأحزاب الأخرى.

وفي خريف ١٩٤٥م، تدخل مجلس جامعة الدول العربية لجمع الصفوف، ووفق وفده عند زيارته للقدس في تشكيل لجنة عربية عليا من خمسة أعضاء من الحزب العربي، ومن رؤساء الأحزاب الخمسة الأخرى، ومن أحمد حلمي عبد الباقي وموسى العلمي، غير أن الخلاف الجزئي سرعان ما عطل عمل اللجنة، وعندما أعلنت الحكومة عن عزمها على إيفاد لجنة بريطانية أمريكية للتحقيق في القضية الفلسطينية استفحل الخلاف الحزبي بسبب تباين الآراء حول جدوى التعاون مع اللجنة المذكورة أو عدم التعاون معها، وقد أنقسم الحزب العربي نفسه حول هذا الموضوع إلى من يرى ضرورة التعاون ومن يرى عدمه، وأفرجت الحكومة البريطانية عن جمال الحسيني فعاد إلى القدس وتولى رئاسة الحزب العربي، ولكن البلاد شهدت خلافاً جديداً حول مشروع المكاتب العربية ، فقد وقفت الأحزاب ضد هذا المشروع في حين أيده جمال الحسيني وعدد من أعضاء الحزب والشبان الذين تعاونوا مع موسى العلمي، وأما الشيوخ والزعماء القدامى فكانوا معارضين للمشروع، وقد أدى خلاف الحزب الداخلي إلى تمزيقه مدة من الزمن حتى تم تشكيل الهيئة العربية العليا في حزيران ١٩٤٦م، برئاسة الحاج محمد أمين الحسيني فتوقف كل نشاط حزبي في فلسطين، كان الحزب العربي أكبر الأحزاب في فلسطين وأقواها نفوذا وأثراً، وفي عام ١٩٤٧م، قدمت حكومة الانتداب تقريراً مفصلاً عن فلسطين وأوضاعها إلى لجنة الأمم المتحدة الخاصة بفلسطين ذكرت فيه أن الحزب العربي الفلسطيني كان أقوى الأحزاب الفلسطينية، وأكثرها تمثيلاً للشعب، لأنه كان حزب المفتي، وذكرت الحكومة في تقريرها أن حزب الدفاع الوطني كان الحزب الثاني في البلاد.

قريتنا

كانت قريتنا ضمن قرى أخرى البرية برفيليا دانيال جمزو كلها تتبع مدينة الرملة المدينة الخالدة في التاريخ الاسلامي منذ أن أنشاها الخليفة الاموي سليمان بن عبد الملك ، وقد أمست هدف الغزاة والثورات الاسلامية ومطلب للحاكمين لبلادنا فلسطين .

كانت قريتنا عنابة ضمن أكثر من ستين قرية رملاوية ، هجر سكانها في أحداث النكبة والتطهير العرقي الإسرائيلي ، كانت القرية مبنية على تل يبعد أقل من ٣ كلم شمالي شرقي طريق القدس- يافا العام، كانت طريق فرعية تصلها به ، وكانت طرق فرعية أخرى تصلها بالقرى المجاورة ، كما كانت منازلها تنتشر على تل صخري يشرف على السهل الساحلي ، وقد عُدت عنابة مبنية في موقع بلدة " بيتو أنّابا" القديمة التي كانت تابعة لولاية ديسبوليس اللد ، أيام الرومان .

كانت عنابة قرية في ناحية الرملة ، وعدد سكانها ١٦٥ نسمة ، وكانت تؤدي الضرائب على عدد من الغلال كالقمح والشعير والزيتون والفاكهة ، بالإضافة إلى عناصر أخرى من الإنتاج والمستغَلات كالماعز وخلايا النحل وكروم العنب ، في أواخر القرن التاسع عشر، وُصفت عنابة بأنها قرية متوسطة الحجم ، مبنية بالطوب على مرتفع من الأرض ، ومحاطة بشجر الزيتون ، كان سكان القرية عنابة كلهم من المسلمين ، كانت منازلها مبنية في معظمها بالحجارة ، ومتجمهرة بعضها قرب بعض ، وباستثناء المنازل القديمة المبنية بالطوب ، وتحيط بالمسجد دكاكين ، ومزار لشيخ يدعى عيسى ، تم تحويله إلى مدرسة في بداية العشرينات ؛ وكان ١٦٨ تلميذاً يؤمون هذه المدرسة في أواسط الأربعينات ، في سنة ١٩٣٨، تم بناء مدرسة جديدة بعد أن بيع مكان المدرسة القديمة ، وقد حازت هذه المدرسة قطعة من الأرض تبلغ مساحتها عشرة دونمات ، واستقبلت تلامذة القرى المجاورة أيضاً ، وكان يؤمها ١٥٠ تلميذاً في سنة ١٩٤٨ *.

* [كناعنة واشتيه ١٩٨٧] .

وكان في قرية عنابة قبل النكبة والتطهير العرقي اثنا عشر دكاناً ومقهيين ،وذلك قبل الهجرة القسرية ، كما كان فيها أحد عشر معمل كلس شيد ، تنتج نحو ٥٠٠ طن من الكلس يومياً ؛ وكان هذا الكلس يباع في تل أبيب وفي غيرها من المدن .

كان القسم القديم من القرية محاطاً بسور، ومدخلها الرئيسي يتصل بطريق يافا- القدس العام وابتداءً من أواخر الثلاثينات، بُدئ ببناء منازل تتألف من طبقتين أو ثلاث طبقات ، وتزايدت حركة البناء في الأعوام الأخيرة من فترة الانتداب، بُنيت المنازل في موازاة الطرق الموصلة إلى القرى المجاورة، وعلى الأراضي الزراعية أيضاً ، وكان يحيط بالقرية شبه حلقة من الأشجار، كالتين والزيتون والكرمة والصبر ، وكانت كل "حمولة" من الحمائل تملك ديواناً للاجتماع في العشايا والمناسبات الخاصة كالأعراس .

كانت عنابة تُعد مركزاً للقرى المجاورة ، مثل البرية والقبيبة ، نظراً إلى ما كان فيها من الخدمات- كالمدرسة وطاحونة الحبوب- التي لم يكن يوجد نظيرها في القرى الأُخرى ، وكان بعض سكانها يذهب إلى الرملة لبيع المحاصيل، كما كان نفر من عمالها يعمل في الرملة، كانت الزراعة (ولا سيما البعلية منها) وتربية المواشي أكبر موارد الرزق في عنابة، وكان أهم المحاصيل الحبوب (ومنها القمح) والخضروات (كالبندورة والبامية) والحمضيات والسمسم والزيتون، وفي ١٩٤٤/ ١٩٤٥، كان ما مجموعه ١١١ دونماً مخصصاً للحمضيات والموز، و١٠٦٢٦ دونماً للحبوب، و٥١١ دونماً مروياً أو مستخدماً للبساتين.*

استناداً إلى (تاريخ حرب الاستقلال الصهيوني)، فإن القرية هوجمت أول مرة في سياق عملية يورام ؛ وهو الهجوم الرابع على منطقة اللطرون ، في ٨-٩ حزيران ١٩٤٨، وكان لواء يفتاح نفّذ هذا الهجوم لصرف الأنظار عن محاولات احتلال اللطرون ؛ لكن عنابة لم تُحتل إلا في الشهر اللاحق، في إطار عملية داني.

---

* [كناعنة واشتيه ١٩٨٧].

وقد أخلى سكان عنابة القرية من النساء والأطفال بعد الهجمات الأولى، بحيث لم يبق فيها عندما وقع الهجوم الأخير في ١٠ تموز إلا ٢٠٠ رجل.

وقد هاجم الجنود الإسرائيليون القرية من ثلاث جهات، وتركوا للسكان طريقاً للفرار صوب الشمال الشرقي ، وعندما نفدت ذخيرة المدافعين عن عنابة– وكان سلاحهم قليلاً– غادروا القرية، بُعيد الساعة الواحدة ليلاً، في ذلك الاتجاه ، في اليوم نفسه، نُسفت منازل عنابة نسفاً منظماً، بأوامر من القيادة العليا للجيش الإسرائيلي، فقد أُمر لواء يفتاح واللواء الثامن بنسف معظم المنازل واستبقاء تسعة منها لإيواء حامية صغيرة ، وبقيت هذه المنازل التسعة حتى سنة ١٩٥٢، حين لغّمها الجيش الإسرائيلي وجرفها أيضاً ، الموقع مسيّج، ومن الصعب دخوله ، وهو يشرف على طريق القدس– تل أبيب العام، المار على بعد كيلومترات قليلة من اللطرون وبرها. ويتناثر في أرجاء الموقع ركام الأنقاض والحطام الذي نمت فوقه الأعشاب النباتات البرية، بما فيها الصبار وبعض شجر الزيتون وشوك المسيح من فترة ما قبل ١٩٤٨، ويشاهد، فضلاً عن أنقاض المنازل ، حطام المدرسة والمقر المحلي للحزب العربي الفلسطيني حزب الحسينية ، ويبرز في المقبرة العنابية ضريحا حسين بدوان وإسماعيل عايش بدوان ، بسبب البنية الحجرية التي تعلوهما، وتنهض إحدى شجيرات شوك المسيح من أنقاض منزل محمد طمليه، وتنتصب شجرة توت عارية وسط حطام منزل محمد عبد الله. والأراضي المحيطة مزروعة، لكن بعض آثار الزراعة القديمة ما زال باقياً، مثل كرم علي الكسجي، بما فيه من شجر زيتون ورمان وآجام صبّار، مثل شجر الزيتون الباقي في أرض أبو رمان ، وثمة في المنطقة التي كانت تعرف باسم العطن بئر مهجورة، تتحلّق حول فوهتها كومة حجارة.

مثّلت مدينتا اللد والرملة هدفاً استراتيجياً للقوات الصهيونية خلال حرب ١٩٤٨، بسبب وقوعها بالقرب من تل أبيب عند ملتقى خطوط المواصلات بين الشمال والجنوب والساحل والداخل، وبسبب وجود مطار عسكري صغير في الرملة وآخر مدني كبير في اللد، إلى جانب

وجود محطة الهاتف الرئيسة في فلسطين ومعسكر صرفند بالقرب منهما.

أطلق الإسرائيليون على عملية اللد والرملة الاسم الرمزي "داني" وخصصوا لها قوة البلماخ المؤلفة من ٦٥٠٠ رجل، منظمة في ثلاثة ألوية ومزودة بناقلات الجنود المدرعة المجنزرة والمدرعات والمدفعية والإرشاد الجوي.

بدأ الهجوم الإسرائيلي يوم ٩ تموز/ يوليو ١٩٤٨، بمسعى لعزل المدينتين وتم احتلال قرية عنابة، وقرية جمزو، ثم مطار اللد ، فعزلت سرية الجيش الأردني في الرملة والعباسية، واكتمل تطويق المدينتين وعزلهما، لتتعرضا لقصف جوي ومدفعي شمل الأحياء الآهلة بالسكان.

في ١١ تموز/ يوليو ١٩٤٨، سقطت مدينة اللد، ثم مدينة الرملة، وفي اليوم الثالث عشر من الشهر نفسه، رحّل الإسرائيليون سكان المدينتين عنوة، وأجبروهم على السير على أقدامهم، في عملية استمرت ثلاثة أيام، بعد أن اقتُرفت مجزرة دموية خصوصاً في اللد ومسجدها ، قلّما تم الحديث عنها .



مجزرة اللد

في الخامس من رمضان ١٣٦٧ هـ الموافق ١١ تموز ١٩٤٨ م، قامت وحدة كوماندوز صهيونية بقيادة المجرم المشهور موشيه ديان بارتكاب مجزرة في مدينة اللّد بفلسطين ، حيث اقتحمت المدينة وقت المساء تحت وابل من القذائف المدفعية ، وكانت" عملية داني-"الاسم الرمزي الموحي بالبراءة- للهجوم على مدينتي اللد والرملة الواقعتين في منتصف الطريق بين يافا والقدس.



ففي ١٠ تموز عيَّن بن غوريون إيغال آلون قائدًا للهجوم على مدينتي اللد والرملة وإسحاق رابين نائبًا له ، وأمر "ألون" بقصف المدينة من الجو، وكانت أول مدينة تهاجم على هذا النحو ، وتبع القصف هجوم مباشر على وسط المدينة، تسبّب بمغادرة من كان من متطوعي جيش الإنقاذ المرابطين بالقرب من المدينة، والتي تلقت الأوامر بالانسحاب من قائدها البريطاني غلوب باشا بالانسحاب، وفي إثر تخلِّي المتطوعين وجنود الفيلق العربي عن سكان اللد، احتمى رجال المدينة المتسلحين ببعض البنادق العتيقة بمسجد (دهمش) وسط المدينة، وبعد ساعات قليلة من القتال نفذت ذخيرتهم واضطروا للاستسلام، لكن القوات الصهيونية المهاجمة أبادتهم داخل المسجد المذكور.

بدأ الهجوم الصهيوني على اللد والرملة يوم ٩/ ٧/ ١٩٤٨م، وسعى الصهاينة إلى عزل المدينتين عن أي مساعدة تأتي من الشرق، فتقدم إلى شرقي اللد والرملة لواءان؛ أحدهما من الجنوب، حيث دخل قرية عنّابة في الساعة الواحدة صباح ١٠ يوليو، ثم قرية جمزو، وثانيهما

من اتجاه تل أبيب في الشمال الغربي، وقد احتل هذا اللواء فلهيلما - مطار اللد ، وباحتلاله عزلت سرية الجيش الأردني في (الرملة والعباسية) اليهودية سابقا ، وهكذا اكتمل تطويق المدينتين وعزلهما، ولم يستطع المناضلون في القرى المذكورة ومطار اللد الصمود أمام الهجمات من قبل الدبابات والمدفعية المنسقة، تعرضت المدينتان أثناء ذلك لقصف جوي ثقيل وجّه إلى مركز شرطة الرملة خاصةً، وقصف مدفعي شمل الأحياء الآهلة بالسكان.

استمر ضغط الصهاينة على امتداد واجهة القتال، وركزوا هجومهم على مدينة اللد أولاً، فشنوا عند الظهر هجومًا قويًّا عليها من الناحية الشرقية عند قرية دانيال، ولكن مجاهدي المدينة استطاعوا أن يصدوا الهجوم بعد معركة دامت ساعة ونصف، خسر الصهاينة فيها ٦٠ قتيلاً، وعاد المجاهدون وقد نَفِد عتادهم، ثم شن الصهاينة هجومًا آخر بقوات أكبر تدعمها المدرعات، وتمكنوا في الساعة ١٦ تقريبًا من دخول اللد واحتلالها، وهم يطلقون النار على الأهالي دون تمييز.

بعد ذلك اخترقت فصيلة تابعة للجيش الأردني مدينة اللد التي كانت قد استسلمت للكتيبة الثالثة التابعة للواء (يفتاح) في البالماح ، وفي أعقاب الاختراق ارتفعت معنويات سكان المدينة، ومن أجل إخمادهم ومنعهم من التحرك، أصدرت الأوامر للإرهابيين الصهاينة بإطلاق النار الكثيفة على جميع من وجد في الشوارع، وخلال بضع ساعات - وبموجب تقدير قائد اللواء في المعركة- قُتل ٢٥٠ فلسطينيًّا، فكانت أبشع "مجزرة" وأسرعها وقتًا، غير أن الإعلام العربي لم يركز عليها ، وفي تقريره الذي قدمه (مولاي كوهين) عن المجازر التي وقعت في مدينة "اللد"، اعترف فيه عن وجود فظائع كئيبة، ودوَّن ذلك في كتاب البلماح صفحة ٨٨٥ فقال ما يلي:"لا شك في أن قضية اللد والرملة وهرب السكان والتمرد اللذيْن جاء في أعقابها، قد وصلت فيها وحشية الحرب إلى ذروتها."

ونشرت صحيفة يديعوت أحرنوت الصهيونية يوم ٢/ ٥/ ١٩٧٢م التفاصيل التي أوردها العقيد احتياط (موشيه كالمان) عن مجزرة اللد فكتب (قال كالمان: بدأ احتلال اللد بمهاجمة

أطراف المدينة بلواء (يفتاح) واللواء الثامن بعد ليلة من المعارك في مؤخرة اللد. اقتحمنا المدينة في ساعات بعد الظهر بالتنسيق مع طابور موشيه ديان، وسيطرنا على مركز المدينة قبيل المساء، ورفعت المدينة الأعلام البيضاء، وقد تدفق السكان إلى المسجد الكبير والكنيسة المجاورة له، وأعلنا بعد حلول الظلام منع التجول في المدينة، وأقيم مقر قيادة الكتيبة في منزل القسيس قبالة بوابة المسجد، وطلبنا من السكان تسليم أسلحتهم، واكتشفنا في الصباح أنه لم يتم وضع أية قطعة سلاح من جديد ، وأعدنا توزيع المدافع، وعند الظهر تقدمت نحو المدينة - التي كان عدد سكانها عشرين ألفًا- مدرعات الفيلق الأردني التي كانت مخبأة في منطقة محطة سكة الحديد، واقتحمت المدرعات الأردنية إيذانًا بالعمل، فبدأ بإطلاق النار وأصبح وضعنا حرجًا، ولم يستطع اللواء التقدم لنجدتنا، ولأنه لم يكن هناك خيار، صدرت الأوامر لرجالنا بإطلاق النار على أي هدف، وسقط خلال المعركة ضحايا كثيرة، واستطعنا خلال بضع ساعات السيطرة مجددًا على المدينة، ووصل الضحايا من المدينة إلى ٢٥٠ قتيلاً، وجرح ٢٤ فقط، ومن عدد الضحايا نجد أن القتلة كان قصدهم القتل وليس الإرهاب فقط؛ فقد بلغ عددهم ٤٢٦ شهيدًا منهم ١٧٦ قتيلاً في مسجد دهمش في المدينة، وفي رواية أخرى بلغوا ٣٣٥ شهيدًا، ٨٠ منهم في مسجد دهمش.

تُعَد عملية اللد أشهر مذبحة قامت بها قوات البالماخ، وقد تمت العملية، المعروفة بحملة داني، لإخماد ثورة عربية قامت في تموز عام ١٩٤٨ ضد الاحتلال الإسرائيلي. فقد صدرت تعليمات بإطلاق الرصاص على أي شخص يُشاهَد في الشارع، وفتح جنود البالماخ نيران مدافعهم الثقيلة على جميع المشاة، وأخمدوا بوحشية هذا العصيان خلال ساعات قليلة، وأخذوا يتنقلون من منزل إلى آخر، يطلقون النار على أي هدف متحرك ، ولقي ٢٥٠ عربياً مصرعهم نتيجة ذلك (وفقاً لتقرير قائد اللواء). وذكر كينيث بيلبي، مراسل جريدة الهيرالد تريبيون، الذي دخل اللد يوم ١٢ يوليه، أن موشي دايان قاد طابوراً من سيارات الجيب في المدينة كان يُقل عدداً من الجنود المسلحين بالبنادق والرشاشات من طراز ستين والمدافع الرشاشة التي تتوهج

نيرانها. وسار طابور العربات الجيب في الشوارع الرئيسية، يطلق النيران على كل شيء يتحرك، ولقد تناثرت جثث العرب، رجالاً ونساء، بل جثث الأطفال في الشوارع في أعقاب هذا الهجوم ، وعندما تم الاستيلاء على الرملة أُلقى القبض، في اليوم التالي، على جميع من بلغوا سن التجنيد من العرب، وأُودعوا في معتقلات خاصة ، ومرة أخرى تجوَّلت العربات في المدينتين، وأخذت تعلن، من خلال مكبرات الصوت، التحذيرات المعتادة ، وفي يوم ١٣ تموز أصدرت مكبرات الصوت أوامر نهائية، حدَّدت فيها أسماء جسور معيَّنة طريقاً للخروج .

وأفرغت المدينتان اللد والرملة وعشرات القرى من الأهالي والبشر باتجاه الشرق الضفة الغربية التي سميت بذلك بعد النكبة ، والأردن الضفة الشرقية وعاش المشردون بمخيمات كثيرة انتشرت في الضفتين .



مخيم



الزراعة عماد حياة الفلاح الفلسطيني ، وعماد حياة البشر ، وسكّان القرى الفلسطينية جلهم مزارعون فلاحون ، ويتوارثونها جيلا بعد جيل ، وهي حياتهم ومعاشهم ، ويهتمون بوجود الدواب للحرث وللحمل وللنقل ، ويربون بعضها للحوم والألبان والأجبان والسمن ، والطيور للبيض والطعام ، فالقرية الفلسطينية أهم نشاطها الزراعة والحمضيات والخضار ، ونقلها للمدن الكبيرة لبيعها وشحنها للمدن الكبيرة والتصدير ، هكذا كانت مجموعة من القرى التابعة لمدينة الرملة المدينة الشهيرة في بلادنا ، فقراها تبلغ خمسون قرية ، منها دانيال البرية عنابة جمزو برفيليا القباب البرج خروبة ، وهي قريبة من خط قطار وطريق يافا القدس والإنسان الذي لا يملك أرضا للزراعة يشتغل عند عائلة زراعية أو يعمل راعيا لهم ، فلا يوجد بطالة في القرى والفلاحة ، فالعمل لدى الملاك لا ينقطع .

تزوج محمود علي أحد سكان القرية ذات العائلات والحمولات الكثيرة مرة أخرى .. وهذا شأن عادي في حياة الفلاح الفلسطيني ، وكانوا يسعون ويحبون المزيد من المواليد خاصة الذكور للأهمية لديهم من أجل تكثير الذرية للعمل والفلاحة ، فيتزوجون مرة وأُخرى للعزوة والفخر والعمل .. فالمطلقة تتزوج ، والأرملة تتزوج دون عائق اجتماعي أو شرعي، ولدت أمه فاطمة الكثير ، ولم يعش لها من زوجها قبل موته بحادث إلا واحدا سماه حسينا ، وهو اسم

عربي إسلامي أصيل يحبه المسلمون ؛ لأنه اسم حفيد سيدنا محمد ﷺ ، ولصاحب البيارة محمود يونس المنسوبة للعائلة زوجات أنجبن عدة أبناء ، والزوجة الرابعة ولدت له ثلاثة أبناء وأنثى واحدة ، ولعم الطفل حسين الذي تزوج أرملة أخيه أربع بنات ولدن قبل ما سمي بالنكبة فقد أصبحت تاريخا قبل وبعد ، واحدة أو صغراهن ولدت من أم حسين ، فصار لليتيم حسين أخت من أمه ، ثم طلق العم بعد النكبة وتزوج أخرى رغبة بالأولاد ، فولدت ذكرين وعدة بنات ، واستقر العم في الضفة الغربية حتى توفاه الله ﷻ .

كان حسين وحيد أبيه محمود ، وذكر وحيد لأمه ، فتربى في حضن أمه يتيما مع أخته من أبيه .. أخته لأمه لم تكن يتيمة ، هو وحده اليتيم .

مات والده وهو ابن سنتين على إثر حادث أليم قيل في انفجار بارود في محجر في البلد ، فتربى ونشأ يتيما وفي كنف عمه ، ولما حدثت الهجرة القسرية والنكبة الشهيرة كان غلاما يافعا .. ابن اثنتي عشرة سنة .

القرية كانت على طريق يافا القدس وخط السكة الحديد التي بينهما ، فكانت رحلة الهجرة والهرب من بطش عصابات الصهيونية باتجاه بيت دقو جهة القدس ، وأبناء محمود صاحب البيارة تجاه رام الله .

وظهرت مخيمات النكبة الخمسين أو تزيد ، فاجتازت أسر بيت دقو المهاجرة من ظلم وعدوان اليهود النهر نهر الأردن نحو مخيم الكرامة في غور الأردن الأوسط ، وبعضهم سار نحو مخيم الأمعري في رام الله ، وبعضهم مخيم الجلزون في رام الله أيضا ، وبعضهم إلى مخيم الزرقاء في شرق الاردن ، تشتت الشعب المهاجر شرقا وشمالا وجنوبا وغربا نحو مصر .

وساهم العالم اللاجئين ، وأنشأوا لهم وكالة سموها وكالة الغوث الاونروا لإغاثة اللاجئين الفلسطينيين لإطعامهم ومساعدتهم للبقاء أحياء عالة عليها لليوم ، لذلك استأجروا لهم مخيمات لمائة سنة إلا سنة واحدة .

قضاء الرملة يزيد عن ستين قرية طرد أهلها منها ، ويزيدون عن ١٠٠٠٠ آلاف نسمة .

احتوى قطاع غزة ثمانية مخيمات جباليا النصيرات الشاطئ البريج خان يونس المغازي دير البلح رفح ، والضفة الغربية تضم ثلث مخيمات اللاجئين ١٩ مخيما ، مخيم عايدة عقبة جبر عين السلطان النعويمة الامعري دير عمار الجلزون قلنديا الدهيشة بيت جبرين الفارعة العروب بلاطة عسكر عين بيت الماء الفوار نور شمس جنين .

في الضفة الشرقية، مخيم الزرقاء ١٩٤٩ مخيم اربد١٩٥١، مخيم الحسين عمان ١٩٥٢ ، مخيم عمان واشتهر بمخيم الوحدات ١٩٥٥، مخيم سوف ١٩٦٧ جرش ، وأربعة مخيمات عام ١٩٦٨ الطالبية حطين الحصن غزة ، ومخيم البقعة قرب مدينة السلط.

كان للحزب العربي الذي أنشأه الحسيني جمال مقرا في تلك القرية ، وكانت قرية عنابة مقرا ومركزا لعدد من تلك القرى ، ولكن الفلاح الصغير الذي تعلم بضع سنين للسادس الابتدائي وحيد أمه كذكر بعيدا عن السياسة والاحداث الجسام .

ظهرت الاحزاب الستة المشهورة في فلسطين بعد عام ١٩٣١ م ، الحزب العربي لآل الحسيني وأتباعهم ظهر كحزب ٣٥ ، وقبل هذا العام انشأ آل النشاشيبي منافسو الحسينية حزب الدفاع الوطني ، وقبلهم أسس عوني عبد الهادي النابلسي حزب الاستقلال ٣٢ ، والرابع حزب الاصلاح حسين الخالدي ٣٥، ويعقوب الغصين حزب مؤتمر الشباب ، والسادس حزب الكتلة الوطنية ، وهي أحزاب عائلية ورقية، لا تمارس ديمقراطية ، أحزاب عائلية عشائرية .

قريتنا صغيرة وادعة مثل سائر القرى المحيطة بها كالبرية وجمزو ودانيال ، تعلم حسين القراءة والحساب ، وقرأ المصحف ، وعمل في الزراعة ، وعاصر الصراع الدامي بين الفلسطيني والغازي الظالم والمغتصب الجديد في المدن والقرى الكبيرة ، القرويون يجهلون أبجديات الوطنية وعمق الصراع خلال تلك الفترة ، وكان أفندية المدن هم الذين يتصدرون المشهد سياسيا وإعلاميا ، حتى أن المصاهرات كانت شاقة وقليلة ونادرة بين سكان المدن والقرى .

ولما حدث التقسيم الظالم ١٩٤٧ وبدأت تلوح أخطار الحركة الصهيونية ومكشوفة للقاصي

والداني كان قد فات الأوان كما يقال للم اللحمة الوطنية ، فقد كبرت الفجوة بين أهل المدن وأهل الريف ، كمل المشروع الصهيوني عام ثمان وأربعين ، وولدت دولة اسرائيل على أرض فلسطين في منتصف أيار ، وظهر الكيان الإسرائيلي على مسرح العالم كدولة صهيونية .

حلت أمريكا المتحدة مكان بريطانيا علنا كدولة كبرى راعية لدولة اليهود الوليدة المشوهة دولة عبرية وسط أمة عربية ، وحلت النكبة والتطهير العرقي وخطة داني .

ولد حسين علي في ست وثلاثين ، وولد يوسف محمود في اثنين أربعين ، وذهب المهاجرون قسرا لجهات شتى ، بعضهم جهة القدس ومنها لمخيم الكرامة الناشئ في غور شرق الأردن ، وذهب يوسف لرام الله الامعري ، ثم انتقل للكرامة في منطقة الغور .

خرج الكثير من الفلسطينيين من بلادهم وديارهم وهم يظنون أن العودة بعد أيام ؛ ربما تطول لبعض أسابيع ؛ فالجيوش العربية السبعة جيوش الإنقاذ دخلت فلسطين للإنقاذ لإنقاذ البلاد والعباد من جيش الهاغانا الصهيوني .

كانت الحياة حياة المخيم بسيطة في المخيم ؛ حيث يقطن كل أهل بلدة قرب بعضهم ، وكل عائلة مجاورة لعائلات من نفس العائلة الكبيرة ، وعمرت البلدة وأصبحت بلدة حية يقطنها آلاف الأسر والأفراد ، وأنا كاتب هذه الصفحات من تاريخ الأسرة لما ولدت فيها ، كنت أرى بيوت البشر من لبن الطين ، لم أدرك الخيم التي يتحدث عنها المشردون الهائمون في البلاد ولدت بعد النكبة بعشر سنوات وكسر .

كنت تجد الجامع يجمع أهل القرى من يافا واللد والرملة مع أهل المدن ، كانوا في البؤس والشقاء سواسية ، لا فرق بين قروي ومدني إلا بالأسماء ، وتجد الزواج بين أهل القرى والمدن طبيعيا ؛ بل بين أهل القرى والقرى الأخرى ، لقد تغير الوضع الاجتماعي والمصاهرات .

كانت عيادة صحية ومركز طبي لأهل المخيم أنشأته الوكالة يلتقي فيه أسر وعائلات من مدن وقرى فلسطين مختلفة ؛ كأنهم أهل بلدة واحدة ، لا أحد يفتخر ويستعلي على آخر .. كلهم سواسية في الفقر والتشرد .

يجتمع المهاجرون في عيادة الوكالة في الجامع في المقهى في مداخل البيوت في البيوت نفسها ، ويبدأ كل لاجئ ومهاجر يسرد مأساته ورحلة لجؤه ومعاناته ومعاناة عائلته الكبيرة ، وحتى أهل بلده وأماكن تشردهم في مخيمات اللجوء .

أوجدت الوكالة المدارس للجنسين ، أذكر أني درست سنة في مدرسة الكرامة ، وبعض الثانية قبل يوم الكرامة عام ١٩٦٨؛ حيث كان الخروج الثاني لأهل فلسطين نحو عمان والبلقاء ؛ حيث مخيم البقعة ومخيمات عمان والزرقاء ، اضطر أهل الكرامة للرحيل أمام القصف المدفعي الإسرائيلي عندما نشط العمل الفدائي وانتقل المخيم إلى مخيم البقعة ، كان المستقر البقعة حتى كانوا يسمون مهاجرة الكرامة ؛ لأنه قد سبقهم بعد احداث سبع وستين خروج عائلات من مخيمات الضفة الغربية ومن أهالي الضفة وغزة شرقا إلى مخيمات الأردن ولبنان .

لم يكمل حسين تعليمه درس ست سنوات ، عمل في الزراعة والفلاحة مع سكان المنطقة أنفسهم أو مع أثرياء البلاد المهاجرين الذين استطاعوا تملك المزارع .

كانت أحداث جسام تحدث وتعصف في بلاد الشام والعرب ، ظهرت الأحزاب القومية الكبرى كالبعث في سوريا ولبنان والعراق ، وحركة القوميين العرب ، الانقلابات العسكرية المتتابعة في سوريا والعراق . أخطرها انقلاب مصر ، وإلغاء الملكية الفاروقية في مصر ، وظهور الزعيم المصري جمال عبد الناصر كبطل عربي كبير ، والذي تصدر المشهد القومي والعربي وظهر المد الناصري ، وظهرت منظمة التحرير كبديل للوطن فلسطين ؛ لأن العالم أعطى الضفة الغربية كجزء من الأردن ، وجزء صغير من غزة لمصر ، وإسرائيل امتلكت الباقي حسب قرار التقسيم ٤٧ ثم استولت على كل فلسطين عام ١٩٦٧ ، كان الصراع السياسي رهيبا وعنيفا في البلدان العربية شبه المستقلة ، الصراع على تصدر المشهد ، الفقر يغمر هذه الشعوب ، الأمية تضرب أطنابها في كل البلدان ، التخطيط لا تخطيط ، الاعتماد على المستعمر ما زال قائما رغم زعم الاستقلال .

تعدُّ معركة الكرامة (٢١ آذار ١٩٦٨) أحد المفاصل التاريخية لحركة المقاومة الفلسطينية، إذ شكلت نقلة نوعية للعمل الفدائي الفلسطيني الذي بدأ يعيش عصره الذهبي في الأردن ، كما كانت إيذاناً بسيطرة حركة فتح على العمل الوطني الفلسطيني، وعلى قيادة منظمة التحرير الفلسطينية ، وقد كان من الواضح أن تصاعد العمل الفدائي المنطلق من قواعد له في غور الأردن قد دفع الكيان الإسرائيلي إلى القيام بهجوم واسع لتدميرها خصوصاً في منطقة الكرامة. غير أن صمود الفدائيين والجيش الأردني وما بذلوه من تضحيات، قد أدى إلى نتائج معاكسة تماماً لخطط الإسرائيليين، إذ وقعت خسائر كبيرة نسبياً في القوات الإسرائيلية، وانكسرت أسطورتها بأنها تملك جيشاً لا يقهر ، كما أدت إلى تصاعد شعبية العمل الفدائي ونفوذه خصوصاً في الأردن، وجعلت الكيان الإسرائيلي في حالة من الحيرة، إذ إن هجماته تزيد العمل الفدائي قوة وشعبية، كما أن سكوته يعطي هذا العمل فرصة للتوسع والتمدد.

تكتسب معركة الكرامة أهمية كبيرة في التاريخ الفلسطيني المعاصر، إذ تعدُّ نقطة تحوّل باتجاه سيطرة العمل الفدائي الفلسطيني ـ وخصوصاً حركة فتح ـ على الساحة السياسية الفلسطينية وعلى منظمة التحرير الفلسطينية، وقد أدت إلى ترسيخ الوجود الفدائي شرقي الأردن وأعطته زخماً شعبياً كبيراً فلسطينياً وعربياً ؛ كما أسهمت في تكريس خيار حرب العصابات وحرب التحرير الشعبية ضدّ الكيان الصهيوني، بعد هزيمة الجيوش العربية في حرب حزيران ١٩٦٧ واحتلال الصهاينة للضفة العربية وقطاع غزة والجولان وسيناء.

أدت حرب الأيام الستة في حزيران ١٩٦٧ بين العرب والكيان الإسرائيلي إلى كارثة كبيرة. فقد مُنيت الجيوش العربية المصرية والأردنية والسورية بهزيمة ثقيلة، واحتل الكيان الإسرائيلي بسرعة خاطفة الضفة الغربية التي كانت تحكمها الأردن ، وقطاع غزة الواقع تحت الإدارة المصرية ، وبذلك استكمل احتلال باقي فلسطين وفق حدودها الحديثة التي وضعت في أثناء الاستعمار البريطاني ، كما احتلت شبه جزيرة سيناء المصرية ، والجولان السورية ، كما أدت

الحرب إلى تشريد ٣٣٠ ألف فلسطيني انتقل أغلبهم إلى شرقي الأردن، لقد كانت حرب ١٩٦٧ صدمة كبيرة للشعب الفلسطيني والشعوب العربية التي انتظرت بفارغ الصبر طوال ١٩ عاماً (منذ ١٩٤٨) ما كانت تَعِدُ به الأنظمة العربية من القضاء على الكيان الإسرائيلي، ولذلك أضعفت هذه الحرب الثقة بالأنظمة وجيوشها وبحاكم مصر ، وسعى الفلسطينيون إلى أخذ زمام المبادرة بأيديهم، وعدم انتظار تحقّق شعارات الوحدة طريق التحرير وقومية المعركة التي كانت سائدة من قبل، فضلاً عن انحسار الآمال تجاه جمال عبد الناصر لتحقيق الوحدة والتحرير، وتكرست بشكل أكبر الهوية الوطنية الفلسطينية، وتطلعت الأنظار إلى المنظمات الفدائية الفلسطينية كبديل أفضل، وقد قامت حركة التحرير الوطني الفلسطيني فتح بإعادة ترتيب صفوفها في الضفة الغربية وقطاع غزة، وأعلنت انطلاقتها الثانية في ٢٨ آب ١٩٦٧ في بيانها الخامس والسبعين ، وحسب مصادر فتح نفسها قام مقاتلوها خلال الفترة المتبقية من عام ١٩٦٧ بـ ٧٩ عملية عسكرية، أدت إلى قتل وجرح ٢١٨ صهيونياً. وقد أصبحت فتح ـ في تلك الفترة ـ العمود الفقري للمقاومة في الوقت الذي أخذت تتشكل فيه منظمات فدائية أخرى شاركت بدرجات متفاوتة في عمليات المقاومة.

وقد دفع الفدائيون بنحو ألفٍ من عناصرهم إلى الضفة والقطاع ليقوموا ببناء التنظيم السري والقواعد الارتكازية، وكان على رأسهم زعيم فتح ياسر عرفات الذي تولى إعادة تنظيم المقاومة في الضفة الغربية بنفسه ، ولكن يبدو أن هذه المحاولة لم تنجح في إنشاء أيٍّ من القواعد الثابتة، بالرغم من الجهود المضنية التي بذلها الفدائيون، إذ إن الإجراءات العسكرية والأمنية الصهيونية العنيفة أدت إلى مطاردة مئات الفدائيين، واستشهد ما يزيد عن ستين فدائياً، واعتقل ألفٌ آخرون ، وقد أدى هذا إلى توجه الفدائيين إلى إقامة القواعد الثابتة في الضفة الشرقية لنهر الأردن ، وأخذت القواعد السرية القليلة التي كانت موجودة شرقي غور الأردن تبرز إلى العلن في مطلع ١٩٦٨، في الوقت الذي أخذ فيه كثير من الفدائيين المطاردين في الضفة الغربية بالانتقال إلى الضفة الشرقية لنهر الأردن، وقد أدخل ذلك العلاقة بين الأردن

والفدائيين في مرحلة جديدة، كما لفت أنظار الكيان الإسرائيلي لضرب القواعد الفدائية في شرقي الأردن مما صعَّد من احتمالات المواجهة مع الجيش الأردني، والقيام بهجمات انتقامية ضدّ مدن الأردن وقراه، وضدّ بنيته التحتية والاقتصادية.

وقد لاحظ تقريرٌ للمخابرات العسكرية البريطانية في الشرق الأدنى أنه منذ حرب ١٩٦٧ حدثت زيادة كبيرة في أنشطة الفدائيين وفي عدد منظماتهم، وأشار إلى أن معظم العمليات الفدائية كانت تتم قبل الحرب من قطاع غزة وسورية، ويمرُّ الفدائيون أحياناً من لبنان أو الأردن، ولكن كل العمليات ضدّ إسرائيل بعد الحرب تمت عبر الأردن، ونتيجة لذلك كانت معظم انتقامات الإسرائيليين موجهة ضدّ الأردن.

وبينما كان الكيان الإسرائيلي يطارد العمل الفدائي في الضفة الغربية والقطاع ؛ فإنه كان ينظر بقلق إلى نمو وتجذّر قواعد الفدائيين في شرقي الأردن، وإلى الدعم الشعبي الذي يلقاه، بل وتغاضي أو دعم عناصر من الجيش الأردني للفدائيين، فضلاً عن دعم وحدات الجيش العراقي المتمركزة في الأردن. . أعلن في ٤ كانون الأول ١٩٦٧ أنه منذ حرب الأيام الستة ؛فإن قوات الأمن الإسرائيلية قبضت على ٣٠٠ فدائي وقتلت ٦٠ آخرين.

وتقع قرية الكرامة في الجزء الشرقي من غور نهر الأردن وهي عبارة عن منطقة زراعية منخفضة جغرافياً اشتهرت ببساتينها الكبيرة وخضرتها الدائمة وكانت تسمى بمنطقة الآبار وذلك لكثرة الآبار الارتوازية فيها، وتسمى أيضا بغور الكبد باعتبارها جزءا من منطقة زراعية واسعة وتعتبر هذه المنطقة سلة الغذاء الأردني ، ويعتمد ٩٥٪ من سكان هذه المنطقة على الزراعة ، وفي مطلع سنة ١٩٦٨ صدرت عدة تصريحات رسمية عن إسرائيل، تعلن أنه إذا استمرت نشاطات الفدائيين الفلسطينيين عبر النهر ؛ فإنها ستقرر إجراء عمل مضاد مناسب ، وبناء عليه زاد نشاط الدوريات الإسرائيلية في الفترة ما بين ١٥- ١٨ مارس ١٩٦٨ بين جسر الملك حسين وجسر داميا وازدادت أيضا الطلعات الجوية الإسرائيلية فوق وادي الأردن تمهيدا للهجوم الواسع قامت إسرائيل بهجمات عديدة

استخدمت بشكل رئيسي القصف الجوي والمدفعي، على طول الجبهة الأردنية طوال أسابيع عديدة سبقت بداية المعركة ، لقد وعيت هذا القصف والترهيب ، وكنا نغادر المدارس فور بدء القصف ، ونسير قرب الحيطان ويفزع الكبار لأخذ أبنائهم من المدارس ، وكنا نرى الطائرات العسكرية وهي تلقي قنابل النابالم وغيرها لإرهاب الناس والخروج من البلدة ؛ فخرجنا سيرا على الأقدام إلى جبال البلقاء نحو عمان ، وهجر المخيم كما مهدت إسرائيل لذلك بإجراءات واسعة النطاق في المجالات النفسية والسياسية والعسكرية عمدت بواسطتها إلى تهيئة المنطقة لتطورات جديدة يتوقعونها كنتائج لعملياته العسكرية شرقي نهر الأردن ، وقد أعلن الكيان الصهيوني أنهم قاموا بالهجوم لتدمير قوة المقاومة الفلسطينية، والقضاء على حلم العودة لدى الشعب الفلسطيني.

بدأت معركة الكرامة عند الساعة ٥.٣٠ من صباح يوم الخميس ٢١ مارس١٩٦٨ ، واستمرت ست عشرة ساعة في قتال مرير على طول الجبهة، قام الجيش الإسرائيلي بشن هجوم واسع في منطقة نهر الأردن من ثلاث أماكن ، جسر داميا وجسر سويمة وجسر الملك حسين حشد الجيش الإسرائيلي لتلك المعركة اللواء المدرع السابع ، واللواء المدرع ٦٠، ولواء المظليين ٣٥، ولواء المشاة ٨٠، وعشرين طائرة هيلوكوبتر لنقل المظليين وخمس كتائب مدفعية ١٥٥ ملم و ١٠٥ ملم، بالإضافة إلى قواته التي كانت في تماس مع القوات الأردنية على امتداد خط وقف إطلاق النار، وسلاحه الجوي الذي كان يسيطر سيطرة تامة على سماء وأرض المعركة، بالإضافة إلى قوة الهجوم التي استخدمها في غور الصافي، وهي كتيبة دبابات وكتيبة مشاة آلية وسريتا مظليين وكتيبة مدفعية، تم حشد هذه القوات في منطقة أريحا، ودفع بقوات رأس الجسر إلى مناطق قريبة من مواقع العبور الرئيسة الثلاثة، وقام بإنزالات جوية قرب الكرامة .

لقد لعب سلاح الدروع والمدفعية الأردني دوراً كبيراً في معركة الكرامة وعلى طول الجبهة وخاصة في السيطرة على جسور العبور ما منع الجيش الإسرائيلي من دفع أية قوات جديدة

لإسناد هجومه الذي بدأه، وذلك نظراً لعدم قدرته على السيطرة على الجسور خلال ساعات المعركة، وقد أدى ذلك إلى فقدان القوات الإسرائيلية المهاجمة لعنصر المفاجأة، وبالتالي المبادرة، وساهم بشكل كبير في تخفيف زخم الهجوم وعزل القوات المهاجمة شرقي النهر وبشكل سهل التعامل معها واستيعابها وتدميرها، وقد استمر دور سلاح الدروع والمدفعية الأردني بشكل حاسم طيلة المعركة من خلال حرمان الإسرائيليين من التجسير أو محاولة إعادة البناء على الجسور القديمة وحتى نهاية المعركة.

طلبت إسرائيل ولأول مرة في تاريخ الصراع العربي الإسرائيلي وقف إطلاق النار في الساعة الحادية عشرة والنصف من يوم المعركة ، خسائِر الجيش الإسرائيلي فقد كانت فادِحة إذ بَلغ عدد قتلاهم ٢٥٠ جُنديا ، وجُرِح ما يُقارب ٤٥٠ جُنديا ، قد خَسِر الجيش الأردني ١٣ دبابة و٣٩ مَركبة مُختلفة، أمَّا عن الجيش الإسرائيلي فقد خسروا ٨٨ مَركبة، و٧ طائرات مُقاتلة، الفدائيون قاتلوا ببسالة نادرة وقدموا حوالي مائة شهيد ، فقد اشتركوا بكل بطولة وبروح معنوية عالية ، وقدموا تضحيات كبيرة حيث اشتبكوا مع الإسرائيليين في الكرامة بالسلاح الأبيض واستبسلوا وأبلوا بلاء حسنا، ويقول صخر حبش : إن إقدام إسرائيل على عبور نهر الأردن للاشتباك بمقاتلينا في الكرامة والكريمة، اللتين كانتا تكتظان بالفدائيين، وكان يقطنهما أكثر من ١٠٠ ألف لاجئ فلسطيني قبل شهرين من المعركة وقد هجرتها الجماهير بعد سلسلة القصف المتواصل بهدف الترحيل ، وكان من الطبيعي أن لا يتبع الفدائيون الهجرة مع المواطنين، لأنه في ذلك تكون النهاية؛ لذلك فقد اختارت الحركة المجازفة بعد أن اعتمدت على أن الموقف الوطني والقومي للجيش الأردني لا يمكن أن يقبل ويسلم بعبور القوات الإسرائيلية نهر الأردن لتضرب قواعد الفدائيين والقوات الأردنية في شرق النهر ؛ لتكون هناك هزيمة جديدة تضاف لهزيمة حزيران. واستطرد صخر حبش قائلاً: قبل أيام نشر قائد فرقة المظليين الإسرائيليين التي أنزلت خلف الكرامة على الجبال والمؤلفة من ٧٠ مظلياً، كانت مهمتهم الأساسية قتل الفدائيين، وكانوا يعتقدون أنهم سيهربون من الكرامة، أو يؤسرون،

تحدث قائد الفرقة عن الخطة وقال : إنه وجد نفسه بين نارين، نار الفدائيين المتمترسين في مواقعهم ونار الفدائيين الذين قاتلوا كل القوات التي هاجمتهم، والمفاجأة الأكبر كانت مشاركة الجيش الأردني بمدفعيته الأمر الذي أذهلهم ويتحدثون الآن عن أضعاف أعداد الإصابات عما اعترفوا به في حينه. وأضاف غنمت المقاومة بعض الدبابات الإسرائيلية، وخسرت إسرائيل ثمانية وعشرين جندياً كما أن بعض الجثث ظلت في ساحة المعركة، وبعد انسحاب القوات الإسرائيلية بدأت احتفالات فلسطينية بالنصر وامتدت إلى ساحات العالم العربي، وظهر اسم ياسر عرفات علناً بعد أيام على معركة الكرامة بصدور بيان رسمي عن اللجنة المركزية لمنظمة فتح يخول ياسر عرفات بإصدار البيانات باسم حركة فتح وأن يكون المتحدث الرسمي لها، وهكذا بدأ ألوف من الشباب الفلسطينيين في التدفق على قيادات ومعسكرات فتح في الأردن وفي بعض الدول العربية الأخرى، ولم يشكل مقتل أكثر من مئة من مقاتلي حرب العصابات في المعركة عائقاً أمام نشوء أسطورة الكرامة.



حياة بائسة تغمر سكان البلد الأصليين ؛ فكيف الهاربون واللاجئون واللاجئ الفلسطيني ؟!
فرص العمل ضعيفة وهشة يوما بيوم تسمى مياومة ، الزواج هدف كل شاب ، فهو يشتغل ليلا ونهارا ليكون زوجا وأبا ، وحسينا كسائر الناس يرغب بالزواج ، تزوج حسين من امرأة تعيش غرب النهر من مخيم الجلزون الكائن في رام الله تزوج امرأة من أهل بلده عنابة ؛ لكن من أسرة أخرى ، أهل البلد الواحد يحبون ويحرصون على مصاهرة أهل بلدهم قبل تغريب النكاح من بلدات وعائلات أخرى ، وتزوج يوسف من نفس الأسرة العائلة .

مارس حسين الأعمال الحرة في الزراعة ونقل الزبل والحصيد للقمح في موسمه ، وهذا المتوفر في الغور الأردني ، وكان التصييف في عمان والعمل فيها كعامل بناء رصف شوارع تحميل زبل للفلاحة ، سافر يوسف مدرسا للعربية في السعودية على شهادة الثانوية العامة .

نشط العمل الفدائي في المخيمات بظهور الحركات الفلسطينية المسلحة كفتح وجيش التحرير والفصائل الأخرى ، كثرت الحركات المسلحة في الأغوار ، بعد هزيمة النكسة وخفوت صوت ناصر والقومية والاشتراكية العربية ، وكانت العمليات لفدائيي الغور زادت بعد هزيمة الجيوش العربية وضياع كل فلسطين وأراضي من سوريا ومصر كما روينا بعض ذلك.

أصبحت الكرامة مرتعا لها ، فتعرضت للدك والمدفعية الإسرائيلية ، هرب الناس والأهالي نحو جبال السلط وجبال عمان .

لا أحداث شخصية مهمة في حياة الشاب حسين ، فهو شاب وديع معيل لزوجة وأطفال وأم وأخت ، كانت معركة الكرامة سنة ثمان وستين في شهر آذار ، وانتهى بها مخيم الكرامة كمخيم أصبح مرمى وهدفا لمدفعية اليهود ، هاجر الناس لمخيم البقعة ، اختفى المخيم من قائمة مخيمات الأونروا ، وهاجر سكانه من جديد ، هجرة تلو هجرة .

وهاجر حسين لحي جبل النزهة في عمان الملاصق لمخيم جبل الحسين ، وبعض العائلة لجبل النظيف ، وبعضهم لمنطقة ماركا الشمالية حيث مطار عمان أو ماركا ، وبعضهم لمخيم

الوحدات ، تفرقت العائلة العنابية في أحياء عمانية، صرفوا نظرا عن مخيم البقعة الذي تحمل رحيل البشر من مخيم الغور الكرامة .

لما رحل السيد الوالد حسين لعمان كان عنده ولدان وابنتان وزوجة حامل وأم وأخت ، وعاد للعيش والسكن في الخيام ، والتنقل فيها بين مكان وآخر ؛ لأنه لم يسكن مخيم البقعة لأمر قدره الله، وحتى ابنيه درسا في خيم زرقاء خيم الأمم المتحدة قبل أن يثبتا في مدرسة ابتدائية في حي النزهة ، ثم يستقر الابن الأكبر في مدرسة مخيم الحسين ، حتى أنهى الابتدائية ويعود لإكمال الإعدادية في المدرسة التجارية في حي النزهة ؛ حيث كان التعليم الإعدادي في الوكالة تجاري وصناعي .

جبل النزهة أو حي النزهة جبل ملاصق لمخيم جبل الحسين ، وهو بين وادي الحدادة ووادي الحسين المخيم ، والمخيم لا وسع فيه للعائلات المهاجرة من مخيمات أخرى ؛ ولكنه يسمح باستلام الأطعمة والمؤن لمن ينقل بطاقته إليه .. فكانت الوكالة توزع الغذاء على اللاجئين حيث مهاجرهم ، وتعلمهم وتعالجهم علاجات أولية، ويحصل اللاجئ على هذه الخدمات بواسطة بطاقة كرت مؤن تصرف لمن تنطبق عليه مواصفات اللاجئ حسب نظام اللجوء الأممي .

استقر حسين بن محمود في منزل الزينكو قرب المخيم ، لأن الوحدات السكنية مبنية من وحدات الزينكو ، ولا يسمح ببناء الإسمنت ؛ لأن الأرض غير مملوكة للأمم المتحدة ، كثير من المخيمات مرت في أطوار بناء وإنشاء ، كانت الخيم أول الانشاء والسكن ، تحولت لألواح الزينكو والصاج ، ثم اللبن والاسمنت ثم الطوابق .

لم تكن في المخيمات بنية تحتية كالكهرباء والماء والصرف الصحي والهاتف والشوارع المزفتة ، ثم دخلتها تلك الخدمات الكهرباء والماء والهاتف والصرف الصحي بدلا من الحفر الامتصاصية.

وأخذ المهاجر حسين يعمل بتأجير نفسه مع عمال البناء في وسط المدينة حيث مركز تجتمع

العمالة باليوم والساعة ، وهذا يخيل لي أتاح له تعلم مهنة القصارة ـ وهي طلاء الجدران بالطين الناعم بعد البناء لإخفاء اللبن وقبل الدهان ـ مهنة شاقة ، ولكنها تدر مكسبا لمن أتقنها .

يجتمع العمال البسطاء في ساحات أو شوارع معينة وأسواق العمالة فيأتي المحتاج لأيدي عاملة فيستأجرهم لإداء العمل المطلوب .

تضخم العمل الفدائي بعد الكرامة في الاردن بعد الدعاية الضخمة التي رافقت انكسار اسرائيل وفشلها في تحقيق اهداف العملية ، انتقل الصراع بين الفصائل الفلسطينية وبين الجيش العربي الاردني .

فحدث ما سمي بأيلول الأسود عام ١٩٧٠ ، فكانت المعركة بين الفصائل الفلسطينية ذات التوجهات المختلفة والجيش الأردني ، وصار شرخا بين شعب الأردن الشرقي وشعب الأردن الغربي .

وبعد عام ١٩٤٨ وسحق المقاومة وتهجير السكان، بدأت تظهر فصائل فلسطينية ذات طابع سياسي، وبدأت تستخدم مصطلح الكفاح المسلح للإشارة إلى أشكال المقاومة المسلحة.

عام ٦٤ ظهر كيان سمي منظمة التحرير الفلسطينية ، وبعده بعام ظهرت منظمة فتح ٦٥ ثم الجبهة الشعبية وانشق عنها كيانات اخرى ، انهزمت هذه الفصائل وغيرها أمام الجيش الاردني ، وخرجت من عمان إلى جبال عجلون وجرش واستقرت في لبنان .

اعتقل حسين لمدة شهر في بلدة طبربور ، ثم أفرج عنه ؛ لأنه لم يكن فدائيا ولا مليشيا فلسطينية لم يكن ثوريا ولا مقتنعا بها كالكثير من الشعب الفلسطيني ، ورويدا رويدا بدأ العمل يعود في القطر ’وتعافت البلاد من الانفصام والدم الذي اريق على نزاعات شخصية وإن لبس ثوب الوطنية والتحرير .

الذرية تزيد والعمل نفسه ، ولما بلغ حسين الخمسين عمل في البلدية ، أما يوسف فدرس انتسابا لجامعة بيروت العربية وتحصل على الشهادة الاولى ، واستمر معلما في السعودية ..لمدة ربع قرن.

كانت دول الخليج دول النفط العربي في تحرر حديث وجهل وفقر ، فأصبحت مهوى الشباب الفلسطيني والعربي بشكل عام لتحسين الدخل المادي للأسر والعائلات ، فكنت تجد فيها الجنسيات العربية المختلفة .

أخبرني السيد العم يوسف أنه قضى في السعودية أربعا وعشرين عاما في التدريس يتنقل بين مدنها وقراها ، وأغلب ذريته ولدت في تلك الديار ، واستطاع أن يبني عمارة في حي ماركا وأن يمتلك مزرعة في مدينة الزرقاء وأراضي في السلط ، وغير ذلك من العقار والارض .

عاد في مطلع الثمانينات وتحصل على ماجستير تربية ودبلوم ثم ماجستير لغة عربية ، وعمل مدرسا بضع سنين في الأردن ، ثم عاد للخليج محاضرا في احدى الجامعات الإماراتية ، ومكث فيها تسع سنوات وخلالها تمكن من الحصول على دكتوراه في اللغة العربية.

وشارك في حملة وإنشاء جمعية أهالي عنابة ١٩٩٢، ومثل عائلته فيها لعدة دورات وذلك في مطلع التسعينات ، فكان علما من أعلامها .

وأما حسين فقضى تسع سنوات في البلدية وحصل على التقاعد والضمان الاجتماعي ، ورحل في منتصف التسعينيات من منطقة النزهة إلى ماركا في عمان العاصمة ، ثم رحل للرصيفة ومنها لمدينة الزرقاء المعروفة .

كانت حياته وادعة هادئة طيبة ، وتزوج كل أولاده ذكورا وإناثا في حياته ورأى أحفاده شبانا بفضل من الله تعالى ، الحياة الشخصية لكل فرد مليئة بالأحداث الشخصية أو السماعية والكثير منها لا يهم المطلع على هذا الكتاب أو الرواية ؛ فلذلك نوجز في هذه السيرة وفي تفاصيلها الكثيرة ، فكلا الرجلين تجاوز في السنوات السبعين .

ولكنهم أعزاء على قلبي ، فأحدهم والدي ، والآخر والد أهلي وقرة عيني ، وأنا أكتب للتاريخ والأجيال ، لم تكن رحلة الحياة هينة ، فهي حياة بؤس وشقاء وطرد من الوطن والإلف واقرأ ما قاله شوقي في منفاه:

وسَلا مِصْرَ هَلْ سَلا القلْبُ عَنْها ** أَوْ أَسَا جرْحَهُ الزَمانُ المُؤَسِي

كُلَّمَا مرَتِ اللَّيالي عَلَيْه ** ** رَقَّ والعَهْدُ في اللَّيالي تُقسِي

مُسْتطارٌ إذا البَواخِر رَنَّتْ ** أَوَّلَ اللَّيْلِ أَوْ عَوتْ بَعْدَ جَرْسِ

رَاهِبٌ في الضُلوعِ للسُفْنِ فَطْنٌ ** كُلَّمَا ثُرْنَ شاعَهُنَّ بنَقْسِ

وطَني لَو شغِلتُ بِالخلدِ عَنهُ ** نازَعَتني إِلَيهِ في الخلدِ نَفسي

وهما مروا بحياة صعبة وقاسية ، صبيان يفارقان ديارهم قهرا وطردا يسيرون في الوديان ويصعدون الجبال ويهبطونها في شدة الحر ، ويعيشون في الخيم ، ويفقدون الطعام أثناء الانتقال من بلدة وأخرى أو يزدحمون لإخذه من المحسنين والصليب الأحمر ثم الأونروا .

هذا وغيره مؤلما ومذلا ، آه! عندما ترى مشهد الناس عند استلام مساعدات الوكالة ، مشاجرات على الدور والانتقال من مكان إلى لآخر لآخذ عينات من طعام .. إنه لمشهد محزن ومبكي واختلاط رجال ونساء وبنات واطفال .

صراخ سباب قذف ، كنت أتألم منه وأنا طفل صغير .. ذل الحاجة ! ذل الفقر !

أبي كان يأخذ المساعدة ـ المؤن ـ بعد الرحيل لعمان من مخيم البقعة التابع لمدينة السلط محافظة البلقاء ، ثم تيسر نقله لمخيم الحسين في عمان فخفف المشوار .

أما العم فاعتقد أنه لم يأخذ هذه الإغاثة ، لأنه تزوج ، وعاش ربع قرن في السعودية معلما ، فربما دفعه لأقاربه الأقربين ؛ لأنه الحق لكل لاجيء في الأعطية والمعونة والدراسة تسع سنوات ثم الانتقال لمدراس الدولة المضيفة ، وبعد الثانوية العامة سيجد فرصة للقبول في معاهد الوكالة في البلدان المضيفة وحسب المعدل الثانوي الأعلى .

ثم توقفت الوكالة في منتصف الثمانينات عن هذه الاغاثة لكثير من الأسر ، واكتفت بالعلاج والأدوية والتعليم ، يمكنك أن تقول بئس الحياة تلك الايام !

صبر الناس ، وذاقوا مرارة الفقر والحاجة ، ثم فتح لهم باب التعلم والوظائف والهجرة شرقا وغربا ، وصار بعضهم من الاثرياء والملاك والزعماء والمدراء .. إنها الحياة !

حسين تزوج في آخر الخمسينيات ، ويوسف في مطلع الستينيات، أنجب الاول اثني عشرة

مولودا ، وفقد المولودة الأولى في حياته المديدة بعد وضعها بشهور ، ويوسف نفس العدد ، الأول انجبهم من امرأة واحدة فقط ، والثاني من ثلاث نسوة ، فقد تزوج على كبر امرأة وولدت طفلا واحدا ، والثالثة بعد الانفصال عن الثانية ولدت طفلة واحدة ، وبعضهم هلك صغيرا .. رغم علاقتي الجيدة مع حماي ، لم أعرف سبب طلاقه لها .

اشتغل عمي في التدريس مبكرا ، وفي الخليج ؛ حيث ظهر النفط والتطور والتحديث ، وقضى زهرة عمره في التدريس بين الطلبة والطالبات ، وسيدي حسين كان وحيدا لم يكن له اشقاء وعاش يتيما وفقيرا ، وكان عزيزا وعصاميا ومجاهدا .

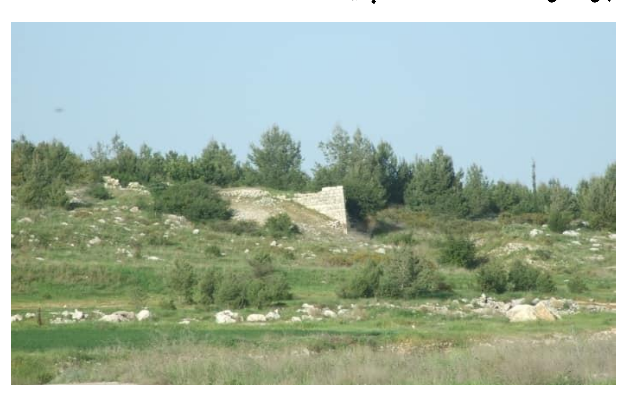
في عام ١٩٨٨ تصاهر الرجلان فقد نكح ولده البكر احدى بنات حسين الاربعة ، وتزوج ابن حسين خريف ١٩٩٠ ابنة يوسف الكبرى ، فاقترب الرجلان من بعضهما أكثر وأكثر .

كان نكاحا بسيطا وبمهر زهيد ، والحمد لله رب العالمين ، سافر العم يوسف للعمل في دولة الإمارات كمحاضر في جامعة ، ورحل حسين من اطراف مخيم الحسين بعد ما يزيد عن عشرين سنة من العيش في النزهة ، وقضى بضع سنين في منطقة ماركا الجنوبية، ثم رحل تجاه مخيم حطين في لواء الرصيفة في إسكان الأمير ، ثم استقر في مدينة الزرقاء ، حياة كلها رحيل وتنقل ، وهكذا حياة الفلسطيني المطرود من وطنه وأرضه عليه أن يعيش عائما سائحا لينعم يهودي في موطنه ، سنة ٢٠١٢ توفي الحاج يوسف محمود ـ رحمه الله ـ عن سبعين سنة في شهر آب صباح ليلة القدر ذلك العام ، ودفن في مقبرة شرق عمان في بلدة سحاب أكبر مقابر العاصمة بعد سبع سنوات من السقم والضعف ، وبعده بسنوات ثلاثة ٢٠١٥ لحقه حسين مات بعد غيبوبة لمدة أسبوعين عن عمر ثمانين سنة ، ودفن في مقبرة سحاب رحمهم الله جميعا.



ضريح في مقبرة القرية (أيار/مايو ١٩٨٧) [عنابة]

موقعها في منتصف السهل الساحلي ، وعلى أول تضاريس الجبال الطبيعية، وتقع على ربوة قليلة الارتفاع شرق مدينة يافا بحوالي ٣٠ كم ، حدودها من الغرب مدن الرملة واللد ، ومن الشمال قرى دانيال وجمزو وخروبة ، ومن الشرق برفيليا وبير معين والبرج والكنيسة ، ومن الجنوب القباب وأبو شوشة وصدون والبرية.



سكانها فلاحون معظمهم يعمل بالزراعة في أرضه المملوكة له ، أراضي البلد تقسم إلى قسمين أرض تدعى شيحا ، وتقع على الجانب الغربي من القرية ، والقسم الثاني يدعى أرض البلد وتقع على الجانب الجنوبي ، كان الموسم السنوي قسمين شتوي وصيفي ، مثلا شيحا كانت تزرع فيها الزراعة الشتوية ، وهي القمح والشعير والعدس والفول والحمص ، أما أرض البلد فكانت تزرع زراعة صيفيه مثل السمسم والذرة البيضاء وبعض الخضار ، وفي العام الذي يليه تتبدل الزراعة شيحا تزرع صيفي وأرض البلد شتوي.

كان المواطن في عنابة يخصص قطعة أرض لزراعة الخضروات من أجل مؤونته الخاصة، مثل البامية والبندورة والخيار والفقوس والبطيخ والشمام واللوبيا والكوسا والقرع وكان اسمها مقثا. كانوا يأكلون مما يزرعون بأيديهم ، يزرعون القمح ويحصدونه وينقونه بأيديهم ويطحنوه دقيقا هكذا كان خبزهم ، وكذلك الخضار كانوا يزرعونها بأيديهم ويقطفونها بأيديهم ويطبخونها بأيديهم بزيت الزيتون أو السمن البلدي.

طعامهم الوليمة الرئيسية المفتول من طحين القمح البلدي ، والثريد عبارة عن اللحم والأرز

وفتيت خبز القمح والمحاشي والمطبق بالزيت البلدي والزلابية والمعجنات باللحم أو السلق أو السبانخ والبحتية الرز والحليب والسكر ، والخبيصة والجريشة قمح مجروش يطبخ باللحم ولا تنسى طبيخ العدس في البوشة داخل الطابون ، وكان اغلب الشجر المزروع شجر الزيتون والتين والعنب والخروب والصبر وبعض أشجار الفواكه مثل المشمش والرمان واللوز.

في أواسط الأربعينات من القرن الماضي حصلت طفرة اقتصاديه كبيرة ، وهي معامل الكلس الشيد حيث استوعبت عدد كبير من العمال والتي كانت تعمل مدة ٢٤ ساعه ، وكان عمال مهرة يقومون بعمل بناء الحجارة بطريقه خاصه داخل المعمل وكان المعمل عبارة عن بناية دائرية يبلغ ارتفاعها من ٨ إلى ١٠ أمتار وسعة قطرها من الداخل ٥ أمتار تبنى فيها الحجارة بأحجام متفاوتة وبطريقه هندسية إلى أن تمتلئ البناية وبعد ذلك يبدأ ضخ زيت الأفيون المشتعل بالنار داخل المعمل بطريقه مدروسة لمدة ثلاثة أيام بلياليها وبعدها تتحول الحجارة داخل المعمل إلى شيد.

أهل القرية أصحاب وأحباب يربطهم النسب والقرابة والمحبة والجيرة ، وسكان القرية عدد من العائلات والعشائر نذكر منهم وهدان، صالحية، عرموش، عبيد، الكسجي، شاهين، الخوار، طمليه، غيث، يحيى، محمود، قطاش، عباس، جابر، أبو عبده، ياسين، حسين حسن، بكر، الصوفي، يعقوب، عوض، جربوعة، صبح، سمارة، عابد، الحلو، الخالدي، الكفري، وعائلات أخرى.

أنشئت في عنابة في الثلاثينيات من القرن العشرين قبل النكبة ١٩٤٨ جمعية عنابة الخيرية ملتقى الشباب ويقوم على رعايتها نخبة من وجهاء وأعضاء القرية ، كانت الجمعية عبارة عن غرفتين أرضية مستقله عام ١٩٤٧ .

جاء إلى عنابة بطلب من جمعية عنابة الزعيم جمال الحسيني زعيم الحزب العربي ، والتقى في مهرجان جامع وحاشد مع الألوف الذين حضروا من المدن والقرى المجاورة ، دعا فيه للتصدي للمد الصهيوني والدفاع عن فلسطين ، ولقى حماسا وتشجيعا منقطع النظير ، وألقى

بعض من أهل القرية خطابات دعوا فيها للمقاومة والدفاع عن الوطن.



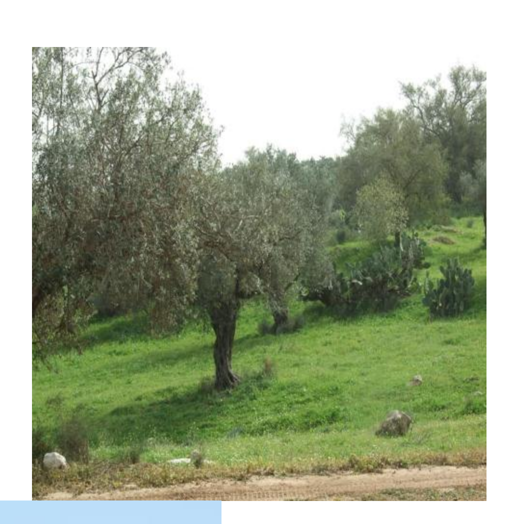
كان إمام مسجد القرية الشيخ محمود عبد العزيز الجربوعة، وكان في القرية مدرسة قديمة اسمها مدرسة الشيخ عيسى ، وموقعها شرق القرية على منطقة اسمها العطن ، وكانت المدرسة مكونه من غرفتين الأولى تضم الصف الأول والثاني الابتدائي والغرفة الثانية تضم الصف الثالث والرابع الابتدائي ، وفي نهاية الأربعينات كان مدير المدرسة الإستاد علي حسين بدوان ، فقام بتأسيس مدرسة جديدة تقع جنوب القرية ، وكان اسمها المعدود ، وكانت مؤلفة من ثلاث غرف ، لم يتم فيها التدريس سوى عام واحد فقط وبعدها سقطت القرية.

عام ١٩٤٤ ميلادي ولأول مرة في تاريخ القرية أقيم حفل تخرج طلاب الصف الرابع الابتدائي ؛ حيث دعيت إلى القرية من اللجنة المشرفة على التخريج فرقه موسيقية ، وقامت بزف الطلاب في أرجاء القرية ونذكر بعض الطلاب الذين تخرجوا عمر إبراهيم عبيد، عبد الرحمن مصطفى عبيد، شوكت علي عبيد، يوسف عبد السلام بكر، عمر أحمد أبو عبدو، محمد عبد العزيز غيث، موسى يوسف عبيد، صلاح شكري عرموش، محمد احمد ذيب جوده، يوسف موسى صالحيه، محمود سليم صالحيه، خليل حسن بدوان، حسين محمد زهرة، محمود أحمد عابد، جميل حسين يعقوب، خضر داود جراد، موسى يوسف انعيم، عبد الله أحمد الحاج السوقي، رمضان حسن الكفري، رمضان عودة عبد الحق، نعمان احمد الخوار، مصلح الخوار، عبد الرحمن محمد علي عباس، عمر عبدالله عباس. كان في القرية ٥ مخاتير نذكر منهم عبد الرحمن حسين بدوان، احمد أمين ياسين، حسن محمود عبيد، محمود سليم الكسجي، مصطفى

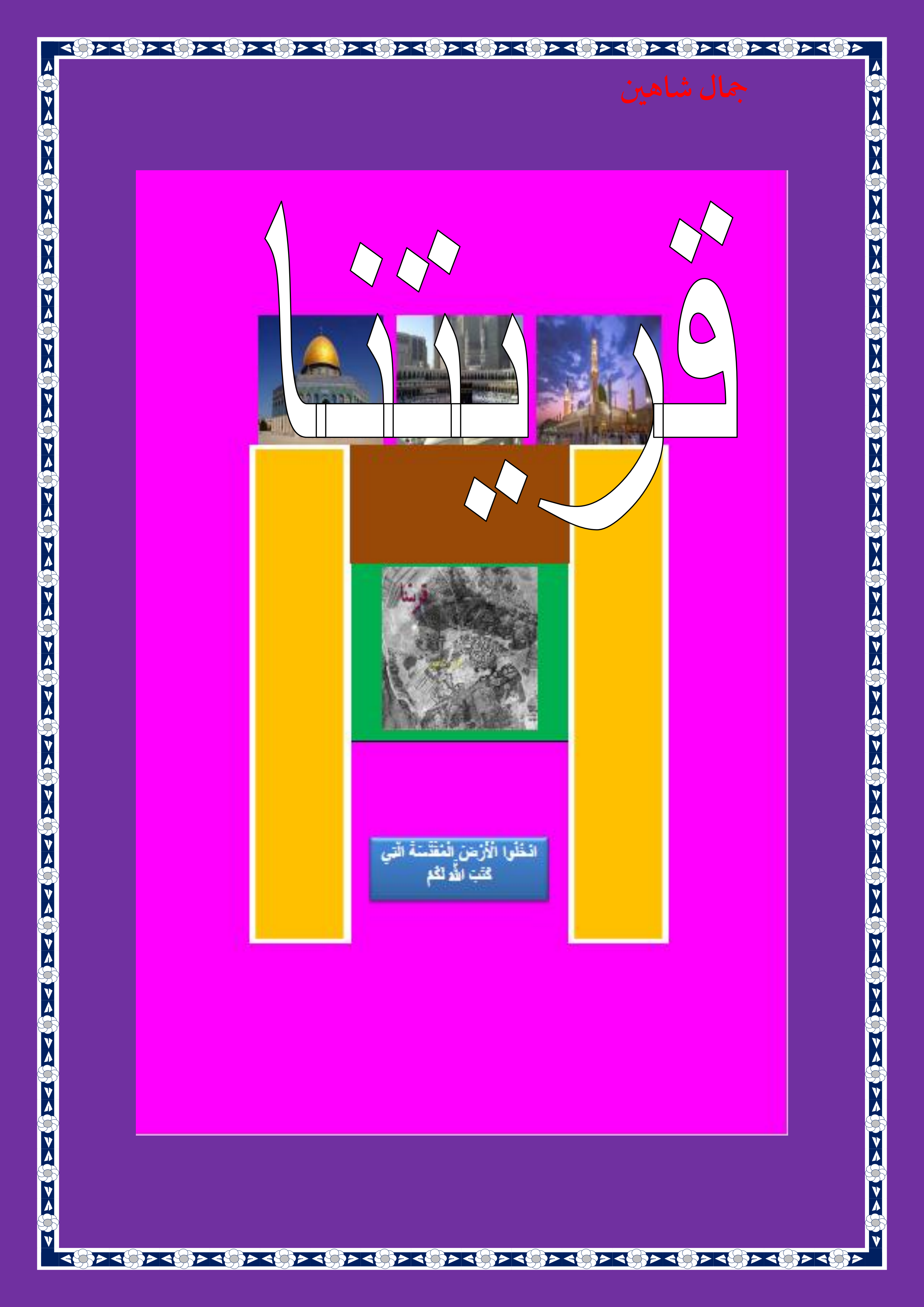
حسنة طملية. كان في القرية عدد قليل من الدكاكين منها دكان احمد عيسى صالحية ودكان محمد جابر صبح ودكان احمد إبراهيم عدي ودكان احمد قشاشة ودكان آل الصوفي للحلاقة ودكان علي الخطيب للحلاقة ، وكان يوجد معصرة زيت زيتون على الطريقة القديمة ، وكان يطلق عليها اسم البد، كان في القرية ثلاث بيارات مزروعة بالحمضيات ، بيارة آل ياسين وآل السوقي وبيارة الشيخ محمود يونس شاهين والد عمي يوسف محمود وعمر شاهين ، وبيارة الحاج سليم الكسجي وأولاده هكذا كانت عنابة قبل ١٩٤٨.

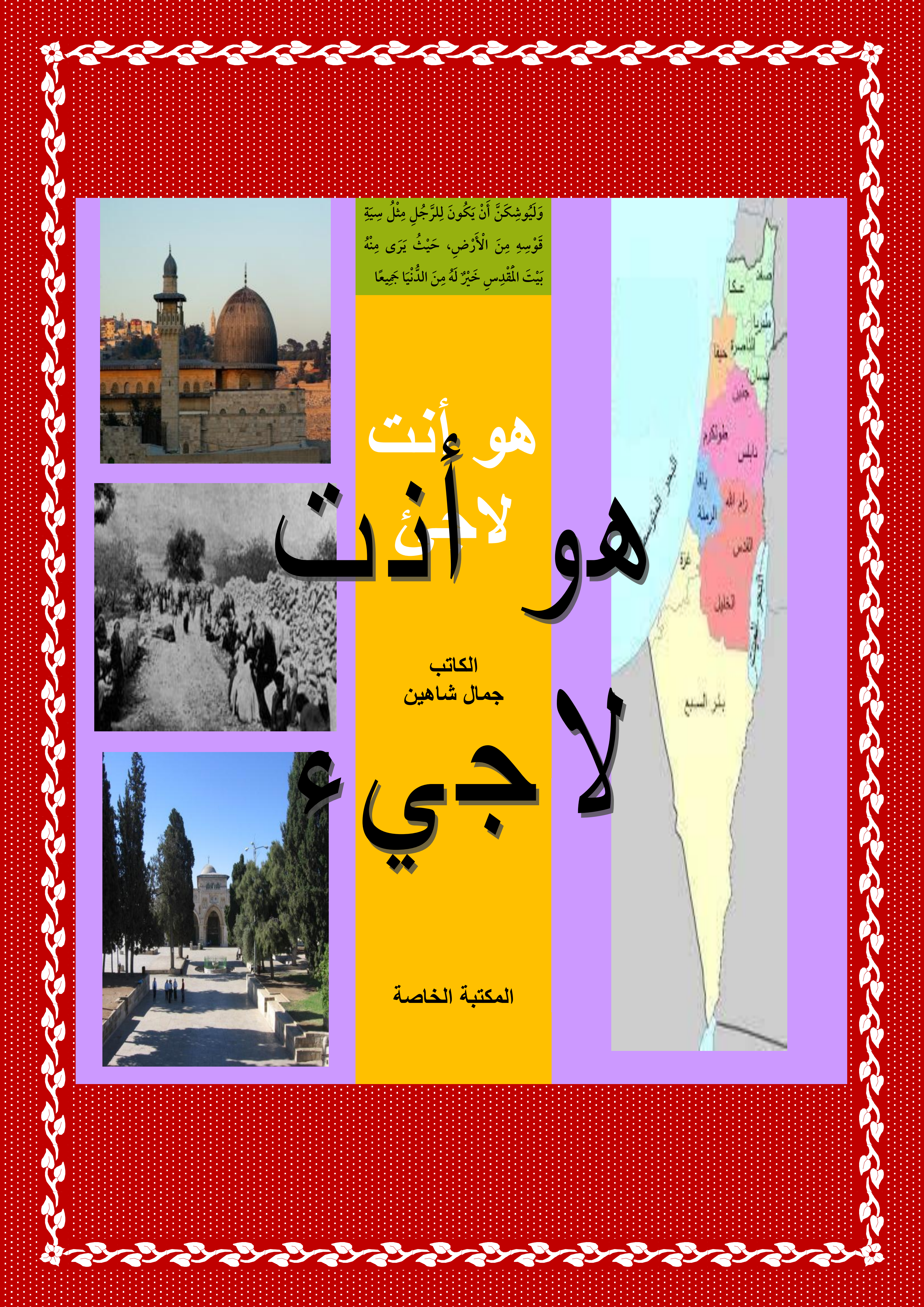









جمال شاهين
قريتنا
ادخلوا الأرض المقدسة التي
كتب الله لكم


وَلَيُوشِكَنَّ أَنْ يَكُونَ لِلرَّجُلِ مِثْلُ سِيَةِ قَوْسِهِ مِنَ الْأَرْضِ، حَيْثُ يَرَى مِنْهُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الدُّنْيَا جَمِيعًا
هو أنت لاجئ
هو أنت لاجيء
الكاتب
جمال شاهين
المكتبة الخاصة
صفد
عكا
طبريا
الناصرة
حيفا
جنين
طولكرم
نابلس
يافا
الرملة
رام الله
القدس
غزة
الخليل
بئر السبع

بسم الله الرحمن الرحيم




هو أنت لاجيء

أهل الشمال الفلسطيني هاجر أكثرهم للبنان وسوريا نتيجة أحداث فلسطين عام سبع وأربعين وثمان وأربعين ، فخرج حمدان وعائلته تجاه بيروت ، فهو من أهالي صفد ـ ولصفد علاقات تجارية مع أهالي بيروت وصور وصيدا والشام ـ ولحمدان ابن اسمه عامر ، وعند الخروج الكارثي كان طالبا في الجامعة الأمريكية البيروتية ، يدرس اللغة الإنجليزية ؛ ليعود مدرسا في البلدة أو عاملا في الإدارة الانجليزية المنتدبة على فلسطين ، بعد إعلان الانتداب الإنجليزي عليها من قبل عصبة الأمم عام ١٩٢٠ .. كانت فلسطين والشرق العربي تمر بأوضاع وزمن صعب .. انسحب الأتراك بعد حكم مديد ، ودخل الإنجليز دولة الاستعمار الكبرى ودولة وعد بلفور .

تأسست منظمة الهاجاناه الصهيونية في العام ١٩٢١ في مدينة القدس في الفترة السّابقة لإعلان دولة إسرائيل ، وهي تكتّل عسكري صهيوني ، كان الهدف المعلن من تأسيسها الدفاع عن أرواح وممتلكات المستوطنات اليهودية في فلسطين خارج نطاق الانتداب البريطاني ، وبلغت المنظمة درجةً من التنظيم مما أهّلها لتكون حجر الأساس لجيش إسرائيل الحالي، وقد بلغت قسوتهم إلى أن قتلوا ٣٦٠ فلسطينيا في قرية دير ياسين ، عرفت العصابات الصهيونية بتاريخها الأسود مع البدايات الأولى لاغتصاب فلسطين، حيث تعود ولادة هذه العصابات الإرهابية إلى تطور "الاستيطان الصهيوني في فلسطين"، الذي شكل المقدمة لولادة عصابة "هاشومير" الصهيونية عام ١٩٠٩ والتي تطورت في ظل الاستعمار البريطاني وأصبحت المنظمة العسكرية السرية للحركة الصهيونية. فأنشأوا في يونيو ١٩٢١ منظمة جديدة تحل محل الهاشومير أطلقوا عليها اسم منظمة "الهاجاناه" وهي ذات تجهيزات وقدرات أعلى من الهاشومير ، كانت في بداية أعوامها التسع الأولى قادرة على حفظ الأمن والأمان للشعب الصهيوني الجديد، وكانت تدار من قبل إدارة مدنية يتزعمها "يسرائيل جاليلى"، وما إن اندلعت الثورة العربية في عام ١٩٢٩ والتي خلفت نحو ١٣٠ قتيلا صهيونيا، حتى انضم إلى

المنظمة آلاف من الشباب الصهيوني المتطرف، وشرعوا في استيراد السلاح من الخارج، وإنشاء الورش لصناعة القنابل اليدوية والمعدات العسكرية الخفيفة، وتحولت إلى جيش نظامي فعلي بعد أن كانت مجرد ميليشيات ذات تدريب بدائي، وفى عام ١٩٣٦ بلغ عدد مقاتلي الهاجاناه نحو ١٠٠٠٠ مقاتل، إضافة إلى ٤٠٠٠٠ من قوات الاحتياط ، وخلال ثورة ١٩٣٦ قامت الهاجاناه بحماية المصالح البريطانية في فلسطين وقمع الثوار الفلسطينيين على الرغم من عدم اعتراف القيادة البريطانية بالهاجاناه، فإن الجيش البريطاني أبدى تعاونا كبيرا في أمور القتال والتأمين، وفي ١٩ مايو عام ١٩٣٦ تشكلت فرق البالماخ .

انشق اليمين المتطرف بقيادة إبراهام تيهومى، من منظمة الهاجاناه، وأنشأ منظمة جديدة أسماها منظمة "الأرغون"، وكانت هي التي تصب الجحيم على أبناء الشعب الفلسطيني ، والأرغون تعنى "المنظمة العسكرية القومية"، وهى تكتل عسكري إرهابي أذاق الشعب الفلسطيني الويلات، تلقت المنظمة دعما سريا قويا من الحكومة البولندية ابتداء من ١٩٣٦ لتهجير اليهود من بولندا لتطهير المجتمع البولندي من الشريحة اليهودية ، حيث إنهم كانوا من أفقر طبقات المجتمع البولندي ، وفى عام ١٩٤٣ تولى مناحيم بيجن قيادة المنظمة، وبعد قيام الدولة العبرية وإعلان الحكومة المؤقتة تم تفكيك كل المنظمات العسكرية لتكوين الجيش الإسرائيلي، كانت الأرجون إحدى هذه المنظمات، ما أدى لحدوث تصادم بينها وبين الهاجاناه أدى في النهاية لاستسلام الأرجون وإلقاء سلاحها.

خلال الثورة الفلسطينية التي قامت ضد الانتداب البريطاني عام ١٩٣٦-١٩٣٩ قامت العصابة الصهيونية "أرجون" بما يزيد عن ٦٠ عملية إرهابية ضد الفلسطينيين العرب ، إضافة إلى مهاجمتها قوات الاحتلال البريطاني، وقد تم وسم هذه العصابة بصفة الإرهاب من العديد من المنظمات العالمية ، شنت عصابة الأرجون الإرهابية سلسلة من الهجمات بعد نشوب الحرب العالمية الثانية راح ضحيتها ما يزيد عن ٢٥٠ من العرب الفلسطينيين في تلك الفترة.

عصابة شتيرن وتعد من أكثر الميليشيات الصهيونية شراسة وشهرة ، بعد الانشقاق الذي حدث في صفوف منظمة الأرجون الصهيونية في أعقاب موت السياسي اليهودي المجرم العتيد جابوتنسكي في عام١٩٤٠ ، قام اليهودي إبراهام شتيرن بتأسيس مجموعة أطلق عليها اسم "المحاربون من أجل حرّية إسرائيل" والتي تُعرف باسم "شتيرن" نسبة إلى مؤسسها، ويعود السبب الرئيسي لإنشاء جماعة شتيرن لرغبة مؤسسها وأتباعه العمل المستقل خارج نطاق وتوجيهات المنظمة الصهيونية العالمية، بل وحتى بعيداً عن مظلّة الهاجاناه، الذراع العسكري للمنظمة الصهيونية على أرض فلسطين قبل إعلان دولة إسرائيل في عام ١٩٤٨ وبمرور السنين، تلاشت منظمة شتيرن داخل جيش الدفاع الإسرائيلي ، ولا تمرّ ذكرى مقتل شتيرن مرور الكرام ، إذ يقوم السّاسة الإسرائيليون ومسؤولو الحكومة بحضور تأبين ابراهام شتيرن في كل عام ، وقامت الحكومة الإسرائيلية في العام ١٩٧٨ بإصدار طابع بريدي يحمل صورته ، من الجدير بالذكر أن قائد عملياتها الوحشية في أواخر الأربعينات اسحق شامير أصبح فيها بعد رئيسا للحكومة الإسرائيلية.

هرب حمدان بذريته وأحفاده نحو الشمال ، واستقر به المقام في مخيم برج البراجنة الملحق بذلك الحي من بيروت ، فهذا المخيم أنشئ عام ثمان أربعين لاحتواء عدد من اللاجئين الفلسطينيين الذين هربوا من ديارهم وأموالهم ، الهاربون من بطش عصابات الجيش الصهيوني الغاشم .

كان أكثر الهاربين يقطعون الجبال والوديان مشيا على الأقدام حفاة شعثا ، وبعضهم تمكن من حمل بعض المتاع على عربات تقودها الدواب المتيسرة لمن يملكها ، استقر حمدان وبعض إخوته وأقاربه ببيروت أملا بوجود فرصة عمل ، فهي إحدى العواصم العربية المهمة في ذلك الوقت وكان الناس على أمل العودة السريعة لمدنهم وقراهم وزراعاتهم بتدخل جيوش الدول العربية السبعة للقضاء على عصابات الجيش الإسرائيلي .

ولقد سمى الناس هذا العام بعام النكبة ، بعام النكبة الفلسطينية ؛كما كتب عارف العارف في كتابه الذي سماه النكبة ، لقد كان هذا الخروج كارثة كبرى على الأمة الفلسطينية ، فقد طال

التشرد أغلب سكان الساحل الفلسطيني رغبة بالحياة والحفاظ على أعراضهم ، فقد بلغ عدد الهاربين ما يقارب المليون إنسان ، لقد دمرت ٤٧٨ قرية من أصل ٥٨٥ وقيل أكثر ، وهجرت الصهيونية سكان ٥٣١ قرية خارج ما يسمى إسرائيل ، لم يستوعب الناس الصدمة بسهولة ويسر ، وكما ذكر بعضهم ظنوا أنها بضعة أيام أو أسابيع وتنتهي هذه المعاناة وذلك التشرد والعودة للبيادر والحصاد والموسم ، ونتج عن هذه النكبة ظهور عدد كبير من المخيمات في لبنان وسوريا والأردن ، ثم بما سمي بالضفة الغربية وقطاع غزة ، تفرقت الأسر شرقا غربا شمالا جنوبا ، تمزق أهالي البلدة الواحدة إلى بلدان ، كانت إسرائيل المختلقة قد أعلنت ميلاد دولتهم في ١٤/٥/١٩٤٨، وكان ذلك على أثر إعلان بريطانيا الانسحاب يوم ١٥/٥/١٩٤٨ من بلادنا فلسطين .

وبذلك انتهى الانتداب الظالم الذي جيء به حاكما على فلسطين لتدريب الشعب على الحكم والإدارة والاستقلال ، ولم يتدرب الشعب على الإدارة والحكم ، فلم تتكون لهم دولة ، وظهرت دولة جديدة في غرب فلسطين حسب قرار تقسيم فلسطين عام ٤٧ سموها دولة إسرائيل !

وبعد إعلان ما يسمى استقلال إسرائيل عن بريطانيا اشتعلت الحرب العربية الإسرائيلية الأولى في القرن الماضي ، اشتعلت الحرب لإعادة الهاربين الذين سموا باللاجئين ـ ومازالوا لهذا اليوم يحملون هذا الاسم ، ويعيشون في مخيمات اللجوء ـ وصدّق الناس هذه النوايا ، ثم انهزمت تلك الجيوش السبعة هزيمة نكراء ، وجرجرت قواتها وعادوا من حيث زحفوا ، ولها حديث في مكان آخر ، فأصبحت أرض فلسطين تحكمها ثلاث دول إلا الشعب والأمة الفلسطينية ، الدولة الوليدة من رحم الصهيونية التي استولت على أغلب الساحل الغربي من فلسطين ، ومصر استولت على غزة وما حولها ، وأنشأت حكومة عموم فلسطين التي لم يعترف بها إلا مصر ، وضمت ما سميت بالضفة الغربية لشرق الأردن المملكة الأردنية الهاشمية التي اعلن استقلالها عام ١٩٤٦ قبل النكبة بعامين.

البؤس والفقر عنوانا تلك الأيام من حياة الأمة الفلسطينية ، كان أغلب الشعب يعمل في الزراعة والفلاحة ، فهو يعتمد بعد الله ﷻ على إنتاج الموسم الزراعي ، فتدب بهم الحياة والرفاهية من الموسم إلى الموسم .

وخلال الرحيل من المدينة ولدت زوجة عامر حمدان ـ الطالب من سنوات في جامعة بيروت الأمريكية ـ وفقدت طفلتها ، ومرضت الأم مرضا شديدا ، ، ولم تجد تلك الحامل العناية الطبية المناسبة ، فماتت بعد الوضع والوصول للمخيم الملاصق لبرج البراجنة في منطقة بعبدا ببيروت ، وكانت من ضحايا الهجرة القسرية والتطهير العرقي الذي قامت به الصهيونية العالمية ودوّل الاستكبار العالمية .

عامر حمدان أنهى دراسته الابتدائية والثانوية في مدينة صفد ؛ حيث يسكن والده التاجر الصغير في تلك البلدة ، ولما أنهى المرحلة الثانوية عام ست وأربعين تقرر أن يسافر للدراسة في جامعة بيروت الجامعة الأمريكية التي أسست عام ١٨٦٦من قبل المبشر الأمريكي دانيال بلبس ، فلم يكن في فلسطين أي جامعة عربية قبل ١٩٤٨ .

الأهل قبل سفره لبيروت والغربة للدراسة ؛ ليعود ليعمل مدرسا أو موظفا في الإدارة الإنجليزية المنتدبة على فلسطين زوجوه من ابنة خالته خوفا عليه من نساء بيروت وفاتنات بيروت ، خوفا عليه من الالتهاء بفتيات الحانات ؛ كما كانت الدعاية عن بيروت تلك الأيام .

فتزوج حسب التقاليد الشعبية المنتشرة في وطنه ، ثم سافر بعد أن قُبل وسكن مع بعض الطلبة الفلسطينيين في برج البراجنة ببيروت ، وقد ولدت له المرأة ابنه جابرا أثناء الغربة ، ولما حملت البطن الثاني حدثت النكبة والتهجير القسري الذي ما زالت آثاره لليوم ، وبعد شهور يسيرة هلكت في المخيم الذي أنشئ للمهاجرين الذين وصلوا لبيروت لوجود بعض أقاربهم ومعارفهم في بيروت حيث فرص العمل أكثر من صور وصيدا ، حيث أقيمت مخيمات أخرى للمهاجرين ، ولما أعلن عن وكالة الغوث ، وتسلمت مهمة رعاية شؤون المهاجرين الذين سموهم اللاجئين فتحت مدارس لتعليم الشعب العربي الفلسطيني ، وتوفير العمل والعلاج

لهم وغير ذلك ، فأقامت الوكالة الخيم ابتداء لتدريسهم ، فلما تخرج عامر من الجامعة بليسانس تعليم عمل في الوكالة بصفته لاجئ فلسطيني .

ولما انتهى الحزن التقليدي عن وفاة زوجته تزوج امرأة بيروتية عرفها أثناء حياته في بيروت اسمها نهى خالد ، فولدت له بنتا سماها نورا وعددا آخر من الصبية خلال السنوات .

امتد الصمت الفلسطيني من انتهاء حرب ثمان وأربعين حتى أربع وستين حيث أعلن عن كيان سموه منظمة التحرير الفلسطينية ، بدعم قوي من ناصر حاكم مصر الجمهورية ، ولا يعني هذا أنه لم تكن هناك أحداث مهمة وتجمعات فلسطينية لتحرير فلسطين ، وكسر الصمت العربي والفلسطيني ؛ لكن الصدمة كانت كبيرة لم تستوعبها الأمة الفلسطينية بسهولة كان البحث عن لقمة العيش صعبا ومهينا ، كان البؤس قاتلا ؛ فكان الشباب يتناثر في البلدان العربية والعالم ، وكانت الكثير من دول العرب تحت يد الاستعمار الإنجليزي أو الفرنسي ، والهيمنة الأمريكية المنتصرة في الحرب الكونية الثانية .

لقد كانت المجازر اليهودية مستمرة على الشعب الفلسطيني والعربي المجاور لفلسطين ومتلاحقة ، فكنت ترى الاشتباكات مع الجيش العربي الأردني الحاكم للضفة الغربية والعدوان المستمر على غزة والعدوان الثلاثي على مصر ، والانقلابات العسكرية هنا وهناك ، فكنت ترى انقلابا في مصر ، وآخر في سوريا ، وثالث في العراق وإيران وتركيا ، ثم كان استقلال دول المغرب العربي عن فرنسا .

الأحداث كثيرة وكبيرة ومتلاحقة ، وتوسع الفكر القومي ونشط وحكم بظهور قومية عبد الناصر والبعث السوري والعراقي والاشتراكية والشيوعية ، خلط معقد ومدمر ، وانتهى الأمر بظهور كيان اسمه منظمة التحرير لتحرير فلسطين من اليهود المحتلين للساحل الغربي منها .

وكان الفلسطينيون في حيرة كبيرة لم تظهر زعامة تقودهم لتحرير بلادهم ، زعامة يلتف حولها أغلب الشعب ، كانت زعامات كثيرة وأيدولوجياتها متعارضة متناقضة ، كانت مخيمات

اللجوء قمة البؤس والشقاء واليأس والتعاسة للمشردين ، وتمثل الحياة القاسية للعائلات المصدومة المشردة .. ويقال هو لاجئ يعني اصمت لا حقوق سياسية في الدول المضيفة ولا اقتصادية ولا اجتماعية .

فكان حمدان المهاجر يعيش أياما كئيبة صعبة ، ذكريات حلوة تركها في قلب صفد رغم الانتداب ، وحياة بؤس في قلب بيروت ، وعائلة كبيرة مشردة ، فيرى الموت هو الحل الأمثل من شدة الفقر والبؤس ، مساعدة الوكالة التي لا تغني من جوع ولا تطعم هذه الأفواه ؛ إنما تسد الرمق ، وحتى أهل البلاد أغلبهم فقراء يحتاجون لمساعدة ، فالدول العربية أغلبها تحت الاستعمار ، والمستقل ما زال يعتمد على المستعمر مالا وتسليحا ورعاية ، والصراعات على الحكم مستعرة بين رجالات الحكم .

وكان قد زوج ولده عامر قبل الخروج للدراسة في بيروت ، وترك حازما الأكبر الذي لم يكمل دراسته ، والذي عمل في حرفة ؛ فكان عليه بعد الهجرة أن يزوجه ، وكان قد زوج ابنتين قبل الرحيل بثلاث أو أربع سنوات ، ولما رأى حازم الفقر والبؤس هاجر للكويت كعدد كبير من الفلسطينيين وأجل الزوج ، وأما عامر الذي تزوج وماتت زوجته بعد الهجرة بحملها الثاني ، فلما تخرج من الجامعة الأمريكية في بيروت وتعين في مدرسة تابعة للأونروا ، ولم تمض سنة واحدة على عمله حتى تزوج نهى ، وسكن بيتا في برج البراجنة قريبا من المخيم ، وساعد الأسرة ؛ ولكن مساعدته لم تكن ذَا قيمة لأسرة مشردة ثلاث بنات وثلاثة أبناء دون العشرين ، وأعمام وعمات وأخوال وخالات يعيشون نفس الظروف .

عمل حمدان خمس سنوات في الوكالة ، ثم استغني عنه نتيجة مرض تعرض له أقعده عدة شهور ، فأخذ يعمل على عربة لبيع الترمس والكعك أمام مدرسة أو مقهى أو أمام البيت .

وكان من نتيجة وصدمة التشرد يغيب ذهنه ويسرح مع الماضي ويغمره النسيان ، كان يتحدث مع زوجتيه ويتسأل : هل سيبقى هؤلاء الفتيان على مقاعد الدراسة ؟ فلم تكن مساعدة عامر تفيد الأسرة شيئا .. وهو عنده ولد وزوجة ، ويستأجر بيتا .. والابن المهاجر للكويت لم يرسل

لهم أي مساعدة .. هو الآخر لم يتزوج .. فهو أكبر من عامر .

فقالت أم حازم الزوجة الأولى : ليس لنا قوة إلا بإكمالهم التعليم يا أبا حازم .

وهكذا قالت الزوجة الثانية أم محمد .

فقال بحزن : ما أعمله لا يسد رمق هؤلاء الناس فكيف سيعلمهم ؟!

قالت : أولادي راغبون بالدراسة مثل عامر .

وهكذا كان قول أم محمد .

فقال بأسى : لم نعد نسمع أخبار حازم ، وهو بحاجة لزوجة ، ونحن كنّا نستعد لزواجه بعد انتهاء عامر من الجامعة ، وعامر تزوج كرة أخرى بعد ترمله .. وأنا زوجته لم تعجبني ومستهترة بالحياة ؛ ولكنه تعرف عليها أثناء الدراسة كما يقول .

قالت أم حازم : أحوال حازم كما يقول أخي تامر مقبولة ، ويعمل بشكل جيد ، ولما يتمكن من العمل في إحدى الوزارات الكويتية يمكنه زيارتنا .

فقال ناسيا : ماذا يعمل هناك ؟!

قال أمه : اشتغل كما يقول شقيقي في النجارة والصيد ..فالكويت بلاد حارة .

فقال : هو حازم ماذا يعمل ؟

قالت : كان نجارا قبل الهجرة كما تعلم ، ويعمل بنفس مهنته قبل النكبة .. وتعرف على بعض الكويتيين ومن المهاجرين مثلنا .. ويتعاطف بعض الكويتيين مع قضيتنا وشعبنا ، ويدعموننا لعمل ثورة تعيدنا لبلدنا ..

هتف حمدان مدهوشا : ثورة في الكويت ! على من ؟!

قالت : ثورة على اليهود .. فهناك المهندس ياسر عرفات وأبو جهاد كما ينتشر لعمل ثورة .

تنهد بعمق المأساة : عرفنا هذه الأسماء هنا ، فلهم دعاة ينتشرون في المخيمات مبشرين بثورة يقودها الشعب الفلسطيني بدلا من الأنظمة التي تتاجر بقضيتنا ، كلما فعل أحدهم انقلابا يزعم أنه من أجل فلسطين .. لقد ذكرت بعض المجلات كما يقول عامر تنشر أو تسرب مثل

هذه الدعاية وحتى في مدارس الوكالة ؛ ولكن الكويت بعيدة عنا .

قالت : هذا ما سمعته من أخي في زيارته الأخيرة للمخيم ، وينشط معهم ولدنا حازم لدعم القضية .. والله لا ندري هل سنعود لبلدنا في يوم ما أم نموت هنا ؟ كما ماتت ابنة اختي وابنتها وعمي احمد ووالدك عمران .

قال بحزن : الأعمار بيد الله يا أم حازم .

قالت أم محمد : ثورة ست وثلاثين خذلها الزعماء العرب ..هل سيحاربون معنا وعنا ؟

قال بأمل : القلوب تتغير يا أم محمد .

قالت أم حازم بحماس وشك : تامر يقول ستكون ثورة قوية تزيل اليهود من أرضنا وتحرر كل فلسطين من النهر إلى البحر .. هو هم وصلوا النهر يا أم محمد ؟

قالت : وصلوا طبريا والبحيرة قرب النهر .

قال وكأنه غير مصدق بالعودة القريبة : والله نسمع من الناس الكثير من الكلام والحماس عن الثورة القادمة .. فها هم الثوريون هنا يقولون مثل ذلك مثل شفيق وحبش وممن يسمون أنفسهم بالثوريين والمحررين والمعجبين بحاكم مصر الذي حرر القناة من الإنجليز .

قالت : الكل يقول أنه جدع ويساعد أهل غزة ويدربهم كما نسمع ، وأبي يقول إنه يدعم أحمد لإنشاء المنظمة ؛ لتكون كيانا لأهل فلسطين .



الاول من يناير عام خمسة وستين أعلن الزعيم الفلسطيني ياسر عرفات عن انطلاق حركة لتحرير فلسطين سماها فتح ، وجناحها العسكري أسموه العاصفة ، وأعلنت الكفاح المسلح لتحرير الساحل الفلسطيني المحتل من قبل إسرائيل عام ثمانية وأربعين ، وتقبل بعض العرب الأمر على توجس وريبة ؛ لأنه قبل شهور أعلن عن قيام الكيان الفلسطيني منظمة التحرير بدعم من مصر ودول عربية ، وأنشئ جيش التحرير الفلسطيني في غزة وسوريا والأردن ، وكان هناك المعارض لوجود هذا الفصيل الغامض الذي لم يكشف عن أوراقه بعد ، وقام بعدة عمليات عسكرية في غزة والضفة الغربية ضد اليهود .

واستبشر الكثير من أبناء المخيمات بظهور هذه الحركة المستقلة عن الدول العربية ؛ كما بدا للوهلة الأولى ، وبدأت تظهر للعلن معسكرات لتدريب الشباب في معسكرات ظاهرة في لبنان والأردن والضفة وغزة ، وظن الكبار أن فلسطين اقترب تحريرها من المغتصب ، وشطب اليهود من الوجود بأيدي أبنائها ورميهم في البحر الأبيض ، وأن زمن التشرد والخيم والبراكيات والبؤس على وشك الزوال بالعودة للديار والأشجار ، يصحب ذلك الجو المتفائل مع كل بيان يصدر باسم تلك الحركة التحريرية ، وبدأت بعض الفصائل الثورية الأخرى تعلن عن فصائلها العسكرية تباعا .

وتهافت الشباب البائس المتعطش لصوت التحرير يندفع نحو معسكرات التحرير بشكل أقوى من الأول ، فقد أصبح تحرير الأرض على مرمى حجر ، والحماس يرتفع يوما بعد يوم ، حتى أن عامرا المناضل القومي كان يترك المدرسة والتدريس ليتدرب على السلاح أكثر من الأول ، ورأى أن وجوده في منظمة فتح أفضل من حركة القوميين العرب ، وترك التفكير بالرحيل للكويت ، والعمل فيها كمدرس ، وفكر بالاستقالة من مدارس الوكالة ، واعتذر لشقيقه حازم عن السفر ، فتحرير البلاد أولى من تحسين الدخل المالي ؛ فقد لمس بؤس المشردين في بيروت وعموم لبنان ومعاناة الفقر والمرض والهزال والعري حتى أن الناس تخيط

شوالات المؤن ملابس داخلية للفقر والحاجة ، لهم سنوات يحيون حياة اليأس والأمل ؛ فكان يتدرب مع الكبار فترة المساء ، وقد أنشئت معسكرات للصغار والأحداث وسموا بالأشبال ، كان لدى اللاجئون أمل بقرب العودة أمام الخطابات النارية للزعماء وللعمليات التي تصدر عن قيادة النضال الفتحاوي، وكان فريق يشكك بصدق تلك العمليات ، وبعضهم يصدق حدوثها ، ويرى أنها تضخم لرفع الروح المعنوية لسكان مخيمات اللجوء الكثيرة، وجلب المزيد من المتطوعين والمناضلين .

وتراه يقول لزوجته نهى : الفجر اقترب أن يسطع نوره ، ونعود يا أم نورا لبلادنا في صفد إنها اجمل وأروع من هذه المدينة المكتظة بالأجناس المتنوعة ، ونعود لتلك البساتين الجميلة ، وإلى دور الآباء والأجداد .

فحلم العودة كان يراود الفلسطيني في كل مكان وزمان وما زال ، فأقرأ ما قال شاعر العودة:

إننا لعائدون

عائدون عائدون *** فالحدود لن تكون

والقلاع والحصون *** فاصرخوا يا نازحون

إننا لعائدون

عائدون للديار *** للسهول للجبال

تحت أعلام الفخار *** والجهاد والنضال

بالدماء والفداء *** والإخاء والوفاء

إننا لعائدون

عائدون يا ربا *** عائدون يا هضاب

عائدون للصبا *** عائدون للشباب

للجهاد في النجاد *** والحصاد في البلاد

إننا لعائدون

قصيدة لاجئ للشاعر هارون هاشم رشيد:

أنا لن أعيش مشردا	أنا لن أظل مقيّدا
أنا لي غدٌ وغداً	سأزحف ثائراً متمردا
أنا لن أخاف من العواصف	وهي تجتاح المدى
ومن الأعاصير التي	ترمي دماراً أسودا
ومن القنابل .. والمدافع	والخناجر ... والمُدى
أنا صاحب الحق الكبير	وصانعٌ منه الغدا
أنا ثورةٌ كبرى تزمجر	بالعواصف والردى
أنا لاجئ وطني استبيح	وداسه غدر العدى
أنا نازح داري هناك	وكرمتي .. "المنتدى"
وطفولتي درجت على	أرض البطولة والندى
وصباي كم نهل المنى	فوق الروابي واغتدى
وشبابي المشبوب كم	حمل الكفاح وكم شدا
وبطولتي نبتت هناك	وأينعت تحت الندى
بين الصخور الداميات	مع النسور مع الهدى
صرخات شعبي لن تضيع	ولن تموت مع الصدى
ستظل لسعاً كالسياط	على ظهور من اعتدى
ستظل في أجفانهم	أبداً لهيباً مرعدا
وطني هناك ولن	أظل بغيره متشردا
سأعيده .. وأعيده	وطناً عزيزاً سيدا
سأزلزل الدنيا غدا	وأسير جيشاً أوحدا
لي موعد في موطني	هيهات أنسى الموعدا

الاعتزال

اشتعلت الحرب الأهلية في لبنان فعليا سنة ٧٥ ، ودخلت الفصائل الفلسطينية المعارك للدفاع عن نفسها ، والوقوف مع حلفائها اللبنانيين .

أنهى الأستاذ عامر خدماته مع وكالة الغوث ، وفي نفس الوقت اعتزل العمل الثوري بسبب إصابة تعرض لها من اعتداء على أحد معسكرات الثورة ، وقد نجا من موت كما يقال بأعجوبة ، ولما شفي أصبح خارج التنظيم ، وظل مستقرا في شقته المستأجرة في منطقة برج البراجنة القريبة من المخيم من مطلع الخمسينات ، وكان يجلس في البيت مع زوجته نهى خالد التي رافقته الحياة منذ ماتت أم ولده جابر الذي درس في جامعات بيروت ، وأصبح محاميا يعمل في العاصمة ، وقد تزوج فتاة من أصول لبنانية تعمل معه في الشركة.

فقالت له نهى خالد : إن ابنتنا نورا ترغب بالاقتران بالطبيب داني ابن صديقك معزول وفاتن .

حدق فيها وهز رأسه وقال بحسرة : ألم تجد إلا هو ؟!

قالت : هذا ما قالته لي من مدة !.. وأنا أحاول إقناعها بالابتعاد عنه ، وإنها ما زالت طالبة .

قال مرددا ساهما : إنها ما زالت طالبة ! ولماذا اختارها وهي طالبة ؟

قالت : الحب كما يزعم شباب اليوم.

قال : وكل زمان ..ألم نتزوج نحن عن حب ؟

وسكت لحظات وتابع قلقا : ولكنك تعلمين أن الدكتور داني ابن من ؟ هو ليس ابن صديقي معزول بحق هو يحمل اسمه فقط .

قالت : هما لا يعرفان .

قال محتدا : أنا لا أحب زواجها منه .. فهذا فعل يعقوب .

قالت بثقة : وأنا قلت مثل ذلك لنفسي .

قال : أنا أرفض هذا الزواج يا نهى ! هذا انتقام من يعقوب .. ما زال اللعين يرغب فيك .

قالت : أنت تعرف أنني رفضته يا عامر ! وقبلتك أنت .

قال : أعرف أعرف .. أيام عشناها سوية ؛ لكنه كلما نلتقي يذكرني بأني سرقتك منه .

قالت صارخة : كذاب ! كنت أمامه قبل أن أعرفك .. أنت لم تسرقني منه ، ولم تخطفني .. قلت له عليك أن تنسى يا يعقوب تلك الأيام السوداء القذرة .. أنا اليوم زوجة صالحة ، عندما جئت بيروت هاربة من البلدة .. كان عليّ أن أقبل بالعمل معه ومع زبائنه .. ماذا يفعل المرء مع الفقر والشقاء والرعب ؟! وخاصة فتاة سقطت في الرذيلة يا عامر ! لولاك لظللت فتاة دعارة ؛ وربما مت قديما .

قال متذكرا قصتها : نعم ، أذكر بؤسك ودموعك والغدر الذي أصابك في بلدتك من سيدها ووحشها .. وكيف غدر المجرم بك ؟ حتى طلب منك أبوك الهرب إلى بيروت .. وتعرفت على يعقوب ، واستغلك للعمل في المرقص أو الحانة ، وقدمت نفسك لزبائنه حتى التقيت بك أثناء الدراسة ، وأعجبت بك ، وعشنا معا أياما سعيدة ، ولما ماتت زوجتي قبلت بالزواج مني رغم رفض يعقوب الشيطان ، وعاهدتنني على الابتعاد عن الرذيلة إذا تزوجنا .

فقالت : ولقد وفيت لك بالعهد يا عامر ! وما زلت رغم وعود يعقوب بالزواج مني نكاية بك .. وقد ولدت لك خمسة مواليد ، قتل ثلاثة في غارة على مدرسة من قبل اليهود ، وظلت نورا وجاد .

قال بحيرة : نعم ، واليوم نورا ترغب بالزواج من ابن صديقتك فاتن عشيقة ذلك الموظف في السفارة الذي يظن أن السيد معزولا والده .

قالت : أنت تعرف تفاصيل تلك القصة .. هل حقا مات هذا الرجل يا عامر كما شاع ؟!

قال : أنا لم أقل لك إنه مات ؛ إنما اختفى .. واعتقد الجميع أنه قتل .. أنا لم أره ميتا .. ولا أعرف أين اختفى ؟!

قالت : وتزوج يعقوب الأرملة بأمر من موظف السفارة .

قال : أنت لا تعرفينه !

قالت مدافعة : لا ، لا ، يا سيد عامر ! ولا حتى فاتن تعرف من هو ؟ هو سلم ليعقوب القواد المهمة ..كان يذهب بنا إلى البيت المستأجر نسكر سوية ويمارس معنا البغاء .. وينصرف الجميع ، وكان يعقوب يدفع لنا بكرم ، ولما حملت فاتن كان لابد لها من زوج ، وكان معزول هو الزوج ، وقد وافق على الزواج ؛ ليكون الأب لداني أمام القانون ، فقد قبض مالا كثيرا مقابل ذلك .. ولما تعرفت عليك أثناء دراستك وقبلت حبك لم أذهب لشقة يعقوب كما فعلت فاتن ، ثم ماتت زوجتك وتزوجنا ، ولم أخنك أبدا .

قال : صدقت ، وكيف سنمنع هذا الزواج ؟

قالت : أنا بينت رفضي لابنتي .

قال : وأنا سأرفض مثلك .

قالت : تهددني بالهرب معه يا عامر !

كان جابر يقول لأبيه وزوجته أم نورا : أنا لن أسمح بزواجهما .

قال عامر : وأنا وأمها لا نرغب بذلك يا جابر !

قال جابر : أنا أعرف سبب رفضك ، ولا يهمني سبب رفض أم نورا .

قالت أم نورا ببرود : رغم أنها بكري يا جابر .. وأنا أعلم أن والدك عامر كشف لك سر ولادة داني ؛ فأنا لا أحب لها الزواج منه .. وعليك أن تصدق هذا .. وعليك بالحكمة وحسن التصرف .. فيعقوب رجل شرير .. وكما قال والدك يرغب بالانتقام منا وبالذات مني لأسباب ؛ ربما حدثك عنها أبوك .

قال عامر : لم أحدثه بكل أسرارنا يا نهى .. فهي لا تهمه .. ولا أرغب بالحديث عنها .

قال جابر : تحدث عنها يعقوب يا سيدة نهى ! وكلنا يخطئ ، ثم ينصلح .. هل يعيش أحد في بيروت ولا ينحرف ؟ إذا كان مستعدا لذلك ؛ لكن الزواج شيء آخر .. أنا نصحت يعقوب وربيبه بالحذر من غضبنا .. فسخرا مني وقال يعقوب : رأس مالك طلقة طائشة !

قال عامر بانزعاج بين : هذا لعين يا جابر !

قال جابر : لن ترحمه فاتن .. نعم ، قد يستغل هذه الحرب الأهلية للغدر ؛ لكنه لن ينجو من نارها كما يتوهم .. أين اختفى معزول ؟

قالت : هل يعلم داني شيئا عن أبيه ؟

رد عامر قائلا : بالتفصيل لا أعتقد .. فوالده الحقيقي كما تعلمون ليس معزولا .. ولا أعتقد أن يقول يعقوب له ذلك .. المشكلة أنه لا يصدق مثلنا بوفاة معزول .

قالت : هل حدثته أمه عنه ؟

قال : يقول يعقوب إنه يعرف باختفاء أبيه معزول ، وإنه لم يقتل كما يشاع .

قالت لجابر : أنت ما علاقتك بيعقوب ؟

قال : القضايا يا سيدتي ، ثم زعم لي بصداقته لأبي ولك .

قالت : شيطان !.. أختك تهدد بالهرب معه .

قال باسما : حذرتها ..وهي تسخر مني ، وقالت : حين أنتهي من الجامعة يحلها ألف حلال .

قالت : لا أعتقد أنها ستصبر يا جابر ! وإلا صمتت عن الحديث عن الزواج .. تحدثت لتقول لنا رغبت بموافقتكم ورضاكم فرفضتم .. وأنا بالغة راشدة حرة التصرف والاختيار .

قال جابر: أتظنين أنها عذراء ؟

ضحكت وقالت بتهكم : وهل تظن أحدا في بيروت يفكر بالعفة يا جابر ؟!

قال جابر: صدقت ! بيروت غير المدن .. الاستعمار والحروب والاغتصاب لا تدع أحد يهتم بذلك . سكت قليلا وتابع لما رأى صمتهم : سوق الدعارة والبغاء في قلب العاصمة ، وهو سوق رائج مع عشرات ومئات الجواسيس والمنظمات .. وأنت يا أبي !

قال : وأنا مثلكم ، لا أظن عذراء تعيش في شوارعنا .. عشرات الحانات والمراقص والخمارات والعصابات .. إلا المتدينات وبنات الحركات الدينية.

قالت : ربما تجد ذلك الشرف عند أهل الدين والجماعات المتدينة وفي الأرياف والقرى.. كما قال والدك ـ ربما !

داني ونورا

داني معزول ونورا عامر تناولا طعاما في مطعما راقيا في أحد المطاعم الشهيرة ببيروت في فترة السبعينيات ، ولما انتهيا منه أخذا يرشفان القهوة ، وقال الدكتور الطبيب داني بحيرة : لماذا يرفض والداك زواجنا ؟! فعلا لماذا ؟فهما يعلمان بقصة حبنا ورغبتنا بالحياة كزوجين.

قالت بدون مبالاة : صدق يا داني أنني فعلا لا أدري ! كنت أظن أنني عندما أعلن ذلك سيعلنان فرحهما وترحيبهما ! فوالدك كما نعلم ونسمع كان صديق أبي وأمي أيام الجامعة الأمريكية وبعد الجامعة حيث عملا معا في التدريس .

قال وبغضب : والذي يغيظني ويغضبني أكثر رفض أخيك جابر اللعين .. ولا أعلم سبب كرهه لي ، وليس بيني وبينه صداقة .

قالت بتذمر : نحن أسرة معقدة .. لا تفكر ولا تهتم بأحد منهم .. سنتزوج شاءوا أم أبوا .. سنتزوج رسميا وقانونيا .

قال: أنا أرغب بك زوجة حقيقة يا نورا ؛ ولكنني خائف من العواقب .

قالت: ولماذا أنت خائف ؟

ـ الموت مخيف !

قالت : كلنا سيموت.. ها أنت ترى الانفجارات والاشتباكات تحدث فجأة ودون سابق إنذار ويقتل من يقتل ؛ كأنه فرخة .. أليس نهاية كل حب الزواج ؟ .. يجب أن نتزوج .. أنا لا أقبل أن أظل مجرد عشيقة يا داني ! تحلو في وجهك طبيبة ، ممرضة ، مريضة عالجتها أعتذر إليك نورا ـ هذا فعل مسلسلات وأفلام سينما مصرية .. ولا أنا أقبل ذلك ! من حقك أن نتزوج شرعا وقانونا .. ويعقوب زوج أمي يرى ذلك ويرحب به .. وأمي تريد ذلك ؛ إنما أسرتك هي التي عقدت الموضوع .. ألا تخشين على حياتي ؟

قالت : كيف لا أخشى على حياتك ؟ بل أخاف على حياتك أكثر من حياتي ، وتهمني حياتك أكثر من حياتي ..وأنت تعلم هذا .. كنت أظن فعلا رغبة لدى أمي بزواجي منك .. وأن

المدعو أبي سيوافق فور أن أعلن ذلك ؛ ولكن حادث أبي يبدو أنه خربط دماغه وأعصابه ومقتل إخواني كذلك .. والغريب حقا موقف المحامي اللعين .. هذا الذي لا أفهمه ! فهو يكره أمي كرها لا أفهمه ، وأراه يتحدث معها باحتقار واستعلاء ، أو كأنه يتحدث مع حيوان حتى بدأت أفكر بغموض حياة أبي وقصة علاقته بوالدك الميت .

قال بضيق: والدي الميت لم يعثر على جثته ؛ كما يقول يعقوب ، فيعقوب يزعم أنه مات في عملية فدائية داخل فلسطين كما كان يحب ويسعى ، وأن إسرائيل أخفت جثته في قبر مجهول ، ولما ظهر ذلك وانتشر تزوج يعقوب أمي الأرملة .. أنا أفكر بالهجرة إلى أمريكا أو أوروبا .

قالت بقلق : لا أحب أن تغدر بي يا داني وتهرب مني !

قال : يستطيع يعقوب إرسالنا للأرجنتين، يقول إن له أصدقاء فيها.. الحب ملعون يا نورا !

قالت : ملعون ملعون .. المهم أن يتحقق زواجنا ، وأن أعيش معك.. وأخرج من البيت ، لم أعد أطيق رؤية أبي عامر !

قال وهو يعود لموضوع الزواج : ألا تعرفين يا نورا سبب رفضهم لي كزوج شرعي ؟!

قالت بغضب مكبوت : أمي لا تعرف سر رفضهم لك مع أنهم لا يهمهم علاقتنا الخاصة وحياتنا الخاصة ويعلمون عمقها .

قال بتفكر: والدك عجيب أمره !.. كنت أظن صدقا أنه سيفرح بإعلان زواجي من ابنته كما تقول أمي وزوجها يعقوب .

قالت: أمك أليس عندها علم وتفسير ؟! فهي صديقة نهى قبل زواج أبي منها منذ التقتا هنا .

قال : أبي أيضا كما تعلمين كان صديقا لأبيك وأمك ، وكان مدرسا مع أبيك؛ بل كلاهما جاء من مدينة صفد للدراسة حيث تدرسين في الجامعة الأمريكية ، وكانا من أتباع حركة القوميين العرب التي نشأت مع نكبة الفلسطينيين سنة ٤٨ ، ومعجبون بجورج ووديع ابن صفد ، ثم اختفى أبي كما قيل لنا بعملية فدائية داخل فلسطين عام ٥٦ عندما تعرضت مصر للعدوان الثلاثي أو أزمة السويس ، وقد ذهب لغزة للعمل مع الفدائيين والمصريين ، ولما ظهرت الثورة

الفلسطينية في ٦٥ انضم والدك لفتح والثوار ، وبعد هزيمة العرب عام ٦٧ أمام الجيش الصهيوني ذهب أبوك للأغوار في الأردن ، وبعد الكرامة رجع لعمله في الأونروا ، وبعد تعرض والدك للموت بحادث تفجير غامض اعتزل الثورة والتدريس .. فهذه قصة أبيك وأبي كما سمعتها من زوج أمي يعقوب .

قالت بتشكك: يوجد بعض الغموض في حياة أبي عامر ، وهذه التفاصيل لا تهمني يا داني .. أنا كان همي الوحيد دراسة الطب ، وكان ذلك على يد يعقوب كصديق للعائلة ، ثم تعرفنا على بعض وقبلت بك صديقا ومحبا يا داني ، ولم تعترض الأسرة على صداقتنا ، فرأيت أنهم يرغبون بزواجنا ، ولما حدثت أمي برغبتنا الزواج امتعضت واستأت ، ونصحتني بعدم التورط بالزواج قبل إنهاء الجامعة .

قال حالما : وأنا ما زلت انتظر .

قالت بحسم : لم تعد فائدة للانتظار يا داني ! متى ستحسم أمرك ؟

قال : والجامعة !

قالت : الكثير من الطلبة يتزوجون وهم يدرسون .. ويعقوب لا أعتقد أنه يرفض زواجنا أليس كذلك ؟!

قال : هو يحب زواجنا ؛ لذلك رغبني بالتقرب منك قبل تخرجي من سنتين . .وهو يحب ذلك .

صفد مدينة مهمة في الحركة الوطنية والنضال الشعبي في فترة الانتداب ، وكان فؤاد حجازي شهيد هبة البراق ١٩٢٩ أحد أبناء تلك المدينة الكائنة في الشمال الفلسطيني، أحد الثلاثة الذين أعدمهم الإنجليز في حزيران ١٩٣٠ بتهمة أحداث البراق .

وفي صفد تشكل أول فصيل فلسطيني مسلح في منطقة الجليل عام ١٩٣٠ فصيل "جماعة الكف الأحمر" برئاسة القائد أحمد طافش ، وفي ثورة ١٩٣٦ - ١٩٣٩ كانت صفد ومنطقتها معقلاً مهماً من معاقل الثورة الفلسطينية، ونشطت فصائل منطقة الجليل بقيادة أبي إبراهيم الكبير " خليل العيسى " ، وقد بلغ عدد ثوار هذه الفصائل بضع مئات من أبناء مدينة صفد وقراها ، كان عدد سكان المدينة عام ١٩٤٧ قرابة ١٣٥٠٠ نسمة ، منهم ٢٦٠٠ يهودي.

صفد مدينة مختلطة عبارة عن أحياء وطوائف مثل القدس والناصرة ، وهي عبارة عن سبع حارات، خمس منها يسكنها المسلمون وفيها أكثر من مسجد كالجامع الأحمر ، وجامع السوق وجامع الشعرة الشريفة ، وحي للنصارى ، وآخر لليهود كمدينة بيت المقدس ، لم تكن الأحياء منفصلة بل عبارة عن تواصل معماري واجتماعي وتقارب ، خصوصاً مع المسيحيين من دون تمييز، لكن دون مصاهرة ، أما اليهود فكانوا يعملون أيضاً في الأرض، حيث كان الاختلاط سائداً فيها بين المسيحيين والمسلمين، أما اليهود فكانت لهم مدارسهم الخاصة بالطائفة .

أنهى عامر المرحلة الثانوية سنة ٤٦ ، وكان السفر لبيروت لدراسة اللغة الإنجليزية في جامعة بيروت الأمريكية ، لم يكن للفلسطينيين جامعة في فلسطين زمن الانتداب ، كان عامر ترتيبه الثاني بين ذكور السيد حمدان التاجر في سوق صفد ، فشقيقه حازم الأكبر منه بسنة تعلم بضع سنوات ، ثم اشتغل نجارا ، ولما تقرر سفر عامر أصرت العائلة على زواجه قبل السفر خشية انحرافه في بيروت التي تبعد عن صفد تسعين كيلو متر تقريبا ، كانت بيروت العاصمة معروفة بكثرة الملاهي والخمارات لكثرة النصارى والطوائف فيها كما هو معروف ، وكانت

كأنها مدينة أوروبية في التقدم والمدنية ، وعادة مثل هذه المدن بسبب الحرب الكونية والاستعمار الفرنسي مرتعا للجنود والضباط للرفاهية ، وقضاء الشهوات خلال الحرب ، فكنت ترى أن البغاء ينتشر فيها بدون عوائق كالقاهرة خلال الحرب الثانية ، تجد فيها شوارع مخصصة للمتعة واللذة والترفيه ، فترى فيها المومسات وبنات الهوى من جنسيات مختلفة عربية وأوروبية .. قدمن إليها للترفيه عن العساكر الغربيين وجند المارينز عام ١٩٥٨ .

تزوج عامر حمدان ابنة خالته ، ولما حان موعد بداية العام الجامعي سافر برفقة قافلة ، واستقر في برج البراجنة حي في جنوب بيروت قرب مطار بيروت الدولي ؛ حيث يبعد أقل من اثنين كيلو متر عن المطار ، كان قد سبقه الكثير من أبناء البلد أبناء الأغنياء والتجار في مدينة صفد ذات الخليط من الطوائف ومثلها بيروت .

وكان عامر قد تعرف على شاب صفدي من أبناء المدينة يسبقه بعام اسمه معزول عدلي ، ويدرس مثله في الجامعة الأمريكية التاريخية ، كان سجل لدراسة ليسانس اللغة الإنجليزية ، أصبحا صديقين فور أن استقر عامر في المدينة .

وخلال زمن يسير أصبح عامر رفيق معزول في السكن ، وفي ارتياد مراقص اللهو ، وحانات بيروت ، لم يكونا متدينين كأغلب أبناء التجار خاصة في مدينة مختلطة كصفد رغم وجود المساجد والتدين الغالب على الشعب الفلسطيني ؛ لكن الانتداب البريطاني كان يسهل الانحراف والبارات ودور السينما في المدن الكبيرة في فلسطين .

والصراع الفكري والأحزاب الموجودة في فلسطين موجود مثلها في بيروت خاصة انتشار الفكر القومي والشيوعي ، وأشهره حزب القومي السوري حزب أنطون سعادة ، وحزب الكتائب حزب بيار الجميل الذي تأسس عام ٣٦ بعد الحزب القومي السوري .

لم ينخرط الشابان بأي حزب تلك السنوات الأولى من حياتهما الجامعية ، كان هدفهما الجامعة والعودة للعمل كمدرسين في فلسطين أو في الإدارة الإنجليزية بسبب حصولهما على شهادة اللغة الإنجليزية ؛ إنما انخراطا في اللهو والشراب والنساء ؛ حيث الانفلات سهل ومتيسر ،

ولا رقابة أسرية ومجتمعية ، كان معزول يتردد على عدد من دور الخمر ، وتعرف على ساقية اسمها فاتن فتاة هاربة من إحدى القرى بسبب سقوطها في قضايا جنسية وفاحشة ، فتخلى عنها أهلها وطردوها من قريتهم ، فجاءت بيروت واشتغلت في حاناتها ، وباعت جسدها لمن يدفع ، ولأهل الشهوة والفاحشة ، وهي أسهل مهنة للماجنات ولا تحتاج لدراسة وشهادة ، ثم التقت بفتاة شبيهة قصتها بقصتها اسمها نهى ، فكان معزول كلما توفر له مزيدا من المال يرافقهما لبيتهما ويمارس الدعارة معهما ، فلما حضر عامر بيروت بعده بعام ، ووجد أنه على شاكلته عرفه عليهما .

وكان عامر الطالب قد عشق نهى خالد عشقا حقيقيا كما قال ، وهي أحبته كما زعمت بصدق وتمنت الزواج منه ، وكان لفاتن صديق قواد اسمه يعقوب يوفر لهما بعض الزبائن من علية القوم من ضباط السفارات أو موظفي السفارات وربما السفراء ، وغير ذلك مقابل ما يكسبه من العمولة من الطرفين ، ولما يحتاجهن معا أو لخدمات إحداهن يزور خمارتهما ويأخذهما لشقة خاصة لموظف السفارة الكبير ، وكان الرجل العاهر معجبا بفاتن أكثر من نهى وتحلو في عينه أكثر ، وكان الرجل يقدم لهما المال والهدايا مقابل المتع التي يتحصل عليها منهما .

لم يكن معزول ولا عامر يقدر على منعهما من ممارسة البغاء وعملهما الدنيء، فهن من بنات الهوى ، لا أهل لهن في المدينة ، وليس في هذا الأمر شيء مهم وخطير في مدينة منفتحة على الفساد كبيروت في تلك الفترة من الزمن .

مضت سنة على عامر في لبنان ، ولما عاد لفلسطين سنة ٤٧ وجد زوجته قد وضعت له طفلا سمي جابرا ، وكان يعرف ذلك بواسطة الهاتف والرسائل وفرح به ، ولمس الخطر الواضح في فلسطين ، وسمع همسات تتردد عن رغبة الإنجليز بإنهاء الانتداب والخروج من فلسطين ، وأن الأحلام بالعمل مع الإدارة الإنجليزية على وشك الانتهاء ، وكانت إشاعات كبيرة تتكلم عن تقسيم فلسطين بين العرب واليهود لتخفيف التوتر والاضطرابات والاغتيالات بين الفريقين .

ترك صفدا بعد انتهاء العطلة ، وكالعام الماضي ترك زوجته في حالة حمل وعاد للجامعة ، ووجد صديقه معزولا في انتظاره ، ثم عادا لعادتهما من السكر والزنا .

وكانت مفاجأة في وجه معزول ـ وهي أن الغانية فاتن في حالة حمل ـ وأن يعقوب يعرض عليه الزواج منها مقابل بعض المال ، ولما تنته الجامعة يطلقها ويعود لقريته وبلدته ، ولما تشاور مع عامر شجعه عامر على ذلك الزواج المؤقت ، وشبهه بزواج المتعة عند الطائفة الأمامية، وزعم له لو أنه لم يكن متزوجا لفعل ذلك ، وفي النهاية قبل معزول العرض والمال ، وأصبح أمام الناس زوجا لتلك الغانية ، وسكن بشقة أمنها القواد يعقوب لهما .

وفي شهر تشرين الثاني عام ١٩٤٧ صدر قرار تقسيم فلسطين بين العرب واليهود ، وحددت مناطق كل طرف ، وتبقى القدس تحت رعاية الأمم المتحدة ، ورفض العرب قاطبة قرار التقسيم ، واستعدت بريطانيا للانسحاب من فلسطين بعد انتداب امتد لثلاثين سنة ، وتشكل الجهاد المقدس بقيادة عبد القادر الحسيني المعروف للشعب الفلسطيني .. وفي مطلع ٤٨ ظهر ما سمي بجيش الإنقاذ التابع لجامعة الدول العربية .

أما في صفد فبدأت المناوشات في ١٢ من كانون الأول ١٩٤٧ بعدما قتل شاب يهودي في سوق صفد الكبير على أثر اتهامه بمحاولة تفجير نفسه بين الجموع ، وقد رد اليهود على ذلك بسلسلة من أعمال القنص أدت إلى استشهاد شابين من العرب ، في الخامس والعشرين من الشهر ذاته جرت المحاولة العربية للاستيلاء على القلعة، إذ جرت حولها معركة حامية سقط فيها بعض القتلى من الجانبين، ولم يكتب للمقاتلين العرب السيطرة على القلعة بسبب تدخل القوات البريطانية التي لم تغادر يومها القلعة بعد.

حضر إلى المدينة الضابط السوري إحسان ألماز ، قام هذا الضابط بتنظيم المقاتلين العرب ، وعمل على تدريبهم وتحضيرهم للمواجهات ، ووضع خطة محكمة لمحاصرة الحي اليهودي، ومنع قدوم المؤن والذخيرة إليه .

واضطر اليهود بسبب ذلك الحصار لتشغيل بعض القوافل من السيارات المصفحة بغرض

الوصول للحي اليهودي ونجدته ، كما وحاولوا كسر الحصار من خلال مهاجمة واحتلال بعض القرى العربية المشرفة على طريق جبل كنعان المؤدية لصفد .

في الخامس عشر من نيسان قامت قوات المتطوعين العرب من دخول نقطة البوليس البريطاني ومبنى الحاج فؤاد الخولي، الواقع على الحدود المتاخمة بين الحي اليهودي والأحياء العربية، والذي كان البريطانيون قد صادروه بعد بدء المناوشات للفصل بن الأحياء العربية والحي اليهودي ، حاولت القوات اليهودية السيطرة على هذين المبنيين في هجوم معاكس في الثامن عشر من نيسان، ولكن القوات العربية المتحصنة فيهما نجحت في صد الهجوم والسيطرة على بعض المواقع اليهودية الأمامية، في اليوم ذاته وصلت طلائع وحدة أردنية تابعة لجيش الإنقاذ يقودها الضابطان أميل الجمعان وساري فنيش ، وفي اليوم التالي وصلت سرية متطوعين سورية قوامها ٨٠ مقاتلاً بقيادة عبد الحميد السراج وهشام العظم، لم يكن قدوم هذه النجدات بادرة خير على المجهود الحربي العربي ومعنويات الأهلين، إذ أنه سرعان ما تصادم الضابطان الأردنيان، اللذان عملا على التهدئة، وفرضا منع التجوال على السكان، مع الضابطين السوريين وقائد قوات المتطوعين إحسان ألماز الذي رأى بوجوب القيام بمبادرات هجومية لضرب معنويات الحي اليهودي من جهة، ورفع معنويات أهالي صفد من جهة أخرى، وقد أدى هذا النزاع إلى انقسام أهل المدينة بين مؤيد لهذا أو ذاك من الضباط، ولم يكن بد من استبعاد إحسان ألماز خاصة بعد قدوم سرية أخرى من جيش الإنقاذ تحت قيادة الجنرال أديب الشيشكلي ، وتوليه القيادة العليا بنفسه .

في مطلع أيار كان اليهود قد سيطروا على قريتي عين الزيتون وبيريا وقد نجحوا بذلك بكسر الحصار العربي عن الحي اليهودي في صفد ، وتحويل الوضع إلى وضع معاكس، بحيث أصبحت الأحياء العربية هناك تحت الحصار ، وفي ظل هذه الظروف كان أمر سقوط صفد هو مسألة وقت ليس إلا خاصة إزاء الإصرار اليهودي على ذلك ، وذلك تمهيداً لبسط السيطرة اليهودية على الجليل الأعلى بكامله .

وعن أهمية كسر شوكة أهل صفد من العرب كمقدمة للسيطرة على الجليل الأعلى، قال يجئال ألون، قائد قوات "البالماخ" التي تولت مهاجمة المدينة، في توجيهاته للقوات المهاجمة: " إن عرب صفد هم العامل الأقوى في منطقة الجليل الأعلى، وعليه فإن احتلال صفد ، سيخفف إلى حد كبير، من صعوبة احتلال أماكن أخرى في الجليل الأعلى وإصبع الجليل". وبغرض تجميع القوات اللازمة لهذه العملية قامت القيادة اليهودية بوضع لواء ألون ١١ من قوات "جولاني" ولواءين من قوات "البالماخ" تحت تصرف يجئال ألون الذي أخذ يتحين الفرص للانقضاض على الأحياء العربية من مدينة صفد واحتلالها .

في اليوم السابع من أيار قام أديب الشيشكلي بوضع خطة لمهاجمة الحي اليهودي وكسر الحصار، حيث بدأت بطارية المدافع التابعة لجيش الإنقاذ والمرابطة برأس التينة ووادي الطواحين بقصف الحي اليهودي تمهيداً لاقتحامه ، وعلى أثر ذلك قامت القوات اليهودية بشن هجوم مضاد في الثامن من الشهر ذاته، نجح المدافعون العرب بصده بشق الأنفس ، لكن القوات اليهودية أعادت الكرة في هجوم شامل حمل اسم "عملية يفتاح" بدأ في العاشر من أيار واستمر في الحادي عشر منه .. وفي نهايته نجحت القوات اليهودية ببسط سيطرتها على المدينة العربية بعد أن أخلتها سرايا جيش الإنقاذ في اليوم الأول للهجوم ، ولم يبق في المدينة إلا عشرات من المقاتلين المحليين، وبعض المتطوعين العرب الذين تحصنوا في مبنى القلعة وقاتلوا حتى النفس الأخير .

ودخلت القوات اليهودية صفد بعد أن تم تهجير أهلها تحت وقع القتال المرير الذي دار هناك استشهد في عملية الدفاع عن صفد قرابة ١٠٠ شهيد وجرح العشرات، وقد تم أسر بعض الشباب ووضعهم في المعتقلات حتى تم إطلاق سراحهم بعد التوقيع على اتفاقيات الهدنة.

ومن أسباب الهزيمة كما كتب المؤرخون قيام قيادة جيش الإنقاذ ببث الرعب وتحطيم الروح المعنوية والدعوة لنزوح أهل المدينة والتبشير المضلل بالجيوش العربية القادمة التي ستحرر فلسطين ، ومنها الأخبار المبالغ فيها حول المجازر اليهودية في المناطق التي تحتلها القوات

اليهودية، ومنها فشل اللجنة القومية ووجهاء صفد وأثريائها بالتخطيط للمعركة التي كان من المعلوم أنها قادمة ، وكان عليهم إرسال العديد من شباب صفد للتدريب على السلاح والقتال على الأراضي السورية ، وأن يشتروا السلاح والذخائر وإعدادها على الحدود السورية لإدخالها مع أولئك المدربين فور انسحاب القوات البريطانية ، ومن أسباب الاندحار السريع فشل وجهاء صفد بالتخطيط لما بعد الهزيمة العسكرية ، كان عليهم أن يكونوا قدوة لسواهم بالبقاء هم وذويهم والسعي لإقناع الأهالي ببقاء كل منهم في بيته، وأن يوضحوا أن القوات المهاجمة تنشغل بالقوات المقاتلة ونادرا ما تتعرض للمدنيين المسالمين ، وكان من الأجدى حفاظا على عروبة المدينة البقاء والتفاوض مع زعماء اليهود ، عند انسحاب جيش الإنقاذ ، بهدف التسليم بدون قتال وهو ما تكرر حدوثه عبر التاريخ عندما يتبين أنه لا جدوى من القتال .



قال أحد المهاجرين واللاجئين : "بقينا نعيش حياة آمنة حتى العام ١٩٣٦، وعلمت بأن والدي ثائر ، ويجتمع مع الثوار في مغاور وأمكنة سرية حتى قبيل عمله في سلك البوليس ، في العام ١٩٣٦ بدأ الثوار يتقاتلون مع الإنكليز ، قرب صفد كجبل الجرمق ، وكان الثائر عبدالله الأصبح يتزعم الثورة في صفد ، وكذلك عبدالله الشاعر الذي كان معروفاً في ثورة عز الدين القسام. وتابع فقال : كما أذكر في هذه المرحلة ٤٨ ، أنه جاء إلى صفد ساري بك جميعان من الأردن من قبل الأمير عبدالله ممثلاً لـ"جيش الإنقاذ" ليتسلم موقع صفد قبل خروج الجيش البريطاني ، وبعد عشرة أيام سقطت صفد بيد منظمة الهاغانا".

" لم يكن السلاح في أيدي جميع الفلسطينيين، فعمد تجار فلسطينيون إلى شراء بنادق نصف أوتوماتيكية "برن" ورشاشات "ستن" من الزعيم سلطان الأطرش في سورية، وكان يصل سعر البندقية إلى مئة ليرة فلسطينية لذا كانت حكراً على المقتدر ، كان والدي يملك بندقية وكذلك عمه وابن عمه ، كان يهود الهاغانا يتجولون في الجبال الوعرة ليلاً، لم يكن يتعاطى معهم أحد ، كان لباسهم عادياً ومن طيبة قلوب الناس، لم يكن أحد يعتقد بأنهم سيرتكبون فظائع ومذابح في فلسطين، بقينا في صفد ،وتركناها إسوة بغيرها بعد مجزرة عين زيتون وصفصاف العام ٤٨، حيث اختار اليهود أربعين شاباً من خيرة شباب صفد ، وقتلوهم ذبحاً عند طلوع الشمس، وهو توقيت معظم مذابحهم "

قال المهاجر : "دفعت المجزرة العائلات في صفد إلى مغادرتها ، اعتقدنا بأننا سنغيب أياماً ونعود ، لذا تركنا كل شيء على حاله ، حملنا المال والذهب والأولاد والنساء وفراشاً على البغال، أقفلنا الباب ، واحتفظنا بمفتاحه وبحجج الأرض وشهادات الولادة ، توجهنا إلى "عين السمورة" في جبل الجرمق، بنينا فيها عرشاً خيمة من خروب وسنديان، وبقينا تسعة أشهر ، كنا نتسلل إلى بستاننا في وادي الليمون ، ونسرق منه الفواكه لأهلنا، أما حاجياتنا اليومية فكنا نشتريها من قرية "السموعية" التي يسكنها مسلمون ، ولم يكن اليهود قد وصلوا

إليها بعد ، وكانت خارج حدود التقسيم الأول لفلسطين الذي طال حدود طبريا في تلك المرحلة ، واجتاحها اليهود في ما بعد ، ثم حصلت معارك فاضطررنا إلى مغادرة عين السمورة " عانينا الكثير على مدى تسعة أشهر، ذل وبرد وشتاء ولا بيت يحمينا ، وتوجهت مع النساء إلى سعسع، لم نكن وحدنا، كنا نمضي في صف طويل وقبلنا آلاف الراحلين، إلى أن وصلنا إلى الحدود اللبنانية كما طلب والدي ، ودخلنا إلى قرية رميش في قضاء بنت جبيل، كانت المرة الأولى التي أزور فيها لبنان ، لحق بنا الأهل في ما بعد ، لكننا بدل العودة إلى صفد انتقلنا إلى الرشيدية حيث نصبنا الخيم ."

بعد إعلان التقسيم المشهور تحركت الأحداث سريعا ، الإنجليز يستعدون للانسحاب ، إسرائيل تستعد لإعلان الاستقلال بزعمهم والحرب ، والفلسطينيون تائهون وضائعون بين الوعود والعهود ، وبدا التهجير والتطهير ليقال أن فلسطين أرض بلا شعب وأن اليهود شعب بلا أرض .

بدأ الشتات الفلسطيني يزداد ، رحل أهل الجليل نحو الشمال ، والساحل نحو الضفة الغربية وغزة ، وبعضهم اجتاز نهر الأردن .

كان عامر في غاية الذهول والصدمة رغم وجوده ببيروت ، ومثله الكثير من الطلبة أبناء الأثرياء والتجار والعائلات الكبيرة ، كان الشاب في انتظار الأهل بدل العودة لصفد حيث مسقط رأسه ، ومثله معزول ، الذي كان يقول له بخوف وانزعاج : وماذا سأفعل بهذه المدعوة امرأتي .. سيفتضح الأمر أمام القريب والبعيد .

قال : هل أطلعت يعقوب على الأمر والأحداث ؟

قال بهز الرأس : قال ازعم لهم أنك أحببتها وتزوجتها .. لقد تورطت ! فكيف سأتخلى عن الزفت الذي ستلده قريبا سوف تجن أمي وحتى أبي ؟!

قال عامر : فعلا إنها ورطة ! والطلاق لا يحل المشكلة.. سيبقى الولد باسمك أمام القانون .. وموظف السفارة اللعين والده الحقيقي ما موقفه ؟!

قال معزول : تقول فاتن إنها لا تدري .. وهي لا تعرف اسمه الحقيقي ومهمته في السفارة .. إنها زبون عنده .. وإنه يدفع كما أن يعقوب يدفع عني .. وأنت ماذا ستفعل مع نهى ؟

قال مفكرا : نهى بالنسبة لي كغيرها من مومسات بيروت .. سأتركها كما تركت غيرها عندما تصل أم جابر والأهل ، فهم في الطريق كما فهمت من خالي .. وقد أنشئ لهم مخيم بجانب البرج .

يقع مخيم برج البراجنة في الضواحي الجنوبية لبيروت على بعد نحو كيلومترين من مطار بيروت الدولي ، وتحيط به أحياء الرمل العالي وحارة حريك وبعجور وعين السكّة، ويبعد نحو ٩١ كيلومتراً عن فلسطين.

تأسس المخيم سنة ١٩٤٨ من خلال عصبة جمعيات الصليب الأحمر بغية إيواء اللاجئين الفلسطينيين الذين أُخرجوا من بلداتهم وقراهم في الجليل في شمال فلسطين، وتسلمت وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى (الأونروا) أمور المخيم سنة ١٩٥٠، كانت مساحة المخيم عند إنشائه نحو كيلومتر مربع واحد ، لكن مع زيادة عدد السكان وتمدد المساكن إلى خارج المخيم، صارت مساحته تقدر حالياً بنحو كيلومترين مربعين.

كانت علاقات تجارية ربطت بين تجار بلدة برج البراجنة وبلدة ترشيحا في الجليل وصفد ، فهاجروا تجاههم "كانت أول خيمة تنصب في المخيم خيمة حسن الخليلي، ثم تبعته حوالي سبع خيم، قبل أن يصل العدد بعد أشهر إلى ثلاثين خيمة."

إذ وصل اللاجئون إلى المخيم في مجموعات متتالية، وأقاموا مساكنهم وفقاً للانتماء القروي ، وحرصت كل قرية على ضم عائلاتها في مساكن متجاورة حتى بدا المخيم وكأنه مجموعة من القرى الفلسطينية الصغيرة ، وبالتالي ظهرت أحياء وحارات سميت بأسماء القرى الفلسطينية التي جاءت منها العائلات ، وهذا شائع في كثير من مخيمات الشتات .

وتتوزع المساكن في المخيم تبعاً لأسبقية الهجرة من فلسطين، فقد سكن أهالي ترشيحا وهم

كثر فيه وهم أول الوافدين في خط يمتد من شمالي المخيم حتى جنوبه بمحاذاة الشارع العام الذي يفصل المخيم عن منطقة برج البراجنة ، وتلاهم أهالي الكابري وكويكات والشيخ داود والقرى الأخرى وذلك في فترات زمنية متقاربة ، ولم يقتصر التضامن على السكن، بل شمل العلاقات الاجتماعية، وكل مجالات الحياة الأخرى الموروثة من فلسطين، والتي حملها السكان معهم إلى المخيم، ومن ضمنها العادات والتقاليد والانقسامات السياسية والنـزاعات الحزبية والتناقضات الاجتماعية.

ويذكر الحاج علي وقد ألف كتابا عن المخيم " أن من أبرز حارات مخيم برج البراجنة: العاملية ؛ مستشفى حيفا ؛ جيش التحرير؛ جورة التراشحة؛ الكفاح المسلح ؛ الهيدوس؛ الصاعقة ؛ الوزان؛ كويكات، وغيرها من الحارات ، وللمخيم عدد كبير من المداخل، أبرزها: جواد زين الدين ، التعاونية، العاملية ، المشنوق، الصاعقة، أبو فيصل، الكفاح المسلح"

وقال الحاج علي : في العام ١٩٥٤ دخلت الكهرباء للمرة الأولى خيام اللاجئين الفلسطينيين في مخيم برج البراجنة .

عدد الذين اضطروا للمغادرة إلى لبنان بعد نكبة فلسطين تراوح بين ١٠٠ و١٣٠ ألف لاجئ، قدم معظمهم قبل إعلان قيام دولة إسرائيل ، وجاء ٦٠٪ منهم من منطقة الجليل ، و ٢٨٪ من حيفا و١١٪ من مناطق يافا واللد والرملة ، وأقلية بلغت **١.٤٣%** من القدس وجوارها، انتشر المهاجرون في مخيمات أنشئت في لبنان وسوريا وغزة والأردن.

وزحف السيد حمدان وعائلته نحو بيروت وبرج البراجنة ؛ والسبب أن أصهاره من بلدة ترشيحا التابعة لعكا في الجليل ، وهي غرب صفد ، وتبعد عنها ما يقارب العشرين كيلو متر ، وأن أصهاره أخوال أولاده من تلك القرية ، وقد سبقوهم في الرحيل والخروج لتلك المدينة ، وإلى ذلك المخيم ، واستقبل عامر الأسرة الجريحة والأقارب بحزن عميق وتعاطف وألم ، وتفاجأ بولادة زوجته أثناء الطريق والزحف وبوفاة الطفلة التي كانت في رحمها ، فحزن على

فقدها كما يحزن الآباء ؛ ولكن مأساة الرحيل والتشرد لم تدع له مجالا للحزن الكثير ، وقد قيل اذا عم البلاء خف ، وكانت زوجته تعاني من حمى النفاس والوهن ، فقبل نهاية العام ٤٨ كانت تفارق الحياة ودفنت في إحدى مقابر بيروت .

وقبل أن تنتهي السنة الثالثة في الكلية تزوج من فتاته نهى خالد أمام دهشة أقاربه ؛ ولكنهم تقبلوا الأمر على مضض ، وهو لم يحدثهم بالطبع عن علاقته الخاصة بها ، وانضوى هو ومعزول في حركة القوميين العرب التي ظهرت في بيروت وخاصة الجامعة الأمريكية بعد النكبة ، وكان من أهم شعاراتها استيعاب الصدمة الفلسطينية ، والدعوة إلى الوحدة القومية العربية .



أصيب معروف سعد زعيم تنظيم ناصري بإطلاق النار عليه أثناء مشاركته في مظاهرة لصيادي السمك في ٢٦ شباط ١٩٧٥ توفي متأثرا بجراحه في ٦ آذار ١٩٧٥ ، بقيت ملابسات الحادث غير واضحة ، وقد شكلت وفاته أحد أبرز العوامل التي ساهمت في شحن الجو والتهيئة لاندلاع الحرب الأهلية اللبنانية.

لقد قام مجهولون بمحاولة اغتيال بيار الجميل رئيس حزب الكتائب في ١٣ آذار ٧٥ ، نجا الجميّل من المحاولة ، ولقى أربعة مصرعهم ، منهم اثنان من الحراس الشخصيين له ، ردت ميليشيات حزب الكتائب على محاولة الاغتيال بالتعرض لحافلة كانت تقل أعضاء من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ـ القيادة العامة (جماعة احمد جبريل الضابط الفلسطيني السوري) إلى مخيم تل الزعتر مروراً بمنطقة عين الرمانة ، أدى الكمين الذي نصبه مقاتلو حزب الكتائب إلى مقتل ٢٧ فلسطينياً ، سميت الحادثة بحادثة البوسطة والتي كانت بمثابة الشرارة لبدء القتال في كل أنحاء البلاد ، بانتشار الخبر سرعان ما اندلعت الاشتباكات بين الميليشيات الفلسطينية والكتائبية في أنحاء المدينة.

عثر في ٦ ديسمبر١٩٧٥ على أربعة جثامين لأعضاء من حزب الكتائب ، فقامت الميليشيات المسيحية بوضع نقاط تفتيش في منطقة مرفأ بيروت ، وقتلت المئات من الفلسطينيين واللبنانيين المسلمين بناء على بطاقات الهوية (التي كانت آنذاك تدون مذهب حاملها) فيما عرف لاحقاً بالسبت الأسود ، أدت عمليات القتل لاندلاع الاشتباكات على نطاق واسع بين المليشيات ، فانقسمت بيروت ولبنان معها، إلى منطقتين عرفتا بالمنطقة الشرقية وأغلبها مسيحيون، والمنطقة الغربية التي كانت مختلطة مع أكثرية إسلامية ، كانت بيروت الشرقية محاطة بمخيمات الفلسطينيين المحصنة مثل منطقة الكرنتينا ومخيم تل الزعتر ، قامت الميليشيات المسيحية في ١٨ يناير ١٩٧٦ باقتحام منطقة الكرنتينا ذات الأغلبية المسلمة والواقعة تحت سيطرة منظمة التحرير الفلسطينية والتي كان يسكنها أكراد وسوريون

وفلسطينيون ، قتلت المليشيات المسيحية ١٥٠٠ من سكان المنطقة ، ردت الميليشيات الفلسطينية بعدها بيومين باقتحام بلدة الدامور المسيحية، وقتل المئات من السكان المسيحيين هرب الآلاف من السكان بحراً حيث كانت الطرق مقطوعة ، كما تم في هذا اليوم تهجير بلدة دير جنين في قضاء عكار التي وقع فيها عدد من القتلى والجرحى .

جاءت رسالة قصيرة لنهى خالد ، تخبرها ابنتها بأنها تزوجت داني معزول ، ولا يهمها رأي ورفض عائلتها ، وتطلب منهم نسيانها وعدم البحث عنها ، لما قرأ عامر الرسالة لزم الصمت بضع دقائق ثم اتصل بجابر في مكتبه وأخبره برسالة نورا ، فحضر المحامي جابر وقرأ الرسالة فقال له أبوه : أرأيت تزوجت رغما عنا ؟

قال جابر بسخط : سوف تعلم من نحن ؟ دعني أتصرف .

قال : فكر جيدا! .. وتذكر أننا اليوم في حالة حرب يا جابر .

قال بسخط : هم أيضا استغلوا استمرار العنف والصراع الدموي وتزوجوا .

قال أبوه : حياتك أهم كم تعلم من حياتها يا جابر !

غادر جابر بيت والده وعاد لمكتبه ، وحدث شريكته زوجته ووالدها بزواج أخته من الطبيب داني معزول دون قَبول من الأسرة ، ثم اتصل بمكتب يعقوب ، ولما سمعه قال : ألم أقل لك يا يعقوب أن هذه الزواج لا يناسبنا ؟

رد يعقوب : أنا لا دخل لي .. أنا في البداية رأيته مناسبا للصداقة التي جمعتني بأبيك وزوجته وأم داني .

قال جابر: هل تم الزواج ؟

قال يعقوب : سمعت أنه تم بناء على رغبة أختك ، وأنها أصرت على الزواج قبل انتهاء الجامعة .. فقد ملت حياة العشيقة .

قال : حسنا يا سيد ! أريد لقاء داني .

قال : ماذا تريد منه ؟ وأنا لا أستطيع ذكر عنوانها لك.. قابلها في الجامعة

قال جابر: لا أرغب برؤيتها .. أرغب بذكر كلمتين لداني .

قال : أنا أنقلهما له .

قال جابر: متشككا : لا أظنك تستطيع .. فأنت جبان وضعيف وقواد .

قطع الاتصال ، كانت الجامعة مغلقة بسبب أحداث بيروت العنيفة والاشتباكات التي تحدث بين الأطراف المتنازعة في لبنان ، ذات نهار اتصل داني بالمكتب ، ولما أعطي الخط لجابر قال داني : اخبرني يعقوب برغبتك بالحديث معي .

قال جابر: صحيح أنكما تزوجتما !

قال : هي أصرت على الزواج ، وليس لدي مجال للرفض .. ولا أدري لماذا ترفضون زواجنا ؟!

قال جابر: أنا أرغب باللقاء بك لأبين لك سبب رفضنا يا داني .. أين تحب أن نلتقي ؟

قال داني : في نادي "فلور بلو"

قال جابر: جيد الورد الأزرق ! .. الساعة التاسعة ليلا

قال : أنا في انتظارك

ذهب جابر لنادي الورد الأزرق ، وكان داني في انتظاره ومعه رفيق ، فسلم جابر وقال : أهذا حارس ؟

قال : زميل في المهنة يا جابر .. تفضل بالجلوس ماذا تشرب ؟

قال جابر : لا رغبة لي بالشراب .. قهوة لا بأس بها .

حضرت الطلبات والصمت يخيم على المكان، ونفثات لفالف الدخان ترتفع فوق الهامات فقال جابر : أتحب أن أتكلم أمام رفيقك وحارسك ؟

قال الرفيق : سأجلس قريبا منكم .

وجلس على مائدة قريبة يراقبهما ، فقال داني : آ .. لماذا ترفضون زواجنا ؟

قال جابر : أنت تعتقد يا داني أن أباك مقتول .

قال دهشة : أبي!! وما دخل أبي في زواجنا ؟!.. لا أعرف بالضبط مقتول محبوس حي ميت !

قال بحدة : اعلم أن ما تعتقد أنه أبوك ليس ميتا ولا مختفيا إنه حي يرزق يعيش في فلسطين .

قال داني متشككا : يعيش في فلسطين لماذا ؟

قال جابر : لأنه ليس هو أباك ؟

قال مترددا : ومن أبي ؟!

قال بدون شفقة وخجل : أنت ابن زنا يا داني ! غير معروف الأب .. قبل أن تغضب اسأل أمك فاتن وزوجها يعقوب .

قال : والأوراق ؟

قال جابر: القصة عند أمك ويعقوب .. ومن أجل هذا كنا لا نرغب بزواجك من نورا ..أنت والدك موظف أحد السفارات ؛ لعل يعقوب يعرفه ، فهو القواد والعاهر يا داني ؟

قال : أنا أعرف أبي !

قال : أبوك في الورق ، أما أبوك الحقيقي فأمك لا تعرفه .

قال : وأما أنت فتعرفه !

ـ أنا لا أعرفه يا داني ! لكني أعلم أن أم زوجتك كانت وأمك عشيقتان له .. يعقوب الذي يعرفه فحسب ؛ ولكن أمك تعلم أن معزولا ليس أباك .. فمن أجل هذا كنا لا نحب لك الزواج من العاهرة نورا .. إلى اللقاء .

لما اختفى جسد جابر اقترب رفيق داني ، وكان داني صافنا بما سمع وذاهلا مما كشف له عن والده وهو يقول : وأبي البطل الشهيد أو الأسير أين هو حقا ؟! ابن الشهيد .

ظهرت نورا أيضا بعد انصراف جابر وقالت : ماذا قال لك اللعين ؟

قال وهو يعود للواقع : قال لي لماذا يرفضونني كزوج لك ؟

قالت : لماذا ؟

قال بهدوء : لأنني ابن زنا ، لا أعرف أبي !

صاحت ذاهلة : ابن زنا !! ولا تعرف أباك ؟

قال : هذا ما قاله المجرم بكل ثقة وطمأنينة .. عليّ بالحديث مع يعقوب قبل تفصيل الحديث إليكما .

وتركهما وخرج من النادي يبحث عن يعقوب ، اتصل ببيت أمه فأخبرته بأن يعقوب خارج البيت ، ذهب إليه في ناديه الليلي ، ولما التقيا قال : يعقوب التقيت بجابر وقال لي كلاما خطيرا يا يعقوب !

ـ ماذا قال لك الشيطان ؟

قال : قال إنهم يرفضونني ؛ لأنني ابن زنا لا أعرف أبي ؟

قال بعد صمت : تعال اجلس يا داني .. أهو قال لك ذلك ؟ أتحدثت مع أمك في ذلك ؟

قال : قلت أسمع منك أولا .

قال : أتحب أن تسمع الحقيقة ؟ نعم ، معزول ليس أباك ؛ إنما قَبل أن يكون أباك أمام القانون .. ولما هرب من لبنان تزوجت أنا أمك مرغما .

قال : ومن أبي إذن !

قال يعقوب : أمك يا داني كانت فتاة ليل ؛ كما أم زوجتك زوجة والد جابر .. وأنت تعلم مهنتي الحقيقية .. ولما علمت بحملها كان عليّ بالبحث عن زوج لها أمام القانون ؛ فكان الطالب معزولا ولما انتهى من الجامعة ، وحدثت النكبة رجع لفلسطين ؛ فكان علينا أن نعلن عن موته من أجلك يا داني .. وكانت أم نورا مثل أمك وأحبها عامر ، ولما ماتت زوجته أم جابر تزوجها . قال : من أبي ؟

قال يعقوب : موظف أحد السفارات كما قال لي ، ولا أعرف أي سفارة ! أنا كنت أوفر له ولغيره بنات الهوى وشقق الدعارة مقابل المال .

قال : أمي لا تعرفه .

قال يعقوب : بالتأكيد لا تعرفه ؛ وربما لم يحدث الحمل منه يا داني ! لكننا زعمنا ذلك من أجل أن يتكفل برعايتك .. فأمك لم تكن له وحده يا داني .. كان الرجل من ضمن زبائنها ، فمنهم

معزول والسيد عامر وغيرهم والرجل خشية الفضيحة قبل أن يصدق أنه العشيق الوحيد لها .

قال : إذن أنا مجهول الأب يا يعقوب !

قال يعقوب بكل بساطة : عليك أن تتقبل ذلك يا داني !

قال : عليّ أن أقبل ذلك ! ونورا

قال يعقوب : ستقبل ما دامت قد رضيت بك زوجا .. وفي الأوراق الرسمية سيبقى الأستاذ معزول والدك .

قال : كابوس رهيب يا يعقوب !

قال يعقوب : دعك من الأخلاق والشرف والابن الشرعي كلنا أولاد آدم .

قال متقبلا ومتهكما : أهناك الكثير مثلي عندك يا يعقوب ؟!

قال يعقوب : كان على أمك ما دامت تعمل في الدعارة ألا تحمل بك !

قال : ولكنها حملت بي وجعلتم لي أبا .. وبما أنك تعلم الحقائق لماذا سمحت لي بحب نورا ؟!

قال يعقوب مفسرا : هو هذا السبب الذي دفعني إلى دفعك إلى الزواج منها ، فهم أي أسرتها يعرفون قصة أمك خاصة عامر ونهى وسيتقبلون الأمر ، وتعيش حياتك بسلام ، وتكفلت بدراستها من أجلك أنت ، هي بنت صديقة أمك وسيكتمون الحقيقة حتى ينجح الزواج، لم أكن اعلم أن جابرا يعرف هذه الحقائق من أبيه ، فلو تزوجت من أسرة غيرها وعرفوا هذا السر فسيحدث الطلاق.. هذه كانت وجهة نظري .

قال : ولكنهم رفضوني وكشفوا لي السر !

قال : ما كنت أظنهم يفعلون ذلك .. وما كنت أظن أن جابرا عارف بهذه الأمور .. وأن يجرؤ والده بالحديث عنها .. لكن يبدو أن حادثة اغتياله أو قتله خربطت دماغه .

قال داني متمنيا : أرجو ألا تؤثر هذه القصة على عملي يا عم يعقوب !

قال : لست الوحيد في بيروت مجهول الأب .. اهتم بعملك وحياتك ، وانسى جابرا وأباه .

قال : وهل ينسى الإنسان ذلك يا عم يعقوب ؟

الأم تتحدث

اتصل داني بزوجته نورا وبعد التحية قال : كلام جاير اللعين في مكانه .. أنا ابن زنا لا أعرف من أبي .. لا ادري لماذا أنثى تعمل بغيا وتحمل ؟ لماذا يا نورا ؟

قالت نورا: داني حبيبي الأمر لا يهمني كثيرا .. وأنت لا دخل لك بفعل أمك ، وأنا بحبك وكنت أخذ الموانع ، ولو حملت منك قبل الزواج الرسمي إما أن اقبل الحمل أو أتخلص منه لست منزعجة بمن أبوك .. وها هي الحرب تأكل الأخضر واليابس.. انس واهتم بعملك .

قال : عجيبة برودة أعصابك يا نورا ! أنا في غاية الغم والضيق .. لماذا قبلت باستمرار الحبل وهي لا تعرف من والده ؟ !وضحك يعقوب على معزول وجعله أبا ، ونفذ الأب الحقيقي

قالت نورا: لا تنسى يا داني أنك أمك جاهلة مثل أمي .. كلتاهما قرويتان هاربتان من بلدتيهما خوفا على حياتهما ، وكن صغيرات ويحتجن للمال للعيش والحياة عندما جئن بيروت الصاخبة وعلى مثل هؤلاء الساذجات عيش يعقوب زوج أمك .. والعجيب أنه تزوج أمك وأبي تزوج نهى .

قال داني معللا : الحياة معهنّ سهلة يا نورا ! والتخلص منهنّ أسهل .

قالت نورا: إذن عش حياتك ولا تتطلع إلى الوراء يا حبيبي !

قال داني : الناس لما تعرف أني دكتور من غير أب .. ابن زنا .. كيف سأعيش بينهم ؟! نحن لسنا في باريس أو برلين .

قالت نورا: تتعب قلبك بدون نتيجة .. دعنا نعيش حياتنا

قال داني: سأذهب أتحدث مع أمي.

قالت نورا: ماذا ستفعل لك أمك ؟

قال داني: لماذا لم تلد من يعقوب ؟!

قالت نورا: كأنني سمعت نهى تقول لا يرغب بالذرية ويكره الذرية والأطفال .

قال داني: أريد أن أعرف فقط لماذا حملت بي ؟ ولم تحمل من القواد يعقوب ؟

قالت نورا: حسنا نلتقي في الشقة !

قال داني: احذري الحمل قبل إنهاء الكلية

قالت نورا: حريص اكثر منك.

لما جلس قبالة أمه في شقة يعقوب قالت : اتصل بي يعقوب ، وحدثني ما أعلمك به الشيطان جابر اللعين.

قال داني: هون عليّ إطالة الحوار .. لماذا غلطت وحملت يا سيدتي؟!

قالت فاتن بهدوء واستعداد : غلطة يا داني ! مللت من التنقل بين الرجال ومن شقة لأخرى كان موظفا في السفارة وسخيا معنا أنا وأم زوجتك ؛ فحسبته شخصية ذات مقام رفيع يخشى الفضيحة قلت لو حملت لعله يتزوجني ليحمل الابن اسمه.

قال داني: أنت رغبت بالحمل لترك الدعارة .

قالت : نعم ، هذا ما فكرت فيه تلك الأيام ، ولما حملت لزمت الصمت أول الشهور ، ثم اطلعت يعقوب على ذلك السر فجن هو الآخر وأخبرته بعد أربعة شهور حتى لا يحدث إجبار على قتلك ، تعبت من العمل ، ورفض الرجل الاعتراف بك كما قال يعقوب ، ولم نعد نذهب إليه أنا وأم زوجتك ، ورتب يعقوب لحل المشكلة زواجا صوريا من معزول ، وتحمل أن يكون والدك لحاجته للمال لإكمال الدراسة وإقامة علاقة معي بدون مقابل ؛ وليس لي إلا أن افعل ما يريده يعقوب ، وتزوجنا صوريا وتركت الحانات ودور البغاء وعشت مع معزول حتى أنهى الجامعة وعمل قليلا مع الوكالة ، ثم ذهب مصر وإلى غزة ، وأمام دموعي ودون أهل وطفل عمره سبع سنوات تزوجني يعقوب من أجلك خشي أن أتخلص منك وتحقيقات وأعود للحانات لتدبير المال .. هذه قصتي مع معزول .

كان داني يعلم أن والدته بدون أقارب منذ وعى لعدم زيارة أب أو أم أو أخ أو أخت ، وسمع من يعقوب أنها كانت هاربة من بلدتها إلى بيروت وتعمل في الحانات ، وشفق عليها وتزوجها من هذا الباب بعد اختفاء والده معزول وذهابه للقتال في غزة أثناء العدوان الثلاثي

أو حرب السويس ، ويعلم كذلك عن زوجة عامر أم نورا ما يعلمه عن أمه ، وأن أقارب عامر لما علموا بزواجه بنت هوى قلّ اتصالهم به ، واصبحوا مجرد أقارب، فلم يكن الأمر مقبولا لدى العائلات المحافظة أن يتزوج احد منهم امرأة دور البغاء والمراقص ، وكلاهما يعقوب أو عامر لا يهمهم رأي الأقارب كثيرا حتى أن والد عامر حمدان لما عرف حقيقة نهى وعملها كبغي كان يرفض أخذ أي مال من ولده رغم الفقر والبؤس ، واذا حضر الرجل وزوجته بعد الاستقبال يتعذر حمدان بتعبه ببيع الترمس والحلوى على عربة ، ويدخل غرفته متمددا ويترك زوجته أم حازم مع ابنهما وكنته ، وكان يتعجب من زواج عامر من ساقطة وما الذي أوقعه في حبها وهيامه بها ؟ وأنه لم يجد في بيروت إلا إياها، ويلوم الغربة والانفتاح الغريب عن بلاد العرب الأخرى ، فيسمع الجواب أن الأمر في بيروت اكثر إشهارا من العواصم الأخرى ، فالكحول تباع وتقدم دون مواربة في اغلب الدول العربية والإسلامية وشوارع الإباحية دون حرج ، ولكن حرية التعبير مسموحة في بيروت اكثر من غيرها من بلدان العرب والإسلام .

فصمت داني أمام الحقيقة والواقع المر ، ويسأل : لماذا تركني أبي واستعر مني ؟ هل لأنني ابن غير شرعي ؟ ما هو الشرعي؟ كيف يتزوج موظف سفارة فتاة ملهى ؟! تعبت أمي من الزنا فظنت بهذه السذاجة سيقبل السفير أو مساعده بالرضا بالزواج منها.. يعقوب هذا من هو ؟ هل هو ابن زنا ؟ لكن له عم يتزاوران.. أبوه أمه أسرته .. يبدو أنه مهاجر ، لا يتكلم ويفصح عن وطنه الأول.. وكيف قبل معزول أن احمل اسمه ؟ هل النكبة أثرت عليه؟ أنا لا اعرفه جيدا ؛ إنما اعرف صوره مع أمي ، ولماذا اختفى ؟ وهل حقا تطوع لمحاربة اليهود ؟ أي مبادئ يحمل ؟ ليتني استطيع الجلوس مع والد نورا وأسمع منه ؛ ولكته بعد نجاته وهلاك أطفاله اعتزل الناس والعمل .

سأل : كيف تزوجت يعقوب ؟

قالت: لست ابن يعقوب .. السيد طيب وأشفق عليّ وعلى نهى ، والتقيت به أثناء عملي في

حانة جانتي .. كنت ساقية نادلة آتية من الريف .. وكان يتردد عليها، وعرف قصتي وقصة نهى ، فأصبح مسؤولا عنا ، وتعرفت على السيد معزول في حانة جانتي ، ثم اصبح يمارس الجنس معي ومع نهى مقابل المال والليرات ، وكان عامر والد نورا متزوجا قبل المجيء للجامعة في بيروت ، وكثير من طلبة الجامعة أبناء أغنياء وميسورين ، ويفيض معهم الدخل فيترددون على الحانات للسكر ، ويتواعدون مع البنات ، أو يدخلون دور البغاء ؛ كما ترى هنا عمارة قريبة منا يوجد فيها فتيات من بلاد شتى للدعارة ، عامر احب نهى رغم أنه متزوج قبل مجيئه إلى هنا، أما معزول كان ابن احد التجار الصغار في وطنه كان اعزبا ، كان السيد يأخذنا إلى رجال كبراء ، ولا يسمح لنا بمعرفة وظائفهم في الجيش في السفارات من البلدان الغربية ولا هم يتكلمون عن وظائفهم ، كانت بيروت سويسرا العرب مشرعة لكل سائح ، ثم ترك يعقوب نهى لعامر وغيره ، وعلم منها أن عامرا سيتزوجها ، وأن أهله هلكت من مشوار الهجرة ، وكانت حاملا وماتت بعد الولادة ، وقبلت نهى به ، وتعهدت بترك الزنا ، وهو لم يتخلى عن ذلك ؛ ولكن قلّ وجوده في الحانات، وقنع معزول بالزواج مني ليكمل الدراسة فقد عجز أهله عن تدريسه بسبب الكارثة والمأساة الفلسطينية ، وكان وضع الناس صعبا وفقدت العائلات المهاجرة الشباب والزوجات حتى سقطت بعض نسائهم لفقرهن وموت معليهن بما سقطنا به.. الحرب كارثة يا داني .. تخرج معزول وهو زوج لي وعمل مع الوكالة وهل تعلم أنه منذ تزوجنا لم يقربني كزوجة ؟ ولم يمنعني من العمل ؛ كما فعل صاحبه.. تطوع للقتال في حرب خليج السويس ولتحرير غزة ، وغادر لزمن لمصر وقد سمحت مصر للفلسطينيين بالعمل ضد إسرائيل في غزة، وانسحب اليهود منها كما تعلم بعد ضغط الدول الكبرى ، ولم يرجع معزول ؛ بل سمعنا أنه انتقل للضفة الغربية التابعة للأردن للعمل الفدائي وأمام هذا الواقع قبل يعقوب أن أكون زوجته ، وسكنت في هذه الشقة ، وعلاقتي مع نهى انتهت منذ تزوجها عامر ، وتضايق أهله من زواجه بغانية ، ولكنه تمسك بحبه وهواه ، وولدت خمسة ، هلك ثلاثة منهم في غارة على مدرسة وذلك في مطلع الستينيات ، وبقي عنده

جابر اللعين من الأولى ونورا وآخر من صديقتي القديمة نهى ، وأحب يعقوب زواجك منها وتكفل بتعليمها الطب كما علمك .

قال داني :لماذا فعل ذلك ؟

قالت بعد دقيقة تفكير : أقول بصراحة ؛ لعله يشك بأنها من صلبه .

قال داني :جنون هذا ! وعامر يعلم بهذا الشك .

قالت : كان يعقوب يضاجعها قبل زواج عامر منها ، ومن أول سنة زواج ولدتها ، ربما يشك فكان يعقوب له سيطرة علينا ، ويستغلنا حتى رغم زواج عامر منها ، كان يضغط عليها كان هو الآخر يحبها قبل أن يتعرف عامر عليها ..كانت جميلة في صباها ؛ كأنها أوروبية .

قال داني :يا الهي! يا للنساء !!

*****

قالت نورا: ألهذا الحد أزعجك كلام جابر الحقود؟

قال داني بنوع من الحسرة : جابر حر وابن شرعي يا نورا ليس مثلي لقيط .

قالت نورا: هو بعيد عنا ، ولم يتربى في بيت والديّ ، هو عاش في المخيم بين جده وأعمامه ونساء أبيه وخالاته وأخواله .. كان يأتينا كزائر وضيف خشية أن يتشاجر مع امرأة أبيه ، ولم يكن يتصور أن زوجة أبيه فتاة ليل في أول شبابها ؛ لكن فتاة وحيدة في مدينة كبيروت دون أهل وأقارب ومال ماذا ستفعل في مدينة معاصرة يا داني ؟!

قال داني :وأمي نفس المشكلة .. الماضي مؤلم يا نورا ؛ لعل الحب الذي جمعنا يزيل الهم والغم

قالت نورا: لنعيش لأنفسنا

قال داني : أمي ليس لها إلا أنا.. شيء محزن !

قالت نورا: ويعقوب!

قال داني : يعقوب مجرم .. قواد .. بترون كما يقال هنا.

قالت نورا: اشفق عليهنّ.

قال داني بحدة : استثمرهنّ في دعارته .. لا شفقة ولا حنان عند القواد.

قالت نورا لتغيير المأساة : ألا نريد أن تقف التفجيرات؟

قال داني :لا أعتقد انتهاء الصراع وأنه سيقف .. هذه قوات متنافرة وحاقدة .. والثارات لا تتوقف .. وهناك من يستغل ويؤجج هذه الطوائف والأحزاب الكثيرة والمتناقضة في الغايات والأهداف.. وأكثرها يعمل لجهات خارجية وأجندات دولية .. دخل السوريون لوقف الحرب وحماية الناس.. ثم وقفوا مع الموارنة ، ثم انقلبوا عليهم ، وباع الموارنة خاصة الكتائب أنفسهم لإسرائيل ؛ كما تتحدث التسريبات في الصحف العبرية والدولية.

****

قال يعقوب لداني ونورا: كنا حريصين يا داني ألا نطلعك على حياة وبؤس أمك قبل زواجي منها ، وحق هي لا تعلم من هو أبوك البيولوجي ، وأخطأت خطأ كبيرا بالسماح لنفسها بترك موانع الحمل يا نورا ! فليس من السهل أن يقبل زان بقبول امرأة وطفل في رحمها وهي تتنقل بين الرجال، فهو لا يقتنع ويصدق بأن هذا المولود منه ، فهي لديها أفكار خاطئة عن الخواجات، فكان معزول مستعدا لتحمل اسمه لحاجته للمال لإتمام الجامعة والسنوات الأخيرة ، فقد خرج أهله من فلسطين بلا مال ، وقد قتل والده وأخوه الأكبر أثناء الأحداث ومع الثوار ونتيجة الانفجارات من قبل يهود صفد ، وكان لوالده اتصالات بحركة الثوار فتمت تصفيته كما قيل ، ومن نجا من العائلة جاءوا بيروت عالة على الصليب الأحمر حدثني والدك بظروفه ، وقبل الأمر وتخرج قبل أبيك من جامعة بيروت، ثم تحمس للعمل مع الناصريين وأتباع ناصر في بيروت ، وقبلهم مع القوميين العرب وديع وجورج فذهب لغزة لطرد اليهود منها متحمسا كغيره من الشباب الحاقد والثائر ، وهناك كما علمت من أبيك أصابته رصاصة أو شظية ونقل للعلاج للضفة الغربية التي ضمت للأردن سنة ٥٠ ، وتزوج وشارك الفدائيين في الأغوار ، والتقى بأبيك فيها ، وقبل أحداث أيلول في عمان تسلل وعاد لزوجته ، وكأنه يسكن في رام الله مخيم الأمعري أو الجلزون .. فهو لا يمت لك بصلة نسب

ترك بيروت إلى مصر ، وقد طلق أمك رسميا قبل المغادرة لغزة .

وجد داني أن زوج أمه يملك ذاكرة قوية ، ورغم انخراطه في دور البغاء والغانيات يقرأ ويتابع السياسة وحكايات الناس ، وأنه لا يعلم من أبوه ، وأن أمه لا تعلم ذلك ؛ لأنها كانت تبيع جسدها لأي دافع .

وسافر إلى مصر وحيدا ، ثم اختفت أخباره عن نورا وأمه ويعقوب ، ولم يذكر لهم إلا أنه ذاهب إلى مصر في جولة سياحية وترفيهية وأنه غير قادر على الحياة في بيروت، وبعد شهور قضاها بين الحانات والفنادق سافر أوروبا عن طريق تركيا ، وكانت نورا تقول ليعقوب: لم يحتمل العيش معنا ، لم يتقبل فكرة أنه ابن غير شرعي لأب مجهول ، ومنذ سافر لمصر انقطعت أخباره عني يا يعقوب ! وعليك أن تتحمل نفقة الشقة حتى أتخرج ، ولن أنسى فضلك .

قال: لماذا لا تعودين لبيت عامر؟!

قالت: منذ تزوجنا لم أرهم .. بأي وجه سأقابلهم ، وقد تشددوا ضد زواجي .. وعرفنا سبب التشدد والرفض بعد العقد الرسمي .

قال: ما كنت أظن هذا التشدد ! فهل ترين أن والدك يجزم بأنك من صلبه يا نورا ؟

قالت: هذا لا يهمني يا يعقوب ! تحملني مما تبقى من شهور للجامعة ، ولا أنسى حقا فضلك ومصروفك عليّ.

قال: كان عليّ فعل ذلك من أجل داني وفاتن .

تخرجت نورا لما بدأت حرب الثورة الفلسطينية مع إسرائيل بما يسمى الاجتياح للعاصمة بيروت ، وفرض بشير رئيسا لجمهورية لبنان، ثم اغتياله قبل حفل تنصيبه ، وعلمت كطبيبة في عيادات وكالة الغوث التابعة للأمم المتحدة التي تعمل على مساعدة اللاجئين اجتماعيا وتعليميا وصحيا ، وعانت بشدة نتيجة أحداث الحرب والخروج الفلسطيني لوقف الحرب فالتقت بآلاف الجرحى والقتلى والإصابات ورغم انسحاب مقاتلي الثورة استمرت الحرب الأهلية بين الطوائف ، وظهور حرب المخيمات بين الفلسطينيين والشيعة بحركة أمل .

اتصل جابر بنورا وأخبرها بوجود رسالة من داني فإذا تحب الاطلاع فلتحدد مكان للقاء فقبلت الطبيبة اللقاء ، وهي قد تصالحت مع والديها أثناء الحرب وتعرض أمها لشظية فالتقتا في مستشفى بيروتي ، واهتمت بمداواة أمها ،والتقت بعامر أثناء عيادته لزوجته.

اطلعت نورا على رسالة داني التي وجهها لجابر فقالت بحيرة : لماذا أرسلها إليك ؟فكان الحق أن يرسلها لي.

قال جابر : لا ادري ! هل تقبلين الطلاق ؟

قالت: ألم نتطلق منذ هرب إلى مصر ؟

قال جابر : طلاق رسمي

قالت: اكتب له بقبولي ذلك

قال جابر : ربما بعثها لي بصفتي محامي وأخ لنورا.

قالت: الله اعلم ! ما أخبار أبي ؟ منذ غادرت أمي المستشفى لم أرهم .

قال جابر : لا يخرجان من البيت.. أبي على وشك الانتحار .

قالت باستغراب : كان يائسا .. لماذا ؟!

قال جابر : صدقي لا اعلم .. اتصالنا ضعيف .. فهو تركني منذ ولدت عشت في بيت الجد

قالت: كيف زوجتك المحامية؟

قال جابر : محامية مثلي كما قلت ، وتهتم بالصحافة اكثر من القانون ، فوالدها رئيس تحرير جريدة الضوء الأسود .

قالت: الضوء الأسود ! أهنا جريدة بهذا الاسم ؟ أهناك ضوء وأسود ؟ لا وقت لديّ لقراءة الصحف ومشاهدة التلفزيون .. ساعات طويلة بين الجرحى والمرضى .

قال جابر : نعم ، كان الله بعونكم أهل الإسعاف ، وهذه الحرب لا تكاد تقف .

قالت: هل هي فلسطينية ؟

قال جابر : من صيدا.. لبنانية.

قالت: لعلكم متوافقون فقد جعلت الحرب شرخا اجتماعيا بين العائلات.

قال جابر : إلى حد كبير النساء سر عميق

قالت: النساء مسكينات وضعيفات

قال جابر : لا احد مسكين في هذه الغابة، ما يفعل الناس ببعض أشد وأقسى مما يحدث في غابة الأسود والذئاب .

قالت: هل سيطول انتظار الطلاق ؟

قال جابر : أنت لو قدمت طلب طلاق بعد اختفاء عشيقك ...

قالت محتجة : زوجي يا جابر

قال جابر مصرا : كان عشيقا قبل الزواج الرسمي ، هو قال لي ذلك لما تحدث عن زواج منك اعترف لي بعلاقتكم المحرمة ، وأنه ربيب يعقوب

قالت باستسلام : حسن! أنا لا احب إطالة الحديث معك.. لديّ صديق ينتظر طلاقي بفارغ الصبر .

قال جابر : صديق واحد .. نسمع عن موظفي المستشفيات الشيء السيء

قالت: ما تسمعه صحيح .. هل تسمح لي بالانصراف؟

قال جابر : تفضلي.. تمنيت أن نكون أخوة بحق.

قالت: أنت المقصر .

قال جابر : أمك السبب ، وأنا عشت مع جدي وأعمامي وفي قلب المخيم .

قالت: أتمنى لك التوفيق

قال جابر : وأنا .

قالت: لا اعتقد!

قال جابر : لماذا ؟!لأني كشفت أمر داني لداني.

قالت بألم : هذا الأخطر .. حرمتنا من بعض!

قال جابر : يعقوب يعلم ، وفاتن تعلم ، وأمك تعلم ، وأبي يعلم، لم يكن سرا إلا عنه وعنك

قالت: أين يعيش داني؟

قال جابر : الرسالة جاءت من مصر حسب الطوابع ؛ ولكن قد لا يكون هو مصر .. أرسلها لصديق في مصر .. والصديق أرسلها على بريد مجلة الضوء الأسود ؛ ربما يكون داني يعيش هنا .

قالت: الراجح في أوروبا في فرنسا

قال جابر : إلى اللقاء شكرا على قبولك دعوتي .

هزّت رأسها ، واختفت من قاعة طعام الفندق الكارلتون

ماتت نهى بعد حين متأثرة بإصابتها بشظية أثناء وجودها في السوق حيث حدث انفجار أو سقوط قذيفة ، قامت الأسرة والمعارف بمراسم الدفن ، وحينئذ عزم عامر على مغادرة بيروت دون علم أي إنسان حتى والديه ، خرج لسوريا برا واتجه للشمال السوري ، وأثناء وجوده في احد الفنادق مات ، ولم يكن بينه وبين وفاة نهى سوى شهرين، ودفن على نفقة جمعية خيرية فلم يكن يحمل إلا هوية قديمة لبنانية ، وصعب على الجهات الرسمية البحث عن أهله بسرعة ولم يكن معه إلا بضع آلاف من الليرات اللبنانية والسورية وبعض الملابس .

وبعد شهر علم جابر عامر بموته في شمال سوريا وذهب لمدفنه وقرأ عليه الفاتحة ، وتسلم ما احتفظ له به من مال ، وألقى ثيابه في سلة نفايات ، وعاد لبيروت حزينا لنهاية والده وعزى جديه بوفاة ابنهم ، وقاموا بعمل عزاء مختصر ، ولم تشترك فيه نورا ولا حتى جابر ، وطلقت نورا رسميا عن طريق مكتب محاماة ، وأخذت تستعد للزواج من جديد ، فالحياة لا تتوقف بموت احدهم أو عيش احدهم .

واتصل بها يعقوب معربا عن وجود عريس مناسبا لها فقالت : سأتزوج ابن عمتي الدكتور إيهاب ، قد فقد ساقه خلال هذه الحرب، وكان قد عرض عليّ نفسه بعد تخرجي وعملي معه. في الوكالة ، فاعتذر لعريسك ولك ولأم داني .

قال يعقوب : ألف مبارك .. وهل من أخبار عن داني؟ أمه تموت حزنا وشفقة عليه.

روت له رسالة جابر ، فاستغرب الأمر ، وتمنى لها كل خير ، وفرح الدكتور إيهاب شريف لما علم بقبولها له رغم عجزه ومشيه بساق واحدة ... إنها الحرب !

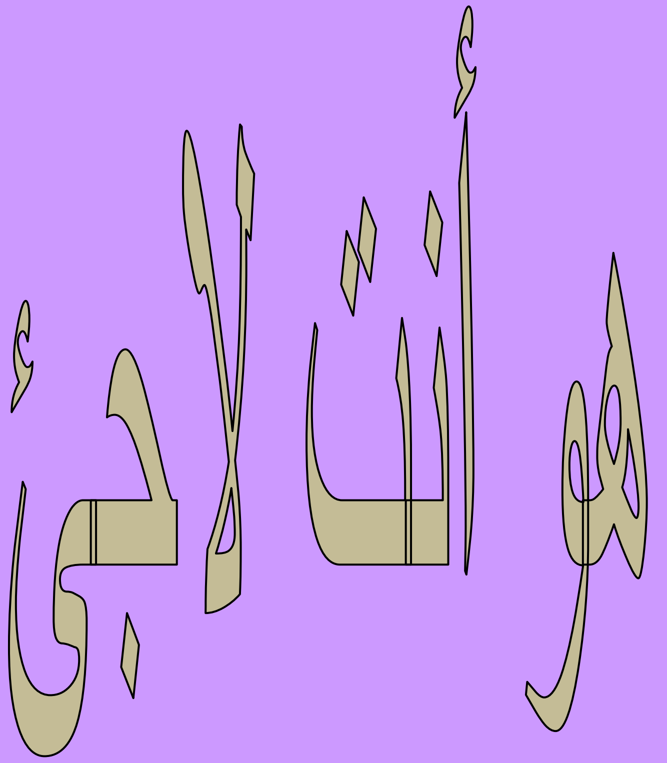


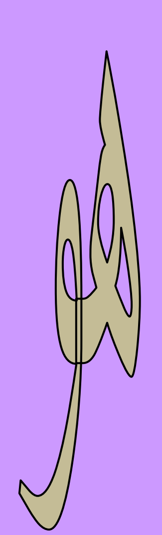






جمال شاهين





المكتبة الخاصة ٢٠٢١


جمال شاهين
وهج الحرب
المكتبة الخاصة

المكتبة الخاصة

وهج الحرب

النشر الثاني ٢٠٢١

جمال شاهين



وهج الحرب

قصة معارك ثلاث ليست في بعنبس

إنها حروب في وطن صغير اسمه غزة

حكاية عائلة عربية عاشت في بعنبس الوطن الصغير

لكل واحد حكاية

دعاة للإباحية وهدم العائلة مع عصبة النساء

تجد الحب والموت والتوبة والندم والعفاف والاقتصاد

والدين والطب في وهج الحرب

السقوط والصعود الظلم والعملاء في رواية وهج الحرب

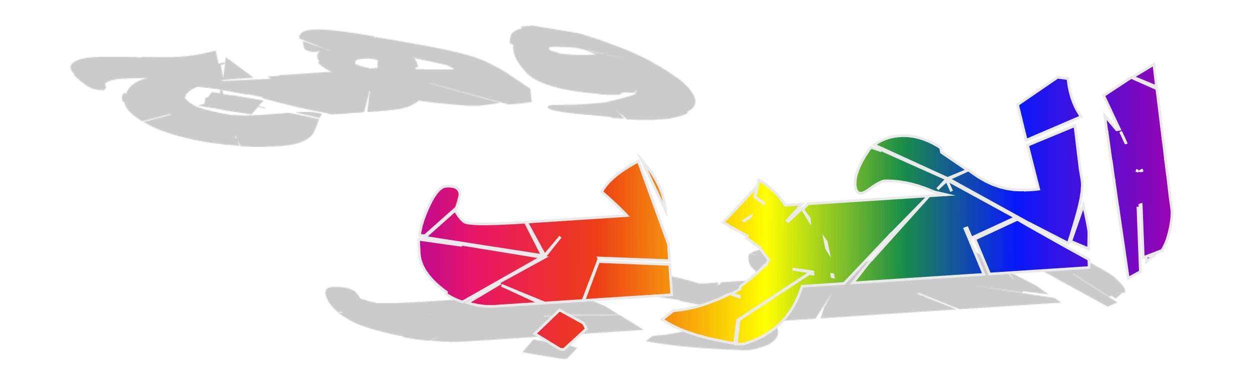
ستجد روحك تعيش مع أفراد الأسرة

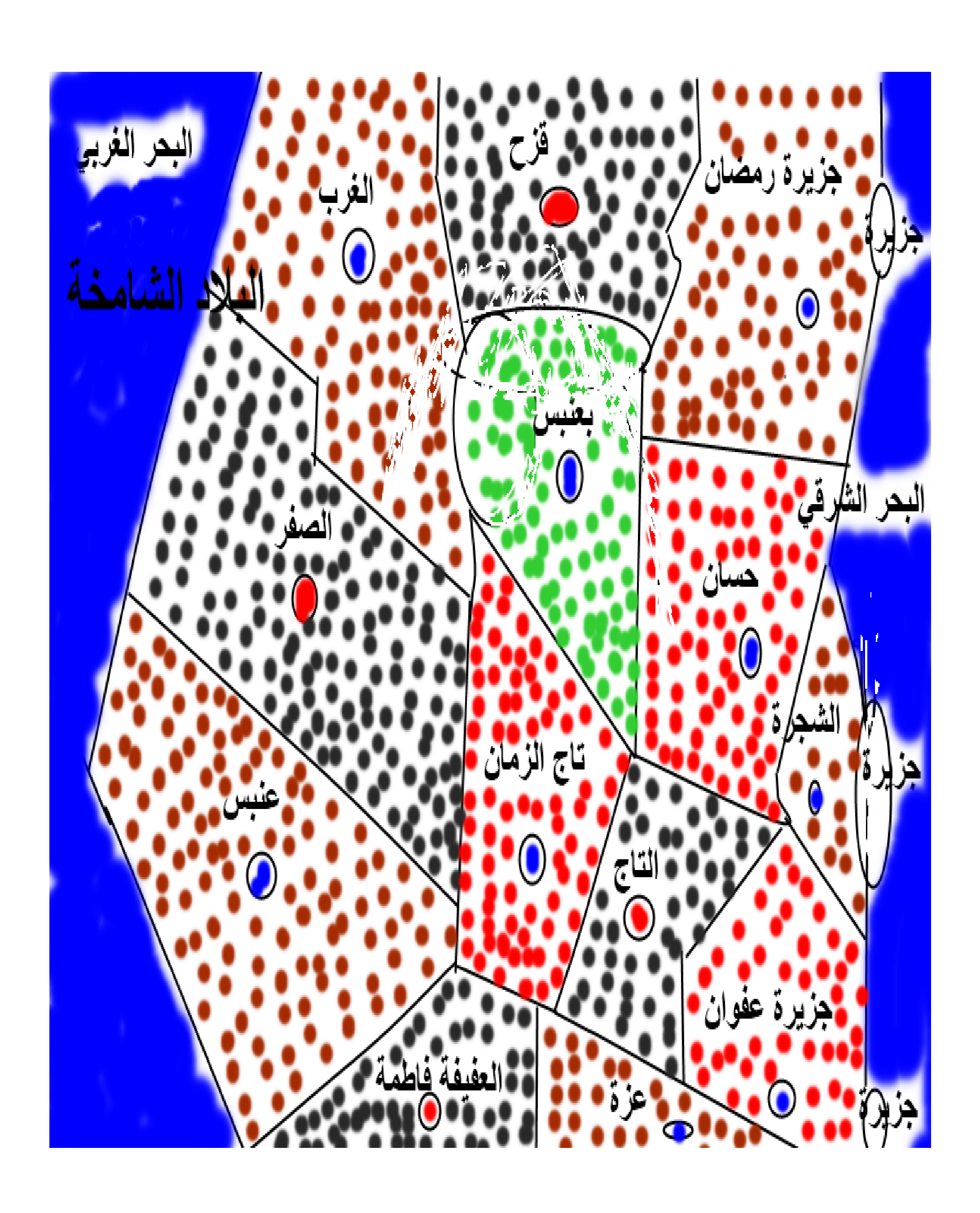
هي رواية حكاية كتبت

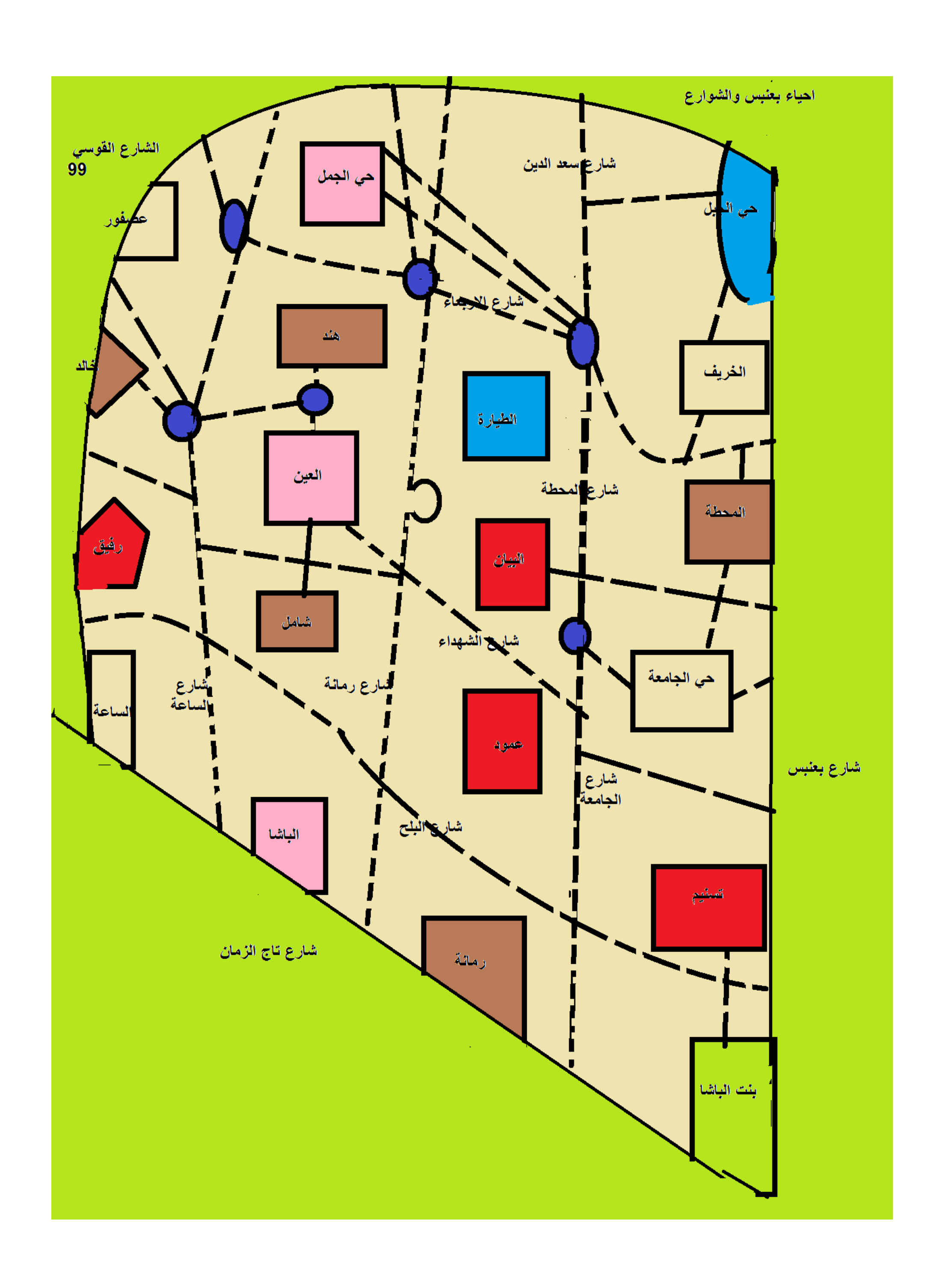
فستقرأ التاريخ والجغرافيا والاجتماع والحكمة والقصة

جمال شاهين






البحر الغربي
الغرب
قزح
جزيرة رمضان
جزيرة
البلاد الشامخة
بعنبس
البحر الشرقي
الصفر
حسان
الشجرة
جزيرة
تاج الزمان
عنبس
التاج
جزيرة عفوان
العفيفة فاطمة
عزة
جزيرة



احياء بعنبس والشوارع
الشارع القوسي
99
عصفور
حي الجمل
شارع سعد الدين
شارع الاربعاء
هند
خالد
الخريف
الطيارة
العين
شارع المحطة
المحطة
رفيق
البيان
شامل
شارع الشهداء
حي الجامعة
شارع الساعة
الساعة
شارع رمانة
عمود
شارع بعنبس
شارع الجامعة
الباشا
شارع البلح
تسنيم
شارع تاج الزمان
رمانة
بنت الباشا

عيادة نسائية

جلس "رشيد علي" على مقعد من مقاعد الانتظار داخل عيادة الدكتورة المعروفة لكل نساء الحي في حي بعنبس الكبير في المدينة البلاد الشامخة ، فالدكتورة وردة نجيب طبيبة توليد وجراحة وأمراض النساء ، معروفة على مستوى الحي والمدينة وهي طبيبة مشهورة لدى أهل المدينة بسبب تجرئها على فعل عمليات الإجهاض غير القانونية ، فلديها الزبائن الكثر ، وأسباب شهرتها بين قرنائها كثيرة ، سيتم ذكر بعضها بإذن الله خلال صفحات وحوارات أشخاص هذه الحكاية .

وهي أنثى وهبت من الحسن ما يلفت إليها عيون الجنسين فور لمحها ؛ فكيف مع اللباس والزينة والعطر ؟! كانت فتنة في الجامعة ، وفي الشارع، والنوادي الاجتماعية والمراكز الثقافية والحزبية .

كاتبة العيادة نوال كانت مستغربة من جلوس الرجل بدون مصاحبة أنثى في العيادة النسائية ، لا زوجة ، ولا بنت تصحبه ، فردت السلام ، وهي تحملق في عينيه وهمست مذكرة : إنها عيادة نسائية يا سيدي!

ابتسم في وجهها وقال : أعرف يا آنسة ! الدكتورة موجودة .

ـ نعم ، في غرفة الفحص عندها مراجعة .

ـ حسن ! .. أخبريها بوجودي الدكتور رشيد.

ـ حسنا يا سيدي!

دخلت نوال غرفة الفحص مخبرة للطبيبة وردة عن الدكتور رشيد.

فسألتها : أمعه أحد ؟

ـ الدكتور رشيد بس.

ـ ضيّفيه حتى أنتهي من السيدة العزيزة مرام .

أغلقت الكاتبة باب غرفة الفحص ، واتجهت ناحية مطبخ العيادة الصغير ، وصنعت فنجان

قهوة للزائر ، ثم وضعته أمام الدكتور : تفضل يا دكتور!

فشكرها برأسه ولسانه، فقالت: عندما تنتهي من الزبونة يا دكتور وفحصها .

اشتغل الدكتور الزائر بالتدخين ، وشرب القهوة ، وهو يتابع بعينيه الفتاة الكاتبة فقال بعد صمت لدقائق : كم لك تعملين عند الدكتورة؟

ـ عشرة أيام يا سيدي الدكتور !.. أعمل مؤقتا هنا.

ـ أين كنت قبلا ؟

ـ كنت سابقا عند الدكتور إميل طبيب أثيني في نفس هذا المجمع .

ـ رجل عجوز !

ـ صحيح ؛ ولكنه طيب .. وله زبائنه من عشرات السنين .

قال : أعرفه يا ...

قالت باسمة : نوال ، اسمي نوال أمين.

قال : تشرفنا بك .. ماذا درست ؟

ـ أنهيت الثانوية العامة دون نجاح ، وأخذت عدة دورات في أعمال الطباعة والسكرتاريا .

قال : جيدا!

خرجت المراجعة مرام ، وكانت خلفها الدكتورة وردة تودعها ، ثم أخذت ترحب برشيد مصافحة وعناقا ؛ كأنهما صديقتان مما أثار دهشة نوال .

فقالت وردة : إنه ابن خالي العزيز .. متى عدت ؟

قال : من يومين فقط.

ـ ولماذا لم تتصل بي ؟!

ـ كنت أنتظر تلفونك ، فلما لم يأت ، قلت أمر أسلم عليك ، وأخبرك بعودتي .

ـ لديّ شغل كثير هذه الأيام هنا ، وفي المستشفى .. الحوامل كثر ، والولادات أكثر .. يبدو كل نساء بعنبس حوامل إلا أنا.

ـ الدكتورة علم في بعنبس يا نوال !.. ما أخبار الزوج عصام البطل؟

ـ بخير .. يمكنك نوال المغادرة .. ما دام الدكتور شرب قهوته سنغادر معا لأتعشى بمعيته .

ـ في البيت أم المطعم .

قالت : في المطعم طبعا .. بيني وبين عصام مشاكل ونزاعات هذه الأيام .

ـ مشاكل ! لماذا ؟ وما هي ؟

قالت : على الطعام والبيت والطفل جوهر.

قال مجاملا : عصام دكتور جيد ! تمسكي به.

ـ هو الذي عليه أن يتمسك بي بعدما مرض .

قال : هو بالتأكيد متمسك بك بسبب المرض .. الكل معرض للمرض يا سيادة الطبيبة وردة .

غادرت نوال العيادة بعدما رتبت العيادة ، وعقمت الأدوات وهي تقول : السلام عليكم .

قالت : سلام يا نوال !

قال : ألم ينجح معه العلاج ؟

ـ تحسن قليلا يا ابن خالي .. علاج الشلل يحتاج لوقت .. فكثير من فقراته تأثرت بالحادثة ، حتى الشغل قلّ ذهابه إليه .. إنه يذوي كالشمعة.

قال حزينا : شفاه الله .. المرض يهد البدن ؛ لكنه نجا حتى أصابنا العجب .

قالت : نعم ، نجا ؛ كما يقال بأعجوبة، ولم أترمل بعد .. كيف رحلتك ؟

ـ كغيرها .. قبرص بلد الأجداد بالنسبة لي

ـ اليوم قبرص قبرصان.

ـ التاريخ والسياسة اللعينة .. كم أكره السياسة والكذب ! كل السياسيين أبطال وعمالقة .. قبرص جزيرة متوسطية جميلة يا وردة!

ـ أعرفها وزرتها مرات .. وأقاربك هناك أقاربي .. زرتها وحدي ، ومع أمي.

ـ هل حصل أن رافقت أمك إليها بعدما كبرت ؟

ـ أنا فترة الجامعة قلّ سفري إليها.. ذهبت مرة أو مرتين...

ـ مرة على ما أذكر كنا معا .. أنت وأمك وأبي وأمي وعمتي إكرام .

قالت : نعم ، أذكر تلك الرحلة .. أمي لها ذكريات حلوة ومرة في تلك الجزيرة يا رشيد .. وأنت تعلم السبب الأهم .. هناك فقدت أبي نجيبا .. وما زلنا نجهل مصيره .. وغمزت وهي تسأل : كيف وجدت نساءها في هذه الرحلة ؟!

ضحك لغمزها وقال : لم أقربهن .. كان معي زميل في الجامعة .

ـ معقول يا رشيد !

ابتسم وقال : معقول ونص .. الناس أخذت عني فكرة سيئة نحو النساء والبنات .. صحيح هناك حانات توفر هذه الخدمة للسياح وللشعب .

ضحكت وردة وألقت سيجارتها وقالت: لماذا لم تتزوج يا رشيد؟

ـ ما زلت صغيرا على فتح بيت وتكوين أسرة.

زاد ضحكها وارتفع ، وقالت متهكمة : فعلا أنت طفل لم يبلغ الرشد! عمرك قريب من الأربعين.

ـ الإنسان يبلغ عقله الكمال في الأربعين ؛ كما سمعنا.

– أنت تكبرني بثلاث سنوات على ما أذكر.

قال: تقريبا .. أين سنتعشى؟

قالت : سندخل سينما أولا .

قال : هل من أفلام جديدة ؟

قالت: سمعت من نوال الكاتبة عن فلم أمريكي جديد في سينما النجوم .. فلم أمريكي جيد .. وفيه مشاهد إباحية قد تروق لك .

ـ هيا بنا نتجول في شوارع بعنبس ، ونأكل حلوى ، ثم نحضر الفلم العاطفي والعشاء بعده.

قالت: هيا يا ابن الخال علي .

بيت الزوجية

فتحت الخادمة أو المربية الأجنبية بعد منتصف الليل باب الفيلا لسيدتها الدكتورة وردة نجيب

فمسّت عليها : مرحبا .. عصام نائم!

قالت: إنه مستيقظ سيدتي!

تأوهت تعجبا : أوه!

ألقت حقيبتها الصغيرة على مقعد ، ودخلت المرحاض والحمام البيتي ، واغتسلت ثم مشت لغرفة النوم ، فوجدت عصاما جالسا يقرأ في كتاب .

فقالت: مساء الخير.

ـ مساء الخير .. أهلا وردة ، كم الساعة ؟ وكان ينظر للساعة المعلقة على أحد جدران الحجرة

قالت باستهزاء بين : أعتقد بعد الواحدة .. أراك سهرانا!

ـ كنت انتظرك.

قالت بدهشة : واي ! تنتظرني لماذا ؟!

قال متجاهلا استغرابها : لماذا ينتظر الزوج امرأته ؟!

رددت : امرأته ! أنا امرأتك! لقد نسيت هذا يا ابن عمي ! كيف عمي اليوم؟

قال: لا أدري ! ..لم أتحدث معه اليوم.. أين كنت ؟ ومع من كنت؟

ردت بجفاء : أصدقائي كثر كما تعلم .

ـ حسن ! اجلسي

جلست على حافة التخت وقالت: ماذا تريد ؟

ـ أريد !.. ماذا يريد ويحتاج الرجل من زوجته؟!

ضحكت وقالت: تكلم بجد .. ماذا تريد ؟! لتسهر لهذا الوقت ولحد هذه الساعة ؟ كنت في السينما .. سينما النجوم .. فهم يعرضون فلما جديدا (...)

قال: قرأت عنه في الجريدة .. وحدك .

ـ كان معي رفاق من الحزب ، لا يحلو السهر بغير رفاق .. ماذا تريد لفتح هذا التحقيق على غير العادة؟!

اشعل سيجارة وقال : أفكر بالسفر إلى باريس.. أوروبا .. للعلاج ، سأرسل صور ملفي إلى الدكتور " ناصر عواد " في باريس ؛ ليعرضها على زميل له .

ـ لقد سافرت أمريكا ، ولم ينجح العلاج .

ـ الدكتور ناصر أكد أن الشفاء ممكن ، وسيتحسن الجهاز العصبي كما يقول.

هزت رأسها إنكارا وقالت: الدكتور ناصر يواسيك يا عصام ! أنت عندك شلل كبير في بعض الأعصاب.. أعصاب مضروبة وكسور أو تفتت في عدد كبير من الفقرات .

قال متذمرا : هل أنسى يا وردة ؟ جوهر نام بعد أن تعب من انتظارك .

ـ سأدخل عليه وأقبله .. عصام .. هل حزمت أمرك بطلاقي؟ أنا أنثى بحاجة لرجل بعد ثلاث سنوات من التحمل ومن عجزك .

قال : فكرت مائة مرة ومرة بطلاقك ؛ ولكنّ الأمل بالعافية والسلامة لم تذهب .. إنني أحبك

ـ وأنا أحبك ، وأنت والد ابني الوحيد ؛ ولكنني أنثى وتشتاق كسائر نساء العالم .. هل يرضيك أن أذهب للزنا والعشاق ؟.. أنت غير قادر على هذه العلاقة .. وأنا ما زلت شابة ، وأرى الكثير من الرجال .

تنهد وقال بحسرة وحرقة وذل : حقك يا وردة ! ولا تظني أنني أصدق أنك لم تنامي مع رجل أو أكثر طوال هذه السنوات ..لا تضحكي على لحيتي .. أنا كنت أشك فيك، وأنا بكامل قوتي ؛ بل أنا متأكد يا دكتورة !.. أنت غير متدينة لأعتقد أن الدين يمنعك .. فضعفي وعجزي هو الذي يجعلني أجعل من نفسي جاهلا .. أنت ملحدة كما تزعمين .. وأخلاقك معروفة .. وأبي جنى عليّ عندما أصر على زواجنا .

ـ أتعتقد ذلك يا عزيزي ؟!

ـ أنا أعرف من أنت ؟ ولي أذن .

ـ من أنا ؟ ما دمت تعرف من أنا ! لماذا لم تطلقني لليوم ؟

ـ أكبر غلطة أنت يا وردة!

ـ أكبر غلطة لم أفهم !

قال بألم وذكرى : تزوجتك بأمر من أبي حبيب عمك .. وأنت قبلت وتعجبت .. وافقت على أمل أن ترفضي لحبك لابن خالك رشيد كما انتشر في العائلة.

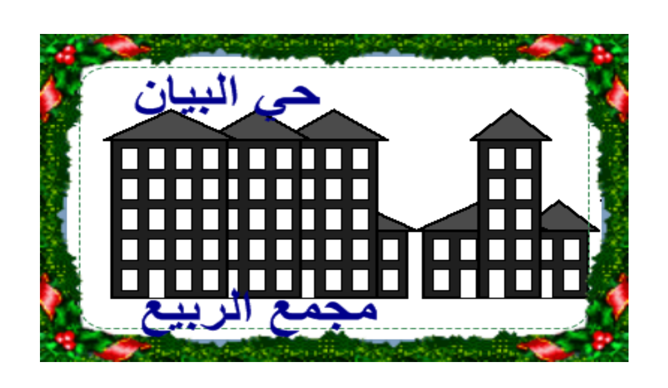
ـ ولماذا لا أقبل بك وقد أراد والدك ذلك ؟!.. ورشيد مجرد قريب وأمي عمته .. كان رشيد صديقا عزيزا ، ودائما أو كثيرا في بيتنا .. كان يدخل علينا في كل وقت يا عصام ؛ وليس ذلك يدل على علاقة غرامية بيننا .. هو صديق وقريب .. صحيح كان يظهر لي حبا وعشقا بين العائلة ، ولا يعني هذا أنني أبادله نفس الحب والغرام .

قال : الكل كان يتحدث عن غرامكما ، وأنه يؤخر طلب يدك حتى تنهي كلية الطب لتتزوجا.

ـ كنت أحبه ، وما زال يحبني ، ولم يتزوج من حبه لي ؛ لكن أمي قالت : أنت أولا وأولى .. أنت ابن العم ومقدم على ابن الخال .

ـ امرأة عمي منذ اختفى زوجها في قبرص وهي في تيه وضياع.

قالت مكررة : نعم ، هي في ضياع .. كانت متعلقة جدا بأبي يا دكتور .. وما دمت لا تثق بحبي لك ، وتراني خائنة ؛ فهذه ظروف تسمح لك بطلاقي دون تدخل من أحد .. أنا شابة لا أحب أن ألوث سمعتك وشرفك ..تخلص مني قبل أن تحدث أي فضيحة يا ابن عمي.



زكية ونجيب

كانت السيدة زكية حسني تذهب إلى جزيرة قبرص لقضاء أسبوع أو أكثر تقضيها في فندق (الشواطئ) منذ أكثر من عشرين سنة ؛ وذلك منذ اختفى زوجها نجيب عارف بظروف غامضة سيأتي الحديث عنها في صفحات قادمة .

ففي شهر آب اللهاب من كل عام تزور ذاك الفندق ، تسافر صيفا لاستعادة تلك الذكريات الأخيرة من حياتها ، ولديها أمل أن زوجها سيعود ؛ ويظهر في ذاك الفندق .

كان حادث الاختفاء أو الخطف قد حدث عام ١٩٨٢، عام حصار بيروت من قبل الجيش الإسرائيلي ، عام صبرا وشاتيلا .

كما هو معروف تاريخيا أن شارون الصهيوني هاجم لبنان في سعيه للقضاء على منظمة التحرير الفلسطينية بدعم أمريكي ، ومؤازرة وتسهيل من موارنة لبنان خلال الحرب الأهلية التي عصفت بذاك القطر ، وكان من أهم نتائجها خروج مقاتلي المنظمات الفلسطينية إلى بقاع شتى ففي ذلك العام اختفى الطبيب نجيب عارف أثناء تواجده في قبرص .

لم يظهر أي خبر عن خطف أو قتل عنه ؛ فكانت تسافر وحدها أو برفقة أخيها هاشم أو علي أو غيره أو زوجها الثاني بلص فيما بعد ، وكانت أحيانا تصحب بناتها واحدة أو الاثنتين أو أحد الذكور الثلاثة ، وذلك قبل أن يشبوا ، عندما اختفى نجيب كانت وردة ابنة عشرة أعوام تقل شهرين أو ثلاثة ، وقد ولدت زكية من زوجها خمسة مواليد عارف وسالم وجهاد ، والبكر وردة والصغرى جريدة ، ومن زوجها الثاني بلص زكور ولدت طفلا ، ومات بعد شهور ، ثم توقفت عن الحمل ، وكانت قد اشترطت عليه عند طلبها كزوجة أن لا يمنعها من طقس زيارة قبرص ، كانت تأمل أن يعود ؛ لأن عقلها اللاشعوري لم يتقبل فكرة موته وقتله .

السيدة زكية حسني أجدادها قبارصة من أيام ما كانت بلاد الشام والعراق والحجاز ضمن أملاك الدولة العثمانية ؛ كما هو معروف تاريخيا ، وهي متعلمة ومتخرجة من جامعة تركية ، عملت فترة قصيرة في التعليم والتدريس في ثانوية بعنبس ، ثم تزوجت نجيبا أثناء زيارة لها

للشام ولبنان ، ولما اختفى زوجها عملت في التجارة والاستثمار ، وهي اليوم تدير شركة خاصة في تجارة السيارات الألمانية ثم اليابانية ، وتتاجر في قطع السيارات والإطارات وأشياء أخرى متعلقة في السيارات ، ولها أسهم في شركات وبنوك في البلد وخارج البلد ؛ خاصة قبرص واليونان .

كانت تجلس في مكتبها في شارع الأزهار حي الطيارة الذي يقع بين شارع المحطة وشارع رمانة ، ويطلق عليه آخرون حي السوق لوجود أسواق الخضار واللحوم فيه في مقاطعة بعنبس ، حي ضخم في البلاد ، ومعها ابنها عارف الابن الأكبر ، ويلي وردة في الولادة ، وهو طبيب كأبيه ، ويعمل في مستشفى حكومي في بعنبس ، فكان يقول لها : هل اتصل بك ابن أخيك علي ؟

وضعت السيجارة في المنفضة وقالت : تحدث منذ رجع من قبرص ؛ حيث يمارس دعارته.

ـ هو ينكر هذا .. لا أدري لماذا لم يتزوج ؟

ـ كان يرغب هو وأبوه بالزواج من أختك ؛ ولكن عمك حبيب رفض ذلك الأمر ، وزوجها لابنه فور تخرجها من الجامعة ؛ بل كاد يفعل ذلك وهما في الجامعة ، وأجبر الرجل ابنه على الاقتران بها.

قال: أمس كان مع وردة في العيادة ، ورافقها للسينما وتعشيا معا.

ـ ما زالت وردة تحلم به كزوج .

ـ علاقتهما خبيثة يا أمي لا يرتاح لها المرء .. عصام لا تعجبه صداقتها برشيد .. ودائما يشكو منهما ؛ بل سمعته يتهمها بإقامة علاقة جنسية معه دون خجل .

قالت : عصام ماتت طبيعته في الحادث ؛ فأصبح عاجزا عن معاشرتها .. وأختك صغيرة وحولها ذكور كثر .. في العمل في النادي في الحزب اليساري

ـ وردة ليست صغيرة يا أمي ابنة ثلاثين سنة وخمسة .

ـ وهذا العمر عمر صغير .. ولها سنة تلح على الطلاق .. مهما يكن السن فالمرأة تحتاج لذكر

يا عارف !

ـ لا أدري لماذا لم يطلقها لليوم ؟! ما دام غير قادر على الجماع ، وعاجز عن القيام بواجبه الجنسي .. فوردة امرأة لعوب منذ مراهقتها .. وهل تظنين أن رشيدا يستطيع الحياة معها ؟

قالت : لا أدري ؛ لكنه يسافر لقضاء رغباته في أوروبا ؛ خاصة بعد فضيحته مع إحدى طالباته التي سلمت نفسها له ، وحملت منه سفاحا رغم أنفه حتى يتزوجها رغم أنفه .

قال : نعم ، هي أرادت ذلك .

ـ القصة ، فسخر منها ، وأرغمها على الإجهاض قبل الزواج ، وأختك قامت بعملية الإجهاض سرا .

ـ عرفنا ذلك ،كل الأقارب علموا بهذه الفضيحة ، وانتقل بسببها إلى جامعة أخرى .

قالت : الجامعات كلها فضائح في هذا الزمان ، وقصص الفجور لا تخلص فيها ، إنهم يحبونها أن تكون خفية كما تخبر .. سمعة سيئة بسبب أننا مجتمع شرقي ، في أوروبا لا تثير الفضائح الجنسية لغطا كبيرا .. ساعات وانتهى الموضوع .. فنحن شرقيون وعائلات تزعم المحافظة .

ـ هو الحمل الذي فضح العلاقة .

ـ هي أرادت الحبل ، وامتنعت عن أخذ الموانع والأدوية ، قال لي : هل أصدق يا عمتي أنها لم تضاجع رجلا غيري؟! أنا عرفتها في السنة الأخيرة لها في الجامعة وهي على وشك التخرج ، وظنت أني صيد سهل .. صيد سهل!

العائلات الثرية تستطيع الاشتراك في نوادي خاصة اجتماعية ثقافية رياضية علمية يلتقون فيها للسمر والترفيه وقضاء وقت الفراغ ونقل الأخبار .

كانت وردة ورشيد يجلسان في نادي العائلة ، وكانت السيدة تحب أن تكون في النادي وخارج المنزل بأجمل الثياب ، وأغلاها ثمنا وحسنا ، وكانت تمتاز بإظهار أروع الروائح من العطور المستوردة من أوروبا ، فكل من يمر بالقرب من مجلسها يستنشق الريحة سريعا ، ويبحث بأنفه وعينيه عن مصدرها .

كانت تجلس سافرة متبرجة ؛ كأنها تقول للعيون تمتعوا بحسني وشبابي ، وبجوارها أختها الطبيبة ، وصديقها شهاب زميلها منذ كلية الطب ، ثم زوجها ، وكما ذكرنا بدأت الجلسة برشيد ووردة ، وكملت بشهاب وجريدة .

فقالت جريدة نجيب بعد جلوسها وشهاب : كيف كانت رحلة قبرص يا دكتور رشيد ؟

أخرج رشيد السيجارة من فمه ورحب بهما ، وشرب من كوب الماء المركون على الطاولة ، ومسح فمه وقال مجيبا : رحلة ممتعة على شواطئ قبرص خاصة بصحبة زميل معي من الجامعة وبعض الجميلات .. هناك فتيات جميلات حقا ؛ ربما أكثر من بنات بلادنا في بعنبس أو تاج الزمان أو حتى البلاد كلها .

التفتت جريدة لشهاب قائلة: ابن خالي .. له جذور في قبرص من جهة أمه .

ـ وأنت وشهاب ما آخر أخباركما ؟ هل ستصبحان زوجين سعيدين ؟

رد شهاب باسما: نحن زوجان سعيدان هنا وهناك يا دكتور رشيد !

قال : أتحبان بعضكما ؟!

قالت جريدة ساخرة : وهل الحب شرط للزواج يا وردة ؟

قالت وردة : قد يكون هذا مقياس الدكتور في السعادة أو علامة على حدوث ذلك.

قال شهاب : نحن عشاق وزيادة درجة فقط ، جريدة زوجة غالية على قلبي فحسب .. وأمها لا تراني الزوج اللائق بابنتها .. تقول: وردة تزوجت طبيبا وتتزوج جريدة طبيبا هذا غير لائق ولا مناسب .

قال رشيد مداعبا : والله وجهة نظر يا وردة !

قالت وردة : أول مرة أسمع بوجهة النظر هذه يا جريدة !

ـ لم أعتبر كلامها شيئا .

قال رشيد : وأنت معك حق ؛ لكن يا شهاب هل كان هذا دافعا لرفضك ؟

ـ أبي اشترى سيارة من معرضها واكتشف أنها قديمة .

ضحكوا وقال رشيد : يعني التجارة أثرت عليكما .

قال شهاب وهو يحدق بصره بوردة : الدكتورة كئيبة !

ابتسمت له ورمت سيجارتها وقالت : لست كئيبة ؛ لكن زوجي قد يحقق لي رغبتي بالطلاق .

قال رشيد فرحا : أخيرا اقتنع بأنه لم يعد ذكرا !

قالت : لم يقتنع ؛ ولكنه يشك شكا كبيرا أن بيني وبينك علاقة حميمة.

ـ أنا وأنت .. هل عيونه سليمة ؟!

فقال شهاب: هذا الأمر خطير يا دكتورة !

قالت: ليس خطيرا يا دكتور ! ولكنه كما تعلم جريدة وغيرها أنه منذ ذلك الحادث اللعين أصبح المسكين عاجزا عن المعاشرة الزوجية ، وضعيفا حيالي .. فكلما يراني متبرجة ومتعطرة وخارجة للسهر والحياة يظن أنني ذاهبة للقاء عشيق ويغلب على ظنه أنني سألتقي برشيد حبيبي العانس أيام الجامعة .. إننا ما زلنا أحبابا .. المهم يرى أنني ذاهبة لموعد غرامي ، وليس للنادي فحسب .. قبل أيام رافقت رشيدا للسينما والمطعم ، فخياله رآني أمارس الدعارة معه .. ولما سألني عن سبب تأخري قلت له الأمر بكل صدق ، فرفع صوته واتهمني بالزنا والتعري لغيره.

فقال رشيد : أنت شابة ، ومن حقك التمتع بحياتك الخاصة والإنجاب.. فمن حقك أن يكون لك زوج سليم .

جريدة ساخرة : يا ترى أنت الرجل السليم ! أنت كبرت يا رشيد ؛ ربما عصام أقوى منك .

فقال شهاب مكملا : يا جريدة يا حبيبتي ! ولماذا يذهب الشاب ابن خالك إلى قبرص بين الوقت والآخر ؟ لماذا لم تتزوج لليوم يا دكتور؟

قالت جريدة مجيبة : كان الرشيد يحب وردة ، وكنا نرى أن زواجهما سيتحقق .. وما زال عاشقا على ما أعتقد .. ولما تزوجت حرم على نفسه الزواج .. واليوم الظرف يتغير يا شهاب !

اعترف رشيد قائلا : نعم ، نعم ، كرهت الزواج ، ولم أكره النساء يا دكتور شهاب!

قول حبيب

دخل المهندس حبيب عارف بيت ولده الكبير عصام حبيب ، وبعد السلام والمصافحة والتقبيل قبلة اليمين وقبلة الشمال جلس على أحد المقاعد ، وسأل عن صحته وأحواله كالمعتاد بيننا نحن العرب ، قال : كيف أمورك اليوم؟

تنهد عصام وقال بنغمة حزن : تعبان يا أبي ! الحياة أتعبتني ، والمرض جعلني ضعيفا ، لم أعد أستطيع العمل في العيادة .. عضلاتي عاجزة .. وشريكي تماري بدا يضجر ، ويشكو من كثرة غيابي .

- والحل!

- الحل أن أموت .

قال الأب مستهجنا : تقتل نفسك ! وهل هذا حل ؟! ولو كل مريض قتل نفسه لأغلقت كل هذه العيادات والمستشفيات والصيدليات ومصانع الأدوية .. ولماتت إرادتنا عن المقاومة والصمود .. وما اشتغلت أنت وغيرك ، ولما تعلم الناس الطب والصيدلة .. أنت إيمانك ضعيف .. إنك بعيد عن الله .. أنت وزوجتك تقلدون الغرب ، وما هب ودب ؛ فلذلك لا صبر لديكم .. لو هي مرضت وعجزت أتتركها يا عصام؟! هذه الحياة هبة ومنحة من الله .. منذ أيام الجامعة وأنا أقول لك كن مع الله .

قال بسخط وغيظ : سمعت مثل هذا الوعظ والكلام الكثير .. وما الحل لعجزي ولرغبتها برجل ينام في حضنها ؟

قال: حقها ! هل تريدها بغيا ؟ اعلم أنك لست أول مريض في الدنيا .. وحوادث السيارات لا تنتهي؛ بل هي القاتل الأول في أنحاء العالم اليوم .. فالحل يا أبا جوهر ... أين هو ؟

- خرج مع مربيته .

- الحل أن تغلق العيادة أو بعها لشريكك .

- ثم ...

ـ ثم .. تعمل في الاستثمار ، تدير صيدلية ، تدير مجمع طبي ، تملك مصنع دواء .. تذهب بضع ساعات ، تشرف على العمل .. الدنيا واسعة يا ولدي .. تزيد من شراء الأسهم في الشركات الكبرى .. تبتاع من سندات الدولة والخزانة ؛ بما أنك لا تبحث عن الحلال ؛ لأن العلماء يحرمون شراء السندات الحكومية .. ممكن أن تملك أسهم من بورصات دولية .. الشراكة مع أصدقاء ومعارف .. أنت تملك رأس المال .. جرب في قطاع الصيدلة .. تستطيع أن تباشر بنفسك أو عن طريق الشركاء وتستثمر الأسهم .. تعمل من خلال البيت وتتابع العلاج .

قال عصام : أفكار جيدة منك يا أبي ! سأسعى إلى امتلاك صيدلية في بعنبس أو تاج الزمان أو حتى العاصمة .. هل ستساعدني بقرض بدون فائدة ؟

ـ وقد أشاركك اذا أحببت .. المهم لا تفكر بقتل نفسك والموت ..كلنا سيموت لا بقاء لنفس بعد انتهاء أجلها .. فكر بالعودة لدينك ، وانظر إلى سامي وحسن.

قال نادما ومعتذرا : تأثرنا بمدرسينا الملحدين .. لعنة الله عليهم .. والآن ماذا ستفعل مع ابنة أخيك ؟



قال بألم : كلامك عنها خطير وسيء ! وهي أم ولدك ، ومن حقها أن يكون لها زوج قادر على النوم معها ، ومن أجل ذلك خلقت النساء .. فهل ترى في طلاقها فائدة لك ولجوهر ؟

قال وهو ينظر إلى مزهرية على طاولة صغيرة : أنا لي ثلاث سنوات في العلاج والرعاية ، ولا طاقة جنسية عندي ، ضعيف جنسيا للغاية بسبب الإصابات العصبية والكسور .. وتصل لي إشارات وأخبار جنسية عنها .. وهي منذ سنة وأكثر تلح عليّ بالفراق والانعتاق .. وتكثر من الخروج والسهر مع ابن خالها رشيد .. وأنت تعرف قصة حبهما القديمة أيام الجامعة .

ـ أعرف أعرف ذلك الحب المزعوم ..أنت كيف ستعيش بدون امرأة قربك ؟!

ـ أنا منذ خروجي من العلاج أعيش بدون امرأة .. يا أبي هي ليست قربي .. تخرج لعيادتها ونسائها .. تذهب لناديها ونواديها ولحزبها الفاشل حزب النسوان .. وتقضي لياليها في المسارح ودور السينما مع المدعو رشيد علي ، تأتي البيت بعد منتصف الليل .. وتتعامل معي ؛ كأنني غير موجود .. المهم أنها تعود لتنام بعد فراغ شوارع بعنبس من الناس .

أخذ حبيب نفسا عميقا ثم قال : لا أخفي عليك ، وصلتني أخبار سيئة عن ابنة أخي وانحلالها للأسف ، كنت أظن أن يخف وجعك وتتعافى مع الوقت .. فالمرأة الشابة لا تستغني عن ذكر يقوم بما شرعه وأباحه الله ؛ خاصة اذا كانت منحرفة عقديا ، وتجاهر بإلحادها لا دين يضبطها ، ولا أخلاق تردعها عن فساد أو فسق، وأنت أيضا ملام بشدة ببعدك عن دين آبائك وأجدادك ، ولا تنسى قذارة أمها وتربيتها السخيفة ، وأخي المختفي أو الميت فهو اختفى ملحدا ضالا .

قال : حماتي لا تتدخل في أمرنا .

قال : تأكد أنها تتدخل من تحت إلى تحت ، وما زلت أعتقد أن لها يدا في فقد أخي في مدينة قبرص ، ولعبت لعبة ما .. فكان أخي يتوجس منها خيفة كما همس لي ؛ ولكن يبدو أنها كانت تعمل ضده بجهل وغباء ، فاضطرت أن تعمل نفسها ضحية ، وتكرر زيارتها السنوية حيث فقد بزعم الوفاء والأمل .. كانت لعبة وتحولت لجريمة .. فرغم مرور ربع قرن لم ننس أمره .. فهي تعرف كيف اختفى أو قتل .. وزوجها بلص زكور أيضا شيطان رجيم .. لعبة صارت جدّا ، وأعتقد لإسرائيل يدا فيها .

ـ هل أحزم أمر الطلاق ؟

قال: أنا أرى ذلك، قبل أن تعلن وتفشو فضائحها ؛ ولعلك تجد امرأة تقبل بك.

قال بحدة وسخط: لست بحاجة لامرأة يا أبي ! فلقد تعودت على العيش بدون زوجة حتى يقضي الله أمرا كان مفعولا .. من اليوم سأتوب ، وأباشر الصلاة ، وأعود إلى ما قبل الجامعة ..

أنت لم تقصر في تربيتنا على الدين والأخلاق.

ـ هذا واجب على الأب والأم .. رحم الله أمك كانت أكثر حرصا مني على تأسيسكم دينيا وإيمانا .

ـ رحمها الله كانت تبكي لما انحرفت وتغيرت .. سأدفع لها الطفل يا أبي وأستأجر خادما أو خادمة لخدمتي ومساعدتي.

ـ خادم أحسن لسمعتك .

قال : هذا ما فكرت فيه ، واذا خف السقم أتزوج من جديد .

قال حبيب مواسيا : إن شاء الله .. الأمراض إما أن تزول أو تتضاعف ..والشافي هو الله وحده .. المهم أن تنشط عملك التجاري .. فابدأ بشراء صيدلية أو أكثر في بعنبس وتاج الزمان والأحياء الشعبية ؛ لتعيش حياة طيبة.

ـ أرجو ذلك ، والله الموفق .

قال : دع حملك على الله .. وسامي وزوج أختك نوار رجل فاضل وماهر ومحترم وسيخدمك

ـ هو ما قلت ، سأتحدث معه بعد قضية الطلاق بإذن الله

قال حبيب : وشقيقك سامي ابن سوق ، ولن يقصر معك .. الصبر الصبر يا عصام ، وهو دواء لكل داء!

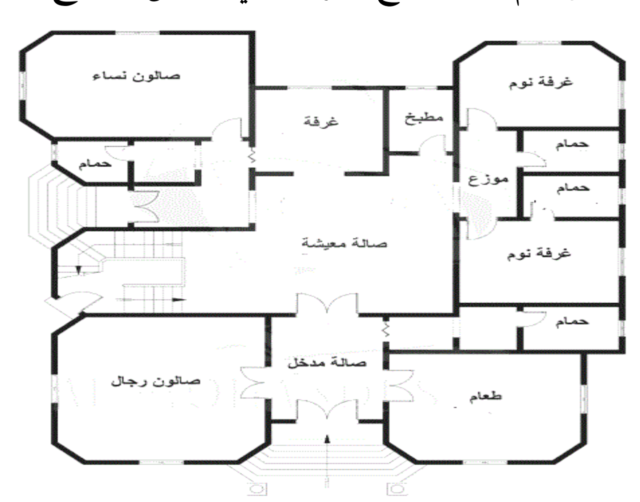
ـ صدقت يا أبي ! زمان ما أصغيت لنصحك وبرك.



جهاز التحليل الطيفي (السبيكتروفوت

لقاء عائلي

اتصل الدكتور عصام بابني عمه جهاد وسالم للقاء خاص حول طلاق وردة بناء على طلبها ، فقد عاش الشابان في رعاية مباشرة من أبيه وفي بيتهم منذ اختفى والدهما ، فلبى المحامي جهاد النداء ،وشقيقه المهندس سالم مدير مصانع وشركات في الداخل والخارج .



عقدت الجلسة في صالة بيت عصام ، وقد رحب بهم ، وعبر لهم عن امتنانه لقبولهم دعوته لمناقشة موضوع وردة .

وكان معه شقيقه المهندس سامي حبيب ، وهو صاحب شركة مقاولات من الدرجة الأولى تملكها عن طريق خاله شقيق أمه خاله مراد يوسف ، وشريكه والد المهندس حسن تنازلوا لهم عنها.

تناول الأربعة طعام الغداء المعد في أحد مطاعم بعنبس الشهيرة والكبيرة في حي بعنبس ، ثم انتقلوا إلى صالة البيت حيث الكنابيات الفخمة والأجنبية ، فعصام يملك هذه الفيلا من قبل الحادث بزمن يسير ، وقد ورث بعض المال عن أمه ساعده في إنشاء هذه الفيلا الحديثة .

قدمت لهم الخادمة المربية الشاي العربي الساخن ، وأشعل المدخنون سجائرهم كسالم وعصام وقال الأخير: مرحبا بكم جميعا ! الموضوع كما قلت لكم على التلفون حول الفراق بيني وبين أختكم الدكتورة وردة .

فقال سالم: سمعنا من قبل أن تحدثنا يا عصام ! وسمعنا أنها تطلب الطلاق منذ عام .. وهذه الأيام شاع الأمر .. وتلح على ذلك ، وهل من حل آخر ؟

قال جهاد بدون اعتبار : امرأة فاسدة حقيقة! أنت ابن عمها وأب ابنها ومبتلى ؛ فكان الأفضل أن تتحمل وتصبر .. تزعم أمام الخواص أنها لا تستطيع الحياة بدون ذكر .. هذا هو السبب المتداول، وهذا تخبرنا به أمنا ، ورددته جريدة الوقحة .

فقال سامي: اهدأ يا أبا عبد الله ! يحق لها طلب ذلك شرعا وعرفا .. وأنت الشيخ الكبير في الأسرة .. الإسلام لا يمنع ذلك .. ليس كل النساء لديهن الصبر عن الرجل خاصة لمن في سنها .. هي من عمر الدكتور خمسة وثلاثون عاما .. ليس كل النساء عمتنا فاطمة .. فأنا فاتحت شقيقي قديما في هذا الأمر الحساس والحرج .. فعصام اليوم ضعيف وغير قادر على الجماع والمباشرة .. وأخبارها وقد سمعتم ببعضها لا تسر ولا تطمئن ؛ فربما كان جهاد يتحدث عنها بقسوة .. يا سالم بنات ٢٠٠٧ لسن كبنات ثلاثين أو أربعين سنة مضت .. فاليوم للأسف تقضي أغلب سهرها ووقتها ليلا مع ابن خالكم دكتور الجامعة .. والناس لها أعين وسمعتنا مطلوبة .. كلنا تهمه سمعتنا .. واليوم أخي عصام أعلن توبته وصار يصلي مثلنا .

قال جهاد مسرورا : حق يا أبا جوهر!

ـ أبي طلب مني ذلك ، وأنا مقتنع بذلك .

قال سالم معبرا عن فرحه : الحمد لله أنك صحوت من غفلتك أخيرا يا ابن عمي ! خبر جميل حقا ؛ لعل وردة تتوب مثلك !

عاد سامي يقول : أمين ! أنتم نوارة العائلة بالتزامكم الديني، فمنذ الحادث الأليم والسيدة تكثر من مرافقة ابن خالها والذهاب للسينما والمسرح والنادي وحتى تجره معها إلى حزبها اليساري الاجتماعي .. وهذا الفعل يثير الريب والشيطان .. فوافق عصام على الطلاق ؛ ولتنكح السيد رشيد علي .. لم يعد الدكتور يحتمل سهرها وتبرجها وعطرها ، وتتركه في البيت

ليلا ونهاره ..قلنا النهار عمل ، ولابد منه .. تخرج مرة ليلا مرتين .. أما كل الأيام فالفراق أفضل يا جهاد .

ـ الطلاق حل!

قال سامي : تحدثت مع أمكم لما اشتكى لي عصام ، قالت لي أمكم إنها لا تستطيع مفاتحتها في حياتها الخاصة ، لم تعد طفلة يا سامي !

قال سالم : هذا صحيح يا سامي ! أنتم تعلمون من هي أختنا وسوء لسانها .. ولا تعمل إلا بما في مخها ، لا تقبل نصحا ولا وعظا ولا إرشادا .. كنت أتعجب من سيطرة عصام عليها .. فمن ناحية جنسية هي شابة ، وهي في سن الشباب ، فتحتاج كما أشرتم إلى رجل .. فهذه الرغبة مجنونة ، ولا يسيطر عليها إلا بالزواج كما هو معلوم .. لا أحد منا أنا أو جهاد يستطيع أن يحثها على الصبر والبقاء ما دامت ترغب بالطلاق .. ماذا سنفعل لها يا سامي ؟! لا تبكي يا عصام سيعوضك الله خيرا منها ـ إن شاء الله ـ عصام يا حبيبي كن قويا ! هذا قدر الله، وصدق مع أنها أختي ؛ لكنها لا تساوي عندي بصلة .. والخيرة فيما يختاره الله لك .. ستلمس ذلك بعد حين .. ستشفى بإذنه تعالى .. كن مع الله وستنتصر .

ـ لم أستطع كظم دموعي .. هل يستطيع رجال اليوم تأديب النساء ؟

قال جهاد : أنا حزين من أجلك يا عصام ! أنت تعلم سوء علاقتي بزوجتك وتعتبرني متخلفا معقدا ؛ لأنني مطلق لحيتي هذه .. وأني رجعي ، والقاب لا أدري من أين تأتي بها ؟ ولم يعد لدينا قدرة على نصحها ، ولو بالتي هي أحسن .. مشكلة الغرور والمغرور .. كلامي وبس .. أنا لي شهر إن لم يكن أكثر لم أسمع صوتها .. وقبل زمن يسير ضربت على رقم الخلوي الخاص بها أقفلت الخط ، قلت مشغولة لما تنهي ما بيدها ستتصل .. كان عامل معنا امرأته حامل ومحتاج لمساعدة .

علق سامي : لأنك باختصار متدين ، وهي من غير دين .. أليس هذا هو السبب الحقيقي ؟

ـ أكيد هذا السبب ،لا تحب سماع الكلام عن الله والإسلام والرسول ﷺ ، هؤلاء الحمقى

يظنون أنهم أفهم وأعلم من النبي ﷺ ، كان عمر يحكم دولة شاسعة شرقا وغربا ، يحكمها بالعدل والشورى ، وليس هناك برلمان وقاعات اجتماعات وندوات ودفاتر ومترجمون .. نحن في نظرها سفهاء وجهلاء .. أما أفكار لينين ونيتشة وانجلز وفلاسفة أوروبا هم العقل الكامل .. مرة أو مرات سألتها ما تقصدون بيساري اجتماعي .. وأنتم لا تهتمون بصلاح الأسرة .

قال سامي : تسمع منها ، ومن غيرها كلام فارغ لا معنى له.

قال سالم : هي شكلت أو دعيت للحزب مع عدد من منظرات الحركة النسوية من أيام الجامعة .. حزب فارط ومؤسسة الحزب دكتورة نبيلة مزم أسوأ مثال للمرأة العربية ، حولها رجال شهوانيون ، لا هم لهم إلا أجساد النساء والإباحية ، لقد هجرت الحزب عدة نساء ، وفضحن خبايا هذا التجمع الخبيث .. سوالفهن عن الحرية للبنات في الفواحش ، وعقاب الأزواج الذين يضربون النساء والأطفال ، ويساري يقصدون الاقتصاد للجميع ، فهم يجمعون بين أفكار الشرق الملحد كروسيا والصين ، وأفكار الغرب في حرية النساء .. يزعمن كما قرأت عنهن أنهن ضد العنف الأسري .. كلنا ضد العنف الأسري والإيذاء .

قال جهاد مكملا ساخرا : يعني انحلال دون معاقبة .. باسم أنا حر .. علاقة دون زواج صحيح .. فساد وإباحية.

قال سامي: إلى حد كبير .. محامي جهاد .. ونحن لا يهمنا أفكارهم وجهلهم وإباحيتهم .. فالدكتور عصام أراد مشاورتكم بطلاق أختكم حتى لا يذهب الود بيننا بسبب هذه القضية .. والدكتور مرغم على اتخاذ هذا القرار ، ولا نخسر علاقتنا بالانفعال ، ويبقى الحب والنبل بيننا خاصة أنتما!

قال المهندس سالم : نحن لا نستطيع منع الطلاق ، فلا طاعة لنا على وردة ، ولا سلطة .. نحن لو نستطيع منعه فعلنا ؛ لكن ما دمت يا عصام قبلت به فنحن معك .. وأنت شريف لا تحب الفضائح .. وهي ترغب به وبالذرية كما تشيع .. وسمعت من جريدة مثل هذا الكلام ؛ لكن كيف ستعيش في هذه الفيلا الجميلة بدون زوجة تشاركك السرير والطعام والغسيل؟

قال بحزن بين : أنا بعد حين أبحث عن أرملة تخدمني مقابل صرفي عليها وعلى أطفالها اذا وجدت ..وسأستأجر خادما يعمل على خدمتي .. وأبي وافق على مساعدتي لفتح مشاريع استثمار دون مباشرة للعمل .. وسيكون ابني معها ؛ ولتتزوج رشيد علي اذا كان محبا لها حقا.

قال جهاد : نرجو لك التوفيق والثبات على التوبة والصبر على البلاء يا عصام ونحن معك أكثر من أختنا .. أنت عزيز علينا!



الطلاق

قبلت العائلة الفراق بين عصام حبيب ووردة نجيب بعد عشر سنوات زواج ، نتج عنه طفل واحد فقط ، وعمره خمس سنوات ونصف.

وكما تلي في القرآن قضي الأمر الذي فيه تستفتيان .. تنازلت وردة بموجب الاتفاق على الطلاق عن مؤخر صداقها ؛ كما كتب في العقد الشرعي الذي ربط بينهما ، فالعقد الشرعي الموثق في المحاكم الشرعية في البلاد الإسلامية يقسم المهر فيه إلى ثلاثة أقسام أو اثنين ، مقدم الصداق ، ومؤخر المهر ، وتوابع المهر من أثاث وطلبات مباحة .. حصلت على قسيمة الطلاق برضا العائلة .

كانت وردة قبل الاحتفال بقضية الطلاق قد تملكت شقة في شارع من شوارع بعنبس ، حي المحطة ، وسمح لها عصام بأخذ ما تشاء من أثاث الشقة ؛ لكنها اكتفت بأخذ ثيابها وعطورها وكتبها وأدوات تبرجها ، وبعض التحف الخاصة بها والهدايا .

ولما تسلمت وثيقة الطلاق من كاتب المحكمة قالت لعصام وشقيقه والمحامي الذي أشرف على معاملة الطلاق : لا تعتب عليّ يا أبا جوهر ! أنا تحملت ثلاث سنين ، لم يبق لديّ صبر .. عليك أن تعذرني في رغبتي بالطلاق.. ولما تشتاق وترغب برؤية جوهر اتصل بي .. اعتقد أن رقمي سيبقى على تلفونك .. فنحن أبناء عم وأقارب .. فأنت أبوه وأنا أمه .

ـ لا بأس ، أتمنى لك حظا طيبا ، وزوجا طيبا وأحسن مني .. وكما قلت نحن أقارب وأبناء عمومة .

ـ شكرا لك ، شكرا سامي ، والشكر أيضا للمحامي عدنان ؛ ربما كانت أسهل قضية طلاق لديك يا أستاذ عدنان!

ـ فعلا يا دكتورة ! التفاهم دائما يسهل حل المسائل.

ركبت سيارتها ولوحت بيدها مودعة ومتجهة إلى العيادة الخاصة ، وهي تكاد تطير من الفرح بالخلاص من الرجل العليل ، كانت عيادتها في مجمع زهرة الربيع وسط بعنبس ، وأثناء

الطريق رنت على رشيد أستاذ الاقتصاد في جامعة عرب بعنبس ، اتصلت مخبرة بحصولها على قسيمة الطلاق الرسمية ، وعليهم الاحتفال الليلة بهذه المناسبة في أهم وأحسن مطعم في المدينة فرحب رشيد بهذه الدعوة ، وبارك لها الطلاق ، وتحدث عن طلب يدها بعد انتهاء العدة المشروعة والمفروضة بالقانون ، والتي تمتد ثلاثة أشهر كما أخبرها القاضي ، والقانون يلزمها بذلك ، ولا يستطيع العقاد أن يعقد عقدا قانونيا قبل انقضائها .

فلما تحدث عن الخطبة قالت ساخرة : أنت على قد الزواج يا رشيد من وردة!

ـ وهل أنت تختلفين عن جنس حواء يا جميلة ؟!

ـ فكر جيدا خلال هذه الشهور .

قال : سأكون محظوظا اذا حصل ؛ لعلي أتوقف عن الرحيل والترحال وملاحقة الحسان والجمال .

ـ يقولون من شب على طبع شاب عليه.

قال : الإنسان يتغير .. أنا ابتعدت عن الزواج لمثل هذا الأمل .

ـ إلى اللقاء الليلة .

استدرك فقال : لماذا لا نتعشى في شقتي أو شقتك ؟

ضحكت وقالت : أنا عصفورة تعشق الحرية ، وتكره القفص والشقة .. نلتقي ليلا ..أخشى أن يتطور العشاء إلى مغازلة .. هل ما زلت تتعاطى أدوية ومنشطات في حياتك ؟

ـ لا غنى عنها اليوم لإرضاء رغباتهن .

قالت : إلى الملتقى أيها الغزال ويا حبة العين .



جلست وردة ليلا في مقهى النادي الأدبي التابع للجامعة الفرنسية في بعنبس ، وبقربها الدكتور رشيد وامرأتان يعرفهما رشيد قليلا بحضوره بعض ندوات وردة وحزبها المجهول" العصبة النسائية" هكذا اسم الحزب اليساري الاجتماعي .

هاتان المرأتان من حزب العصبة المنشق عن حزب "نهضة المرأة العربية" حزب علماني، فكره الاقتصادي يميل لليسار والاشتراكية ، واجتماعي يدافع عن حرية المرأة على طريقة النظم الغربية ، ويحمل أفكار ومعاهدة التمييز ضد المرأة التي صدرت عن الأمم المتحدة سنة ١٩٧٩ ويشار إليها باسم سيداو .

وبعض الصحف تسميه حزب المطلقات ؛ لأن مؤسسة الحزب مدام نبيلة مزم طبيبة محاضرة في كلية طب الجامعة ، وعملت في مستشفاها ، وهذه الأنثى طلقت مرتين ، وهي الآن بدون زواج ، ويغلب على الحزب الفتي النساء ، وأكثرهن مطلقات وعوانس ، وتعرفت عليها وردة أثناء الدراسة ، واقتنعت بأفكارها المختلطة والمتناقضة ، المهم حرية المرأة وعدم تعرضها للضرب والإهانات .

ففي هذه المعاهدة المنتشرة سيداو المادة رقم ٢ : تنص هذه المادة على أن كل الدول التي تصدق على هذه المعاهدة يجب عليها إظهار نيتها الحقيقية للمساواة بين الجنسين في دساتيرها المحلية ، وأن يتم إلغاء كافة القوانين التي تسمح بالتمييز بناء على الجنس ، وأن تسن هذه الدول قوانين بهدف الحماية من أي تمييز يتم ضد المرأة ، الدول المُصدقة على الاتفاقية يجب عليها إنشاء محاكم ومنظمات مجتمعية بغرض ضمان حماية فعالة للمرأة ضد أي ممارسات تمييزية ، ويجب عليها أيضًا إتخاذ خطوات حقيقية تجاه الأفراد، والمؤسسات، والمنظمات التي تمارس التمييز ضد المرأة .

وأما المادة رقم ٦ : فتتضمن هذه المادة إجبار كافة الدول المشاركة في الاتفاقية «أن تتخذ كافة الإجراءات اللازمة - متضمنًا تشريع القوانين - للحد من جميع أشكال الإتجار بالمرأة

واستغلال المرأة في البغاء القسري .

ورقم عشرة من المعاهدة : من متطلبات المشاركة في هذه الاتفاقية توفير فرص تعليم متساوية بين الطالبات والطلبة ، وأيضًا التشجيع على التعليم المشترك المختلط ، مدارس للفتيات والفتيان معًا ، وليس لكل جنس منهما مدارس مستقلة بذاتها .

كما تتضمن توفير فرص متساوية بين الجنسين للألعاب الرياضية ، والمنح ، والمكافآت وأيضًا تطلب العمل على خفض معدلات الانقطاع عن الدراسة لدى الفتيات .

ومن أبرز البنود التي ترفضها مؤسسات شعبية إعطاء المرأة حق التصرف في جسدها، والتحكم في الإنجاب عبر الحق في تحديد النسل والإجهاض، وإلغاء العدة للمرأة (بعد الطلاق أو وفاة الزوج)، لتتساوى بالرجل الذي لا يعتد بعد الطلاق أو وفاة الزوجة.

وتمنع الاتفاقية تعدد الزوجات ، من باب التساوي بين الرجل والمرأة التي لا يسمح لها بالتعدد وإلزام الدولة الموقعة عليها بإبطال جميع الأحكام واللوائح والأعراف التي تميز بين الرجل والمرأة من قوانينها، حتى تلك التي تقوم على أساس ديني مهما كان مسمى الدين .

كان رشيد يمني النفس بالزواج من ابنة عمته بعد فشل زواجها من ابن عمها ووالد ابنها ، فكانت هذه العدة الشرعية ؛ كأنها جبل أمامه ، ويظن أن زواجهما سيحدث فور انتهاء الأشهر الثلاث أو الحيضات الثلاث ، ويتحقق الحلم الذي انتظره أكثر من عشر سنوات .

فلما بدأ يرشف القهوة التفت إليها وقال: لي فترة أرى هذا الشاب معك هنا وهناك في النادي وغيره ما اسمه ؟

ابتسمت ابتسامة ماكرة وقالت: إنه وائل زياد !

قالت فاتن المرافقة لهم : هذا يا حضرة الدكتور سكرتير الجمعية أو حزبنا ، وهو طبيب مثل وردة ، فهو مساعد الدكتورة نبيلة زعيمة الجمعية .. هل دعوت يا دكتورة السيد رشيد لمؤتمر الحزب القادم ؟

قالت فكيهة : لماذا لا تنضم لحزبنا يا دكتور ؟.. أنت رجل حر وأكاديمي ومناصر للنساء

ضد المتدينين الوحوش ، وضد المتخلفين.

ـ أنا لي حزبي .

ـ سمعت أنهم طردوك بعد قضية تلك الطالبة التي فضحتك وشهرت بك.

ـ لم يطردوني يا دكتورة !.. حذروني وابعدوني عن الهيئة المركزية للحزب .. وابتعدت عن اجتماعاتهم الشهرية .. المهم أن هذا الدكتور يزعجني حضوره يا وردة وأتضايق من غزله الوقح لك !

قالت وردة مستفزة له : لا تنسى أني أطرب من سماع الغزل والكلام الجميل منك ومن غيرك .. فهذا الطبيب صديق من أيام الجامعة ، وهو مختص في طب الأطفال وهو نشيط في الحزب ، ويدافع عن العصبة بقوة وذكاء ضد كل المناوئين ، ويرد على شبهاتهم واتهاماتهم .. ومدافع أول عن حق النساء بالعيش بدون زواج شرعي ، واتخاذ الأطفال دون ولادة .

ـ هذا كله لا يهمني ، الذي يزعجني اهتمامه بك وبلباسك وجمالك وعطرك وشعرك وصالونك .

قالت فاتن: ولماذا أنت منزعج من اهتمامه ؟

قالت وردة بسخرية : الدكتور يا فاتن ! راغب بالزواج مني ، مع أني لا أفكر بالزواج .. سأعيش مثلكن .

قالت فكيهة : هو متزوج يا دكتور !

ـ هو أكيد مطلق مثلكن .

ـ نحن عندنا الطلاق فضيلة ، ودليل على فشل نظام الأسرة الساري والمعمول به في بلادنا .

ـ أنا لم أجرب هذا النظام لليوم ، فلا أستطيع التعليق عليه.

قالت وردة: هو درس معنا ، والتحق بالحزب فور تأسيسه منذ سنوات.. وهو صديق عزيز عليّ يا رشيد .. ونحن لا شيء بيننا لتغار منه ؛ كما يبدو من كلامك ونظرك .. وصدق لم أحسم أمر زواجي منك أو من غيرك .. وهو مثلك يرغب بإقامة علاقة حميمية معي بزواج

ودون زواج .

ـ لاحظت ذلك منذ ظهوره في سهراتنا .. أراه كالكلب يحوم حولك .. اذا تواعدنا في النادي أراه أمامي .. في المسرح في السوق حتى كدت أفقع منه وأطق.

قالت فكيهة : هو رشيد يرغبك زوجة .

ـ هو صديق عزيز وغالي ، وابن خالي ، وحبي الأول قبل زواجي من عصام ، هو حبيبي الحقيقي ، وقد يكون رشيد هو الذي دفع عصام للخلاص مني.

قالت فاتن بمكر وخبث : علمنا أن السبب سبب آخر .

ـ هو السبب يا فتون ! كثرة خروجي والتقائي برشيد في أماكن مختلفة سرّع الأمر

ـ وهل سيكون هو الزوج ؟

قالت : لم أحسم الأمر ، ولم أعد أحدا بزواج .. وأنا أفضل أن أقوم بعلاقات عابرة بين الفينة والأخرى كأيام الدراسة .. ولست بحاجة لزواج لارتباط وغيرة وطلاق من جديد .. كما تفعلن أو كما تفعل الكثيرات من نساء العصبة .. فالطلاق عقدة ودمار لنا .. وأنا تركت عصاما كما تعرفن ، ويعرف رشيد ؛ لأنه عاجز عن الجنس والجماع .

قالت فكيهة: نظام الأسرة اليوم فاشل .. أين كنت ؟ أين ذهبت ؟ مع من نمت ؟ والتعليقات الشنيعة والوقحة ؛ كأن الأزواج أطهار وأشراف ، ولا يغازلون النساء ولا تكاد أعينهم تكف من البصبصة ، وهم ليل نهار يشاهدون أفلام البرنو والصور العارية ، ويتابعون أخبار الفضائح الجنسية والنسائية بشره وشغف ..المغنية فلانة فعلت كذا ، والممثلة صورت فلم إباحي .

قال رشيد معقبا : ولماذا يا حسناوات العصبة والحرية تتبرج النساء في الجامعات والشوارع والأسواق ؟! فهل نغلق أعيينا عن زينتهن وعريهن ؟! ولماذا يقمن بتصوير أبدانهن وعريهن؟! أمن أجل أن تنظر النساء إليهن؟! أنت عندك حرية أكثر من المعتاد يا سيدة فكيهة!

ـ هذا هو الواقع يا سيد رشيد .

نادت الحركة النسوية العالمية بعد فترة الستينيات إلى شعار مؤداه "أن المرأة تملك جسدها" وهذه الدعوة الخطرة تقتضي أموراً منها الدعوة للإباحية الجنسية ، ولا تسمى العلاقة خارج عقد الزواج زنى وفاحشة ، ومن المشكلات التي خلفتها هذه الظاهرة أمهات غير متزوجات ، وأغلبهن في أعمار المراهقة ، ومنها أيضًا التبرج الشديد والتعري .



جهاز تنفس اصطناعي الكتروني

العلاج

أنهى عصام الطبيب علاقته مع شريكه في العيادة المشتركة أيضا ،وحل محله طبيب آخر ، ودفع له مبلغا من المال قبله ، وخلال أسابيع يسيرة امتلك صيدلية متوسطة الحجم في أحد شوارع بعنبس بمساعدة من شقيقه سامي ، وزوج نوار شريك سامي في شركة المقاولات العالمية المهندس حسن .

وكان الطبيب الفرنسي الذي حدثه عنه صديقه المهاجر ناصر عواد قد رأى الصور الطبية والتقارير الطبية ، وطلب منه القدوم والسفر لباريس للمعاينة الحية ، والقيام ببعض الفحوص والصور ، فرتب له سامي وحسن زوج أخته نوار الطبيبة العاملة في مستشفى الجامعة الأوراق والحجز .

وكان عصام قد بدأ يقرأ في كتب الإسلام منذ حسم أمر الفراق من قرينته، وتعلم الصلاة الصحيحة عن طريق ابن عمه المحامي جهاد ، وساعده في فهم الإسلام الصحيح ، فهناك تشويه متعمد للدين من الكفار والملحدين، ومن أبناء المسلمين الجهال ، نوساعده في دفع الشبهات ووصم الإسلام بالعنف والإرهاب؛ كما يزيف الكفار والعلمانيون من أفراخ الغرب والإلحاد .

وكان جهاد المحامي يزوده بالكتب البسيطة والصغيرة عن تعاليم الدين الحنيف وكل بداية حقيقية تكون صعبة ، وتحتاج إلى مجاهدة ؛ ولكن صدق النية والتوبة والعزيمة يسهل ويهون العودة إلى دين الله الخاتم .

تعلم مسائل مهمة في العقيدة والصلاة والطهارة والغسل من الجنابة والوضوء وحضور الجمعة ؛ كما كان يفعل يافعا قبل دخول كلية الطب والالتقاء بأصحاب الفكر المنحرف من ملحدين وإباحيين حتى ضل الطريق .

توجه عصام حبيب إلى باريس في أوروبا ، واستقبله زميله أيام الجامعة الدكتور الفازياني ناصر عواد الطبيب المهاجر إلى الغرب .

وقام رفيقه بالسعي معه إلى طبيب وجراح الأعصاب الفرنسي ، وتنقل بين عيادة ومختبرات اختصاص أمراض الأعصاب والدماغ والعظام والتجبير ، وقضى شهرا بين الفندق والمراكز العلاجية والصحية والتصوير ، وفي النهاية أخبره الفرنسي الطبيب أن العلاج ممكن ، وأن نسبة الشفاء من آثار الحادث كبيرة ، ورتب معه موعدا في العام القادم ٢٠٠٨ ، وذكر له أسماء أدوية أوروبية عليه أن يتعاطها ويداوم عليها قبل عودته لفرنسا .

وعاد إلى أرض بعنبس ، وكله أمل في العافية والشفاء ، وموقن بأن الشافي الحقيقي والأول هو الله ﷻ ، وأن هؤلاء الأطباء والأدوات من الأخذ بالأسباب .

وفور وصوله للبلد سافر مع جهاد والأسرة لأداء العمرة ؛ كما اتفق ورتب معه من باريس ؛ حيث كانوا على اتصال دائم .

تعرف عصام على بلاد الحرمين المكي والمدني بصحبة ابن عمه جهاد وسامي وحسن زوج أخته نوار حبيب ، الطبيبة في مستشفى الجامعة التي تعلمت فيها .

كان يقضي جل وقته في الحرم المكي يقرأ القرآن ، ويتنفل ويظهر توبته وندمه ويتأسف على الأيام التي أضاعها في الجاهلية والسفه ، ويدعو ربه أن يقبل توبته ، ويثبته على طاعته ، ويطهره من أدران الإلحاد والتيه والجهل .

ورجع للبلد منشرح الصدر ، متخفف من الماضي المؤلم ، نادم على الأوقات التي قضاها في مجالس الغناء والشراب والإباحية ، ويشكر ربه على توفيقه للتوبة والأوبة ، وبارك لوالده الذي شجعه ووجهه إلى الدين ، الوالد بدوره تمنى له الثبات والشفاء ، ودعا له بكل خير وفلاح ، وأن يستغيث بربه في كل حين ،وفي ثلث الليل الآخر خاصة ، وعصر الجمعة ، وأن يشفيه ويرزقه الزوجة الطيبة والذرية الصالحة قبل الذهاب إلى باريس العام القابل .

وكان كلما اشتاق لجوهر يتحدث وينسق مع وردة ، فتذهب المربية اليونانية الأصل به لرؤية أبيه ، فيتناولان الطعام ، ويلعب معه حتى المساء ، ويغادر إلى شقة أمه .

في العام ١٩٩٤اقيمت السلطة الفلسطينية ، وتسلمت حكم بعض مدن الضفة الغربية وقطاع غزة ، زاد الشرخ بين حماس وفتح بتنفيذ السلطة حملات اعتقالات واسعة ، تركزت على قيادات حركة حماس وعناصرها وجهازها العسكري بعد كل عملية ضد الاحتلال.

فكانت فصائل الجهاد التي برزت على الساحة أثناء الانتفاضة الأولى في حرب مستعرة مع الجيش الإسرائيلي ، تشتد وتسكن ، وكان من نتائجها ظهور سلطة أوسلو إلى الساحة الفلسطينية .

وفي ٢٥ شباط عام ١٩٩٦ أعلنت الأجهزة الأمنية التابعة للسلطة عن قيامها بأوسع حملة اعتقالات ضد عناصر حركتي حماس والجهاد الإسلامي في الضفة الغربية وقطاع غزة ، واستمرت عدة أشهر ، وقد تزامنت الحملة مع حملة مداهمات للاحتلال ، ولم تتوقف حملة السلطة على نشطاء حماس والجهاد ؛ وإنما وصلت حتى القيادة السياسية للحركة ، فاعتقلت الأجهزة الأمنية التابعة للسلطة عدة قيادات في حماس على رأسها الرنتيسي من كبار زعماء الحركة ، وقد أعلن قائد شرطة غزة آنذاك "أن قواته عاقدة العزم على تدمير الهياكل المدنية لحماس فضلاً عن جناحها العسكري " وصل عدد المعتقلين إلى أكثر من ٩٠٠ معتقلا .

٢٨ أيلول ٢٠٠٠ بدأت انتفاضة الأقصى ، ومع بداية الانتفاضة الثانية توقف الاعتقال ، وشكل انطلاق انتفاضة الأقصى مرحلة جديدة من النضال ، إذ توحّد الفلسطينيون ضد الاحتلال ، وشرعوا في حوارات داخلية انتهت باتفاق القاهرة بين الفصائل في آذار ٢٠٠٥ .

في أول العام ٢٠٠٦ نظمت ثاني انتخابات تشريعية فلسطينية ، واهتم بها العالم ، وهي أول انتخابات شاركت فيها جماعة حماس والتيار الإسلامي التي حققت مفاجأة كبيرة ومهمة بحصد أغلبية المقاعد في المجلس التشريعي ، ليسارع قادة في حركة فتح إلى التصريح بأنه من العار على فتح المشاركة في حكومة تقودها حماس في حين دعا الرئيس الذي خلف عرفات الحكومة القادمة إلى الالتزام باتفاقات منظمة التحرير الفلسطينية ، وأهمها الاعتراف

بدولة إسرائيل ونهج السلام.

رفضت الفصائل العلمانية المشاركة في حكومة حماس ، شكّلت الحركة حكومتها برئاسة إسماعيل هنية في آذار ، الحكومة الإسلامية الفائزة في انتخابات المجلس التشريعي قوبلت بحصار إسرائيلي مشدد عرقل عملها، وبمحاولات فتحوية داخلية للإطاحة بها من خلال سحب كثير من صلاحياتها ، وإحداث القلاقل الداخلية والانفلات الأمني طوال عام ٢٠٠٦.

ونظرا لرفض الأجهزة الأمنية التي صنعتها اتفاقية أوسلو التعاطي مع الحكومة الجديدة والانصياع للقيادة الجديدة ، شكّل وزير الداخلية آنذاك سعيد صيام قوة مساندة تعرف بـ"القوة التنفيذية"، لكن حركة فتح شنت عليها حملة واسعة وصلت لحد الاصطدام مع الأجهزة الأمنية الأخرى، وذلك بالتزامن مع حملة اغتيالات في غزة.

وفشلت وساطات عديدة في تهدئة الأوضاع ، فقد قُتِل نتيجة الانفلات الأمني خلال الفترة المتراوحة بين كانون الأول وتشرين الثاني ٢٠٠٦ نحو ٣٢٢ فلسطينيا منهم ٢٣٦ في قطاع غزة و٨٦ في الضفة الغربية.

دعا الرئيس عباس إلى عقد انتخابات أخرى لمجلس تشريعي فلسطيني جديد ، لكنّ عددا من قيادات الفصائل الفلسطينية في دمشق رفض الدعوة ، وانفجرت الأوضاع مجددا ، وتعرض وزير الداخلية سعيد صيام لمحاولة اغتيال فاشلة في العاشر من كانون الثاني ٢٠٠٦ استهدف الدكتور إسماعيل هنية بمحاولات اغتيال ـ فاشلة ـ اثنتان من حركة فتح ، وواحدة من الاحتلال الإسرائيلي.

ففي عام ٢٠٠٣ وبعد عملية استشهادية قام الطيران الصهيوني بغارة إسرائيلية لاستهداف قيادة حماس وجرح هنية في يده ، أصيب بجروح طفيفة إثر الغارة الإسرائيلية التي استهدفت مؤسس الحركة أحمد ياسين.

وفي ٢٠ أكتوبر ٢٠٠٦ عشية إنهاء القتال بين فصائل فتح وحماس، تعرض موكبه لإطلاق نار

في غزة ، وتم إحراق إحدى السيارات ، لم يصب هنية بأذى .
وقالت مصادر في حماس أن ذلك لم يكن محاولة لاغتياله ، وقالت مصادر بالسلطة الوطنية الفلسطينية أن المهاجمين كانوا أقرباء ناشط من حركة فتح قتل خلال الصدام مع حماس.
في ١٤ ديسمبر ٢٠٠٦ مُنِع من الدخول إلى غزة من خلال معبر رفح بعد عودته من جولة دولية ، فقد أغلق المراقبون الأوروبيون المعبر بأمر من وزير الأمن الإسرائيلي عمير بيرتس ، وتعرض في ١٥ ديسمبر ٢٠٠٦م لمحاولة اغتيال فاشلة بعد إطلاق النار على موكبه لدى عبوره معبر رفح بين مصر وقطاع غزة؛ الأمر الذي أدى لمقتل أحد مرافقيه وهو "عبد الرحمن نصار" البالغ من العمر ٢٠ عاماً وإصابة ٥ من مرافقيه من بينهم نجله "عبد السلام" ومستشاره السياسي أحمد يوسف ، واتهمت حماس قوات الحرس الرئاسي قوات أمن الـ١٧ التابعة لـحركة فتح بقيادة محمد دحلان التي تسيطر على أمن المعبر آنذاك.
في ٢٨/ ٧/ ٢٠١٤ وأثناء معركة العصف المأكول قصفت طائرات الاحتلال منزله في مخيم الشاطئ للاجئين الفلسطينيين غرب مدينة غزة بعدة صواريخ أدت إلى تدمير المنزل كليا، وسيأتي السرد عن هذه الحرب . وقعت حماس وفتح على ما بات يعرف بـ" اتفاق مكة"في شباط ٢٠٠٧، وكلف الرئيس محمود عباس ، إسماعيل هنية بتشكيل الحكومة "حكومة الوحدة الوطنية"، إلا أن الاتفاق فشل بعد عدة أشهر رغم الأجواء الإيجابية التي رافقت الإعلان عنه. بعد اتفاق مكة بأسابيع تجددت الاشتباكات بين مسلحي فتح وحماس، وهو ما انتهى بسيطرة حماس على قطاع غزة فيما عرف باسم "الحسم العسكري"، ليتحول الانقسام الجغرافي إلى انقسام سيطرة سياسية كامل يوم ١٤ حزيران ٢٠٠٧ م. واستخدم مصطلح صراع الأخوة للصراع في غزة بين القوة التنفيذية المؤلفة من عناصر كتائب عز الدين القسام ، الذراع العسكري لحركة المقاومة الإسلامية حماس من جهة وبين قوات الأمن التابعة للسلطة الوطنية الفلسطينية، حيت تتمتع فتح بنفوذ قوي فيها من جهة أخرى.
أحتدم القتال بينهم في منتصف شهر أيار من عام ٢٠٠٧ ، واستمرت عمليات القتل والخطف

المتبادل بين الجانبين حتى ١٤ حزيران سنة ٢٠٠٧ حين سيطرت حماس على كل المواقع الأمنية في قطاع غزة الذي وقع بذلك تحت السيطرة الكاملة لحماس، كما فرَّ قادة الأجهزة الأمنية وأعضاء من فتح إلى الضفة الغربية ومصر وإسرائيل عن طريق مراكب أبحرت من مقر الرئاسة الفلسطينية . شكّلت الأجهزة الأمنية التابعة للسلطة الفلسطينية والتي توالي حركة فتح حجر الزاوية في الفلتان الأمني الذي شهده قطاع غزة قبل أحداث الرابع عشر من حزيران عام ٢٠٠٧.

ووصل القتل العشوائي في شوارع القطاع على اللحية وعلى الهوية، كما تسبب تردي الأوضاع الأمنية في إغلاق كل الشوارع والمحلات وتردي الحالة الاقتصادية. وفي رام الله أعلن الرئيس الفلسطيني إقالة حكومة هنية ، وكلّف فياضا بتشكيل حكومة جديدة ، وقد رفضت حركة حماس على لسان الناطق باسمها تكليف فياض تشكيل حكومة طوارئ واعتبرته "انقلابا ضد الشرعية وتجاوزا لكل القوانين الفلسطينية"،وقال إسماعيل هنية : إن حكومته جاءت «بإرادة شعبية ديمقراطية» ، وأنها «ستمارس عملها ولن تتخلى عن مسؤولياتها»، ووصف القرارات التي اتخذها الرئيس الفلسطيني بإقالته وإعلان حالة الطوارئ في الأراضي الفلسطيني بأنها «قرارات متسرعة»، وأكّد أن حركة حماس لا تعتزم إعلان دولة في قطاع غزة ، وأوضح أن «قطاع غزة جزء لا يتجزأ من الوطن الفلسطيني العزيز وشعبنا في القطاع جزء لا يتجزأ من شعبنا في كامل أماكن وجوده ، واستمرت الأمور بحكومتين واحدة في الضفة وأخرى في غزة. شكّلت المعركة ذروة الصراع بين فتح وحماس، وتركزت على النضال من أجل السلطة ، بعد أن فقدتها حركة فتح في الانتخابات البرلمانية لعام ٢٠٠٦.

نجح مقاتلو حماس في السيطرة على القطاع والإطاحة بمسؤولي فتح ، واستتب الأمن إلى حد كبير في القطاع . قدرت اللجنة الدولية للصليب الأحمر أن ما لا يقل عن ١١٦ شخصاً لقوا مصرعهم أثناء الصراع ، وأصيب أكثر من ٥٥٠ خلال خمسة أيام من القتال.

عارف تزوج امرأة ولدت له نجيبا ، وبعد سنوات لما رأى عجزها عن الحمل تزوج امرأة ولدت سعيدة وفاطمة ثم حبيبا .

تعلم نجيب الطب في الجامعة الأمريكية في بيروت التي أسست في القرن التاسع عشر كقاعدة أمريكية ؛ لنشر التنصير بثوب العلم ، وعمل طبيبا بشريا عاما في بيروت بضعة شهور ، ورجع لبعنبس ، وتخصص في طب العظام والكسور .

رجع لبيروت قبل هزيمة عام ١٩٦٧ من رام الله هاربا من مخابرات الصهيونية ، وفي مطلع عام ١٩٧٢ بينما كان يوما في العيادة كالعادة ، أحضرت مصابة في حادث سقوط أدى إلى كسر في القدم اليسرى ، فقام بالعلاج ، وجبر القدم بالجبس ، وعالج الرضوض ، وكانت هذه الفتاة طالبة متخرجة حديثا من جامعة تركية قدمت ووالدها لزيارة أقارب لها يعيشون في لبنان ، وهي من أهالي بعنبس مسقط رأسه ، وأهلها من أغنياء تلك البلاد ، فأحبها وتزوجا بموافقة والدها الذي كان برفقتها فرجع إلى بلده بها إلى بعنبس ، وكان الزواج الذي أثمر عن خمسة أبناء ، ولم يكن قد تزوج من قبل .

كان عمره عند الزواج خمسا وثلاثين سنة ونصف ، وهي تصغره بأقل من عشر سنوات ، وكان مولد الطبيب نجيب عارف ١٩٣٦.

منطقة الشرق الأوسط منطقة ساخنة ومتفجرة منذ دخلت الحرب الكونية الأولى نشبت فيها الثورة العربية في الحجاز والشام ، وخضعت للاستعمار الغربي ، واستمر حتى الحرب الكونية الثانية ، فانحسر الاستعمار العسكري ، وتكونت دول كثيرة ، وفي عام ١٩٤٨ أنشئت دولة إسرائيل الصهيونية على تراب الساحل والسهل الغربي لفلسطين حسب تقسيم الأمم المتحدة التي أسست بعد الحرب الكبرى ، وضمت الضفة الغربية للأردن في نيسان ١٩٥٠، وضمت غزة الصغرى إلى مصر.

ومن نتائج النكبة ١٩٤٨ إقامة دولة إسرائيل ، وتشرد مليون عربي في مدن فلسطينية وعربية ،

وظهرت عشرات المخيمات الفلسطينية للتاريخ .

أسس العرب منظمة التحرير الفلسطينية عام ١٩٦٤ لتحرير فلسطين ، وناطقا رسميا باسمهم ، وبعدها ظهرت على الأرض حركات نضالية فلسطينية كانت تعمل بالخفاء للعلن وتناوئ وترفض خط المنظمة ، فظهرت حركة فتح وغيرها من الحركات اليسارية الفلسطينية هزم العرب والمنظمات مرة أخرى بما يسمى حرب الأيام الستة ١٩٦٧؛ حيث تمكنت إسرائيل احتلال سيناء المصرية ، وقطاع غزة الجزء الباقي من منطقة غزة ، وجبال الجولان السورية ، والضفة الغربية الجزء من المملكة الأردنية ، واختفت فلسطين التاريخية .

كان نجيب قد فتح عيادة خاصة في منطقة رام الله قرب مخيم الجلزون قبل هزيمة ٦٧ ، وهو عضو مهم في فصيل فلسطيني شيوعي ، وصدم كغيره من المثقفين العرب بالهزيمة .

كان الشاب قد لحق بإحدى الحركات اليسارية الصغيرة العاملة بالضفة بأمر قيادي من بيروت ؛ حيث تنشط مجموعته الثورية ، وكان عينا لهم عن طريق العيادة ، فقد جنده قريب له للعمل معه لمناهضة النظام الأردني .

حدثت معركة الكرامة في غور الأردن الأوسط ، وظهرت أجنحة عسكرية للتنظيمات اليسارية . رحلت الفصائل الفلسطينية عن الأردن بعد هزيمة أيلول ٧٠ إلى لبنان وسوريا .

لما اكتشف الشاباك أمره في رام الله خرج متنكرا إلى عمان ثم بيروت ، والذي دفعه للهرب أن شريكه في الخلية قتل ضابطا إسرائيليا ، كشف سره وقبض عليه ، فلما علم نجيب بإلقاء القبض على "أكرم البس" هرب كما قلنا ، وبعد وصوله لبيروت تزوج من زكية وطلق العزوبية ، ثم حدثت حرب تشرين عام ١٩٧٣ .

وبعدها أصبحت بيروت شعلة حرب بين الفلسطينيين والمناضلين اللبنانيين والمتطوعين من العرب والعالم وإسرائيل ، وتجمع جواسيس العالم والسفارات في بيروت.

دخل لبنان في حرب أهلية ، شاركت الفصائل المنضوية تحت المنظمة فيها ، ودخل السوريون فيها لنصرة أحزاب النصارى ضد فتح وعرفات ، ثم اجتاحت إسرائيل في ٦ حزيران عام ٨٢

أغلب لبنان ، وحاصرت بيروت لشهرين .

خرج أغلب مقاتلي المنظمة إلى سبع دول ، فترك نجيب العيادة خفية إلى سوريا ، وعاد الأولاد الخمسة إلى بعنبس برفقة علي حسني شقيق زكية ، ثم سافر نجيب وزكية إلى لارنكا في قبرص هربا من الموساد ، فهو متهم بالمشاركة في قتل ضابط موساد أو شاباك قبل هربه لعمان ثم بيروت .

كان نجيب يتردد على لارنكا القبرصية منذ صار طبيبا وقبل زواجه وبعده ، إما استجماما وإجازة ورحلة لقربها من الشام ، وعرفها منذ جاء بيروت لدراسة الطب ، ثم فيما بعد لزيارة أقارب زكية ، فوالدتها قبرصية تركية الأصل ، فلما أخذ الفلسطينيون المحاربون بالخروج حسب اتفاق الخروج خرج وحيدا خشية الاغتيال .



نزل وزكية بعد أيام من وصولهم للفندق إلى شاطئ الفندق لمشاهدة السباحة المختلطة ، وبينما هما جالسان على شاطئ الفندق يدخنان ، ويشربان كأسا خمر اقترب منهما رجلان وامرأة ، ونظروا إليهم أي يقصدونهم ، وقال أحدهم بلغة إنجليزية : لو سمحت كلمة يا دكتور .

فنظر لزوجته ، وقام قائما وهو يفكر " ماذا يبغون؟" وظنهم من زبائن الفندق ؛ كما بدا لزكية عندما أخذت تتذكر ذلك المشهد فيما بعد وقال المشير له بصوت تسمعه زكية : لدينا فتاة مريضة ، وقالوا لنا في الاستقبال إنك طبيب .

وتحدث مع زكية عن الأمر ، ورافقهم بحجة مشاهدة المريضة ، ولم يظهر بعدها . بعد حين نهضت زكية لداخل قاعة الاستقبال ، وجلست تراقب الناس ، وتنتظر ظهور نجيب ،

وطلبت قهوة ، وهي تدخن ، ثم تحدثت مع موظف الاستقبال عن المريضة .

فدهش الموظف من سؤالها وفسرت له فقال محتارا : لم نخبر عن مريضة يا سيدتي! ربما من خارج الفندق .. فساحة الشاطئ لها مدخل آخر يأتي ناس لتناول مشروب بدون دخول الفندق .

ولما هبط المساء ارتفع القلق والخوف ، وتحدثت مع الأمن الذي طلب منها الانتظار ؛ لعله ذهب لمعالجة حقيقية أو حيلة للقاء امرأة وبائعة هوى ، فهي تعلم أن زوجها لا يوفر غانيات ، وله علاقات خارج بيت الزواج .

مضى الزمن والأيام دون معرفة ما حدث ، حضر علي حسني للارنكا ، ولم تكتشف الشرطة الحقيقة ، ولم تظهر جثة نجيب .



منظمة التحرير

نقلت منظمة التحرير الفلسطينية قاعدة عملياتها إلى بيروت في أواخر الستينات بعد الاشتباكات الدامية التي حدثت في الأردن وأدت إلى انسحابها من هناك.

كان وجود القوات الفلسطينية بفصائلها المتعددة ، وأفكارها المتناقضة أحد الأسباب الرئيسية التي أدّت إلى نزاع نصراني ـ إسلامي في لبنان في ٧٥ ـ ٧٦ انتهى باحتلال لبنان من قِبَل قوّات حفظ السلام من عِدّة دول عربية ، منها سوريا . اكتسب السوريون ومنظمة التحرير في لبنان قوة تفوق قدرة الحكومة اللبنانية الرسمية ، وطوال هذا الوقت كانت هجمات المدفعية والهجمات الصاروخية تُطلق ضدّ إسرائيل.

تبنّت الأمم المتحدة وقف إطلاق نار في عام ١٩٧٨، ومرة ثانية عام ١٩٨١ وأوائل عام ١٩٨٢، وسُحِبَت القوات الإسرائيلية المرسلَة إلى لبنان لتقليل هذه الهجمات.

كان الوضع في لبنان في بداية عام ١٩٨٢ يشكل امتداداً لأوضاع الحرب الأهلية اللبنانية التي بدأت عام ١٩٧٥، وهي صراع مستمر بين كتلة اليسار اللبناني والمقاتلين الفلسطينيين ومنظمة التحرير ، والحزب التقدمي الاشتراكي من جهة واللبنانيين اليمينيين من المسيحيين وحزب الكتائب اللبنانية وإسرائيل من جهة أخرى ، واستمر النزاع المسلح خلال النصف الأول من عام ١٩٨٢ على شكل صراعات عنيفة بين هذه الأطراف .

قام سلاح الجو الإسرائيلي في ٢١ نيسان ١٩٨٢ بقصف موقعا لمنظمة التحرير في جنوب لبنان ، فقامت منظمة التحرير في ٩ أيار ٨٢ بالرد بقصف صاروخي لشمال إسرائيل، وتلى هذا القصف المتبادل محاولة لاغتيال سفير إسرائيل في بريطانيا.

قامت إسرائيل في ٣ حزيران ، وكرد على عملية الاغتيال هذه ، بقصفٍ لمنشآت ومواقع تابعة لمنظمة التحرير في قلب بيروت ، وفي اليوم التالي من محاولة الاغتيال قامت منظمة التحرير بقصف شمال إسرائيل مرة أخرى ، وقتل في هذا القصف إسرائيلي واحد.

بدأت إسرائيل في الخامس والسادس من حزيران قصفا جويا ومدفعيا كثيفا على مدينة

صيدا وقرى النبطية والدامور وتبنين وقلعة الشقيف الاستراتيجية .

ودخل الجيش الإسرائيلي الأراضي اللبنانية في ٦ حزيران ، وتم اجتياز المواقع التي كان يشغلها جنود تابعين لقوات الأمم المتحدة بكل سهولة. قدم الرئيس الأمريكي رونالد ريغان وقتها الغطاء الكامل لإسرائيل في هجومها ، حيث أعطى لإسرائيل الضوء الأخضر لتدمير منظمة التحرير ، وأكدت إسرائيل للأمريكيين أنها ستدخل لبنان لمسافة لا تتجاوز ثلاثين كيلومترا ؛ لتحقيق أمنها والدفاع عن نفسها.

كان ريغان لا يمانع في القيام بعملية سريعة تكون بمثابة درس قوي لمنظمة التحرير ولسوريا حليفة الاتحاد السوفيتي الشيوعية ؛ حيث بأنه لم يكن هناك مقاومة قوية لخطط أرئيل شارون في واشنطن ، وإن الولايات المتحدة لم تستطيع منع إسرائيل من الهجوم.

ويرى البعض أن عملية أبي نضال لاغتيال السفير الإسرائيلي في لندن جاءت في اللحظة المناسبة تماما بصورة غريبة ومريبة . قاد العمليات المجرم الشهير أرئيل شارون وزير الدفاع الإسرائيلي في ذلك الوقت في الحكومة التي رأسها المجرم المعروف والشهير مناحيم بيغين .

قامت إسرائيل بغزو لبنان عام ١٩٨٢ بعد محاولة اغتيال سفيرها في لندن ، على الرغم من علمها بأن مَن قام بالهجوم كانت منظمة أبو نضال المنشق عن منظمة فتح قبل ثماني سنوات ، التي كانت في حالة حرب مع منظمة التحرير التي يتزعمها ياسر عرفات .

كان مجرم الحرب أرئيل شارون مهندس هذه الحرب ، قد قدمها إلى الحكومة الإسرائيلية كهجوم محدود في جنوب لبنان؛ لكنه أخذ قوَّاته إلى بيروت. سمّى الاحتلال العملية ، عملية الصنوبر أو السلام للجليل ، وكان الهدف هو إضعاف أو طرد منظمة التحرير ، وفرض الماروني بشير الجميل ، رئيس حزب الكتائب المسيحي، كرئيس للبنان .

وغزَت القوات الإسرائيلية لبنان في هجوم مُكوّن من ثلاثة شعب ، تَحرّكت مجموعة واحدة على طول الطريق الساحلي إلى بيروت ، وهدفت الأخرى إلى قطع طريق بيروت دمشق الرئيسي ، وتحرّكت الثالثة على طول حدود لبنان مع سوريا، من أجل

حجب التعزيزات أو التدخل السوري.

تقدمت القوات الإسرائيلية على عدة محاور تجاه العاصمة بيروت حوالي الساعة العاشرة والنصف صباح اليوم السادس من حزيران ؛ ولكنها واجهت مقاومة عنيفة من قبل مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في الجنوب اللبناني ، وتعرض الجيش الإسرائيلي إلى مقاومة شرسة وعنيدة عند محاولته احتلال قلعة شقيف الاستراتيجية ، والتي قام مناحيم بيغن بزيارتها شخصيًا بعد بسط السيطرة الإسرائيلية عليها نظراً لأهميتها.

وبعد أيام سقطت صيدا وصور والدامور ، معاقل منظمة التحرير ، الواحدة تلو الأخرى أمام التقدم الإسرائيلي ، وبدأ الجيش الإسرائيلي بالتقدم نحو الطريق الرئيسي بين بيروت ودمشق مخترقين منطقة الشوف الواقعة في الجزء الجنوبي من جبل لبنان ، اشتبك الجيش السوري في ٨ حزيران لأول مرة مع الجيش الإسرائيلي . بعد خمسة أيام فقط من الاجتياح تمكنت القوات الإسرائيلية من بسط سيطرتها على ثلث الأراضي اللبنانية وصل الجيش الإسرائيلي في تسعة حزيران إلى مشارف بيروت ، وفي نفس اليوم تمكن سلاح الجو الإسرائيلي من تدمير عدة مواقع للدفاع الجوي السوري ، وكانت معركة سهل البقاع التي تعد أكبر معركة جوية في التاريخ وقعت بين القوات الجوية السورية ١٧٠ طائرة وسلاح الجو الإسرائيلي ؛ حيث دمرت في هذه المعركة حوالي ٩٠ طائرة سورية من دون تدمير أي طائرة إسرائيلية ؛ كما شهدت هده المعركة أول مشاركة في معركة حقيقية للطائرات بدون طيار وقد أثبتت فعاليتها واعتماديتها ، وقد شهدت هده المعركة تدمير أغلب بطاريات الدفاع الجوي السوري (١٥ من أصل ١٩) من نوع سام ٣ وسام ٦ وسام ٧ ، ودامت العملية الإسرائيلية ساعتين فقط ؛ حيث فشلت القوات السورية في تدمير أي طائرة إسرائيلية لأنها أصبحت قديمة وغير قادرة على مجاراة سلاح الجو الإسرائيلي الذي تطور أكثر عما كان عليه في حرب ٧٣ ، كان من نتائج هذه المعركة انسحاب القوات السورية من معظم مناطق لبنان وترك حلفاؤها يقاتلون إسرائيل بالوكالة. الجيش السوري أعاد تمركزه خارج

منطقة الشوف ، دخل الجيش الإسرائيلي في يوم ١٤ حزيران شرق بيروت ذات الأغلبية المسيحية ، وطوقت القسم الغربي من بيروت الذي كان معقلا رئيسيا للفصائل الفلسطينية .

مع اقتراب نهاية شهر حزيران كان هناك مائة ألف جندي إسرائيلي في لبنان ، بينما وصل عدد القوات السورية إلى أربعين ألف ، وكان هناك ١١٠٠٠ مقاتل فلسطيني محاصرين مع ياسر عرفات في غرب بيروت .

في مطلع شهر تموز قام الجيش الإسرائيلي بفرض حصار على غرب بيروت قاطعا وصول المواد الغذائية والماء إلى تلك المنطقة ، وتم منع الانتقال بين شطري بيروت واستمر القصف الإسرائيلي لغرب بيروت بصورة متفاوتة طوال الشهر .

في ١٢ آب ومع الاقتراب من الوصول إلى اتفاق وشيك حول آلية مغادرة المقاتلين الفلسطينيين لبيروت قامت إسرائيل بشن أعنف قصف جوي ومدفعي وبحري على بيروت استمر لعشر ساعات متواصلة ، وأدت هذه الحركة غير المتوقعة إلى إثارة غضب ريغان الذي اتصل هاتفيا مع مناحيم بيغن معربا عن استيائه الشديد من ذلك التصرف .

توصل الطرفان إلى اتفاق لوقف إطلاق النار في ١٨ آب بوساطة المبعوث الأمريكي فيليب حبيب ، وفي يوم ١٩ خففت إسرائيل من حصارها لغرب بيروت ، وسمحت لإمدادات الصليب الأحمر بدخول بيروت الغربية.

بالطبع فوجئ الجميع بحجم الاجتياح ، قامت القوات الإسرائيلية ومليشيا بشير الجميل بمحاصرة بيروت، واستمر هذا الحصار إلى ٢٨ آب .

قدم ريغان ضماناً شخصياً للمقاتلين بالحفاظ على أمن عائلاتهم إذا ما غادروا إلى تونس ، واضطرت إسرائيل إلى الموافقة على خروج المقاتلين تحت حماية دولية مكونة من ٨٠٠ جندي أمريكي ، و ٨٠٠ جندي فرنسي و ٤٠٠ جندي إيطالي

غادر ١٤٦١٤ مقاتلا فلسطينيا بيروت إلى تونس تحت الحماية الدولية ، تغيرت الخريطة

السياسية اللبنانية بصورة جذرية بعد الغزو الإسرائيلي.

فبالرغم من أن الميليشيات المسيحية اللبنانية لم تشترك فعليا في القتال إلى جانب الجيش الإسرائيلي إلا أنها انتشرت وسيطرت على المناطق التي كانت تحت سيطرة إسرائيل ، وخاصة في الجنوب اللبناني ، وقامت إسرائيل أثناء الغزو بنزع سلاح المجموعات الدرزية التي كانت في صراع مسلح مع حزب الكتائب .

تمكنت حركة فتح في الختام من أسر ستة جنود إسرائيليين ، تمت مبادلتهم لاحقًا بخمسة آلاف معتقل لبناني وفلسطيني ، تم احتجازهم في معتقل أنصار في جنوب لبنان.

بعد الحادي عشر من حزيران، اكتسبت إسرائيل تفوقاً جوياً بعد إسقاط عدد مِن الطائرات السورية ؛ فدَعت سوريا إلى وقف إطلاق نار ، وهَرب أغلبية فدائيي منظمة التحرير من صور، صيدا، ومناطق أخرى إلى بيروت.

تَمنّت إسرائيل إكمال الحصار بِأسرع ما يمكن؛ وكان هدفهم من غَزو لبنان هو نصر سريع وحاسم ، وكلما استمر الحصار أطول ، كانت قدرة عرفات على المساومة أعظم ، لسبعة أسابيع، هاجمت إسرائيل المدينة بحراً وجواً وأرضاً، وقطعت إمدادات الغذاء والمياه والكهرباء، واحتلت المطار وبعض الضواحي الجنوبية، لكن بدون تحقيق أهدافها الكبرى، وكما هو الحال مع معظم الحصارات، عانى آلاف المدنيين من سكان المدينة بجانب فدائيي منظمة التحرير ، واتّهمت إسرائيل بقصف المدينة عشوائياً بالإضافة إلى الإجراءات الأخرى التي اتخذتها لإضعاف المنظمة الفلسطينية.

لم يستطيعوا أَخذ المدينة قبل عقد اتفاقية سلام ، وافقت عليها سوريا في السابِع من آب ، ووافقت الولايات المتحدة ، وإسرائيل ، ولبنان ، ومنظمة التحرير الفلسطينية عليها في الثامن عشر من آب ، وفي ٢١ آب وصل ٣٥٠ جندي مظلات فرنسي إلى بيروت، وتلاهم ٨٠٠ جندي بحرية أمريكيين ، وجنود حفظ سلام دوليين إضافيين ـ بقوة إجمالية ٢١٣٠ للإشراف على إزالةَ منظمة التحرير ، أولاً بالسفن وبعد ذلك براً إلى تونس واليمن

والأردن، وسوريا.

نجحت إسرائيل في النهاية إنهاء الهجمات الصاروخية لفترة قصيرة جداً، وإخراج المنظمة من لبنان، لكنها أخفقت في تحرير لبنان من السيطرة السورية ، وأخفقت في إضعاف المنظمة الفلسطينية عموماً. قدَّرت صحيفة النهار اللبنانية المنشورة في بيروت أن مجموع ضحايا أفراد الجيش والمدنيين في حملة لبنان حتى الحصار وأثنائه كان ١٧٨٢٥ شخصا باستثناء ٢٠٠٠ قتيل سوري ، ١٤٠٠ من منظمة التحرير الفلسطينية و١٠٠٠ـ ٣٠٠٠ مدني قتلوا في الحملة الجنوبية ، ١٠٠٠ من منظمة التحرير الفلسطينية قتلوا في الحصار ، و ٣٦٨ من جيش الدفاع الإسرائيلي .

هذا العدد يستثني ٣٠٠٠ لاجئ فلسطيني قتلوا في مذبحة صبرا وشاتيلا ، التي ارتُكِبَت عندما اقتحمت إسرائيل غرب بيروت بعد اغتيال بشير الجميل ضاربة باتفاقية السلام التي وقعوا عليها عرض للحائط ، وسمحت لقوات الكتائب بالدخول إلى المخيم .

بعد حصارِ بيروت ، انتقل عرفات إلى اليونان ، وبعد ذلك إلى تونس، مؤسساً مقرا جديدا. تابع مقاتلو المنظمة القتال من دول المنفى بالإضافة إلى الأراضي الواقعة تحت السيطرة الإسرائيلية .

قامت القوات الإسرائيلية مساء ١٦ أيلول بمحاصرة مخيمات صبرا وشاتيلا للاجئين الفلسطينيين، وسمحت بدخول حوالي ٣٥٠ عنصرا مسيحيا إلى المخيمات تحت ذريعة البحث عن مقاتلين فلسطينيين ، وتم ذبح ما يقارب ٣٠٠٠ مدني أعزل بالرغم من التعهدات الأمريكية بحماية المدنيين الفلسطينيين بعد خروج المقاتلين الفلسطينيين من لبنان .



طقس قبرص

لما دخلت إسرائيل بيروت خرج الطبيب نجيب عارف خفية وتسللا إلى الشام ، ثم ركب البحر إلى لارنكا خوفا من الوقوع في قبضة الموساد ؛ حيث انكشف أمره السري في رام الله ؛ وبما أنه تسبب بمقتل صهيوني ظل ضمن أهداف الجهاز السري اليهودي الموساد ، استطاع العيش في لبنان بحماية المنظمات الفلسطينية ، وعصبته المنظمة اليسارية ، ولما تقرر الخروج من بيروت عام ٨٢ بمعاهدة سلام رعتها أمريكا خرج وحده ، ثم تبعته أسرته التي عادت لبلدهم الأصلي بعنبس ، وأخذ زوجته المناضلة إلى قبرص ، وحط رحله في فندق الشاطئ في لارنكا .

ولما اختفى نجيب أمام عيون زكية ، ولم تظهر جثته ، ولم تخبر جهة بخطفه وأسره دفعت الشرطة للإعلان أنه اختفى برغبته وإرادته ؛ ولعله تزوج سرا .

ولم تقتنع زكية بهذا القول ، وعادت لبلدها حيث أخبرت أهل زوجها باختفاء نجيب ، وشك حبيب بهذا الاختفاء ، وأشاع أنها تخلصت منه لمشاكل كانت بينهم أخبره بها زوجها في عدة رسائل واتصالات هاتفية ، ورفضوا التسليم بقتله وإقامة عزاء له .

أخذت زكية وأخوتها كل عام يذهبون لقبرص وإلى فندق الشاطئ لإحياء ذكرى الرجل ، وتحجز نفس الغرفة ٣١٣ ويتعاطف معها أصحاب الفندق ، وتمكث أسبوعا ، تعيش فيها ذكريات الأيام الأخيرة من حياتها مع نجيب .

بعد حين قلّ اهتمام إخوتها بمرافقتها ، وكبر الأبناء ، وبدأوا يدخلون الجامعة الواحد تلو الآخر ، بعد عشر سنين استسلمت لفقد نجيب ، فتزوجت من بلص رجل يعمل موظفا في متجر أو معرض زكية درا لقيل وقال ، وافق بلص على استمراها بالسفر إلى لارنكا ؛ بل رافقها في بعض الأعوام ، وحاول مرة ثنيها فقالت الطلاق فورا .

فعاد للركون والصمت ، ولم تلد له إلا طفلا مات فور ولادته ، وقالت له يوما : اذا ترغب بالزواج من أجل الطفل فافعل .

وكان قد تزوج خفية عنها قبل عرضها ، ولم ينجح بالولادة وانفصل خفية ، وكان يظن جهل

زوجته بمغامرته ؛ ولكنها علمت وتظاهرت بالجهل ، ما دام هو صامتا ثم علمت بطلاقه منها ؛ وكأن الأمر لم يكن .

وظل هو جاهلا علمها بزواجه الخفي ، وظلت هي تتردد على فندق الشاطئ ؛ حيث اختفى نجيب في شهر آب .



زواج وردة

كانت الأسرة تتوقع زواج وردة بعد تركها لعصام من ابن خالها رشيد الذي عرف بالعاكف عن الزواج ؛ لأن وردة تزوجت ، وفضلت ابن عمها عليه .

مضت شهور العدة ، ولم يحدث الزواج ؛ بل ظهر في سماء وردة طبيب معروف لهم اسمه وائل وتوقع ورجح بعضهم أنه الزواج الثاني لها .

فكان رشيد مساء مع عمته زكية ، فقالت : لم تتزوجا!

ـ لم نتفق على الزواج يا عمتي ! بنتك لا تريد الزواج الشرعي خشية طلاق جديد غير واثقة من الرجال .

قالت مستذكرة دوافع وردة لطلب الطلاق : كانت تكثر أمامي من قول أنا شابة وعصام مريض .. وأنا بحاجة لزوج ذكر .. تعني أن عصاما لا يستطيع غشيانها ، ويلبي رغباتها.

قال بغضب مكبوت : معزوفة للخلاص منه.. فحزبها حزب المطلقات .. كل مطلقات الجامعة ، وكلية الطب أعضاء في حزبها .. والعوانس منهن يكتفين بلقاءات عابرة دون ارتباط شرعي للقضاء على الرغبة والشهوة .

قالت مرددة وبحيرة : الرغبة والشهوة ! وهل تضمن الواحدة سلامته من الأمراض .. وهو يتنقل من فاجرة إلى أخرى .

ـ ذكر وعلى الماشي .. مثل بنات أوروبا .. لماذا أسرة وأطفال ؟

قالت : وتفعل وردة ذلك !

ـ أعتقد ولماذا تختلف عنهن ؟!

قالت بصراحة فاجأته : هل نمت معها ؟

قال بحزم : لا ، إشاعات فقط ؛ لتصل لعصام ،ويعجل بتركها .. قد جعلت مني واجهة .. وأعتقد أنها تمارس الدعارة من زمن مع سكرتير رئيستها المدعوة نبيلة الفاجرة رئيسة العصبة النسائية .

ـ معقول !

علق بقسوة وغيظ : طبعا معقول ونص.. ما هو الحزب نادي دعارة يا عمة ! ليس بحزب سياسي ومطالب وحكم وسلطة .. وهل تظنين أن ابنتك تصبر عن الرجال خلال مرض عصام الذي طال؟

ـ كنت أظن أنها كانت ترسم لإحياء حبها القديم ، وأنك الهدف.. فوردة معقدة يا رشيد !.. أعلم سوء أخلاقها منذ صغرها ، ونحن في بيروت لا يحلو لها اللعب والجلوس إلا مع الذكور وكذلك أيام جامعتها .. كلما نلتقي تعزف سمفونية عصام مريض أنا ليس عندي إلا جوهر .. العمر يمضي أريد طفلا آخر فأصدق .

نطق بتأفف : لا أدري ! منذ حصلت على قسيمة الطلاق تغيرت من ناحيتي وأصبحت صفرا على الشمال .. بعض المجاملات والابتسامات .. وأصبح دكتور الأطفال سكرتير جمعيتها هو الرفيق والظل الدائم .. وائل زياد هو المفضل في سهراتها ومجالسها ونزهاتها .. فاضطررت للابتعاد .. مهما يكن الشخص فله كرامة ، ولا أعلم ما الذي يعجبها فيه ؟! معرفة أيام الكلية .. بيني وبينك إنها تسمح له بزيارتها في الشقة وليلا . وغمز

قالت: عمرها قريب من الخمس والثلاثين لا استطيع فعل شيء معها ، ولا نصحها

ـ أعرف ، أعرف يا أم عارف ! المهم أنا أصبحت خارج اهتمامها ، خارج الموضوع استخدمتني لإرغام عصام على طلاقها لمعرفته بحبنا القديم المزعوم.

قالت : أمرها محير ! وهل تغني اللقاءات العابرة عن الزواج ؟ لا أراها تروي ظمأ أو تشبع غريزة.. والجنس حاجة فسيولوجية فينا حسب هرم ماسلو.

قال بحقد : هي في شلة تقبل ذلك ، وحتى يقبلون التصور عراة باسم الحرية الشخصية .. والأجساد ملكهم .. هؤلاء أفراخ الجندر والسيداو .

ـ معقول هذا يا رشيد!

ـ لا أخلاق لديهم تردعهم ، ولا يهمهم نظرة المجتمع إليهم والناس.. المهم على زعمهم

حرية المرأة المطلقة .. والزنا بالتراضي لا يعتبر زنا في عرفهم .. رفاهية ومتعة وتحقيق حاجة موجودة فيهم ؛ كما أشرت إلى ابرهام ماسلو في نظرية الدافع البشري.

قالت : تتكلم بحقد وغل وضغينة عنهم !

قال مخففا من حدة صوته : لا حقد ولا فحش .. أنا خير من عرفهم يا عمتي .. ثم أردف مبينا : لا تأخذ الأمومة حيزًا كبيرًا عند الجندريين ، حيث تقول عالمة الاجتماع سيمون : "إنَّ الأمومة خُرافة، ولا يوجد هناك غريزة للأمومة، وإنما ثقافة المجتمع هي التي تصنع هذه الغريزة ؛ ولهذا نجد أنَّ الأمومة تعتبر وظيفةً اجتماعية"، وهذا الكلام الرديء لزانية هو ما ولّد مصطلحًا جديدًا وهو "الصحة الإنجابية"، والذي يهدف إلى معالجة الإشكاليات الناتجة من وظيفة المرأة بوصفها أمًّا على مستوى الإنجاب، والتي قد تقف عائقًا أمام ممارستها لدَوْرها الجندري المساوي لدور الرجل، ومن هذه الإشكاليات أيضًا الحملُ والرَّضاعة ، وغيرها من الوظائف الفيزيولوجية للمرأة، ومن هنا فلها الأحقية المطلقة في الإجهاض.

وبعد أخذه نفسا زاد بيانا وقولا : وفقًا لمفهوم الجندر عندهم في العصبة ومثليتها على مستوى العالم والأمم المتحدة ولكتاب "الأسرة وتحديات المستقبل" من مطبوعات الأمم المتحدة ؛ فإنَّ الأسرة يمكن تصنيفها إلى ١٢ شكلاً ونمطًا، ومنها أُسر الجنس الواحد ؛ أي: أُسر الشواذ وتشمل أيضًا النساء والرجال الذين يعيشون معاً بلا زواج .. وهذا ما تفكر به ابنتك ـ يا عمة ـ خشية الطلاق والوساوس وتناقشنا في ذلك ، وهناك النساء اللاتي ينجبن الأطفال سفاحاً .. جماع عابر في نادي ليلي مع سائح مع مجهول ، ويحتفظن بالمولود وينفقن عليهم، ويطلق على هذا الشكل اسم الأسرة ذات العائل المنفرد ، وتسمى الأم بـ (الأم المعيلة).. وهذا التغير في شكل الأسرة يعني فيما يعنيه ضمن النسق الجندري تغيير الأنماط الوظيفية المعهودة للأب والأم في الأسرة.

ـ هذا خطير يا رشيد !

قال : هذا واقعهن ، وما يهمسن به ، لقد دعونني بدل المرة مرات ومرات لنداوتهن وحفلاتهن

ودعونني للانضمام لجمعيتهم .. ذات ليلة من عهد قريب طرقت بيتي امرأة منهن ـ عرفتني عليها وردة ـ زاعمة أنها أتت تسأل عن وردة في بيتي .. فتظاهرت بأنني خارج للقاء ثقافي في أحد الأندية الأدبية . . ولم أدعوها للدخول ، فقالت لي وردة بعد يوم أو يومين :لماذا هربت من فكيهة ؟ فكيهة تقصد زائرة الليل ، فأجبتها لا طاقة لديّ لغشيان النساء .. ماتت طبيعتي ، فسخرت وقالت : ترغب بالزواج مني ؛ لنعود لمرض عصام وعجزه ، فقلت لها عصام سافر باريس للعلاج ، وزوجك السابق عاد للدين والصلاة .. تخلص منك ومن إلحادك، وترك الأفكار الإلحادية ، فلم تصدق بتوبته يا عمتي .. عصام أسلم وعاد لدينه ، وذهب للعمرة مع شقيقه وصهره وابنك الشيخ جهاد .. أصبح متدينا كما يقول سالم وجهاد ؛ بل يسعى جهاد لضمه للتيار الحركي الإسلامي .. وهذا التيار هو مكون من عدة أحزاب منها السلفي ، والإخواني ، والجهادي ، والصوفي ، والتبليغي ، والتحريري ، والرسمي ، تمتلأ بعنبس والبلاد العربية والإسلامية بمثل هذه الأسماء ؛ كما هي ملآ بالأحزاب والجمعيات العلمانية .

ـ عرفت بعضهم أيام حياتنا وعيشنا في بيروت ، كانوا ضعفاء أمام الزخم القومي والوطني واليساري .. عرفنا أحزابا ومنظمات كثيرة من خلال عمل نجيب كطبيب .. فمر علينا أجسام وحركات كثيرة .

وختم اللقاء وهو يخمد نار سيجارته وقائما ومصافحا يدها الممدودة وهمس : أنا نسيت وردة وأفلام وردة .

آب قبرص

رحلت زكية دون رفيق إلى قبرص في الأواخر الأخيرة من آب كما هي معتادة من ربع قرن ، وكان ذلك بعد حديثها الطويل مع الدكتور رشيد لقضاء طقس الرحيل المتكرر .

لم يعد أحد يهتم أو يكترث منذ زمن باختفاء نجيب ، فقد مرت سنون وسنون على الحدث ، والناس أبناء يومهم ، والأبناء لم يعد لهم اهتمام بأفعال أمهم المعقولة وغير المعقولة .. كل يعيش حياته ؛ كما خطط وبرمج ، فقد ترجح لديهم مقتل أبيهم ، واختفت جثته في ماء البحر الأبيض ، وتشوهت اذا وجدت في مكان ما أو أكلتها دواب البحر .

نزلت في فندق الشاطئ في نفس الحجرة التي شاركت زوجها فيها آخر الأيام بعد تركهم بيروت بعد خروج مقاتلي المنظمات الفلسطينية ؛ كما فصلنا آنفا ، وهذا العام الخامس والعشرون للاختفاء .

إدارة الفندق المعاصرة تعرف قصة هذه المرأة ذات التصرف الغريب ، فرغم تغير الإدارات فكلهم على معرفة بقصة اختفاء نجيب .

رحب بها المدير ومساعدوه كعادتهم ، وهي اليوم تحجز الغرفة عن طريق الأجهزة الإلكترونية والتكنولوجيا المعاصرة وشبكات الإنترنت العالمية .

فمدير الفندق يحجز لها الغرفة ٣١٣ في الطابق الثالث لسبع ليال ، وهي تحول المال عن طريق البنك القبرصي الذي تضع فيه بحسابها الخاص مالا .

وصلت جوا في أواخر آب ٢٠٠٧ ، وقام عمال الفندق بحمل حقيبة ملابسها للغرفة المحجوزة ، ودخلتها بعد منتصف الليل ، وطلب موظف الاستقبال الطعام لها حسب نظام خدمة الغرف والشراب الذي طلبته .

فزكية امرأة ثرية ، وتدفع بسخاء للعمال خلال هذه الرحلة ، وبعد الطعام شربت كأسا من الكحول ، وكانت تدخن بشراهة ، ومعروف هذا عنها ، وأحيانا تتعاطى السيجار الكوبي .

في الصباح التالي بعد تناولها الإفطار في قاعة الطعام تذهب للشاطئ ؛ حيث كانت تجلس

اللحظات الأخيرة مع نجيب ، يتمتعان بمنظر البحر ، ويدخنان ويشربان الخمر ، وكان حديثهم ذلك الصباح عن معركة بيروت والقصف والقنابل والمتفجرات ، ثم تتخيل اقتراب الرجلين والمرأة الحزينة نحوهم ، وأشار أحد الرجلين لنجيب فاستأذن ومشى نحوهم ، ثم عاد يقول : لديهم بنت مريضة وأن رجال الفندق دلوا عليه ، ومشى معهم ، ولم تعرف هل دخلوا الفندق ؛ كما غلب على ظنها بداية أم خرجوا من الفندق من خارج الفندق كما بان فيما بعد ؟!

إنها ما زالت تتذكر تلك اللحظات ، وتلك الوجوه ، فهمت أن لديهم مريضة في إحدى غرف الفندق ، بعد حين تركت المكان لما ارتفعت الشمس أكثر ، دخلت قاعة الاستقبال ، وجلست تدخن وتنتظر نزول نجيب ، ولما طال الانتظار تحدثت مع الاستقبال ، فدهش العامل مما قالت وقام بعدة اتصالات والاستخبار عن مريضة.

قال الموظف مخاطبا : مريضة ! لم يخبر أي نزيل عن مريضة ، لم نسمع يا مدام زكية ؛ لعل المريضة خارج الفندق ، ولم يسألني أحد عن طبيب ، ولا أعرف السيد نجيبا كطبيب.. نحن نعرف أنه نزيل في الفندق .

لم يظهر الطبيب ، وطال الانتظار ، وأخبر الأمن ، ولم يجدوا الطبيب ، قالوا أولا لعله ذهب مع أنثى .

قضت زكية طقسها على الشاطئ ، ثم داخل الفندق ، وصعدت لحجرتها ، بكت بعض الوقت ، وهي تخاطب نجيبا رفيق شبابها ، وهي تفكر بتلك الساعة الرهيبة .

وزارت بعض الأقارب لأمها وجدتها ووالدها ، وقدمت لهم المال والهدايا ، وبعد أسبوع غادرت الجزيرة ، فوصلت مطلع أيلول .

كلما عادت السيدة زكية من رحلة قبرص رحلة الوفاء ؛ كما تسميها تقيم حفلا في أحد فنادق بعنبس الفخمة ، وتدعو ما يقارب مائة نفر ؛ لتناول الطعام عن روح نجيب وهؤلاء من الأقارب والأصدقاء طبعا ، وتقدم لهم الطعام أو ما يسمونه البوفيه المفتوح والمشروب

والعصير لمن لا يتعاطى الكحول .

زكية تملك متجرا لبيع عدد من ماركات السيارات الصغيرة والمتوسطة ومحلات لبيع قطع السيارات ومحطة تصليح كبيرة تابعة للشركة ، وتملك أسهما وبعض العمارات المؤجرة كشقق مؤثثة للزوار والضيوف والسياح ، تستثمر أموالها بشكل جيد .

تحدث أحد أعضاء المكتب من السكرتاريا مع عصام يدعوه للوليمة كالمعتاد فاعتذر ، وأخبره أنه لم يعد يشارك بمثل هكذا احتفالات ، وأنه التزم بالدين ، وعليه أن يحذفه من قائمة المدعوين من اليوم فصاعدا .

واتصل بامرأة عمه ، واعتذر لها ، ولم يحضر دعوة هذه السنة إلا ابنها عارف واعتذرت وردة وجريدة . كانت المناسبة في فندق (الأزرق الكبير) وهو من أضخم فنادق بعنبس ، وأحدثها . حضر لفيف من الأصدقاء والشخصيات ورجال المال والأعمال المهمين في البلد ودكاترة الجامعة ، وبعض زعماء الأحزاب المعروفة لها ، فهي فرصة للقاء والدعاية والأخبار والشائعات .

جلس رشيد وحوله عدد من الزملاء ، تطلع يمينا و يسارا وإلى جميع الجهات فلم ير وردة ، فسره ذلك ، فهو حفل يقام على ذكرى والدها ، وهي أكثرهم معرفة به ، فكانت ابنة عشر سنوات سنة ضياعه .

ولما التقى بعارف خلال السهرة سأله عنها، فأخبره أنها خارج البلد في سويسرا أو النمسا في رحلة استجمام ، وقال مستغربا : ألم تخبرك ؟! لماذا لم ترافقها ؟! فأنت من عشاق السفر ؟

ـ من متى؟

قال : من أسبوع وأكثر.

ـ وحدها !

ـ تقريبا.

ـ ما معنى تقريبا ؟

قال مفسرا قصده بتقريبا : سافرت وحدها ، وستلتقي بطبيب أطفال اسمه وائل .

هزّ رشيد رأسه ، وقال لنفسه "دعارة في الخارج "وعاد لمقعده ، وهو يلعن النساء واليوم الذي عرف فيه النسوان وقال : يا لها من فاجرة !.. امرأة شيطانة .. ! لقد فاز عليّ عشيقها القديم العشيق الخفي .. سخرت مني أمام طليقها، وأوهمته بأني عشيق لها تجدد حبنا .

فقال له والده علي وقد رأى شدة غضبه ، وتحديثه لنفسه ، ولما جلس: مالك غضبان ؟!

ـ وردة ابنة أختك ضحكت عليّ .

ـ كيف ؟!

قال متنهدا بعمق : خلال مرض زوجها كنت الصديق الوحيد الحبيب المؤنس الحبيب الأول وإنني سأكون الزوج الأخير اذا قبل عصام طلاقها ، وأخذت تشيع أخبارا عن عجزه الجنسي وإنها لم تعد تتحمل الحرمان الجنسي والزوج العاجز غير القادر على جماعها ، ولما حصلت على المطلوب ، وطلقت رمتني كخرقة وفوطة حيض أو طفل رضيع ، وتعلقت بطبيب يعمل معها في الحزب أو أظهرت غرامها به للعلن .. كنت مغفلا حننت لأيام الحب العذري .. لابد أنها على تفاهم معه ، وتعيش معه خفية.. حقيرة .

ـ هل تزوجا ؟

ـ لا ، لا تريد الزواج .. تريد أن تعيش حياة الحيوان .. لا تريد بيت ولا أسرة .. يوم مع هذا وآخر مع غيره .

ـ مومس !

ضحك رشيد قليلا وقال : لا ، لا .. تريد أن تكون مثل بنات أوروبا حتى يملوا من بعض .. بوي فرند .. بيت بدون عقد .

ـ وأنت لماذا زعلان ومتوتر وغضبان ؟!

ـ النساء إخوان الشيطان .

ـ من باعك بعه ، لا أمان عندهن يا رشيد في نظري .. سريعات في خون العيش .. وأنت قلت

لي إنك خبير نسوان !

قال : لا أحد خبير نساء ..كلنا يزعم ذلك .. تثق فيها ، ثم تجدها تعاشر كلبا .. الشيطان كيده ضعيف معهن .. سأتزوج يا أبي أخيرا ؛ لعل وعسى أرتاح من البحث هنا وهناك والبحلقة في هذه وتلك .

ـ افعل ؛ لعلك ترتاح فعلا .

ـ قل لأمي قد بلغت الرشد ، وسأتزوج قبل نهاية هذا العام ؛ لعلي أتخلص من التفكير فيها.. هل ينفع هذا الدواء المر يا أبي!



مكونات جهاز الجراحة بالمنظار

العصبة النسائية

عقدت الدكتورة نبيلة مزم زعيمة حزب العصبة النسائية جلسة في مقر الحزب لأعضاء الهيئة المركزية للجمعية لمناقشة قضية طارئة وجريئة تهدد بقاء الحزب ، وممن حضر الجلسة فاتن وفكيهة وسمير وآخرون ، والقضية المعروضة والمزعجة هي رحلة وردة نجيب ووائل زياد لأوروبا للاحتفال بزواجهما من قبل حركة نسائية تدعم جمعيتهم سرا ، ولها نفس المبادئ الإباحية ، والعصبة نسخة منها كسائر الأحزاب والجمعيات الحزبية العلمانية .

قالت مؤسسة الحزب وجمعيته الدكتورة نبيلة مزم : أنا حذرته من إقامة علاقة علنية مع الدكتورة ، وهذا العمل والجهر لم يحن وقته بعد ، وحذرتها نفسها من إشهار أمرهما .. رهبتهما من العيش تحت سقف واحد بدون عقد شرعي ، وأن هذا الفعل غير مقبول في بلد كبلدنا ، ولتبق علاقتهما الجنسية دون إعلان وإشهار ؛ كما يفعل الكثير منا .. نحن لسنا في أوروبا وأمريكا .. أولئك قوانينهم تبيح ذلك ، ويعتبرونه نوعا من الزواج المقبول.. لم نصل نحن بعد لهذه المرحلة .. الناس ما زالت لا تتقبل الكثير من مواد السيداو الثلاثين ..هناك تحفظات على أشكال كثيرة من الزواج .. هل وصلنا لمرحلة أن تشارك المرأة بإيجار البيت كالزوج ؟ .. النساء أنفسهن يرفض المساواة ، ويرفضن أن تصرف وتنفق نصف مالها للبيت كالرجل .. عندنا التريث والعمل رويدا رويدا لتحقيق الهدف .. النظام يقبل الزنا بالتراضي ، ولا عقوبات .. أما إظهار هذا للعلن ونشره في الصحف الأجنبية والتباهي به ؛ فهذا تسرع ولا تسجيل سبق .. وها هي المجلات المحلية ومقالات الصحف تهاجمنا بحقد ، وتزعم أن هذا نتيجة تهاوننا في الأخلاق وتشجيع الإباحية بحجة دعم المرأة ، وحرية المرأة ، ويلفقون القصص والكوارث والحكايات عنا .. وكم من البيوت خربنا ؟.. ورفعنا نسبة المطلقات .. وهددنا نظام الأسرة المتوارث من آلاف السنين .. أرأيتم كم جلبت علينا الفعلة المتسرعة من الأذى ؟! يجب قطف الثمرة في وقتها أيها السادات والسادة ..ويكتبون هذه هي النتيجة التي تسعى إليها حركة العصبة النسائية .. الجنس وأولاد غير شرعيين أو إرسالهم لقرى الأيتام

والملاجئ .. علاقات إباحية خشية الطلاق وضياع الأطفال .. طلبت وردة الطلاق ؛ لتعيش مع رجل على طريقة الزواج الغربي زواج لقضاء الشهوات .. هذا يخالف نظام الأسرة العربية وحتى الشرقية .. وها هي تعلن قبولها العيش مع رجل دون زواج قانوني .. هذا ما يريدون الوصول إليه هؤلاء الشواذ .. وغدا سيطلبون أن تعيش المرأة مع المرأة كزواج .. وكذلك الذكر مع الذكر .. زواج المثليين هذا ما يريدونه .. هل بهذا الانحلال تتقدم الأمم؟! هل بهذا سنغزو الفضاء؟! أرأيتم ما جلبت علينا تلك الدكتورة المتصابية والعاهرة ؟! ولن يتوقف هجوم الآخرين علينا .. نحن نعلم وهم يعلمون كم من العلاقات قائمة خارج عش الزواج؟ لكن لا يقبل العامة هذا علنا ، وكذلك التيار الإسلامي بكل فروعه ومسمياته السياسي وغير السياسي .. وفي الختام بعد إسماعكم ما قالته الصحف وكتابها قررنا فصل الدكتورة علنا ، وسينشر في بعض الصحف هذا الإعلان ، وفصل الدكتور وائل زياد ، فلم يعد الحزب بحاجة لهما ولخدامتهما .. ونظام الحزب واضح .. نحن لا يهمنا العلاقات الشخصية والأفعال الشخصية الفردية ، وقد جعلت من نصري الهاني سكرتيرا جديدا بدلا من وائل الذي استغل الحزب للإيقاع بوردة حتى طلقت ؛ ليقيم معها علاقة كزوجين دون وثيقة رسمية .. وسيكون الهاني الناطق الرسمي للحزب .. وأرجو لمن له علاقة قوية معهم أن يدعوهم للتراجع عن هذا القرار المتسرع ، وأنه خطأ في زمن كهذا.. نحن نعيش في بعنبس .

قالت فاتن بعد سكوت الرئيسة : وهل هذا التصرف يسيء للحزب حقيقة يا دكتورة نبيلة؟

قال سمير برهم : لا يسيء هذا الفعل للحزب كحزب ؛ لكن وقته غير مناسب .. نحن نسكت عن العلاقات العابرة بين أعضاء الحزب ومع ناس خارج الحزب .. فليس من مهام الحزب منع ذلك .. هو ضد منعها بالقوة بالقانون أو الدين.. فالبلاد دينها الإسلام .. أما إقامة علاقات علنية بهذه الصورة أمام الصحف والإعلام لا يقبله الحزب البتة .. فهذا أصلا يخالف نظام الحزب والجمعية ..فهذا سيجلب على الحزب والجمعية شرورا ستتعبنا ، ونصبح في موقف ضعيف في الشارع وحرية المرأة .. فنحن بغنى عن هذه المشاكل .. سيقال ويشاع أننا

نشجع العيش بين رجل وامرأة دون عقد على طريقة الغربيين ، وهذا الهدف والغاية التي سمحت الدولة لنشر الحزب أفكاره ، للقضاء على الأسرة العربية والمسلمة .. وسنجد أنفسنا بعد حين بيننا أطفال غير شرعيين بدلا من أطفال وأبناء مطلقين .. ولا تنسوا أننا حزب صغير وحديث ، وكلنا يعلم أننا لسنا ضد علاقتها بوائل .. فكلكم يعلم أنهم أصدقاء وشركاء فراش منذ نشأ الحزب ؛ وربما من قبل.. فالحزب لا دخل له في القضايا والعلاقات الخاصة .. نحن تركيزنا في هذه الفترة على حقوق النساء ، وعدم تعرضهن للضرب والتعذيب بسب علاقاتهن الجنسية وغيرها خارج بيت الزواج سواء بالقتل أو سوء المعاملة أو زواج القاصرات أو زواج الصغيرة بالرجل الكبير .. الحكومة لن تعترف بزواج وردة ووائل .. وما هو بزواج .. لم نصل لمرحلة تكوين أسرة بدون عقد شرعي .. رويدا رويدا نصل إلى الزواج المدني وغيره من أشكال الزواج .. هو الزنا ماذا يفرق عن الزواج ؟ هو كله إقامة علاقة جنسية بين طرفين.. الفرق فقط الورقة التي تسمى عقدا .

قالت فكيهة : أنا قلت لها ما أنت على علاقة معه، وتستطيعين أن تعيشي معه أو هو يسكن معك بدون إظهار هذا ؛ كما يفعل الكثير منا أو كل واحد يعيش في بيته، ولما تحتاجون للجنس تلتقون .

قالت نبيلة : هذا ما كانوا يفعلونه، وهذا ما كان عليهم الاستمرار عليه.

وتم في هذه الجلسة كتابة بيان الفصل بعد إصدار القرار ، وعلى السكرتير الجديد نشره في أهم صحف المدينة ، ويعلن براءة الحزب من هذا الفعل ويرفضه ، وليس هو من أهداف الجمعية ؛ إنما كان تصرفا فرديا وشخصيا منهما ، ولم نمول رحلة أوروبا لإظهاره ، وابعث لها نسخة ولوائل مثلها .. فنحن في غنى عن خدامتهما وطلبت وردة اللقاء بي لما أعلمتها بخطتنا الاستغناء عنها ، فرفضت أي لقاء بها في الوقت الحاضر ؛ لأن الإعلام يتربص بنا . .ولن يصدق فصلهما اذا التقينا .

ـ ووائل ما كان رده .

قالت : لم يرد ، ولم يتصل ، وأنا منذ زاد نشاطه ولقاؤته بها بعد مرض زوجها عصام نصحته بأن يخفف من ممارسة الجنس معها ، وهي على ذمة رجل زميل لنا في المهنة والنقابة ، فقال : هي تعشقني وتريدني ماذا أفعل لها ؟ وأنا امرأتي هاجرتني، فقلت له : واذا علم زوجها بفجورها، فقال: هو طرطور ، لا أظهر معها بوجوده .. إنها امرأة شريرة رغم براعتها في الطب وشهرتها.

ـ جاءتها الشهرة من عمليات الإجهاض الخفية التي تقوم بها يا مدام نبيلة.

ردت عليه : أولئك الخادمات المستوردات يفرطن بفروجهن فيحملن ؛ لعل من مارس معهن البغاء ، يخشى أن يتزوجهن قانونا بوجود الحمل .



الأم وابنتها

ذاع وشاع خبر علاقة وردة ووائل الشاذة في المدينة بالحياة كزوجين دون عقد زواج ، وكانا أعلنا عن هذه العلاقة في مركز الإباحية في سويسرا في جمعية كجمعية العصبة ، ونقلت صحف البلاد الخبر ، بعضها بتعليق ونقد ،وبعضها خبر بدون تعقيب .

وواجه النبأ استنكارا عائليا واجتماعيا ، وفصلا من عصبة النساء ، فهذا الفعل مخالف لتقاليد وعادات الناس ، ومستهجن أن يصبح الزنا أمرا مقبولا ، وتبرأت علنا جمعيتهما من فعلتهما ، وأن الجمعية بينت للعموم أنها لا توافق على هذا الفعل ولا يدخل في باب الحرية التي تدعو إليها الجمعية والعصبة النسائية ، ونشرت موقفها الصارم في عدة صحف ومجلات ومحطات فضائية ، وبينت أنها تدعو للزواج الشرعي والقانوني ، وأفكارها تدور حول حرية المرأة بالتملك واختيار الزوج والاستشارة ومحاربة الإيذاء الجسدي والبدني ، ولا تجبر على الزواج من الكبار والأغنياء دون مراعاة فارق السن ، وأن يسمح للمرأة المنحرفة بالعلاج المجاني ، والفحوص من الأمراض الجنسية دون تشهير وإساءة ، وتدعو إلى احترام المرأة وحقها بالحياة الكريمة ، وبينت أنها ليست ضد العلاقات الجنسية خارج بيت الزوجية ، ولا يحق أن تشنع وتقبح المرأة بسبب ذلك ، فهي مثل الرجل قد تزني برضاها كما يزني الرجال ، ولا يحق لأهلها معاقبتها وتعذيبها ؛ كما لا يعاقبون الذكور ، وأقسى ما يحق للزوج هو طلاقها بدون أذى وشوشرة ، هذه غايات حزب العصبة النسائية ، وليس أن يعيش الرجل والمرأة في بيت واحد كأزواج دون عقد موثق ، وأكدت لأعضاء الحزب بسبب هذه القصة أن الحزب لا يحرم الزنا كما تحرمه الشرائع ، والأمر في ذلك ، كما يحصل في فرنسا والغرب عامة أن يكون بالرضا ، ويحرم الاغتصاب والتحرش الجنسي للأطفال والنساء .

جن جنون وردة لما كثر تردد فعلها واسمها في الصحف والمقالات ، وأنها خدشت حياء المجتمع بفعلتها ، وكسرت نظام الأسرة من بداية التاريخ ، وأسفت للتشهير الذي حل بها وبعائلتها ،واستقبح الكثير من أهالي بعنبس فعلها ، وخروجها القبيح عما اعتاد عليه الناس

بصورة علنية .

طلبت زكية اللقاء مع وردة لمناقشة الأمر ، وأسباب فعل ذلك . جاءت وردة لبيت أمها تلبية لدعوة أمها التي من النادر أن تتدخل في شؤونها هي أو أشقائها ، ودخلت معها لمكتبها المنزلي .

فقالت الأم بغضب مكتوم : لماذا فعلت ذلك الجنون ؟!

ـ إنني أحبه ، ولا أريد أن أقيد نفسي بزواج رسمي ، ثم طلاق وانفصال .

قالت : نحن في مجتمع شرقي.. لسنا في هولندا وفينا يا وردة ! أنا أعلم أنك عاهرة من زمان منذ أيام الجامعة ، لا تظني أنني مغفلة عن مجونك وفحشك ، ولا يحق لي أن أمنعك عن الزنا .. أنا نفسي لا أهتم بذلك .. حياتك وأنت حرة فيها .. هناك آداب تجب مراعاتها ، وشعور نحو المجتمع .. هل نخلع ثيابنا في الشارع ونسير عراة بحجة الحرية ؟ وأنا أعلم أن ابن أخي نال منك قديما أيام الجامعة ؛ ربما هو أول رجل فض بكارتك .. هذه قضية لا تهمني كذلك .. تفجرين باسم الإلحاد وإنكار البعث بعد الموت .. وشعاركم الحياة للحياة .. هذا أمر أنت حرة فيه آمنت بالله أو لا تؤمني هذا شأنك .. ما دمت لهذه الدرجة مغرمة فيه هاجروا إلى أوروبا أو كندا وعيشوا كيفما شئتم .. قوانينهم تسمح بذلك .. أنظمة البلد لا ترى صحة ذلك.. المجتمع لا يقبل هذه الصورة من العلاقات الجنسية .. وها هو حزبك المنحط رماك أنت وصاحبك وتبرأ منكما ومن فعلتكم حتى لا تلصق به الفعلة .. عليكم بإظهار الزواج بعقد زواج من المحكمة الشرعية ؛ لتكف كل الصحف والمقالات التي تقذف نحونا ونحو فسادنا .

قالت بتمعن: ثم يصادف امرأة أخرى ويطلقني .

ـ هل كان عصام يعلم بفجورك وخيانتك لفراشه ؟!

قالت : هو يعلم بأنني لما تزوجته بأنني لست عذراء بكرا ؛ وربما ظن أني صارحته بذلك ؛ لينصرف عن زواجه مني .. يعلم أنه كان لي أصدقاء أكثر من أصدقاء كنا في نفس الكلية ..

كان يسبقني بعام واحد .. ويعلم ما يدور بين الطلاب وبين المدرسين العلمانيين .. والفضائح الجنسية كانت كثيرة في أيامنا ؛ لكن بعد الزواج لا أعتقد أنه يعلم بمعاشرتي لرجال غيره أو يعلم ويصمت .. عصام طيب ومسكين ، لما كنت أخونه الحق كنت أشعر أنه يحس بذلك ويكتم ؛ ربما أنا سقطت في براثن الإباحية كما قلت أيام الكلية .. كان جمالي مثيرا للرجال والذكور ولم يفض بكارتي رشيد ، ولم يعاشرني معاشرة كاملة أبدا .. كانت مجرد قبل ومداعبات .. كان يخافك ، ويخاف والده .. أول رجل ضاجعني كزوجة دكتور أحد مدرسي في بيته .. ذهبت إليه بحجة مناقشة مسألة ، وكانت زوجته في سفر عشت معه مرات ، ثم مات .. كنت أحب إغراء الرجال خاصة المتزوجين .. وكثير منهم سقط .. ومع ذلك لم أمارس الجنس مع أكثرهم .. ووائل عرفته أيام الكلية كان يتقدمني بفصول وسنوات ، ومن يومها تعلقت به ، وجرى بيننا عدة لقاءات ، ولما التقينا في الجمعية تجدد الحب بيننا ، فعرض عليّ الزواج اذا طلقني عصام ، وسعيت لذلك وتحقق .. ونبيلة كما أخبرني عاشرها عدة مرات ومن أجل ذلك جعلته سكرتيرا لها ، ولكنها كبيرة لا يتمسك بها عشاقها كما يقول .. فهذا سبب غضبها الحقيقي .. فهو أحد عشاقها .

ـ المهم اليوم أن تتزوجوا رسميا ،وافعلوا ما شئتم ، لا يحق لي بالتدخل بحياتك وغرامياتك وبدنك ؛ ولكن إخوتك في غضب ، وصبوا غضبهم عليّ أنا ، وأخشى عليك من عقولهم ونقمتهم .. فقد سمعت منهم كلاما قاسيا في حقك .. وهم كما قالوا يعلمون بفحشك ومطاردتك للرجال وهوسك بهم .. ابتعدي عنه اذا رفض العقد .

ـ لا أستطيع

ـ بل تستطيعين

ـ لنتريث قليلا حتى تهدا الحملة الخبيثة ، والحزب لا يبكى عليه.

كان وائل على علم بطلب زكية لوردة ، فلما رجعت لشقتها بعد سماعها لتعنيف أمها الشديد ، وكشفها لكل عيوبها وعلاقتها الجنسية من عهد بعيد ، وكانت تغض الطرف ؛ لأنها تمجد

الحرية والليبرالية ، والأمر في النهاية لا يعنيها ؛ لكن هناك تقاليد مجتمعية عليها أن تراعيها ، ولا يهمها جسد ابنتها ومن يعبث به ، وأما الحياة مع رجل دون عقد زواج فهذا عيب وغير مقبول في نظر مجتمع بعنبس ، وأغضب أشقاؤها حتى عارف استعر منه ، وأصبح فعلها حديث الإعلام منذ ظهر ، وأصبحت العيادة بدون زبائن ، وتلاحقها النظرات في النادي وغيره ، وتتسأل ما الفرق بينه وبين البغاء هنا أو هناك ؟ كله جنس ، وملايين البشر على هذه الصورة يشبعون رغباتهم ثم يفترقون ، وليسوا بحاجة لمحكمة ومحامي وعقد وطلاق .. كل في بيت أهله .. ومليارات من الناس تشاهد أفلام الجنس ، وفيها من الهيئات والأوضاع ما لا يصدقه أحد ، لو لا أنه مصور.

فلما سمع وائل سؤال عشيقته القديمة الجديدة قال : هل اذا مارس أحدنا الجنس في شقتي مقبول ، ومرة أخرى في شقتك مقبول أم جريمة ؟ نحن نعشق بعضنا ونمتع أجسادنا بشيء مخلوق فينا ..ثم صرخ غيظا : عقول متخلفة .. نحن لا يهمنا عادات وتقاليد الناس يا وردة .. أنت ما رأيك ؟

صمتت طويلا ثم تأملت عينيه : الأمر مربك ! وتركت الشراب وقالت بحزم : يكفي شهر يا وائل ! إما أن نعقد زواجنا كما تريد أمي أو نفك الشراكة الجسدية .. أنت تعلم أن أمي متحررة أكثر مني ؛ ولكن هذه الصورة غير مقبولة عند العائلة تقول أمي : افرضي زرتك أو زارك خالك أو عمة أو عمك ووجدنا الرجل الغريب في بيتك ماذا ستقولين لنا ؟! فعلينا بالزواج الشكلي ونظهره للناس ولنبيلة وعصابتها وإما أن نفترق يا وائل نهائيا .

ـ أتستغنين عني عن حبك القديم الجديد كما تقولين ؟

ـ استغنيت عن الكثير ..الكثير من العشاق يا دكتور ! وأنت تعلم أنني لا أحب التوقف عن اصطياد الرجال وإذلالهم حتى ولو تزوجنا قانونا.

قال : نعم ، أعرف ، وذكرت ذلك وحذرتيني من الغيرة .

ترك كأس الشراب فارغا ، وسمعها تقول: كنت أعجب من صمت عصام عن خيانتي له ،

ويتظاهر بالجهل والعمى.

قال: ربما فعلا لا يدرك أو كان يخونك يا حلوة ؛ فلذلك عامل نفسه أعمى .. لقد التقيته بضع مرات ، كان يأتي للحزب للقاء بك أو التقينا في نادي العائلة أو ندوة فأنا أعرفه من أيام الكلية تغير السيد .. علمت أنه اليوم أصبح شيخا ومتدينا ، وسمعت أن جهادا شقيقك ضمه لحزب الحركة الإسلامية ؛ ليشارك في حملات الطب التي نقيمها الحركة في البلد وخارجها.

همست باستغراب : لكن عصاما مريض .

ـ كمشرف وإداري لا يمارس العمل بيده.

ـ لقد علمت من جريدة أنه سافر فرنسا ، وعاد بكيس أدوية . وموعد في آخر الربيع القادم .. ببـبجد ..اسمع هل أنت مستعد لعقد زواج قانوني؟

حك رأسه وملأ الكأس خمرا ، وأشارت له وردة بألا يصب لها وقال : أنا عندي زوجة باسمي كما تعلمين ،وهي ما زالت على اسمي وذمتي ، فلا هي زوجة ولا هي مطلقة .

أشعلت سيجارة جديدة وسألت : لماذا ؟

قال : لماذا ؟لماذا ؟ نعم لماذا ؟ تركتني بعد زواج عامين ، وعادت لبيت أبيها ، ولم تطلب الطلاق ، ولا أنا أريده ؛ لأنها ستأخذ مالا كثيرا .

قالت بحيرة : مالا كثيرا ! كم هو المال الكثير؟

اغتصب ضحكة صفراء وقال : خمسون ألفا كتبته مؤخرا لها .

ـ يا! عجيب يا وائل ! لماذا قبلت بذلك ؟!

قال: يبدو أنك لا تعرفين قصة زواجي .. نسيت بنت من هي ؟!

قالت: صدق أنني ناسي .. نحن انقطعنا فترة طويلة حتى التقينا في الحزب ، ولما صرت السكرتير عادت أمجادنا وحبنا .

ـ أكيد أنت ناسية .. أبوها كان مسؤول الأمن السياسي في الجامعة ، ثم أصبح مديرا عفوا نائبا لمدير المخابرات العامة .. المكتب الثاني المكتب الأول الأمن العسكري .. وتقاعد على رتبة

لواء ركن .. اللواء جعلونة .

ـ آ ! أعرفه ، طلبني مكتبه في الجامعة مرة .. بس ناسي تلك القضية .. قل سمعت به ، لم أقابله هو .. قابلت أحد معاونيه .. نعم ، كان المسؤول عن القلم السياسي في جامعتنا أيام ما كنا هناك .

ـ صحيح ، كنت سابقك بعامين ، تعرفنا على بعض أثناء عملنا التدريبي والعملي في المستشفى الجامعي .. عرفتك من خلال الدكتورة نبيلة أيام عملها في أحد أقسام الجامعة ، وكان حزبها الحالي ضمن حزب النهضة العربية التي لم تنهض لليوم .. الكل يتقدم وينهض إلا العرب ما زالوا عاجزين عن النهوض والقيام ، ولما تخرجت حدث انشقاق حزبها باسم العصبة النسائية للدفاع عن المطلقات والعوانس وحريتهن في ممارسة الجنس مع من شئن ، ولا يحق للأولياء بمنعهن وقتلهن باسم الغيرة والشرف .. وتلك الأيام الجميلة عرفتك ، تعرفت على الحسن والشباب ، وجرى بيننا ما جرى وخشيت على بكارتك ، فقلت: لا تهتم ، لست الأول ، ومارسنا الحب في غرفة المرضى الفارغة ، ثم تجدد لقاؤنا العابر عندما عملت معكم في الحزب وها نحن اليوم ننام في شقة خاصة بنا .. عشنا لحظات جميلة من شبابنا .. كانت ابنة اللواء خميس جعلونة طبيبة في المستشفى .. عرفتها عند تدريبي العملي وعند الاختصاص في قسم الأطفال حيث كانت تعمل هناك كانت المسؤولة عن ذلك القسم ، وزادت معرفتي بها بعد إنهاء البكالوريوس تزوجت أثناء عملي في القسم لنيل الاختصاص ، وأنجبت طفلتين ، ثم علمنا بطلاقها ، وزوجها ابن ضابط صديق لوالدها ، أخذت بتعقبها ، وعرض نفسي عليها ، ولو أنها مطلقة.. فبعد حين لانت ، وحنت كما يقال لرجل .. وتزوجنا ووضع عليّ المؤخر المؤجل العالي حتى لا أفكر بطلاقها في يوم ما ، وعشنا سنتين معا ، ثم لم أعد احتمل الحياة معها .. كانت مغرورة ومتكبرة ابنة ضابط أمن كبير ، وعذرت زوجها بانفصاله عنها ، ولم تلد مني برغبتنا .. كان هذا قبل خمس أو ست سنوات .. ابتعدنا عن بعض دون طلاق ، ورفضت التنازل عن المال أو عن جزء منه .

ـ الآن فهمت يا لئيم لماذا لم ترغب بالزواج المعتاد ؟!

ـ الأفضل أن نبتعد ؛ ولعلنا نلتقي كلما تشتاقين إليّ .

نشرت الأخبار في بعنبس خبر زواج الدكتور رشيد علي دكتور كلية الاقتصاد ودكتورة في نفس الجامعة ، والكلية الدكتورة حنان جابر دكتوراه في المحاسبة ، وكان بينهم حديث عن الزواج من سنوات يسيرة ، فالدكتورة أم لطفلين ، وقد فقدت زوجها بمرض عضال ، وكان بينها وبين رشيد محاولة للزواج ، فهي ترددت بحسم الأمر ، والدكتور كانت تلعب به وردة ، وتعده بأنها اذا طلقت ، واذا تركها عصام بعد مرضه الخطير، قد تكون زوجته ؛ لإحياء حبهم القديم .

عاد إليه الأمل ، وكان يرقب الأحداث ، وفعلا نجحت وردة بترك عصام بكل هدوء ، ولو طال الوقت لمدة ثلاث سنوات . ولما جد الجد ، وجد رجلا آخر ظهر من السر والخفاء في حياة محبوبته ، ولما علم بسفرها إلى أوروبا ، واجتمعت بوائل ، وأظهرت أنها اتفقت مع صديقها وائل على الحياة كزوجين دون عقد قران ومحكمة ، صدم كما صدم غيره ، وتشتت ذهنه فعاد يحادث حنان ورغبته بالزواج منها وأنه ملّ من العزوبية ، فقبلته ، وحسمت ترددها وكتب العقد الشرعي ، وأخذوا بالاستعداد لحفل الزواج في أحد فنادق تاج الزمان الحديثة .

سعت وردة للحديث معه ؛ فكان يغلق الخط ، ويرفض سماع صوتها، وأرسلت له رسالة الكترونية ، فرد عليها برسالة بعدم رغبته بالحديث معها أو رؤيتها ، وانتهى ما بينهما إلى الأبد ، وأعلمها بعدم رغبته بدعوتها لحفل تاج الزمان .

ونشرت صور حفلة الزواج في المجلات الاجتماعية بتعليقات مختلفة ، وكان الرجل يأسف للوقت الذي قضاه مع وردة وتلك الأحلام الوردية .

وبعد زواجه بأيام نشرت بعض الصحف عن فراق وائل ووردة ، وفشل مشروعهما القبيح بسبب عدم تقبل المجتمع لمثل هكذا علاقة ، ولحفظ تقاليد العائلة والمجتمع، ووجدت

معارضة شديدة من أهلها وأمها .

تحدث رشيد مع عصام واعتذر له عن إساءته له وتسببه بطلاقه من وردة ، فقبل عصام اعتذاره ، وأخبره أن وردة انتهت من حياته ، ولم يعد يربطه بها إلا جوهر ابنه الوحيد ، وحاول نقل حضانته إليه ؛ ليبعده عن مجونها وسكرها ، وبارك له الزواج وتمنى له السعادة .

تلقى رشيد هاتفا من عمته زكية حسني باركت له فيه الزواج، وانتهاء فترة العزوبية ، وتحدثت مع قرينته حنان وهنأتها بالزواج ، ودعتهم للعشاء الخاص بهما، وأعلمته أنها دعت والده علي وأمه ، وعمه تيسير وحليلته ، فقبل الدعوة المقامة على شرفه هو وزوجته ، وطلب منها بكل صراحة أن لا تدعو ابنتها وردة ، فقالت : لم أدعو إلا من ذكرت لك وعارفا.

مشى رشيد وقرينته إلى منزل العمة تلبية لدعوة للعشاء حسب الاتفاق ، تناولوا الطعام ، قدمت لهم الشراب ، فدخلت عليهم حينئذ وردة ، فتوتر الدكتور وقالت زكية: صدق يا رشيد أنني لم ادعوها .

قالت وردة شارحة ظهورها : علمت الأمر من عارف .. أحببت أن أراك وأبارك لكما بالزواج يا ابن خالي .. مبارك يا دكتورة حنان!

ـ شكرا دكتورة وردة .

فقال : مبارك طلاقك الجديد!

ابتسمت قائلة : طلاقي ! وهل أنا تزوجت؟ !

ــــــ



خرج سامي وحسن من مسجد عمار في أحد شوارع تاج الزمان ؛ حيث كانا يتابعان العمل الإنشائي الضخم الذي يشيدانه ، وهو عبارة عن مجمع تجاري مكون من عدد كبير من البنايات ، هما يقومان بإنشاء عمارتين ، كل بناية تزيد عن عشرين طابق فوق الأرض .

ولما فارقا الجامع دخلا مطعما صغيرا للغداء قرب المسجد قبل المسير إلى موقع العمل والبناء ، فهما يديران ويملكان شركة مقاولات" أكبر تاج الزمان العالمية " فقد أنجزا مشاريع عمرانية خارج البلاد وداخلها.

كان حسن يسأل صهره ونسيبه عن صحة شقيقه عصام ، فقد ألمت به من أيام وعكة صحية أدخل بسببها المشفى ، فقد شعر بألم شديد في صدره ، وخشي عليه من جلطة قلبية ، فقال سامي : الحمد لله ، خرج بعد مبيت ليلة واحدة ، كان صدره متعبا قلقا مهموما على ولده ، فقد رفضت طليقته التخلي عنه ، رغم فضائحها وهوسها بالحرية الجنسية ، والعيش مع رجل بدون عقد ، فلما قرأ وسمع أخبارها القبيحة خشي على الولد من فسادها ، فلما ير جوهر الزناة يدخلون عليها سيتأثر ويصاب بالعقد .. فكيف سيشب المسكين ؟ رفضت وأعلمته أنها تركت عشيقها وهي لا تتخلى عن ابنها فأصابه الضيق والألم .

ـ سابقا أمر أخيك محير ، أنا كنت قليل الاختلاط به ، لم تكن نوار تُكن له تقدير واحترام ، ولا تحب زيارته وحتى الاتصال به .. زوجته قبل الطلاق لم تكن مقبولة من نوار أيضا .. فقد فعلت منكرا رهيبا .

قال : اسمع يا حسن ! نحن نعرف ابنة عمنا جيدا .. هي وعصام وأمثالهم يظنون بعنبس منطقة في أمريكا .. أنت تعرف ساحاتها وملاهيها وخمارتها وحاناتها ومراقصها .. فهم يعتقدون أنه حي من أحياء أمريكا ، فيحق لهم أن يعيشوا على طريقة الغربيين.. نحن نعرف وردة وسقطاتها من أيام الكلية ، وعاشت ونشأت أول حياتها في أكثر البلاد العربية حرية وفتنة بيروت .. وعصام للأسف مثلها وهو كان يسبقها بعام ، وكلاهما في نفس الكلية ، وكلاهما ملحد لكثرة الملحدين في الكليات العلمية.. للأسف بدل أن يقربهم العلم إلى الإيمان

والدين ابتعدوا .. وأنا وأنت يعلم أن ذلك من أجل اطلاق غرائز الجنس قضاء الرغبات والشهوات دون أن يؤنبهم ضميرهم ويضبطهم دين ، ولا تنسى أن بين أطباء جامعة بعنبس أجانب لا دينيين ، وإن لم يكونوا ماركسيين شيوعيين .. أصر أبي على زواج عصام الملحد من الملحدة وردة .. فهو سيء السمعة وهي مثله ؛ لعلهم يتفاهمون ويتعافون من أمراضهم الفاضحة .. أبي يبغض زكية امرأة عمي وأهلها ، وحتى لا يتزوجها رشيد ابن أخيها دكتور الجامعة تمسك بزواج عصام منها .. حاولت معه دون فائدة ، فقال أبي : دعه ، الأيام دواء ، ولما قرر والدي زواجهما كان قصده استكانتهما ويهدآ .. فأبي لا يقتنع بتربية امرأة مثل زكية امرأة عمي نجيب .. فهذا العم علمنا لما كبرنا أنه قطب من أقطاب الشيوعية العربية واليسار العربي ، وعاش ردحا من الزمن في فلسطين ، ثم هرب لبيروت ، ثم هرب لقبرص واختفى لحد اليوم .. الشرطة القبرصية تزعم أنه هرب مع أنثى إلى أمريكا اللاتينية بشخصية أخرى حسب تحقيقات شرطة قبرص .. وزكية المتصابية ترى أنه خطف من موساد إسرائيل .. والصليب الأحمر أكد أنه لا يوجد في إسرائيل أحد باسمه.. لماذا خطف ومن خطفه ؟ لا أحد يعلم .. والزواج والهرب لا أدلة عليه .. فكل سنة تذهب زكية زوجته إلى قبرص ، وتنزل في فندق الاختفاء أسبوعا عشرة بزعم الوفاء ، ثم تعود وتعمل وليمة ودعوة في فندق عن روح نجيب الحية .. فهي مثله ضالة ؛ ولكنها تؤمن بالله ولا تؤمن بدين وصلاة ، ولابد أنك سمعت شيئا عنها من نوار أو أبي .. نحن علاقتنا بهم رسمية أو أقل من رسمية .. متحفظة .. علاقة أقارب .. علاقتنا مع سالم وجهاد هي الأقوى وتربوا معنا .. وهم بحكم تدينهم بعيدون عنها إلا بحدود البر المطلوب.. وقل سبحان الذي يخرج الحي من الميت .. الخلاصة أنهم أسرة مفككة يا حسن ! وأبي لليوم يتهمها بقتل نجيب أو المشاركة باغتياله ، وأنها تتظاهر بالوفاء ، وأنه خطف بطريقة بسيطة ، ولتعلم أن أبي وعمي كل واحد منهما من أم .. فهذه قصة زواج عصام من وردة محاولة للستر عليها وعليه.

ـ هل كان يعلم بأن زوجته تخونه ؟ ولها عشاق .. رأيتها مرة متبرجة لآخر درجة فتعجبت من

صمت أخيك ، فقلت لمن كل هذا التبرج والسفور والمكياج ؟!

ـ في فترة ما قلت له طلقها يا عصام ! ودعك من حرية المرأة .. تجاهل غمزي وإشارتي .. هو يعلم أنه تزوجها بغير بكارة وتحدث بذلك ، وظن أنها صارحته بذلك حتى ينصرف عن زاوجها ؛ للآن أمها تكره أبي ؛ كما يكرهها هو ؛ لكنّ عصاما كان مثلها له عشيقاته ومومساته ويتظاهر بأنه جاهل بخيانتها .. نحن نعرف.. فكيف هو ؟ مأساة بحق ! لما يزيغ المخلوق عن الفطرة السليمة يرى الباطل هو الحق ..انظر إلى ما أصابه بسبب ذلك .. وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم .. أنا فرح جدا بتوبته وصلاته .. هو في الآخر أخ لي .. ربك يمهل ولا يهمل " سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ " نسأل الله وحده العفو والمغفرة يا أبا محمد .. سيدنا الحسن كان ينادى بأبي محمد.

ـ أمين أمين يا أبا عبدالله !

إجهاض

اتصلت زكية حسني بابنها جهاد ، وطلبت منه المرور عليها لحديث خاص ؛ فكان يكره الذهاب لبيتها خشية أن يلتقي بوردة وجريدة ، فهو لا تعجبه اختياراتها الفكرية ، فهما في نظره منحلتان ، غاياتها المتعة من أجل المتعة ، ويقلل من الزيارة " زر غبا تزد حبا " ونفس الحين لا يكون عاقا ، ولا يرغب أن يراها تشرب المسكر مع أصدقائها وضيوفها ، أو تدخن أو يرى السافرات الكاسيات العاريات بحضرتها أو يقابل زوجها المسطول بالخمر والإدمان ، لم تكن أمه متدينة أو حتى عامية في الدين ، كانت ملحدة منذ التقت بأبيه في لبنان ، واستمرا على ذلك لا دين لها .

فقال : أنا وحدي!

فهمت قصده وقالت : اذا أحب سالم أن يرافقك .. فمرحبا بكما .

سالم رجل أعمال وتاجر كبير وأغلب نشاطه في الخليج العربي ، ويتردد باستمرار على البلد لمصانع وأعمال خاصة ينشط بها في البلاد وبعنبس ، وكان له شقة فوق شقة جهاد في نفس البناية ، فهو يقطن الطابق الثاني ، والأول الأرضي لجهاد، وزوجته شقيقة زوجة سالم ، تزوجا في وقت واحد ، تحدث جهاد مع سالم عن رغبة الأم بالحديث معه ، ولم تذكر الموضوع ورحبت بصحبته للمرور عليها.

وافق سالم على الزيارة والمصاحبة ، واستعد لها ، كانت زكية اذا زارها سالم أو جهاد تخفي قوارير الخمر عن الموائد لاتفاق بينهم ، وحتى تراها تلبس ثوبا طويلا حسب اتفاق جرى قديما ، وعادة قبل أن يمر عليها أحدهما يخبرها بالهاتف لتسعد للقاء ، واذا كانت وردة أو جريدة يسهران عندها تنصرفان بعجلة ، فتعليقات جهاد جارحة ومؤلمة .

رحبت بهما وصافحاها وعانقاها واطمأنا على صحتها وسير عملها ، وقدمت لهما خادمتها القهوة والماء ، وأشعلت سيجارتها وقالت : هناك مشكلة حدثت لوردة أختكم .

أسرع سالم قائلا باندفاع معروف فيه : مع عشيقها !

نظرت إليه ؛ كأنها تلومه على الوصف وقالت بحدة : تركها عشيقها ، وتزوج رشيد زميلة له فأصبحت بدون أحد .. زوج طلقها كما تعلمون .. رشيد يأس منها على غير ما توقع .. كان يتوقع من إلحاحها ورغبتها بترك عصام أن تتزوجه .. أنا قلت لعلها تريد رشيدا .. والعشيق تبين أن على ذمته امرأة ؛ لها سنتان هاجرته ومبتعدة عنه .. فلما عرفت ذلك تركته ، وبقصة أعرف أنكم لا تحبون سماعها.

قال جهاد: ما هي المشكلة والقضية الجديدة ؟

ـ أنتم تعلمون أن من أسباب شهرة وردة هنا عملها عمليات إجهاض خارج القانون.

لم يتكلم أحد ، فتابعت تقول : قامت بعملية من أيام ، والمرأة أصيبت بنزيف فنقلت إلى مستشفى .. والرجل حبس ، والد الجنين الذي أجبر المرأة للخضوع للعملية بعد أن علم بحملها ، وهي حاولت إخفاء الحمل عنه .. وحبست وردة ليلة واحدة ، وخرجت بكفالة ، وتحتاج إلى محامي ذكي وبارع في مثل هذه القضايا فاتصلت بك ؛ لتشير علينا بمحامي مناسب

قال سالم : ذكرت بعض الصحف القصة أو الخبر دون التصريح بالأسماء .. ذكرت حروفا من أشخاص القضية .. إذن القصة مع وردة ، والمريضة ما زالت في المستشفى.

قالت : توقف النزيف وأعطيت دما .. فالنزيف هو الذي كشف وفضح عملية الإجهاض.. آ يا جهاد ! عرفني ببعض الأسماء التي تتولى مثل هكذا قضايا بمهارة .

قال : اذا تعافت المرأة لا يبقى إلا الحق العام ، وتعويض بسيط لها .. والأخطر أن تمنع وردة من مزاولة عملها لمدة من الوقت ؛ ربما عام أو أكثر حسب القاضي والتحذير من تكرار مثل هذه العمليات .. وتكثر هذه العمليات بسبب الفجور والزنا العام والطام .. لقد كثر اللقطاء في البلد!

ذكر لها بعض أسماء المحامين الذين يعالجون مثل هذه القضايا الجنائية.. فدوافع جرائم الجنس كثيرة منها الفقر والحب والاندفاع مع الغريزة والجهل والحالة النفسية والاجتماعية سوء المعاملة للزوجة التفاوت الكبير في السن الضعف الجنسي وعدم القدرة على الجماع المال .

اشتهرت الدكتورة النسائية وردة نجيب بعمليات الإجهاض الممنوعة قانونا ، فكثير من الحوامل عالميا يسقطن الحمل بسبب إعاقة خلقية في الجنين ، مشاكل صحية لدى الحامل أدت إلى نزوله تلقائيا ، وبدون عملية إجهاض ، فيحتجن لعملية كشط وتنظيف رحم لحمل جديد فهذه العملية يسمح بها القانون ؛ لأن الجنين ميت أصلا ، ولا عقوبة عليها ، وتقوم بها المستشفيات العامة والخاصة .

أما الإجهاض المتعمد بقصد قتل الجنين في أي شهر كان فهذه جريمة يعاقب عليها الفاعل في بلاد المسلمين ، وبعض الدول تغض الطرف عنها ، كما تفعل وردة في بعنبس .

قد يكون الإجهاض مقصودا ومتعمدا لإنهاء حياة مخلوق لأسباب متعددة ، وإجهاض مشروع لضرر على صحة وحياة الأم .

الكشط أو التنظيف للرحم هو إجراء طبي يهدف إلى إزالة الحمل الذي لا يحدث بشكل طبيعي ، ويتم إجراء عملية الإجهاض عندما لا يكون مرغوباً بهذا الحمل، أو بسبب التخلق غير السليم للجنين ، تتم عملية الكشط من أجل تفريغ الرحم من محتويات الحمل حتى بعد الإجهاض الطبيعي ، الذي لم يتم بالكامل. عملية الإجهاض تتم عن طريق إدخال أداة طبية إلى داخل المهبل عبر عنق الرحم لداخل الرحم ، لإزالة أنسجة الجنين والحمل خارج تجويف الرحم.

قبل انتهاء الشهرين من للحمل من الممكن تناول أقراص من شأنها أن تتسبب بإجهاض الجنين ، أو فعل حركات رياضية عنيفة تسبب سقوط الحمل ، ثم عمل عملية تنظيف للرحم خشية تلوثه من موت الجنين .

ومن بعد الأسبوع الـ ٢٦ من الحمل يتم إخراج الجنين بواسطة الولادة أو عن طريق الولادة القيصرية. الإجهاض حتى الأسبوع ١٥ يمكن إجراء هذه العملية عن طريق سحب محتوى الحمل من داخل الرحم بواسطة الشفط بالتخلية ، ومن بعد ذلك يصبح اسم هذه العملية التوسيع والكشط .

المشكلة الخطيرة في إجراء هذه العملية في الأسابيع المتقدمة من الحمل تكمن في خطورة حدوث ثقب في جدار الرحم حيث المشيمة. قبل القيام بهذه الجراحة يجب على المريضة القيام بفحص جسدي شامل، وكذلك فحص نسائي يقوم به طبيب النساء ، يجب القيام بفحص بالأمواج فوق الصوتية من أجل التأكد من عمر الحمل الدقيق ومنطقة غرس الجنين .

يتم إنهاء الحمل تحت تأثير التخدير الشامل ، وينبغي على المرأة أن تصوم لمدة ٨ ساعات تامة قبل الجراحة. قبل إجراء الكشط يتم إدخال مادة إلى عنق الرحم التي تقوم باستيعاب السوائل مما يجعل هذه المادة تتوسع، وهكذا يتم توسيع عنق الرحم بشكل تدريجي.

يقوم طبيب النساء بإجراء هذه الجراحة ، بداية يتم تعقيم منطقة مدخل المهبل، ومن بعد ذلك يتم إدخال أداة طويلة ودقيقة عبر المهبل، والتي تهدف إلى توسيع مدخل عنق الرحم ، ومن ثَم يتم إدخال أنبوب موصول لمضخة إلى تجويف الرحم وعن طريق هذا الأنبوب يتم ضخ أو شفط محتويات الحمل.

في الأشهر المتقدمة من الحمل، يجب استعمال أدوات جراحية عبر الاستعانة بجهاز الأمواج فوق الصوتية ، من أجل التمكن من تفريغ تجويف الرحم (هذا الجهاز يدعى الكاشط) يتم الانتهاء من الجراحة عندما يتيقن الطبيب بأنه أفرغ كل تجويف الرحم من محتويات الحمل.

للإجهاض مخاطر: عدوى عنق الرحم أو عدوى داخل الرحم والتي من الممكن أن تسبب الإصابة بالمرض الالتهابي الحوضي ، وقد تؤدي لحدوث مشاكل في الخصوبة مستقبلاً أي العقم . يؤدي الإجهاض إلى نزيف في منطقة الجراحة جراء تعرض الأنسجة في الرحم للكشط قد يحدث النزيف مباشرة بعد الجراحة ، وقد يحدث بعد ٢٤ ساعة من انتهاء الجراحة وقد يحدث النزيف بعد عدة أسابيع ، في حال كان النزيف شديداً يجب إيقافه عن طريق القيام بجراحة ربط الأوعية الدموية التي تنزف .

قد تكوّن ندبة في أنسجة الرحم في معظم الحالات ، قد تكون الندبة صغيرةً ولا أهمية لها ؛ ولكنها تسبب مشاكل في الخصوبة مستقبلاً، هذا في حال تم إجراء العديد من عمليات

الكشط ، ومن المخاطر إصابة ثقب جدار الرحم ، وأيضا بقاء بعض محتوى الحمل في الرحم؛ في بعض الحالات هنالك حاجة لإجراء عملية جراحية من أجل إزالة بقايا محتوى الحمل.

ومن الضرر فشل عنق الرحم إذ قد تتضرر أنسجة عنق الرحم، الأمر الذي قد يؤدي إلى الولادات المبكرة في حالات الحمل المستقبلية. في بعض الحالات قد يحدث هبوط خطير في ضغط الدم ، على المريضة أن تبقى تحت المراقبة لمدة ساعات ، حيث أنها تمكث في المشفى لمدة يوم ، بعد إجراء الجراحة، في معظم الحالات بإمكان المريضة العودة إلى البيت في يوم الجراحة.

من المتوقع أن تشعر المريضة بآلام في البطن لعدة أيام ، بسبب تشنج عضلات الرحم ، يمكنها تناول مسكنات الألم بحسب الحاجة ، وقد يظهر نزيف مهبلي مع خثرات دموية لمدة أسابيع من بعد الجراحة، والتي ستختفي بشكل تدريجي ، من المتوقع عودة الدورة الشهرية لسابق عهدها في مرحلة لاحقة. فليس من السهل التهاون في إجراء الإجهاض ، فمخاطره وآثاره نفسية وبدنية ؛ فلذلك اشتهرت وردة في بعنبس بإجراء عمليات الإجهاض خارج القانون للحمل غير المرغوب فيه .

كان خميس جعلونة الضابط المتقاعد من زمن قريب يجلس في فيلاته ، وقد تناول العشاء مع زوجته أم سليم وابنته علا زوجة وائل زياد ، وبسمة الأصغر منها فجلسوا في الصالة يتسامرون فقال موجها الكلام بداية لعلا : أكيد سمعت أو قرأت عن آخر فضائح زوجك السيء الذكر الحقير السافل ابن زياد.

قالت بغل وضيق : لعنه الله ، أكبر جريمة فعلتها أني عرفته وتزوجته ، كان يوما أسود يوم التقيت به في المستشفى الجامعي ـ ومسحت دمعة ـ كانت عينه زائغة ، لا أنثى تسلم من عينيه ومن بحلقته وجَحره .. ولما طلقني أحمد محمود كما تعلمون أصبت بصدمة كبيرة .. وقف بجانبي مظهرا عطفه وحزنه ، ولسانه الشيطاني جعلني أفكر فيه بديلا عن احمد .. وأتذكر تلك اللحظات يوم حدثني عن الزواج .. وأنت يا أبي لم تعترض كثيرا .

قال : كان فشل زواجك صدمة لي ، دفعني الفشل إلى عدم التوازن ، وصار أكبر همي أن تتزوجي ؛ لتنسي الجرح .. كنت أرى احمد محترما وطيبا ، وتفاجأت من تسرعه في الطلاق ، وعدم التأني لنتدارك الأمر ، وكان مؤلما لأمك كذلك.. لليوم لم أعرف سبب الطلاق الحقيقي بعد ولادتك لطفلتين .. هل تعرفين شيئا يا رباب أو أنت يا بسمة ؟ فعُلا لم تقل لي شيئا مقعنا لليوم.

قالت الأم موضحة : الذي فهمته من علا ـ وها هي تسمع ـ أن أمه كانت ضيفة في بيته نزيلة عنده ، وحدث بينهم خلاف بين احمد ووالدته .. وكان مسموعا لعلا على قطعة أرض معروضة للبيع ، وحشرت علا نفسها بينهم ، ويبدو أن علا رفعت صوتها على حماتها ، فانصرفت الحماة غاضبة ساخطة ، رفضت الصلح مع ابنها إلا بطلاق علا .. هذا ما عرفته سببا للطلاق من علا ، ومن خالة احمد .. هذا ما قلناه اليوم وأمس يا خميس !

قالت بسمة : هذه هي القشة التي قسمت ظهر البعير يا أبي ! الحق أن علا لم تعرف أن تتفاهم مع الابن ، وقفت معه ضد أمه ، نسيت مقام الأم عند الولد مهما تكهرب الجو .. لم تعرف إتقان التفاهم مع احمد منذ زواجها ، والموازنة بين العمل وحاجات احمد .. صدف أن حضرت عددا من المنازعات بينهما ، وقمت بإصلاح ذات البين بينهما .. كانت علا ـ وها هي تسمع الآن ، وسمعت مني تلك الأيام مثل هذا الكلام ـ ترفع دائما صوتها عليه ، وتكثر من ترديد أبي ضابط مخابرات ؛ فكان يتضايق ويشعر كما قال لي بأنها تهدده بأبيها وهو زوجها بدل أن تحتمي بعمي خميس تحتمي بي ، ثم حدثت قصة نزاعه مع أمه ،وحشرت نفسها بينهم .

قال : ما رأي علا؟

ـ أنا ندمت كثيرا ؛ لكن بعد فوات الأوان .. فأنا مسؤولة القسم ،كنت أعود مرهقة من الدوام والنسوان والتوليد ، فلا أحتمل كلامه ، وكنت أرى أن يخدم البيت كما أخدمه ، نعم ، فشلت في فهمه .. كنت صغيرة وطبيبة وهو مدرس ، فكانت نظرتي إليه خاطئة ، وأراه أقل قيمة مني مع أنه يحمل كما تعلمون ليسانس من كلية التربية ، أنا لما تزوجت وائلا عرفت قيمة

احمد ، فوائل يحمل شهادة مثلي عرفت الفرق بينهما كان وائل ندا لي ؛ ولكنه لم يكن شريفا وذا كرامة .. كنت أعلم بعلاقاته مع ممرضات القسم وطبيباته ؛ لكن لم يخطر في بالي أنه يمارس الفاحشة مع بعضهن ، كنت أراه مجرد غزل وتحرش ، ووقفته المعنوية في أول طلاقي جعلتني أحس بأنه لطيف مقبول كزوج ،كان حذق اللسان والكلام ، تشعر أن عمره مائة سنة وصاحب خبرة .. كانت خبرتي ضعيفة ، وتغلبني العاطفة والانفعال ، ولما تزوجته لم يتحسن ووجدته يشرب الخمر ، ويستضيف النساء للسهر ولعب القمار ، وحاولت منع العبث فرفض الانصياع ، ويزعم أنهن صديقات الحزب السيء الذكر ، وأن الحزب سبب كثرة صحبته للنساء .. أنا لم أفهم معنى الحزب ، وسألت كذا مرة عنه ، ولم تفدني المسألة كثيرا .. فقلت له لماذا تزوجت وعندك كل هؤلاء النسوة ؟ رد أنا حزنت من أجلك ، وضايقني طلاقك.. أنا أتعاطف جدا مع النسوان .. وأنت تعرفين مغامراتي النسائية لماذا قبلت بي ؟ أنا لما وقفت معاك لم أكن أعلم أن أباك ضابط مخابرات .. أنا علمت أنه ضابط عسكري أو شرطي .. ولما لم يتوقف عن شبقه قررت الابتعاد عنه .. فالبيت موبوء ، وهوكما تعلم يا أبي يرفض الطلاق منذ عامين للمبلغ المكتوب عليه .

ـ أنا وضعت المبلغ العالي حتى لا يحدث طلاق آخر معك فتتعقد حياتك .. وهو وافق دون تردد ، لم يعترض على الخمسين ألف .. وأنا في الحقيقة لم أرتح له ؛ ولكنه طبيب وأنت طبيبة في نفس المستوى العلمي ، وتعرفينه أكثر مني بحكم العمل في مكان واحد .. كثير الكلام والبرم وكثير السؤال عن العمل في الجيش ويفكر بالخدمة الطبية العسكرية ، ويهتم بالتسليح والحروب والرتب .. وها هو يعمل فضيحة جديدة .. يريد أن يعيش مع أنثى بدون عقد زواج .. فكر أننا في الغرب ، وأمام اشتهار الأمر المجنون أنهت علاقتها به ، بسبب الحملة الصحفية عليها وعلى جمعيتها الإباحية .. ترك طبيبة الإجهاض السري في بعنبس وردة نجيب.. هذه المرأة اطلعت على ملف أبيها .. فوالدها مناضل فلسطيني قديم ، كان يعمل جاسوسا للمنظمات الفلسطينية اليسارية في فلسطين ، وشارك في قتل ضابط ارتباط صهيوني

مع رفيق معه .. قبض على الرفيق ، وهرب هو لبيروت تحت حماية المنظمات ، وعمل طبيبا حتى حدثت حرب اثنين وثمانين فهرب لسوريا ثم قبرص .. وهناك اختفى ، واحتار الناس وأجهزة المخابرات والأمن باختفائه، إسرائيل نفت أسره وعقابه ، وزوجته ما زالت تنتظر عودته .. رأيت ملفه عندنا ملف نجيب عارف.. وأعرف أخاه حبيبا .. وقلت له لا معلومات مفيدة عنه عندنا .. لم يكن له نشاط ضد النظام هنا .. حياته كانت في رام الله وبيروت وهو قريب من مذهب ماركس ولينين ؛ وكذلك ابنته وردة ، له أولاد جيدون وشيوخ وأصحاب أموال وشركات .

****

تلقت علا خميس بعد هذا الحديث العائلي الذي ذكرناه بأيام تلفونا من السيد وائل يعلن فيه رغبته بالصلح وعودتها للشقة ، فكان جوابها الرفض وبشدة ، وليذهب إلى شقة عشيقته وردة التي شاع أمرها في الصحف وبين الناس والمدينة .

عرض عليها اللقاء للتفاهم في مكان عام مقهى مطعم حديقة ، فقالت بضيق وغضب مكبوت في صدرها : حياتنا يا وائل سيئة .. عشنا سنتين مع بعض .. لا احترام ولا قدسية لبيت الزوجية ، دائما لقاءات خارجية زيارات .. أصبحت الشقة وكرا لحزبك ، وكرا للدعارة وترتيب مواعيد الفحش والغرام .. أنا من البداية قلت لك سمعتك في المشفى رديئة ، واذا حدث نصيب عليك أن تفتح صفحة جديدة صفحة بيضاء ، ولا أقبل المغامرات النسائية، وعدتني؛ بل أقسمت أنك سوف تتغير ، وقد مللت حياة العزوبية .

ـ أنا بحاجة إليك اشتقت لك.

ـ ولماذا أنت بحاجة إليّ والنساء حولك كثير مثل الرز كما كنت تهرف؟ خسرت كثيرا من سمعتي من أفعالك الدنيئة .. لما تعقل وتصير بني آدم أفكر بالعودة .

ـ دعينا نتطلق ، وتنازلي عن المؤخر المرتفع .

ـ حقي ، وعليك بالدفع أليس هذا حقي ؟!

قال : أنا قبلت به مجاملة وعربونا عن الحب وصدق غايتي .. بهذا المبلغ يعاشر الرجل كل نساء العالم .. أنا لا أدري لم يتزوج الناس ويدفعون كل هذه الأموال؟!

ـ الحلال غالي يا رخيص .. ابن بالحلال خير من الدنيا .. أنا حمدت الله مائة ؛ بل ألف مرة أنني لم أحبل وأحمل منك.

ضحك قهقهة وقال : كنت تأخذين مانع حبل .

ـ خشيت أن أحمل ويحدث الطلاق مرة أخرى .

قال : على كل حال فكري بإصلاح حياتنا والعودة ؛ لأنني أصبحت بلا عمل وأفكر بالهجرة ؛ بل قدمت طلبا إلى كندا رغم أنها بلاد باردة ، وقدمت إلى نيوزلندا وأستراليا .

ـ يسر الله أمرك .. ترتاح نسوان وفاجرات بعنبس منك .. جرب لعل الحياة عندهم أفضل لك ؛ خاصة مع العيون الزرق والشعر الأشقر .

قال بتوسل : اذا عدت سأصرف نظري ، ونبدأ من جديد .. أنا كلمت بسمة ، ووعدتني بالتشفع لي ، ثم نصحتني بالحديث مع أبيك مباشرة .

ـ أبي لا يقبل بعد ضغطي عليه لأتزوجك .. يا لعين لم يرك الزوج المناسب .. وكان رافضا بشدة ؛ لكني أنا صدقت تعهدك وأحلامك .

ضحك وقال مستفزا : لا يا علا .. أنت لم تصدقيني .. أنت جسدك حن للرجال لم يطلبك ويتقدم إليك أحد بعد طلاقك .

قالت هازئة : حتى لو صح ذلك من مريض مثلك مهووس بالجنس ..فها أنا لي أكثر من سنتين من غير تيس أو حمار ينام معي .

ـ الله أعلم ! أنا لا أثق بامرأة ، ولا أعتقد أنه يوجد هناك امرأة شريفة وغير خائنة.

سخرت وقالت: هذا شأنك ومرضك ، ولا يهتم به أحد .. أنت مريض وتظن كل الناس على شاكلتك .. أنت فاشل ونجس !

ـ سأتزوج وإما نتصالح .

قالت بحقد : تزوج يا لعين .. أنت أكبر غلطة ارتكبتها في عمري يا نذل!

في نهاية العام ٢٠٠٧ كانت وردة تشعر بين اليوم والآخر بألم بأسفل البطن ، وتظهر بثورا حول أعضائها التناسلية كفتحة المهبل وفتحة الشرج ، تظهر وتغيب وتصاب بحكة في نفس المناطق والفخذ والعجز ، وهذه أعراض ظاهرة تشير إلى مرض معين ، وسببها ممارسة الجنس مع زوج أو شريك مصاب بمرض جنسي ، وتظهر الأعراض بعد أسابيع كسائر الفيروسات التي تأخذ فترة حضانة ، تعرف هي ماذا ترسل من رسالة مزعجة ؟ فأصابها القلق والخوف من مرض تناسلي ، ومن فضيحة جديدة ، وكلما نفرت النساء عن العيادة إلى حد كبير ، سينفر العشاق الذين هجروها أصلا ، كانت علاقتها بوائل دمارا عليها ، فضاقت أفكارها وهي الطبيبة المختصة بالولادة والأمراض التناسلية ، فهي تعاني من شيء ما ، بدا يظهر داء الاستهتار بالاتصال بالرجال دون ضابط ، وأخذت تفكر ممن جاءتها العدوى ؟ من أين انتقل لها الداء ؟ ولم تنفع ، بدا لها الاحتياطات الجنسية بأكثر من ذكر ، فهي منذ تركها وائل خفت علاقاتها الجنسية ، وتعيش في حيرة ، فقد قل عشاقها الأغنياء ، وقلّت هداياهم ، فكلهم يخشى على سمعته ، ويخشى صورة من صحفي متربص أو عشيقة مهجورة . . خاصة مع أجهزة الخلوي وقدرتها على التصوير خفية وعن بعد .

اتصلت بوائل وحدثته بما تعاني وتشك ، فاعترف لها أنه أيام عمله في مستشفى الجامعة كمتدرب أولا وثانيا موظف وطالب الاختصاص في طب الأطفال كان له علاقات مع ممرضات وموظفات منحرفات ، وعانى يومها من فيروس الهربس فيروس تناسلي مزعج وتعالج منه ، فلما سمعت ذلك تأكد لها ما خمنت فقالت : ارجع وافحص منه؛ فإني يبدو لي الآن أني أعاني منه ، فلديّ حكة تخف وتقوى ودمامل صغيرة وبثور حول المهبل تظهر وتموت وتعود إلى اللقاء وشكرا على صراحتك.

أدركت وحسمت أن عشيقها وائل نقل لها العدوى التي ظهرت عليها هذه الأيام ؛ لأنه

الوحيد الذي كانت تسمح له بممارسة الجنس معها بدون واقي ذكري ، الذي انتشر وشاع استعماله بعد ظهور مرض الإيدز الشهير من عقود ، وتنصح به منظمة الصحة العالمية ، وتسبب وأدى إلى الوفاة لكثير من المنحرفين والشواذ في العالم .. نسأل الله العافية .

قالت: أصيب به أثناء شغله في مستشفى كلية الطب ، يذهبن للتدرب على الطب والعلاج ، ويتدربن على ممارسة الحب على رأي الغربيين .. وخطر في ذهنها علا خميس ، وتسألت هل هذا سبب بعده عن علا زوجته أم هي التي ابتعدت عنه لما علمت بمرضه هذا أو أصيبت به فانكشف أمره لها ؟ .. قاتل الله الرغبة والشهوة ! كم يضعف الناس أمامها .. ولماذا وجدت هذه الأعضاء وهي في أقذر الأماكن ؟

الهربس مرض جنسي من بين خمسة وعشرين مرضا متعلقة بالاتصال الجنسي بين الناس ، فمنها بكتيري ومنها فيروسي ، واذا شُخص جيدا سهل علاجه كما تعلمت ودرست خاصة في بدايته كأغلب الأوجاع اذا عوجلت مبكرا ، وأشهر علاماته البثور حول الشفران والعانة وحتى الأرداف أو الشرج أو الشفاه اذا مورس الجنس الفموي والشرجي .. حياتنا جنس في جنس .. النهار عمل ومكاتب ، والليل صخب وزنا وإباحية .. وهذا المرض يصيب أعضاء الأنثى والذكر ، ويشوه الوجه والشفاه ، ويعالج بالحبوب مثل السيلان ، وله أدوية خاصة .. كم تستفيد شركات صناعات الأدوية من شهواتنا الإباحية ؟!

أسرعت وردة إلى عيادة متخصصة بمعالجة الأمراض الجنسية ، وقامت بالفحوصات المخبرية والتحاليل ، وكشف عليها طبيب العيادة والمركز الخاص وثبت لها أنه في أوله ، وانتبهت له مبكرا ، ثم صرف لها زميلها المختص بمثل هذه الأمراض الدواء المناسب ، ونصحها الطبيب بالابتعاد عن العلاقات الجنسية حتى ينتهي ، ولا تنقله لشريكها في الفراش لمدة أسابيع .

فلما عادت لعيادتها التي لم تعد تعمل كسابق عهدها بسبب تلك الفضيحة والتشهير ، فقد ابتعدت الكثيرات من الحوامل والمريضات عن العيادة وهي تردد : الدكتور يحذرني من نقل العدوى لشريك الفراش حتى لم يقل لزوجك.. الكل يعلم تهورك .. أصبحت امرأة إباحية

في نظر المجتمع الفاسد .

قالت نوال : مالي أراك كئيبة يا دكتورة ! الحمد لله على السلامة.

ـ الحمد لله على السلامة . وكانت تتطلع في عيني نوال باستغراب ، ثم بكت وعلمت أنها لم تهتم بالوقاية من أمراض الجنس والعلاقات العابرة ، واستهانت بالواقي الذكري مع وائل، لم تكن تقدم له واقيا كغيره حذر الإيدز وغيره ، كانت تركز معه فقط على عدم الحمل بتناول الحبوب يوميا ، ولما انتهى تأملها وبكائها .

قالت : كيف عرفت أنني مريض؟!

ـ عرفت منك يا دكتورة!

ـ مني ! كيف؟!

ـ لما تأخرت الصبح اتصلت فقلت سأذهب إلى عيادة ومختبر ينال ، ففهمت أنك مريضة.

ـ نعم ، معك حق.. آسف شكرا لاهتمامك .

اتصل بها وائل قائلا: ما أخبار الهربس؟

ـ تعالجت أو بدأت العلاج بحبوب ومراهم .. وحذرني من نقل العدوى لغيري ، يعرف أنني عاهرة.

قال ساخرا : سمعتنا الحسنة تملأ البلد يا أميرة !

ـ البعد عنكم حتى أشفى تماما .. هل فحصت أنت ؟

قال : يبدو أنه رجع .. أين فحصت ؟

ـ عند الدكتور رائق، فعنده مختبر وشعاع وعيادة.

ـ بالسلامة يا أروع وردة !

ثلاثة عرسان

جلست وردة في بيت أمها على موعد مسبق بينهن ، وبعد شربهن الشاي ، وقطع الكعك المحلى اشتعلت السجائر ، قالت وردة: ها أنا قد جئتك يا أم عارف ! هل من شيء؟

قالت بقلق وهي تمعن التحديق في عيون وردة : أراك متعبة وبدون مكياج ، ولا أشم رائحة عطرك ! هل من شيء؟

قالت وهي تتصنع الضحك: الحياة قبيحة يا أمي ! ملل زهق !.. زبائن العيادة قلوا بعد تلك القضية والحملة الشعواء وتشويههم سمعتي وشرفي علنا .. وصحتي من فترة على غير ما يرام من إنفلونزا ورشح وصداع ؛ كأنني كبرت مائة سنة خلال الشهر الأخير .. وأنت كيف صحتك ؟

لم ترتح لكلامها فردت : تمام .. ما بك؟!

ـ تعب بدني وحالة نفسية سيئة .. أفكر في هذه الدنيا .. كيف مضت في جنون ؟! عمل طول النهار ، وفسق طول الليل .. حياة قرف.. هل هذه الدنيا ؟!

ـ وائل لا يؤسف عليه يا وردة ! لو كان صادقا في حبك وميله لحوّل عقد الهواء إلى عقد حقيقي إلى أوراق رسمية ، وانتهت الفضيحة والكلام الجارح ؛ لكنني قمت بالسؤال عن حضرته ، فاكتشفت أنه حقير وماجن ، وله زوجة هاجرته من سنوات أتعرفين ذلك ؟

قالت بألم : بعضه ، وهو راغب بطلاقها من زمان ؛ لكنهم ألزموه بخمسين ألف مؤجل زواج يا أمي ، يقول ساخرا : إنه بهذا يجامع كل نساء العالم.

صاحت : تفكير منحط يا وردة ! لا يوجد إنسان عنده قدرة على ذلك الفحش .. الحيوان يتعب ويضعف .. فالديك الأعجم له سن معين ، ثم يصبح ضعيفا ، كلما كبر الرجل والمرأة تقل رغبتهم الجنسية .. فالدراسات الموثقة تبين أن قدرة الشاب البالغ تختلف عن قدرة الرجل الكهل والشيخ .. هذا زعم هازل منه .

عقبت وردة فقالت : أنا أعلم الكثير من المعلومات .. وكثير من الفتيات الشابات يشكون

من ضعف أزواجهن الجنسي ، ومن أكثر أسباب انتشار ظاهرة الطلاق الضعف الجنسي .. يتزوج الشاب على كبر بعد الثلاثين ، فيجد نفسه لقضاء الرغبة بالعوز للحبوب المقوية للدم والجهاز العصبي .

ـ زوجته طبيبة محترمة ، وأبوها رجل مهم قبل تقاعده .

قالت : عرفت والدها اللواء المتقاعد خميس جعلونة من ضباط المخابرات العامة كنت أسمع اسمه من أيام الجامعة .. كان مسؤول الأمن أيام دراستي .. المهم لماذا طلبتيني.. هل من شيء؟

ـ جواب سريع قبل أن ندخل في التفاصيل.

ـ جواب سريع تفضلي!

قالت زكية : الزواج هل تفكرين فيه؟

ـ الزواج ممن ؟

قالت : هل ترغبين بالزواج الصواب ؟

ـ أنا في حيرة بعد فشل علاقتي بوائل !

قالت ممتعضة : الدنيا ليست وائلا فحسب !

ـ نعم ، من حدثك عني؟

ـ يعني لك رغبة بالزواج العادي والطبيعي والتقليدي .

– ما زلت صغيرة .. من حدثك عني ؟

قالت: اثنان بل ثلاثة .

قالت: ثلاثة يطلبون يدي !

قالت : الزواج مطلوب ولو شكلا .. هل تظنين أني تزوجت فارس الأحلام بعد أبيك .. صدقي أنني وزوجي بلص لا نمارس الجنس إلا كل ثلاثة أو أربعة أشهر ، هو انتهى كذكر منذ حملت منه ومات الطفل .. وأنا قبلته كزوج ديكور ، كان من جيلي وسني لما تزوجنا ، أنا

منذ اختفاء والدكم لم أذق حلاوة الجماع ؛ لكن لابد من زوج أمام المجتمع والناس حتى لا يقال ويقال .. عندما تجلسين مع رجل مع زوج تخاف امرأته عليه ، ويكثر الغمز واللمز ؛ لكن عندما نكون في ظل رجل وزوج شكلي يلزمن الصمت .. الناس تنظر للعزباء الصغيرة أو الكبيرة بريبة ، ويهمسون بأشياء سيئة والأقاويل الحقيرة والشائعات .. لو رافقت مجهولا في مقهى أو مطعم أو سفر سيقال ويقال .. لو زارني غريب بالنسبة لهم سيقال عشيق .. وزوجي راضي بحاله ؛ لأنه عارف حاله ؛ بل المضحك تزوج سرا عليّ.

ـ معقول !

ـ أنا أعلم أنه تزوج عليّ طمعا بالخلفة ، لو حملت المرأة التي تزوجها لطلقني .. إن الإنسان يحب الذرية مهما حاول التظاهر بغير ذلك .. ولما عجز عن الحمل طلقها وأنا تظاهرت بعدم المعرفة .

****

زار حبيب عارف ابنه عصاما وتحدثا بمناسبة دخول السنة الجديدة ٢٠٠٨ عن موعد السفر لفرنسا ، فقال عصام :إن شاء الله في آخر نيسان بعد أربعة أشهر تقريبا .

قال : تكلمت معي زكية امرأة عمك حماتك سابقا.

ـ ماذا تريد ؟

ـ عن جوهر ، وهو كما تعلم دخل المدرسة الفصل أو السنة الأولى .

قال قلقا : ما به ؟ كان الأسبوع الماضي كالحصان الأصيل .. لقد تناولنا الغداء معا ، وهو مبسوط ، وكلما يزورني يعبر عن رغبة البقاء عندي ، ولا يرغب بالبقاء عندها ، وذهبت به الخادم إلى المنتزه الوطني قبل الغداء ، وشاهد الحيوانات الأليفة في حديقة المنتزه ، وسعد برؤيتها وحدثني عنها .. هل من شيء؟!

– لا تقلق ولا تخاف .. هو سليم ؛ لو ألم به ألم ووجع ؛ لتحدثت معك ابنة عمك فهذا من ضمن اتفاق الطلاق ألا تخفي عنك عن صحة الصبي شيئا ، ولو صغيرا .

عاد الهدوء لنفسه ، واستأذن أباه بإشعال سيجارة وقال : ماذا تريد زكية ؟!

قال ببطء : زكية تقول لي يا حاج حبيب ما رأيك بأن تعود وردة للحياة مع زوجها بعقد جديد من أجل الطفل ؟ ويبدو أن وردة بعد الفضيحة المدوية عادت لرشدها .

ردد عصام بارتباك : عادت لرشدها ! كيف عادت لرشدها؟!

قال: يعني سكرانة وصحت ، قالت أخطأت نحو المجتمع وأصابتها لوثة بعد الانفصال عن عصام ؛ ولعلها استيقظت يا حاج حبيب ! كان الخطأ كبيرا وقبيحا مهما انحل الناس وفجروا .. فهناك تقاليد صعبٌ ذهابها حتى أصبحت عيادتها فارغة، وقامت بعملية إجهاض جديدة أدت إلى نزيف المجهضة ، وكلفها ذلك غاليا ، وحبست ليلة ، والمرأة المجهضة ما زالت تعاني وتحدثت شخصيا معي وردة عن العودة إليك ، فقالت لأمها : إن رضي عصام بهذا سأقبل .

تنهد وقال: ستقبل ! وماذا تفعل عندي ؟ فأنا لست ذكرا ، ما زلت ضعيفا جنسيا وهي ناضجة شبقة ، لا تستغني عن الذكور .

قال: قلت لها سأتشاور مع عصام ، قالت فكر يا حاج من أجل الصبي ؛ ولعلها تعلمت خلال شهور الانفصال بينهم ، وعرفت نتائج الانحلال، فقلت لها: يا زكية عصام اليوم شيخ وتدين وملتزم ، غير ما قبل الطلاق يا أم عارف وابنتك كافرة ملحدة ، لا تعرف ربا ولا نبيا ولا محمدا ، فردت كما تغير عصام تتغير وأحب لها ذلك ، ويمكنها التغير .

ـ صدق يا أبي أني أخرجتها من حياتي ، وسأربط نفسي بامرأة بعد العودة من باريس.. فإذا في مجال للحياة الزوجية سأتزوج .

قال حبيب : إنها تظل ابنة أخي يا عصام ! قصرت بالعناية بها ، تركتها لزكية وإخوانها .. صحيح أن سلوكها مسيء للعائلة ؛ ولكننا أهلها مهما تهربنا من أفعالها السيئة .. هذا أحد أسباب قبولي بمفاتحك بأمرها .. واذا سيطيب لها العيش معك على حالك ، واستيقظت من أحلامها خيرا لنا ذلك.. فهي تعلم يقينا أكثر منا أنك لا تصلح للنكاح .. فكر بابنك الذي يعيش ببؤرة فساد .. فماذا سيستفيد من رؤية العشاق والعشيقات؟ إني حزين من أجله فقط

.. ماذا يتعلم منها ؟

قال متخوفا : أخشى يا أبي من حياتها معي أن تجعل من بيتي عش غرام في أي لحظة أغادر فيها المنزل لمتابعة الأعمال .. أنا قبل الطلاق كنت أغرش وأتجاهل تبرجها وتلفوناتها وخيانتها لأني كنت خائنا مثلها .. البيت لا قدسية له عندي كانت لي صديقاتي قبل مرضي ونجاتي من الحادث.. كما تدين تدان ..كانت مستهترة وأنا مثلها.. لم أكن أعرف الله كما أعرفه اليوم ، فاليوم لا أتحمل فجورها وإهانة فراشي .. فالدين لا يسمح لي بالصمت على خيانتها.

ـ كما قالت زكية : إنها خائفة على ضياع الصبي أكثر من خوفها على ابنتها .. امرأة عمك مع كفرها وكرهي لها وحسب علمي بها لم تمارس الزنا والبغاء .. كانت في ذلك شريفة ، قالت تقدم لوردة ثلاثة رجال ، ولكن وردة قالت لها بدأت أكره الرجال وغدرهم .

قال متشككا: وردة تقول ذلك .. وتكره الرجال .. كانت تتبرج والسفور وتدخل أماكن التجميل من أجل الرجال.. وإلا لماذا تفعل ذلك للنساء ؟

قال حبيب لإقناعه : الناس تأتيها لحظة تراجع مبادئها وأفكارها .. الناس تتغير للأحسن أو الأسوأ .. ولما ذكرت لزكية أن وردة قالت إن عصاما عاجز عن غشيانها ، ولم يتغير شيء بعد قالت هي تعلم.

قال : الأمر غريب ومثير للحيرة ! هل من شيء أصابها يا أبي ؟

ـ لم نسمع .

مخرج دعاية

كانت عيادة وردة تباشر عملها من التاسعة صباحا حتى الخامسة مساء ، تتخللها فترة استراحة من الثانية عشرة ونصف حتى الواحدة .

فتخرج نوال كاتبة العيادة إلى مقهى في المجمع الطبي تتناول ساندويشا أو تدخل مطعما لأكل وجبة كاملة ، وتشرب مثلجا أو ساخنا وتعود للعيادة ، هذا الترتيب سيتغير قريبا .

في مطلع العام الجديد ٢٠٠٨ ، وقد احتفل العالم بدخوله شرقا وغربا ، فهو عطلة رسمية في بعض البلدان العربية والإسلامية .

كانت نوال وراء طاولة الاستقبال في غرفة الانتظار ، وقد اقترب الوقت من نهاية اليوم عندما زلف رجل طويل القامة نحيل البنية له لحية قصيرة ، وألقى السلام وسأل : الدكتورة موجودة أليس كذلك ؟

ـ نعم ، إنها موجودة .. زوجتك معك .. ظنت نوال أن زوجته أو ابنته في السيارة وصعد ليتأكد من وجود الدكتورة.

تلفت الرجل يمينا يسارا خلفا وقال مستغربا : لا أحد معي.. أين زوجتي؟ .. أنا ما زلت أعزبا .. أريد الحديث مع الدكتورة وردة بموضوع خاص جدا.

قالت ؛ كأنها تعتذر : ظننت أن أحدهم معك ، وجئت تتأكد من وجود الطبيبة تفضل بالجلوس حتى أخبر الدكتورة .. أقول لها مين ؟

وأشارت إليه بالجلوس ، وخرجت من خلف المكتب إلى مكتب الدكتورة وأخبرتها بوجود رجل ير غب بالحديث معها ، فأطفأت سيجارتها، ونهضت قائمة وهي تقول : من هو ؟وماذا يريد؟

ردت : سألته عن اسمه فجعل نفسه ؛ كأنه لم يسمع .

ثم سبقتها ، وقالت للرجل : إنها قادمة.

وقبل أن تنهي جملتها كانت وردة تنظر في وجهه ولم تعرفه : أهلا تشرفنا!

فنهض النحيف الطويل مسلما ومصافحا قائلا : أنا صبحي نايف!

قالت وهي تحاول تذكر شيئا عنه : تفضل بالجلوس . وهمت بالجلوس وهي تعرف بنفسها: أنا الدكتورة وردة ! أعندك مريضة ؟

قال: لا ، جئت أعرفك بنفسي.

رافقتها الدهشة : أهلا ومرحبا ! جئت تعرفني بنفسك لماذا؟!

ـ ممكن نتكلم في المكتب . وهو ينظر للكاتبة ؛ كأنه يعتذر عن عدم رغبته بالحديث أمامها .

قالت : آ ! تفضل .. ماذا تشرب قهوة أو شاي ؟

ـ أي حاجة.. كله مثل بعضه.

ـ شاي يا نوال !

دخلت المكتب الصغير يتبعها صبحي ، وقالت: تفضل بالجلوس يا سيد صبحي!

وأشارت إلى كرسي ، وجلست على كرسي مكتبها محدقة فيه . وهي تقول : أهلا وسهلا .. أنا تحت أمرك أي خدمة يا سيدي؟!

قال : أنا صبحي نايف ! ألم تخبرك أمك من أنا ؟ وألم تحدثك عني؟

– تخبرني عنك وتحدثني ، ماذا تريد؟!

ـ أنا اتصلت بالسيدة زكية ، فقالت لي اذهب وقابل وردة في العيادة قبل أن تغلقها في الخامسة بعد الظهر اذهب في آخر الوقت.

قالت : لماذا ؟!

قال : كنت حدثت أمك عن الزواج.

ـ الزواج ! تريد الزواج مني أنا!

ـ أجل .

ـ نحن لم نلتق قبل هذه اللحظة طبعا .. عرفني بنفسك وعملك ووظيفتك في هذا العالم وسنك !

ـ جيد ! أنا مخرج أفلام قصيرة .. أفلام إعلانات .. متخصص في الإعلان المرئي والمسموع .. وقمت بفعل أكثر من دعاية لوالدتك ، وتزوجت أكثر من مرة.

ـ أكثر من مرة .. يا ترى كم مرة ؟!

ـ ثلاث مرات ، وأنا الآن عازب ، لا زوجة ولا ذرية .

قالت: أنت مخرج إعلانات تلفزيونية .

ـ نعم ، هذا عملي الرسمي .

قالت : وهل هناك أعمال غير رسمية ؟ هل صورت أفلام البرنو الجنسية ؟

قال : يعني

ـ وتريد أن تتزوج الرابعة وهي أنا .

ـ نعم

قالت: من قال لك إني أريد زوجا ؟ لا أذكر أني أعلنت عن ذلك !

ـ سمعت أو قرأت عن قصتك مع المدعو وائل ، فقلت لعلك تقبلين بي.

قالت : بعقد أو غير عقد !

ـ كما تشائين .

ضحكت للحظات : كما أشأ أنا ! حتى لا أطيل عليك الحوار والمقابلة الخفيفة اللطيفة يا أستاذ صبحي ما زلت مصدومة ، ولا أرغب بالزواج .. الزواج هم وغم ونكد.

قال: صحيح ! هو هم وغم ونكد ؛ لكن لابد منه .

ابتسمت وردة ، وقالت: أنا لا أحب أن أكون المطلقة رقم أربعة.

ـ نعيش معا بدون عقد فلا نحتاج لطلاق وقاضي .

ـ أهكذا حدثتك أمي ؟!

قال : لا ، تحدثت معها عن رغبتي بالزواج منك ، فقالت اعرض نفسك عليها.

قالت : أتقبل بي وأنا مريضة جنسيا ؟

ـ مريضة ! أنت مريضة!

قالت بتهكم : مريضة جنسيا عندي إيدز .. ألم تقل لك أمي عن هذا الخطر ؟

تأوه وقال : أوه ! هذا أنت على وشك الموت.

ـ نعم ، ما رأيك أن تموت معي؟!

****

وقد سميت متلازمة نقص المناعة المكتسبة" إيدز" أو سيدا ، تمييزاً لها عن مرض نقص المناعة الوراثي الذي يظهر لدى بعض الأطفال منذ الولادة ، أي أن نقص المناعة حصل نتيجة الإصابة بالمرض ؛ وليس لأسباب وراثية.

الفيروس كائن يتغير سريعاً جداً ، وهو بسهولة قادر على التهرب من العديد من مضادات الجسم ، وهو نوعان ، لكل واحد منهما فروع ، فيروس نقص المناعة البشرية ١ ، وفيروس نقص المناعة البشرية ٢ .

عندما يحدث اتصال بين الإفرازات الجنسية لشخص مصاب مع الأغشية المخاطية الموجودة في المستقيم أو الأعضاء التناسلية أو الفم لشخص آخر يحدث المرض .

الاتصال قد يكون من خلال اتصال جنسي طبيعي مهبلي أو شاذ شرجي ، ولا يمكن اعتبار الجنس الفموي آمنًا ، ويؤدي الاعتداء الجنسي الاغتصاب بشكل كبير إلى زيادة خطورة انتقال الفيروس ، وكذلك التعرض لدم ملوث بالمرض ، وقد ينتقل الفيروس من الأم الحامل لطفلها.

تحدث الغالبية العظمى من حالات الإصابة بفيروس الايدز من خلال الاتصال الجنسي ، ولا علاج قاطع له .

إحدى النظريات تقول أن أول تسجيل لظهور مرض الإيدز في الخامس من حزيران عام ١٩٨١ ، ويوجد رفض اجتماعي وثقافي تام يرتبط بالإصابة بمرض الإيدز .

لما غادر صبحي العيادة مرعوبا فزعا خائفا من الزواج بأنثى مصابة بالإيدز ، المرض الخطير

المرعب المسمى بفيروس نقص المناعة المكتسبة جلس في أقرب مقهى صادفه ، وطلب شايا وماء ورن على زكية وقال ساخطا مستنكرا : ماذا فعلت لك حتى تريدي أن تورطيني مع ابنتك ؟!

ـ ما لها ابنتي التي أريد أن أورطك معها ؟ هل مشيت إليها ؟

قال : أنا خارج الآن من عيادتها ، وما زلت أرتجف مما علمت من لسانها يا سيدة زكية!

ـ رفضتك .

قال : لا ، لم ترفضني.. الآن عرفت لماذا تخلى عنها الدكتور وائل ؟

ـ ماذا حدث أيها اللعين ؟

قال : تقول إنها حاملة لمرض الإيدز .. هذا المرض الخطير المخيف !

ضحكت قليلا وقالت : إيدز يا صبحي ! ويلك هي قالت لك ذلك .

ـ يا سيدتي اعترفت لي ، وقالت اذا أحببت أن تموت معي سأكون الرابعة وأهلا وسهلا .

ضحكت زكية وقالت: إيدز ! وردة تحمل الإيدز ، وكشف ذلك وصدقتها !

صاح : ولماذا لا أصدقها ؟! ووجهها الحزين والأسود يشي بذلك.. إنها منهكة القوى .. سفريها للعلاج في أمريكا قبل أن تفقديها .

ـ منهكة القوى وحزينة يا صبحي .. ماذا أقول لك؟ أنا أول مرة أسمع عن مرضها الخطير .

قال : وإلا لماذا خوفتني وأطلعتني على سرها وسبب هرب وائل عنها؟

قالت : حتى لا تتزوجها أيها الصديق إنها ترفضك .

قال متدبرا كلامها : هكذا ظنك يا أم عارف ! هل هي سليمة ؟ لا أصدق .. تأكدي من صحتها يا سيدتي !

ـ ربما تستحي أن تكشف الأمر لي .. سأتحقق على كل حال من الوضع الليلة.

عاد يردد : كانت جادة يا أم عارف ، حتى لو كانت ساخرة فأنا غني عنها ، ولا داعي للمغامرة ، لابد أنها مريضة .. هيئتها شحوبها ذبولها شكلها يدل على ذلك تأكدي وطمأنيني

.. السلام عليكم.

ـ مع السلامة.

وضع الهاتف على مائدة المقهى حيث يجلس ، وهي تركت الهاتف على منضدة حيث كانت تجلس مع زوجها وابنها عارف الذي يسكن معها في البيت الواسع قالت : كثير الكلام المخرج صبحي !.. وردة معها إيدز ! هذا خطير اذا صح ما نقله لي مخرج الإعلانات صبحي نايف ! وخاطبت نفسها : لماذا تكشف الأمر له وقد رحبت بالعودة لعصام ؟ .. زوج دون جماع ومعاشرة .. زوج لا يقربها كما علمنا حتى لا تنقل إليه الفيروس.. لكن لم نسمع بذلك المرض ولم نخبر بأنها تتعالج .. قبل أسابيع قالت إنها مريضة ..وآخر مرة التقينا بدا عليها القلق والتوتر والذبول والحزن.. لم يخف ذلك عني كما قال صبحي.

اتصلت برقم وردة وقالت : هل ما ذكرتيه لصبحي صحيح ؟

سمعت قهقهة عالية ، ولما انتهت من القهقهة قالت : هذا الفحل الذي تريدين أن تربطينني فيه يا أم عارف! متزوج من ثلاث ، ويظن نفسه قوي الباءة .

ـ المهم كلامه غير دقيق.

قالت : أكيد ، لو معي إيدز لوجدتينني في المستشفى يا أمي أتلقى العلاج والعزل .

اتصل عصام بوردة ليلة الأثنين طالبا الولد للغداء معه كما يفعل كل أسبوع ، فهو يخصص له صباح الاثنين أو الثلاثاء ، لأن الاتفاق أن يراه كل أسبوع مرة حسب قانون المشاهدة للآباء المطلقين ؛ فإذا أراد استقباله يتصل ليلا لتهيئه هو والمربية جوليا ، فجوهر ابن ست سنوات وقد دخل الصف الأول ، المربية جوليا يدفع عصام نصف أجرتها ؛ كما اتفقا أثناء ترتيب الطلاق ، فلما انتهى الحديث عن الطفل قالت بصوت واهن : حسنا يا عصام ! سأبعثه غدا .. اسمع يا ابن عمي .. هل كلمك الوالد العزيز بشأن الولد؟!

همس : الزواج من جديد !

قالت بذل وندم : نعم ، أنا بعد هذه الشهور من المعاناة والجنون أشعر بأنني ظلمتك عندما تخليت عنك في هذا الظرف ، المحتاج أنت فيه لكل دعم مادي ومعنوي ، يبدو أنني أخطأت ، وذهبت وراء الرغبة .

ـ سمعت هذا الكلام من أبي ، وفهمت أن أمك فتحت معه الموضوع .

قالت : هي كلمت عمي أولا ، وسمعت رأيه ، ثم أخذت رأيي ، ثم تناقشت أنا معه فهو عمي .. عمي أخو أبي يا عصام !

قال : لكني كما تخبرين لا أصلح للنساء ، وأنت ما زلت شابة بحاجة لرجل شاب سليم .

قال بشبه اعتذار : أسفت مما أشهرته .. لست جاهلة أمرك .. وأنا جرحتك وأسأت لمشاعرك بنشري هذا الأمر بين أفراد العائلة .. حقيقة إنني ندمانة . ذرفت دموعا انسابت على وجنتيها وهي تعترف بخطأها ، وسمع عصام شهيقها وأحس بدموعها ، وعجز عن الاستفهام ، خشي أن يبكي مثلها.

ـ ألست بحاجة لرجل لتلدي أخا لجوهر ؟

ـ نحاول عن طريق الأنبوب .. الحيوان المخصب في الخصتين يا عصام ليس في العضو التناسلي

قال متأملا : طفل الأنبوب فكرة ! ولكني لم أختبر حيواناتي ؛ لعلها ميتة.

ـ هذا أمره عند الله .. نسلم أمرنا له يا عصام ! أنا فعلا ندمانة .

قال: عند الله ، نعم ، عند الله ؛ ولكني من يوم الفراق تغيرت ، أمنت برب لهذا الكون ، تركت عبادة الطبيعة والصدفة وطفرات دارون .. أنا اليوم أصلي وأصوم ورحت مكة ، وأقرأ القرآن لم أعد أسمع الأغاني والموسيقى والسمفونيات وأرقص واختلط بالفتيات ، ولا بار عندي .. الدخان فقط وعلى وشك الخلاص منه.

قالت بوهن : لعلي أصير مثلك .. صدق لا أدري ما الذي عاد يجذبني إليك غير جوهر ! أليس يقال رحمة الله وسعت كل شيء ؟ فمن مصلحة جوهر أن يعود الوئام بيننا ، وأن يكبر بيننا يا عصام ! أنا ندمت بعد تجربتي المجنونة مع وائل استيقظت يا عصام ! سأخدمك

بعيوني وبقلبي ، كن معي حتى أتغير ؛ كما تغيرت ، وسأكون معك في العلاج سواء نجح أو فشل .

قال وكأنه يسمع امرأة غير وردة : أمرك عجيب يا وردة ! قبل الطلاق كنت دائما تتذمري من ضعفي الجنسي ، وتعودين من بيوت عشاقك عند الفجر ، وتزعمين أنك بحاجة لرجل، وأني لم أعد للنساء ذكرا.

قالت بخنوع لا يعهد بينهما منذ تزوجا : هذه الشهور الجنونية علمتني الكثير .. علمتني الندم وأنني تافهة ألهث خلف الشهوات والجنس .. صدق أني أحببت الطلاق وأنا أحبك ؛ ولولا أنني أحببتك حقا ما قبلت بك زوجا ..ولا أحد يجبرني على الزواج .. أنا فكرت عميقا بابننا الوحيد عندما يشب بدون حضن أمه وأبيه سيضيع مني .. سيحتقرني عندما يعي يا عصام أني تركتك من أجل شهوة ستذهب لذتها بعد انقضائها ..عليّ أن اضحي من أجلكما .. كرهت الزنا والفاحشة .. أنا بحاجة إليك اليوم يا عصام !.. يكفي هذا التيه.. كانت الفضيحة مدوية دفعنني لمراجعة أفكاري ومبادئي السيئة.

صمت ، فقط أنفاس مرتفعة على الموبايل فهمس : والصلاة!

قالت بنفس النغمة التي تتعذب : كما صليت أنت أصلي ، وأتعلم وأفعل ما تريد لا أريد أن أتزوح غيرك ... أنت الأول والأخير .. أمي تعرض عليّ عرسان وأنا أرفض .. من أيام طلبني مخرج أفلام إعلانات تلفزيونية من معارف أمي .. جاءني خاطبا في العيادة .

همس متأثرا فقال بحب وحنان : أنت تعلمين أنني طلقتك مكرها بناء على رغبتك وإلحاحك وتعلمين منذ تزوجتك وأنت أحب الأشياء لروحي ، وكنت أغض الطرف عن خيانتك ، وأجعل نفسي غبيا لا يرى ؛ لأنني فاسد مثلك ، ولا يصح أن يحاسب فاسد فاسدا وخائن خائنة ؛ ولكن دعيني أفكر وأشاور ساميا وحسنا وسالما وجهادا.

قالت بارتباك : تشاور إخواني لماذا؟!

قال : لأنني تشاورت معهم عند طلاقنا .

قالت : شاورت إخوتي !

قال : نعم .

قالت : وبماذا أشاروا ؟!

قال : قالوا من حقها المعاشرة والزواج ، وكنا نرى أن عيناك على الدكتور رشيد علي .

زار سامي وحسن وزوجاتهم بيت عصام للعشاء ، والتشاور في شأن وردة ورغبتها بالصلح مع زوجها الذي تخلصت منه من بضعة شهور .

بعد الطعام جلسوا في صالة البيت يتسامرون ويتبادلون الأخبار حتى قال سامي: لماذا أنت بحاجة لسماع رأينا في حكاية وردة ؟

تكلم عصام عن مجيء أبيه يرغبه بإعادة وردة إلى ذمته من أجل الطفل جوهر ، وتحدثت وردة لما اتصل بها لترتيب أمر مجيء جوهر للغداء معه كما هو مرتب بينهم ، وتحدثت بصراحة غريبة عن رغبتها بالعودة إليه كزوجة ، وأنها مستعدة للتوبة والتغير ودخول الإسلام ، وبينت أنها ندمانة لتفريطها به وبشرفها وكرامتها ؛ وكما تغير هو تحب أن تتغير ، وتعلمت خلال هذه الشهور عن سوء الدنيا وأن لوثة أصابتها ، وكانت فضيحتها مدوية وبجهل عميق جعلتها تستفيق من جنونها وغفلتها وحمقها ، وأن زبائن العيادة قلّوا ، وأصبحت منبوذة في النوادي ، ويجالسها الرجال على حذر من زوجاتهم ، والنساء يجلسن معها متوجسين خيفة أن تسرق منهن رجالهن ، فعرفت عاقبة الخروج عن أعراف وتقاليد المجتمع.

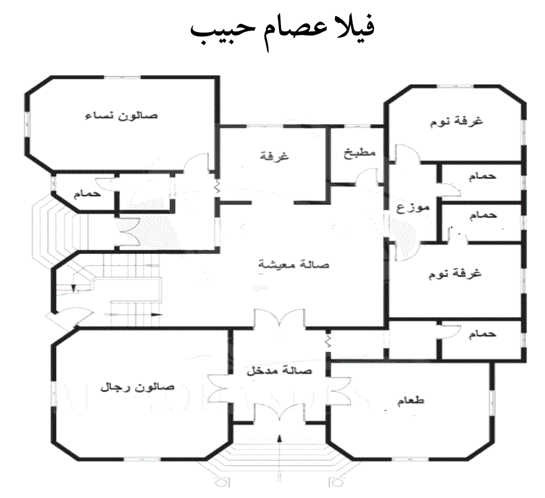
قال حسن صافنا بما سمع : الضال هذا ما يجنيه يا سامي !

قالت نوار : والله نتمنى لها الخير ! وأن تعود لحضرة الدين والتوبة بعد سنين التيه والجهل والسفاهة .. والله يغفر الذنوب جميعا يا عصام ؛ لكن من يضمن تحسن أخلاقها وصفاتها وألا تعود لسيرتها الأولى .

قال عصام بحيرة : العجيب ! أنني لم يتغير فيّ شيء في بدني .. هذا ما يقلق ويزعج .. الولد له

الحق أن يعيش بين أبويه اذا كان ذلك ممكنا ، وأن أضحي من أجله .. وأنا حقا أخشى ضياعه وفساده في وكرها وبين عشاقها .. للأسف هي ابنة عمنا .. هل يمكن أن تتغير وردة وتقبل بي على علاتي ؟

فيلا عصام حبيب



قال سامي : هناك شيء غامض في الأمر ، قتلت نفسها على الطلاق وفضحتنا من أجله ، عندما يقال لها اصبري ، تقول صبرت بما فيه كفاية من حقي أن يكون لي رجل يشبع رغبتي ، ثم راحت وتزوجت عاهرا عهره معروف ، لكن الكلام المعسول يطرب النساء ويفسدهنّ على أزواجهن .. والله منانا أن تصبح ابنة عمنا امرأة صالحة نشرف بها وتشرف بنا ، وكما تعلمون وبكل وقاحة ، وما هي بصراحة أنها ركزت بحبها للطلاق على عدم قدرة عصام على المعاشرة الزوجية ، ولم يتغير شيء في بدنه فما الذي تغير فعلا ؟

قالت نوار : تغيرت روحه أصبحت مسلمة .

قال سامي : صحيح ! وهذه أعظم نعمة أن يصير العاقل مؤمنا من أتباع محمد ﷺ بحق .. نحن ننتظر سفر عصام بفارغ الصبر ؛ لنزوجه بعد رجوعه بصاحبة النصيب .. سواء تعافى أو ظل عطيلا .. سنزوجه امرأة على الأقل تخدمه .

قالت هناء زوجة سامي: العقل يقول إن طلبها العودة وهي على علم بصحة عصام غريب ومحير .. هناك إنَّ كما يقال .. هل ندمت حقا ؟! الخلق بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها

كيف يشاء .. يا جماعة الخير أعطوها فرصة ما دامت تريد العودة برغبتها وإرادتها.

قال حسن: في رأيي أن يصبر عصام حتى يرجع من العلاج ؛ ربما سمعت بقصة العلاج ، وأنه سيشفى، فأرادت أن تسبق الحوادث والشفاء إن شاء الله .. أنت يا عصام ما رأيك ؟ عشر سنوات زواج لا تنسى بسرعة يا أحباب .

قال عصام : أنا مثلكم "متوغوش "حائر بهذه الرغبة بالعودة وتشفع أبي لها .. منذ كلمني أبي وأنا في اضطراب وارتباك ، تكلم أبي في الصلح منذ شهر يقل قليلا ، واتصلت بها لترتيب مجيء جوهر كالعادة ، ففتحت قلبها لي ، وبينت بحرارة رغبتها بالعودة والزواج مني ، وقالت إنها تحدثت مع أبي عن ردي على شفاعته ، وأن يصلح بيننا من أجل جوهر .

قالت نوار: حدثك أبي أنها تحدثت معه!

ـ أمها حدثت والدي العزيز بداية فنقل لي كلامها ، ثم هي سألت أبي عن رأيي ، وأبي يميل إلى عودتها من أجل الصبي ، ومن أجل أنها ابنة أخيه ، وأنه قصر في رعايتها عندما اختفى أخوه .. وطلبت منها التغيير فرحبت بذلك وقالت : أنا مستعدة للتوبة ، وأن أصلي وأقرأ القرآن ، وأنها تركت السفالة والخمر .

قال حسن بحيرة : قالت ذلك وتحب التوبة .. والله يا جماعة شيء خطير!

قالت هناء: كلام طيب ! وماذا قلت لما قبلت التغير والإيمان ؟!

ـ قلت لها توبي وصلي وسوف أفكر بعد رجوعي من رحلة العلاج ، عسى الله أن يلهمني الصواب.

ـ وما كان قولها؟

ـ قالت سأنتظر وستجدني أصلي مثلك .

عاد سامي يقول: فعلا والله غريب ! وليس على الله شيء بعزيز ؛ ربما كانت حادثة وائل قاسية وصدمة عنيفة لها .. وكيف رأت مخاصمة الصحف لها ؟ وتخلي الحزب عند الجد عنها ، وضعف عمل العيادة ، وخشية الأزواج والزوجات من أفعالها الرديئة .. ما الذي غيرها بعد

هذه الشهور من السفالة والضياع والفجور العلني ؟! هل قلبك مطمئن يا أخي ؟

قال عصام : أنا لم أفهم شيئا حقيقيا لهذا العرض والندم .. هل ندمت فعلا كما تزعم ؟! لم يتغير في بدني شيء يدفعها للعودة كما تعرفون؛ بل تحدثت أننا يمكننا أن نحاول أن تحمل وتخصب بالأنبوب الصناعي اذا كان الحيوان المنوي صالحا للإخصاب والتلقيح.

قال حسن فرحا وصائحا : صدقوا أنها ترغب بالعودة حقيقة وواقعا.. هذا شيء مدهش حقا يا جماعة الخير! هذا يعني أنها تعلم بأن عصاما لم يتغير في بدنه أي تغيير ومصرة على الصلح .. وهل تصبر على عدم قدرتك على المعاشرة التي جننت الدنيا من أجلها ؟ وفضحتك وشهرت بك من أجلها ، وزعمت أنها صبرت ثلاث سنوات ، وأنها ترغب بالذرية والاستمتاع مثل نساء الدنيا .. كنا نسمع كلاما يخدش الحياء ، ونضطر للكلام فيه، البنت تتغير حقيقة ندمانة فعلا .

قال سامي: النساء أمرهن عجيب، والذي سيدهش أكثر منا سالم وجهاد سيدهشون من كلام أختهم أكثر منا فهي بالنسبة لهم كالشيطان لا يحبون سماع أي حديث عنها .

قال عصام: لقد استغربت لما علمت أنني تناقشت بأمر طلاقها معها.

قالت هناء : هناك يا جماعة أمر غيّر قريبتكم وقلب كيانها خاصة بعد ابتعاد وائل عنها ، كانت تسيطر عليها أفكار الجمعية التي كانت تعمل معها والتشدق بالجندر والحياة الجنسية الحرة.

حقيقة كان أمر انقلاب وردة محيرا في ذلك الوقت ، من امرأة متحررة ماجنة ، لا تقيم وزنا للعلاقات العائلية ، ومن أنصار الإباحية سرا ثم علنا ، وقامت بحملة تشهير بزوجها رغم تساهله مع علاقتها الإباحية خارج بيت الزواج ؛لأنه هو على نفس المنوال ، هو نفسه خائن لحرمة وقدسية العلاقة الخاصة بين الزوجين ، وأسفرت تلك المعركة عن طلاقها بكل هدوء عامة .

واليوم مطلع العام الجديد هي شغل العائلة الكبيرة والمعارف ، ورغبتها الجامحة بأن تعود زوجة لرجل ضعيفا جنسيا ، ولا يصلح لمعاشرة امرأة.

كان جوهر من الأمور المهمة ؛ لتراجع نفسها وتهورها الإباحي ؛ فكان كلما رجع من عند أبيه يسألها لماذا تعيش هي في بيت وأبوه في بيت ؟ ولماذا لا يرى أباه إلا في الأسبوع نهارا واحدا ؟ فكان دائما يذكرها بأبيه ، وكلما ذهب إليه يستقبله بالبكاء ، ولما يسأله عن الدموع يرد أمك تريد ذلك ، ولما يأت رجال غرب للبيت تدخله المربية غرفته ، وتغلق الخادم عليه الباب ، وتمكث عنده حتى ينام ، فتذهب إلى منامتها ، ويضيق وهو يسأل عن قوارير الخمر الملونة فتخبره المربية أنها شراب يخص الكبار ، وممنوع أن يشربه الصغار ، وكان الطفل يضيق من وجود وائل ويزعمان له أنهما زوجان ، ويحتج بتصرفات عصبية تثير وائل ، ويكسر صحنا أو كوبا إغاضة لأمه وعشيقها ، وهي أحيانا تفكر بإعادته لأبيه ، فقد كان العشيق الدائم يضيق منه حتى ترك تقديم أي قطعة شوكولاتة له ، فقد فعلها مرات في البداية فيرميها عليه أو يضعها في سلة المهملات فقطع هذا العرف .. هذا سبب آخر من دوافع العودة لعصام .

والأمر الثاني الذي صدمها ودفعها للتفكير في حياتها ومبادئها سرعة فصلها من الحزب بكل احتقار ، واعتبروا علاقاتها بوائل خارج نظام وأفكار الحزب مع أن كل نساء الحزب مطلقات ولهن عشاق حتى أن وائلا كان وقتا عشيقا لزعيمة الحزب ، واعتبرت الجمعية الجنسية في نظرها أن فعلها شاذ ومرفوض من الحزب والمجتمع ، والحزب لا يدعو لمثل هكذا علاقة ، واعتبر حزبها الفتي المناصر للنساء ولو كن منحرفات ، لا يدعو إلى أسر على هذه الشاكلة ، بيت وزواج دون عقد شرعي رسمي ، وهاجمها المجتمع واحتقرها ، ووصف فعلها بتعدد الأزواج في آن واحد حتى فرغت عيادتها من الزبائن .

والأمر الثالث هو ظهور مرض جنسي على بدنها رغم كل الاحتياطات والتحصينات التي تأخذ بها ، والدكتور المعالج نصحها بقلة الممارسة الجنسية مع الزوج أو الشريك حتى حين ؛ لأنه قد يعود ثانية ؛ ولأنه فيروس يكمن ويعشش في البدن ، ثم يثور في جسمها ، وتعود للعلاج ، والحياة بدون عقد وزواج شرعي ستبقى ضعيفة ومنبوذة ، وفي أي لحظة ستهدم ، ويجد العشيق غيرها، وتصبح عملة قديمة ، وأما اذا عادت لزوجها المريض فسيعتبرها الناس

أنها ضحت تضحية كبرى من أجل ابنها الوحيد ، ومن أجل زوجها العليل المحتاج لها في ضعفه . والاهم لها من تلك الدوافع تلك الأيام التوبة ، لماذا تبقى ملحدة مترددة خائفة من الدين ؟وها هو عصام يتمتع بحياة طيبة ؛ كأن لم يكن زانيا ضالا ، ألا يكفي كل هذه السنين من لا شيء ؟! عصام تغير في أقل من سنة.. أصابها ملل وفتور من حياة الإباحية والدعاية لها .. الكل يطارد جسدها فحسب .. الجسد فقط .. لذة في مكان قذر من الجسد ، مكان البول والحيض ومني الجماع ، لذة لا تدوم إلا لحظات ودقائق ، وهي مجهدة للبدن ، ونتنة الرائحة ، وعندما تنتهي العلاقة والجنون ؛ كأنهم شياطين يهربون من البيت قضوا شهوتهم في دقائق وانتهى الأمر .. ساعدوها على قضاء رغبتها الجامحة .. وهي نفسها عندما تنتهي عملية الاتصال تحس بضيق ووحشة وندم .. ومنذ ظهور علاقتها بوائل قلّ وندر عشاقها وجدوا غيرها من العشيقات والزانيات .. عمر الزنى قصير .. يملّ الذكور بسرعة ، ويجدون أجمل وأصغر منها.. أصبحوا مجرد تحية وسلام دون موعد للغرام وسهرة ودعوة .. وخانها وائل الذي سمحت له بمعاشرتها دون واقي ذكري ، ونقل لها مرضه الذي لم يخبرها عنه منذ اجتمعا على الزنا ، ظهر أنه مريض به قديما .. يتعاشران دون حماية وأدوات وقاية .

وبدأت تشعر بضعف الرغبة للرجال لما ظهر الهربس ، واعتبرته إنذارا لتهاونها بعلاقتها بالزناة رغم تزويق الأسماء ، فهي منذ ظهوره على بدنها لم تجامع ذكرا فلماذا لا تعود لعصام العاجز جنسيا ؟ ولن تفضح ويكتشف مرضها ؛ ليشمت بها الشامتون الذين يحذرون الشباب والشابات من أمراض الجنس الكثيرة الشائعة في العالم .

وأيضا سيتوقف جوهر حبيبها وقرة عينها من ترداد أبي أبي أبي فعل إليّ عمل لعب معي اشترى لي أهداني ، أما هي فتقضي وقتها في سهرات وعشاءات وخمور وكؤوس والملاهي حتى أنها تسببت بنزيف قاتل لتلك المرأة التي أجبرها عشيقها على إجهاض ابنها ، لا يريد ابنا غير شرعي ابن زنا .. هذه كانت آخر عملية لها، وما زالت المرأة تعاني والعشيق يدفع ..لم تكن تهتم بقصة الطفل المجهض وسبب الإجهاض مهمتها العملية فقط ، وأخذ المال .. لماذا

الإجهاض ؟ المهم العملية وأخذ الأجرة .

هذه بعض دوافع توقفها عن الفواحش والغراميات ، كانت تروج في ذهنها هذه الأفكار حتى طلبت من أمها أن تحدث عمها حبيب عارف بالضغط على عصام وتجس نبضه ؛ ليقبل عودتها .. بعدما ذكرت لها أمها تلك الفكرة ، وبينت لها أن الزوج سترة ولو بغير قدرة على الجماع ، وسمعت منها غايات قبولها ببلص .. وهي تعلم أن لعمها كلمة حاسمة عند أولاده ، فهم يرون قوله مقدسا ، تقبل حبيب الفكرة بصدر رحب من أجل جوهر ابن ابنه الوحيد ، فعصام ليس له إلا هو ، وعمها عطوفا عليهم ، وكان يهتم جدا بشأنهم بعد موت أخيه نجيب ، ومجيئهم من بيروت ، وكان مستاء من انحرافهم عن الدين وسعيدا بسالم وجهاد ، وبقبولهم العيش تحت عنايته وفي بيته ، ويدافع عنهم ويحميهم ويتفقدهم رغم الجفاء الحاد بينه وبين أمهم ، كانوا لا يطيقون بعضا ، أمها لا تحب أن يدس أنفه في تربيتها وبيتها ، وهو يرفض أفكار التحرر والانحراف والإلحاد ؛ ولكنهم كانوا فوق الاعتبار حتى أصبحوا شبابا وأصحاب أسر ، وكثيرا ما دعاها وعصاما لترك الإلحاد والجهل ، فقالت لنفسها : كنا أكبر جهلة في التاريخ يا عماه!

كانت الدكتورة توفر صحف اليوم المحلية في العيادة ؛ ليشتغل بقرأتها روادها أثناء انتظارهم لدخولهم غرفة الفحص والكشف ، وأكثر زبائنها الحوامل ، ولديها جهاز مراقبة الجنين ، وكانت تقوم بعمليات الولادة في أي مستشفى حسب ترتيبات خاصة وحسب رغبة الزبون ، وكذلك تقوم ببعض الفحوص ومشاكل النساء الجنسية الخفيفة ، والأمراض التي تصيب أعضاء النساء التناسلية مثل الالتهابات ، ثم تحولهم لمختبرات وعيادات كبيرة أو مستشفيات متخصصة بالنساء .

وكانت المراجعة تجد كذلك بعضا من المجلات الصحية وكتالوجات العلاج ومراكز العلاج والأدوية والزينة والملابس المناسبة للحوامل ، وحتى مجلات اجتماعية وسياسية ؛ لأن للناس أذواق متنوعة.

والصحف اليومية المحلية كثيرة ، كانت وردة تهتم بثلاثة منها ، الصحف تمتلأ صفاحاتها بالإعلانات والتعازي والنعي ، والصفحة الأولى صفحة أخبار الرئيس والحكومة ، وأهم الأحداث العالمية ، وكذلك الأخيرة ، والتفاصيل في الغالب داخل الجريدة ، وتجد في الصحيفة صفحة للمحليات والمحافظات ، وصفحة للاقتصاد والرياضة ومرات ملحق رياضي اقتصادي مستقل ، وكل صفحة نصفها إعلانات صغيرة وكبيرة ، وتجد صفحة دينية وثقافية ونعي ومقالات حرة أو مترجمة، نكتب هذا الكلام ؛ لأن الدكتورة وردة بعد الفضيحة المدوية ودعوتها لإقامة علاقات جنسية بدون مأذون أو محكمة ونتيجة لفعلها قلّ مرضاها صار لديها وقت ؛ لتصفح الجرائد ، فكانت تركّز على الصفحة الدينية التي لم تنظر إليها منذ ولدتها أمها ولا حتى في الجامعة ، وتكره المتدينين ، ولا تصافح طبيبة ملتزمة إلا بالخطأ سواء أيام الكلية والعمل في مستشفى الجامعة ، وتنفر من علاج المتدينات.

أخذت تقرأ وترى ماذا يكتبون في هذه الصفحة الدينية ؟ فتجد مناقشات بين الأحزاب الدينية المنتشرة في البلاد ، وردود وتعليقات ، فتاوى وأسئلة ، تفسير آيات من

القرآن ، تراجم وقصص عن السابقين ، وقرأت مقالا في جريدة فجر الأمة اهتمت به ، بعنوان كيف يتوب العاصي ؟ لأحد كتاب الصفحة ففتح المقال أمامها باب التوبة ونسيان الذنوب ، حتى أخذت الجريدة للشقة لتكرار القراءة للمقال والاحتفاظ به ، وأخذت تداوم على الصفحة لا شعوريا ، ثم قرأت مقالا آخر بعد حين لنفس الكاتب جمال محمود بعنوان كيف ندخل الإسلام ؟ وهكذا كان لها رغبة بالتوبة والعودة لعصام ، وتأملت في تعليق على آية تبين أن الزواج آية من آيات والبيت سكينة وسكن للزوجين ومودة ورحمة .



فجر الأمة — الصفحة الدينية — العدد ٣٤٣٣ عام ٢٠٠٨

الصفحة الدينية

بقلم : جمال محمود

دعوة العاصي للتوبة

المقال الأول

دعوة العاصي للتوبة

الإنسان لم يخلق عبثا ولا هملا ، والإنسان جبلت فيه غرائز وشهوات ، والإنسان ليس ملكا يمشي على الأرض .. ففيه الخير والشر ، وفيه من صفات الجماد والحيوان والنبات .. وهو مخلوق ضعيف [عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ»] م

فالخطايا لابد منها في حياة المسلم ؛ ولكن عليه أن لا يستسلم لها ، أن لا ييأس من رحمة الله ﷻ ، ولا يقنط ، ولو بلغت ذنوبه عنان السماء .. ومهما أسرف الإنسان المسلم في الذنوب فرحمة الله وسعت كل شيء{ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ

اللهَّ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ } [الزمر: ٥٣]}

الله هو الغفور الذي يغفر ذنوب عباده ، والرحيم الذي يرحمهم .. على المسلم الذي أكرمه الله ﷻ بالإسلام ، وجعله من خير الأمم التي أخرجها الله للناس أن لا ينسى عذاب الله والنار .. فلذلك شرع الله التوبة النصوح والعودة إلى الله مهما ارتكب المسلم من الذنوب والشرك والمعاصي والعدوان والآثام{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهَّ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ} [التحريم: ٨]}

فالتوبة فيها تكفير وغسل وتطهير لهذه المعاصي والآثام .. فيها الندم على التقصير في حق الله وطاعته .. فالترغيب مطلوب كما جاء في القرآن بذكر الجنة وأوصافها.. والترهيب مطلوب كما ذكر في القرآن من نارها وزقومها ولباسها.

ماذا فعل أخوة يوسف ؟ من العقوق والرغبة في القتل لأخيهم الصغير والضعيف .. ولما تابوا تاب الله عليهم .. فالله يحب التوبة ويفرح بها .. فمهما ضعفنا أمام الشيطان وشهوات النفس علينا أن نعود إلى الله ونتوب إليه .. ولا نستسلم استسلاما كاملا للشيطان ورغبته في قتلنا وإفسادنا .. فهو أول من يتبرأ منا في الدنيا ويوم القيامة يقول ﷻ { كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ} [الحشر: ١٦]}

وقال الحق سبحانه وتعالى عن تبرأ الشيطان عن أتباعه يوم القيامة{ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللهَّ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } [إبراهيم: ٢٢] }

أخيرا .. التائب من الذنب كمن لا ذنب له. والله تعالى اعلم

فجر الامه   الصفحه الدينيه   العدد ٣٤٣٧ عام ٢٠٠٨

الصفحة الدينية

بقلم: جمال محمود

كيف ندعو لدين الله؟

المقال الثاني

كيف ندعو لدين الله؟

جعل الله ﷻ الإسلام دينه الخاتم ، والدين عند الله الإسلام ،والإنسان لا يفوز بجنة الرضوان إلا بدخوله هذا الإسلام ، فلن يقبل عمل خيرٌ إلا بالإسلام وقال ﷻ { هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } التغابن

إذن الناس صنفان ، مسلم استسلم لأمر ربه ، وكافر رفض الإسلام والاستسلام لخالقه سبحانه أو لم يسمع بالإسلام .. والكفرة أصناف ، فمنهم من له دين ؛ ولكنه منسوخ كاليهودية والنصرانية، ومنهم من له دين وثني شركي كالمجوسية والبوذية والهندوسية .

فعند الدعوة لدين الله ﷻ فمن المهم معرفة معبود المدعو .. فمعرفة معبود المدعو عامل مهم في الدعوة لدين الله ﷻ .. فدعوة الوثني تختلف عن دعوة اليهودي والنصراني .. ودعوة العامي البسيط تختلف عن دعوة المتعلم والمثقف .

وأساليب الدعوة متنوعة .. والقرآن الكريم ذكر لنا صورا منها .. كيف دعا نوح قومه ؟ كيف دعا موسى فرعون وقومه ؟ .. والرسول الكريم ﷺ كان يدعو الناس للإسلام بعرض الإسلام وقراءة القرآن .. وممكن للمسلم أن يدعو بالحديث عن إعجاز القرآن العلمي في هذا

الزمان .. إعجاز في السموات والأرض والجبال والبحار .. إعجاز في خلق الإنسان والحيوان والنبات.. فإذا بهر السامع بقدرة الله تعالى في ترتيب وتنظيم كونه وملكوته .. واستسلم لعظمة الله سبحانه وإرادة الله .. أدرك المدعو عظمة هذا الإله ، وأنه وحده المستحق للخضوع والعبادة والإيمان .

فحينئذ نذهب بالمدعو إلى رسالة النبي ﷺ لأن هذا الإله العظيم الذي تعرفنا عليه يريد منا عبادته وطاعته.. فكيف نطيعه ونعبده ونخلص له ولا نشرك به شيئا؟!

فنحن بحاجة لمعلم .. لرسول يعلمنا العبادة والطاعة لهذا الإله العظيم.. فكان محمد هو المعلم والرسول لنا .. فبواسطة الرسول المبين عن ربه ، نتعلم الصلاة والوضوء والأعمال التي نتقرب بها لهذا الإله المعبود { هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ } [الجمعة: ٢]

خلاصة الكلام .. تعريف بالله ﷻ بقدرة الله سبحانه بعظمة الله تعالى .. يكون إيمان بالله ﷻ ثم رسول يوضح ويبشر ويعلم هذا الإيمان الصحيح السليم وكيف نشكر الله ﷻ ؟ {لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ } [البقرة: ٢٧٢] والله أعلم

فتضرعت وتضرعت : اللهم اهدني وتب عليّ ، كما هديت عبدك عصاما ،وتبت عليه وصاحت أمين أمين .

أخرجت مصحفا اشترته من أيام ، قرأت الفاتحة ، وسمعتها على الموبايل وقالت : لماذا لا أتوب ؟! بكت وبكت بضع دقائق حتى إن جوهرا اقترب منها تتبعه المربية : تبكين يا أمي! احتضنته وقالت : حبيبي كم أموت فيك يا جوهر !

استجداء وردة للعودة كزوجة هزه هزا عميقا ، طاش عقله ، فقد خفق قلبه خفقا شديدا وردة تستجديه ؛ ليكون زوجها ، كلامها ورغبتها الشديدة ؛ لتكون زوجة له بعد رحلتها بصحبة الشيطان وأعوانه ، داعية لهدم الحياة الزوجية التقليدية ، ياما طلب منها أن تخفف من أفكار جمعيتها المتطرفة في حقوق النسوان أكثر من جمعيات أوروبا وأمريكا ، فلم تكن تحترم حق زوج وأخ وأم وعم .

وأحس عصام العليل بحنين وشوق لزوجته وعطف نحوها ، كانت حبيبته وزوجته عشر سنوات ، وأم وحيده ، ولم يكن فراقها إلا من شهور أقل من سنة.

وأثرت فيه رغبتها العارمة في العودة ، فكانت تذهب روحه في خيالات وذكريات أيام بدأت شراكتهما في الحياة ، وعندما أدرك أنها تخونه في الفراش ، وتزني لم يستطع مناقشتها فلماذا تخونه؟ هو يعلم أنها فقدت عذريتها قبل زواجهما أثناء دراستها في سنوات الكلية الأولى ، وتقبل الأمر برضا ؛ لأنه لم يكن يهتم بهذا ويعتبره من توافه الأمور ، وكما كان يعبث مع البنات طالبات وعاملات ويعتدي على شرفهن برضاهن" نظرية الرضا بين الطرفين " فيعلم أن وردة لابد من حدوث ذلك معها ، وأن بعضهم عبث بها .. هذا واقع الكثير من الطلبة ومن الجنسين . وحدث نفسه بأن وردة في أول زواجها كانت عفيفة وشريفة مخلصة ؛ إنما بدأت تنحرف وتعود لماضيها الإباحي بعد ولادة جوهر ، وكثرة خيانته لها ، فأخذت تبالغ في التبرج والعطور ، بعد النفاس بشهر أحس بأن له شريكا في جسدها ، في هذا الجسد النائم بجنبه ، لم تعد تتبرج وتتزين له أهملته ، وتكرر الشك وزاد لما كانت تعود للبيت ثملة سكرانة ، تكثر من الشراب ، تكثر من أم الخبائث ، وتعود بعد المنتصف بحجج كثيرة ، فالخمر ستؤدي لهذه النتيجة ، ولم يجرؤ على مناقشتها فهي تعرف أنه خائن ، وصبرت عليه ، كان ضعيفا أمام أي حسناء تواعده سواء عن طريق العيادة ، سواء في جمعية الأطباء في النوادي فيلزم الصمت .

تعود للبيت ثملة أكثر مما تعوّد ، ضعف عن الاستفسار عن سبب التغير، فهي تعرف أنه خائن

لا يحترم البيت ، قبل ولادة جوهر تذكر كانت لها صديقة عملت معها كشريكة في فتح عيادتها حاولت صديقة وشريكة وردة وسعت للإيقاع به ويتزوجها ، ويترك وردة ، وسلمت نفسها له عدة مرات باسم الحب ، وكشفت حالها لوردة ؛ لتطلب الطلاق من عصام لخيانة زوجها لها مع زميلة العيادة ، لم تفعل وردة ؛ كأن شيئا لم يحصل؛ وإنما حدث الانفصال معها ، ورحلت الشريكة إلى مكان عمل آخر ، وطلب منها العفو والصفح ، وأنه ضعف أمام إغرائها وشهوتها ، لم يستطع المقاومة وأنه ضعيف أمام الجميلات والشهوانيات ، فما كان أمامها إلا الصمت والنسيان ،وقطع علاقته بشريكة زوجته ، واعترف لها بأنها مكرت به ، واستسلم لمكرها وسقط في حيلتها ، وهي تعرف أن عصاما يكذب عليها ، وأن له رفيقات غير شريكتها ، فله رفيقات من أيام الجامعة ، ظلوا على اتصال بين الفينة والأخرى ، وظل يتزاور معهن .. هذا الشريط أخذ يتذكره لما أبدت وردة رغبتها بالعودة كزوجة ،كان يأسف ويبكي أحيانا لتلك اللقاءات القذرة للخمر والدعارة ، التي تلوث بها باسم الحرية والإلحاد والإباحية، ويعجب من جهله وغفلته ؛ كأنه تيس غنم ، وأن وظيفته في الدنيا فقط معاشرة الغانيات والزانيات.. هذه وظيفة مهمة ، ولكن هناك وظائف أهم بكثير منها الإيمان والحياة السعيدة للنجاة يوم الحساب .

لقد كان سفيها ، كل الذكور لهم زوجات ، وسيكون لمن هو أعزب زوجة ، أما أن يظل يتنقل من شقة إلى أخرى مثل تيس الغنم ، ينتقل من فلاح لأخر .. فهذا فعل أحمق وغبي .. وها هو يواجه الحرمان أصبح غير قادر على غشيان امرأة ، لم لا يفكر الإنسان بمثل هذا الموقف بهذه العاقبة ؟ الخلاصة يقول: إننا كنا زوجين فاسدين ، لا نشبع ولا نكتفي من بعضنا، أنا كنت أعرف فسادها أيام الدراسة ، وهي تعرف فسادي مثلها ، كان دعاة الإباحية الذكور والإناث موجودين في الكلية والمشفى الدراسي ، قبلنا أن نكون أزواجا شرعيين ، وكلنا يعرف ماضي الآخر .. هل كان عندنا أمل بالصلاح والبداية السليمة النظيفة ؟.. أبي يعرف فسادنا ، كان يرغب بأن يصلح حالنا ، ونعود للحياة المستقيمة ؛ بما أننا تخلصنا من الجامعة رضينا ببعض

وغفرنا زلات بعض ؛ لكن فشلنا في تحقيق غايات أبي بالعودة لحياة السلام والاستقامة والرضا بالموجود .. أبي لم يدخل هذا البيت إلا بعد العودة من المستشفى بعد حادث التصادم ، كان يخشى أن أموت ضالا كافرا ملحدا في قاموسه .. ما أصعب أن يرى الأب ابنه كافرا ضالا تابعا للينين وداروين في صف الكفر وعبادة الأفكار الضالة المستوردة !

فأبوه يعلم ضياع أخيه عمه نجيب وسيره في درب منظمات كافرة تابعة إما لروسيا الاتحاد السوفيتي وإما للصين لماو ، كان جده عارف محبا للعلم فدّرس نجيبا طبيبا في بيروت ، ودّرس حبيبا مهندسا زراعيا على رغبة كل منهم .

كانت الأفكار والذكريات هذه تسير به هنا وهناك ، وتسأءل في النهاية بهمس مسموع : هل تصلح العودة بيننا ، وتثبت حياتنا الزوجية؟ هل تصير وردة من أجل جوهر امرأة صالحة ؟ ولا تحن للرجال الأقوياء والعشاق! هل يكفي كلامي المعسول والغزل لإرضائها كامرأة ؟ تستطيع أن تصبر عن الجنس سنين وعقود ها هن نساء يترملن صغيرات ورفضن الزواج والتخلي عن الأولاد لعيون رجل ! يربين أولادهن حتى الموت .. عمتي فاطمة أكبر مثال ترملت دون الثلاثين من العمر ، ولم تقبل بالزنا بديلا ، ولم نسمع بمغامرات وعشاق ، ترملت على ثلاثة وصبرت لليوم ، عاشت بدون الحاجة لرجل وزوج ، وقد ربت أولادها أحسن تربية .. المرأة الصالحة اذا أرادت الصلاح والآخرة صبرت ، ورضيت بأمر ربها ، ولم يقصر أولئك الأبناء برد الجميل.. التربية مهمة كبيرة يا وردة ! حبيبي جوهر!

****

العائلة مستغربة من انقلاب وردة وتوبتها السريعة ، وأصبحت ترافق جوهرا والمربية في زيارتهم لبيت عصام بعد حديثهم المطول حول رغبتها بالعودة كزوجة له ، ولا تتمكيج ، وتلبس ثيابا محتشمة ، ولا ترش العطر على بدنها وثيابها ، ويأكلون معا ، لا ننسى أنها ابنة عمه فحتى لو طلقها فصلتها مطلوبة ، فهي رحم ؛ لكن الاختلاء بها هو المنهي عنه ، معها الطفل ، ولا يصلح محرما شرعيا ، هناك الخادمة معهم فانتفت الخلوة .

تركت السيدة السفور والتبرج للشارع والخروج ، وارتدت الجلباب الشرعي والإسلامي كما نص القرآن على ذلك في سورة الأحزاب ، وتصلي في بيته ؛ لتؤكد له أنها تقصد التغيير حقا .
هذا أثار إعجاب أمها وعمها وإخوتها سالم وجهاد وسامي وحسن ونوار ، هذا الفعل دفع سالم وجهاد للتصالح معها ، ويسهرون معها في بيت عصام عندما تذهب هناك ، طلب جوهر من أمه أن تعود للسكن مع والده ، فهو كان طول الوقت معه خلال مرض أبيه ، وقضاء أكثر وقته في البيت ، وطلب من أبيه أن يعود لأمه ؛ لأنها تحبه كما تقول له" أنا بحب بابا" ؛ فقال عصام مسرورا : سأفعل يا قرة عيني! سأفعل لما أرجع من فرنسا حيث سأتعالج من أوجاعي يا صغيري ! كم أحبك يا جوهر ! حبيبي أنت !
فقال الصغير : وأنا أحبك يا أبي ، وأحب أمي! اليوم أمي دائما معي، وتذهب بي إلى المدرسة
فقال جهاد عندما سمع كلام الصبي : رائع يا ولد يا جوهر ! أنت كبرت ! ما رأيك يا عصام ما دامت أختنا تعود للحق والصواب فعلا ، وتعود إلى الدين فعلا كما نشاهد ، وبينك وبين السفر شهران أن تعقد عليها ، فعمي حبيب يحب ذلك ؛ لعلها تصاحبك في رحلة العلاج ، وقد تحتاج إليها .
فقال عصام وهو ينظر لوردة بحب وشوق : واذا لم ينجح العلاج ، وأبقى على حالي يا أبا عبدالله نعود للمشاكل !
قال سالم : لما فكرت بالعودة إليك ؛ كما تحدثت معها أنا وجهاد ، لم تعد ترى ذلك الأمر مهما في حياتها .. المهم أنت وابنكما الذي استطاع أن يقنعها بحبك من جديد.
قالت : نعم يا عصام ! أنا غير تلك ، صممت على التغير .
فقال عصام فرحا جذلا : كلنا يعلم أن عمتنا فاطمة ترملت صغيرة دون الثلاثين على ثلاثة أطفال وظلت بدون زواج ، ورفضت كما يقال كل محاولات إقناعها بالزواج ، قالت الأولاد أهم من الزواج ، كبروا اليوم وأصبحوا رجالا ، فيمكن للمرأة أن تصبر وتعيش بدون زواج.
قال جهاد: هذا صحيح ، وردة اليوم غير وردة قبل سنة ، أعتقد أن وردة تستطيع ذلك اذا

أرادت ، وهي خبرت الحياة الفاسدة ، وعمرها قصير .. المهم عندنا الحياة الأخرى .. أنا معرض للمرض والضعف ، ووردة كذلك ، على المرء أن يصبر على قدره ويرضى به .

فقال سالم : الإنسان إرادة ، ونحن لليوم لم نعرف يا وردتنا سر تغيرك الحقيقي والحاسم وانقلابك على مبادئ الانحلال والحرية المطلقة للنساء!

رشفت شايا وقالت: أنا نفسي يا أخي لا أدري ؛ فجأة تراكمت حولي نتائج الماضي والمسار الذي سلكته ، فقلت ابني الأهم في هذه الدنيا .. لماذا يبقى بعيدا عن أبيه ، من أجل قضاء شهوات ورغبات آثارها مدمرة نفسيا وعقليا وبدنيا وروحيا واجتماعيا .

قال جهاد بحماس : هل أنت موافقة على الزواج من عصام قبل السفر؟

قالت بوهن وخجل : أنا موافقة حتى ولو لم يحدث السفر .. عصام سيدي وحبيبي .. ويكفي أنه والد حبيبي جوهر ـ واحتضنته وقبلته ـ وابن عمي .. كل ابن آدم خطأ وخير الخطائين التوابون.

قال سالم : رائع جدا يا وردة ! أنت جادة .. نقول بصراحة حتى لو لم يتعافى عصام من ضعفه الجنسي الطبيعي ، ولا يفلح الدواء لا نعود للماضي والتذمر اقنعوا عصاما بطلاقي أنا شابة وأنا بحاجة لذرية .

قالت: أنا لا مانع عندي .. المهم عصام يقتنع بصدق رغبتي بالعودة كزوجين وامرأة صالحة.

قال عصام: أنا صحيح سعيد جدا بما أسمع من الجميع .. وأنا صحيح مستغرب لكن كلمات من أبي حبيب جعلتني أمحوا سنوات من عمري وأعود للتوبة وأصحوا من الغفلة .. فوردة مثلي تغيرت .. وتسعى بقوة لذلك ، والإنسان يتغير والقرآن أخبر أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم يعني أن الإنسان يستطيع التغير بتوفيق من الله وحده .. وسنبدأ من جديد نحن نقترب من الأربعين ، لسنا صغارا .. كيف كبرنا ؟ ولماذا أصبت بالحادث، ولم أمت ؟

قال سالم: أنا برأيي أن تكتبا الكتاب وتعيشان سوية كزوجين همها الآخرة وجوهر الغالي .. ولتعلم أختنا أننا اليوم نحبها كما نحب أنفسنا .. وسترافقك بإذنه تعالى لفرنسا ،وسيكون

معكما جوهر البطل الشجاع المحب لكما .

قال عصام: أنا موافق يا ابنة عمي على الزواج منك ، وأطلب يدك للنكاح .. مبارك علينا البدء من جديد .

قالت : وأنا قبلتك زوجا لي ، وأشكر أخويّ ، وممتن لحبهما لي ، وأنا لما بدأت التدين عرفت قيمتكما وفضلكما ، فاغفرا لي سفهي وجهلي .

سافرت الأسرة الصغيرة إلى باريس ؛ حيث استقبلهم صديقهم الدكتور ناصر عواد ، وسعى أن يستضيفهم في بيته ، فاعتذروا ، ورغبوا كالمرة الماضية أن ينزلوا في فندق ، ورحب بهم الطبيب الفرنسي المعالج العجوز ، وبعد تحاليل وصور طبقية ملونة وشعاعية ورنين مغناطيسي ؛ كما تسمى في بلادنا ، واستخدام أجهزة حديثة ، قوّم الطبيب نتائج الأدوية التي أشار إليها في الرحلة السابقة والتي داوم عليها عصام من العام الفائت .

واستمر الأمر شهرا في العلاج والتقارير الطبية ، وفي النهاية اعترف المعالج بضعف النتائج ، والتعافي يحتاج لوقت أكثر مما خمن وتوقع ، فمن المعروف طبيا وفسيولوجيا أن الخلايا العصبية بطيئة التجدد ، فالجسم يبدل مليارات الخلايا يوميا بما يسمى الاستقلاب ، لم تؤدِ الأدوية إلى نتائج مرتفعة ؛ ولكنه نصح بالاستمرار والمواظبة عليها ؛ لعلها مع الزمن تؤثر على الدماغ والأعصاب والغدد المضروبة والضعيفة العمل ، الخلاصة أن الشفاء مع الزمن كأغلب أمراض الأعصاب والدماغ ، واذا أحب القدوم العام القادم ؛ ليقوموا بنفس التحاليل والاختبارات ، فرحب بذلك الطبيب العجوز ، وأنه مستعد لمتابعة العلاج ، فقوته الجنسية ستبقى ضعفيه وعليلة .

فقالت وردة لترفع من نفسيته : حبيبي عصام لا تحزن .. الأمر لله ، والشفاء بيده .. نحن اليوم غير الماضي .. نحن اليوم مرتبطون بقوة الله ، وسلمنا له أمرنا قبل المجيء ، وأنا سأكون مثل عمتنا فاطمة صابرة لقدرها راضية بالقضاء ؛ الفرق والفضل أنت معي وبجواري .. أنت

رجل مؤمن ، وتعلقنا بالله خير ، وما يختاره خيرا لنا .. لله ما أخذ ولله ما أعطى .

ـ أنا حزين من أجلك !

قالت بصدق : حبيبي لا تحزن ، ولو ظللت متلهفة لتلك الحاجة ما عدت إليك يا قرة العين ! ماتت الرغبة .. صدق أنا نفسي لا أدري ما الذي أضعفها أو أماتها في نفسي ! المهم أنها ماتت .. ها نحن معا من شهور ، وقبلها بثلاثة لم يمسسني بشر .. المهم قلت أن أعيش بقربك ونفسك ، وبحبك يا ابن عمي .. المرأة الطبيعية بعد الخمسين أو قبل بقليل تضعف الرغبة لديها بانتهاء هرمون الجنس التستوستيرون والأستروجين ، هناك أمراض تضعف الغدد الجنسية لدى الناس ، والعجز الجنسي موجود لدى الطرفين ، حتى لو مارسنا الجنس لن يكون له لذة الشباب ، وهما بكامل قواهم الهرمونية .. انظر مريض السكري والضغط قد يمارس العلاقة ، ولن تكون بقوة أيام الصحة وإلا لماذا يتعاطون الأدوية الجنسية؟ أنا رضيت بقدري .. بس أرجوك أن تقبل ونحاول عن طريق الأنبوب محاولة فقط حتى ولو لم تثمر .. فالدكتور العجوز أكد لي أن الحيوان المنوي عندك يمكنه التلقيح والأخصاب بغير الجماع .. فالخصيتان تعملان بشكل طبيعي .. وقال يمكن الحمل عن طريق الإخصاب الخارجي .. فلنفعل .. والأمر لله .. أما الاتصال عن طريق العضو التناسلي فقال التلقيح صعب جدا .. وأنا لما رجعت إليك تركت التفكير بأي اتصال جنسي سامحني يا عصام .

فقال بحزن : بل أنت سامحيني سأحرمك من ...

قالت : لم تحرمني من شيء .. أنا رضيت بك ، وأنا خير من يعرفك ، وأنا معك حصل ونجح الأنبوب أو فشل .

ضمها لصدره وهو يشهق بالدموع وهمس : تغيرت جدا يا وردة ! كم أنا سعيد بقربك ! وكم أنا حزين من أجلك!

قالت: قلت لا تحزن ، نحن نعرف بعضنا جيدا يا حبيبي قضيت كفايتي من الشهوة .. صدق وتأكد لو لم تمت هذه الرغبة فيّ لما تغيرت ، لما فكرت ، لما حلمت بالعودة إليك .. أعرف من

أنت ؟ ووضعك الصحي.. أنت حبيبي وحياتي وعشيقي وسيدي!

قال وهو يمسح دمعات ترقرقت في عينيه : ما أجمل ما أسمع! أنا لما نجوت من الحادث رأيت أني صرت حطاما ، تمنيت ولو أني مت .. فلما أنظر لقوامك المشوق وشبابك وعجزي أحس بالألم والموت .. أنا فكرت بالطلاق بعد عودتي من المستشفى بقليل ، قلت لا أريد أن أظلمها من حقها أن تعيش شبابها .. كان عندي أمل أن أطيب وأتحسن بوقت يسير .. ما أجمل الكلام منك!

قالت : فكرت طويلا طويلا لماذا لا يعيش الإنسان نبيلا ؟ هي الحياة فقط إشباع رغبة الجنس .. ماذا جنى العالم من ثورة الجنس ؟! سوى الأمراض سوى الإيدز سوى خمسة وعشرين مرضا جنسيا ، سوى الألم وارتكاب الجرائم .. اطلعت وأنا أراجع ماضيي يا عصام كتابا عن الجرائم الجنسية قرأت العجب العجاب، أغلب الجرائم بسبب الجنس والحب .. ما حدث كان خيرا لي ولك .. عدنا إلى الله الذي كنا نزعم أننا لا نعرفه .. أنت عدت لربك ، وأنا تأثرت بما علمت عنك بعد الطلاق فاجتاحت نفسي الرغبة بالتوبة وإلى الله مثلك .

ضمها مرة ثانية إلى قلبه وقبلها ممتنا: أنا أحبك حبا شغف قلبي كما قالت نسوة مصر عن امرأة العزيز "قد شغفها حبا".

ـ وأنا احبك جدا أنت ساعدت في إنقاذي من الجاهلية والضلال .. عادت السكينة لروحي كنت أعب من الشراب لأنسى همومي ومشاكلي مع نساء الحزب مع نساء العيادة .. وعلمت أن قلبي متعلق بك ومرتبط بك وعلينا أن نستفيد من تجاربنا المظلمة ونتحلى بالأخلاق الحسنة .. اطمئن من ناحيتي لن أتخلى عنك إلا بالموت .. وإنك ذكرتني بعمتنا الصابرة المحتسبة فاطمة التي صبرت على الترمل بدون زوج .. فكيف بمن معها زوج حبيب؟ ليس كل الحياة جنس .. ما هي فترة الجنس في الواقع ؟ دقائق ثم ينتهي الاتصال .

ضمها ثالثة وقال : أنت أحسن دواء لي ! .. أنا صدقا لم أكن ألوم انحرافك ؛ لأني كنت منحرفا وتائها مثلك .

ـ ولا أنا ، لم أكن أحب مناقشة أفعالنا السيئة ، نعم علينا أن نعتبر بها مضى ، وعمتنا قدوة لي، لم نسمع عن خيانة لها ، حتى أمي يا عصام لم أسمع أنها قدمت جسدها لأحد ، ولعلمك زوجها أيضا ضعيف من هذه الناحية من قديم ؛ إنها كما ترى حتى اذا زارها رجل أو جلس معها في العمل حتى لا يُظن بها أي سوء .. وهي بلا دين .

ـ هذا الظن السيء صحيح .. يراود الخواطر .

قالت : وهي تعجب مما أصابني وتزعم بأن جنا مسني.

قال مترددا بالفكرة التي خطرت في رأسه تلك اللحظة : خطر في مخي شيء!

ـ ما هو؟

قال : ما دمنا في باريس بلاد الهوى والإباحية ؛ لنشتري أدوات جنسية نستعملها فهي تباع وتشترى علنا ودون حرج ؛ حيث تباع في بلادنا سرا.

ابتسمت وقالت بعطف وثقة : قلت لك يا حبيبي الرغبة ماتت فيّ .. وهذه الألعاب والأدوات كلها بجميع هيئاتها الغاية منها سواء للرجل أم المرأة الاستمناء ، مثلها مثل مشاهدة أفلام الإباحية أيضا أو مجلات الإباحية ، فلا تشبع رغبة الجنسين ، لو كفت الناس لما زاد الزنا والاغتصاب .. والاستمناء يتحقق بدون أدوات تباع ، ولا يعتبر عملية جنسية كاملة كثير من الفتيات اللواتي يراجعن العيادة مبتلايات بهذه العادة السيئة ، ولا تحقق أبدا ما يحققه الزواج الشرعي .. الجنس تجارة .

قضوا أسبوعا في ربوع فرنسا ، وزاروا مواقع سياحية ومتاحف فرنسية شهيرة كمتحف اللوفر في قلب باريس ، والتجوال في شارع الشانزليزيه ، وهو أحد شوارع باريس ، وهو من أرقى وأفخم الشوارع السياحية والتجارية في العالم، توجد بالشانزليزيه أرقى المحلات التجارية العالمية والمطاعم الراقية، كما تكثر في الشانزليزيه المقاهي على جنبات الرصيف والطرقات الجانبية، في نهاية الشارع يوجد قوس النصر أحد معالم المدينة ، ويعتبر ميدان ساحة كونكورد اليوم قلب مركز العاصمة الفرنسيّة ، ويضمّ العديد من المحال التّجاريّة إلى جانب

المطاعم والمقاهي ومتاجر التّذكارات الّتي يستطيع فيها السّيّاح الحصول على مجسّمات وصور تذكاريّة للعديد من معالم مدينة . يبلغ الشارع اثنين كيلو متر طولا و ٧٠ مترا عرضا ، ويبدأ الشارع من ساحة الكونكورد ، وينتهي بساحة النجمة ، في نهاية الشارع من ناحيته الشرقية مسلة مصرية ضخمة .

وتجولوا في متاحف علمية وثقافية ، وعادوا إلى بعنبس وهم في سعادة وحبور رغم فشل العلاج ، الذي كان متوقعا من قبل السفر ؛ ولكنه الأمل المفطور عليه الإنسان ، والطبيب ترك الأمل في نفوسهم ، وإن الأدوية التي وصفها لهم قد تؤدي تحسنا مع الوقت .

ولما رأى الأهل سعادتها وتسليم أمرهما إلى الله فرحوا بهم أكثر منهم وقال جهاد: أخبرني عصام منذ التدين حين كانوا يلتقون قبل عودة وردة لمناقشة مسائل شرعية وأفكار تشيعها الصحف العلمانية ورجالها ، وكانت وردة تشارك فيها وتطرح الشبهات التي تثيرها جمعية العصبة .. إن الإيمان بوجود الله لا يكفي للنجاة .. فكثير من سكان هذا العالم يؤمنون بوجوده ولكنهم لا يعرفون كيف يعبدونه فصحة وكيفية العبادة تحتاج لرسول إلى معلم من جنسنا يا وردة ! لأن الله لا يتكلم مع البشر إلا يوم القيامة .. فالفطرة والعقل الموهوب يستدل بهما على وجود الله أما كيف نصلي نصوم نحج نؤمن إيمانا صحيحا عقيدة صحيحة .. فأنتم مجرد شعارات دون وعي فتكرهون الإسلام وتعادونه .

كل من يعرف وردة طوال السنوات الماضيات وقبل رجوعها لعصام يقف متعجبا غاية العجب من صورتها الجديدة ، صورة تغيرت ٣٦٠ درجة.

كانت امرأة أسوأ من زوجة الشيطان ، مستهترة فاسدة داعية للإباحية من خلال حزبها ابن الانحلال الغربي ، والمدعوم منه معنويا وماديا ، واشتهرت في بعنبس بعمل عمليات الإجهاض غير القانونية ، تقتل ثمار الزنا ، توقفت بعد عملية تلك المرأة ، توقفت عن فعل ذلك، ولم تقم بعملية ولو قانونية .

عام ٢٠٠٨ لم يتحسن عمل العيادة رغم توبتها وتغير صورتها في المجتمع كثيرا ؛ ربما ما زال المحتاجون للعلاج في ريب ، وإنها تتصنع ذلك التدين ، ولما عادت من باريس غيرت نظام العمل وساعات العمل ، فيبدأ العمل التاسعة صباحا وينتهي الثالثة مساء ، وأصبحت تعمل أعمالا تطوعية ومجانية للجمعيات الخيرية ، وبتنسيق مع جهاد وسالم وعصام وسامي وحسن ونوار أحب الناس إليها اليوم ، وتستمتع بالحوارات والمناقشات مع جهاد ونوار وسامي وحسن وسالم لما يكون في البلد ، وكانت لا يمر أسبوع إلا وتزور عمها وزوجته وعماتها الاثنتين خاصة فاطمة التي تجاور عمها حبيب في بنت الباشا ، ولما تقابل عماتها تقبل أيديهما ، وتعانق عمتها فاطمة وهي تشهق بالبكاء مما يثير الشجن والدموع في العيون ، فهي قدوتها في الصبر والثبات على العفة ، وتختم بأمها ، وانتهى ذهابها للنوادي العائلية ، ولم تعد تدخل المقاهي والمسارح والسينما .

واذا خف هذا النشاط تشارك في سماع محاضرات وندوات في تلك الجمعيات والنوادي الإسلامية والمراكز والمحاضرات الدينية والطبية ، كانت صورة جديدة عما عرفت عليه في مجتمع بعنبس .

وصارت الجمعيات النسائية الإسلامية والوطنية ترسل إليها مريضات أو حوامل فقيرات عاجزات عن الكلفة العلاجية ، وكانت تسر وتسعد بمعالجة فقيرة ، وأحيانا تتكلف ثمن الولادة والأدوية ، وترفض الأجرة من الجمعية .

وشاركت زوجها في امتلاك صيدلية ثانية، وفعلت مثله في شراء المزيد من الأسهم في شركات قديمة وناشئة ؛ ليتحرك المال . فهي امرأة ثرية أصلا ، وامتلك لها سالم وسامي عمارتين للاستثمار ، وصارت تشارك في مناسبات العائلة عزاء وفرحا ومرضا ونجاحا ، وسحبت بعض مالها ليستثمر في البلاد ، وشركات سامي وحسن .

وعندما تُسأل عن السبب الحقيقي وسر التغير المفاجئ ، تقول وردة القديمة تغيرت ، فيقول حبيب عمها : هذا ما أردته يوم أجبرت عصاما على الزواج منك كنت أريدكما أن تتغيرا ،

ففاسدكما في الجامعة كان معروفا ، وينقله إليّ الناس " الحق ابنك وابنة أخيك" ماذا أفعل ؟! إنكما تتعلمان في أفضل جامعة في بلادنا وأرقى كلية كلية الطب ؛ ولكنما تحملان أفكار الإلحاد والإباحية يا ابنة أخي.. كل من يعرفكما يحدثني عن سوء أعمالكم .. فأنا اليوم سعيد لكما وبكما ؛ ربما أكثر من نوار وسامي .. لليوم لا أعرف ما الذي أيقظك من الغفلة والدنيا؟!

قالت بصدق : لا أدري يا عمي الحبيب !

التقت زكية حسني بحبيب عارف سلفها كما يقال ، وهم خارجون من عزاء فرحبوا ببعضهم وصافحت وردة عمها وبدأت المجاملات التقليدية ، ثم قالت : وردة القديمة يا حاج حبيب تغيرت فعلا ! وما زلت وغيري من أفراد العائلة يتسألون ما الذي قلبها أتعرف شيئا؟

نظر لوردة وابتسم قال : من يوم طلقت حتى إقناع عصام بالزواج منها من جديد لا أحد يعرف سبب التغير ، وأصبحت بفضل الله أُما صالحة حنونا .. وحين أزور عصاما تعانقني وتقبل يميني ؛ كأنني أب لها ، وأقبلها داعيا لها بخير ، ونفعل ذلك عندما تزور بيتي كل أسبوع ، حين تزوجت عصاما قديما يا زكية بعد تخرجهما ما قبلت يديّ ، وكانت تتهرب من مصافحتي ؛ كأنني لما أجبرتها على الزواج ؛ كأنني ارتكبت جرما اتجاهها ، وأنا وضحت لها الغاية من ذلك الزواج رغبت بزواجهما ، فهو ابني وهي ابنة أخي .. والله أنا فخور بها خلال هذه الشهور ، وسعدت برحلتها مع عصام إلى باريس ، وتقبلها النتيجة بدون لوم وتذمر ، حدثني عصام عن موقفها البديع بعد فشل العلاج .. كنت أتحدث معهما يوميا يا زكية ؛ وحفيدي الجميل جوهر .. ما أحلى هذا الاسم يا أم عارف ! وأتمنى دوام حبهما يا زكية !

كانت وردة تسمع كلام عمها لأمها وتقول لنفسها: أين كنت من كل هذه العاطفة ؟! كنت غارقة في عوطف مزيفة تنتهي مع انتهاء العلاقة .. حبيبي يا عمي نسيت أنك مثقف ومهندس

قالت زكية : مرة سألت جهادا ؛ بما أنك تحب وردة وأصبحت أخا لها كما تقول أتعرف أو حدثتك بسر الانقلاب ؟

فضحك من سؤالي وكان جوابه : القلب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء ..

والقلب سماه العرب قلبا لتقلبه ، وسيدنا عمر بن الخطاب كان سائرا لقتل النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم وتغير في ساعات .. الله يثبت قلوبنا على دينه.. فترك عبادة الوثن والصنم وأسلم.. لا أحد يعرف سر وردة ، لم تفصح عنه اذا كان هناك سر !

ضحكت وردة وقالت : الأهم أني عدت لديني وحبيبي ربي!

قال العم مسرورا : نعم الحبيب الله! إبراهيم اتخذ ربه خليلا وحبيبا .. الكل سألها هذا السؤال وهي يا أم عارف تقول لا أدري !

قالت : وقعت التوبة في قلبي ، أحببت أن أرجع لديني وإسلامي ولزوجي ، وندمت عن تركي له في أزمته رضي الله عنه وتسرعت في الانفصال ، ندمت ولست بحاجة لرجل .

قال : قالت يا عم سنون ضاعت بدون هدف صادق وغاية .. لهو لهو .. شغل طول النهار وفجور وخمر طول الليل .. أهذه هي الحياة ؟! الحياه يا وردتنا معبر وجسر للدار الباقية ، ثم يصيبنا الضعف المرض الموت .. يا زكية وفي رأيي أهم سبب للصحوة جوهر دائما أبي أبي لماذا يعيش وحده؟ لعله أيقظ ضميرها .. والله أعلم ..أنا كنت أفكر بعد رجوعه من فرنسا معافى أو غير ذلك أن أجد له أرملة يقضي معها باقي حياته .. والخيرة ما يختاره الله عادت حبيبتي وصديقتي .. كان نجيب كلما اتصل من بيروت أخي" دير بالك على وردة والأولاد اذا مت ، فزكية ستتزوج وتتركهم فحياتي دائما في خطر " والحمد والشكر لله .

أخذت وردة بحنان يد العم ولثمتها وقالت : كم أسأت لك ! وكم سببتك يا عماه عند حصول أي نزاع بيني وبين عصام ! هل غفرت لي؟

قال باسما : يا سلام ! أنت قرة عين يا ابنة أخي! أنت مثل نوار وعصام ربما أكثر.

ـ شكرا .

قالت زكية : الحمد والشكر لله يا حاج حبيب ! وفقها الله .. أسرار وقصص الناس لا تنتهي.

تفاجأ العالم بالحرب ، وفوجئت غزة بالهجوم الصهيوني الكبير والمباغت نهار السبت ٢٧ كانون الأول ٢٠٠٨ ، فالحرب المتبادلة واقع الناس في القطاع من عهد الانتفاضة رقم واحد ١٩٨٧، أما عدوان نهاية ٢٠٠٨ كان كبيرا ومرعبا ؛ فهو نتاج عقليات مجرمة وحاقدة على شعب فلسطين منذ عام ١٩٤٨ ، ومنذ فشل حرب تموز عام ٢٠٠٦ على لبنان .

بدأ الهجوم الجوي الغادر يوم السبت ٢٧ كانون الأول ٢٠٠٨ باستعمال الطائرات الحربية ، واستهدف الطيران الحربي الإسرائيلي المؤلف من عدد من طائرات " اف – ١٦" «ومروحيات من نوع اباتشي» الأميركية، وعشرات من طائرات الاستطلاع من دون طيار التي يطلق عليها الفلسطينيون الغزاويون الزنانة نحو ثلاثين مقراً للشرطة الغزية في الجولة الأولى ، فيما وصل عدد المقار المستهدفة في الغارات التي استمرت ساعات طويلة ، أكثر من ثمانين مقراً في عملية أطلقت إسرائيل عليها الرصاص المصبوب ، وسمتها المقاومة الغزية معركة الفرقان ، وجاءت بعد هدنة استمرت ستة أشهر بين الفريقين .

جاءت البداية عند تمام الحادية عشرة والنصف قبل الظهر ، بقصف ٣٠ مركزاً ومقراً للشرطة في آن واحد ، هذا ما يفسر سقوط العدد الكبير من شهداء رجال الشرطة الذين كانوا يؤدون أعمالهم ، وسقط في هذه الضربة الغادرة القائد العام للشرطة اللواء توفيق جبر فيما سقط مدير جهاز الأمن والحماية في وزارة الداخلية في حكومة غزة العقيد إسماعيل الجعبري.

وحسب معلومات طبيـة فـإن القصف استهدف بداية المقر الرئيس لجهاز الشرطة "الجوازات" حيث كان يقام احتفـال بتخـريج دورة من الضباط الجدد .

استهدفت العملية العسكرية المقار التابعة لحركة حماس ، وكانت ضربة غادرة وهذا من طباع وعادات اليهود ، وأدّى القصف إلى استشهاد أكثر من مائة من قوات الشرطة والأمن الفلسطينية ، فيما ارتفعت حصيلة الشهداء إلى أكثر من ٤٢٠ وأكثر من ٢٠٠٠ جريح، كثير منهم من أفراد الشرطة الفلسطينية.

خلال فترة التهدئة قبل العدوان قامت إسرائيل بتنفيذ ١٦٢ خرقا للتهدئة ، كان أشدها وأشهرها الخرق المنفذ في تاريخ ٤ نوفمبر ٢٠٠٨ حيث قامت بتنفيذ غارة أدت إلى مقتل ستة أعضاء من مسلحي كتائب القسام ، كما اعتبرت حماس أن إسرائيل لم توف باستحقاقات التهدئة المتوجبة عليها من حيث إنهاء الحصار المفروض على قطاع غزة من عام ٢٠٠٦.

بعد هجوم ٤ نوفمبر تصاعدت التوترات ؛ حيث ردت حماس بإطلاق صواريخ محلية الصنع على مناطق جنوب إسرائيل، ولم تهدأ الضربات المتبادلة في الفترة التالية ، وقبل انتهاء اتفاق التهدئة مع الفصائل الفلسطينية في ١٩ ديسمبر ، نشرت سرايا القدس الجناح العسكري لحركة الجهاد الإسلامي جرداً للخروقات الإسرائيلية للتهدئة ، وقالت إنها بلغت ١٩٥ خرقاً في القطاع ، أدت إلى قتل ٢٢ فلسطينيا بينهم مدنيون ، وإصابة ٦٢ من بينهم تسعة من الصيادين والمزارعين واعتقال ٣٨ شخصاً.

أما في الضفة الغربية وصل عدد الخروقات الإسرائيلية - حسب ما نشرته سرايا القدس - أكثر من ١٢٦٠ خرقاً ، حيث تم قتل ٢١ من النشطاء والمدنيين ، وأصيب ٢٤٥ فلسطينياً أغلبهم أصيبوا خلال مظاهرات ضد جدار الفصل في حين اعتقلت قوات الاحتلال ١١١١ فلسطينيا .

تحركت إسرائيل للحصول على الموافقة الدولية لبدء العملية ، مع استمرار إطلاق الفصائل الفلسطينية للصواريخ العشوائية ، كما يذكر أن هذه المجزرة ٢٧ ديسمبر قد جاءت بعد زيارة وزيرة الخارجية الإسرائيلية أنذاك لمصر، قبل المجزرة بأقل من ٤٨ ساعة معلنة من القاهرة أن "إسرائيل لن تسمح بعد الآن باستمرار سيطرة حماس على غزة وستغير الوضع"

وجهت العديد من الاتهامات إلى المسؤولين المصريين والنظام المصري "بالتواطؤ" مع إسرائيل في التخطيط للعملية ، حيث اتهم نائب معارض الحكومة المصرية يوم ٢٧ ديسمبر خلال جلسة برلمانية "بالتآمر مع إسرائيل على ضرب غزة .

"أشار المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية إلى أن إسرائيل تعمدت خداع حماس ، قامت إسرائيل بفتح المعابر ، وأدخلت ٤٢٨.٠٠٠ لترا من الغاز الصناعي ، ونحو ٧٥ طناً من غاز الطبخ ، بالإضافة إلى ١٠٥ شاحنة إغاثة قبل يوم واحد من العملية .

أعلنت إسرائيل يوم الجمعة ٢٦ ديسمبر عن مهلة ٤٨ ساعة لوقف إطلاق الصواريخ ، مهددة حماس بعملية عسكرية واسعة في حال عدم الاستجابة ، وجاءت هذه العملية خلال أقل من ٢٤ ساعة من منح مهلة الـ ٤٨ ساعة .

قامت إسرائيل بعدد من عمليات التضليل والخداع لضرب حماس على حين غِرة لإيقاع أكبر عدد من الإصابات ، منها تنفيذ العملية يوم السبت يوم الراحة عند اليهود ، يوم الجمعة قبل الغدر حرص مكتب رئيس الوزراء على إبلاغ الصحافيين بأن الحكومة ستجتمع الأحد "لمناقشة" عملية مكثفة محتملة على غزة وقد عزز ذلك التكهنات بعدم الإقدام على أي تحرك قبل الأحد . بدأت أحداث الهجوم على غزة بالصواريخ والطائرات ، ثم في اليوم الثامن بدأت القوات البرية الاجتياح داخل غزة ، بعد ذلك بدأت التحركات الدولية والعربية والإقليمية لوقف المعركة ، حتى بداية الأسبوع الرابع من الهجوم حيث أعلن إيهود أولمرت عن إيقاف إطلاق النار من جانب واحد دون الانسحاب من غزة ، تلاه في اليوم التالي إعلان الفصائل الفلسطينية هدنة لمدة أسبوع ، كمهلة لانسحاب الجيش الإسرائيلي من غزة.

وزعمت الحكومة الإسرائيلية بأن الهجوم هو رد على صواريخ القسام التي تستهدف جنوب إسرائيل والتي تكثفت خلال الأسابيع التي سبقت القصف الإسرائيلي .

بدأ الساعة التاسعة من الليل تقريبا الهجوم البري الموعود بأعداد كبيرة من الجنود الإسرائيليين بدأ الاجتياح بقرار من المجلس الوزاري الإسرائيلي المصغر خلال جلسة سرية عقدها بمشاركة قوات من أسلحة المشاة والمدفعية والهندسة ووحدات خاصة بوارج ودبابات ومدفعية ، شارك الطيران في إغراق القطاع بالصواريخ والقذائف ، ارتكب من خلالها الجيش الإسرائيلي مجازر إحداها في مسجد إبراهيم المقادمة أوقعت ١٦ قتيلا بينهم ٤ أطفال و٦٠

جريحاً، كما استدعى الجيش آلافاً من جنود الاحتياط للمشاركة في العملية معلناً أن الغزو سيستمر أياماً . وواصلت المقاومة إطلاق صواريخ غراد والصواريخ محلية الصنع على أسدود وعسقلان ، وغيرهما من المستعمرات ، وأقر الاحتلال بإصابة ثلاثة مستوطنين في أسدود. شهد اليوم السابع عشر اشتباكات عنيفة ، وقصف مدفعي في حي التفاح وحي الزيتون وشرق بلدة جباليا ، كما فشلت قوات الاحتلال في التقدم برا في جباليا وشمال غزة ، وحاولت التقدم برا نحو مدينة غزة من ثلاثة محاور، كما قصفت سرايا القدس مستوطنتي نير عوز ونير إسحق بصواريخ من طراز قدس.

أعلن الجيش الإسرائيلي اليوم العشرين يوم الخميس في ١٥ ـ ١ ـ ٢٠٠٩ عن قيامه باغتيال القيادي في حركة حماس سعيد صيام ، الذي كان يشغل منصب وزير الداخلية الفلسطيني مع أخيه رياض صيام ، وقيادي آخر من حركة حماس . في اليوم الثالث والعشرين للحرب ٢١ كانون الثاني ٢٠٠٩ ، يعلن أولمرت وقف إطلاق النار دون انسحاب من غزة .

بعث الحاخام "مردخاي إلياهو" برسالة إلى رئيس الوزراء المستقيل إيهود أولمرت وكل قادة الاحتلال ضمن نشرة "عالم صغير"، وهي عبارة عن كتيب أسبوعي يتم توزيعه في المعابد الإسرائيلية كل يوم جمعة، ذكر فيها قصة المجزرة التي تعرض لها شكيم ابن حمور والتي وردت في سفر التكوين كدليل على النصوص التوراتية التي تبيح لليهود فكرة العقاب الجماعي لأعدائهم وفقا لأخلاقيات الحرب.

نشرت صحيفة لندنية : حماس ترفض الانسحاب من جانب واحد .. إسرائيل تصوت على وقف أحادي لوقف النار وتحتفظ بحق الرد.

يوم ٢٢/ ١/ ٢٠٠٩ أعلنت الفصائل المقاومة الانتصار بغزة ، وتعهد هنية حاكم غزة بمساعدة ضحايا العدوان. بلغ عدد ضحايا العدوان الإسرائيلي ٨٨٠ شهيدا و٤٠٨٠ جريحا .

حصار غزة اشتد بعد فوز حركة حماس بانتخابات المجلس التشريعي ٢٠٠٦ ، الصندوق والديمقراطية جاءت بما لا تشتهي السفن ، أطلقت الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة ، ١٠/ ١ / ٢٠٠٨، حملة إغاثة قطرية في أراضي الـ ١٩٤٨م، دعماً للأهل المحاصرين في قطاع غزّة .. الجماهير العربية وقوى السلام داخل إسرائيل، لا يمكن أن تسلّم بمحاصرة الشعب الفلسطيني في غزّة ، وقالت الجبهة: إنه بعد دقائق من إعلان الحملة، توجّه أهل الخير والعطاء وقدّموا دعماً سخياً بآلاف الشواكل افتتاحاً للحملة من أجل إغاثة الأهل في غزّة ..

منذ إقامة الحصار على القطاع ولجان الإغاثة على مستوى العالم تقدم الدعم لهؤلاء المساكين الذين يرفضون الذل والخضوع لقانون الغاب .

تواصل المؤسسات الخيرية والإنسانية جمع التبرعات لإغاثة أهل غزة في ظل استمرار العدوان وتتحضر هذه المؤسسات للبدء في مرحلة جديدة بعد توقف العدوان نظرا لبروز الحاجة الماسة لرصد آثار الدمار الذي لحق بالأفراد من تشريد وإصابات ، والمباني من دمار كلي أو جزئي .

وتتنوع احتياجات أهل غزة بين مواد غذائية وأدوية وأطباء في تخصصات معينة وإعادة بناء البيوت التي تم تدميرها وغيرها من التفاصيل ؛ كتجهيز غرف عمليات ، ومعدات طبية وشراء سيارات إسعاف وعلاج المصابين. ويؤكد مراقبون أن إيصال المساعدات لأهل غزة خلال العدوان وبعد انتهائه سيكون له أكبر الأثر في إصلاح ما دمرته آلة الحرب الإسرائيلية بالإضافة إلى رفع معنويات الشعب المحاصر منذ شهور طويلة إلى جانب حاجتهم الماسة لمستلزمات الحياة الأساسية. وتزامن العدوان على غزة مع هبّات شعبية كبيرة تمثلت في جمع التبرعات العينية والنقدية التي تتكفل بإيصالها الهيئات الخيرية على شكل قوافل شاحنات.

في عمان عاصمة الأردن يؤكدون أن لجنة المناصرة للشعب الفلسطيني في الصندوق بدأت من وقت مبكر على بداية العدوان في جمع التبرعات على مراحل "جمعنا في البداية ١٠٠٠٠٠ دينار ثم ٢٠٠٠٠٠ دينار ، وقمنا بشراء مواد طبية وعينية تم إرسالها للأهل في غزة عن طريق الهيئة

الخيرية الهاشمية. وأضاف المتحدث باسم اللجنة : إن اللجنة قامت في مرحلة لاحقة بجمع مليون و١٥٠ ألف دينار لافتا إلى أن عملية شراء المواد العينية بهذا المبلغ قد بدأت لإرسالها لقطاع غزة. ويقوم الصندوق ومنذ فترة طويلة بكفالة ٢٢٠٠٠ يتيم ، ١٢٠٠٠ منهم في غزة والباقي في الضفة الغربية بقيمة ٤٠٠ ألف دينار شهريا يتم توزيعها على الأيتام .

بيّن مدير مركز الأنصار التابع لجمعية المركز الإسلامي في الاردن : إن الجمعية بدأت في مشروع "لبيك غزة" لإغاثة أهل القطاع ، ويضيف أن الجمعية تستقبل بفروعها كافة التبرعات النقدية والعينية. الجمعية ستبدأ بحملة إعلانية كبيرة لفتح باب التبرعات على نطاق واسع وعلى مستوى المملكة الهاشمية . ويتابع أن عمليات الإغاثة في غزة ستكون شاملة من ترميم منازل وشراء معدات طبية وعلاج مصابين.

وقامت التكية المعروفة بالأردن أم علي بتسيير أولى القافلات من مساعداتها الغذائية بعد الاتفاق المسبق مع الهيئة الخيرية الهاشمية لتسيير ١٥ قافلة خاصة بالتكية وبمعدل قافلتين كل أسبوع في عملية تستهدف ٢٧ ألف غزّي يحتاجون المساعدات الغذائية.

وقس على ذلك النموذج الدول العربية والإسلامية والدول الأخرى ، وهذا ما حدث في البلاد الشامخة وتاج الزمان وبعنبس.

شكلت لجان منوعة في البلاد لمساعدة أهل غزة بعد توقف النار بعد ثلاث أسابيع من العدوان والظلم والقهر ، فرافق جهاد نجيب مندوبا عن جمعية الإغاثة رحمة فرقة متطوعين من أطباء ورجال جمعيات وإعلاميين ومواد إغاثية مناسبة ، ونشطت وردة وعصام وغيرهم بجمع التبرعات والمعونات من أموال وأدوية وبطانيات وخيام لأهل غزة .

جهاد وسامي وحسن لهم باع في فعل ذلك النشاط الخيري ؛ حيثما تكون نكبة من مجاعة حرب زلازل في البلدان الإسلامية فتراهم يقومون بمثل هذه الأعمال ضمن نشاط الحركة والتيار الإسلامي والجمعيات الدينية .

لقد حصل نتيجة الغدر الصهيوني مقتل كثير من الآباء ، فكثر الأيتام والأرامل ، فيعملون

ترتيبا معينا لرعاية الأيتام والمعوقين والبيوت المدمرة .

بعد سفر جهاد في حملة الإغاثة التي أشرت إليها اتصل الدكتور وائل بوردة ـ وكانت قد طلبت منه منذ انتهاء علاقتها الشاذة ، أن لا يتصل بها ، ولا يمر عليها في العيادة ـ وهو أيضا سمع وعلم بقصة زواجها من طليقها مرة أخرى ، وقد نشرت الصحف ذلك ـ فبعد سفر جهاد بزمن ضرب رقمها وبعد عدة محاولات ترجاها ألا تقفل الخط ، وهو كان مثل الآخرين متعجبا من تحولها الكبير من عاهرة في الغرام والمجون إلى شيخة ومتدينة قال : أرجوك اسمعيني أنا أعلم من أنت اليوم .. الماضي مات يا دكتورة .. هل صحيح أن جهادا مشى إلى غزة كما شاع في الأخبار المنشورة في الصحف الحزبية ؟!

ـ الصحف نشرت ذلك ، ونشرت قوائم وأسماء المتطوعين .. آسف على قطع الخط .

وأغلقت الخط فقال عصام الذي كان يسمع ؛ لأنها فتحت السماعة المكبرة ليسمع : لماذا يسأل عن جهاد ؟

ـ لا أريد أن أعرف ، وفتحت مكبر الصوت حتى تسمع يا حبيبي! يجب أن نعيش على وضوح كما اتفقنا أين ذهبت ؟ أين كنت أنا أو أنت ؟

ابتسم وقال وهو يضمها لقلبه : لم نعد بحاجة لهذه الأسئلة ..الله الرقيب علينا ..أنا أثق بك يا وردة ! لا يمكنني أن أشك اليوم بإخلاصك للفراش ولي .

قالت : الشيطان يجري في الإنسان مجرى الدم ، فلا داعي لإطالة الحديث مع رجل كان بيننا فساد كبير .. الصحف نشرت تفاصيل الدعم والإغاثة والجهات المسؤولة .. بس الغريب لماذا يسأل؟!

ـ هو هذا الغريب العجيب فعلا! السؤال عن جهاد عارف فلا معرفة بينهما .. هل رجع لزوجته كما سمعنا ؟

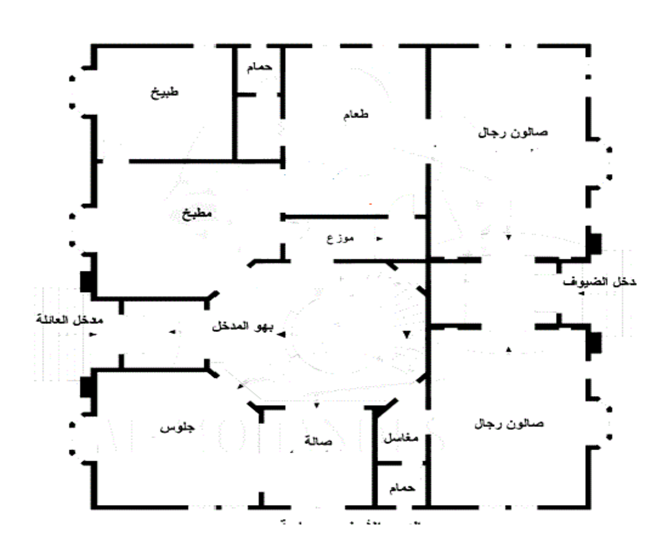
ـ مثلك سمعت من إحدى الزميلات القديمات ، ولا أدري الحقيقة !.. أمر لا يهمني ؛ لأنه لا علاقة لي بعلا ولا أعرفها وإن كانت طبيبة مثلنا .. أنا أصلا لم أعرف أنها زوجته ، وأنه متزوج

إلا عندما أمرتني أمي بإنهاء العلاقة به ، فحدثني عن قصة زواجه ، وهجرها له ، ولم يطلقها .
قال عصام وهو يرفعها برفق عن صدره فقبلته وابتعدت : أنا أعرف وائلا جيدا عملنا في المستشفى الجامعي معا لبعض الوقت زملاء عمل فحسب ، أنا كنت في العظام والكسور، وهو في طب الأطفال ، ودرسنا الجامعة في نفس الفترة ، وهو كان متقدما عني بسنة ، وكانت مغامراته النسائية مكشوفة للأسف ، بعض الطالبات والعاملات تحب إقامة علاقات قصيرة ، ويقبلن بممارسة الجنس دون زواج ، فكان هو وبعض الأطباء فرسان الميدان ، لا خلق ولا دين حتى أنه انتشر بيننا أنه أصيب بمرض جنسي تعالج منه سريعا ، واختفى الحديث عنه سريعا ، وعاد لمزاولة غرامياته ، وخشيت الإدارة يومذاك أن يكون أصيب بالإيدز .
امتعضت وردة من ذكر الهربس ورددت : أصيب بالهربس التناسلي !
قال : هذا ما تبين فعلا ! ومع ذلك لم يرتدع ، وزعم لنا أنه يتوخى الحذر ويستخدم الواقي الذكري .. نعود لجهاد ما أخباره؟
قالت : سيعود قريبا ، انتهت مهمتهم تقريبا ، أخبر أن الناس عندهم نقص كبير في كل شيء، لا تنسى أنهم في حصار من سنوات من اليهود ومن السلطة ومن مصر والعرب عامة ، وهم يعتمدون كما قال في أول الأمر على إمدادات كهربائية تأتي من إسرائيل ومصر ، وأكثر اعتمادهم على ماتورات خاصة بالمستشفى لتوليد الطاقة ..والكهرباء البديلة ، فإسرائيل تقطع الإمدادات باستمرار ، يقول :كانت الحرب كارثة بالمعنى الحقيقي للكارثة أسابيع ثلاث دمرت غزة .. الدمار عم القطاع من شماله إلى جنوبه .. ما الذي أتى بهؤلاء الملاعين لبلادنا ؟! حياتهم حرب حرب منذ خلقنا ونحن نسمع عن حروبهم التي لا تنتهي .
قال : ولن تنتهي حتى ينتهوا .. الاستعمار الخبيث دق إسفينا بين بلاد العرب ؛ ليبقوا ممزقين متمسكين به ليحمى بلدانهم الممزقة شر ممزق .. عرب آسيا عرب إفريقيا .. دفع الناس ثمن التمزق الغالي والرخيص ، حتى في الضفة الغربية الخائضة لسلطة اوسلو المعترف بها عالميا الوضع مأساوي ومؤلم ، كما نقرأ في الجرائد بشتى اتجاهاتها الفكرية والعقائدية ومن أقاربنا

ومعارفنا الذين يأتون إلى بعنبس ، والبلاد بعامة ؛ لكنّ غزة أكثر تعرضا للظلم والقسوة من بني صهيون .. منذ قفزت حماس لحكم البلاد والحرب مستعرة عليها من الشقيق ومن الخصم والعدو .. وهذه إحدى صفحات الظلم ؛ ولكنهم أهل غزة أرض العزة ، كما يهتفون ليل نهار .. رابين زعيم صهيوني اغتيل قبل عشر سنوات تمنى زوالها واختفائها من خارطة العالم .. الجغرافيا لا يملك تغييرها أحد .

قالت : لم أفهم !

قال شارحا : لو قام أحد بنقل حجارة الكعبة إلى الهند أو الصين ، فهل انتقلت مكة إلى الهند ؟ المكان لا يرحل يا وردة .. فغزة لن يتغير مكانها ، ولن تختفي عن الخارطة.



دعا عصام وزوجته جهادا وزوجته رندا ، وسالما وزوجته ريم ـ زوجاتهما شقيقتان ـ للعشاء بمناسبة عودته من غزة بعد إيصاله المساعدات التي قدمتها الجمعية الإغاثية رحمة التي يتطوع للعمل معها من بضع سنوات .

وحين انتهوا من الطعام انتقلوا إلى صالة البيت ؛ لشرب المشروبات الطيبة من الشاي والقهوة والزهورات ؛ لأن عصاما من يوم تصالحه مع دينه لم يتعاطَ خمرا مسكرا ، واختفت من البيت نهائيا. وبعد دردشة في أخبارهم الشخصية ، وأخبار عائلاتهم ، قالت وردة : حبيبي جهاد كيف تركتم الأهل في ذلك الجزء من العالم؟

قال حزينا أسفا : كما كنت أذكر لكم على الموبايل وضعا يمزق القلب .. وضع مخز لجميع الشعوب .. وضع مأساوي بحق وكارثي بكل معنى للكلمة !

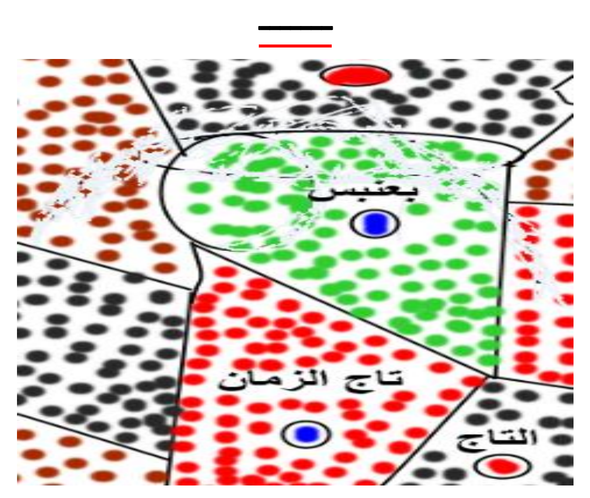
قال سالم : كما تعلمون ، ويعلم العالم في آخر كانون الأول العام الماضي ، شنت إسرائيل المجرمة حرباً لا هوادة فيها على قطاع غزة ، أسمتها "الرصاص المصبوب"، فيما أطلقت عليها حركة المقاومة الإسلامية اسم حرب الفرقان تيمنا بمعركة بدر الخالدة ، استخدمت فيها إسرائيل أسلحة غير تقليدية ضد الفلسطينيين العزل ، كان أبرزها قنابل الفسفور الأبيض ، واليورانيوم المخفف الذي ظهر على أجساد بعض القتلى ،والذي استخدمته أمريكا في حرب العراق ، للأسف صرنا حقول تجارب لمثل هذه الأسلحة ، وقالت تقارير دولية إن الجيش الإسرائيلي ألقى في الحرب قرابة "مليون" كيلوغرام من المتفجرات على قطاع غزة فماذا سينتج عنها يا دكتور عصام ويا أم جوهر ؟!

قال جهاد : نحن اطلعنا على القليل من المأساة ،كنا نعمل في مناطق محددة ، عائلات فقدت كاملة أو جزء كبير منها ، فكنا نتابع الأخبار عن طريق الموبايلات وأجهزة اللاب توب ، والأجهزة الكفية الايباد ، فقد علمنا من تقارير عالمية نشرتها الصحف الغزية وحتى الغربية ـ وفتح جهازه الخلوي ليقرأ على مسامعهم بعض فقرات من التقارير ـ اسمعوا ، فقد هدمت

إسرائيل في تلك الحرب أكثر من (٤١٠٠) مسكن بشكل كلي ، و١٧ ألف منزل بشكل جزئي وقال : ورأينا بأعيننا ـ وأشار لعينيه ـ قدرا منها .. عمارات مدمرة ، أحياء مدمرة وعاد للخلوي يقرأ بصوت يسمعونه : وبلغت خسائر الحرب الاقتصادية في قطاع غزة أكثر من "مليار" دولار أمريكي، حسب بعض المصادر ، وتطلع فيهم وقال : وهذا وطن محاصر من سنوات ؛ لكنهم شعب صامد رغم شدة المحن والظلم والعدوان ، وبحسب إحصاءات لجنة توثيق الحقائق التابعة للحكومة الفلسطينية والجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني ؛ كما هو مكتوب على شاشة هذا الجهاز :"فقد أدت عملية "الرصاص المصبوب"، إلى مقتل وسقوط (١٤١٠) شهيداً ، منهم(٣٥٥) طفلاً و(٢٤٠) امرأة و (١٣٤) شرطياً و(١٠٣٢) من المدنيين و(١٨) نتيجة عمليات اغتيال ، وبلغ عدد المصابين (٥٣٨٠)، منهم (١٨٧٢) طفلاً و٨٠٠ امرأة" وتابع القراءة بعد صمت يسير : ألحقت الحرب دماراً شاملاً بالبنى التحتية في مختلف أنحاء القطاع؛ بسبب عمليات القصف العنيف والمتواصل على مدار الساعة طول فترة الحرب حيث دمرت ٥٠ ٪ من شبكات المياه ، و٥٥ ٪ من شبكات الكهرباء. دمرت الحرب آلاف المنازل دماراً كلياً ودماراً جزئياً ؛ مما أدى إلى تشريد سكانها وتشتتهم بين منازل الأقرباء أو الأصدقاء، أو اللجوء إلى المدارس ، أو إنشاء خيام على أنقاض المنازل ، تم تدمير(٥٨١) مؤسسة عامة، منها (١٤٩) دمرت تدميراً كلياً و(٤٣٢) جزئياً، (٣١) مقراً لمنظمات غير حكومية، و(٥٣) مؤسسة تابعة للأمم المتحدة ، و(٦٠) مؤسسة صحية، بما في ذلك (١٥) مستشفى طالها القصف، وتدمير ٢٩ سيارة إسعاف ، توقفت (٣٩٠٠) منشأة صناعية عن العمل، وفقد أكثر من (٤٠) ألف شخص وظائفهم في القطاع الزراعي، و(٩٠) ألف شخص لوظائفهم في قطاعات مختلفة، مما رفع نسبة الفقر في قطاع غزة إلى (٧٩) في المائة، ووفقاً لإحصاءات الأمم المتحدة (٨٨) في المائة من مجمل سكان قطاع غزة، قدموا طلبات للحصول على مساعدات غذائية.. هذه أرقام أصدرتها عدة جهات ، وليس هذا فحسب.

قالت وردة مصدومة من الأرقام : هل بقي شيء؟!

قال وهو ينظر للجهاز : ألحقت الحرب دماراً واسعاً بالمزروعات أيضا ، حيث اقتلعت (٣٩٦٥٩٩) شجرة مثمرة و(٥١٦٩٩) شجرة غير مثمرة ، وأتلفت (٩٩٩٧٨٥) دونماً من الخضراوات تدمير (٦٩٥) منشأة تجارية ، منها (١٦٥) مؤسسة دمرت تدميراً كلياً و(٥٢٨) جزئياً.. الدمار لحق بمختلف القطاعات وفوق ذلك لم يرفع الحصار الإسرائيلي عن قطاع غزة وقال: والأخطر يا أم جوهر ! أدت الحرب إلى تعميق الانقسام الفلسطيني الداخلي ، حيث ظهرت مشاكل وتعقيدات جديدة في العلاقات الفلسطينية الفلسطينية ، كالمسؤولية عن تسلم أموال إعادة الإعمار والإشراف على العملية، والإشراف على معبر رفح ، إضافةً للحملات الإعلامية المتبادلة ،وانتهت الحرب بالعودة إلى مربع التهدئة ، وتوقفت حماس والتنظيمات الفلسطينية الأخرى عن إطلاق الصواريخ .



مقاطعة بعنبس فيها تسعة عشر حيا كبيرا ومعمورة بالسكان والمباني ، فحي خالد غرب بعنبس يعيش فيه سالم وجهاد ، حيث بنيا بيتيهما ، وزكية بنت فيلتها في حي الساعة أقدم أحياء بعنبس غرب جنوب بعنبس ، والحي يطل على شارع تاج الزمان جنوبا وغربا شارع القوس ، وعصام بنى فيلته في حي شامل ، الواقع بين شارع الساعة وشارع رمانة .

بعد رجوع المحامي جهاد نجيب إلى حي بعنبس من غزة ؛ حيث تسكن الكثير من العائلات الأرستقراطيات تلقت الدكتورة وردة اتصالا من رجل عرفها بنفسه بأنه والد الطبيبة علا

خميس اللواء المتقاعد خميس جعلونة ، وبعد التعريف ذكر لها أنه عم وائل زياد زوج ابنته ، وأخبرها بعودة ابنته إليه بعد حرد وهجر طويل، ثم قال مبينا سبب الاتصال بها : منذ عشرة أيام غادر الشقة ، ولم يظهر حيا ولا ميتا .

وهذا سبب الاتصال ،كما وضح ، لقد ظن أنه قد يكون لديها علم بذلك، فذكرت لها الطبيبة أن علاقتها به انتهت من سنة ، واختفى من حياتها ، وهي كذلك .

وذكرت له أنها لما عاشت معه كصديقة لم تكن تعلم أنه متزوج ، ثم ذكرت أنه بعد انتهاء حرب غزة ، وذهاب حملات الوطن الإغاثية لغزة ، ومن ضمنهم شقيقها المحامي جهاد عارف اتصل بها يسأل عن جهاد ، وقطعت الاتصال ، ولم تعرف سبب السؤال .

قال خميس موضحا : نحن يا دكتورة حين تزوج ابنتي كنا في ظروف سيئة في نظري ، جعلت عليه خمسين ألف دولار مؤجلا حتى أردعه عن طلاقها أو يذهب في حاله ، ويا دار ما دخلك شر ، فهو تزوجها مطلقة ، وتابعت حكايتك معه بصفتي والد زوجته الحردانة .. والحمد لله أننا نسمع عنك أخبار جميلة وطيبة .. ووفقك الله .. وعصام حبيب طبيب فاضل ومحترم مثلك .. فعرفته شخصيا أيام دراستكم في الجامعة بصفتي مسؤول الأمن في الجامعة .. فنعرف المحسن من السيء والمتحزب وغير المتحزب .

قالت بفضول الإنسان : ولماذا تسأل عنه؟!

قال مشبعا فضولها : تصالحنا من شهور كما قلت أول الحديث ، ومن عشرة أيام خرج تاركا العمل ولم يعد بعد .. فأخذنا نسأل عنه في المشافي ومراكز الشرطة وحتى الحدود فخطر في بالي أنت أيضا ، وتحدثت مع حزب العصبة ، وللساعة لم نجد نتيجة عن اختفائه لهذه الساعة ، لم يخرج من البلد حسب بيانات الحدود جميعها.

قالت : أنا كما أخبرتك قطعت علاقتي به قبل عودتي كزوجة للدكتور عصام حبيب ، وانتهت الاتصالات بيننا منذ ذلك الوقت ، وطلبت منه عدم الإتيان للعيادة يا سيدي إلا الاتصال الذي ذكرت لك ،وكنت في البيت وفتحت السماعة ؛ ليسمع الدكتور زوجي ،

وحتى استغربنا يومها عن سؤاله عن شقيقي ؛ حيث لا أعلم أن بينهما معرفة وعمل ، وكان جهاد المحامي مع المتطوعين لقطاع غزة للإغاثة ؛ لأن جهادا ليس طبيبا فهو قانوني .. قلنا ونحن نحاول معرفة سبب الاتصال حتى قال زوجي : لو صبرت حتى نفهم ماذا يريد من جهاد ؟ وفي النهاية قلنا ؛ لعل هناك قضية له في المكتب يا سيدي .. على كل جهاد عاد من غزة فتحدث معه .. نحن سألنا شقيقي العزيز ، فقال : أنا لا أعرفه ، ولا قضية له في شركتنا ومكتبنا .

قال معتذرا : آسف يا دكتورة على الإزعاج ، وشكرا لكل المعلومات الشجاعة التي قلتيها عن الاتصال الغامض ، وسآمر على مكتب جهاد ؛ لعله يتذكر شيئا حول السؤال الغريب عنه .. وهذا الرقم الذي ظهر عندك رقمي الشخصي ؛ فإذا علمت شيئا يساعدنا فتحدثي معي مشكورة .

ـ ولا يهمك يا سيدي ! سلم على الدكتورة علا .. فنحن نعرف بعضنا قليلا بحكم المهنة والنقابة

قال : وهي تعرفك جيدا ، وكانت مصدومة مما فعل بك صاحب لسان العقرب .. والحمد لله أنت اليوم أم فاضلة وزوجة مخلصة ، فالصحف تكتب كل شيء .. ونحن ابتلينا به .. وقد أذهب بابنتي للطلاق بعد هذه الفعلة ؛ لعله سخر من امرأة جديدة واختفى معها .

قالت بامتعاض : لا تستغرب ذلك يا سيدي ! .. ولعله مصاب بشيء وعاجز عن الاتصال بكم .

قال : شكرا يا سيدتي الدكتورة ! سوف نرى الصواب والجواب .. سلمي على أمك فهي معرفة .. وقد تملكت من معرضها سيارة قبل سنوات ، وسلمي على الطبيب عصام سلاما خاصا.

قضية الاختفاء

قصة اختفاء وائل زياد كانت في شهر آذار عام ٢٠٠٩ قبل عودة جهاد من غزة بأيام ، وقد شغلت الرأي العام في بعنبس، ثم في تاج الزمان ، وسائر مدن البلاد أين ذهب الرجل ؟!

هو طبيب أطفال مشهور في بعنبس بصفته سكرتير حزب العصبة النسائية التي مقرها الرئيس في بعنبس ؛ حيث أهم أعضاء الحزب يسكنون فيه ، ومع بروز قصته مع وردة في العيش دون عقد زواج رسمي في الإعلام ، زاد اسم الرجل انتشارا ، هو لم يكن من سكان وأهالي بعنبس أصلا ، ولا البلاد الشاخة ، هو جاء من فلسطين من شمالها المتصهين قديما عام ثمان وأربعين ؛ لدراسة الطب في جامعة بعنبس العالمية ، فالجامعات تستقطب الطلبة من جميع البلدان ، فجامعة بعنبس جامعة عالمية ودولية ، ففيها طلبة من بلاد شتى ، وفيها كوادر من بلاد شتى بصفتها العالمية ، وهي جامعة خاصة لا تتبع لدولة معينة أسستها مؤسسات علمية عالمية ، فقدم له والده زياد المال ليدرس الطب ، ثم لحقت به أخته أسيل درست في كلية الإعلام والسياسة ؛ لتعمل في الصحافة والإعلام ، ولما تخرج بعد سبع سنوات أحب البقاء في البلد ، وحصل على الجنسية العربية ، فهو يحمل جنسية إسرائيلية كسائر عرب اسرائيل ـ عرب ٤٨ ـ بحكم الولادة في دولة الإجرام ، فأصبح يحمل جنسيتين ، فلو فكر بالعودة الدائمة ستسحب جنسيته العربية ، فهو حسب قانون المقاطعة العربي لإسرائيل لا يستطيع التنقل بجوازه اليهودي في البلدان العربية .

والتحق بحزب النهضة العربية لفكره اليساري ، ثم تزوج علا ابنة ضابط الأمن الذي انتقل للإدارة العليا في الجهاز ، تخرجت أخته في نفس الفترة ، وتزوجت من زميل لها ، ولم ترجع لأهلها ، فهم أقصد أهاليهم الكبار لهم معارف من بلدهم الفلسطيني الذين خرجوا من فلسطين من قراهم ومدنهم عام النكبة والهجرة القسرية ، وضعفت صلتهم ببعض بسبب الهجرة ؛ لأن القرى الفلسطينية والعربية فيها ناس من عائلات شتى؛ ليس بالضرورة أن يكون سكان القرية من عائلة وحمولة واحدة ، القرية ليست قبيلة.

فمن المعروف اليوم أن الشعب الفلسطيني تشتت في كل بلاد العالم ومدنه ، وشابهته الشعوب العربية بسبب الحروب والاقتصاد والعمالة ، فلذلك لا تخلو مدينة من مدن العالم المهمة إلا وتجد فيها من الشعب الفلسطيني من يسكنها.

وجامعات البلاد العربية والإسلامية والبلاد الشامخة وبعنبس تستقبل الطلبة من جميع إنحاء فلسطين من غزة من الضفة من إسرائيل ، والدولة تسمح بالحصول على جنسيتها كالدول الغربية أمريكا كندا بريطانيا ؛ لأن هؤلاء أصحاب علم ومهن مهمة .

هذا ما حصل لوائل لم يعد لقريته ومدينته الساحلية ، استقر طبيبا في البلاد ، وتزوج ابنة خميس جعلونة ، أثناء عملها الطبي في مستشفى جامعة بعنبس العالمية فقوي مركزه الاجتماعي في المدينة ، وذكرنا فصولا وصفحات من قصة زواجه بعلا ، وذكرنا سعيه بإرجاعها لبيت الزواج لعجزه عن دفع المؤخر الكبير ، وتحقق ذلك بواسطة أبناء الخير ، خرج للعمل في أحد مستشفيات البلاد كالعادة ، ثم اختفى عند الظهر كما جاء في تتبع الساعات الأخيرة من قبل الاختفاء ، وآخر خبر مهم عنه ، هو اتصاله بوردة مساء ليلة يسألها عن سفر جهاد لغزة.

زار خميس أسيل أخت وائل في تاج الزمان، فهو عرف بيتها من ابنته ، فكانت بينهن مناسبات اجتماعية رغم برودة العلاقة بين الأخوين ، وزوجها عامل في إحدى الصحف الكبيرة ، وهي لا تعمل على شهادتها ، اهتمت بالولادة وتربية الأطفال ؛ إنما تكتب مقالات وأبحاث للصحافة المحلية والخارجية والإسرائيلية بحكم حملها لجنسيتها .

أخبرت خميسا أنه منذ غضبه من ابنته لم تقم بزيارته ، كانت بينهم اتصالات تلفونية قليلة ؛ لنقل أخبار من بلدهم إسرائيل ، وقالت هو أخ فاسد وسيء معها حتى في الأعياد الدينية لم يكن يطرق بابها ، ولا تعلم عن اختفائه إلا منه ، ومن زوجها الصحفي .

ومضى كل آذار دون حس ولا خبر عنه ، لم يظهر حيا ولا ميتا ، ولم يظهر اسمه على الحدود ، لا داخلا ، ولا خارجا ، فرجح البوليس قتله وأخفيت جثته بمهارة .. والسؤال لماذا قتل اذا كان هذا صحيحا ؟ ومن قتله؟!

شغل اختفاء طبيب الأطفال وائل بعنبس أولا ، ثم تاج الزمان حيث يعمل في مستشفى خاص اسمه "ماريا ناسيس" مستشفى للجالية اليونانية بداية ، التابع لجمعية البيئة الخضراء في البلاد الشامخة ، ثم انتشر الاختفاء في عموم البلاد ، الصحف في ١٧ آذار تحدثت عن غيابه الغامض أثناء عمله في المستشفى الخاص التابع لجمعية البيئة الخضراء في البلاد الشامخة ، ثم مع مرور الأيام في حياة البشر تلاشى الخبر ، وخفتت القضية التي شغلت الأهالي ، لماذا شغلتهم ؟ أولا لأن الطبيب وائل زياد صهر اللواء جعلونة زوج ابنته علا خميس ، وثانيا قصته التي شاعت في المدينة من حياته مع امرأة بدون عقد شرعي معلن عنه ؛ لإشاعة هذا الشكل من أشكال الزواج بين السكان ؛ ليتقبلها المجتمع بعد حين ، وتصير أمرا مقبولا .

انتهى نيسان دون خبر ومعلومة عنه ؛ كما تتبعت الشرطة وخميس حركاته الأخيرة هو يعمل في المستشفى الخاص ماريا في مقاطعة تاج الزمان ، عند الظهيرة بدأت الاستراحة العامة لتناول الطعام للمرضى والعاملين ، والسماح للزوار بعيادة المرضى ، وعادة في هذه الفترة تزدحم المستشفى بالناس .

ذهب كسائر الأطباء لتناول الطعام أو شرب القهوة ، دخل مطعم العاملين وبرفقة طبيب يعمل معه في طب الطفل ، وقبل شربه القهوة التي طلبها ؛ كما قال رفيقه رن هاتفه الخلوي ، فابتعد عن زميله بضع خطوات ، ثم أغلق الهاتف، وقال له : سأعود تناول طعامك.

قال الطبيب : وغادر القاعة مسرعا "سأعود تناول طعامك" هذا ما قاله يا سيد خميس!

كان المستشفى في هذه الفترة يعج بالزوار ، فلم ينتبه لخروجه أحد .

سيارته في موقعها ، ونفى موظف موقف سيارات الموظفين نفى رؤيته ظهرا ، والسيارة في مكانها ، وهذا يشير ويدل أنه عندما ترك زميله لم يركب سيارته ، ولم يعرف من اتصل به ؛ ليترك طعام الظهر .

زار خميس المحامي جهاد نجيب عارف في مكتبه في "شركة إبراهيم للمحاماة" ، وقص عليه القصة ، وسبب مجيئه إليه ؛ لأن الرجل تحدث مع شقيقته يسأل عنه قبل اختفائه ، سأل

عن سفر جهاد لغزة مع حملات الإغاثة ، وذكرت شقيقته لوائل أن أسماء البعثة تنشر في الصحف .

قال جهاد : أنا لا أعرفه شخصيا، سمعت به عندما حدثت قصته مع وردة عارف وشيوع فضيحتهما في الصحف ، فعرفت اسمه ، ولكن أيام الحملات بعد توقف حرب غزة أخبرني موظف معنا في جمعية الإغاثة من العاملين على هواتف الجمعية لاستقبال المعونات والتبرعات أن رجلا يعمل دكتورا اسمه وائل زياد يرغب بالتبرع ، ويزعم أنه يعرفني ، ولما ذكر لي اسمه قلت أعرفه من الصحف لم أره قط وذهب أحد العاملين معنا للعنوان الذي ذكره له ، فوجد فيه شيكا بمائة دولار باسم الجمعية ، وأعطاه الموظف وصل قبض وشكره ، حتى اذا جاء المدقق للإيرادات والمصروفات يرى الوصل ، والموظف الذي تلقى الاتصال أحمد علي هذا اسمه ، والذي استلم المبلغ اسمه زيد عبد الرحمن ، يمكنك الحديث معهم في مقر الجمعية في شارع الشهيد حي عمود ، ولما رحت غزة مع حملة الجمعية ، لم أقابله قبلا ليسأل عني.. أنا لحد الآن مستغرب سؤاله عن سفري ؛ التحليل لعله كانا راغبا بمرافقة الحملة كطبيب متطوع ، وحين أعلنا للأطباء لمن يرغب بالذهاب مع حملة الجمعية إلى غزة لم يتقدم للمشاركة ، ونحن نقبل التبرعات من كل الناس بغض النظر عن دينهم ومبادئهم ، فنحن تأتينا مساعدات من أوروبا ؛ لأن هذه الجمعية أسست من أيام الانتفاضة الأولى ٨٧ لمساعدة غزة كفقراء وأيتام فلنا امتدادات شرق وغرب ، وفروع في البلاد وخارج البلاد ؛ وبما أنك رجل أمن أكيد لك معرفة بأنشطة الجمعية .. الحقيقة ذكر اسمه قبل السفر من عمال الجمعية أما بعد السفر فهذا غريب ، لم أدرك مغزى هذا السؤال عني ، وسؤال وردة بالذات لم أفهمه ، ولا هي ، ولا زوجها .. كان يمكنه الاتصال بهذا المكتب بالجمعية ليعرف سافرت أم لا .. وهو ملحد وأنا مؤمن ، رؤية عين لم تحدث بيننا ، وهو حسب ما علمت جاء البلد لدراسة الطب والعودة لبلده وقريته ، فارتاح لهوى بلادنا ، وتيسر له العمل .

قال : هو وحيد في البلاد ، له أخت تسكن تاج الزمان لا تعرف عنه شيئا ، ويبدو ذلك صحيحا لا تواصل بينهم ؛ كما أخبرني زوجها وحموها ، وله ناس من مدينته الفلسطينية لا يعرفونه ، يعرفون أباه وجده وعائلته .. وأبوه خدم في الجيش الإسرائيلي ؛ لأن إسرائيل كانت تجند البدو والدروز والقليل من الفلاحين من أجل اللسان العربي ، ولغتهم العربية .





a b

جهاز التعقيم بالبخار

الصحف عادتها نسيان الأخبار بعد عدة أيام ، فيبدأ الخبر بالتلاشي من صفحاتها رويدا رويدا فبعد شهر يكون الخبر قد زال تماما، ولما تظهر إشاعة ولو صغيرة ، يعود التذكير بالخبر المختفي .

كانت زكية حسني والدة أشخاص بعض أفراد هذه الرواية والحكاية ، قد تابعت حكاية اختفاء وائل من خلال الصحف ، فالاسم أصبح معروفا ومألوفا لها ، وأيضا اللواء خميس معروف لها وقد اشترى من متجرها سيارة آخر طراز أو موديل قبل سنين .

كانت في مكتبها في المتجر ، وزوجها بلص زكور يجلس معها في المكتب ، فهي ما زالت تباشر العمل بنفسها وتتابعه بنفسها ، وتراجع الملفات والسجلات .

وكان بلص قد طلب من محل بيع القهوة والشاي القريب والمجاور للمكان كوبا من القهوة لنفسه وفنجانا لزكية ، وخلال شربه للقهوة يطلع على صحف الصباح التي تبتاع للمحل ، رأته زكية يدع الجريدة التي كانت بيده وينظر إليها ويقول : هذه الجريدة تنشر خبرا صغيرا أو إشاعة عن نسيب خميس جعلونة !

قالت : إشاعة في الجريدة عن وائل زياد!

هزّ رأسه بنعم ، قالت: ما هي الإشاعة أو الخبر؟

قال وهو يخرج السيجارة من فمه : تخبر الإشاعة أن زوج ابنة خميس شوهد في غزة!

صاحت دهشة : غزة ! غزة مرة واحدة ! هل جنت الصحيفة ؟! الحدود قالت: لم يخرج من البلد !

- وقالت الصحيفة ما قلت عن الحدود .. وذكرت أن جواز سفره الإسرائيلي يحمل نفس الاسم العربي فكيف خرج؟! لعله خرج به .

لما شاع هذا الخبر في المدينة اهتمت بالخبر ، وقد تناقلته الألسن باستغراب اذا صح وهي لها معرفة بخميس معرفة شخصية ، حيث ابتاع منها سيارة ، فقالت : وماذا ذهب هذا المخلوق يفعل في القطاع ؟! ولو مشى مع حملة إغاثة لما اعتبر مفقودا ومختفيا ، فالصحف تنشر أسماء المشاركين ووظيفتهم وطبيعة ذهابهم .

لم تستطع زكية الصبر على عدم فهم ملابسات القصة ، فبعد يومين من عدم نشر الصحف معلومات أخرى ، اتصلت باللواء المتقاعد ، فرحب بها ، فذكرت ما نشر في الجريدة عن مشاهدة وائل في غزة ثم قالت : ما صحة ذلك يا أبا سليم ؟

قال : لا حقيقة عن صحة الخبر .. وها نحن نتابع دقة الخبر ، وتحدثت مع أصدقاء لنا في الأجهزة فلم ينفوه ، ولم يؤكدوه .. تحدثت مع رئيس تحرير جريدة فجر الأمة أول صحيفة ذكرته ، فقال: مراسلنا في غزة بعثه .. الإشاعة قيلت وبدأت هناك كما نقلت إليه .. الأمور في غزة بعد الحرب مرتبكة وفوضى إغاثية للآن .. أجهزة جاسوسية تدخل مع بعثات الإغاثة ؛ لعلها تحصل على معلومات وأشياء خفية من خلال الفوضى وارتباك قيادة حماس التي تدير القطاع ، وجهات الإغاثة من دول كثيرة .. لديهم كثير من الفوضى ، فيبدو أن أحدهم أو جماعة قابلوه فظنوا أنه الطبيب المفقود في البلاد الشامخة ، ووصل الخبر المشوش إلى المراسل ونقله لجريدته ، واحتارت الجريدة هل تنشر الإشاعة أم لا ، فرأت أن النشر أفضل لسمعتها وتعتذر اذا كان الخبر غير صحيح ، وكتمه قد يسيء للجريدة اذا تأكد ، ورفضت نشره إلا كإشاعة ، والذين شاهدوه مع قوافل الإغاثة ، بعضهم يقول هو ، وبعضهم يقول شبيه به ، فهو لم يكن مع بعثة عربية.

قالت : شيء غريب يا أبا سليم! طيب كيف خرج اذا صحت الإشاعة ؟ ولم يظهر اسمه على الحدود .

قال: هذه بسيطة يا أم عارف ! الدكتور يحمل جنسية إسرائيلية ، وإن كان عربيا فهناك ما يسمى بعرب ٤٨ ، فالراجح عقلا أنه خرج به بجوازه الإسرائيلي ،فعندما يقوم ضباط الحدود بالترجمة سيكتشفون أنه خرج بجوازه الإسرائيلي .. هم كتبوا الاسم الذي قدم به الجواز لا يكتبون الترجمة ، وتأكد هذا الاحتمال ، لكنه لم يذهب إلى بلده في دولة إسرائيل ، ذهب إلى اليونان بصحبة طبيب يوناني صديق له ، ومن هناك ذهب مع حملة إغاثة يونانية دخلوا مصر ومنها لغزة .

قالت بدهشة : يعني حقا أنه موجود في غزة!

قال مقرا : هذا ما ثبت يا أم عارف ؛ ولكن طريقه خروجه غريبة ومريبة وغامضة وما أحد من زملاء العمل سمعه يتحدث عن ذلك الخروج ، وتبين لي أنه أنهى عمله في المستشفى منذ مطلع العام الساري .. وأشكر اهتمامك .

كانت رباب أم سليم تسأل ابنتها علا : وماذا ذهب هذا المجنون يفعل بغزة ؟!

قالت علا : والله يا أمي لا أعلم ، لم يكلمني عن عطفه وشهامته ووطنيته ، فأهل غزة فلسطينيون مثله ، خرج للعمل كالعادة ، ولا حتى أعلمني أنه تخلى عن الوظيفة ؛ لأنه لم يترك المستشفى .. أنا قلت لكم كرهته بغضته .. الطلاق كان خيرا لي منه .. دعونا نترك بعضنا ، وننفصل ونترك الخمسين ألف .. هذا رجل نسوان .. صحيح منذ تصالحنا لم تزرنا ولا امرأة ؛ ولكن كان ثلاثة رجال يكثرون من زيارته ، فيستقبلهم في وقت متأخر من الليل يدخل بهم إلى حجرة ، ويغلق الباب بالمفتاح لمعاقرة الخمر التي يجلبونها معهم ويلعبون الورق ؛ وربما القمار .. وأنا بدوري أغلق الباب على نفسي بعد نوم الطفلتين .

قال خميس الذي كان جالسا على كرسي ذي مساند : يا ابنتي يا حبيبتي تورطنا بزواجك منه ..

وكلنا أخطأ .. وعلينا أن نتحمل .. وأنا لما ضخمت مؤخرك لهدفين الأول منهما منع طلاق جديد لك أو يعتذر عن الزواج .. لا تلومينني وقضيتم سنوات بعيدين عن بعض .. فعل فيها فضائح لا تعد ولا تحصى.. أنت الضحية .. هو يجد من تلبي رغبته المجنونة دون أي عبء .. وأنت محرومة ، فطلاقك ثانية لن يكون سهلا عليك .. وسيصعب زواجك من جديد ..سيضع الناس لومهم وعتبهم عليك .. وأنت سبب الطلاق .. هو يجد من الزواني ما يتسلى بهن .. وأنت مجروحة وشابة ناضجة.

قالت : سأتكلم بصراحة يا أبي .. ساعة معاشرتنا عذاب لي .. لا ساعة متعة .. المرأة لما تعاشر رجلا بغيضا إلى قلبها تكون في حالة ألم وتمزق واغتصاب .. أنا لا أريده .. رجل وقح.. يراني أو يريدني عاهرة تمارس الدعارة .

قالت أمها : خلاص كفانا عندما يعود عليك يا خميس إنهاء الموضوع وإنهاء عقد زواجهما فعلا .. إنها لا تطيقه ، وهي بغنى عنه ، وتسلم أمرها إلى ربها ، وتعيش لأطفالها .

ـ أنا راضية أنا راضية .. تعبت يا أبي !

قال: كانت لحظة شفقة وعطف عليك! ونحن قبلناه بناء على رغبتك أنت .. فكل زملاء المستشفى قالوا ابحث عن غيره ؛ ولكنك قلت تعهد لك بالصلاح ، وترك النسوان .. والزواج يغير الأخلاق .

قالت وهي تمسح دموعا سالت على وجنتيها : قبلت من كلامه المعسول وتعهده بالتحسن ، صدقت لسانه .

ـ فصدقناك ، وظهرت لنا رغبتك بالزواج منه ، فقلنا مضطرين على بركة الله وحاولت بتضخيم المؤجل وصرفه بالتي هي أحسن.

صاحت مقهورة : صدقته صدقته كانت نظرات الطبيبات والعاملون معنا قاسية عليّ ؛ لأنني مطلقة ، ولم يتطلع في خلقتي أحد إلا هو .

قالت رباب: ما حصل حصل ، ولا داعي للبكاء على الأطلال .. خلاص يا خميس لما يرجع

الملعون من غزة علينا أن ننهي هذه المأساة .. الكل فينا أخطأ .. ما أدري لم ذهب اليونان؟!
قال : كشفت أن له أصدقاء أو معارف من اليونان ، دكتور اسمه إسكندر أحب هذا اليوناني العودة لأثينا للمشاركة في حملة إغاثة ، فمشى معه دون إخطار البنت بشيء ، ربما أزمة ثقة ، وفجوة بينهم ، ولما ترك المستشفى بتلك الطريقة شغلنا وهو كان يلمح لعلا بأنه سيهاجر لكندا أو نيوزلندا أو أستراليا ؛ فلعله يفكر بالهجرة لليونان ، ومنها لأوروبا .. هؤلاء اليونانيون يملكون مستوع أدوية اسمه فينوس ، يملكه صيدلي عجوز اسمه فينوس ؛ وكأنه اسم إله يوناني وهو والد إسكندر .. يستوردون أدوية قبرصية ويونانية ؛ ربما بسبب ذلك تعرف عليهم بحكم المهنة ؛ فكأنهم حملوا شحنة منها لغزة من اليونان ؛ كما يفعل الناس اليوم هذا ما قاله لي صاحب المستودع ، وهو رجل عجوز يعمل هنا من زمن بعيد .. فاتصل ابنه رفيق وائل من باب المستشفى، ومشى إليه وائل وإلى المطار ، ثم أثينا ومنها لمصر بالباخرة الإغاثية .. القاهرة معبر رفح المصري والفلسطيني ، ومع لجنة التنسيق الغزية قدمت المساعدات ، وقضوا أياما ، ثم رجعوا اليونان ، ولم يمكث طويلا في غزة .. مساعدات صور .. وهما الآن في أثينا يمارسان الدعارة .. هذا قاله الرجل العجوز بالتفصيل وعلى لسان ابنه الدكتور .. كان ابنه على اتصال دائم معه .. متى سيعودون ؟ لا يعرف الرجل.. السيء أنه لم يخبر علا بغايته ؛ لكنه اتصل بعشيقته السابقة وردة بنت زكية يسألها عن سفر جهاد ؛ ربما كان يرغب بلقائه بغزة لأمر ما .. وأخته أسيل ، لم تعلم بذلك السفر.. فبدا الأمر غريبا وعجيبا .
ـ المهم عندي أن تطلق البنت ونخلص من الزفت وائل.
ـ أكيد أكيد يا رباب طفح الكيل !

اتصل جهاد عارف بالسيد خميس جعلونة يعلمه بما نشر عن وائل فرد خميس : علمت بما أشيع حتى والدتك اتصلت تخبرني بما نشرت فجر الأمة ، وقد خرج بجوازه اليهودي ، فهو يحمل جنسية تلك الدولة بحكم ولادته وعيشه فيها ، وأشكر اهتمامك أيها المحامي !

فكر المحامي ثم سأل :كيف دخل غزة بجوازه الإسرائيلي ؟!

قال خميس : القصة أنه سافر برفقة طبيب يوناني من الجالية اليونانية إلى اليونان ، لهم وللأرمن حي في تاج الزمان ، ورافقا حملة يونانية من هناك ، لابد أنهما دخلا مصر بجوازيهما اليوناني والإسرائيلي .. فأنت تعلم أن لمصر سفارة في إسرائيل ولإسرائيل سفارة في القاهرة ، فلا مشكلة هنا ، وفي ميناء رفح الفلسطيني أشهر جواز بلادنا ، ويمكن أن يدخل حامل الجواز الإسرائيلي الأردن ، فهذه دول تعترف بإسرائيل ، وتقيم معها علاقات دبلوماسية ومعاهدات ما يسمى السلام والبلاد التي لا تعترف بإسرائيل من الدول العربية وباكستان وماليزيا وما شابه يمنعون من الدخول بالجواز اليهودي فيدخلون بجنسياتهم الأخرى، والذي أزعجنا وشغل بالنا هو طريقة إخفاء أمر سفره عنا وعن زوجته ، وحتى عن زملاء العمل ، هي التي أثارت الغموض حول الاختفاء .. إنسان حقير ونذل .. رجل مثل إبليس يأتيك من كل الجهات .

ـ حكيت معه كلمته.

قال : حاولت من البداية ؛ ولكن رقمه مفصول وخارج دائرة الخدمة .. أكيد اشترى بطاقة دولية .. ولم يتصل بنا خبيث ..خلاص لما يرجع اللعين سنطلق البنت.. يكفيها شقاء وبهدلة أكثر من خمس سنوات.

ـ يرجع بالسلامة يا حاج خميس!

صاح بألم : والله لو يموت هناك أفضل .. أسوأ زوج في العالم يا أخ جهاد ! لما تزوجت به علا ابنتي كانت مطلقة ، وفي حالة نفسية سيئة ، فرهبة الطلاق مزعجة للبنت وأهلها ، واستغل حالتها النفسية ، وظهر بالمتعاطف والشريف معها ومشفقا والكلام الناعم حتى صدقت المسكينة برغبته على التحسن .. أنا وضعت عليه خمسين ألف دولار لينسحب ويعتذر ؛ لكنه قبل بدون تردد.

ـ خمسون ألف!

قال : وهذا ما منع طلاقها بعد هجرة لعامين ؛ لأني لا أريد أن يطلقها وتصدم البنت ثانية ؛ ولكن الأموال لا تمنع الطلاق .

ـ الله يصلح القلوب ! أنت علمت قصة أختي .. وكيف ضحك عليها ؟ ليعيش معها بدون عقد زواج ، وكان قد أوهمها أنه مطلق .

قال : مهما تعلمت الفتيات فيبقين مغفلات ، بكلمات الحب والعسل يفرحن ويستدرجن .. فهو زوج ابنتي .. تعرف لما كنا نسهر معه يسألني عن الجيش .. طبيب يهتم بأهم أسلحة العسكر والطيران وأجهزة التجسس ، الحرب السلام ، وأيام حرب غزة ؛ كما تخبر علا ، كان يتابع القنوات التي تبث الحرب أولا بأول مشفقا على أهل غزة من الإبادة ، وخشية رحيلهم إلى مصر .

اهتم عصام وزوجته في منتصف الربيع بمحاولة الحمل الخارجي عن طريقة طفل الأنابيب ، فقاموا بالتحاليل المطلوبة والتمهيدية للتلقيح المختبري .

طفل الأنبوب والمختبر ، عرف الناس هذا التعبير لأول مرة عام ١٩٧٨ عندما ولدت الطفلة لويس براون ، وهي أول طفلة أنابيب في العالم.

وقد أمكن بهذه الطريقة التغلب على بعض العوائق التي تمنع حدوث الحمل عند المرأة ، مثل انسداد قناة فالوب ؛ حيث يبدأ تكوين الجنين ، ثم يسير إلى رحم الأنثى ليستقر فيه ، أو عند ضعف الحيوانات المنوية عند الرجل.

ويتم اللجوء إلى طفل أنبوب الاختبار في الحالات التي يتعذر فيها التلقيح الطبيعي للبويضة داخل قناة فالوب .

إنَّ ما يجري في عملية طفل الأنبوب باختصار هو أنَّ عملية الإخصاب تحدث خارج جسم المرأة.

في المدينة عنبس وبعنبس مراكز طبية متخصصة ومعروفة لعلاج العقم ومشاكله الكثيرة ،

ومستشفيات فيها أقسام لعلاج العقم والتلقيح الخارجي ، وهي مستشفيات متقدمة ومتطورة ومستمرة في التحديث ومتابعة الجديد ، فتعاقدوا مع أفضل المراكز للقيام بالعملية.

الطريقة الأنبوبية تبدأ بتنشيط وتجهيز المبيضين للزوجة بأدوية مساعدة لإنتاج أكبر عدد من البويضات ، فالبويضات تخلق في المرأة وهي في رحم أمها وتسمى جريبات ، وفي كل شهر من الحيض تسقط بويضة في قناة فالوب ؛ لتكون جاهزة للإخصاب، واذا لم تخصب تنتقل للرحم وتخرج مع دم الحيض ، يتم سحب هذه البويضات جراحياً في وقت محدد تكون فيه كاملة النضج لتُخَصَّب في المختبر باستخدام الحيوانات المنوية التي أُخذت من عيِّنة للسائل المنوي للزوج ، أو من الخصية . توجد العديد من الطرق التي يمكن من خلالها استخراج الحيوانات المنوية من شخص يعاني من انسداد في الأوعية الناقلة على الرغم من قدرته على إنتاج الحيوانات المنوية بصورة طبيعية تماما ؛ لكن فإن أفضل إجراء وأقل تكلفة هو تقنية شفط الحيوانات المنوية من احدى الخصيتين ، حيث يتم إجراء الشفط تحت تأثير تخدير موضعي، ويستغرق حوالى ١٠ دقائق فحسب.

يتم إجراء الشفط للمني بالتزامن مع عملية استخراج البويضات من الزوجة ، حيث يتم استخدام إبرة خاصة وغرسها داخل الخصية لامتصاص الحيوانات المنوية الموجودة بداخلها، وتصلح هذه الطريقة للرجال الذين يعانون من عدم وجود حيوانات منوية بالسائل المنوي نتيجة لانسداد الأوعية الناقلة أو الاستمناء.

يتم عمل شق جراحي محدود بالخصية وفحص القنوات الدقيقة الموجودة بها بحثا عن الحيوانات المنوية ، وقد يتم إجراؤها بصورة منفصلة أو بالتزامن مع عملية استخراج البويضات من الزوجة ، ويتم عادة إجراؤها بغرفة العمليات تحت تأثير التخدير الكلي ، و يمكن أيضا استخدام التخدير النصفي أو الموضعي، وعموما فإن هذه الطريقة الجراحية عادة لا يتم اللجوء إليها حاليا ، حيث تم استبدالها بالطريقة المجهرية، وذلك للحصول على الحيوانات المنوية من الرجال الذين يعانون من عدم وجود حيوانات منوية بالسائل المنوي

نتيجة لوجود خلل في إنتاجها .

كما قلنا تُعد تقنية سحب الحيوانات المنوية من الخصية من الحلول التي يلجأ لها اختصاصيو أمراض الذكورة والعقم لعلاج حالات تأخُّر الإنجاب بسبب انعدام وجود الحيوانات المنويّة في السائل المنوي المقذوف أثناء الجِماع.

وتُعتبر طريقة سحب الحيوانات المنويّة من الخصية من الطُرق البسيطة والأقل تكلفة نسبةً للطرق الأُخرى. حيث يقوم الاختصاصي بإدخال إبرة ماصّة في الخصية لاستخراج الحيوانات المنويّة في عمليّة لا تستغرق أكثر من ١٠ دقائق كأقصى حد وتحت تأثير التخدير الموضعي. وسحب عيّنة من الحيوانات المنويّة أو من أنسجة الخصية ، غالبًا ما تكون عمليّة شفط الحيوانات المنويّة بهذه الطريقة بعد الحصول على البُويضة من الزوجة ، بحيث يتّم الحصول على عيّنة من الحيوانات المنويّة في اليوم المُقرّر لانفجار البُويضات من حويصلاتها .

لابد من فحوصات تمهيدية قبل عملية أطفال الأنابيب، يخضع أحَد الزوجين أو كليهما لبعض الفحوصات السابقة للبدء بخطوات عملية أطفال الأنابيب، وهي تشتمل على فحص مستوى الهرمون المُضاد المولري ؛ لتقييم وظيفة المبيض لدى الزوجة والقدرة على إنتاج بويضات ناضجة للإخصاب ، فحص مستوى الهرمون المنبّه للحوصلة ؛ لتقييم اضطرابات المبايض لدى الزوجة ومشاكل الخصية لدى الزوج ، فحص تعداد الجُريبات ؛ لتقييم عدد البويضات البدائيّة في المبيض.

فخضعت وردة لعملية تنشيط الجريبات البويضات المخلوقة في كل أنثى مذ صارت أنثى، أما الحيوان فهو يتخلق باستمرار . خضعا للفحوص الممهدة لشفط المنوي والبيوض ، تنشط البويضات قبل شفطها بعملية خاصة ويكون المختبر قد سحب بعملية عاجلة منويات الرجل من احدى خصيته ، ثم يختار أجود البويضات وأجود المنويات ، ويتم التلقيح بعد فحوصات للبويضة ، ثم تحقن البويضة بالحيوان المنوي بمساعدة بعض الأجهزة حتى يتمكن الحيوان من دخول البويضة ويلقحها داخل أنبوب المختبر ؛ فإذا حدث التكاثر للزايجوت ، ولم يمت

ينقل بواسطة أنبوب إلى رحم الأنثى ، الطبيعي أن يتكون الجنين في قناة فالوب ثم يرحل للرحم ؛ فإذا نجح في الاستقرار في بطانة الرحم تكون العملية نجحت إلى حد ما ، ونسبة نجاح التلقيح والحمل حسب السن للزوجة وبالمجمل درجة النجاح ٣٠ ٪ .

يتم إدخال الحيوانات المنوية التي تم أخذها من الرجل، مع البويضات الأكثر جودة التي تم سحبها من جسم المرأة ، إلى داخل خلية موجودة في بيئة مراقبة وتسمى عملية جمع الحيوانات المنوية مع البويضة، عملية التلقيح. تم زرع بيضتين في رحم وردة ، عندما تبدأ البويضة المخصبة بالانقسام، تصبح جنيناً ، يقوم طاقم المختبر بفحص الجنين بانتظام للتأكد من أنه ينقسم كما هو متوقع ، بعد خمسة أيام تقريبا، يكون الجنين السليم هو الذي لديه عدد من الخلايا التي تستمر بالانقسام بشكل فعال ، تنفيذ هذا الإجراء بعد حوالي ٣ إلى ٤ أيام من الإخصاب ، يتم إرجاع الأجنة إلى رحم المرأة بعد ٣ إلى ٥ أيام تقريباً، من لحظة إخراج البويضات وتنفيذ عملية الإخصاب .

يتم إرجاع البويضات في عيادة الطبيب ، وتكون المرأة بكامل وعيها ، يدخل الطبيب أنبوبة طويلة ورفيعة (قثطار) تحتوي على الأجنة، عن طريق المهبل إلى الرحم. في حالة انغراس الجنين بجدار الرحم ، واستمراره في النمو، تكون النتيجة الحمل ، يتم إدخال أكثر من جنين واحد إلى رحم المرأة ، قد يؤدي هذا الأمر إلى حدوث حمل متعدد الأجنة.

زرعت بيضتان ملقحتان في رحم وردة ، ويمكن طبيا زرع أكثر من ذلك. وخرجت من المستشفى للراحة والدعاء ، وسيستمر متابعتها لبضعة أيام ، ثم توقف إلى حين ، ثم متابعة شهرية حتى تكتمل مدة الحمل ، وقد تلد الأنثى قيصريا أو طبيعيا .

تخصبت البيوض مخبريا ، ونقلت للرحم أو بدأت رحلة الحمل الصناعي والقلق والأمل والانتظار لتسعة أشهر.

يجب على النساء اللواتي يخضعن لعلاج الخصوبة بواسطة الإخصاب في المختبر، تناول العلاج الهرموني إما بالأقراص أو بالحقن لمدة ٨ إلى ١٠ أسابيع بعد إرجاع الأجنة إلى داخل الرحم.

بعد علاج الخصوبة بواسطة الإخصاب في المختبر، يجب مراجعة طبيب نسائي على الفور، إذا لاحظت المخصبة مخبريا واحدا أو أكثر من الأعراض التالية ارتفاع درجة حرارة الجسم أكثر من ٣٨ درجة ، آلام في منطقة الحوض ، ظهور نزيف من المهبل أو دم في البول.

فهما لما عادا من فرنسا العام الماضي قاموا بتجربة حمل طفل الأنبوب ، ولكنها فشلت ، وفي شهر أيار من هذا كانت المحاولة وكررت ، ومضى شهر ، ولم يحدث نزيف الرحم أو المهبل أو آلام الحمل الصناعي .



المهندس حبيب

حبيب عارف درس الهندسة الزراعية ، وتملك أرضا زراعية ، واهتم ومارس ما تعلمه عليها ، ثم أنشأ حظائر أغنام وتربية العجول ، واهتم في البداية بتربية الأرانب والطيور ، ثم توقف عن ذلك ، فركّز على الزراعة والشجر والأزهار والزيتون ، وكوّن مشاغل لصناعة الجبنة البيضاء والسمنة الصفراء ، وأنشأ معصرة لزيت الزيتون لما كثرت أشجار الزيتون في أملاكه ، وتمكن من شراء الكثير من المزارع حسب نظرية المال يجلب مالا ، ولديه عيادة بيطرية يعمل بها عدد من البياطرة لخدمته وخدمة أمثاله ، واهتم فترة بتربية الخيول ، ثم تركها ، فركز على النخيل والزيتون والأعناب والفواكه ، فلديه عدد كبير من العمال ، وله شركة تسويق في بعنبس ، وكان يعصر الزيتون في موسمه ، ويورده لشركات تصدره لبلدان خارجية ، وبعضه يذهب لمصانع الصابون البلدي المحلي ، ولديه مصنع لرب الطماطم ؛ حيث مزارع البندورة في البيوت البلاستيكية في بطن الوادي حيث محافظة جزيرة رمضان شرق البلاد شمالا ، جزيرة زراعية ، وله مزارع في جزيرة عفوان ، الجزيرة الأولى لها حدود مع بعنبس من شارع القوس ، وله فيها قصر صغير ومساكن لعمال المزرعة ؛ حيث تنتشر مزارع البندورة والخيار ، ومصنع للمربيات من التفاح والبرتقال والتمر ، كان الرجل مستثمرا بشكل قوي في البلد ، فكان رجل عمليا ومعروفا في بعنبس والبلاد الشامخة كلها ، وكان فوق ذلك معروفا بالتقوى والتدين والإحسان.

في السادس والعشرين من أيار ٢٠٠٩ ، وكان تلك الأيام ينتظر سماع خبر نجاح الحمل لابنة أخيه الدكتورة المشهورة وردة والتي سعت للحمل عن طريق الأنبوب احدى طرق التلقيح المعاصرة ، وكانت قد فعلت ذلك بعد رجوعها من فرنسا ، ولم يثبت الحمل ، وها هم يحاولون مرة أخرى ؛ لأن هذه الطريقة نسبة نجاحها ضئيلة ؛ ولكنها تفلح في بعض الأحيان .

والرجل هو الذي تكفل بكل نفقات العملية رغم رفض ابنه ووردة في البداية ، وأخبره عصام ابنه البكر بزرع حيوانه المنوي الذي سحب وشفط منه في رحم وردة بسلام .

هذا ما كان يشغل بال حبيب تلك الأيام وأواخر أيار ، كان حبيب يملك بضع عمارات في حي بعنبس ، وبعضها في تاج الزمان الحي الأكبر ، وكان يتخذ مكتبا كبيرا في عمارة حبيب عارف في شارع الجامعة في حي البيان في قلب بعنبس ، والعمارة كلها مصممة مكاتب ومؤجرة ، ويتابع إيجاراتها مكتب الدكتور إبراهيم وابن أخيه المحامي الصاعد جهاد نجيب من عمل العقود وتوثيقها في البلدية والدوائر الرسمية ؛ لتخضع للضريبة كما يطلب القانون ، وكان له مكتب كبير في العمارة يدير منه أعماله التي أشرنا لها أو لبعضها.

اتصل به مكتب محاماة من قلب العاصمة عنبس عاصمة البلاد الشامخة ، عرف على نفسه المتصل بموظف في شركة سام للاستشارات القانونية الدولية ، ومهمتهم متابعة قضايا مالية تجارية محلية ودولية ، تحدث الموظف الذي عرف نفسه بزياد حسن ، وأخبره برغبة الشركة زيارته والحديث معه في موضوع مالي مهم ، وطلب المكتب أن يكون معه محاميه الخاص لحضور المقابلة يوم الخميس قرب العاشرة صباحا أي بعد يوم واحد .

كان المحامي جهاد المكلف بقضايا عمه وأنشطته المالية والتجارية الموظف بشركة محاماة إبراهيم وشركائه التي تتابع أعمال وأموال السيد حبيب .

اتصل حبيب بابن أخيه ، وذكر له اتصال شركة سام به ، وطلب منه أن يحضر اجتماع أو لقاء الخميس بعد يوم من الآن .

قال حبيب وهو يغلق الهاتف كحديث نفس : شركة قانون في العاصمة عنبس ! عمري ما تعاملت معهم " شركة سام للاستشارات القانونية " أنا معاملاتي المالية القانونية عادة هنا في بعنبس ..مع شركة إبراهيم نسيب أولاد أخي نجيب .. هل من شكوى على شركاتنا هناك ؟ فمكتب جهاد وشركائه هم الذين يتابعون عقود الإيجارات والضرائب والقضايا المالية ، وهم يتابعون قضايا عصام ووردة منذ عهد قريب ، وبعض قضايا سامي وحسن ونوار وسالم .

وبينما هو يفكر بسبب الاتصال القادم من العاصمة ، ويراجع ذاكرته ، رن التلفون وكان جهاد المتحدث بعد السلام قال :تحدثت مع شركة سام يا عمي قالوا القضية غريبة فعلا وغامضة !

جاءهم خطاب من هافانا عاصمة كوبا في أمريكا اللاتينية أن لديهم أموالا باسمك باسم حبيب عارف من أهالي بعنبس في دولة البلاد الشامخة في الشرق الأوسط .

ردد محتارا: أموال باسمي من هافانا ! أنا فكرت في مشاكل مالية مع عملائنا وشركاتنا ، وأحدهم شكى علينا في عنبس .

ـ هذا ما أخبروني به .. وأن محاميا من شركة محاماة دولية مقرها كوبا سيكون غدا في البلاد ، والخميس سيعقد لقاءه معك .

ما زال يفكر بحيرة : أليس هناك خطأ ؟! منذ ولدت ـ كما تعلم ـ لم أذهب لدول ذاك العالم ، ذهبت القدس ومكة والمدينة ودمشق وعمان والقاهرة وإسطنبول حديثا .

ـ سيأتي المحامي الكوبي لعرض الموضوع وتسويته .. وكل تكاليف الرحلة والنفقات مدفوعة سلفا .

ـ الغموض سيزول الخميس ـ إن شاء الله ـ نحن لنا أقارب هاجروا قديما للبرازيل والأرجنتين .. ولا اتصالات بيننا وبين أولئك الأقارب المهاجرين يا أبا عبد الله ! أما كوبا فلم أسمع عن قريب أو صديق رحل إليها !

ـ إن شاء الله الخميس نقابل الضيف ونفهم القصة يا عمي!

قال : على بركة الله .. المهم لا تنسى الموعد .

ـ أكدوا لي أن الأموال باسمك يا عمي!

قال مفكرا : إن غدا لناظره قريب .



أوقف جهاد سيارته أمام عمارة عمه حبيب حيث مكتبه الكبير ، كان حبيب قدوة مالية ودينية لأبنائه سامي ونوار وسالم وجهاد ، ثم لحق بهم عصام ووردة التي منذ تابت لربها تراه أفضل الناس حتى من زوجها وإخوتها ، فهو خير نموذج ومثال لها في الدين والمال والسلوك والحوار فتحول بغضها الطويل إلى حب وتقدير ؛ فكانت تغمرها السعادة والفرح كلما دخل بيتها أو زارته ، وتقدر حنوه وعطفه ، وتنظر وتعجب كم صبر حتى قلبهم الله ! وتدرك حنوه عليها وعلى عصام ، وحبه لفلذة كبدها جوهر .. ولاحظت كم هو محب أن تلد لعصام ، ولو عن طريق الأنبوب ! فأما أمها فلم تستحسن تلك الطريقة في الحبل ، وقالت : يكفيك جوهر ، الكثرة لم تعد لها فائدة . فأصيبت بالدهشة يومذاك حتى وضحت أنها تخاف عليها من تعب ومصاعب الحمل والولادة .

حبيب رجل مع الله ، فهو موفق ، ولا نزكي على الله على أحدا ، فالله حسيب كل فرد منا ، نقول ؛ كما قال عمر " إن ناساً كانوا يؤخذون بالوحي في عهد رسول الله ﷺ ، وإن الوحي قد انقطع، وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم، فمن أظهر لنا خيراً أمناه وقربناه، وليس إلينا من سريرته شيء، الله يحاسب سريرتَه، ومن أظهر لنا سوءاً لم نأْمَنْه، ولم نصدقه، وإن قال: إن سريرته حسنة ".

جمعية الإغاثة رحمة التي يتبرع جهاد ببعض وقته فيها تقع في شارع الشهيد علي تتلقى دائما الأموال من عمه ، وهو يدعم جمعيات أخرى مهتمة بالأيتام في بعنبس وعنبس ومدن أخرى ، فهو يخرج الزكاة سنويا ، وصدقات أخرى ، ويكفل عددا من الأيتام في الحي ، وفي غزة من سنوات قبل الحرب الأخيرة عن طريق جمعيات الإغاثة ، ونشاطات أخرى ، واليوم وردة وعصام يحاكونه بالإحسان للضعفاء والناس .

دخل جهاد العمارة ومشى إلى مكتب عمه وصافحه ومطمئنا على صحته وعلى زوجته التي نكحها بعد ترمله عن أم عصام رحمها الله ، وسلم وصافح موظفين المكتب ، وتبع عمه لمكتبه

الخاص ، ودخل مراسل المكتب العم عطوة ـ رجل غلبان يعمل من سنوات معهم في المكتب ـ فقدم له القهوة المرة ، فمن العادات في بعنبس تقديم فنجان قهوة سادة مرة للضيف ، ثم القهوة العادية المصحوبة بكوب ماء أو الشاي .

قال جهاد وهو يتناول الفنجان المقدم له باسما : كيفك يا عم عطوة ؟وكيف صحتك يا أستاذ عطوة ؟

ـ الحمد لله حمدا كبيرا .. وكيف أنت يا أستاذ جهاد ؟

ـ بخير يا أستاذ عطوة .. كيف عيالك أم حسن ؟

قال عطوة : بخير ، وترسل تحياتها لأختكم الفاضلة أم جوهر .. لها رغبة بزيارتها

ـ تتصل فيها ، وترتب للقاء .. حتى هذه الأيام أم جوهر دائما في البيت.. سلمت العيادة لصديقة لها.

ـ سلامتها .. مالها ؟!

قال : بخير ؛ لكنها تحيا بتعب ، فيمكن لأم حسن أن تتصل وتذهب .. ووردة اليوم تحب البسطاء والمساكين مثلنا .

قال : الحمد لله أنها رجعت لأصلها .. فالعم حبيب يحبها ويذكرها بكل خير ، وهي التي أشرفت وتابعت ولادة أم حسن ، ولم تقبل شيئا .. غمرتنا بفضلها وإنسانيتها .

ـ بارك الله فيك يا عم عطوة!

قال : هي من أجل معروفها معنا حابّة أن تراها وتقدم لها امتنانها .. من لا يشكر الناس لا يشكر الله .

ـ خلاص تتصل بها يا عم عطوة .. أليس كذلك يا عمي ؟

قال : أنا قلت له مثل كلامك.

ـ ستفعل إن شاء الله .

حينئذ دخل باب الشركة رجلان يحمل كل منهما حقيبة خاصة به ، أحدهما بدا أنه غير عربي ،

قام حبيب وجهاد للترحيب بهما ، والتعرف على أسمائهما ، فتبين أن أحدهما المحامي زياد حسن الذي تحدث مع حبيب ظهر الثلاثاء ، ثم مع جهاد من شركة سام الدولية ، والثاني محامي كوبي مندوب شركة محاماة كوبية دولية للقضايا عبر القارات ، وأنه حضر خصيصا لمقابلة شخص اسمه حبيب عارف من أهالي بعنبس في البلاد الشامخة ، تم التعارف وتقدمهم حبيب إلى مكتبه الخاص ، ولما جلسوا رحب بهم ، وقدمت لهما قهوة الضيافة ، وشرح زياد الأمر للمحامي راؤول إمارتا المحامي في القانون الدولي رسول تلك الشركة لحبيب عارف .

قال راؤول بعد شرب القهوة المرة : القصة أني كلفت بالسفر إلى هذه البلاد ، لأن رجلا كوبيا أوصى إليك بمال عند موته وقد مات .. رجل كوبي من أصل عربي هاجر لبلادنا منذ أكثر من عشرين سنة ، فقد ترك هذا المهاجر ثروة مهمة تبلغ عشرين مليونا غير الأملاك الأخرى، تركها للسيد حبيب عارف من سكان بعنبس البلاد الشامخة في الشرق الأوسط ؛ لعدم وجود ورثة له في بلادنا ، كانت له زوجة كوبية ماتت قبله بزمن ، وأوصت بأموالها كلها إلى زوجها المهاجر ، ولبعض الجمعيات العلمية والثقافية، فكبرت ثروته ، وتوفي الرجل في مطلع العام متأثرا ومصدوما بمجزرة غزة في ٢٧ -١٢ آخر العام الماضي .. المجزرة التي هزت كل العالم .. وهذا السيد اسمه عندنا جيفر كرانسي تزوج سيدة كوبية اسمها أماندا روشيه آند ، تعرف عليها في بيروت ، وتصادقا وترافقا ولما هاجر لكوبا التقيا وتزوجا وتشاركا الحياة .

قدم لهم عطوة القهوة العادية والشائعة في العالم ، ولما انسحب الخادم تابع راؤول : هذه المرأة الكوبية كانت تخدم في جهاز المخابرات الكوبي ، وكان لها نشاط في بيروت ؛ لأن كوبا كانت تدعم المنظمات الفلسطينية الشيوعية أيام القائد فيدل كاسترو ، فكان لهم مكان في بيروت ، عرفته أماندا من خلال العيادة الخاصة به ، هي وفريقها السري ، ولما قرر العالم الحر طرد المنظمات من بيروت ولبنان خرج الرجل إلى قبرص ، ثم اختفى وسافر إسبانيا ، ورافق أماندا ورفاقها إلى كوبا باسم جيفر كرانسي ، واختفى اسم نجيب عارف ، فهو أخوك كما كتب لشركتنا .

هتف حبيب وقد كان يتوقع ذلك لما سمع بيروت والمنظمات : إذن هذا المال من أخي نجيب عارف .

ـ سافر الطبيب نجيب إلى قبرص ثم إلى إسبانيا ثم الأرجنتين ، ثم استقر في عاصمة كوبا بجواز سفر كوبي وشخصية كوبية ، وبحماية ورعاية أجهزة أمن كوبية ، وتزوج كما قلت من تلك الفتاة عميلة المخابرات الكوبية أماندا ، وعاشا معا حتى ماتت ، ثم تبعها في أول العام الحالي .

قال حبيب مشيرا لجهاد : هذا ابنه .. هذا ابنه المحامي جهاد .. اختفى والده وهو ابن خمس أو ست سنوات .

قال جهاد متذكرا وهازّا رأسه : إذن صدقت الشرطة القبرصية عندما أخبرت أن الرجل لم يقتل اختفى بنفسه .. لقد كان ؛ كما علمنا ملاحقا من الموساد.

قال راؤول باللغة الإنجليزية تاركا الترجمة لزياد منذ أول اللقاء : الرجل تشارك مع شركات أدوية في البحر الكاريبي وفنزويلا ، وعمل في أول أمره مع مستشفيات النظام الصحي الكوبي فكان عاجزا عن مراسلة أهله وأبنائه خشية أن يكتشف خصومه مأواه ، كل هذه المعلومات الخاصة كشفت لنا قبل موته بقليل لما ماتت شريكته ، شركتنا القانونية تتعامل معه من بضع سنوات ، قبل أن تموت امرأته بعام أخبرنا أنه وصى بأمواله لأخيه حبيب في بعنبس ، وترك لنا رسالة لا تفتح إلا بعد موته ، وكشف فيها ما قلت لكم ، وكتب مذكرات تفصيلية لرحلته في الدنيا ، وموجودة في بنك كوبي في خزانة خاصة ، خزانة أمانات كما عندكم لا تسلم المفاتيح إلا لأخيه أو وكيله .

كان حبيب وجهاد ينظران في عيون بعض ، والمحامي زياد يترجم لهما مع أن الحديث دار باللغة الإنجليزية وهما يعرفانها إلى حد كبير .

عاد المحامي الكوبي يتكلم فقال : المذكرات الشخصية للدكتور جيفر كرانسي محتفظ بها في البنك والأموال في عدة بنوك كوبية خارج كوبا ، وبنوك كاريبية ، الرحلة ونفقاتها مدفوعة

سلفا ، وكذلك رحلة السيد حبيب لكوبا لتسوية الميراث والوصية ، ونقل المال إلى أي مكان ، وستأخذ حكومة كوبا الضرائب وحقها حسب القانون الدولي قبل تحويلها إليك ، وعليك سيد حبيب أن تسافر لتصفية أعمال أخيك.. فهذه قصة هذه الثروة ، وأن تنفذ الوصية من طرفنا حال وفاته ، ولنا شهور نعمل ونرتب لهذه الرحلة واللقاء بكم .

قال حبيب متسائلا: لابد من السفر بنفسي !

ـ لابد من السفر وزيارة كوبا والكاريبي.

قال : المذكرات محجورة في البنك !

قال : سنقوم بمساعدتك حال انتقالك إلينا ، ومعنا تكاليف شخص واحد ؛ فاذا أحب أحدهم أن يرافقك فليتحمل التكاليف المادية ، ويمكنك إعادتها للمرافق بعد تسلم المال ـ وأشار لجهاد ـ أنت ابنه يمكنك السفر معه .

قال جهاد : القصة سيد زياد سيد راؤول كما علمنا عندما كبرنا أن البوليس القبرصي أعلن لأمي وخالي هاشم وعلي أن اختفاء أبي كان بإرادته ، وليس هناك جريمة ، وقام بتمثيلية على أمي كما اتضح الآن .

قال حبيب مفسرا : كان والدك مطاردا من جهاز أمن إسرائيلي فاضطر لفعل ذلك الخداع واختفى من حياتنا كلنا ، الظروف تجبر على فعل أفعال شاذة .

قال : أجل ، هذا الصحيح يا عمي ! فلما حلت الهزيمة المؤلمة لمنظمة التحرير وأصبح لبنان خاضعا لإسرائيل ، رأينا عفوا سمعنا وقرأنا ما حدث لسكان صبرا وشاتيلا .. المنتصر يفعل ما يشاء .. فاختار أبي هذا الخيار الصعب.

قال حبيب : هو ما قلت يا جهاد ؛ فكان لابد من الاختفاء عنا وعنكم وعن أمك ؛ لأن النساء هن نقطة الضعف عند المطارد ، فهرب مع امرأة ، ولم تصدق أمك قول البوليس .

أخرج المحامي الكوبي عندئذ مجموعة من الصور عندما خيم الصمت في المكتب ، وقدم واحدة منهن لحبيب قائلا : هذه صورته في هافانا .

وضع حبيب نظارة القراءة على عينيه وتناول الصورة ، وتمعن في الصورة وقال : هو نجيب فعلا يا جهاد ! ولكنه بلحية خفيفة .

تناول جهاد الصورة وعمه يقول : كنت صغيرا حين اختفائه ابن خمس أو ست سنين هل تتذكره ؟!

قال جهاد باسما :صور أبي تملأ البيت يا عمي ! الصالون غرفة نومها كل الغرف فيها صور أبي في مكتبها في السوق .

ضحك حبيب وزياد وقال : راحت عن بالي أفعال أمك .. قد تضطر أمك السنة إلى إلغاء طقوس قبرص .

تبسم جهاد وقال : الله أعلم ! ربما لا تقتنع أنه مات أثناء قتل الناس في غزة ، وأنه تأثر بها أكثر من المئات والألوف في بلاد العرب ؛ بل بعضهم يضع اللوم على حماس كمصر في هذه المعركة الظالمة .

قدم المحامي صورة أخرى قائلا : هذه صورة قديمة أيام بيروت .

قال حبيب وهو يتأملها : نعم ، صحيح . ونقلها حبيب لجهاد ، وتناول صورة ثالثة فقال: هذه صورتي!

ضحك المحامي الكوبي وقال : وهو المطلوب ! هذا تأكيد أنني أخاطب وأجلس مع السيد حبيب عارف يا دكتور زياد ! فلما رأيتك لم يكن لديّ شك بأنك الشخص المطلوب ، حتى زياد غمز لي بأنه هو ؛ لأنه رأى الصورة يا سيد حبيب!

قال حبيب ناظرا لابن أخيه : كيف ستخبر أمك يا جهاد ؟

ـ أفكر بالاتصال بها لتأتي وتقابل الرجل ومندوب سام.

قال : هو الأفضل .

اتصل جهاد بأمه ، فمكان عملها ومعرضها قريب من عمارة عمه ، اتصل محرضا للمجيء لمكتب عمه لأمر ضروري وهام وعاجل .

وقال : دعي بلص وأنا مع عمي في انتظارك .

وفي أقل من عشر دقائق كانت تدخل المكتب ، وتلقي التحية عليهم، وعرفها جهاد على زياد والكوبي ، واختصر لها زياد قصة المحامي وزوجها المختفي من ربع قرن ، وهي مصدومة بين مصدقة ومكذبة ، وأعطاها الصورة الجديدة والقديمة وصورة حبيب ، فكانت تنظر في عيون الجميع في حيرة وقالت بذهول : نجيب كان حيا طوال هذه السنين يا حبيب!

قال: هذا ما يخبر به المحامي الكوبي ، وترك لكم ثروة كبيرة ومن أجل ذلك جاء من آخر العالم ولكنها باسمي حسب وصية نجيب .

قالت : ألم يكتب لك ؟!

أجاب : لا ، هو فعل ذلك ليختفي من حياتنا كلنا .. اختار الحياة خشية الاغتيال يا زكية ! وشرطة قبرص ذكرت لك أنه لم يمت تزوج أو اختفى مع امرأة .

قالت بشك : من أين عرفوا؟!

قال: كأنهم يعلمون من مصادرهم الأمنية ، لو لم يفعل ما فعل ؛ لربما قتل قديما .. فاليهود احضروا أيخمان من الأرجنتين بزعم تعذيب اليهود في أوروبا ، وإسرائيل لم تنشأ بعد للدعاية والتهويل .. وأخي كان متهما بالمشاركة في قتل ضابط إسرائيلي.. وبهذه التضحية يا زكية عاش كل هذه السنين بسلام .

آيخمان ضابط نازي كبير ، هرب آيخمان سراً إلى عدة دول إلى أن استقر في الأرجنتين متخفياً باسم جديد ، وشخصية جديدة مبتعداً عن أية مظاهر قد تفضحه أو تكشف شخصيته الحقيقية ، حتى العام ١٩٦٠ عندما قبض عليه عملاء للموساد ونقلوه إلى إسرائيل بضجة إعلامية مصنوعة ودعاية مفضوحة للموساد ، هي من الحرب النفسية ضد العرب والعالم ؛ حيث حوكم وأدين وشُنق في العام ١٩٦٢، ثم أحرقت جثته ، وألقي الرماد في البحر الأبيض المتوسط. في ١١ أيار عام ١٩٦٠ نجح عملاء الموساد الإسرائيلي في اختطاف النازي أدولف إيخمان من الأرجنتين حيث مثل للمحاكمة في إسرائيل ، وتم إعدامه عام ١٩٦٢، وقيل إنه

اعتنق اليهودية قبل شنقه .

رأت زكية الصور الأخرى ، فبكت بضع دقائق وترحمت عليه .

قال حبيب : رحمنا الله جميعا ! لقد ترك لنا مذكرات شخصية ومال كثير ، وسيذهب فريق منا لاستلام الأموال والمذكرات .

قال المحامي راؤول : لابد من إجراءات ومحاكم سيد حبيب سيدة زكية.

قال جهاد: الأموال باسمك يا عمي ! فهي لك، وأبونا يعلم بأننا أحياء.

قال : نعم ، هذا ما أعلمنا به المحامي ، ولست بحاجة لها بفضل الله .. أنتم أولى بها لا تجادل !

قال جهاد للمحامي: أيمكن أن أذهب وكيلا عنه ، فعمي كمل ترى رجل كبير .

قال : يعمل لك توكيل قانوني مع شركة سام ، فهي شركة دولية تتعامل مع قضايا دولية ، ويمكنهم إرسال محامي معك وتتكلفون بأتعابه سيد حبيب واذا قبل الوالد حضورك عليكم ألا تنشروا الخبر حتى يتم نقل الأموال بسلام من دون ضجيج .. فالأموال باسمك لا يمكن لأحد أن يستولي عليها.. الدولة تأخذ حقوقها غير منقوصة وأنت تأخذ حقوقك ، لا يوجد بنوك عربية في كوبا ، ممكن تحول إلى الولايات المتحدة أو بنوك سويسرا والنمسا ، لازم تحول إلى أكثر من بنك ولما تصل بلدكم تقتسمونها .. كيف ترغبون ؟

قال حبيب : ما رأي زكية هانم ؟

قالت بارتباك : ما زلت ذاهلة وأتذكر ؛ لأن صورة المرأة التي تظهر مع نجيب أعرفها، لقد صدفتها أكثر من مرة في العيادة مع نجيب على أنها مريضة ، وليست صديقة وعميلة مخابرات كوبية ، لقد نسيت أن نجيبا كان عميلا لمنظمة فلسطينية في رام الله ، وأنه هرب لما قبض على رفيقه في الشبكة أو الخلية ؛ ربما أجد لها صورا في البوماتي القديمة يا جهاد ! اخبرني نجيب أنها موظفة سفارة هي ومن معها ، كان يرافقها دائما شابان كوبيان ؛ لابد أنهم رتبوا لتلك الحيلة قبل ذهابنا بكم لدمشق عندما حضر شقيقي علي لإخذكم لبعنبس عند عمكم ، ثم رحلنا بحرا إلى لارنكا وتمت الحيلة عليّ ، كان خوفنا من مخابرات إسرائيل كبيرا علينا ، كانت

بيروت تعج برجال المخابرات والعملاء من كل أنحاء العالم ، كانت كوبا تدعم المنظمات اليسارية بالمال والسلاح .. كاسترو كان مع الثورة ، وكان يدفع ثمن الأسلحة الكورية والصينية .. عادت بي الذاكرة لتلك الجاسوسة ، لقد تزوجت نجيبا وأمنت له جواز سفر كوبي وهجرة لكوبا، وتركت أنا أشرب حسرة نجيب عارف .. فهم رتبوا أمر رحيله ، واعتقد أن والدك أقام معها علاقات جنسية قبل هربه ؛ فلذلك خدمته ؛ لكن الشرطة القبرصية كيف عرفت بأنه لم يقتل ؟ !وبأنه رافق امرأة .. هل مات حقا ؟!

قال الكوبي : مات في أول يناير بسكتة قلبية ، وأحرق جثمانه حسب وصيته ، وقمنا بما اتفقنا عليه معه ميتا وحيا .. وعليك يا جهاد أن تسافر لبلادنا كما وضحت لكم ، فبعد وصولي وتقديم تقرير سفريتي سأتصل بزياد ليرتب معي بسفركم لكوبا ؛ لتصفية أملاكه بمساعدتنا ونقل أمواله لبنوك أخرى ، والحصول على مذكرات الوالد.

انتهى اجتماعهم ودعاهم حبيب عارف إلى قاعة مطعم محترم بعد أن رتب معه منذ الصباح لوجبة غداء ، ولما انتهى الكلام حاول زياد والكوبي التملص من الدعوة ، وأمام إصراره انتقلوا للمطعم وقاعة الأكل المخصصة للأسر ، وحاولت زكية الانصراف ، فرفض حبيب اعتذارها ودخلوا قاعة الطعام ، وقدم لهم ما يشتهون ، وما طلبه حبيب ، فولائم حبيب متكررة لضيوفه وزواره خاصة من الذين يأتون من أماكن بعيدة .

وبعد الغداء تفرق القوم ، وتقرر أن يذهب جهاد لمكاتب شركة سام للبدء بخطوات التوكيل وتوقيع العقود والسعي لأخذ تأشيرات السفر من سفارات كوبا ، والتوكيل يحتاج لتوثيق من محكمة مدنية ، وليودعوا المحامي الكوبي الذي سيعمل الإجراءات المطلوبة لهم في كوبا ، فالمحامي راؤول سيسافر إلى إسبانيا ومنها إلى كوبا. لا توجد سفارة لكوبا في عنبس ، ولا رحلات طيران مباشرة بين القطرين.

انصرفت زكيه لمعرضها وهي في حالة نفسية محطمة ؛ كأنها لم تستوعب الخبر بحياة نجيب كل تلك السنين ، وغير مصدقة أن نجيب تركها كل هذه السنين ، ثم بعد تأمل تعذره .. حياته

أهم من الحياة معها ، وتحت الرعب ، وقد عانى من ذلك أثناء عيشهم بين ألغام بيروت .

قال جهاد وقد لاحظ اضطرابها : أتحتاجين لطبيب؟

تضاحكت وقالت : هذا الفعل كان أبوك بحاجة إليه .. أنا خير من يعرف الذي كان يحيط به .. كان مرعوبا وإن تظاهر بغير ذلك .. يرى كل غريب يدخل عليه إسرائيلي متخفي أو حتى امرأة .. آه! لو رأى مع الداخل حقيبة أو كيسا تخيله قنبلة موقوتة .. وينزعج من دخول العيادة رجل معه مسدس أو كلاشنكوف أو قنبلة يدوية .. واذا سمع باغتيال لمناضل فلسطيني من القامات يهمس لي : دوري قرب يا زكية أولئك الملاعين لا ينسون ثأرهم ؛ ليس محبة بالضحية وأهلها ؛ بل ليقال إن إسرائيل لا تنسى قتلاها وأبناءها ؛ كما يبتزون أموال ألمانيا باسم الهولوكوست .. كان مرعوبا.. الكثير من القيادات والأعلام اغتالتهم إسرائيل في بيروت .. فمنهم غسان كنفاني اغتيل في تموز ١٩٧٢ في بيروت بعبوة ناسفة وضعت في سيارته في نيسان ١٩٧٣ اغتالت الموساد ثلاثة قادة في بيروت محمد يوسف النجار كمال عدوان وكمال ناصر في عملية سميت عملية فردان ، في عام ١٩٧٩ اغتيل علي حسن سلامة بتفجير سيارة .. وغيرهم ممن لا أذكرهم نسيتهم مع خضم هذه الحياة وحدثت كثير من المواقف والنهافات تدل على انزعاجه وخوفه كنا اذا طرق أحدهم علينا البيت قرب منتصف الليل نذهب في خوف وقلق ولا نفتح متظاهرين بالنوم العميق .. لأن الحماية الفلسطينية للمهددين والمتعقبين وحتى القيادات ضعيفة ومزاجية .. احتاج لبعض الوقت حتى استوعب المغامرة الكبيرة التي قام بها أبوك .. أشياء كثيرة لم أفهمها إلا اليوم ..أنا تزوجت أباك في بيروت ولما رحلنا عنها كان عمر وردة عشر سنين .. وكان عمره من عمر وردة اليوم.. فلا أعتقد أنه تزوج الكوبية رغبة في النساء ، وأنه وقع في غرامها ؛ لنقول إنه أراد التخلص من أمك .. هي امرأة سمراء لما رأيت صورتها تذكرتها .. هو تزوجها من أجل تأمين رحيله وتأمين جواز سفر كوبي باسم جديد .

ـ هل تحبين أن أوصلك للمعرض ، واحضر العم بلص لأخذ سيارتك.

قالت : المسافة قصيرة .. صدق أني تقبلت القصة بصدر رحب .. كان نجيب يبحث عن حل .. وها هو وجده مع الكوبين .. اليوم عرفت مصير أبيكم ، وأنه لم يقتل أو يخطف في قبرص .. ولولا أن الرجل قال إنهم حرقوا جثته على حسب رغبته ووصيته لسافرت إلى قبره .. لقد أحببته وأخلصت له في مدينة إباحية كبيروت ذلك الوقت.. مع أنه لم يكن مخلصا ؛ ولكني أكبرت فيه حمله لقضية الشعب الفلسطيني ونضاله في فترة العنفوان الثوري والنضال العالمي من أجل قضية فلسطين والعمل كجاسوس من أجل أمته وقوميته .

قال : هذه هي الصفحة البيضاء في تاريخه ؛ كان شيوعيا ملحدا ، لا يؤمن برب لهذا الكون يا أمي ! الملحدون في بلادهم تركوا الكفر والإلحاد ، وعادوا لكنائسهم وها هو بوتين ابن المخابرات السوفيتية يعود للكنيسة الأرثوذكسية الكنيسة الشرقية.

قالت : سياسة يا ولدي .. هل تظن من ربيب المخابرات الروسية أن يعود لجلده ودين ؟



حفل عزاء

اتصلت وردة بجهاد ليلا سائلة : صحيح ما أخبرتني به أمي يا أبا عبدالله!

قال : صحيح ، والدنا اختفى بإرادته ؛ كما قالت شرطة قبرص يومذاك ، ولم تصدق أمك .. هاجر إلى كوبا بجنسية كوبية وجواز سفر باسم جيفر كرانسي تخلصا من مطاردة إسرائيل ؛ حيث كان متورطا في قتل صهيوني .. ومات في أول يوم من هذه السنة في يوم الحرية عند الكوبيين ، مات متأثرا بأحداث غزة من اطلاعه على صور المجزرة .. وفيديوهات مجزرة غزة حرب الرصاص المصبوب .. وترك أموالا في بنوك جزر الكاريبي وكوبا باسم عمي حبيب .. وعمل طبيبا وتجارة الأدوية في كوبا وبوليفيا والمكسيك وجزر الكاريبي .. وأوصى بكل ثروته وأملاكه لعمنا حبيب.. وسأذهب لكوبا أنا ومحامي شركة سام زياد حسن . . فهو دكتور في شركة قانون دولية لها فروع في أوروبا وأمريكا .

ـ أكيد أبونا كان هناك ليست لعبة مخابراتية يا جهاد!

قال متأملا : لعبة مخابراتية لاغتيال عمي أو أنا .. لا ، الاغتيال من الأمور السهلة عبوة ناسفة تلصق بالسيارة ينتهي المقصود .. وسائل القتل والاغتيال كثيرة يا وردة ، وأنت كيف الحمل عندك ؟

قالت : الحمد لله .. ما زال الحمل ثابتا ، والباقي والسابق على الله .. كيف زوجتك أم عبدالله؟

قال : مشتاقة .. قد نمر عليكم الليلة .. وعصام تحدث معي في نفس القضية.

قالت : سمعت أمي تريد أن تقيم عزاء .

ـ آخ على ها الأم .. العزاء سيحتاج لكشف الحقيقة للجمهور يا وردة .. فلتصبر حتى نعود من كوبا وتلك البلدان .. ونعلن عن الوفاة رسميا .. اقنعيها بذلك .. عمنا حبيب يرى أن نؤجل العزاء والنعي في الصحف حتى نرى ما يحصل لنا في كوبا .

ـ تعالوا تعشوا معنا ونتحدث.

قال : تكلمي مع سالم فهو موجود .. ولم يتفاجأ كلانا من حياة نجيب ؛ لأن شرطة قبرص

ذكرت الحقيقة من ربع قرن ؛ لكن أمنا رفضت تصديقهم .. ونحن لما وعينا اعتقدنا قتله وإخفاء بدنه أو ذوب كما نسمع عن تذويب البشر في سجون إسرائيل وزعماء العرب.. تذويب ابدأن خصومهم بالأسيد .

ـ شكرا حبيبي جهاد ، سأتصل بزوجة سالم وزوجتك مع السلامة .. تحياتي نلتقي على مائدة عصام بإذنه تعالى.

قال : السلام عليكم ، وسلمي على عصام والبطل الشجاع جوهر الذي لمنا بعد فرقة .

ـ شكرا جهاد شكرا ! كم كنت جاهلة ! غابت عني معاني الأخوة حتى جريدة ربما تنهي عقدها وعملها في الخليج إنهم يضايقونهم بالعمل ، لم تعد تلك الدول ترحب بهم .

تكلمت مع المطعم الخاص الذي تتعامل معه في الوجبات الجاهزة ، وطلبت ما تحب أن تقدمه لضيوف المغرب ، ولها خبرة في التعامل مع المطاعم من أيام حزب العصبة النسائية ، ولها خبرة بالأصناف التي يرغبها إخوتها وأطفالهم ، سالم وجهاد تزوجا أختين تعملان في الطب مثل وردة وجريدة ، امرأة جهاد طبيبة أسنان، واختها طبيبة باطني وأسرة ، كان مدير الشركة الدكتور إبراهيم وشركاؤه التي يعمل فيها جهاد بعدما تخرج من كلية حقوق جامعة بعنبس الدولية يتحدثان في مقر الشركة فسأله جهاد ذات مساء عن امرأة تصلح للزواج وابنة ناس محترمين .

فقال المدير : لي أخت طبيبة أسنان في سن الزواج ، توظفت حديثا ،كم عمرك ؟

ـ بالضبط خمس وعشرون سنة وتسعة شهور من جيل أختك حسب ما قلت .

قال : نفس السن تقريبا ، على كل شاهدها .

وجلسوا معا الشاب والشابة ـ كانت رندا لها سنة متخرجة من كلية الطب ـ فعرفها بنفسه ، وبعض المعلومات ، وشقيقها إبراهيم أثنى على جهاد ، وأنه شاب متدين ، ويحافظ على الفروض ، وابن ناس محترمون ، وله سنتان يعمل موظفا في شركته ، ثم أحضر عمه حبيب

للقاء والد رندا الدكتور المهندس أمجد محمد ، ووجد الرجلان نفسيهما يعرفان بعضهما قديما ، فسر الدكتور المهندس العامل في كلية الهندسة الحكومية في عنبس العاصمة من المصاهرة حتى أن حبيبا سأله: ألها أخت ؟

فتعجب أمجد : أتريد الزواج على أم عصام ؟!

ضحك حبيب قبل أن يجيب : لا ، أخ لجهاد المهندس سالم قبل وقت قريب طلب مني مساعدته بالزواج .

فقال امجد : لها أخت أصغر منها بسنة ، وقريبا ستتخرج من الجامعة طب عام وستتخصص بطب الباطني .. نادي عليها يا رندا قبل أن نغامر بالقبول .

نهضت رندا ، وهي تبتسم وبعد دقائق حضرت ريم ، وسلمت وأشار لها أبوها بالجلوس وقال : صديقنا الحبيب حبيب عارف يريدك لابن أخيه شقيق جهاد ما رأيك ؟ تتزوجان شقيقان.

ابتسمت وقالت : رأيي! ما هو رأيي يا رندا ؟

قال جهاد: سالم أكبر مني بسنة ونصف ، مهندس يعمل في التجارة والمصانع

قال امجد : خلاص يا حبيب ريم موافقة رندا لجهاد وريم لسالم .

قالت ريم : لم أر العريس.

قال حبيب : الآن سترينه .. اتصل يا جهاد بأخيك لا داعي للقاء جديد يا أبا إبراهيم .

اتصل جهاد بشقيقه سالم ، واختصر له الموضوع ففرح بذلك ، وقال: حلوة والله أن نتزوج أخوات يا جهاد! أنا قادم .

أخذ العنوان ، وسالم يعرف شقيق رندا المحامي إبراهيم ، عرفه عليه جهاد عندما كان يزور الشركة التي يعمل جهاد ، وهكذا خطب الشابان الأخوات ، وكان زواجها في ليلة واحدة ، وولد لسالم طفلتان لحد الآن ، وجهاد ولدت له عبد الله ومي .

―――

ودعت وردة عمها وزوجته فاعتذر بأن عليه زيارة لابنة أخته فاطمة الطبيبة علياء عبد السلام في تاج الزمان التي يجلها ويقدرها ، فأختاه سعيدة وفاطمة أكبر منه بسنوات ، فتمنت له التوفيق وأن يسلم على ابنة عمتها وزوجها الدكتور صالح الذي يعمل محاضرا في كلية الهندسة في جامعة تاج الزمان الحكومية .

تناول المدعون الطعام والشراب ، وشكروا الله تعالى على نعمه ، وانتقلوا لصالون الفيلا التي بناها عصام قبل الحادث بسنوات قليلة .

كانت وردة تميل بعمل البيت على المربية منذ بداية الحمل لوصايا الطبيب الخاص بعمليتها أن تقلل من الجهد البدني والعضلي حتى يثبت ويستقر الحمل ، فقللت من تعاملها مع المطبخ سواء الطهي الغسيل الكوي ، فكانت تساعدها المربية وسلمت العيادة لصديقتها علياء .

ومنذ زرعت الأجنة في رحمها وهي تسير بحذر وتعمل بحذر ،وتتعامل مع المطبخ بحذر ، لا تعمل إلا الشاي أو القهوة المحبوبة لزوجها ، والشاي المحبوب لها، قلنا أحيانا تميل وتطلب من مربية جوهر القيام ببعض الأعمال .



جلس الأخوة الثلاثة وزوجاتهم وأزواجهن يتسامرون ، ويتبادلون الأخبار ، وقص عليهم جهاد مقابلته مع محامي شركة سام والمحامي الكوبي راؤول عن سبب اختفاء الوالد ورحيله لتلك الديار متخفيا ومنتحلا اسما جديدا وجنسية جديدة ، وتكلم عن الصور التي أحضرها معه لنصدقه ، ويتأكد من صورة العم حبيب.

وداعبهم سالم قائلا : هذا والدنا غني للغاية يا جهاد !

قال جهاد : لا يقل نشاطا عن عمنا حبيب البركة .. وجدنا عارف كان ثريا أليس كذلك يا عصام ؟

قال عصام متذكرا يوم شكى له أمر العيادة وشريكه : علمني أبي كيف أصير غنيا ؟ لقد ترك الجد عارف ثروة كبيرة في زمانه ، كان يملك أراضي زراعية ربما أكثر من أبي .. عشرات من الدونمات الزراعية ، ولذلك وجه أبي لدراسة هندسة الزراعة ، واستفاد جدي ـ رحمه الله ـ من علم أبي الزراعي .

قالت وردة : عصام نحن تعلمنا من أموال جدنا عارف.

قال عصام :أبي الحاج حبيب لم يأخذ قطعة أرض من أملاك أبيه كميراث لما توفاه الله ، وفرق ميراثه لجدتي التي عاشت بعده ، أما جدتكم أم نجيب ماتت في حياته فأبوكم كما تعلمون من أم وأبي وعمتنا سعيدة وفاطمة من جدتي.. فأبي وعماتي شقيقات من أم وأب ، فورثت الجدة حصة .. وأبي باع كل أملاك أبيه ووزعها حسب الدين .. وبدا من الصفر في أملاكه.. هو كان له بعض الاستثمارات الخاصة في حياة أبيه .. فعمارة حبيب حيث حي البيان المطلة على شارع الجامعة بناها بالحصة التي ورثها عن الجد ، وحصة نجيب عمي وزعها عليكم باعتبار وفاة أبيكم ، ووضعت في مؤسسة رعاية الأيتام إلا وردة كانت تدرس في كلية الطب وبالغة السن المالي ، واعتقد عارفا ورث حصته أيضا ، فهي ظلت في البنك باسم نجيب حتى تيقن موته قانونا ؛ بحيث بقيت حتى أصدرت المحكمة حكما بموته بعد أربع سنوات من الاختفاء .

قال سالم : كان مال أبينا وميراث الجد عارف قصة عشنا فصولها ، ولما بلغنا السن المالي نقلت الأموال بحسابات بنكية لكل من بلغ السن القانوني للمال.

قالت وردة : أذكر أذكر ـ رحم الله جدي ـ كان غنيا .

ـ رحمه الله كان مثل عمنا .

قالت رندا زوجة جهاد : عفوا يا دكتور عصام سمعتك تقول عن عمي حبيب هو الذي صيرك غنيا كيف؟!

ضحك عصام ووردة وقال عصام موضحا : قل الناتج من دخلي في العيادة بسبب مرضي وعجزي ، وشريكي فيها كثر تذمره ، وكنت على وشك تطليق وردة كما تعلمون ، فقال لي : فك الشراكة ما دمت عاجزا عن العمل بيديك ، واعمل استثمارات تشرف عليها لا تحتاج لعضلات ، فامتلكت صيدلية في البداية ، ودفعني لشراء الكثير من الأسهم وامتلكت عمارة بمساعدته لتأجيرها ، فتحسن الدخل يا دكتورة بدون أن أعمل بيدي ، فزاد دخلي بفضل الله .. ولما عادت وردة لذمتي امتلكنا صيدلية أخرى وشاركنا في مصنع دواء .. المهم فتح والدي لي أبواب الرزق كما يفعل هو ، واليوم كل العائلة تستثمر ، ولا تكتفي بعملها .

قالت معجبة بحله لمشكلة عصام : رائع عمي حبيب يا وردة !

قالت بحب : أفضل رجل عرفته ! حكيم ألمعي .. كان له الفضل في عودتي لعصام .. وأنت تعرفينه جيدا.

قالت : نعم جاء مع أبي عبد الله لخطبتي ، وخطب ريم بالمعية لسالم ، وهي على مقعد الدرس .. هو والد لجهاد وسالم كما علمت .. وكم يحب الأطفال ، ويرسل لهم الألعاب والهدايا ؟.. وأكيد جوهر يأخذ نصيبه .



تراجعت زكية حسني عن إشهار موت زوجها وإقامة سرادق عزاء ، وتأجل حتى يعود جهاد بالخبر اليقين من رحلة كوبا وبوليفيا وجزر الكاريبي.

قامت شركة سام الدولية بترتيب أمر الوكالة باسم جهاد عارف ، وهي وكالة خاصة لنقل أملاك وأموال جيفر كرانسي المسجلة باسم حبيب عارف لجهاد نجيب عارف ، وتم تفعيل الوكالة في محكمة مدنية ، فوافق حبيب على نقل الأموال والأملاك المسجلة باسمه إلى شخص المحامي جهاد ، مضى حزيران في ترتيب الأوراق والوثائق المطلوبة في هذه الرحلة ، وأرسل لهم راؤول إذن السفر لدخول كوبا لتصفية ممتلكات جيفر ، ورحل جهاد وزياد من بعنبس إلى إسبانيا ؛ لأن إسبانيا قد استعمرت كوبا وكل دول أمريكا اللاتينية ما عدا البرازيل كانت من حصة البرتغال ، واستمر الاستعمار إلى أربعة قرون.

وهي التي اكتشفت الأميركتين ، وبدأت الهجرات الأوربية والاستعمار إليها وامتصت خيراتها حتى بدأ الاستعمار الأوربي ينحسر عن تلك البلاد ، فكوبا أغلب سكانها الأصليين قضت عليهم إسبانيا ، والأمراض التي حملها الأوروبيون معهم قضت على الباقي ، لذلك أغلب اليوم سكانها من الأوروبيين والملونين والعبيد الأحرار والعبيد غير الأحرار ، وظهرت الأحزاب الاشتراكية في القارة ، ثم تحولت لأحزاب شيوعية متأثرة بلينين وستالين ، وأخذت تتملص من القبضة الأمريكية الشمالية ، وفي مطلع تسع وخمسون سيطر الشيوعيون على حكم كوبا بزعامة فيدل كاسترو .

وأصبح القطاع الخاص ضعيفا ، وسيطر القطاع العام على الدولة ومؤسساتها وبقيت بعض المؤسسات للتعامل مع دول الاقتصاد الرأسمالي الحر. كانت كوبا ضمن منظمة أمريكا ، ثم انسحبت بعد سيطرة فيدل كاستر الشهير على الحكم الشمولي للبلاد ، حتى اضطر أكثر من مليون كوبي للهجرة للولايات المتحدة. عُقد المؤتمر العالمي التاسع للبلدان الأمريكية في بوغوتا بين شهري مارس ومايو عام ١٩٤٨ بقيادة وزير خارجية الولايات المتحدة جورج مارشال،

وقاد الاجتماع إلى تعهد الأعضاء بمحاربة الشيوعية في الجانب الغربي من الأرض ، كان هذا هو الحدث الذي شهد ولادة منظمة الدول الأمريكية كما هي اليوم ، بتوقيع ٢١ دولة أمريكية على ميثاق منظمة الدول الأمريكية في ٣٠ إبريل ١٩٤٨ ، دخل حيز التنفيذ منذ ديسمبر ١٩٥١، وتبنى الاجتماع أيضًا الإعلان الأمريكي لحقوق وواجبات الإنسان، وهو أول أداة عالمية لحقوق الإنسان ، ومقرها الرئيسي في واشنطن عاصمة الولايات المتحدة، وأعضاء منظمة الدول الأمريكية هم الـ ٣٥ ولاية المستقلة في الأمريكيتين .

كانت أمريكا تمنع الأوروبيين من التدخل في العلاقات بينها وبين الجنوبية؛ ولكن الحركات والثورات الاشتراكية والشيوعية تؤرق أمريكا ، وخفت القبضة الشمالية عن الجنوبية ، وتكلفها غاليا ، وهي عدوة لكوبا وتحاصرها من مطلع الستينيات ، سكان كوبا يقربون من عشرة ملايين .. وتشتهر كوبا بالتبغ والسيجار الذي يتهادى بك ملوك وزعماء العالم ، وتشتهر بصناعة السكر ، وتصديره لأكثر دول العالم.

مكثا ليلتين في مدريد ، وسافرا إلى ميامي في فلوريدا ، وبعد يومين الراحة رحلوا إلى مطار هافانا الدولي ؛ حيث كان في استقبالهم المحامي راؤول ورجل آخر من الشركة ، وساقوهم إلى فندق تم الحجز لهم فيه لمدة أسبوع قابلة للتمديد.

كان يحكم كوبا قبل سفرهم فيدل كاسترو شيوعي ماركسي ، أكثر شيوعية من شيوعي الاتحاد السوفيتي . استراحا يومين كضيافة ، ثم باشروا العمل ، وبدأت حركتهم مع البنك المركزي الكوبي البنك الرئيسي للمعاملات المالية في كوبا ، ومراجعة بعض المؤسسات المالية الكوبية والكاريبية لنقل أموال جيفر لجهاد عارف وكيل حبيب عارف ،ولم تكن الإجراءات ميسورة بسبب البيروقراطية والتشاركية المعقدة .

استمر تحركهم شهرا ونصف ، وتم الخلاص من بعض أملاك جيفر ، وترك المحاميان ما تبقى للشركة بتوكليها بالمتابعة ، لقد كان له مساهمات في شركات تبغ ومشاغل أدوية ، وتركوا لهم تحويلها لسويسرا لبنك لهم فيه حساب لشركة سام .

تم تحويل أموال جيفر بعد إجراءات بنكية إلى بنك إسباني ، فتحوا فيه حسابا قبل مغادرتهم مدريد حسب تعليمات شركة راؤول، فأصبحت الأموال باسم الوكيل جهاد نجيب عارف ، وفكوا أسر مذكرات نجيب ، وإفراغ خزانته الخاصة ، وأخذ الصور منها وتحويلها لحبيب عارف في بعنبس .

فلما استقرت في يدي حبيب وضعها في خزانته الخاصة في البنك الإسلامي الدولي في المدينة ؛ حيث يستأجر خزانة أمانات من البنك يضع فيها الوثائق والعقود المهمة خشية السرقة والحريق، ومعها بعض المجوهرات الثمينة التي تملكها في ظروف معينة أو أهديت إليه من الخلان .

في منتصف آب وصل جهاد وزياد للديار ، وتركوا لشركة راؤول الدولية تصفية وبيع ما تبقى من أملاك جيفر ، وأخذ مستحقاتهم وإرسال الباقي لحساب شركة سام في سويسرا.

فكوبا دولة كانت تعتمد اعتمادا كليا على الاتحاد السوفيتي ، لأنها مخلب له في الغرب ، وتعتمد عليه في النفط والغاز ، وبعد سقوط الاتحاد أصبحت تحت حماية الروس والصين ، وتسليحها سلاح روسي ، وكان شافيز زعيم فنزويلا يدعمها بنسبة كبيرة من النفط ، ورغم انتهاء الحرب الباردة ، فهي لم تنته عندها الحرب الباردة ، وظلت موالية للشيوعية العالمية ، ومخلب الصين وروسيا .

حينما وصل جهاد المدينة بعد رحلة طويلة في أمريكا الجنوبية استغرقت ستة أسابيع نشرت زكية نعيا لزوجها في عدة صحف ، وربما في كل الصحف اليومية والمحلية في البلاد الشامخة تعزي فيه نفسها وأولادها وأقاربهم بوفاة الدكتور المناضل نجيب عارف في كوبا بعد اختفائه في دولة قبرص .

كان الإعلان مثيرا ومدهشا للناس الذين يعرفون زكية أو قربين منها ويعرفون قصة الوفاء ، وذهابها المستمر والمتكرر كل عام لقبرص ؛ حيث فقدته لإحياء الساعات الأخيرة من حياتهما

كزوجين ، كانت تسافر لتلتقي زوجها المختفي .

ونشرت بعض الصحف مقابلات قصيرة مع المحامي جهاد وسالم وحبيب وزكية نفسها أكدوا فيها أن اختفاءه كان بمحض إرادته واختياره بعد خروج الثورة من بيروت ، وزالت عنه الحماية الشخصية بسبب الانسحاب الشهير ، وأنهم عرفوا بحياته من عهد قريب .

وعملت زكية بيت العزاء في نادي العائلة الخاص ، وأم العزاء خلق كثير ممن عرفها وتاجر معها ، وشارك في هذه المأتم الاستثنائي سوى زوجها ابنها الدكتور عارف فقط.

أما حبيب فتقبل العزاء في بيته دون مظاهر عزاء ، ولم ير ما فعلته زكية صحيحا ، ومثله جهاد وسالم ووردة اكتفوا بتقبل التعازي على الهاتف ، ومن أتى البيت لهذه الغاية مما دفع بعضهم ليقول لزكية عن سبب عدم ظهورهم في العزاء ، فأجابت هؤلاء لا يؤمنون بالعزاء على هذه الصورة ، وهم يرون أباهم كافرا .

وعلم الناس بالثروة الكبيرة التي تركها نجيب لأخيه حبيب ، وفهم الكثير من المعارف والناس سبب اختفاء نجيب وتغيير اسمه وحمله جنسية كوبا ، وأنه كان مناضلا ملاحقا ، وكان عضوا في المنظمات والفصائل الثورية لتحرير فلسطين ، وشارك في قتل ضابط إسرائيلي قبل أربعين سنة .

ولما استقرت الأموال في بنوك المدينة تبين لهم أنها أموال كافر، ولا يجوز أن تكون ميراثا ، واقترح أحد المفتين بها أنها وصية لحبيب ، فهي صارت مالا حلالا ؛ لصحة هبة الكافر للمسلم والوصية له ، والعكس صحيح ، فالنبي ﷺ تقبل هدايا الكفار كالمقوقس ملك مصر في عهده وغيره من الملوك ، واليوم الدول العالمية الغنية تمنح وتقرض الدول العربية والإسلامية ، فتصح الوصية بالمال للكافر والمسلم للكافر كوصية ، وبما أن حبيبا لا يرغب بتملكها ، وأنها من حقهم كأبناء توزع على الجميع بالتساوي الذكر والأنثى ، فهي أموال لا يجوز التخلي عنها وإضاعتها ، وتركها للكفار ، وحلت المسألة حسب هذه الفتوى ، أي أنها هبة وعطية من العم لأبناء أخيه وزوجته، ووجد هذا الحل ارتياحا لدى حبيب وجهاد وسالم

ووردة ، وقبلت زكية وعارف وجريدة بذلك ؛ بل فرحت جريدة ؛لأنها المستفيدة بتساوي نصيبها مع إخوانها الذكور، مع أن مفتيا آخر أجاز تقسيم الهبة والعطية على طريق الميراث الشرعي ، وهى لا تعتبر ميراثا لهم ؛ لأن حبيبا حي فهي عطية .

وقدمها حبيب مسرورا لأبناء أخيه ، فهم أحق بها منه. وهو ليس بحاجة إليها ، بل رفض بشدة عندما رغب أبناء أخيه تقديم سيارة كهدية وعرفانا بالجميل أو فيلا تسجل باسمه، شكرهم ورفض بكل قوة .

وقال : أخي جعلني أمينا عليها ، فهي لكم ، وإن كنتم لستم بحاجة إلى المال ، لكن زيادة الخير خير .. هل استلمت جريدة نصيبها؟

ـ وضعناه في البنك على حسابها ، وهي ممتنة لك ، وتقدر موقفك الشهم ، وهي تنتظر إنهاء العقد آخر هذا العام ، وستقوم بعمل مستشفى خاص بها وبزوجها شهاب.

ـ أحسن عمل وفقكم جميعا الله.



تكلم اللواء خميس هاتفيا مع زكية ، وقدم لها العزاء مع أنه أمّ بيت العزاء ، واتصل بالمحامي معزيا ، ولخص له جهاد حكاية اختفاء أبيه بعد بدء خروج محاربو المنظمات من بيروت حين الاجتياح الإسرائيلي عام اثنين وثمانين ، فذهب لقبرص وهناك عمل تمثيلية على أمي ، واختفى إلى كوبا ، وقضى ما تبقى له من العمر حتى توفاه الله ، ولولا الأموال التي جمعها ؛ ربما ما عرفنا بحياته أبدا ، ترك ثروة باسم العم حبيب أخيه .

لما سمع خميس المعلومات التي قرأ مثلها في الصحف ، وأشبع جهاد فضول ضابط المخابرات المتقاعد سأله عن آخر أخبار الدكتور وائل .

فقال بسخط : علمنا أنه ترك غزة هو ورفيقه إسكندر بن فينوس حتى أخبرني أبوه اللعين أنهم بعد تقديم المعونات تركوا الحملة ، ورجعا لمصر ، ثم اليونان ، وأخبرني السيد فينوس أن ابنه انفصل عنه، وسيمكث في أثينا عدة أشهر ليعمل في أحد مشافي المدينة ، فهو له عشيقة أو صديقة في المدينة ، وأن الدكتور وائلا ترك اليونان تجاه أوروبا ، والراجح في رأي ابنه نحو روما .

قال جهاد مستفهما : هل تراه تعاقد على عمل ؟

ـ لا أحد يعلم .

قال : هل هو غني ؟

قال بغموض: منذ استقر في بلادنا وهو يعمل في المستشفيات والعيادات الصحية ولا تلفن مع زوجته ليطمئنها .. وضعنا في وضع حرج .

قال : ما الحل يا سيدي ؟!

أجاب :لا ندري ! أخته أسيل زياد لا تعرف شيئا ، ولا يتصل بها ، وتكلمت مع أسرتها في فلسطين ، لا يتصل بهم منذ زمن بعيد ، فهو منذ حمل جنسية بلادنا لم يذهب لوطنه الأصلي إلا ثلاث مرات .. وذلك بعد التخرج .. أما أيام الدراسة فكان كل فصل صيفي يعود للأهل

ولأخذ المال .. وحين ضحك على علا وتزوجها لم يذهب ولا مرة لفلسطين ..كان يسافر قبرص اليونان تركيا لعلاقته القوية مع اسكندر وشقيقته وزوجها ، ولما تهاجرا هو وابنتي ، كان يسافر لأوروبا وشرم الشيخ للبغاء والزنا.. كل إجازاته يقضيها في السفر والسياحة ، لا زوجة ، ولا أولاد ، حتى كما تذكر لما ضحك على الدكتورة وردة احتفلوا بزواجهما الوهمي في سويسرا .

قال : أنت ذكرت لي أنه كان يهدد ابنتك بالسفر إلى كندا أو نيوزلندا أو أستراليا

قال خميس : سمعنا كلامه وتهديده ، وكنت وما زلت أظنه كلاما فارغا ؛ ليضغط عليها وترجع لشقته .. السؤال المثير يا جهاد لماذا فعل ذلك بعد عودة علا ابنتي إليه ؟! كان يهدد بالهجرة لتعد له الصبية .. ونجح .. هو رجل حقير انتهازي.. سلم لي على عمك حبيب ، فهو رجل عظيم الذي تنازل عن هذه الثروة التي كتبت باسمه! فالتخلي عن دينار صعب على النفس ، وأعاد المال إليكم كما ذكرت بعض الصحف.

قال : عمي رجل يحب الآخرة يا سيدي!

ـ سلم عليه شكرا لك.. وأنا في خدمتكم .. هل نستطيع رفع قضية طلاق على الملعون ؟

قال : تستطيع ؛ لكن تأخذ وقتا يا سيدي اللواء .

اجتازت وردة الشهور الأولى من الحمل ، وثبت الحمل بفضل الله ، مضى أيار وحزيران وتموز وآب ، وغمرت السعادة محبيها ، وسمح لها مركز علاج العقم بمزاولة عملها الطبي مع الكثير من النصائح والإرشادات . عادت للعيادة بحيوية ونشاط ، وفرحت كاتبة العيادة بعودتها وقدرتها على متابعة المريضات والمراجعات ، ورحبت زميلتها علياء بمجيئها للعيادة ، فعلياء كانت تعمل في العيادة بعد الظهر بسبب دوامها الصباحي في مستشفى الحكومة مستشفى بعنبس العام القسم النسائي.

طلبت وردة منها الاستمرار معها حتى تلد ، وعرضت عليها المشاركة في العيادة وترك عملها

في المستشفى .

قالت علياء: أشكرك جدا .. سأفكر .. عقدي معهم ينتهي نهاية العام في ديسمبر وهو قابل للتجديد ، عملت معهم بعقد على أمل أن أجد فرصة في الخليج .

قالت : علمت قصتي والمال الذي هبط علينا كما يقال من السماء.

قالت: الصحف أوجزت قصة الدكتور نجيب عارف والدك .. ولماذا عملت أمكم عزاء ، وأنتم لم تشاركوا فيه ؟ !.. ذهبت إلى المكان ، ولم تكوني بين الأهل فعزيتك على التلفون .. وقلت عندما نلتقي وجها لوجه ستبينين لي ما خفي.

ابتسمت وردة وقالت : أبي مات يا علياء منذ عام (٨٢) اختفى من حياتنا واعتقدنا أنه ميت .. ونحن عشنا أيتاما أمام الناس ، ولم تظهر جثته للعيان على أنه ميت ، وبعد سنوات اعتبرته المحكمة ميتا ، كان عمري عشر سنين تقريبا ..وأنا أكبر إخوتي .. كنا تلك الأيام نسكن في بيروت لبنان .. فأعرفه جيدا .. فعشنا على أنه ميت .. ولما كبرنا عرفنا أهم تفاصيل حياته .. قبل أشهر أثناء انشغالي بزرع الأجنة ، حضر محامي من كوبا علمنا منه بحياة نجيب باسم وجنسية كوبية ، ولم يكن ميتا حقيقة ، وأعلمنا القادم من غرب المحيط أن والدنا نجيب مات في الأول من يناير من هذا العام ، وترك ثروة باسم عمي حبيب والد زوجي ، وأن عليه أن يسافر لأخذ هذه الأموال .. وعرفنا قصة الخلاص من أمي ومنا من أجل العيش والحياة بسلام وأمان.. وحمل الجنسية الكوبية باسم كوبي .. وقد سجل كل أمواله للعم حبيب.

قالت بدهشة :كلها!

قالت : نعم ، في حال موته تنقل كلها لحبيب عارف ، وذهب شقيقي الغالي على قلبي جهاد بتوكيل رسمي موثق وحولها إلى بنوك أوروبية ، ولما رجع قسمت بيننا بالتساوي ، فهي ليست لنا ميراث هي لعمي ، وتنازل عنها لنا ، ولم يأخذ شيئا منها رفض البتة.

قالت بعجب :كلها طبعا!

قالت : هو عمي أخو أبي ، وعمي بزواجي من ابنه ، رفض حتى أي هدية منا فلذلك أفكر

بعمل مستشفى خاص مع أختي مع أن أختي هي التي طرحت علينا هذه الفكرة فزوجها طبيب وزوجي أيضا طبيب ؛ فاذا لم نوفق إلى ذلك سيكون مصنعا لصناعة بعض الأدوية ، واذا أنشأنا مستشفى سيكون مخصصا لعلاج النساء والعقم والأمراض التناسلية للنساء ، وسيكون قسم أو جزء للنساء الفقيرات كوقف يا علياء .. وأما العزاء المشوه فرأى عمي أن الوقت قد فات وغير مناسب لعزاء .. فأبي مات بالنسبة للعائلة من ثلاثين سنة ، ومات واقعا في أول يناير ، وثالثا لا ير عمي وسالم وجهاد صواب ذلك ، وأن الاجتماع للعزاء بتقديم الطعام والأشربة ؛ كأننا في عرس بدون موسيقى ورقص ..وهذا مخالف للدين ؛ إنما هو عادة لا أكثر .. كانوا غير موافقين على أفكار أمي .. فقامت بتنفيذ أفكارها وحدها وابنها المدلل الدكتور عارف .

ـ الذي يسكن معها.

قالت : أنت تعلمين أن أمي لا دين لها، تؤمن بالله كما تقول ؛ ولكنها لا تطيعه قريبة للإلحاد .. مثل الذين يسمون أنفسهم اللادينيين يقولون الله خلق الكون وأهمله وتخلى عنه حتى يتحرروا من الصلاة والصوم والأخلاق الحسنة، ويتعاملون بالربا والرشوة.

قالت : رحم الله والدك .. والإنسان حر في اعتقاده ..يا وردة كلما أجلس معك ونتحاور أقارن بين وردة القديمة ووردة الجديدة أتعجب فعلا من قدرة الله الرب سبحانه وتعالى!

تنهدت وهمست : آه يا علياء ! كنت في ظلام دامس وليل أسود حالك .. فعلا الجهل بالله سواد وظلم للنفس .. كيف أنت مع الإيمان ؟

ـ أنا وسط.. أصلي مثلك ؛ ولكني أتساهل في اللباس الديني !

قالت وردة : أدعو الله أن يقوي إيمانك .. اللباس مع الوقت يصير عادة ، وأمر طبيعي ، ويذهب الحرج وكلام الناس .. هداك الله ، وما دمت تصلين فسوف تتغيرين للأفضل بإذن الله .. كيف الدكتور ناصر زوجك ؟ هو ملتزم.

قالت بابتسامة : هو مثلي يصلي ويصوم ؛ ولكنه غير متشدد مثل شقيقك جهاد.

قالت : الإنسان بدون إيمان وعمل صالح كالأنعام ؛ بل أضل كما أخبر القرآن قال ربي في سورة محمد صلى الله عليه وسلم ـ وتمتمت علياء بالصلاة على النبي ـ : {وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ} وقال سبحانه في سورة الأعراف { وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ } أرأيت ؟!

قالت بانبهار : حفظت المصحف !

قالت : لا ، حفظت جزئيين عم وتبارك وآيات متفرقات أتوقف عندها وأتأملها أجد لها صدى في قلبي وحياتي .

وقالت : فتح الله عليك وبلغك الغاية .

قالت: جميعا بإذن الله .

عندما دخل شهر تشرين الأول أكتوبر تلقى جهاد عارف هاتفا من خلال مكتب صهره الدكتور إبراهيم امجد من أمستردام ، استغرب بداية الاتصال ، فهم لا معاملات لهم خارج البلد ، قضايا مكتبهم داخلية أو محلية ، عادة اذا كان الاتصال على التلفون الأرضي يرد على الاتصال الدكتور احمد أولا ، ثم يشير لمن تخصه المكالمة ، ومكالمات الموبايل كلٌ له هاتفه ، قال احمد موظف الشركة القانونية : مكالمة لك من أمستردام !

قال جهاد دهشا : أمستردام هذه عاصمة بلجيكا! لا ، لا عاصمة هولندا!

ـ نعم ، هولندا .

ـ ممن؟!

ـ صوت رجل عربي لم يذكر اسمه يريد الكلام مع المحامي جهاد عارف ؛ ربما أموال من كوبا.

ضحك جهاد وقال : أموال كوبا ستذهب إلى سويسرا على حساب شركة سام الدولية .

قال احمد: ارفع السماعة .

كل مكتب عليه هاتف أرضي ، رفع السماعة وقال وهو يضع الهاتف على أذنه وفمه : السلام عليكم المحامي جهاد عارف .

ـ كيف حالك؟

قال : الحمد لله .. من المتحدث ؟

ـ أنا وائل زياد ، لابد أنك سمعت بهذا الاسم.

صمت جهاد حتى سمعه يقول : أنت ما زلت على الخط !

انتبه جهاد بأنه سرح فقال مهاجما : ما المطلوب مني ؟! أنت تتكلم من هولندا اخبرني عمك خميس أنك تركت اليونان !

قال : أنت تعرف العم خميسا والد الملعونة زوجتي!

قال : أجل ، وهو منزعج من تصرفاتك الغامضة.

ـ تصرفاتي الغامضة جميل ! إنك تعرف خميسا.

قال : وما الجميل؟

قال : الجميل يا سيدي المحامي أني أريد أن أكلفك بإقناع خميس جعلونة بالتخلي عن الخمسين ألف دولار لأطلق ابنته ، فلن أرجع إلى بعنبس نهائيا ؛ لعلها تجد ذكرا غيري يا أستاذ جهاد ! قد أعود لبلدي إسرائيل حيث أني عربي ومواطن إسرائيلي بحكم الولادة ، ولم يهرب أهلي من إسرائيل ، وقد أبقى هنا مع عشيقتي الأوروبية ، ونحن في غاية الانسجام لحد الآن ، فأردت تكليفك بهذه المهمة وتكليف مكتبكم بطلاقنا .

فقال جهاد بنفس الهجوم والاحتقار : جيد يا دكتور ! السيد الفاضل خميس جعلونة فعلا راغب بالطلاق .. فهو غاضب جدا من خروجك لغزة واليونان دون إعلام زوجتك .. فكان على الأقل بعث رسالة الكترونية تبين الحال .. فقد ظنوا أنك أصبت بحادث ، ودخلت في غيبوبة واتصلوا بكل مستشفيات البلد

ـ هذا أنت مطلع على الملف بشكل جيد !

قال: سأتكلم معه في موضوع الخمسين ألف ؛ ولكن .. كيف سيكون الطلاق هل ستدفع للبنت شيئا ؟

ـ سأدفع فقط خمسة آلاف يا سيد جهاد من باب الإحسان وعشرة الشهور التي عشناها سوية .

ـ سأرتب لك قضية الطلاق مع محامي شرعي مختص ، وأعمل بينكم إتصالا .. ألا تستطيع الحضور لإيقاع الطلاق في المحكمة أمام القاضي وتعود لعشيقتك الهولندية ؟

قال : هي أوروبية ليست هولندية يا أستاذ جهاد .. سأفكر بعرضك .. وأشكر تعاونك وتطفلي عليك .. شكرا والسلام عليكم.

وضع جهاد السماعة والتفت لإبراهيم نسيبه ورفاق الشركة وقال : شخص بغيض يا إبراهيم

نسيب اللواء خميس جعلونة الهارب من زوجته المختفي من عام يريد تطليق زوجته علا ابنة اللواء ، ويريد مساعدة في ذلك .. كيف حصل على رقم مكتبنا؟

قال إبراهيم شقيق رندا زوجة جهاد مجيبا : عن طريق النقابة أو عن طريق وردة أختكم وهناك طرق أخرى .

قال : لا أعتقد عن طريق وردة ، فوردة بعدما اتصل بها يسأل عني أثناء وجودي في غزة الأبية تخلت مضطرة عن خطها القديم ، واشترت رقما آخر من شركة ثانية .. ولماذا يريد مني أنا التوسط بينه وبين اللواء ؟ .. لماذا لم يتحدث مع زوجته مباشرة ، ويعرض عليه العرض؟ .. فهم يريدون الطلاق فعلا .. اخبرني اللواء بذلك .. فحشري في الموضوع لم افهمه!

قال مهران الشريك الثالث مع إبراهيم واحمد : فعلا ، لماذا جهاد عارف؟!.. أنت لست صديقه ، ولا تحدثت معه قبلا .. فهذه أول مرة أعرف أنك تكلمت معه .

قال : يريد تخفيض مؤخر الصداق من خمسين ألف إلى خمسة آلاف ؛ ليعلن الطلاق ، وأتصور أن السيد اللواء سيوافق .. فالأسرة حزمت أمرها على الخلاص منه.. لقد أسأ لهم كثيرا .

ـ هل ستكلم أبا سليم ؟

قال : الأفضل أن أفعل .. ولسوف تتكشف أسباب هذا الاتصال وحشرنا فيه أو حشري فيه شخصيا .

خرج احمد ومهران لتأجيل جلسة في المحكمة .

رن على عيادة وردة ، فقالت له نوال بعدما عرفته: إنها في غرفة الفحص والعلاج يا أستاذ جهاد .

ـ العفو ، لما تخرج دعيها تتكلم معي ولو دقيقة.

قالت : ماشي يا سيدي .

وضع السماعة وقال : مشغولة .. احمد ومهران ذهبوا للمحكمة ..

قال إبراهيم : هناك تأجيل لجلسة كما فهمت منهما .. لدينا قضية جديدة يا أبا عبدالله

ـ قضية تاجر القطن !

ـ أجل ، قضية تاجر القطن سميح .. ملخص القضية كما سمعتها منه إنه استورد كمية من القطن الهندي لمصنع جيهان للنسيج ، ولما وصلت الكمية من الهند أو باكستان رفضت الشركة استسلامها وقبولها بزعم أنها لم توافق المواصفات في العقد الأولي .. غير مطابقة ، ولم تدفع تكاليف الشحن ، وثمن البضاعة ، فيريد رفع قضية على شركة جيهان للنسيج ؛ بل الشركة رفعت عليه قضية غش وتلاعب بالمواد القطنية ، وهو يقول يعطوني تكاليف النقل والتحميل والتفريغ .. والبضاعة سأبيعها لشركات أخرى .

قال : كقضية زيادات التي قتل فيها صاحب المخبز .

بعد يومين من مكالمة هولندا اتصل جهاد من المكتب بأمسترادام على الرقم الذي أرسله وائل برسالة نصية "مسج " فردت عليه امرأة ، فتكلم معها بالإنجليزية وأدرك أنها عشيقة وائل ، وذكرت أن الدكتور خارج المنزل ، فطلب منها أن تخطره باتصاله ورغبته بالحديث معه.

بعد مضي أكثر من ساعتين اتصل وائل بمكتب وشركة المحاماة ، ولما رد جهاد نجيب قال وائل متعذرا : كنت في السوق أشتري بعض الكحول يا أستاذي هل كلمت خميسا ؟

قال : لا ، سأكلمه في الوقت المناسب إن شاء الله تعالى.

قال مستفهما : لماذا ؟! وما هو الوقت المناسب ؟ أنا اذا وافق على العرض سأحول المال على حسابك أنت فأنت ثقة عندي .. وأنت أهل ؛ لتكون وسيطا مقبولا يا أستاذ جهاد .

قال : أشكرك ؛ ولكن الذي سيتولى القضية محامي شرعي ؛لأن هذا الأمر يتعلق بالأحوال الشخصية زواج طلاق ميراث.

قال مستلسما : محامي شرعي محامي شرعي المهم أن الأموال ستكون باسمك وأتعاب المحامي ستكون بيني وبينه .. المهم أخلص من علا والخمسين ألف وفقه خميس.

ـ والطلاق!

قال متنهدا : اذا رتبت الأمور قد أحضر ؛ كما اقترحت في التلفون الماضي أو يقوم المحامي الشرعي بنقل طلاقي للمحكمة ويكون غيابيا.

ـ ممكن .

قال : رتب الأمور مع خميس وزميلك المحامي الشرعي.

قال : سؤال يا دكتور!

قال وائل : لماذا اتصلت بك بالذات ودخلتك بالموضوع؟

ـ آ

قال : لم احصل على رقم مكتبكم من وردة يا سيدي .. أنا تكلمت مع شقيقة علا القانونية بسمة خميس .. أتعرفها؟

قال جهاد : أجل ، أعرفها كزميلة وعضوة في مجلس النقابة .

قال : صحيح .. أنا أقدر هذه الفتاة حق التقدير .. وهي تفهم الدنيا والناس أكثر من علا وغيرها .. فعُلا مغرورة ! وكأن لا أحد والده في المخابرات إلا هي .. فهي أنثى خبيثة أيضا .. تحدثت مع بسمة باحثا عن حل ، فأشارت إلى مكتبكم وإليك شخصيا، وبينت أن بينك وبين والدها علاقة شخصية فتصلح أن تكون وسيطا بيننا .. فالرجل يتحدث عنك بإعجاب ومدح ،وأعطتني رقم مكتبكم والاستعانة بك .. أريد أن أخلص منهم ، ويخلصوا مني.. أرجوك تفاهم معهم مع اللواء خميس اللواء الفاضل.

قال : حسن يا دكتور وائل! بعد أربع وعشرين ساعة بعون الله سأخبرك بنتيجة الشفاعة حول الخمسين ألف .. كيف قبلتها أنت؟ الرجل وضعها ليصرفك عنها

قال باسما : لست غبيا .. أنا فهمت ذلك يا جهاد! هو لا يريدني زوجا لابنته ، لو كنت ترى دموعها وذلها بين يديّ عندما أتحدث معها وأواسيها لما استغربت .. الآباء الذين مثل خميس لا يفهمون بناتهم .. هم يعتقدون أن البنت اذا حصلت على شهادة كبيرة أصبح الأزواج مجرد ديكور ، تشير إليهم بطرف إصبعها فيلبون أو غمزة عين فيركعون ، ولعبة الزواج زواج ، مهما

كان مستوى الذكر.. هم الناس لماذا يتزوجون ؟! من أجل تلك الدقائق بين العشيرين فحسب ! لا شهادات ولا راتب في الجماع .. فعلاقات الرجال والنساء معقدة مهما حاول علماء الاجتماع فهمها.

انتهت المكالمة مع هولندا وحول الاتصال إلى مكتب الدكتورة المحامية بسمة خميس ، وطلب الحديث معها بعد أن عرف عن نفسه ، فذكر له المجيب أن المحامية في المحكمة تتابع جلسة في قصر العدالة في عنبس العاصمة .

وقال : إن كان الأمر مستعجلا سأرسل لك رقمها الخاص أو أعطني رقم مكتبكم أو رقمك الخاص.

قال : شكرا ، ما دامت في المحكمة .. حين تعود تتصل بمكتبنا شركة العدالة القانونية إبراهيم وشركائه .

وذكر رقم الشركة الأرضي ، وهذه الشركة تهتم بقضايا التجارة ومنازعاتها الداخلية وقضايا الجنايات الكبرى والقليل من القضايا الأخرى. قبل حلول الإغلاق اتصلت الدكتورة بسمة بمكتب شركة العدالة القانونية وطلبت الحديث مع المحامي جهاد نجيب ، فأخذ جهاد السماعة من يد إبراهيم ورحب بالدكتورة ، وعرف بنفسه وأشار لزملائه بالانصراف .

قالت بسمة بعد التحية والسلام : أنا سعيدة بالحديث معك يا أستاذ جهاد علمت أنك اتصلت بنا للحديث معي .

قال : كيف الحال؟

قالت: نحن نعرف بعضنا من خلال النقابة ، وأنت دائما مع التيار الإسلامي ومحسوب عليه ؛ ولكن لم يكن بيننا لقاءات خاصة.

قال : صحيح .

قالت : أبي خميس معجب بك بأخلاقك ونشاطاتك الاجتماعية والإغاثية وهمتك العالية.

ـ شكرا لك ولأبيك المحترم .

قالت : ما المطلوب مني ؟!!

قال : لا شيء ، فقط أريد أن أتأكد من أنك حدثت زوج أختك الدكتور عن الحديث معي.

تبسمت بصوت مسموع وقالت: صحيح ، اتصل بي من أجل تدخلي من أجل شقيقتي الطبيبة ، وطلب مني أن أحدث والدي عن التنازل عن المؤخر المؤجل الخاص بعقد زواجها .. أتعرف عنه شيئا ؟

قال : الخمسون ألف أعرف أمرها من والدك أولا .

قالت : بحكم أنني محامية وأخت زوجته كان يتحدث معي أيام السلام حول بعض القضايا والمشاكل القانونية ، فقلت له يا وائل الحديث مع أبي بشأنها والتنازل عنها لا يليق بي ، فهم يرغبون بالطلاق لتصرفاتك الهوجاء قد يقبلوا تخفيضها .. وخطرت في بالي ؛ ربما لكثرة مدح أبي لك .. وقد زارك لما رجعت من غزة الأبية يتحدث معك بشأن اختفاء وائل .. وأنت على علم بالتفاصيل وأهم مجريات القصة فأعطيته رقم شركتكم القانونية على أمل أن يقبل أبي شفاعتك وتساعدنا في حل المشكلة ومأساة شقيقتي .. أرجو ألا أكون تطفلت عليك !

قال : أبدا ! الناس لبعض يا دكتورة ! أنا عرفت والدك المحترم بسبب وائل .. وبيننا اتصالات طيبة .. ووائل يريد تقليص المؤخر لخمسة آلاف فقط بدلا من الخمسين أترين هل يقبل الوالد ذلك ؟

قالت: الواقع والوضع يقول إنه سيقبل هو وعلا حتى ولو لم يدفع شيئا ، خلاص ملّت وبغضته .. فهي تعبانة نفسيا للغاية .. على كل حال يا أستاذي تحدث مع أبي

قال : ماشي وشكرا.

قالت : الدكتور فهد زوجي يسلم عليك ويرحب باللقاء بك ، وعلى رأيه قد صرت من العائلة .

أخذ جهاد موعدا مع اللواء خميس للحديث حول طلاق علا طبيبة الأطفال في مستشفى تاج

الزمان ؛ حيث تخلت عن رئاسة قسم الأطفال في مستشفى جامعة بعنبس من سنين ، رحب اللواء بجهاد في بيته ، وعلى مسمع من ابنته وأمها وشقيقها سليم الضابط في قطاع الشرطة .

كانت الجلسة في صالون الفيلا الخاصة بخميس ، بين جهاد قصة الاتصال الهولندي بمكتبهم على غير سابق معرفة بينهم ، وطلب وائل منه التوسط بينهم في قضية الطلاق ، وهو مستعد للطلاق اذا تنازلوا عن الخمسين ألف ، وهو يفكر بالاستقرار في أوروبا ، ولا يرغب بالعودة لبعنبس ، وهو يعيش مع امرأة أوروبية لم يحدد جنسيتها تغافل عن ذلك ، ويعيشان في أمستردام .

فقال خميس متسائلا : أليس من الغريب أن يتحدث معك يا جهاد أنت ، ولم يناقش الموضوع مع علا؟!

قال جهاد : هو من الغريب حقا ! لا صلة بيني وبينه ولا معرفة خاصة ، وحتى شركتنا لا تتعامل مع قضايا الطلاق .. لا أدري لماذا لم يتحدث معكم مباشرة يا سيدي اللواء ؟! أنا لم ألتقِ به شخصيا كما تعلم .. هذه أول مرة أسمع صوته .. أنا وضحت له أن مكتبنا لا يعالج قضايا الطلاق ، ووجهته لزميل يعمل على مثل هذه القضايا .. فهناك محامون يتعاملون مع المحاكم الشرعية المسلمة والطوائف الأخرى.

قالت علا وهي تكاد تبكي : يعني اذا تنازلت عن المؤخر اللعين سيتم الطلاق!

قال جهاد : هذا ما تفاهمنا عليه ، سيدفع خمسة آلاف فقط يا سيادة اللواء ! وسعيت لإقناعه بالمجيء لجلسة الطلاق ، وعدني بالتفكير في هذا الاقتراح مع أنه يستطيع إيقاعه غيابيا بواسطة موكله .

قال اللواء : لا أظن أنه سيقدم البلد ؛ لأنه جبان وحقير.

قال سليم بحدة : حتى لو لم يدفع الخمسة علينا أن ننتهي منه يا أبي ويا علا.. رجل مأفون نذل .

قالت وقد دمعت عيناها وتهدج صوتها : لا أريد درهما منه ، ولا حتى الأثاث حتى الخمسة

اذا دفعها لن أمتلك منها شيئا .

قال جهاد : هذا تعويض بسيط عن الأذى والضرر اللذين سببهما لك .

صاحت : المهم أخلص منه يا حضرة المحامي !.. فضحني في كل مكان ، كرهت من أجله كل الرجال والزواج .

قالت رباب: اهدئي يا بنية ! الزواج قسمة ونصيب .. وأقدار لن نصنعها يا بنتي! لا تنفعلي أمام المحامي جهاد .

قال خميس : هلا أعطيتني رقمه.

قال : رقمه معنا ؛ ولكن أخشى عليك الانفعال يا سيادة اللواء ! والرجل خارج البلاد لا نريد تعقيد الأمر .

قالت رباب : كلام المحامي صحيح يا خميس ! هل عينت محاميا شرعيا؟

قال : سيقوم المحامي بهلول بذلك ، وأنا أفضل أن لا نقيم دعوه وقضية .. يقوم المحامي وعلا بتقديم استدعاء أمام المحكمة ، ويدخلون على القاضي الشرعي ويعلن الطلاق أمامه، بعد أن تعلن علا أمامه أنها استلمت حقها الشرعي وينتهي الموضوع بدون رفع قضية طلاق.

أرسل وائل خمسة آلاف دولار على حساب جهاد نجيب ، وقدم بهلول طلب طلاق لدى محكمة شرعية بحضور سليم وعلا ، وتعين يوم الطلاق أمام القاضي وإعلانه .

عندما يتفق الطرفان وديا على الطلاق الرسمي يقدمان استدعاء أمام المحكمة بواسطة الكتبة غير الرسميين أمام المحكمة ، ويدخلان على القاضي ، وخلال دقائق ينتهي الأمر .

حضر وائل من هولندا والتقى ببهلول وجهاد وشكرهما ، وأعطى جهاد المال لبهلول ، وصحب وائل عشيقته الأوروبية معه للمحكمة بسيارة مستأجرة ، وتسلم سليم المبلغ بشهود أخته ، وأعطاه لعلا التي وضعته في حقيبة اليد بنفرة وكره ، ورفضت مصافحة وائل وعشيقته دخل بهلول على القاضي وأعلمه بحضور الطرفين ، ولما صارت أمام القاضي سألها هل

قبضت مؤخرك ؟ أشارت برأسها وقالت :نعم .

وطلق وائل الزوجة ، وأصبحت أجنبية شرعا عنه . ذهبوا بالقرار إلى كاتب المحكمة ، فسجله ووثقه ، وذهبوا إلى الطابع ، فعمل لكل واحد منهم قسيمة طلاق ، صدقت من القاضي وانتهى الأمر .

غادر الجميع المحكمة سليم مع أخته ، ووائل وصديقته ، وجهاد مع بهلول بعد أن تسلم أتعابه، وافترق القوم .

واتصل خميس بجهاد : شكرا لك يا أبا عبدالله ! والحمد لله خلصنا من وائل وحكايته .. المبلغ أيها الصديق الذي قبضته علا لا ترغب فيه ،ولا تحب أن تنتفع به .

قال : حقها الديني يا أبا سليم !

ـ لا تريد أن تنتفع به لنفسها تريد بعثه لغزة .

قال : جيد ! وهذا نفع عظيم ؛ لكن صبرها أسبوعا ، قد تغير رأيها ، ويذهب السخط والضيق وتتبرع بجزء منه .

ـ هذا رأيك !

قال : أجل هذا رأيي ، أنا أعلم كما تعلم أن الدكتورة تعمل وتملك المال .. فلتصبر بضعة أيام قد تغير رأيها .

ـ شكرا على النصيحة .. سأعطيها رقمك لتتحدث معها ، وأبسط لها النصيحة فهي محطمة نفسيا ، وأخذت إجازة لمدة أسبوعين .

قال مواسيا: كان الله في عونها ، رغم بغضها للرجل ، فالطلاق في مجتمعنا المعاصر نكبة وكارثة للأنثى.. هنا جمعية أعمل أو الأصح أتعاون معها يديرها منذ تأسست الدكتور الأستاذ احمد نبيل عميد كلية الإدارة في جامعة تاج الزمان من أهالي البلدة هذه يا أستاذ خميس جمعية تنشر العفاف والفضيلة ..اسمها جمعية العفاف والزواج .. تعمل على مساعدة الأرامل والمطلقات والعوانس على الزواج .. وهي معروفة بعنبس ، ولها أكثر من عشر سنوات في المدينة ، تساعد

على التوفيق بين هذه الفتيات والشباب الذكور ؛ فإذا رغبت علا أن نضع اسمها على قوائم الجمعية فنرحب بذلك .. تناقش معها ، وخذ رأيها يا سيدي.. جمعية العفاف والفضيلة شارع سلمان الفارسي قرب مدارس التحرير العربية.

ـ سأعرض عليها الفكرة واقتراحك وعطفك.. فهي اليوم كفرت بالزواج والرجال.

قال : لا غنى للناس عن الزواج يا أبا سليم ! كل شعوب الأرض تتزوج ، وأشكاله مختلفة ، لكل أمة منظومة وتقاليد معينة فيه .. أعطها رقمي لنتكلم في موضوع المال لجمعية الإغاثة .. فهي ما زالت تسير القوافل إلى غزة الأبية ، وتهتم بأيتامهم.

رن خلوي جهاد وقد أدرك أن المتصل الدكتورة علا خميس التي تمر بأزمة نفسية ؛ حيث طلقت للمرة الثانية ، ولم يظهر اسمها على الشاشة للجهاز الموبايل ، وفتح الخط وسمعها تلقي السلام بصوت هادئ ، فرد السلام.

قالت : آسف لإزعاجك يا أستاذ جهاد!

قال : نحن في خدمة الناس فكيف بالأصدقاء ؟!

قالت : المال الذي رأيتني آخذه من أخي سليم .

قال : هو كان معي ، حُول على حسابي أصلا ، وأنا أعطيته لبهلول بوجود وائل ، ثم نقل كما رأيت لسليم .

رفعت نغمة الصوت: أنا لا أريده .

قال : قال ذلك أبوك .. هو حقك شرعا وقانونا .. فهو حلال وليس صدقة.. هو جزء من الصداق كما تعلمين .. هو مكتوب في عقد الزواج ، وهو يعطى للمرأة في حال وفاة الزوج قبل توزيع الميراث، والحالة الثانية عند الانفصال .. والرجل أنت أعرف به منا .. وأنت برغبتك أردت الطلاق حسب معلوماتي.. لم يضغط عليك أب ولا أم ولا أخ .

قالت : صحيح ما قلته .. أنا أعلم أن المال حقي ؛ ولكني لا أريده ، فأريد أن تبعثه لأهل غزة

فقراء أيتام .

قال : نأخذ منه جزءا وأجرك على الله .

قالت بضيق بدا لجهاد : كله أبغضه ، وبما أن لك علاقة بالإغاثة فسآتيك به أرجوك .

ـ اصبري أسبوعا واحدا من الزمن وسأمر عليك في بيت والدك العزيز.

قالت : جيد ! رتب مع أبي الموعد ؛ وليكن مساء بعد أسبوع .. نحن في انتظارك يا سيدي المحامي ؛ ربما أباشر عملي .. وعملي في مستشفى العصافير في تاج الزمان أعمل في قسم الأطفال.. وأشكرك بجد على تعاطفك معنا .

قال : بارك الله فيك، والحياة يوم لك ويوم عليك ، يوم سعد يوم شقاء.. المهم الآخرة.. هناك سعادة بلا شقاء ، وشقاء بلا سعادة.

ـ صحيح ، أنا بخير ، وتحياتي لك وأختك وردة الدكتورة . قال : شكرا.

أغلق الجهاز وقال متحزنا : مسكينات النسوان والبنات ؛ ولكن الله وهب لهن الطاقة على التحمل والصبر .. ما اقسى وأظلم الأشرار ! عندما يستغلون عاطفتهن وضعفهن وأنوثتهن يا أنجشة رفقا بالقوارير !.. الطلاق مؤلم في زماننا هذا .. أصبح مشكلة مع أنه وجد لحل مشكلة .. أصبح مشكلة اجتماعية كبرى على مستوى الأرض كلها .. والكثير من نساء الأمم تعيش بغير زوج خشية الطلاق وتعقيداته .. ممارسات خاطفة مع رجال مرضى بالشهوات .. لا سكن ولا رحمة فيها .. الزوج سيء ومنحل، لا يحترم الحياة الأسرية والميثاق الغليظ ، وتعجز الأنثى الخلاص منه لضغوط مجتمعية فترضى بالذل والاحتقار ؛ ليبقى المسمى بيتا بيتا .. لا تستطيع الخلاص منه لسوء أخلاقه وإباحيته ؛ لأنها اذا طلقت سيقال هي السبب .. فكيف بعلا التي طلقت للمرة الثانية ؟! الله يستر عليها .. كما قال كثير من المشايخ لا حل لمشكلة الأرامل والمطلقات والعوانس الشريفات إلا بالتعدد الشرعي المنضبط.. والنساء لا يقبلن بالتعدد ، والرجال ضعفاء لا طاقة لديهم لحل المشاكل العائلية ، والجمع بينهن.

الإعلان

قرأت وردة نبأ طلاق علا خميس طبيبة الأطفال في جريدتها المفضلة فجر الأمة ، وتعلن أنها لا علاقة لها ماديا ولا ماليا بالطبيب وائل زياد ، وفي نفس الإعلان تقدم الشكر للمحامي جهاد عارف ، والمحامي الشرعي بهلول بسام على جهدهما في إنهاء علاقتها بالطبيب وائل زياد وإنهاء القضية بالطلاق الهادئ .

فاستغربت وردة صورة هذا الإعلان ، كانت وردة عندما تدخل مكتبها الصغير في العيادة قبل مباشرة العمل في غرفة العلاج واستقبال النساء تجد نوال وضعت لها تلك الجريدة على المكتب لمعرفة وردة وحبها لها ، فتتطلع أولا على صفحة الدين ، واذا وجدت مقالا للصحفي جمال محمود أو احمد عباس تبدأ بهما ، ثم تنتقل لصفحة المجتمع ، ثم صفحة النعي .

استغربت الإعلان المنشور في صفحة المجتمعيات ؛ حيث تنشر الأفراح والزواج وحفلاته وإعلاناته ، وحالات الطلاق المثيرة أو التبليغ من المحاكم والمحامين ، وكان زوجها عصام يشاركها قراءة صحيفة الفجر والصفحة الدينية .

لما قرأت الخبر ، واستغربت نشره ، واستغربت وجود شقيقها في الموضوع ، ومحله من الإعراب .

فقالت لنوال: حبيبتنا ستأتي اليوم!

ـ بالتأكيد ، ما دامت لم تعتذر ستأتي بإذن الله.

قالت : سأتكلم مع جهاد نجيب قبل مباشرة لقاء النساء.. كم امرأة في الانتظار ؟

قالت : خمس حوامل وواحدة عندها مشاكل التهابات داخلية.

قالت : نبدأ بهن أو الاتصال.

قالت : أنا أقول ابدئي بالتلفون .

ـ رأيك سليم ! سأعمل بنصحك يا جوهرة العيادة ! ما أخبار الخطيب؟

قالت : على رأيهم قرأنا الفاتحة بس .. والله كما يقول الناس إنه شاب كويس ومحترم .. ابن

الحلال وقع على ابنة الحلال .

قالت : الله يتمم لك على خير .. تناقشتم حول العمل.

قالت : لحد الآن لم نتكلم بموضوع الشغل ..هو يعمل نجار موبيليا ، هو وأخوه لهما منجرة .

قالت : جيد! المهم أن يكون مقدرا للزوجة والحياة الزوجية .

ـ هذه علمها عند ربي .

قالت : كل شيء علمه عند الله يا أخت نوال ! والله أتمنى لك كل توفيق من قلبي

ـ أشكرك بجد ، أنت إنسانة رائعة!

قالت : بارك الله لك وعليك ، ولما تحدث الخطبة أو الزواج اخبريني.. قد لا أتمكن من حضوره بسبب ما ترين . وأشارت لبطنها.

قالت : حفل صغير ، وبعد كتب الكتاب بشهر على الأكثر سيكون الزواج الفعلي وأنت معذورة . وأشارت هي الأخرى لبطنها.

قالت : الحمد الله .. عقبال عندك في اثنين توائم يا نوال !

قالت : إن شاء الله تقومين بالسلامة . . قربت .

قالت : يعني .. أخرى كم شهر بإذن الله نبدأ بالاستعداد لمرحلة الولادة .. أنا جربتها بجوهر

ـ الواحد ليس مثل الاثنين.

قالت : أحلى شيء في الدنيا الأطفال يا نوال!

قالت : زينة الحياة الدنيا.. المال والبنون زينة الحياة الدنيا

قالت : صدق الله العظيم .

أخرجت التلفون من جيب معطف العمل ورنت على جهاد.

ضربت رقم جهاد ، فلما فتح هاتفه وحيته ، ودخلت في الموضوع سريعا ، سألت : ما دخلك في قصة طلاق ابنة خميس؟

ضحك وقال: القدر.

قالت : صحيفة الفجر نشرت إعلان البراءة من التزامات وائل المالية ، وأنها انفصلت عنه ، وهي غير ملزمة بأي أموال على ذمته .

قال: لها أسبوع مطلقة ومنهية زواجها .

قالت : ودورك!

قال ضاحكا : ساعدت في إتمام عملية الطلاق ، وتنازلت عن الخمسين ألف ، فجاء من أمستردام وطلق ، واختفى.

قالت : هل رأيته وقابلته ؟

قال شارحا : بدا الأمر يا عزيزتي عن طريق هاتف المكتب ، وبيته في هولندا .. هو الذي بدا الاتصال وعرفني على نفسه ، وطلب مني التوسط في انفصاله عن علا وعندما تنازلت عن مؤخرها سهل الأمر.

قالت : جيد ، وضحت الصورة ! جهاد عزيزي مع السلامة، السلام عليكم .

أدخلت نوال المريضة الأولى ورحبت بها وردة ، وأجلستها على مقعد تصوير السونار ، وضعت الجل على بطنها ، ووضعت أداة التصوير وإرسال الموجات فوق الصوتية وظهر على الشاشة الرحم والجنين ، وكانت الدكتورة والأم تتابعان رأس الجنين عموده الفقري الحبل السري الكبد الأعصاء الحيوية.

ثم أعلنت أن الوضع طبيعي ، والطفل الجنين ينمو حسب جدول نمو الجنين .

قالت : تمام بفضل الله نمو كالمعتاد .. وهو ينتظر ساعة الخروج .. الحمد الله على السلامة خلال شهرين ستكون الولادة طبيعية ـ إن شاء الله ـ فوزنه طبيعي.

فحصت الدكتورة الحوض وضربات قلب الجنين والأم والضغط وراجعت السيرة المرضية للأم .

قالت : تحليل البول والدم ممتاز .. أتمنى لك إتمام الحمل .. وأن تكون حياته حياة سعيدة ..

عندك ثلاثة قبله .

هزت المرأة رأسها وقالت : نبضه طبيعي .

قالت : نعم، صحته جيدة .. وأنت تتغذين بشكل ممتاز .. تغذيتك مهمة لتغذيته .

نزلت الحامل عن الكرسي تضبط ملابسها . وقالت: كيف صحتي ؟

قالت : صحتك بخير .. قلبك وضغطتك تمام .. واستمري على أخذ الفيتامينات والمواد الغنية بالحديد .. ولا بأس في المشي داخل المنزل ، ولو ربع ساعة في اليوم وهذا لا يشكل خطرا عليك ، ولا على الجنين .. والمهم اقتراب الولادة يا حبيبتي يا أم مصر .

ـ نفس الأدوية .

قالت : الأهم الأغذية .. الدواء في الغذاء .. كل يوم وجبة فواكه ،واذا كانت طازجة تكون أفضل ..أفضل من المخزنة والمستوردة من برا.

كتبت لها وصفة بالمناسب والمعتادة للحوامل وقالت : واذا أصابك الصداع لا تأخذي أي دواء إلا عند الألم الذي لا يطاق ، وكذلك المضادات للالتهابات الحلقية إلا مضطرة يا أم مصر .

صافحت المريضة وردة داعية شاكرة جهدها ، وغمرتها وردة بالدعاء والسلامة والحب ، ولما خرجت من الغرفة دخلت الثانية ، وجلست على كرسي الفحص وكانت وردة تقلب ملف سيرتها المرضية ، ثم راحت تراقب جنينها على جهاز السونار ، وهي دخلت شهرها الخامس حيث يبلغ الوزن التقريبي للجنين ٢٥٠ غرام إلى ٥٠٠ وعادة يكون طوله قريب من ٢٥ سنتميتر ودقات القلب طبيعية .



الشهر	الأسبوع	الطول (سنتمتر)	الوزن (غرام)
الأول	الأول إلى الرابع	0.6	0.3
الثاني	الخامس إلى الثامن	1.6	1
الثالث	التاسع إلى الثالث عشر	7.4	23
الرابع	الرابع عشر إلى السابع عشر	13	140
الخامس	الثامن عشر إلى الواحد والعشرين	26.7	360
السادس	الثاني والعشرين إلى السادس والعشرين	35.6	760
السابع	السابع والعشرين إلى الثلاثين	39.9	1319
الثامن	الواحد والثلاثين إلى الخامس والثلاثين	46.2	2383
التاسع	السادس والثلاثين إلى الأربعين	51.2	3462

كثير من اللوحات الإرشادية معلقة على جدران قاعة الانتظار ومنها جدول تطور الجنين .

جدول تطور الطول والوزن للجنين

قياس طفلك من أعلى رأسه حتى مؤخرته من الأسبوع الثامن وحتى الأسبوع العشرين من الحمل

أسبوع	الطول	الوزن
الأسبوع ٨	١.٦ سم	١ غرام
الأسبوع ٩	٢.٣ سم	٢ غرام
الأسبوع ١٠	٣.١ سم	٤ غرام
الأسبوع ١١	٤.١ سم	٧ غرام
الأسبوع ١٢	٥.٤ سم	١٤ غرام
الأسبوع ١٣	٧.٤ سم	٢٣ غرام
الأسبوع ١٤	٨.٧ سم	٤٣ غرام
الأسبوع ١٥	١٠.١ سم	٧٠ غرام
الأسبوع ١٦	١١.٦ سم	١٠٠ غرام
الأسبوع ١٧	١٣ سم	١٤٠ غرام
الأسبوع ١٨	١٤.٢ سم	١٩٠ غرام

الأسبوع ١٩	١٥.٣ سم	٢٤٠ غرام
الأسبوع ٢٠	١٦.٤ سم ـ ٢٥.٦ سم	٣٠٠ غرام

أما بعد الأسبوع ٢٠ من الحمل يتم قياس الجنين من أعلى رأسه حتى قدميه:

الأسبوع ٢١	٢٦.٧ سم	٣٦٠ غرام
الأسبوع ٢٢	٢٧.٨ سم	٤٣٠ غرام
الأسبوع ٢٣	٢٨.٩ سم	٥٠١ غرام
الأسبوع ٢٤	٣٠ سم	٦٠٠ غرام
الأسبوع ٢٥	٣٤.٦ سم	٦٦٠ غرام
الأسبوع ٢٦	٣٥.٦ سم	٧٦٠ غرام
الأسبوع ٢٧	٣٦.٦ سم	٨٧٥ غرام
الأسبوع ٢٨	٣٧.٦ سم	١٠٠٥ غرام
الأسبوع ٢٩	٣٨.٦ سم	كيلو و١٥٣ جرام
الأسبوع ٣٠	٣٩.٩ سم	١٣١٩ جرام
الأسبوع ٣١	٤١.١ سم	كيلو ونصف
الأسبوع ٣٢	٤٢.٤ سم	كيلو و٧٠٠ جرام
الأسبوع ٣٣	٤٣.٧ سم	كيلو و٩٠٠ جرام
الأسبوع ٣٤	٤٥ سم	٢ كيلو و ١٠٠ جرام
الأسبوع ٣٥	٤٦.٢ سم	٢ كيلو و٣٠٠ جرام
الأسبوع ٣٦	٤٧.٤ سم	٢ كيلو و ٦٠٠ جرام
الأسبوع ٣٧	٤٨.٨ سم	٢ كيلو و٨٠٠ جرام
الأسبوع ٣٨	٤٩.٨ سم	٣ كيلو

الأسبوع	الطول	الوزن
الأسبوع ٣٩	٥٠.٧ سم	٣ كيلو و٢٠٠ جرام
الأسبوع ٤٠	٥١.٢ سم	٣ كيلو ونصف
الأسبوع ٤١	٥١.٧ سم	٣ كيلو ونصف
الأسبوع ٤٢	٥١.٥ سم	٣ كيلو و٦٠٠ جرام
الأسبوع ٤٣	٥١.٣ سم	٣ كيلو و٧٠٠ جرام

مقاييس النمو للأطفال الإناث من الولادة وحتى تمام العام الأول

الشهور	الطول (سم)	الوزن (كجم)	محيط الرأس (سم)
عند الولادة	45.6 - 52.7	2.4 - 4.2	31.7 - 36.1
الشهر الثاني	53.2 - 60.9	4.0 - 6.5	37.2 - 41.9
الشهر الرابع	58.0 - 66.2	5.1 - 8.1	38.2 - 43.0
الشهر السادس	61.5 - 70.0	5.8 - 9.2	39.7 - 44.6
الشهر الثامن	64.3 - 73.2	6.3 - 10.0	40.9 - 45.9
الشهر العاشر	66.8 - 76.1	6.8 - 10.7	41.7 - 46.8
الشهر الثاني عشر	69.2 - 78.9	10.1 - 12.3	42.3 - 47.5

مقاييس النمو للأطفال الذكور من الولادة وحتى تمام العام الأول

الشهور	الطول (سم)	الوزن (كجم)	محيط الرأس (سم)
عند الولادة	46.3 - 53.4	2.5 - 4.3	32.1 - 36.9
الشهر الثاني	54.7 - 62.2	4.4 - 7.0	36.9 - 41. 3
الشهر الرابع	60.0 - 67.8	5.6 - 8.6	39.4 - 43.9
الشهر السادس	63.6 - 71.6	6.4 - 9.7	41.0 - 45.6
الشهر الثامن	66.5 - 74.7	7.0 - 10.5	42.2 - 46.9
الشهر العاشر	69.0 - 77.6	7.5 - 11.2	43.0 - 47.8
الشهر الثاني عشر	71.3 - 80.2	7.8 - 11.8	43.6 - 48.5


الوزن الطبيعي للطفل حسب عمره
11.8 - 7.8 الشهر الثاني عشر 11.3 - 7.1
11.5 - 7.4 الشهر الحادي عشر 11.0 - 7.0
11.2 - 7.5 الشهر العاشر 10.7 - 6.8
10.9 - 7.2 الشهر التاسع 10.4 - 6.6
10.5 - 7.0 الشهر الثامن 10.0 - 6.3
10.2 - 6.7 الشهر السابع 9.6 - 6.1
9.7 - 6.4 الشهر السادس 9.2 - 5.8
9.2 - 6.1 الشهر الخامس 8.7 - 5.5
8.6 - 5.6 الشهر الرابع 8.1 - 5.1
7.9 - 5.1 الشهر الثالث 7.4 - 4.6
7.0 - 4.4 الشهر الثاني 6.5 - 4.0
5.7 - 3.4 الشهر الأول 5.7 - 3.4
عند الولادة 4.0 - 2.4

صف سيارته أمام فيلا اللواء خميس ، وضغط على الجرس ، وفتحت له الخادم العاملة في البيت وتبعها حتى دخل باب الفيلا ، واستقبله خميس جعلونة وقاده إلى غرفة الضيوف ، وبعد الاطمئنان على الصحة .

قال جهاد ضاحكا : مالك الشقة التي كان مستأجرا لها الرجل يطالب بأجرتها .. أنا لم أكن أعلم أنهما يسكنان في شقة مستأجرة .

قال : الحق عليّ .. أنا نسيت أن أخبرك ، لم أفطن أن الرجل خرج من البلد خلسة فلما اختفى عادت البنت للعيش معنا.. البنت غير مكلفة بدفع الإيجار .. وهو لم يعد كما تعلم التفاصيل .. فلماذا تدفع علا ؟! هل حاولت الاتصال به ؟

قال: حاولت فعلا .. الرقم الذي تواصلت به معه سمعت منه صوت رجل آخر وكررت الاتصال ظننت أنه كاذب فرد نفس الصوت وقال لي: المستأجر السابق طرد من البيت . حسبت أنه لا يرغب بالحديث معي ، وصرت أرن في أوقات مختلفة لعل امرأة أو شخص آخر يرد .. فيبدو أنه طرد فعلا وحقيقة ..والمالك سيقبل أجرة خمسة أشهر لاختفاء الطبيب .

قال خميس : كم شهر هو اختفى؟ اختفى في آذار ـ وأخذ يعد على أصابعه ـ نيسان أيار حزيران تموز آب أيلول تشرين الأول.. ثمانية أشهر .. تنازل عن ثلاثة كم الأجرة ؟ ذكر لك الأجرة .

قال : أراني عقد الإيجار .. هو استأجر الشقة منذ بداية زواجهما .

قال: ترك شقته القديمة .. شقة الفسق واستأجر هذه الشقة ..كم الأجرة في العقد

قال: ثلاثمائة دولار .. جاءني وقال بها أنك ساعدت في طلاق البنت فساعدني في تحصيل الإيجار .. كمل معروفك ، ولك أتعابك .. يكفي أجرة خمسة شهور بدون فواتير الماء والكهرباء والهاتف.. فهذه لم تستهلك خلال هذه الشهور ، فاتصلت كما أخبرتك وتبين لي فعلا أنه اختفى من الشفة بإرادته أو مطرودا.

قال: يريد ألف وخمسمائة دولار .

قال : أنا قرأت إخطار ابنتكم العفيفة بأنها لا تتحمل أي مال وديون عن زوجها السابق .. كانت تقصد عقد الإيجار .

قال: تكلم معها المهندس يوسف صاحب الشقة .. هو له شركاء في العمارة ، فهم يعملون في العقارات والشقق لبيعها أو تأجيرها .. ماذا ستفعل الآن؟ كما ترى لا دخل لها في الإيجار وغيره ، فالعقد باسمه ، وهو الذي كان يدفع طول كل السنوات .

قال : هذا صحيح ..ما العمل ؟

قال: العمل أن يتحدث يوسف معه ؛ ولكنك تقول البيت طرد منه أو هرب منه .

قال جهاد : هذا هو الظاهر.. أنا عملت كذا اتصال في أوقات مختلفة فعندما يرد نفس الصوت أغلق الخط .. مرة اتصلت أثناء قضية الطلاق ردت عليّ عشيقته التي صحبها لتشهد على طلاقه .

قال : هو مجنون لا يستحق الإحسان والصدقة .. فدع المهندس يوسف يرفع قضية عليه .. فنحن لا يمكن أن ندفع عنه يا أستاذ جهاد !

قال جهاد : أنا لم أحضر من أجل إيجار شقة وائل ، ولا يوسف .. هو يرفع قضية كما قلت ، واقترحنا عليه ذلك ، فعندما يدخل البلاد سيُوقف لتسديد دينه ، ويلزم بالدفع ، وعليه الانتظار .. أنا قدمت كما اتصلت بك للحديث مع ابنتكم الفاضلة لأني وعدتها بزيارة بعد أسبوع من ذلك الاتصال من أجل مال المؤخر.

أرسل خميس وراء البنت وأمها فحضرتا ؛ حيث كانتا في انتظار الطلب، فسلمتا ورحبتا بالضيف الزائر .

فقال جهاد: حتى لا أطيل عليكم .. تفاهمت أنا وسيادة اللواء على قضية الإيجار التي أثارها المهندس يوسف ، ولسوف تستقر في أدراج المحاكم .

قالت رباب: وعلى ماذا رست السفينة؟

قال خميس : رست السفينة أن يقدم يوسف دعوة على الرجل الهارب ؛ وكما قال المحامي في أي وقت دخل البلد تكون في انتظاره القضية ، ونحن لا دخل لنا في إيجار الشقة .

قالت أم سليم : هذا الإجراء الصحيح .. نحن تنازلنا عن خمسة وأربعين ألف دولار لنتخلص منه .

قال جهاد : أنا لم أفطن للإيجار والا حدثته عنه .. حضر المهندس بعد حدوث الانفصال .. وهو قد اختفى من شقته في أمستردام ، سكنها رجل آخر .

قالت رباب: الحمد لله رب العالمين .. انتهى ما بيننا .. وأمره إلى الله .. البنت يا أستاذ جهاد كما أخبرتك لا ترغب بامتلاك الخمسة آلاف .. ورأت أن الأولى بهن فقراء غزة الذين تعرضوا للإبادة ؛ كما تظهر الصور على هذه الفضائيات ، وخير من يتولى إرسالها أنت لعلاقاتك القوية بجمعية الإغاثة العالمية رحمة .

قال: أنا قلت لها تتبرع بجزء منها ؛ لأن هذا المال حقها شرعا .. حلال زلال.

قالت علا : صحيح هو حلال شرعا وقانونا ؛ ولكني كشيت منه وبغضته ، وفعلا أحب أن يرسل إلى هؤلاء وأتخلص منه .. وأنا غني عنه .. وراتبي ممتاز .. الحمد لله .. ولم أقل أنه حرام .. وهذه رغبتي .

قال : ما دمت مصرة يا دكتورة فإما أن تشرفينا بشخصك إلى الجمعية جمعية الإغاثة الدولية شارع الشهيد علي حي عمود في وسط بعنبس حتى نستلم المبلغ ونكتب به وصل قبض للتدقيق المحاسبي ؛ لأن الدولة وديوان محاسبتها تراقب إيرادات ومصروفات الجمعيات بكل أشكالها ، واذا لا ترغبين بالحضور شخصيا نرسل لك أحد الموظفين لاستلام المبلغ ، ويعطيك الوصل أو يشرفنا الوالد أو السيد سليم .. والوصل يصدر بمن سلم المال .. أنت فكرت بشكل سليم متوازن .. وليست لحظة غضب وانفعال ..لا حرج من التراجع .. وانتظرت عشرة أيام لأعطيك فرصة الاختيار والقرار بالهدوء .

قالت : أنا فكرت بشكل جيد .. ولي كما قلت عشرة أيام أفكر .

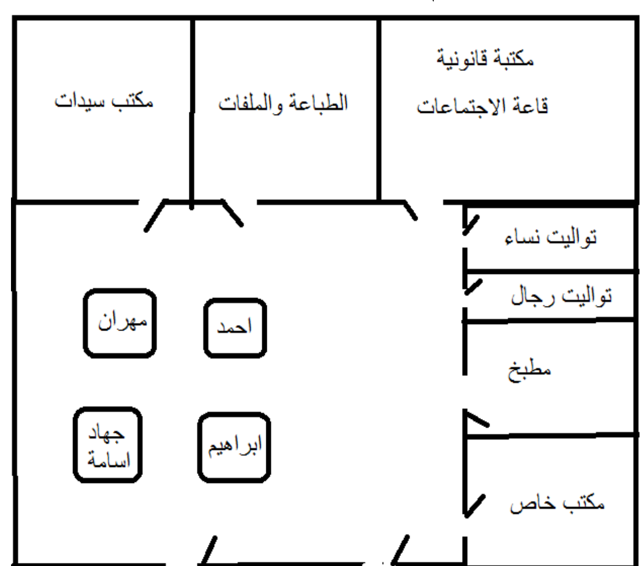
قال: متى تأتين أو نأتي ؟

قال خميس : الأفضل أن ترسل محاسبكم لهذا البيت ، عندما يأتي سيكون الشيك جاهزا ، ويستلمه ونأخذ الوصل ، سيكون الشيك باسم جمعية الإغاثة رحمة الدولية.

قال : جمعية الإغاثة رحمة.. والشكر الموصول لكم .

قال خميس: الموضوع الآخر .. أنا حدثت علا عن جمعية العفاف والفضيلة وغاياتها .

قال جهاد : حين تنتهي العدة الشرعية يا دكتورة سأبعث لكم إنسانا محترما ، لا مشكلة عنده من الزواج من مطلقة.. فهو أرمل ولديه طفل واحد تنظران بعضكما يا سيادة اللواء .. رجل يحب الفضيلة والعفاف والزوجة الأم .



دخل اللواء بعد ثلاثة أيام من لقائهما الأخير مكتب شركة العدالة القانونية التي يعمل بها أربعة محامين في الوقت الحالي ، وكانت تعمل معهم دكتورة انتقلت للعمل في جامعة بعنبس العالمية معيدة ، وطابع وطابعة ومراسل ، قاعة الشركة فيها أربعة مكاتب مفتوحة على بعض ، ومكتب المرأة في غرفة خاصة ، ومغلق حاليا في انتظار التعاقد مع محامية أو أكثر ، ومكتب الطباعة وخزائن القضايا والملفات ، ومكتب للخلوات الخاصة مع العملاء ، وحمام للرجال وآخر للنساء وغرفة صغيرة للشاي والقهوة والثلاجة وللمراسل خادم المكتب ، هناك غرفة

للاجتماعات ، الدكتور إبراهيم والدكتور مهران والدكتور احمد ، هؤلاء هم مؤسسو الشركة وجهاد تعين عندهم بعد تخرجه بسنة ، ثم تزوج شقيقة الدكتور إبراهيم.

ولما شرب خميس الشاي قال موجها الحديث لجهاد : هل يمكن أن نتحدث على انفراد في مقهى أسفل البناية ؟

قام جهاد وأستأذن من الزملاء قائلا : سأنزل لشرب القهوة مع سيادة اللواء وسماع الحديث الخاص.

فتمتموا بالمناسب فقال خميس : معذرة أيها الأصدقاء الموضوع شخصي لا ينبغي الحديث فيه في مكتب مفتوح كهذا .

قال إبراهيم : توكلوا على الله .. جهاد .. المكتب الصغير لا أحد فيه.

هتف : والله راح عن بالي يا شباب .. تعال يا أبا خالد نظف المكتب المغلق لنجلس فيه أنا وسيادة اللواء لسماع قضية اللواء.

نهض عامل الخدمة في الشركة نحو غرفة المكتب الصغير ليمسح الغبار .

قال جهاد : هذا مكتب نستعمله لسماع بعض القضايا يا أبا سليم ! فبعض الناس خاصة النساء تستحي شرح قضيتها أمام الجميع مع أن الجميع سيطلع عليها ويعلم تفاصيل القضية.. قل نوعا من الخصوصية.

قال أبو خالد : المكتب جاهز .

دخل جهاد يتبعه اللواء خميس قائلا : تفضل يا أبا سليم ! أدخل علينا القهوة يا أبا خالد .

جلس الرجلان على مقعدين متقابلين ، المكتب يتكون من طاولة مكتب حجم صغير لها كرسي وخزانة ملفات ، ثلاثة مقاعد مقابلة لكرسي المكتب ، وجهاز هاتف على طاولة المكتب وضوء مكتب قوي " تيبل لامب " مصباح طاولة رحب جهاد من جديد بالضيف الزائر.

قال خميس : أولا ليس عندي قضية تحتاج لمحامي .. أخي وابني الفاضل لما التقيت بنا قبل أيام فتحت موضوع عريس .. ما عريس .. وإنك بعد الشهور المخصصة للعدة سترسله لنا.

قال قلقا : أجل ، هل من شيء؟ ألا تريد الزواج ؟!

قال : صديقي وابني أنا لم أرغب بالتوسع بالحديث عن العريس للحالة النفسية التي تعاني منها علا لزمت الصمت ، ولنفس السبب كنت حدثتها عن جمعية العفاف والفضيلة ؛ ليبقى في روحها الأمل .. وليس وائل نهاية العالم .. تكلمت مع رئيس الجمعية الدكتور احمد نبيل وعرفته على نفسي وعلى علاقتي بك.. وشرح لي نظام الجمعية والقوائم ، وحدثني عن ألف علاقة زواج قامت بها الجمعية وقال : حالات الفشل قليلة لا تذكر كما قال .. وبين أنهم يضعون خيارات للأنثى والذكر .. ويساعدون في حل مشاكل تحدث بين الأزواج، ويعمل معهم شيوخ دين وباحثون اجتماعيون ، ويعملون دراسة اجتماعية عن مقدم الطلب لا يعتمدون على معلومات الطالب والطالبة فقط .. شغل منظم غير عشوائي وعلى البركة ؛ ليكون الزواج ناجحا إلى حد كبير مع ظروف الحياة هذه الأيام ، ونسبة التوفيق يقول من عمر الجمعية جيدة جدا ، ونسب فشل الزيجات الأخرى لتعصب الأهل وتدخلهم المتشدد في حياة الأبناء ، وانقلاب أحد الزوجين للمعصية والخيانة .. فلما فهمت خطوات عملكم ونظامكم حدثت علا لأنني أب تهمني سعادتها .. الأبوة مسؤولية .

قال : أصيل يا أبا سليم ! البنات فعلا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم أُحرج حق الضعفين المرأة واليتيم .. فمهما علت الأنثى بالشهادات والثروة تبقى ضعيفة مهيضة الجناح على غير ما يروجه العلمانيون والإباحيون ، المرأة ليست جسد فحسب .. انظر كل الدعايات والإعلانات تستخدم النساء .. استغلال بشع لجسد النساء .. ليس لهن خير من الإسلام الذي رفع من شأنهن وجعلهن شقائق الرجال .. فتعاليم عظيمة للجميع .. أقصد الإسلام الصحيح؛ ليس إسلام العادات والتقاليد والأعراف .

ردد خميس : صحيح صحيح .. قضايا الطلاق في أيامنا معقدة .. نعود لصديقك الذي اشرت إليه في آخر جلسة بيننا.

قال : هو صديق ونسيب وأخ .. هو شقيق إبراهيم مالك هذا المكتب أخ امرأتي كان يعمل في

الرياض دكتور جامعة ، ماتت زوجته أثر مرض عضال ، له طفل واحد عمره خمس سنوات .. هو أصغر من المحامي إبراهيم .. كنا ليلة نتحدث عن زواجه ، فحدثته عن الدكتورة علا وحظها مع الرجال ، فأبدا موافقته على مقابلتها ورؤيتها ؛ لأنه يبحث عن أم لابنه محمد اسمه .. وأخته زوجتي شجعته على ذلك .

قال خميس بارتياح بدا على وجهه : ما دام الرجل قريب منك ؛ فأنا سعيد اذا حدث الزواج ، وما دامت زوجتك أخته ترى ذلك ، فهذا خير كبير.. والبنت فعلا يا ابني تحب البيت والهدوء والأمومة كثيرا .. واذا قضى الله الأمر فلن يشعر محمد بالغربة ، ستكون أما له .. كثيرا ما سعى اللعين للتخلص من بنات علا لتتركها عند زوجها الأول .. هو لم يطلق ابنتي .. أمه هي التي طلقتها . واختصر قصة طلاق علا من احمد ، وختم هددته بالمال وقطعة الأرض.

قال : من ناحية عبد الرحيم هو يبحث عن الهدوء والراحة للتفرغ لأبحاثه وجامعته ، لما تزوج أم محمد فبعد وقت يسير داهمها المرض، وتقبل الأمر بروح عالية ، واهتم بعلاجها ، واضطر لإعادتها للبلد بسبب دوام الجامعة ، واهتم بها إبراهيم وإخوته .. فالعمل كما تعلم لا يسمح للشخص باستمرار الغياب والتنقل بين العيادات والمستشفيات خاصة في الغربة .. والأخوة والأخوات قدموا المساعدة قدر الإمكان ، وكذلك أهلها .. ولما تحسنت صحتها عاودت السفر ومرضت قبل شهور ، وذهبت أم إبراهيم للعناية بها وبمحمد الطفل ؛ لكن الأجل حل وحسم الأمر ، ولما انتهى العقد ترك عبد الرحيم جامعة الرياض ، وعاد وعمل في جامعة بعنبس الدولية في تعليم اللغة الإنجليزية.

ـ ممتاز !يدرس لغة الأجانب .

رحلة

عندما دخل كانون الأول ديسمبر عام ٢٠٠٩ اتصلت زكية حسني بجهاد وطلبت منه زيارتها للحديث في أمر خاص ، وتفاجأ جهاد عندما وصل بسيارة وردة وسيارة سالم أمام الفيلا ، يعني أن الطلب لم يكن خاصا ، وكان عارف وبلص في الصالة ، وعلم أن عصاما اعتذر عن الزيارة لإصابته بالأنفلونزا الشتوية الحادة ؛ كما أعلنت زوجته .

قدمت لهم خادمة أمهم شراب الشاي المقبول من الجميع ، والكعك المحلى بالسكر وفاجأت بعضهم برغبتها بزيارة لبيروت ، وأخرى لقبرص ، أسبوع في الأولى ، وأسبوع في الثانية ، هم اعتقدوا منذ وفاة نجيب في أول السنة أن زيارة قبرص السنوية انتهت ، ولم يعد لها حاجة ، ولما دخل آب تأكد أن قبرص ستصبح في خبر كان .

وعلموا سيرافقها في جولتها السياحية ، زوجها بلص ، وعارف وزوجته ميرا وأختها فيرا التي اعتذر زوجها عن الرحلة ؛ لتعذر الإجازة عن الوظيفة ، وطفلة عارف سلمى ذات الخمس سنوات ، وفتحت المجال لمن يحب مرافقتهم .

فقالت وردة : ما الهدف من الرحلة في موسم الشتاء ؟ فقد تأكد موت أبينا أم هو الحنين والعادة؟!

قالت : ربما هو الحنين رغم فصل الشتاء البارد في كلا البلدين يا أم جوهر ؟ لماذا لم تحضريه يودع جدته ؟ لقد أصبح شابا قويا .. وكيف الحمل؟

ـ الحمد لله ، الوضع تمام طبيعي .

قالت : الله يتمم لك على خير .. لقيت مرة الحاج حبيب فظنته هو الحامل من سعادته بحملك.

قال جهاد مفتخرا : العم حبيب لا مثيل له يا أمي!

قالت وردة مؤكدة : أنا لم أعرف عمي حقا إلا لما قبل عصام إعادتي إلى ذمته .. فالناس معادن يا جهاد !

قال سالم ضاحكا : هل ستذهبين إلى ٣١٣ ؟

قالت متظاهرة بالغفلة والسذاجة : وما أدراك ؟!

غمرهم الضحك ، وقال سالم : لما أشارت وردة للحنين ، تذكرت رقم غرفة الفندق .. هل ما زالت العيادة التي عمل فيها نجيب موجودة ؟

قال بلص نيابة عن زكية : دمرت العمارة أثناء حرب بيروت ، وشيد مكانها عمارة أطول. . برج كبير.

قال سالم لعارف : أنت يا عارف امرأتك بيروتية أين هي عن هذا الاجتماع ؟

قال بلص : في اجتماع سري.

قال عارف بغيظ : اجتماع سري .. هو سألني أنا يا زوج أمي ! عندهم محاضرة في نادي العائلة ومعها أختها فيرا وقريبة لهما شادية.

قال بلص محتدا : لا تكذب يا عارف ! أنا أعرف ميرا الحلوة أكثر منك قلت اجتماع سري اجتماع سري.

قالت وردة متهكمة : هي تعمل مع تنظيم سري يا عم بلص!

رد بحدة : أخطر يا أم جوهر.

قال سالم : أين يعقد هذا الاجتماع السري ؟

ـ هذا زكية تكشفه لكم حتى لا تزعل ميرا .

قال جهاد : متى السفر يا أمي ؟

تنهدت وقالت: عشرة ديسمبر بالطائرة إلى بيروت .

قالت وردة : بالسلامة يا أم عارف !

قامت تعانق ابنتها البكر : الله يسلمك ـ وإن شاء تقومين بالسلامة ـ من أجل ذلك جمعتكم .. فقد تحدثت مودعا جريدة .. أحببت توديعكم .. فالموعد قريب وعلمت أن سالما قد يسافر غدا أو بعده .

أبناء نجيب يعلمون غرام أمهم بالسفر منذ دراستها الجامعية في جامعة تركيا والتقت بنجيب في بيروت ، فهي تسافر لغرض ولغيره ، فهي تذهب إلى المانيا وكوريا الجنوبية واليابان لعقد الصفقات واستيراد السيارات الصغيرة .

فلما أعلنت رغبتها بالسفر إلى بيروت ولارنكا ؛ فكان الأمر بالنسبة لهم عاديا ، لم يكن جديدا ؛ لكنها منذ ثبت موت أبيهم ، لم تسافر ، فهذه أول مرة تريد الخروج من البلد من بعد ثبوت ترملها .

وشقيقهم عارف ابن أمهم المدلل كما يعتقدون كان متزوجا من فتاة لبنانية ، تعرف زكية أسرتها والدها ووالدتها أثناء عيشهم عشر سنوات في بيروت أيام الثورة الفلسطينية في بيروت وهي تكاد تتردد على بيروت كل عام ، فهي تعرفت على الطبيب نجيب في عيادته في بيروت ، عندما كسرت قدمها اليسرى وقام بعلاجها ومتابعتها ، وتزوجا وولدت مواليدها الخمسة في مستشفيات بيروت ، ولما غادر المقاتلون بيروت أثر حصارهم الطويل من قبل الجيش الصهيوني جيش شارون خرج نجيب وأسرته للشام ، وهناك تسلم شقيقها الأطفال كلهم ، ونقلهم لبعنبس عند عمهم ، وركب هو وزكية البحر إلى قبرص ، ولم تكن أول مرة قد دخلها فقد دخلها كثيرا ، فلزكية أقارب وجذور في هذه المدينة .

كانت ستصحبهم لبيروت فيرا شقيقة ميرا المتزوجة من رجل أعمال يعيش في بعنبس ، تزوجت عن طريق زكية حسني .

كانت خطتهم زيارة بيروت وأسرة ميرا وفيرا ؛ التي ربما يلحق بها زوجها اذا وجد وقتا للراحة والإجازة ؛ ستقضي زكية وبلص معهم أياما ثم يغادران لقبرص .

ليلا عشرة ديسمبر رحلت بهم طائرة خطوط الشرق الأوسط اللبنانية إلى بيروت كان شقيق ميرا وفيرا وزوجته في استقبالهم في مطار بيروت الدولي، هبطت الطائرة البيروتية بهم أرض المطار بعد منتصف الليل بقليل ، ركب بعضهم مع جلال وقسم مع زوجة جلال .

رحبت الأسرة بالضيوف الكرام ، وبعد مشاركة الأسرة الضيوف باقي تلك الليلة انتقلت

زكية وبلص إلى أحد فنادق بيروت ؛ حيث كانت قد حجزت عن طريق شركات السياحة ، كانت غرفة بسريرين ، وبعدهم بيومين من الاستقرار في بيروت جاء عارف لنفس الفندق تصحبه ميرا وسلمى ذات الخمس سنوات ، وبقيت فيرا في بيت والدها مع أمها ؛ حيث أن أباها قتل أثناء حرب بيروت الأهلية عن خمسة من البنين والبنات.

كان من المخطط أن تبقى أسرة عارف في بيروت ، وأن تسافر زكية وبلص إلى قبرص لقضاء أسبوع في فندق الشاطئ ؛ حيث فقدت زوجها نجيب عارف .

كلنا يعرف أنها كانت تذهب إليه كل سنة في آخر آب لتعيش ذكريات آخر أيامها مع نجيب ، السنة لم تذهب في آب فذهبت في منتصف كانون الأول ، فنجيب لم يمت في قبرص ، ثبت أنه مات في كوبا ، وورثت عنه أكثر من ثلاثة ملايين دولار وخلال أسابيع سيكتمل لموته عام ، ولم تعتبر فعلته خيانة ؛ بل فعل ذلك مضطرا كما تدل الأحداث ، فقد عاش في بلد اشتراكي شيوعي جلد رغم سقوط الاتحاد السوفيتي في مطلع التسعينيات ، وذلك فتح المجال ولو قليلا للتحول الرأسمالي في كوبا ، وجمع نجيب ثروة كبيرة من حياته في بلاد البحر الكاريبي.

كانت الغرفة الخالدة ٣١٣ في فندق الشاطئ أو الشواطئ في مدينة لارنكا القبرصية الغرفة المختارة لزكية منذ خمس وعشرين سنة مضت ، ولا إراديا بعد تناولهما الفطور مشت إلى الشاطئ الخاص بالفندق ؛ حيث يجلس الزبائن يراقبون الماء أو يسبحون في البحر ، ويشربون الشاي أو القهوة أو الخمور ، حيث الموائد والأرائك المنتشرة تحت الأشجار والمظلات ، وبين أحواض الزهور ،وقد يأتي للشرب والسباحة أشخاص من خارج الفندق .

أحضر بلص زجاجة كحول ، فهو مدمن كحول ، ووضعها على الطاولة ، حيث تجلس زكية تراقب الماء والعراة في الماء والشاطئ رجالا ونساء ، رغم أنها فترة الصباح ، حيث البرودة والرطوبة يخيمان على الموقع ، سكب لنفسه كوبا كبيرا ، ولزوجته كوبا صغيرا ، فهي من سنوات حذرها الطبيب الخاص بها من الإكثار من تعاطي الخمر.

قدم لها بلص سيجارة أشعلها من سيجارته ، ولما رشف نصف الكوب .

قال متحذلقا : كان آخر يوم ترين فيه نجيبا هنا .. في هذا المكان كنتم مثلنا تشربان شراب الصباح كما نفعل ـ هزت رأسها بنعم ـ وبينما أنتم تراقبون السابحين والسابحات وألوان المايوهات والعراة حضر رجلان وامرأة.

سحبت نفسا عميقا من سيجارتها ، ثم رشفت نصف كوبها .

وقالت: آ .. أنت حافظ المشهد جيدا يا بلص !

ـ من كثر ما سمعته منك يا أم عارف .

قالت تسترجع الماضي : كنا نجلس هنا على نفس المقاعد .. لا.. لقد تغيرت المقاعد .. هذه شكلها تغير.. انظر ـ وهي تشير بسبابتها ـ ها هما رجلان وامرأة يقتربان من مائدتنا .. نجيب .

التفت بلص لمن أشارت إليهم وقال: ليس نجيبا .. هذا المدير يا زكية !

شهقت زكية وسقطت على الأرض ، وقلبت المائدة بيدها وهي تسقط ، وشراب بلص وزجاجته ، وباقي كوبها كذلك ، ففزع بلص وصرخ: مستر.. مستر جورج

التفت مدير الفندق للصارخ : وقال ما بك؟!

فأشار بلص لزوجته التي وقعت على الأرض ، فقال المدير لمرافقه: أحضر الطبيب .. وأنت يا باميلا اطلبي الإسعاف الفوري.

مشى جورج مسرعا إلى المرأة الملقاة على الأرض ، وقلبها على ظهرها ، ووضع أذنه على صدرها ، ثم قال : لا ينبض .. سيأتي الطبيب .

فتحت زكية عينيها ، وقالت: هو .. هو.. هو .

فقال بلص: من هو .. هو ؟ هذا جورج مدير الفندق .

قالت : لا ،لا ، لا ، هو . وخرجت الروح إلى ربها .

ولما حضر الطبيب ، وجدها ميتة فنهض وهو يقول : إنها ميتة.

وصلت سيارة الإسعاف ، شحنت لأقرب مستشفى ، فأكد المشفى موت زكية حسني .

واتصل بلص بجهاد مخبرا بوفاة أمه ، فقال جهاد : الليلة سأكون ـ بعون الله ـ عندك يا عم بلص!

وفي الصباح التالي نشرت صحف قبرص وفاة زكية ، وكذلك صحف البلاد الشامخة نشرت وفاة زكية حسني في فندق الشاطئ القبرصي ؛ حيث فقدت زوجها قبل ربع قرن من الزمان ؛ وحيث كانت تعيش ذكريات الاختفاء .

ـــــ

نقلت الجثة إلى بعنبس لتدفن قرب والديها حسب وصيتها عند محاميها الخاص، ودفنت في مقبرة أبيها حسني وأمها عديلة ، وشيعها خلق كثير من معارفها ومعارف أبنائها وأصدقاء العائلة ، فهي تاجرة سيارات معروفة على مستوى البلاد ؛ وليس بعنبس فقط.

وأقام عارف وبلص بيت عزاء كبير حسب التقاليد والعادات الدارجة في المدينة ، كان بين موتها وموت زوجها الأول أقل من سنة ، ماتت في ١٨ كانون أول ، ومات نجيب في الأول من يناير من نفس العام .

كان عصام يتحدث مع وردة بعد انتهاء ديوان العزاء : رحم الله أمك .

قالت بغيظ وأسف : رحم الله أموات المسلمين .. كنت منذ اهتديت دائما أقول لها يا أمي أنت لست صغيرة .. توبي إلى الله.. صلي .. ها أنا عملت الموبقات السبع وتبت .. وقال العلماء توبتنا صحيحة .. والقبول عند الله .

قال آسفا : هكذا نشأت وشبت .

قالت : والدها كان ملتزما يا عزيزي ، وكنا نسخر من صلاته .. هي تعلقت بالإلحاد من أبي زوجها ، وأبي تأثر بزملاء وأفكار المجرم ماركس عندما درس في الجامعة الأمريكية فرع بيروت ، رغم أنها جامعة تنصيرية وليست شيوعية ، زرعت لتنصير المسلمين وتشكيكهم في دينهم ، ونشر الشبهات ؛ كما كتب محرر الصفحة الدينية في فجر الأمة ، كثير من طلابها

اعتنقوا دين لينين وستالين ، ورأى أبي الاشتراكية هي الأفضل لحل مشاكل المجتمعات والأمة العربية ، وصادق بعض الأسماء الكبيرة في بيروت وسوريا .

قال : لم يتأثر الحمل بهذه الأزمة !

ابتسمت وقالت : أنا نفسي لم أتأثر كثيرا بموتها ، لا أدري لماذا يا عصام؟ أنا أظن أن أكثر من تأثر بها عارف وبلص .

قال : حتى جريدة لم تحضر .

قالت : قلت لها ماتت في قبرص ، لماذا تأتين وأنت على وشك إنهاء عقدك معهم.

قال : الكثير سأل عنها لتعزيتها .

قالت : الناس تريد شيئا تتعزى به ، وتتسلى به.

قال : حق كلامك ! أنا لم أحتمل الكثير من قيلهم .

ضحكت وقالت : أكيد كانوا يزعجونك عن الحمل والتوأم القادم في الطريق.

قال : ليس لهم إلا هذا الموضوع ..حتى أن أحدهم يسأل أتضمن يا دكتور أن المني منك ؟ ولم يبدلوه ليلهفوا المال ، قلت يا عمي اذا شككت بالمولود أعمل فحص جينات كما تفعل الشرطة في التحقيقات .. وهل يضمن الرجل أن ابنه في داره منه؟ الزنا يملأ البلاد .

قالت : الشك مرض يهدم البيوت .. هذه طبيعة الناس الثرثرة والقيل والقال.

خيم الصمت للحظات وبدده قائلا : عارف كان أكثركم حزنا ، كلما يتكلم معه معز يأخذ بالبكاء والنواح .

قالت : طول عمره معها في البيت .. وهو لا يصرف على البيت فلسا واحدا.. فالآن سيتغير نظام طعامه وسكره .. هو الذي سيشتري البندورة والبامية والحليب .

ضحك عصام وقال : معك حق .. إذن هو يبكي على المستقبل .

قالت : يعني .. إن أمي كانت تقول لنا إنه لا ينفق شيئا على البيت يأكل يدخن يسكر يلبس على حسابها.

رأس العام

عندما كان الناس المتغربون يحتفلون برأس السنة الغربية الجديدة اتصل عارف في الصبح بوردة على العيادة ، وقال صارخا : هذا الرجل جن يا وردة!

ـ من ؟! بلص .

قال: ومن غيره ؟!

قالت : ماذا حدث ؟!

قال صارخا: احتفل الليلة برأس السنة في البيت ، لم يحترم موت زوجته .. أحضر عشرة أشخاص .. نساء ورجال.. سكر غناء رقص مجون ، لا احترام للبيت وللميتة ، قال لي: كنا كل سنة نحتفل بعيد رأس السنة . قلت له : أمي عمرها ما احتفلت بالمناسبة بالبيت ، كانت تسهر في الفنادق الفخمة.

قالت : أيضا !

قال بنفس العويل : تشاجرت معه ومع شلته ، فحبسوني والمرأة والبنت في غرفة النوم ، وأغلقوها علينا ، ولولا ميرا لكسرت الباب .

قالت : لماذا لم تخبر الشرطة ؟

صرخ : أخذوا منا الموبايلات .. عليكم أن تطردوه من البيت أو أترك له البيت.

ـ أنت حر الآن!

قال: الصبح فتحوا السجن .. أنا لا أقبل أن تتحول الدار لبيت دعارة ؛ كما حصل الليلة .

قالت : سأتحدث مع إخوانك يا عارف ! هذا فعل قبيح ! أين أنت الآن ؟

قال : في البيت ، وقد استدعيت زميلا لفحصنا .

قالت : الحمد لله على السلامة .. بعد الظهر عندما تأتي زميلتي في العيادة سأزورك في البيت أنا وجهاد .. سالم خارج البلاد يتابع أعماله الخارجية في دول الخليج.

قال بصوت منخفض : نعم ، أنت الكبيرة ، يجب أن تجدي لنا حلا .. فميرا في غاية الانزعاج

والخوف، وتهدد بالرحيل لبلدها .. وسلمى طول الليل تصرخ ومرعوبة .. الدار تحولت لحانة وصالة رقص وغناء لهذه الأجهزة .. هذا رجل ملعون .. كان قبل شهر مثل الأرنب مذعور .

قالت بابتسامة وضحكة صغيرة : سنرى ما بوسعنا فعله يا عارف! انتظرني بعد الظهر .. فهذا فعل لا يجوز في بيت أمي .

فهمس : أكيد أكيد انزعجت في قبرها من قبح غدره.

ابتسمت وقالت : لابد أنها انزعجت . وكانت تبتسم لساذجة عارف الطبيب.

قال: أنا في انتظاركم ؟. تريد ميرا معرفة موقف العائلة من بقائه في البيت ، نحن أم هو .. فقد ذهبت من كانت تربطنا به يا وردة ! زوجته وماتت فلماذا يبقى يتلصص على بدن ميرا ؟ إنها منزعجة من سوء نظراته الخبيثة.

قالت : يا الهي!

قال : إنه وقح ! منذ انتهى العزاء وهو يتغزل بصدر ميرا وسيقانها وأردافها .. عيون خبيثة .

قالت : من يطعمه يا عارف؟

ـ المطاعم.

****

أخبرت الأخت الكبيرة جهادا بشكوى عارف من زوج أمها التي ماتت قبل أيام وأفعاله ليلة رأس السنة الميلادية المحتفل بها في أغلب دول العالم ، وقد تذكرت في نفس الحين جنونها وفسقها مع أصحابها ذكورا وإناثا تلك الليلة واهتمامهم بها وهمست : لعنة الله على الجهل ! فكان جهاد يسمع ويقول : معقول معقول هذا فعلا جن بلص!

ولما نقلت إليه أغلب ما سمعته من عارف ، علق جهاد: أنت ما رأيك في صحة ذلك؟

تفاجأت بالاستفهام وقالت : هل يختلق عارف ذلك؟!

قال: لا يختلق ، يبالغ ويضخم .. ما هي ميرا طول عمرها تمشي شبه عارية في البيت .. هذا تقوله أمك وزوجها ؛ لذلك كنت أنا وسالما نطلب من أمنا ألا تظهر عندما نكون عندها ، ولا

تجلس في مجلسنا .

قالت بخجل : هذا صحيح حتى أنا كنت أتجنب أن أكون في البيت عند زيارتكم ، فطول عمره بلص يراها بالصدرية والسروال القصير ، ومرة سمعت أمنا تقول له أمامي : لا تظل تتغزل بسيقان ميرا ولحمها ، عارف يتضايق ، فرد أنا أفعل ذلك لتشم وتستر ها اللحم بطنها وظهرها .. واذا بغار ابنك عليها يأمرها بالحشمة أمامنا.

قال : هذا صحيح أيضا . . المزعج السكر والحفلة في البيت .. فهو وأمك وعارف وميرا يحتفلون بهذه الليلة كل سنة حتى ولو كان الثلج يملأ الأرض ؛ لكن في الفنادق الفخمة والنوادي الخاصة خاصة بمعنى الكلمة.

ـ وغير المزعج.

قال : الحبس لماذا ؟ فهم شركاء الكأس .. يبدو أن ميرا مستعجلة على تملك الدار بحجة أنها كانت تعيش مع أمنا ، وتوزيع ملايين زكية أمنا .

قالت : كيف ستملك الدار ونحن شركاء فيها؟

قال : نلغي شراكتنا بالتنازل لها عنها بحجة سكانهم فيها .. فأنا مهتم بأملاك أمي .. وهي متعددة ولا أحد يرغب بإدارة المعرض وتوابعه .. فسنعرضه للبيع وغيره من الأملاك حتى البنايات والشقق .. فيا سيدتي ميرا وفيرا شقيقتها يحتفلان مع أمي وبلص برأس السنة ، فلماذا لم يفعلوا ذلك هذه السنة ؟ لأن زكية ماتت !

قالت : أنت عميق الفكر يا جهاد ! والله أنا صدقت كل ما سمعته !

قال : إذن هناك إنّ وتضخيم للأمر .. هو لم يذهب للشراب والسهر حتى يبدو أمام الناس أنه ما زال حزينا على أمه ، ولا أحد سيدفع تكاليف الحفل عنهم ،ولم يحتفل مع أصدقائه وزوجاتهم في الخارج ، فعندهم رأس السنة أهم من أعيادنا الشرعية .. فهذا العيد عند العلمانيين ؛ كأنه فتح كبير .

ـ أنا غفلت أن أعرف لماذا لم يسهر في لبنان أو مصر أو حتى هنا!

قال : بلص مثل الكلب الوفي العجوز فقد سيده ، ومقدم له الطعام والشراب ، وهو جالس على مقعده يدخن وأمامه كأس الشراب.. بلص كان ديكور لأمي فبموت زوجته فقد هذا الاهتمام.. فعارف أو ميرا من الصعب أن يتعاملا معه كما تعاملت معه أمك .. وعارف عزل نفسه عنه فضاع وتاه .. وهو مريض بالسرطان يا وردة

قالت : سمعت .

قال : فلا أعتقد أنه يرغب بالرحيل ، وتغيير بيت يعيش فيه ملكا منذ خمس عشرة سنة ، فهو ألف البيت .. والكسل صفة فيه.

ـــ

اتصل جهاد فور قطع الاتصال بوردة ببلص ، ولم يرد من أول اتصال، فبلص لا يهاب ولا يخشى أحدا من أبناء زكية كخشيته من جهاد ، لم يكن يستطيع إشعال سيجارة في مجلس هو فيه ، فكان يذهب لشرفة أو حجرة للتدخين حتى في مكتبها في المعرض يدخل غرفة أو يخرج للرصيف يدخن سيجارته ، أما وهو سكران فلا يمكن الجلوس معهم ، فلا يقابله سكرانا ، حتى زكية كانت تتجنب الدخان والشراب بوجود جهاد إلا نادرا وسهوا ونسيانا ، وهو في العادة لا يطيل اللقاء بها والزيارة .

فهو منذ دخل المدرسة ، وهو يحب التدين بتوجيه من عمه حبيب ؛ حيث هو الوصي عليهم ، فنشأ متدينا ومحبا للدين ، ونافرا من سلوكيات أمه من حيث السفور وقلة الحشمة ، وهم يعتبرونه متشددا متعصبا ، وهو غير ذلك ، هو ملتزم بتعاليم الإسلام ، ومنسجم مع فطرته ، وهو حسن الحوار والسمت ؛ لكن الجاهل يرى كل متدين متعصب ومتشدد.

بلص متردد في فتح الخط والرد ؛ ولكنه خشي أن يأتي جهاد بنفسه ، فبعد تردد فتح الخط : أهلا أبا العبد كنت في المرحاض .

ـ السلام عليكم .

قال وهو يرتجف ويهتز التلفون بيده : وعليكم السلام.

قال : هل انصرف ضيوفك من الحانة والمرقص ؟ علمت أنك حولت الفيلا لمرقص ومغنى وخمارة .

قال متجاهلا ما سمع : أي ضيوف ؟

قال: الضيوف الذين حبسوا عارفا وميرا والطفلة سلمى.

قال : لا يوجد أحد في البيت .

قال جهاد: علمت أنكم كنتم تحتفلون وترقصون عن روح أمي .

قال صياحا : كذب ، لا أحد احتفل ورقص عن روح حبيبتي زكية . وأخذ بالدعاء لها بعصبية وتوتر.

قال : سنبيع البيت يا بلص قبل أن يتحول لدار دعارة ؛ كما حصل الليلة ؛ كما سنبيع المعرض ومحلات زوجتك ونوزع المال .. فأنت وعارف كل واحد منكم يبحث له عن بيت يعيش فيه .. وصلت الرسالة .. وأنا عصرا سأكون معكم وأسمع قصة عارف وحبسه.

قال برعب : هو حبس نفسه ؛ ليفتعل معركة ..إنه يكذب .

قال: سنبيع الفيلا واذا تعز عليكم ، ولكم فيها ذكريات مهمة للتاريخ ادفعوا ثمنها .. فبموت أمي أصبحت حق الذرية.

قال : كم ثمنها؟

قال : المخمن القانوني سيقدر لنا ذلك.. أما أن تتحول الدار لدار بغاء وفسق فهذا غير مقبول.. أمي لها أسبوعان ميتة .. حولتم البيت لخمارة ومرقص.

قال كأنه يبكي : كنت حزينا وسكرانا عندما جاء الأصدقاء .. جاءوا لنخرج لأحد الفنادق للسهر واللهو .. فاعتذرت لهم ، وتشاجر معهم عارف وميرا اللعينة العارية ، فرموهم في غرفة نومهم ، وقالوا نحتفل هنا يا بلص فما كان أمامي إلا الرضوخ لهم يا سيدي!

ـ هذه إساءة لذكرى أمي زوجتك.. أنت يوم دفنها كنت سكرانا .

قال : لا أدري لماذا فعلت ذلك؟ ! كانت صدمة لا يذهبها إلا الشراب .

ـ أمي ماتت قبل يومين من الدفن.. الصدمة كانت في قبرص ..وانتهت صدمتك مع أنك كنت تشرب وأباها عندما ماتت .. الليلة لا تسكر حتى نعرف نتكلم اشتري لك شقة صغيرة .. الفيلا كبيرة عليك ، وتحتاج لمصروف أكثر من شقة.

قال : سأتحدث مع المهندس سامي حبيب لشراء شقة.. أي ساعة ستحضر ؟

قال: نظف الفيلا من بقايا سكركم وقيئكم وبولكم حتى نستطيع الجلوس ربع ساعة من الوقت .. استأجر عمال نظافة .. الثامنة ليلا سأكون معكم بعون الله .. وسأخبر عارفا بمجيئ.

وقف جهاد أمام فيلا عصام في شارع قرقر حي شامل وضغط على منبه السيارة ففتحت وردة باب الخروج ، ونزلت درجات البيت ، ومشت حتى بوابة الفيلا الرئيسية ، وجلست بجوار شقيقها الذي صافحها ورحب بها واطمأن على زوجها وقال : ما أخبار التوأم ؟

قالت : اقترب الموعد في شهر آذار ـ إن شاء الله ـ كيف رندا علمت أنها حامل ؟

قال : أنهت شهرها الأول فعبدالله ومي بحاجة لثالث ، وحملتني سلاما لك ولعصام .

قالت : كم أحبها هي وأختها رائعتان ! حقيقة يا جهاد هل ستبيع الفيلا؟

قال : عارف تكلم معك.

قالت بابتسامة : نعم ، قال إنك أعلمت بلص ببيع الفيلا والمعرض وغيره لتوزيع ميراث أمنا .

قال : هذا حق للجميع يا وردة ! ولا أحد فينا فقير .. قبل شهور وزعنا الملايين وما دام الرجلان في البيت ، وبلص بدون أنثى يستأنس بها ، ويتشممها سيبقى يتحرش بميرا ، ويغازل صدرها وسيقانها .. دائما سكران .. يوم دفن أمي كان طافي .. وأيام العزاء لم يصحُ .

ـ تحدث الناس عن ذلك .

قال : قلت له اشترِ بنصيبك شقة صغيرة تأويك ما تبقى لك من العمر ، فالفيلا كبيرة عليك .. وعارف لما تزوج كما تعلمين اشترى شقة ، ولما سكن مع أمه أجرها.

قالت: أنت دائما رائع وتفطن ! كم خسرت من عمري في معادتك .. كنت أظن بصفتي الكبيرة وطبيبة لا أحد له عليّ أمر حتى عصام .

قال : نحن لسنا بحاجة لمال أمي .. هذا هو الشرع .. الحي يرث الميت .. سالم اتصلت به ـ هو اليوم في السعودية ـ فتقبل خطوتي ، وشاورت عمي حبيبا فقال الحق لا يستحي منه هكذا الدنيا .. نحن ورثنا أبونا ، وهو ورث أباه، والأولاد سيرثوني .. وبلص يستعين بخادمة أو يتعاقد مع أرينا خادمة أمي .. وعارف مثله يعود لشقته ، واذا صغيرة يستأجر أكبر منها .

قالت : حكيم عمي حبيب ! أنتم نوارة الناس!

قال باسما : وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا

ضحكت وردة على غمز جهاد : العقدة أني كنت أكبر منك سنا .. اليوم أنت أكبر مني عقلا .. خيالاتك وافتراضاتك عظيمة.. لما وصلت الجامعة خيل لي أنني أفهم واحدة في العالم يا جهاد ! كلية طب تعني عقل كبير.

قالت : أهم العقول عقول الرياضيات يا وردة ! الحساب علم الرجال والعباقرة.

قالت : لعبة الاحتمالات .. مدرس الحساب لا شيء مع الطب.. زوجني عمي عصاما فقبلته لأنني فعلا رغبت فيه .. درسنا في نفس الجامعة ، هو سبقني بعام واحد ، وسمعته مثل سمعتي ، فقلت لنفسي فلن يعير أحدنا الآخر ، والزوج لابد منه .

قال: كان عمي رغم صغري يتناقش معي ويعتبرني ابنا له كسامي .. كان يسمع بفاسدكما وضعفكما أمام شهوات وجوع الجسد .. فانحرافكم لم يكن خفيا عن الآذان .. فكان يأمل بزواجكما صلاحكم ..وتذهب فورة الجنس والإلحاد من قلوبكم .. كان يبكي لضياع عصام ، وهو عاجز عن فعل شيء يرده للصواب حتى كان الحادث .. فكان الجهل يغمركم والتيه.. وعمي مثقف ومهندس ؛ ليس أميا .. فلو احتد معك ومع أمك سيقال البنت كبيرة ، البنت تدرس طبيبة ستقولين أنا طبيبة .. أنا في قمة الهرم الاكاديمي.. ستقولين أبي كان ملحدا .. أوه لا تبكي يا غزالة ! وصلنا .



صف السيارة أمام فيلا أمه ، حي الساعة من أوائل الأحياء التي نشأت في بعنبس ، ونزلا وهي ما زالت تمسح دموعها ، فهمس : يبدو أني قسوت عليك بلساني.

قالت: أنت أخي الكبير عقلا .. أحب سماع أي شيء منك.. أنا كنت أراك وأنت في الابتدائية تصلي وتصوم عندما تأتي أنت وسالم لقضاء بعض الأيام معنا ، كنتم تحيون في بيت عمي وحبيبي حبيب أقول مرات لأمي لماذا هذان يصومان عندنا ألا يكفي الصيام هناك ؟! فتقول سيتخلصان من المنكر عندما يشبا .

ضحك وقال : الصيام منكر .. تذكرين ذلك!

ـ أذكر أشياء كثيرة .

فتحت لهما أرينا خادمة زكية الباب ، وظهر واضحا أنها كانت تبكي، فسألها جهاد ما بك ؟!

فانفجرت في موجة جديدة من البكاء والنشيج ، فربت على كتفها مهدئا ، وقال : مالك؟!

ودخلوا وأغلقوا الباب ، وأشعل الإضاءة في المدخل ، ومشوا لصالة الفيلا ، وكانت فارغة ، فقال وهو يجلس وتجلس بقربة وردة : أين السكان ؟!

قالت أرينا : في غرفهم .

ـ لماذا تبكين؟

قالت وهي تستنشق دموعها وتمسح عينيها بكمها: السيد بلص صفعني على وجهي وشتمني.

قال: اهدئي أرينا ، واذهبي واغسلي وجهك أنت ووردة.

التي نهضت وقالت : مع بكاء هذه نسيت أن أذهب للمغسلة .

ولما رجعت وعاودت الجلوس قال جهاد لأرينا: نادِ السيد .

فخرج إليهم من غرفة النوم ، وفي فمه السيجارة متظاهرا بالزعل والضيق ومكشرا .

فقال جهاد وهو يحد النظر في عينيه: نسيت القانون يا عم بلص .. وردة حامل ويضايقها التبغ .. هل تعلم أي الحيوانات يأكل التبغ ؟

فرد ساخرا : أنا .. وتابع : وردة تتضايق من سيجارة عمها بلص .. كانت تتعاطى الحشيش مع عمها بلص.

قال : كانت يا عم بلص .. كانت ـ ويمدها ـ اذهب ودخن سيجارتك ؛ لنتحدث كلمتين أو ثلاث ؛ ونحل مشكلة البيت .

قال: لا يوجد مشاكل ، تفاهمت مع عارف .. هذا بيت العائلة ، ولا يجوز بيعه وقسمته ، وإن كان ولا بد سأشتريه أنا أو عارف.

ظهر عارف يتهادى بكرشه الممتد أمامه ، فهو بدين إلى حد ما ، وطويل القامة وتتبعه امرأته ميرا ، والطفلة سلمى تمسك بيدها ، وألقى السلام ، وجلس مظهرا هو الآخر الغضب والحزن كانت ميرا تلبس السروال القصير وبلوزة تي شيرت كأنها ذاهبة لحلبة مصارعة .

فقال جهاد ساخطا : ما هذا يا عارف ؟! ولماذا حضرت تلك ؟فليس الصالة حلبة مصارعة .. سأنصرف أنا ووردة ، وغدا سأعلن عن بيع البيت وأملاك أمك كلها.

قال عارف : هذا بيت العائلة وذكريات ولمسات أمي كيف نبيعه؟

ـ كما تباع بيوت الورثة.

قال : خلاص تصالحت مع بلص .

قال : هذا شأنكم ، لا دخل له في البيع والتركة .. اشترِ أنت أو بلص أو تشاركا فيه ؛ لأن لكم فيه الذكريات واللمسات.

قال متظاهرا بالحزن على موت أمه: أمك لم يكمل الشهر على موتها .. مستعجلون على أموالها

قال جهاد : الذكريات ذهبت معها ..كل من يموت تذهب ذكرياته ومذكراته معه لا أحد متفرغ لقراءة أشخاص ماتوا .. من يقرأ مذكرات اليوم ؟!

قال وهو غير مقتنع بقوله : بعد سنة احتراما لموتها.

قال مصرا: اليوم والسنة مثل بعض يا أبا سلمى ! السلام عليكم

غادر وورده الفيلا ، فقال عارف لزوجته المكشرة صائحا : ألم أقل إن جهادا لا يعجبه هذا اللباس ؟

فصاحت : لا عمره أعجبه ..أنا طول عمري ألبسه في الدار في الشارع ..أنا احترام لأمك .. لم أكن أخرج به أمامه وأمام بعض المرضى المتعصبين مثل سالم.

صرخ : سمعت ! غدا سيعلن عن عرضه للبيع .

صرخت : تهويش! جعجعة!

تدخل بلص فقال: القانون يجيز ذلك .

صرخت في وجهه : ما دمنا نسكن فيه يا سكران لا يجوز بيعه.

قال بلص بصراخ : معقول أنا سكران ! عيرتني بالشيب .. هو القانون يجيز رؤية هذه الأفخاذ وهذه الصرة .

رفعت كفها ؛ كأنها تهم بصفعه وصاحت :اخرس يا وقح!

فرد هائجا : اخرسي يا قحبة ! أنا أعرف أحد عشاقك وخيانتك لهذا الحمار ـ وأشار لعارف القائم يتابع المعركة بعينيه وبذهول ـ فهو صديق لي .

صاح عارف : هل جننت يا بلص ؟!

رد عليه : أنت مغفل عن دعارتها ! اصح يا حمار !

اتصلت أرينا بعد خروجهم بوقت يسير بجهاد ، فقال : أرينا ترن عليّ .. ماذا حدث ؟!

فتح الخط وقال : آ .. يا أرينا!
قالت وهي تبكي بصوت عال : نشبت مشاجرة بين عارف وبلص ودفع عارف بلصا .. وبلص أغمي عليه. وقصت تفاصيل النزاع .
قال: حسنا أهدئي .. اتصلي بالإسعاف أنا قادم.
اغلق الهاتف النقال وقال : تشاجر الرجلان ، ودفع عارف بلصا ، فوقع على ظهره وخبط رأسه بالبلاط وفقد الوعي ..سأوصلك وأعود وأرى نهاية الفلم.
تركت وردة السيارة أمام بيتها فقال : سلمي على الدكتور وجوهر .
ـ أخبرني بما يحدث ، وما جرى.
قال : حاضر.
وعاد لفيلا أمه فوجد الإسعاف قد نقلت بلص إلى المستشفى ، وعارف وأرينا في سيارة الشرطة ، وسمع عارف يصيح في وجهه: أنت السبب!
عرف نفسه لضابط الشرطة المكلف بالمهمة ، فقال له: تفضل واتبعنا للمغفر لنسمع الحكاية ، فالرجل المصاب وضعه صعب ؛ كما قال طبيب الإسعاف .
تحركت سيارات البوليس ، وتبعها جهاد ، ووضح جهاد لضابط الأمن الأحداث من ليلة أمس ليلة حفلة رأس السنة لمساء اليوم ، وحضوره للاتفاق معهم على بيع الفيلا وإخلائها ليتم بيعها ميراثا ، وأما عارف فقال للضابط على مسمع من جهاد : اتهم بلص زوج أمي امرأتي بالخيانة الزوجية ، وبأن لها عشيق صديق له ، وسببته وسبني ، وكان قريبا من وجهي ، فدفعته فوقع فأغمي عليه .. هذه هي القصة.
وذكرت أرينا نفس كلام عارف ، وأضافت : هذا الرجل منذ ماتت زوجته أم الشباب ، وقد فقد عقله وجن.. وضربني قبل حضور المحامي وشتمني .
انصرف جهاد بالخادمة ، وأدخل عارف محبس النقطة حتى يأتيهم تقرير الطب الشرعي ، ونامت أرينا في بيت جهاد ؛ حيث يسكن هو وسالم في بناية من طابقين سالم الدور الثاني وهو

الأول في حي خالد بين شارع الساعة وشارع القوس ، أخذها لبيته خشية اعتداء ميرا عليها .
اتصلت الشرطة بعد الواحدة ليلا بجهاد معلنة عن وفاة زوج أمه بلص، فاسترجع المحامي ، وسار إلى المشفى الذي نقل إليه المصاب ، والتقى بطبيب الطوارئ.

فقال له: هو كان مريضا قبل الوقوع .. الضربة سببت له ارتجاج دماغي ونزيف ، ثم جلطة فمات .

ـ هو زوج أمي التي ماتت منذ أسبوعين ثلاث .

ـ سيحول للطب الشرعي لتشريحه ، وإخراج وثيقة الحالة والتقرير للشرطة ولذويه

قال : سأتصل ببعض ذويه ، فله ابن عم من جيله ، وسنقوم بدفنه حسب الأصول فلا زوجة له ، ولا ذرية .. تزوج أمي ، ولم تلد له .

ـ سيحضر شرطي لأخذ تقرير للشرطة .. تقرير بدائي .. فشقيقك الذي دفعه .. هو طبيب مثلنا .

قال: صحيح !

ـ هذا قاله ضابط المغفر ، لما نقلت له خبر الوفاة.

اعتبر موت بلص قتلا بالخطأ ، وأن عارفا لم يقصد القتل ، القتل حدث نتيجة نزاع ومشاجرة عائلية ، ولم يستخدم فيه أداة قتل ، هو دفعه دفعا فسقط على البلاط ، ونتيجة السقوط مات ، وصحة القتيل ضعيفة بسبب السرطان كذلك ، وإدمان الكحول ثالثا فتقرر خروج الطبيب بكفالة قانونية حتى يعرض على المحكمة .

انتهى دفن جثة بلص بعدد قليل من الناس ، ولم يقم أحد بفتح بيت عزاء ، وبعد الدفن خرج عارف من زنزانة البوليس وأوصله جهاد لفيلا أمه ، وتابع سيره لمكتب الشركة الخاصة بصهره ، وخلال العودة تحدث مع وردة ، وأنه تركه أمام الفيلا ، وبقيت إجراءات قانونية بسيطة لإنهاء القضية ، وهو شبه محطم من الألم والندم على موت بلص بدفعة منه ، وطلبت منه أن يعرض نفسه على عيادة طب نفسي .

كانت ميرا تعلم وقت خروج عارف نجيب ، فكانت في استقباله ، ومعها أختها فيرا وزوجها رجل الأعمال ناجي ، كانوا في انتظاره ولما وصل ، ودخل الفيلا هرعت إليه ميرا واحتضنته وقبلته ، ومعربة له عن حبها له ، وأخذت تواسيه عن الليالي التي قضاها في محبس الشرطة ، ولم ينقطع اتصالها بجهاد تستخبر عنه ، وفعلت فيرا مثلها قبلته ودعت له بالسلامة ، وهنأته على السلامة ، وفعل زوجها مثلهن عانقه وقبله ، وهنأه بالسلامة ، ولما جلسوا قدمت له كأس شراب صغير .

فقال : ما زال هناك جلسات محكمة ، وتنهد : لم ينته الأمر بعد.

قال ميرا: الحمد لله على السلامة ، وهذه شكليات ستنتهي يا حبيبي .. هي مجرد كلام ، وابن عم بلص أخذ ما فيه النصيب ، وسيسامح ويتنازل عن حق الدم .

قال زوج فيرا : القضية قضاء وقدر يا دكتور عارف ! والقتل الخطأ اذا تنازل أهل الضحية عنه ينتهي الأمر ، ولا يوجد حق عام ؛ وهذا كما يحدث عندما يدعس سائق شخصا وسلامتك.

قالت فيرا : وعند التصالح تدفع شركة التأمين بعض المال لأهل الميت ، هذا طبعا في حوادث السيارة ، وميرا دفعت ما فيه النصيب لقريبه .

رد عارف: تألمت وبكيت كثيرا من أجله ، مات زوج أمي على يدي .. أي عقوق هذا ؟! هذا عذاب لي حتى أموت .. هذا شيء مؤلم.. ستقول أمي يوم البعث قتلت زوجي يا عارف ؟!

قالت ميرا في سخرية : قل لها زوجك حبسني ليلة ، وسلمى وأمها ، واحتفل برأس السنة في بيتك.

فقال ناجي : يا دكتور اطمئن ! لا يوجد بعث ، ولا قبر .. هناك ناس تحرق جثثها فكيف سيخرجون من القبر ولا قبر ؟ .. أمصدق أنت خرافات المشعوذين ؟!

قالت فيرا : يا دكتور لا تكبر الموضوع ؛ كما قال حبيبي زوجي .. أنت لم تخطط وتقصد قتله .. النزاعات دائمة.. انتهى أجله .. كم قتل الأطباء بخطئهم في حق المرضى !.. يعطون أدوية

غير مناسبة ؛ لتشخيص خاطئ أو خطأ في التخدير أو العمليات.. يفقد الناس حياتهم بسبب كثرة الأخطاء يا أبا سلمى!

قال عارف بنغمة حزينة: سامحه الله .. اتهم ميرا بالزنا ، وأن لها عشيقا صديقا له .. هذا ما أغاظني .. يتهمني في عرضي يا ناجي !

حدق زوج فيرا بعيون ميرا ثم فيرا ، وقال للتضليل والتشكيك :كيف عرف الملعون؟!

قال : لست أدري ! واتهمني بالغفلة عن عشيقها .. أمعقول أن تخونني ميرا ؟!

قال ناجي : لا تصدق كل ما يقال يا دكتور.. لا ، لا تصدق هذا الاتهام يا عارف! ميرا أنت أحب الرجال إليها .. ماذا ستجد في غيرك ؟!

قالت ميرا : أنت حبيبي الوحيد .. بلص الملعون شرير كذاب .. كان يريد أن يفسد بينا .

قال : ولكنه يقول إن صديقه هو الذي يخونني.. هل له أصدقاء؟

فقالت مستهجنة : أتطلع إلى رجل عجوز مثله لأنام في حضنه ؟ أتصدق هذا يا عارف أنت فارس أحلامي وحياتي .

قال: رحمه الله.

صرخت : جحمه الله .. شرير شهواني !

استقر الشك في قلب عارف من كلام بلص خلال تلك الليلة ، وخلال أيام الزنزانة شغلت باله الخيانة الزوجية ، وأنه يعرف عشيقها ، وتنبهت فيه أشياء كان يأخذها على البراءة وحسن الظن، فبلص يعرف عشيقها ؛ ربما كان يتغزل بها لتخضع له ، بحكم أنه يعرف سرها وحقيقتها ، ووصفني بالمغفل والحمار ، والعشيق صديق له ، انشغل فكره منذ مات بلص بهذه التهمة الشنيعة ، وأخذ يراجع ذاكرته وأصدقاءه وأصدقاء بلص الذين يمكن أن تخونه بهم ، هل كان بلص يؤمن لها الزناة مقابل المزيد من الشراب والحشيش ؟ تذكر ليلة كان معها في فندق في بيروت يزوران أهلها ، رآها تخرج من غرفة جاره في الأوتيل ، وزعمت أنها دخلتها

بالخطأ.. أخطأت الغرفة والرقم .. فأخذ الأمر على حسن الظن وأثر الشراب عليها ، وكان ينزل في تلك الغرفة رجل دون امرأة ، رجل أوروبي وتحدثا يومها بالإنجليزية .

تذكر ذلك الموقف ، وهو يجلس على مقعد مكتبه في المستشفى مستشفى الحكومة العام في بعنبس .. لماذا عاد إليه هذا الموقف والمشهد ؟! ولماذا خطر في باله اليوم ؟! مغفل ولّا متغافل .. لماذا دائما تلبس السروال القصير والبطن والظهر مكشوفان ؛ ليس ذكرا في البيت إلا أنا وبلص .

هل حاولت أن تراود بلصا ؟ هل تعرت له ؟ كانت نظراته إليها بشهوة واشتهاء .. وتحرش فيها أكثر من مرة .. وأمي تحذره من الهبل .. وتذكره بضعفه وعجزه الجنسي .. فيتلمظ ويلزم الصمت بضعة أيام ؛ ثم يثور .. هل بينه وبين ميرا أشياء خفية ؟ علاقات خفية وأنا مغفل في نظره .. علاقات من ورائي ، ووراء أمي ، وزعم أن صديقه عشيقها .

كيف سأعرف هذا العشيق ؟ لماذا يكذب بلص في أمر خطير كهذا ؟ أنا كان ينتابني شعور متكرر بخيانة ميرا لي .. وما زال ؟ كيف يكشف الرجل الرجل الخائن ؟!كيف يكشف الرجل خيانة زوجته ؟ آه يا بلص ! سممت حياتي.. عليّ أن أتظاهر أمامها بأني نسيت الموضوع .. عليّ أن أبقى مغفلا .

فيرا تعرف شيئا ، وزوجها يعرف ، كان كلامهم يوم خرجت من المغفر فيه استخفاف بي ، كانوا يخفون شيئا ، ويتغامزون .. ظنوني غبيا.. لم أفهم.. فيرا ألم يمسكها زوجها في حضن رجل في فندق أثر حفلة سكر ؟ وكاد يطلقها لولا تدخل أمي والطبطبة على الموضوع .. سأكتشف العشيق يا عم بلص ، وأعرف الحقيقة ؛ لترتاح في قبرك .. لن أكون مغفلا يا ميرا ويا فيرا.

كيف أعرف تحركاتها في شركة التامين ؟ يوما تعالج هنا زميل لها في الشركة .. هذا كان من وقت .. ولم احتفظ برقمه ؛ ولكني أعرف اسمه .. وهذا سيفضحني فهو رجل نسوان ومغامرات نسائية .. هذه ليست طريقة صحيحة .. سأعرف العشيق يا عم بلص ؛ لتقر عينك

في القبر .. لابد أن الفسق كان في البيت ليطلع عليه بلص ..أنا في العمل هنا ، وأمي في المعرض ، وهي في إجازة أو أنا في سهرة وخمرة وهي بين أحضان عشيق .

هل اخبر جهادا بحيرتي ؟! جهاد صاحب خبرة من عمله في خفايا البشر وقضاياهم ، لم يفكر طويلا بتدخل جهاد ، فاتصل بمكتبه ، وبين له رغبته بالجلوس معه على انفراد في أمر خاص جدا .

فقال جهاد : عندنا غرفة خاصة للحديث الخاص جدا.

ـ أنا قادم .. النار تغلي في صدري وبطني وعروقي.

بعد ساعة كان عارف يدخل الغرفة والمكتب الخاص الذي يذكره القراء عندما جلس فيه جهاد وخميس ، ولما شرب القهوة التي قدمها أبو خالد.

قال بانفعال بين: أخي العزير أنا لما دفعت زوج أمنا كنت في غاية الغضب والغيظ قد استفزني الرجل واتهم ميرا بأن لها عشيقا ، وهو أحد أصدقائه ، ومن يومها لم يطرق النوم عيناي يا جهاد ، جن جنوني وأنا أفكر بهذا العشيق الذي يعلمه بلص ، بلص لا يكذب ، ولا يتحرش بها إلا وهو على علم بهذا العشيق ، ولا أجد طريقة لأعرف هذا الحائن ، ولم أجد إلا أنت ؛ لتساعدني وتزيل همي وغمي.

قال: هو من أصدقاء بلص .. هل ارتبت بها يوما ما؟

ـ كثيرا.

وحدثه عن حادثة فندق بيروت التي تذكرها وهو يفكر باتهام بلص .

قال : الشك مدمر للنفس يا عارف ! مدمر للحياة الزوجية .. والخيانة الزوجية وقعها شديد على الإنسان الشريف والطاهر .. أنت اعتبرت كلام بلص صدقا وأنه يعرف شيئا يكاد يستغله ضد ميرا .. اعلم واسمح لي بنطق ما في قلبي أن امرأتك وقحة .. عندما تسمح لنفسها بالظهور أمامي بلباس شبه عاري أو حتى أمام بلص فهذا قبح ؛ لكن تربيتها هكذا .. كانت أمك كما تعلم لا تهمها مثل هذه الاعتبارات والحشمة ، ولا تعتبره عيبا ، فكانت تسمع

أخبار وردة بكل برود .. وهي تعلم أن وردة تعاشر أطباء الجامعة ، وفقدت بكارتها وعذريتها ، ولم تكترث كأنها لم تكن ابنتها باسم الحرية والإلحاد ؛ ولكن وردة أدركت نفسها وروحها وعادت لفطرتها والطريق المستقيم.

ـ ماذا أفعل؟

قال : أنا أخشى اذا صح اتهام بلص أن تراها في حضن عشيق وتقع في جريمة أخرى .. أمر بلص ونجوت منه يا عارف! ربنا لطف بك .. فرأيي أن تطلقها وتريح نفسك ؛ لأنك ستعيش في مرض القلق والشك والجنون ، واذا أمسكت بالعشيق كما يغلب على ظنك ستقتله أو يقتلك ، وتدخل أنت أو هو السجن وهي ستجد لها عشيقا جديدا .. فدع غيرك ينتقم لك ..فأسلم لك ولوظيفتك ولقلبك .. الطلاق قبل أن تغرق يا عارف.. فكر .. فكر.

قال قائما : سأفكر فيه .. إلى اللقاء.

ضرب جمهورية هايتي في البحر الكاريبي يوم ١٢ كانون الثاني ٢٠١٠ زلزلا مدمرا. جمهورية هايتي إحدى بلدان البحر الكاريبي، كانت مستعمرة إسبانية حتى احتلتها فرنسا في سنة١٦٢٦ ، واعترفت إسبانيا بهذا الاحتلال في سنة١٦٧٩ ، تُعد هاييتي أقدم جمهورية



سوداء في العالم ، وثانية الدول المستقلة في نصف الكرة الغربي؛ إذ إنها تتمتع بالاستقلال، منذ عام ١٨٠٤؛ ولكنها خضعت، خلال معظم تلك الفترة لحكام مستبدين، لم يبذلوا أيّة جهود

لرفاهية شعبهم، فابتليت بأعمال العنف السياسي المستمرة .

قال عصام لوردة : عند الساعة العاشرة ليلا قبل قليل ضرب زلزال كبير سبع درجات على ريختر جزيرة هاييتي في البحر الكاريبي ، جزيرة شرق كوبا ؛ حيث عاش والدك متخفيا من الموساد .

فتساءلت : هل تتوقف الزلازل؟

قال : هذا زلزال ضخم ، ويتحدثون عن ضحايا ومباني كثر تساقطت .. فوكالات الأنباء تنشر اللحظات الأولى من الزلزال.. يظهر أنه دمر الجزيرة .

قالت وهي تفتح الخلوي وتقرأ عن تلك الجزيرة : يا الهي ! هذه أفقر بلدة في العالم وفيها حرب أهلية ، وفيها قوات سلام وعناصر من بلدنا فيها .

قال : أخبارهم العاجلة.. ها هم يقولون القتلى بالآلاف .

قالت : سبحان الله ! زلزال بأقل من دقيقة يقتل هذه الأرواح الطف بنا يا الله !

قال : أصابتنا هزة قبل سنوات ، لم يبق أحد في بيته الكل خرج للشوارع بعدا عن العمران .

قالت : هذا هو الحل المناسب .. البيوت تتحول لقبور ، ولا تصلح للاختباء .. لا يستطيع العلم لليوم من صنع جهاز يتنبأ بالزلازل ، تقرع أجهزة الإنذار بعد حدوث الزلزلة والكارثة .. قبل سنوات تسبب تسونامي جنوب أسيا بهلاك نصف مليون إنسان غرقا بسبب زلزال في المحيط الهادي.. ارحمنا برحمتك يا رب.

قال: أمين .. هل تأكد أن عارفا طلق امرأته اللعوب ميرا؟

قالت : سمعت أنه يفكر بطلاقها .. وما زال يفكر ؛ ربما تخويف .

قال : صدّق كلام بلص .

قالت : يبدو هذا .. بلص قبل موته ادعى أن لها عشيقا ، وأنه صديقه ، واتهم عارفا بالمغفل.

قال: لم يثبت شيء .. فلم الطلاق؟!

قالت : اتصلت به ، لم يفصح عن شيء إلا أنه يفكر بهذا الخيار والاقتراح .. وقد تعب من

الإشاعات ونظرات الأطباء والعاملين في المستشفى.. فحولها إشاعات ولا تفكر بتغيير سلوكها ، وترك لبس السروال القصير أمام الأصدقاء والزوار صار يستحي من أن يراها ضيف أو زائر هكذا .. فلم يعد يرحب بضيف وزائر ويضيق بسفورها وتبرجها .

قال : هل هناك امرأة أخرى ؟

قالت : جهاد يقول لا .. هناك اتهام صريح من بلص بوجود عشيق، وأنه صديقه وعارف يحس بذلك ، وتأثر بكلام بلص.

تبسم عصام وقال : وأنت!

قالت باسمة : صدق لا أعرف ، لم أكن صديقة لميرا ولا أختها .. كانت مجرد زوجة لأخي لا أسمع أسرارها ولا أخبارها .. كلام عابر ، وهي أيضا كانت بعيدة عن أسراري وأخباري.. لما أمر على أمي في بيتها لا أهتم بمقابلتها ، إن صادفتها سلمت عليها .. وأحيانا كثيرة لا تخرج للسلام عليّ .. ولا أكترث ..وهذا أمر غير مهم لنا يا حبيبي.

قال : الحمد لله الذي أخرجنا من الظلمات إلى النور يا وردة الحبيبة!

قالت : الحمد لله الحمد لله .. كنا جميعنا في الجاهلية .. نرحب بالخيانات الزوجية ونشجعها ، وإنها من الحرية للنساء .

وقع الزلزال المرعب " زلزال هايتي" في يوم الثلاثاء ١٢ يناير ٢٠١٠ في تمام ١٦:٥٣ بالتوقيت المحلي ، ٢١:٥٣ بالتوقيت العالمي الموحد ، كانت هزة أرضية بلغت قوتها ٧.٠ درجة على مقياس ريختر ، اشهر جهاز لقياس شدة الزلازل ، وكان مركزها يبعد نحو ١٠ أميال جنوب غربي العاصمة الهايتية بورتو برنس.

تقع منطقة الزلزال ضمن منطقة صدع زلزالي تعرف باسم صدع إنريكيو- بلينتين غاردن ، وهو صدع يشبه صدع سان أندريز في كاليفورنيا الأمريكية.

وفي المؤتمر الجيولوجي الثامن عشر لمنطقة الكاريبي الذي عقد في سانت دومينغو عاصمة

جمهورية الدومنيكان المجاورة لهايتي في مارس ٢٠٠٨، حذر خمسة من العلماء في دراسة قاموا بتقديمها في المؤتمر من "خطر زلزالي كبير" في المنطقة التي تشكل الصدع في الجزء الجنوبي من الجزيرة ، وهي المنطقة ذاتها التي وقع بها الزلزال في يناير ٢٠١٠. ويذكر بول مان الأستاذ في المعهد الجيوفيزيائي بجامعة تكساس وأحد معدي الدراسة قائلا «...المشكلة في مثل هذه الزلازل أنها قد تظل هادئة وساكنة لمئات السنين قبل أن تضرب من جديد » مضيفا كون ذلك السبب وراء عدم القدرة على التنبؤ بوقت وقوع الزلزال. الخسائر البشرية أكثر من ٢٣٠٠٠٠ قتيل، و ما يقارب ٢٢٠٠٠٠ جريح ، تضررت منه هايتي وجمهورية الدومينيكان وجمهورية كوبا.

الزلزال الذي استمر لما يزيد عن دقيقة واحدة خلف دمارا هائلا في حين أظهرت مشاهد تلفزيونية بثتها شبكة سي إن إن الامريكية التقطت عقب الزلزال مباشرة سحبا كثيفة من الغبار ارتفعت من العاصمة بورتو برنس ناتجة عن انهيار المباني جراء الزلزال.

قدر الصليب الأحمر الدولي أعداد المتأثرين بالزلزال بثلاثة ملايين شخص بين قتيل وجريح ومفقود ، وقد قتلت شخصيات عامة بارزة عديدة جراء هذا الزلزال، فيما أعلنت الحكومة الهايتية بعد شهر في ٩ فبراير عن دفن أكثر من ٢٣٠٠٠٠ قتيل في مقابر جماعية.

معظم معالم مدينة العاصمة انهارت أو تضررت بشدة جراء الزلزال ، بينها القصر الرئاسي ، مبنى الجمعية الوطنية (البرلمان) ، كاتدرائية بورتو برنس ، كذلك انهار السجن الرئيسي ، ومستشفى واحد على الأقل.

كما أعلنت الأمم المتحدة أن مقر قيادة قوات حفظ السلام الدولية في هاييتي والموجودة في هذا البلد منذ ٢٠٠٤، قد لحقت به أضرار كبيرة بعد مقتل العشرات من موظفيهم بما فيهم مبعوث الأمم المتحدة ونائبه ، لأن البلاد تعيش حرب أهلية .

أثر وقوع الزلزال سادت حالة من الهلع والفوضى سكان العاصمة الهايتية، حيث تجمع الآلاف في الشوارع خشية انهيار منازلهم ، فيما حل الظلام الدامس على المدينة أثر انقطاع التيار

الكهربائي.

المشهد في العاصمة لا يمكن تخيله ، فالبرلمان انهار ، ومصلحة الضرائب انهارت والمدارس انهارت والمستشفيات انهارت.

عقب الزلزال بيومين أعلنت الأمم المتحدة أن ٢٠٠ شخص قد فقدوا تحت أنقاض مقر قيادة القوات الدولية التابعة للأمم المتحدة في هاييتي، وأن رئيس البعثة التونسي هادي عنابي نفسه من بين القتلى .

كذلك أعلنت الأردن مقتل ثلاثة عسكريين من قوات حفظ السلام الدولية العاملة في الجزيرة وإصابة ٢٣ آخرين بجراح.

قامت قوات تابعة للأمم المتحدة بحفظ الأمن في شوارع بورتو برنس عقب الزلزال. كما اعتبر عقب الزلزال الرهيب مباشرة الآلاف من الأشخاص في عداد المفقودين بينهم عدد من الأجانب من جنسيات متعددة مثل البرازيل، الأرجنتين، تشاد ، الأردن، الفلبين ، الولايات المتحدة إضافة إلى كندا ؛ حيث تعتبر هاييتي ثاني أكبر متلقي للمساعدات الكندية ، كما تتواجد جالية هايتية كبيرة في كندا، إضافة لكون الحاكمة العامة لكندا ميكائيل جان من أصل هاييتي. بعد الزلزال المدمر الذي ضرب البلاد أعلنت بلدان حول العالم عن تعاطفها مع هاييتي ، كما بدأت بتقديم معونات إنسانية عاجلة للشعب الهايتي، بعض البلدان باشرت بإرسال معدات إنقاذ وعاملي الإغاثة بشكل مباشر إلى المناطق التي تأثرت بالزلزال.

الأردن أرسلت الأردن طائرة عسكرية محملة بمواد إغاثة ، ومستشفى ميداني عسكري متحرك إلى هاييتي. البرازيل أعلن رئيسها لويس دا سيلفا عن إرسال مبلغ ١٥ مليون دولار أمريكي كمساعدة إنسانية عاجلة لهاييتي للمساهمة في إعادة إعمار البلد عقب هذه الكارثة.

الاتحاد الأوروبي أعلن عن إرساله ٣ ملايين يورو كمساعدة أولية عاجلة عقب الزلزال، في حين يتوقع منه إرسال المزيد بعد تقييم وتجلي حجم الأضرار.

فرنسا أعلن وزير الخارجية أن فرنسا سوف ترسل مساعدات للبلاد، فيما أعلنت منظمة

ميدسان سان فرونتير أنها تقوم بعلاج نحو ٦٠٠ شخص في مراكزها في برنس إضافة لإرسالها لـ ١٠٠ سرير إضافي لمستشفى ميداني. إيطاليا أعلنت الحكومة الإيطالية عن إرسالها لطائرة نقل عسكرية تحمل مستشفى ميداني وفريق طوارئ طبي إلى هايتي.

المغرب أعلن العاهل المغربي عن إرسال بلده لمبلغ مليون دولار أمريكي كمساعدة إنسانية عاجلة إلى هاييتي.

النرويج أعلنت عن إرسالها بعثة من الصليب الأحمر النرويجي، إضافة لمساهمتها بمبلغ ٤٠ مليون كرونة نرويجية (٧ ملايين دولار أمريكي) سويسرا غادرت طائرة إنقاذ سويسرية طراز تشالنجر ٦٠٠ زيورخ أثر الزلزال في مساهمة من الوكالة السويسرية للتنمية والتعاون من أجل تحديد الاحتياجات المحلية والاستعداد في حالة الحاجة للمزيد من المساعدات.

تركيا أعلن رئيس وزرائها رجب طيب أردوغان عن إرسال مستشفى متنقل وجهازي فحص طبي وطاقم مساعدة مكون من ٢٠ شخصا، إضافة لعشرة أطنان من الأدوية والمعدات الطبية. الإمارات العربية المتحدة أعلنت أنها ستقوم بإرسال جسر جوي يحمل مساعدات إنسانية إلى هاييتي، فيما أعلنت المنظمات الخيرية في الإمارات بينها منظمة خليفة زايد الخيرية للأعمال الخيرية والإنسانية، محمد بن راشد آل مكتوم للأعمال الخيرية والإنسانية عن تنسيقها لجهود الإغاثة الإنسانية الإضافية.

المملكة المتحدة أعلنت عن إرسالها ١٠ ملايين دولار أمريكي، وبعد يوم من الزلزال وصل فريق مكون من ٧١ عامل بحث وإنقاذ مزودين بكلاب مدربة إلى هايتي في محاولة للمساعدة للبحث عن المصابين واستخراجهم من الأنقاض.

الكويت أعلنت الكويت تبرعها بـ ٣.٥ مليون دولار أمريكي لضحايا الزلزال. فنزويلا أعلن وزير خارجيتها عن إرساله ٥٠ عنصرا لنقل المساعدات والأغذية إلى هايتي، كما أعلنت عن إنشائها مركزا لجمع التبرعات من المواطنين للتبرع بالأغذية والملابس والبضائع الأخرى للشعب الهاييتي. قطر أرسلت فريق إنقاذ مكون من ٢٥ شخصا ، إضافة لنحو ٥٠ طنا من

مواد الإغاثة. سوريا أرسلت طائرة مساعدات إنسانية محملة بنحو ٣٠ طنا من المواد الغذائية والطبية والخيم والألبسة لمنكوبي زلزال هاييتي.

السعودية أعلنت تقديمها ٥٠ مليون دولار لمساعدة هاييتي ، بتوجيه من الملك عبد الله ، لإغاثة الشعب الهاييتي، واعتبرت "أكبر مساهمة تعلن لصالح هايتي في منطقة الشرق الأوسط".

الولايات المتحدة أعلنت بعد الزلزال على لسان رئيسها باراك أوباما عن تقديم مساعدة عاجلة إلى هاييتي بقيمة ١٠٠ مليون دولار أمريكي. وفي مؤتمر صحفي وبناء على طلب الرئيس الأمريكي من الرئيسين الأمريكيين السابقين له بيل كلينتون وجورج بوش بالمساهمة في جهود المساعدة قام بتكليفهما بجمع أموال لمساعدة ضحايا الزلزال في هايتي تحت اسم "صندوق كلينتون- بوش من أجل هاييتي".

كما أعلن الرئيس الأمريكي عن "احدى أكبر عمليات الإنقاذ" في تاريخ الولايات المتحدة ؛ حيث قال أوباما في حضور الرئيسين السابقين أن المساعدات لهذا البلد الصغير في الكاريبي "ستمتد لأشهر وسنوات".

سارعت أكثر من ٣٠ دولة إلى إرسال مساعدات متعددة ، بينها مستشفيات ميدانية، أغذية ، أدوية وفرق إنقاذ من دول كالصين، بريطانيا والاتحاد الأوروبي، روسيا، كندا وعدد من دول أمريكا اللاتينية كالبرازيل للمساهمة في البحث عن ناجين وإخراج الجثث من تحت الأنقاض . وأعلن رئيس هاييتي رينيه بريفال في ١٧ يناير أن القوات الأمريكية ستساعد قوات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة في الحفاظ على النظام في شوارع هايتي ؛ حيث تنتشر قوات الشرطة وقوات حفظ السلام بالفعل؛ لكنها لم تستطع توفير الأمن بشكل كامل في شوارع البلاد المنفلتة ، حيث انتشرت أعمال نهب وسلب المتاجر والمنازل، إضافة لاشتباكات بين اللصوص. وبشكل مؤقت فقد منح الرئيس الهاييتي الولايات المتحدة سلطة إدارة مطار برنس الصغير وذلك لإدارة جهود المساعدات الدولية.

هل فعلوا مثل هذا لأهل غزة قبل عام واحد ؟ هناك من له بواكي، وآخرون لا بواكي لهم ، لهم الله الكبير المتعال !

كانت أخبار زلزال هاييتي تتصدر الأخبار في العالم ؛ لأن نتائج الزلزال مرعبة ، وقد هلكت فيها مكاتب الأمم المتحدة ، ومقتل التونسي مندوب الأمم ، وقتل عدد من قوات السلام العاملة هناك ، فكانت الأخبار سمعية ومرئية ومكتوبة تملأ كل الوسائل .

بعد هذا الحادث المرعب والحدث العالمي ، رجعت جريدة وزوجها شهاب من عملهم في الرياض بعد إنهاء عقدهم مع إحدى المستشفيات الخاصة ، وكانون يفكرون بإنشاء مستشفى متوسط الحجم لمعالجة عددا من الأمراض ؛ لأنها ورثت الملايين .

أخبر عارف وردة بعودة جريدة من الرياض ، فاتصلت لتطمئن عليها ، وعلى زوجها ، وتسمع أفكارهما ؛ فكانت جريدة تحدثها عن رغبتها وزوجها بإنشاء مستشفى أو شراء مستشفى خاص .

فبعد التحية والتعبير عن الحب والشوق والمشاعر ، ولما سئلت عن الحمل قالت وردة : الحمد لله حمدا لا يحصى .. وأنت هل حملت ؟

ردت بضيق كأنها تفاجأت بالسؤال : سنبدأ بعمل فحوصات جديدة في بعنبس.. أنا وهو .. فحوصات الرياض لم تثمر ولو بنص جنين .. بعد ترتيب أوضاعنا سنهتم بالحمل.. مع أني غير مستعجلة .. بس من أجل حبيبي شهاب!

تبسمت وردة : هو معك يسمع !

قالت : وأنا أرفع صوتي ليعلم أني جادة وراغبة في الحمل من أجل عيونه.. وشهاب يحييك ، ويتمنى لك السلامة بولادة التؤام .

قالت : سلمه الله ، تحياتي له .. عصام أيضا يسلم عليكم .. هل تكلمت مع جهاد وسالم ؟ فهو هنا.

قالت : سأتصل بها .. تحدثت مع الشقيق العسل عارف ، وأخبرني بأنه يفكر بترك ميرا ؛ لأنها تخونه كما قال بلص قبل موته .

تنهدت وردة وقالت : ما زال يفكر .. من أول الشهر وهو يفكر .. تحدثي مع عمك حبيب .

صاحت كأنها لسعت بعقرب : حبيب ! ولماذا أتحدث معه ؟! من أيام الكلية ما تحدثت معه إلا اذا صادفته.

ـ آ ! عفوا ، نسيت أنك تخليت عن أسرة عارف .. عمك لا تنسي .. عمك أعطاك تلك الملايين .. فصرت مليونيرة .

ـ عمي!

قالت : نعم عمك ، كانت الأموال باسم عمك ؛ ليست باسمنا ، لو لم يدفعها لنا عن طيب خاطر ما أخذناها ..أبوك كان يعلم أن له خمسة أطفال شرق الاطلسي عندما رحل لكوبا .. فهي له قانونا .. ولم يطلب أبوك من عمنا أن يتنازل عنها لنا يا بطة!

قالت ممتعضة : هذا أنت بتومتي بالعم حبيب ! .. أنا لم أقل له تنازل عنها .. ما دامت صارت ملكي فلا يجب عليّ أن أعيدها أو حتى أشكره .. بصراحة أنا لا أحبه ، لا أعلم كيف أحببته ؟! .. له مواقف معي لا تنسى.. اسمعي يا وردة بنت نجيب بكل صراحة ، ودون لف ودوران ، لن أتكلم مع جهاد ، ولا مع سالم ، ولا مع حبيب وفريق عمك حبيب .. وأنا ما زلت في الجاهلية الأولى ، كلهم تخلفوا عن حضور زواجنا كما تذكرين .

قالت : هداك الله .. أنا ظننت أنك تغيرت في بلاد الحرمين !

قالت : نحن بعيدون جدا عن الحرمين يا حبيبتي ! هناك كفرة أكثر مما في بعنبس هو اذا كتب على العلم لا إله إلا الله أو الله أكبر صار أهل البلد مسلمين .. شكرا على نصائحك.

قالت : على أي حال اعتبري هذا الاتصال عن الزيارة الشخصية ؟

ـ هذا زعلتي.

قالت : نعم ، زعلت .. عصام لن يقبل أن يراك سافرة متبرجة.

صاحت بغيظ : عصام صار شيخا .. عليه ألا يخرج للشارع .. فالسافرات والكاسيات العاريات يملأن شوارع ومولات بعنبس.

قالت : كلنا شيوخ ! اذا احتجت لأختك الكبيرة على رأي عارف اتصلي .. أنا عملت الواجب .

قالت : أي واجب ؟

قالت : الاتصال بحضرتك .. مع السلامة . وأغلقت الهاتف .

فقال شهاب باسما : تشاجرتم!

صرخت في وجهه قائلة : بدها أسلم على العم حبيب البغيض .. خسارة الاسم فيه .. وسالم وجهاد .

صرخ : أنت تسلمين على الشيطان ..كنت تسلمين وتصافحين على كل أطباء وكوادر المستشفى .

خفضت من صوتها وقالت : يا سلام ! هم الذين يجب عليهم أن يسلموا عليّ ويتصالحوا معي.

هو الآخر خفض وغض من صوته وقال : يا سلام ! من أنت ؟ الرئيس .. الزعيم .. يا للجهل !

صاحت : أنا أم الجهل ! أم الجحود !

قال : أنت تكلمت مع عارف وأخبرتيه بوصولنا .. لم يبدأ هو على نظريتك .. سمعتك تعترفين بأنك ما زلت في الجاهلية الأولى .

سكبت لنفسها شرابا ، وأشعلت سيجارة وقالت: نكدت عليّ الشيخة وردة.

ـ وأنت بهذه الخمرة تذهبين النكد !





الأعمال الإنسانية من المستحسن المشاركة فيها ، ولو مع العدو ، قدمت جمعيات الإغاثة في البلاد الشامخة مساعدات مع هيئة الإغاثة الرسمية التابعة للدولة لأهل هاييتي من أغذية محفوظة وأدوية وحليب أطفال ، فجمعت الأطنان ، ونقلت بطيارات تجارية إلى تلك البلاد المنكوبة ، فالتعاطف الإنساني مطلوب ، ويقدم للجميع والدول الضعيفة والفقيرة بحاجة إلى أي مساعدة مهما صغرت ، وشاركت جمعية الإغاثة رحمة بجمع المساعدات العينية والمالية لشراء المواد الطبية والغذائية كحملة أولى مستعجلة ، هذا كله في باب التعاون الدولي .

أرسلت الجمعية المذكورة مندوبا واحدا عنها مع الحملة وهو طبيب ، فالبلاد المصابة بعيدة في البحر الكاريبي الذي يفصل بين الأميركتين ، وهو جزء من المحيط الأطلسي .

ضربت جريدة على رقم وردة الخلوي ، فلم ترد ، ولم تفتح خطا ، فاتصلت بنوال الكاتبة .

فقالت لها : في غرفة الفحص.

ـ لما تنته ضروري تتكلم معي !

ـ إن شاء الله.

لما غادرت المراجعة غرفة الفحص ، وودعتها الدكتورة لباب الغرفة ، وهي تدعو لها بالسلامة والولادة الطبيعية.

قالت نوال : أختك يا دكتورة تقول اتصلي بها ضروري .

قالت : ضروري .. ما هو الضروري في قاموس جريدة ؟! هي رنت على الموبايل وكنت مشغولة .. شكرا نوال.. أشعر بأني متعبة .. هل ستأتي زميلتنا اليوم ؟

ـ أخبرتني صباحا أنها ستاتي ، وقبل قليل اعتذرت .. لا أدري من المريض عندها ابنها زوجها والدها!

قالت : سأتصل بها ، وأعرف القصة .. كم بقي عندك؟

ـ ثلاث ، حالتان حمل ، وواحدة نزيف بعد الدورة يذهب ويأتي .

قالت : متزوجة.

قالت : عندها خمسة .

فكرت قليلا وقالت : ما شاء الله !.. لعلها مستحاضة .. هناك شيء أو مرض يسمى الاستحاضة يا نوال ! تنتهي الدورة ويزال الدم ينزل ..خليها تدخل أولا .. لا ، لا ، فليبق الدور .. ادخلي صاحبة الدور.

ـ حاضر .

خرجت نوال وأذنت للمراجعة التالية بالدخول ، فرحبت بها وردة بابتسامة واسعة ، وسألتها عن أخبارها وأمورها وصحتها مع الحمل ، وبعد الاطلاع السريع على السيرة المرضية قالت : عملت فحص الدم والبول .

ـ نعم ، وهذا تقريرهم . وتناولته وردة ، وهو عبارة عن صفحة واحدة مروّسة باسم مختبر الفحص .



قالت : دمك نازل .. تسع درجات .. يبدو أنك لا تلتزمين ببرنامج التغذية المناسب الموصوف لك .. فقر الدم الأميبيا والحمل تحتاج لحديد .. وأنت لا تأخذين الحديد .. أحب تذكيرك بالأغذية المناسبة للحامل.. تذكري أن زيادة الوزن للحامل غير ضارة خاصة بعد الشهور الثلاثة للحمل يا سيدة ثريا .. والغذاء يعتمد على السعرات التي تؤمنها الأغذية .. الجسم بحاجة لبروتين ودهون وكربوهيدرات سكريات .. هذه المواد الأساسية لتركيب الخلية البشرية ، وكل المخلوقات .. الطعام المتوازن الأهم .. الفواكه الطازجة أفضل ، فيها الألياف والفيتامينات الطبيعية .. دهون صحية مثل المكسرات البذور الغنية بالأوميجا ، الحذر من الوجبات السريعة ، والحلويات المشبعة بالسكريات الصناعية .. كلي من الخضروات الورقية ، الحمضيات ، الألبان من أجل الكالسيوم .. فيتامين د من السمك .. البيض .. عنصر الحديد مهم للدم ، مصادره اللحم الأحمر الخالي من الدهن الدجاج السمك الخضروات السبانخ الفاصولياء ، الإكثار من شرب الماء يا حبيبتي ! وأنت خارجة اطلبي من نوال جدول الأغذية الصحية للحامل.

وتابعت بعد فترة سكوت ، فهي حامل وفي شهورها الأخيرة : تجنبي الإكثار من القهوة .. وزن الجنين كما يبدو على الجهاز ممتاز في الشهر الخامس أنت ، وطوله طبيعي خمس وعشرون تقريبا .. اذا استمر الدم بالانخفاض ووصل سبع درجات سأضطر أن أحولك للمستشفى لتأخذي وحدة دم أو اثنتين مع أنني لا أحبذ ذلك خشية العدوى .. عليك بالإكثار من الأغذية الغنية بالحديد مثل الحبوب الكاملة القمح الأسود والنخالة الشوفان والخضار الأخضر مع مادة الحديد من الصيدلية .

رن المحمول فنظرت للمتصل ؛ فإنها جريدة ، فأعادته للطاولة . وقالت : يا سيدتي التغذية ولو بصورة متقطعة خلال اليوم أكثر من وجبة مهمة لك سيدتي وفي الشهر الخامس خاصة .. هذا زوجك يحب المواليد!

ابتسمت ثريا : أنا التي تحب المواليد .. ليتي أنجب دزينة.

ـ لماذا؟!

بعد الثالثة أغلقت العيادة كما هو برنامج العمل في فصل الشتاء ، وتناولت الغداء مع عصام الذي لا يعمل كثيرا ، فهو مع وقت صلاة الظهر يعود للبيت وقد تابع أعمالهما التجارية فترة الصباح ، فهو ما زال يعاني من مشاكل الجهاز العصبي وكسور الفقرات ، فهو يستخدم العكاز للمساعدة في المشي ؛ ولكنه يستطيع قيادة السيارة .

استيقظ جوهر ابن الصف الثالث من النوم للغداء مع والديه ، هو يرجع من المدرسة الخاصة قبل عودة أمه بساعة أو ساعة ونصف ، فهو طالب يدرس في مدرسة يملكها المهندسان سامي وحسن منذ خمس سنوات كنوع من الاستثمار ، فقد مات مالكها وعرضت عليهما فقبلاها ، ولم يتغير شيء في إدارتها معلمات وإدارة ؛ إنما الذي تغير المالك فحسب ، والمحاسب وشركة التدقيق، فلما يعود تقدم له المربية كوبا من العصير ، ثم يرقد حتى تعود أمه ويجتمعون على المائدة ، ولم يكادوا ينهضون عن الطعام حتى رن جرس البوابة الخارجية وتبين على الكاميرا جسم جريدة نجيب ، فقالت وهي تضغط على زر فتح البوابة : إنها جريدة .. طول اليوم وهي ترن عليّ .

ـ ولماذا لم تردي عليها ؟!

قالت : زعلانة منها من تلك الساعة التي تخبرها .

قال : إنها أختك الصغيرة يا كبيرة على رأي عارف .

ضحكت وهي تستقبل جريدة على باب الفيلا الداخلي ، وتعانقتا على المدخل فقالت: مرحبا وردة .. تحياتي دكتور عصام !

ـ أهلا وسهلا مرحبا . وهنأها على السلامة ، وقال وهو يقف : سأدخل المكتب يا وردة .

صاحت جريدة : لا داعي يا دكتور! لا أسرار يا ابن العم .. كيف الحاج حبيب؟

قال: الحمد لله بخير وعافية.. وأنت .

ـ الحمد لله .. سلم عليه .

قال : السلام عليكم .

قالت وردة مازحة : قالت جريدة لا أسرار يا عصام خليك!

تابع سيره ، واحتضنت جريدة جوهرا ، ورفعته إلى صدرها وقبلته على خديه وقالت : متى يكون لك ابن خالة يا نور عيني حبيبي جوهر ؟

ولما أنزلته قالت أمه : اذهب إلى مكتب أبيك ؛ واجلس معه لنرى ما عند خالتك من أسرار ماذا تريد من أختها الكبيرة على رأي خالك عارف؟

جلست وأخرجت علبة السجائر من حقيبة اليد : مسموح التدخين.

ـ غير مسموح يا أختي الصغيرة .. لا تدخين ولا خمر .. تناسبك القهوة.

قالت محدقة بعيني وردة : حكم عسكري .

ردت وردة : نعم حكم عسكري ! ليمنعك من الإضرار بصحتك ، ألا يكتبون لك على العلبة التدخين يضر بالصحة .. التدخين يسبب السرطان.

ـ لما يصنعونه ؟

قالت : أنت طبيبة وذكرت أنك عملت طبيبة باطني .. فالضرر معلوم بالضرورة كما يقال .

ـ مسموح الإطالة .

قالت : البيت بيتك.. نحن قبل دقائق قمنا عن الأكل .. أتكلين ؟

قالت : من يطهوه؟

ـ أنا ، قبل الذهاب للعيادة أبدأ به ، بعد صلاة الفجر وقراءة القرآن والأذكار الصباحية أعمل في المطبخ حسب اتفاقنا ليلا مع مشاورة حبيبي جوهر .. وقبل التاسعة نكون طبخنا وأفطرنا واستعددنا للعمل .. وعصرا نسخنه على فرن الغاز أو الميكروويف.

أحضرت مربية جوهر الشاي ، وأخذت وردة تصبه في الأكواب ، ثم حملت الأبريق والكاسات إلى مكتب عصام ، وملأت كوبين ، وتركت الإبريق عنده ، ولما عادت قالت

جريدة التي تابعت المشهد : تغيرت كثيرا يا وردة ! كان شعارك زمان اخدم نفسك بنفسك .. أكيد عصام سعيد بما تفعلين .

قالت : بل أنا سعيدة بما أفعل .. عصام طول عمري أحبه ؛ ولولا حبي له ما تزوجته ، وهو وصديقي ووالد عزيزي جوهر .. مسكين ما زال المرض يرهقه .

قالت : ما زال عاجزا عن المعاشرة !

قالت : الحمد لله .. على كل حال تخيلي ما شئت ..أنا رضيت بقدري .. الرجل كما تعلمين تركني ؛ لكني راجعت نفسي وحياتي ..وعدت إليه .. واليوم وسائل الجنس والإثارة كثيرة .. ومواقع الإباحية تملأ العالم .. الجنس حاجة ؛ لكنها ليست الأهم من الأكل والماء .. يمكن الاستغناء عنه ، والبقاء أرملة حتى الموت .. والشباب يبقى أعزب لربع قرن بدون زواج .. والاستمناء لا يغني عن الزواج وإلا ما تزوج أحد .. ونحن النساء بعد الخمسين تقل الحاجة إلى للجماع ، الأكل والماء لا غنى عنهما حتى الموت .. أنا فعلا رضيت بهذه الحياة والعلاقة ، وإلا ما رجعت .. عمتي فاطمة مثالي في هذه الجزئية .

ـ عمتك فاطمة .. تقصدين أخت حبيب.

قالت بشدة : أخت نجيب وحبيب ، ترملت صغيرة على ثلاثة أطفال ، ورفضت أي زواج وعاشت سعيدة .. وهي أكبر من عمي حبيب .. أنت تعلمين أن المرأة كلما كبرت ضعفت شهوتها .. وتسمعين عن سن اليأس الخاص بالنساء حتى لو جامعت ذكرا لن تكون كما كانت شابة.. فالهرمون الجنسي انتهى أجله .. جماع بلا متعة وشهوة .. صدقي لولا عملي في طب النساء ومثل هذه المشاكل ما تكلمت في مثل هكذا موضوع.. أنا سعيدة بحياتي .. مثلي مثل الأرملة أو المطلقة .. والآن ما هو الموضوع الضروري ؟

ردت : الحقيقة هما موضوعان ، أنا حزين من أجلك!

ضحكت وردة وقالت : عدنا ، والله أنا سعيدة جدا .. احزني على نفسك .. أعود وأكرر .. كم سنة يبقى الإنسان الذكر والأنثى بدون زواج ؟.. الذي مثلي ومثلك خمس وعشرون سنة ،

ثماني عشرة مدارس ، وسبع جامعة .. والكثير من الجنسين يصبر على ترك غريزة الجنس .. وقلت العادة السرية أو ممارسة الجنس العابر غير مريح ومتعب للطرفين .. فيا حبيبتي لا تحزني عليّ !

قالت :كلامك عجيب وصحيح ! المحامي القاضي نويل قريب شهاب قال لي : أغلب القضايا التي تعرض أمامي بسبب هذه الغريزة .. على كل الموضوع الأول والاهم بالنسبة لي أنا وشهاب أننا نفكر بإقامة مستشفى من أموال أبي فنحتاج لشركاء حتى نُكوّن الهيئة المؤسسة .. هو شركة خاصة ، فعارف رحب بالفكرة ، وأنت وعصام ما تقولان.

قالت: هل ستبنون مبنى من الصفر أو مبنى مشترى أم تشترون مستشفى .. فسامي ابن عمك يملك هو والمهندس حسن زوج نوار مستشفى .

قالت : سامي هو مهندس !

قالت : سامي وحسن مهندسان وزوجاتهما طبيبات .. أي استثمار يقع عرضه عليهما يستثمرانه اذا كان طبعا يستحق الاستثمار .. فالمال في السوق خير من يكون في بطن البنك .. فجوهر يتعلم في مدرسة خاصة يملكانها.. هم ملاك فقط وعندنا مصنع دواء كبير يصدر بعض الأدوية للدول العربية والإسلامية نملكه نحن العشرة ؛ لا أكثر من عشرة .

قالت : الستة .. العشرة .. الأكثر !

قالت : أنا وعصام وجهاد وزوجته رندا وحسن وزوجته نوار ابنة عمك وسامي وزوجته هناء وعمي حبيب واعتقد إبراهيم شقيق رندا وسالم وريم زوجته .

ـ والمستشفى.

قالت : أيضا لنفس المجموعة ، أشركنا فيه ، وفيه آخرون ، ويديره ابن خالة لهم واسمه مستشفى الروح ، حي رمانة ، يفصله شارع تاج الزمان عن تاج الزمان .. هو يخدم طرف بعنبس وطرف تاج الزمان .. قريب من حي عمي وسامي وحسن .. هم يسكنون حي بنت الباشا .. صرت أحول بعض مريضاتي للعلاج أو الولادة فيه .

ـ مستشفى الروح ما أعماله ؟

قالت : الكسور الولادة وأمراض النساء أو بعضها الأسنان العيون الباطني والصدر والأسرة أنف أذن حنجرة .. هم بعيدون عن جراحة الدماغ والقلب ولدينا مختبرات وأجهزة تصوير متنوعة .. وأنا وعصام نمتلك صيدليتين ومصنع دواء صغير أدوية محلية وملينات وصابون طبي .. يديره دكتور صيدلة .

ـ هذا أنتم تعملون وأنا غافلة !

قالت مبررة : لا تتصلين ، واذا اتصلت لا تسألين ، واذا غلطت واتصلت كيف حالكم ؟ .. إن شاء الله بخير.. آخر أفلام عنبس وبعنبس .. لا دور سينما هنا والسلام .

قالت : أنا فعلا غافلة كما يقول شهاب .. مشغولة بالموضة واللبس وأنواع الكحول .

قالت : الموضوع الثاني .

قالت : تشاوري مع عصام ما دمتم تحبون الاستثمار ؛ لنعمل جمعية تأسيسية ما دمنا نملك المال .. لماذا نبقى نعمل عند الناس ؟ فلنعكس الأمر .. الأمر الثاني يا أختي الكبيرة زميلتي هدى التي تخرجت معي ؛ ربما تعرفينها دعوتها إلى النادي كذا مرة .. هي تعمل في مستشفى حكومي أو مع الحكومة مثل شقيقنا عارف .. وما زلنا نتواصل اجتماعيا .. لها أخت أكبر منها تعمل معلمة في مدرسة حكومية فهؤلاء يحبون العمل مع الحكومة ..أنا عملت اختصاص في الرياض ولم اكمله بإنهاء عقدي قد أكمله هنا في مستشفى الجامعة .. فأحد مدرسي سيساعدني في ذلك .

قطعت كلامها : المعلمة أخت هدى في مدرسة حكومية ..

ـ خرجت عن النص ، هذه المعلمة اسمها هداية وأكبر من هدى ، ومنذ تزوجت لم تلد وترغب بالحمل ، كما فعلت أنت ، طفل المختبر .

قالت: كيف أساعدها واخدمها؟

ـ راغبة بزياتك وسماع التفاصيل منك ، سماع قصة الحبل بدون ذكر.

ضحكت وردة وقالت : يا مجنونة في ذكر ! هل تظنين أني اشتريت منويات من بنوك المني في أوروبا ؟.. هذا حرام عندنا .. ولن يكون ابن عصام إلا منا ـ وأشارت لبطنها ـ هو مني ومن عصام ؛ لكن بدون اتصال جنسي كما هي العادة والطبيعة البشرية .. أخذت منويات من عصام وبويضات مني وتلقحت في الأنبوب ، ثم زرعت في الرحم ؛ كما يفعل البياطرة بالتلقيح الصناعي يأخذون منويات الثور أو الخيل وتوضع في رحم البقرة والفرس ، لكن هنا الإخصاب يحدث في أنبوب اختبار ؛ فاذا تكاثر الإخصاب ونجح يزرع في رحم المرأة ، وقد ينجح بنسبة ثلاثين بالمائة ، وكثيرا ما يفشل .. أنا فشلت أول مرة .. لما رجعنا من رحلة العلاج في فرنسا وفي شهر أيار أعدنا المحاولة ولحد الآن ناجحة .

قالت : يعني .

قالت : تحاول ، يتم فحص البيوض والمنوي ؛ فاذا كان حيا ولو ضعيفا يمكن تنشيطه ، وكذلك البيوض ، ويخضع الذكر لعملية شفط الحيوان من الخصية أو السائل المنوي ، والمرأة تؤخذ البيوض من المبيض بعد تنشطيها لتعطي أكثر من واحدة .. عمليات دقيقة ؛ ولكنها سريعة لا تستغرق وقتا طويلا، وبعد تلقيح عدد من البيضات بالحيوان المنوي المأخوذ من الزوج يزرع في الرحم .. وعليها أن تجري الفحوصات وتحاول .. فالأمومة غريزة مهمة في حياة النساء غير ما يدعيه الجاهلون مثلي قديما.

قالت : سنزورك ثلاثتنا .

ـ أهلا بكم هنا أو في العيادة .

ـ ما رأيك في شقتي ؟

ـ لا داعي .. هنا أفضل أنا أحب البيت بعد ساعات العمل .. فحق عصام وجوهر أن أعيش معهم بضع ساعات قبل النوم .

قالت : والله تغيرت يا وردة ! وكنت تعودين للبيت مع الفجر.

ـ الحمد لله أن أكون اليوم كما قال ربي " وقرن في بيوتكن "

ـ ذا قرآن .

ـ عمرك قرأت القرآن .

قالت : أسمع أحيانا .

غادرت جريدة بيت شقيقتها مغربا ، فقالت وردة لعصام : هل صليتم ؟

قال: صليت أنا والشيخ جوهر ، علمتهم المعلمة الصلاة كما علمتهم من أسابيع الوضوء.

حملت وردة جوهرا وعانقته حبا وقبلت وجنتيه: حبيبي جوهر أنت ولد طيب ورائع !

قال جوهر : كان خالي جهاد في المدرسة .

ـ خالك جهاد كان في المدرسة.

قال : وأعطاني خمسة دنانير .

ـ وماذا فعلت بها يا حبيبي ؟

ـ هي في جيب بنطلوني.

أنزلته بعد قبلتين أخريتين والتفتت لعصام وقالت : هل أصنع لك شايا ؟

ـ شربنا الشاي مع جريدة ماذا تريد ؟

قالت : تسعى وزوجها لإقامة مستشفى ، ويرغبون بمساهمتنا بإدارة المشفى لتشكيل جمعية تأسيسية ؛ لنكون في مجلس الإدارة ، لم يعد لديهم رغبة بالعمل تحت إدارة الناس ، وهم يملكون المال .

قال: تفكير صحيح ! فلما الواحد يملك ثروة كبيرة يعمل أجيرا لماذا ؟ وفيه تحريك لاقتصاد البلد .. بعضهم يزعم أن ترك الأموال في البنك وأخذ الفوائد أريح من فعل المشاريع والانشغال بالعمال والموظفين .

قالت : الناس طاقات يا عصام ! ناس نشطة ، وناس كسولة ، فهيا تملك ثلاثة ملايين ونصف الميراث .. حصة كبيرة ، وتظل تعمل عند الناس مشكلة .. هذا أولا ، وثانيا لها زميلة وللزميلة أخت لم تلد منذ أكثر من عشر سنوات ؛ وكأنها سمعت بحكايتنا مع طفل

الأنبوب.. تريد أن تسمع التفاصيل، فرحبت بها تحتاج إلى تشجيع واطلاع .. وهي معلمة مدرسة حكومية ترغب بسماع تجربتنا مع هذا النوع من الحمل على رأي جريدة بنت زكية.

ـ جيد ! الإنسان عليه أن يحاول .

قالت : هذا ما قلته ، شرحت لها باختصار مراحل حمل الأنبوب فهدى محمد زميلة جريدة ، تقابلت معها مرة أو كرتين أيام النادي اللعين ، وزوجها طبيب عسكري قريب لها ، وهي طبيبة عامة تعمل في مشفى أو مركز حكومي.

قال : الصلاة يا وردة ! الشتاء يكون الوقت بين الصلاتين قصير رغم طول الليل.

قامت وربتت على رأس جوهر الصامت يسمع لهما: حبيبي عصام هل سامحتني على أخطائي الكبيرة.

ـ زمان يا حبيبتي ! فعودتك أعادت لي الحياة والبسمة ، كانت مفاجأة كبيرة لي ..كنت أفكر كيف سأقضي ما بقي من حياتي من غير ونيس ؟

قالت : قريبا سنرى طفليك يا ابن عمي العزيز .. ولد وبنت .

وابتسمت محبة وقبلته وجوهرا : هذا يخبر به جهاز الموجات فوق الصوتية .. أخوة لك يا جوهر!

فهتف : زهقت وأنا أنتظر .. لماذا هما محبوسان ؟

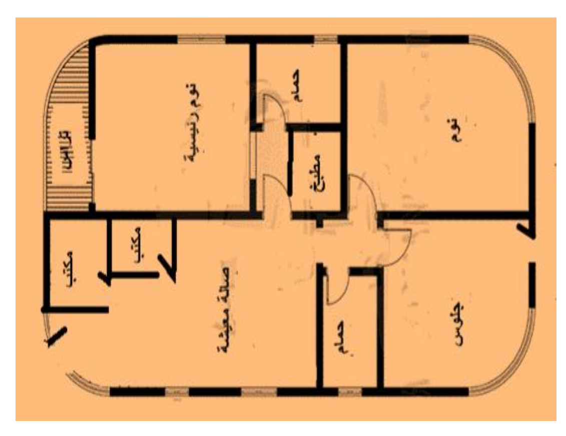
قالت : ماذا ستفعل بفلوس خالك؟

قال : أبي يقول لما نروح الجامع لصلاة الجمعة نضعه في صندوق تبرعات الجامع .

قالت : رائع اقتراع والدك !

أخذ عارف إجازة من العمل ، ورجع للبيت قبل الظهر ، فتح الفيلا ودخل وجلس في الصالون حيث كان يسهر مع بلص والزوار، بعد جلوس امتد لنصف ساعة ، وهو يفكر بمن عشيق زوجته ميرا الذي أشار إليه بلص قبل موته.

قام ومشى إلى مكتب بلص حيث يستقبل زواره الخواص جدا أيام حياة أمه ، جلس على مكتبه .



فيلا زكية حسني

وقال: متى سيأتي ابن عمه ليأخذ أغراضه الخاصة ؟ فقد اقترب انتهاء شهر يناير كلما اتصل به ها اليومين .. ألم تنته ها اليومين يا أبا مينة ؟

أخذ يعبث في مكتبه الصغير الأنيق ، الأدراج مفتوحة، أوراق دفاتر ملاحظات أغلبها دعايات أقلام ، كذلك صور ، سيديهات حاسوب .. أين حاسوبه المحمول ؟ تطلع هنا وهناك لم يره .. وقف أمام خزانة كتب بلص .. خزانة واحدة فيها كتب ثقافية متنوعة .. غرفة استقبال لعيبة الشدة والقمار .. رأى البوم صور على أحد الرفوف ، سحبه وعاد للجلوس على كرسي المكتب .. تفحص الصور صورة صورة ، تذكر أن بلصا يحب المقاهي ؛ حيث كان يترك المعرض ؛ ليشرب قهوة في المقهى ، ويلعب الورق ساعة من الزمن .. عاد للألبوم وشاهد صور المقهى ، رحلات بحرية ، وبعض الغابات .. سمع صوتا وهو مستغرق في

التفكير والنظر. فقال : من المبكر أن تعود ميرا ! فتح باب الفيلا.. وسمع فيرا تهتف: تفضل البيت فاضي .

نظر إلى الساعة كانت الثانية عشرة والربع ظهرا ، لزم الصمت والكمون ، معها مفتاح الفيلا ومعها رجل .. من هو ؟ لم تذكر اسمه ، تتكلم مع رجل ليس صوت زوجها .. كتم أنفاسه وغلا الدم في عروقه بأي حق معها المفتاح .. جلس الرجل في الصالة دخلت الحمام اغتسلت بدقائق ، سمعها تقول: سنشرب من شراب ميرا .

أحضرت زجاجة سكبت له ولها ، وبعد الشرب أخذت بيده لغرفة نوم أمه أغلقت الباب ، ولماذا أغلقته ؟ قال : أنا في الشغل ، وميرا في الشغل ، وسلمى في المدرسة ، وبلص ميت ، وزكية ميتة .

خلع الحذاء وتسلل إلى باب الغرفة .. ما هو بزوجها .. حاول البصبصة من ثقب المفتاح ، ولم يستطع رؤية شيء ؛ لكنه سمع الشهقات والغنج ، فلما عجز عن رؤية شيء عاد لمكتب بلص ينتظر انتهاء الفلم .

وقال : ما هذا يا عارف ؟ غرفة أمي مسرح دعارة .. لا أعتقد أن هذا يحدث بعد موتها هذا فعل قديم .. لم يكن بلص جاهلا الأمر ، ولا الخادمة بضعة دولارات وتصمت وتخدم .. جاءتني فكرة خبيثة سأركب كاميرات تجسس داخل البيت داخل هذه الغرفة وغرفتي سأتظاهر بأني لم أخذ إجازة ، وآخذ إجازة ، وأحضر فني لتركيب كاميرات سرية خفية .

بعد ساعة سمع الصوت ، جلسوا في الصالة ، واكملوا شرب الزجاجة ، ثم ألقوا الزجاجة في سلة مهملات ، وخرجوا من الفيلا .

وقال : يا لك من شيطانة تجلبين العشاق والزناة لغرفة أمي! بلص كشف ذلك كما كشفته الآن.

خرج من الفيلا إلى أحد المطاعم .. هل رأت فيرا سيارتي؟ لم ادخلها داخل الفيلا يا لي من مغفل كبير يا بلص! أنا صدقتك ، لم أعرف منك كذبا معي من قبل .

رجع للبيت مع عودة ميرا وسلمى ، وأدحل السيارة الفيلا ؛ كأن شيئا ما حدث على مسمعه ، أخفى الأمر بصبر .

من هو الرجل الزاني يا بلص بميرا ؟ حتى عشيق فيرا لم أستطع رؤيته بوضوح شربوا زجاجة خمر ؛ كأنها في بيتها .. ها هي ملقاة في السلة .

وعاتب نفس : لماذا لم يخطر على بالك البيت ؟ أين سيرى بلص الجريمة والخيانة ؟ لماذا يتزوجن ما دمن يزنين ؟!

بدا عارف يكتشف خطوط اللعبة والخيانة ؛ لذلك بعد أن خرجت الزوجة والبنت إلى المدرسة الخاصة اتصل بشركة هندسة الكرتونية كانت أمه زكية استعانت بها لتركيب كاميرات مراقبة للمعرض وباقي المحلات في شارع رئيسي في بعنبس ، وهذا الرقم ما زال محفوظا في ذاكرة الجهاز ، اتصل بالشركة ورحب به صاحب الشركة ، وأخذ عارف عنوانه ، ثم خرج من البيت ، كما يخرج للعمل ، وانتقل للشركة ، ورحب به مديرها ، ولم تكن بالشركة الكبيرة ، فهي تعمل في تركيب الكاميرات والستالايتات الأطباق الفضائية والرسيفرات ، فهم المدير الطلب والهدف ، فأرسل معه فنيين أو فني ومساعده ، وعاينوا الفيلا ، وفهموا المطلوب ؛ حيث سيركب كاميرا على مدخل الفيلا الرئيسي لمعرفة الداخل وتصوره ، وأخرى في الداخل لتصوير الصالة ومن يجلس فيها ، وباب غرفته أيضا وأخرى ثالثة وهي الأخطر داخل غرفة نوم أمه ، وبعد معاينة وتخطيط واتفاق بعد أن دفع لهما المزيد من المال أن يكون تركيب الكاميرات بعد خروج الزوجة لعملها وأنه سيتصل بهم عند خروجها ، وكان لهم الأمر سهلا ، فهي عملهم ومهنتهم ، كاميرا سرية كاميرا معروفة لهما ، لم يكن هو أول من يطلب ذلك، فبعض الفنادق تضع كاميرات خفية في بعض الغرف ، ووعدهما بمزيد من المال فور انتهاء العمل .

واتفقوا على أن يكون جهاز التحكم والهاردسك المخزن في مكتب أمه على ظهر خزانة مليئة

بالملفات والأقراص مع وصلة ليشبك عليها اللاب توب الخاص به .

تركيب هذه الكاميرات بالنسبة للفنيين عمل سهل ، فتم التخطيط لتركيب ثلاث كاميرات ، لا يعرف الإنسان العادي الهدف من كاميرا الباب الخفية ، أما عارف فيريد معرفة كل من يدخل الفيلا ، من يجلس في الصالة ، ما يحدث في غرفة أمه.

كانت في غرفة أمه شاشة عرض ورسيفر فضائي ، فمع سلك الرسيفر أضيف سلك الكاميرا وثبتت كاميرا صغيرة من يراها لا يظن أنها كاميرا ، وأضيفت في مداخل أسلاك التيار الكهربائي أسلاك كاميرات .

خلال يومين قام الفنيان بالعمل السري حسب رغبة الدكتور ، وأخذوا مكافآتهم بعد تعليم الدكتور كيفية استخدام الكاميرات من خلال اللاب توب ، كان العمل ناجحا حتى لو كشفت سيظن المكتشف أنها ركبت في حياة زكية .

كان مصرا على معرفة عشيق زوجته الذي تحدث عنها بلص عند موته . ميرا لم تكن بالذكاء والخبرة التي تكشف لها هذه المصيدة ، هي تعتمد على غباء وغفلة عارف كما قال بلص ، واذا عرفت سيزعم أن هذه الكاميرات وضعتها أمه لمراقبة مدخل ومخرج السيد بلص ، فهو المغفل الذي يثق بها ثقة عمياء.

اضطر لتمديد الإجازة أسبوعا آخر ، وقدم الاستقالة لمدير المستشفى لرغبته بالعمل في القطاع الخاص ، والعمل مع جريدة أو فتح عيادة خاصة أو شراكة مع آخرين .

فهو لم يعد بحاجة لراتب الوظيفة فهو يملك الملايين ، عليه أن يعمل بالاستثمار كسالم وجهاد لم يعد مناسبا ولائقا أن يعمل موظفا .

تكررت زيارة فيرا للفيلا ، وكل زيارة تأتي بعشيق جديد فسأل : من أين تأتي بهم لعنها الله؟!

فقال : هذه خنزيرة وموسس تلتقط الزناة من الشوارع ! هي تعمل في شركة تأمين مثل ميرا .

نفس السيناريو ، حمام ، شراب ، إغلاق الحجرة ساعة زمان، شرب باقي الزجاجة انصراف .

قال بحزن : كانت غرفة أمي مسرح العمليات الشيطانية يا للوقاحة !

كان يتظاهر بالدوام ، ولم يخبر أحدا بما رتب وتقديم الاستقالة ، ومضى أسبوعان من شهر شباط وفيرا كل أسبوع تتردد يومين أو ثلاث على غرفة الغرام ، تجلب عشيقا لفيلا أمه ، ولم تقدم ميرا بعشيق أين تمارس العشق؟! وهو في غاية القهر خطر في باله أن فيرا في بيته تمارس البغاء ، وميرا مع زوجها ، خطر في باله هذا الخاطر ، فيرا هنا ، وزوجته معه في بيتها.. يا له من غبي! فهل العشيق هو عديله ؟ هذا ما كانت تخبر به صرخات بلص .. عديله خصمه .. فلما رسخ في ذهنه هذا الخاطر والاحتمال .. قرر أن يزور بيت فيرا عندما تأتي بعشيق .. لم يكذب بلص كان على علم بفعالهن القبيحة ؛ وربما شارك فيها .. فقد وجد في أدراجه سيديهات أفلام إباحية مع أننا اليوم لسن بحاجة لسيديهات إباحية ، فموقع جوجل وغيره مليء بمواقع الإباحية ، ولا حصر لها ؛ كأنها وجدت لتنشر الإباحية والخلاعة على مستوى العالم .. ترى كأن العالم دعارة وزنا .

لما حضرت فيرا بعشيق وأغلقت الغرفة كالمعتاد ، تسلل من باب خلفي .. عارف في المستشفى ميرا في العمل .. سلمى في المدرسة .. هكذا تعتقد العاهرة .. تسلل من باب خلفي إلى حيث يركن سيارته في شارع جانبي ، وسار بها نحو بيت عديله ناجي ، وصح ما توقعه سيارة ميرا أمام العمارة .. رجل الأعمال ناجي جبان هو قواد ، يتاجر بفرج امرأته البغي .. ووضحت له صورة الخيانة ، يترك زوجته تمارس البغاء في بيت أمي ، ويمارس دعارته مع زوجتي ، وأنا في العمل .. بلص يعرف كل هذه الأسرار ، ولم يكن يتغزل بها حمقا وسكرا ؛ ربما لأصحا من سكري وغفلتي .. العمارة ثلاثة طوابق وجيان في الطابق الثاني ، صعد الدرج إلى الطابق الثاني فقرأ اسم عديله على لوحة الباب ، توقف أمام الباب التقط أنفاسه ضغط الجرس، وأزاح نفسه عن العدسة فتح الباب بعد دقائق ، وطل رأس جيان .

فقال متفاجأ: عارف .. ماذا هناك ؟!

رد : اتصلت بالشركة فقالوا لي ميرا عند أختها لأمر طارئ .

قال : ميرا غير موجودة.

ـ رأيت سيارتها أمام العمارة ..أين هي ؟

ـ فيرا ليست هنا ولا ميرا.

صاح : ولماذا السيارة أمام العمارة ؟ زميلها قال إنها عند أختها لأن أختها مريضة .

سمعا صوتا يقول: ادخل يا عارف أنا هنا.

دخل جيان وعارف وقال بهدوء : فيرا في غرفة أمي تمارس الدعارة ، وأنت هنا تمارسين الدعارة مع العشيق الذي تحدث عنه المرحوم بلص .. إنك يا ناجي جيان خنزير وحقير وقواد .. رجل أعمال في الدعارة .. كان بلص يقصدك ، وظنتني أنت وهذه البغي لم أفهم اتهامه .. وإنني مغفل كما أعلن بلص .. جيان أنت قواد وخائن وأنت طالق يا ميرا !.. غدا أمام المحكمة .. لم يكذب بلص . . لم يكذب بلص .

خرج مسرعا قبل أن يسمع تبريرا أو اعترافا ، واتصل بجهاد وكشف له الأمر والعشيق ، وبيت الدعارة في منزل الأم وأنهى بقول : عجل في البيع .

قال : ألم أقل لك من الأول طلق ؟ فكلام بلص كلنا يعلم أنه صادق .. فلماذا يكذب يا عارف ؟ وأعتقد دون جزم أن أمك تعرف فجورها من بلص.. وتركت الأمر إليك ؛ لتكشف ذلك .. فأمك تعرف بخيانتها من بلص؛ ولكنها صمتت كما سكتت من قبل على أفعال وردة أيام الجامعة .. أنا في انتظارك.

ارسل عارف أقراص الكمبيوتر التي صورت لفجور فيرا في غرفة أمه بطرد بريدي إلى ناجي جيان رجل الأعمال في الدعارة ، لقد صدموا لما عرضوا الأقراص وجن جنونهم ، فاضطر جيان إلى طلاق فيرا ، وهو يعلم أنها فاجرة ، وهي تعلم أنه يمارس الزنا مع أختها ، فطلقن في مطلع آذار ، وتخلت ميرا عن حضانة ابنتها سلمى ، وقررت بعد الطلاق ، وأخذ حقها الشرعي بالرحيل عن بعنبس ، وصحبتها فيرا، ورجعتا إلى بيروت ، وجيان صفى أعماله ، وعاد لقبرص موطنه الأول بعد الفضيحة التي حلت به .

وانتهت قصة عارف وميرا بعد سنوات من الزواج ، زوجة لم تحترم الحياة الزوجية واستغلت طيبة عارف وخانته بزوج أختها الإباحي . صفت سلمى عند وردة تحت رعاية المربية الأجنبية براتب آخر يدفعه عارف إلى حين آخر ، وقبل عصام الإحسان لسلمى ، ورحب جوهر بالطفلة فهي أصغر منه بسنة ونصف ، ونقلت لمدرسة جوهر لتكمل الصف الأول .

توقفت وردة من مطلع آذار عن العمل ، فهي على وشك الولادة ، فموعد الولادة في هذا الشهر . كان البيت في حالة تأهب وطوارئ ، وفي الثامن منه أدخلت مستشفى الولادة التابع لمركز لعلاج العقم ، ولما دخل اليوم التاسع ليلا ازداد الطلق والمخاض ومع ساعات فجر العاشر وضعت الطفل الذكر الأول ، وبعد نصف ساعة ولدت الطفلة الأنثى ، وعانت تلك الساعات مما لا يعلمه إلا الوالدات ، وكانت في غاية الإنهاك والألم .

وحضرت الولادة زوجات إخوتها جهاد وسالم وجريدة ونوار ابنة عمها والزوج عصام ووالده حبيب ، وتمت عملية الإنجاب بسلام في ساعات الفجر الأولى .

وكان عصام ووالده يجلسان أمام غرفة الولادة وأنفاسهم تكاد تنقطع من الخوف والقلق على حياة وردة والطفلين ، ودمعت عيونهم بسلامتها من زفرات الطلق والإنجاب .

ولما هنأهم الطبيب ومساعدته بسلامة الوالدة والتوائم غادر حبيب المستشفى وهو يحمد ربه ويشكره . ولما اطمأنت رندا وشقيقتها ريم على وردة ونامت غادرن المستشفى لبيوتهن ووعدتا بالعودة مساء .

وأما جريدة فكانت تتنقل بين وردة وعصام ، ورأت الفرح الكبير الذي غمره وعمها ، وأحضرت لهما قهوة . فقد نزفت وردة دما كثيرا ، وضعفت قوة الدم ، ولكن الطبيب طمأنها وأختها أن الأمر مقبول ، ولا خطر لحد الآن على حياتها .

وبعد الظهر غادر عصام بعدما قابل زوجته ، وبارك لها وهنأها على السلامة ، وعلى أثر انصرافه نامت .. فالنوم أكبر علاج للألم إن استطاع الإنسان النوم.

وانصرفت جريدة التي لم تجرب الولادة رغم أن لها اكثر من خمس سنوات متزوجة من شهاب

ولم يتيسر لها الحمل.

وقبل غروب اليوم العاشر من مارس قدم عارف وجهاد وزوجته وزوجة أخيه لزيارة وردة ـ وسالم لم يكن في البلد ـ وتمكنوا من رؤية وردة ؛ حيث نقلت إلى غرفة خاصة في المستشفى بعد خروجها من غرفة عمليات الولادة .

وحضر حبيب وزوجته وأخته فاطمة حتى أن وردة سالت دموعها لرؤية عمتها التي جاءت تبارك لها الولادة : غلبت روحك عمتي .

ـ هذا أقل الواجب يا حبيبتي !

ولما رأى حبيب وامرأته وفاطمة الطفلين حمدوا الله وشكروه ، وقال: قلت لعصام عقيقتهم عليّ .. والحمد لله على قدرته ، وألف مبارك يا ابنتي !

****

زار عارف عمه في مكتبه ، وطلب مساعدته بالزواج من بنت الحلال ، فقال حبيب : أنت يا ابن أخي لا تصلي ، فماذا أقول لأهل البنت ؟ وأنت يا ابن أخي تسكر ، فماذا أقول لأهل البنت ؟ ولما أتقدم أنا لخطبة امرأة سيعتقد أهلها أن العريس مصلي محترم ، لا يشرب الخمر .. أترضى لي غش الناس ؟ ألم تلتق بطبيبة عملت معك وعلى شاكلتك .. تعرفك وتقبل بك يا بني؟

ـ أنا جهاد قال لي تحدث مع عمك .

قال : جهاد استحى منك .. استحى أن يقول ما قلته لك الآن .. تغير كما تغير غيرك وقد رأيت عصاما وشقيقتك كيف تغيرا ؟ فقد اجتنبا الخمر والزنا والموبقات .. الإنسان اذا عزم وأراد يستطيع التغير والانقلاب .. فالدين والإسلام والتوبة تكفر الذنوب مهما عظمت ، والتوبة تدل على قدرتك على التغير وترك الإثم ، ويعود العاصي ؛ كما ولدته أمه بغير ذنوب وآثام .

ـ عمري ما صليت ، ولا صمت ، لا أعرف شيئا في الدين .

قال : تتعلم رويدا رويدا يا ابن أخي! العلم بالتعلم .. أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا .. كما قلت تعرف عصاما ووردة ماذا كانا من الزنا والشراب والانحراف ؟ وتعرف اليوم توبتهما .. كان وضعهما لا يسر صديق ولا عدو .

قال صافنا : يعني من أجل ذلك أرسلني جهاد إليك!

ـ أكيد ، ألم تعرف أنثى أثناء عملك؟

قال : أنا عمري ما زنيت ، ولا أ كذب عليك يا عم ؛ لكنني أشرب الخمر بكثرة وفي كل فرصة ، ولا أعمل علاقات مع نساء عزباوات أو متزوجات .. وميرا كذا مرة شككت بانحرافها ؛ لكن أغض الطرف ؛ لأن أمي رأت ذلك .

قال : نحن في شهر ثلاثة آذار .. التزم بما طلبت ، بعد شهرين أو ثلاثة على الأكثر أتأكد أنك عزمت على التغيير والإصلاح .. وسأبذل جهدي بإذن الله وقبل انصرام هذا العام أن تكون زوجا وعندك امرأة تسكن إليها .. ولماذا لا تشتري بيت أمك ويصبح ملكك؟!

قال : أولا أنه كبير ويحتاج نفقات أكبر ، وثانيا كان فيه خيانات زوجية لا أريد أن أتذكرها .

ـ على كل تشاور مع إخوتك ، واذا لم يأخذه أحدكم ، سأكلم ساميا وحسنا لعلهما يقبلان باستثماره .

قال : هما أهل لذلك .

قال : ماشي يا ابن أخي على ما ذا عزمت؟

قال : سأطيعك ، وأذهب لجهاد يعلمني الفروض الصلاة والاغتسال والوضوء .. حان وقت التغير ، لا تنساني من دعوة يا عمي .



حصار غزة

قال الإمام السخاوي في البلدانيات: غزة من بلاد فلسطين ، قريبة من بيت المقدس ، متوسطة في العظم ، ذات كروم على ساحل البحر ، وبساتين ، ونخل قليل ، وبينها وبين البحر أكوام رمال على بساتينها ، ولها قلعة صغيرة ، وشربهم من آبار ؛ بعضها طيب ، وهواؤها معتدل ، وكانت مستطرقا لأهل الحجاز ؛ حتى قيل : إن عمر ﷺ أسر فيها في الجاهلية ، وإن هاشم بن عبد مناف جد النبي ﷺ خرج في تجار من قريش أربعين من بني عبد مناف ومخزوم وسهم وعامر بن لؤي ، فاشتكى بغزة ، فأقاموا عليه حتى مات بها ، فدفنوه هناك ، ورجعوا بتركته



إلى بنيه .لذلك يقال غزة هاشم .

وقد خرج منها جماعة من الأئمة والمحدثين ؛ وولد بها أو بعسقلان إمامنا الشافعي ﷺ كما جاء كل منهما عنه في رواية ، وجمع بينهما بثالثة قال فيها : ولدت بغزة ، وحملتني أمي إلى عسقلان ، وبالجملة فهما متقاربتان ، وعسقلان هي الأصل في قديم الزمان ، وهي المدينة ، فحيث قال الشافعي غزة فقط أراد القرية ، أو عسقلان فقط أراد المدينة .

ثم إن عمرو بن العاص فتح غزة في خلافة أبى بكر رضى الله عنه ، ثم فتح بعد ذلك سبسطية ونابلس على أن أعطاهم الأمان على أنفسهم وأموالهم ومنازلهم، وعلى أن الجزية على رقابهم

والخراج على أرضهم، ثم فتح مدينة لد وأرضها، ثم فتح يبنى وعمواس وبيت جبرين، واتخذ بها ضيعة تدعى عجلان باسم مولى له، وفتح يافا ، ويقال فتحها معاوية. وفتح عمرو رفح على مثل ذلك ، وقدم عليه أبو عبيدة بعد أن فتح قنسرين ونواحيها، وذلك في سنة ست عشرة وهو محاصر إيلياء، وإيلياء مدينة بيت المقدس.

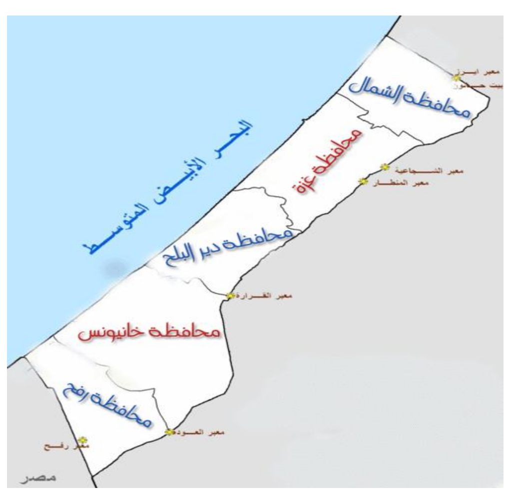
قطاع غزّة المعاصر : هو المنطقة الجنوبية من الساحل الفلسطيني على البحر المتوسط، وهي على شكل شريط ضيق شمال شرق شبه جزيرة سيناء يشكل تقريبا ١،٣٣٪ من مساحة فلسطين التاريخية من النهر إلى البحر. يمتد القطاع على مساحة ٣٦٠ كم مربع، حيث يكون طولها ٤١ كم ، أما عرضها فيتراوح بين ٦ و١٢ كم .

يحد قطاع غزة الكيان الغاصب إسرائيل شمالاً وشرقاً، بينما تحدها مصر من الجنوب الغربي، يسمى بقطاع غزة نسبة لأكبر مدنه وهي غزة .

خضع القطاع لحكم عسكري مصري بعد ٤٨ ، ثم احتلها الجيش الإسرائيلي لمدة ٥ أشهر في هجوم على مصر ، كان جزء من العمليات العسكرية المتعلقة بأزمة السويس ، في مارس ١٩٥٧ انسحب الجيش الإسرائيلي ، فجددت مصر الحكم العسكري على القطاع ، في حرب ١٩٦٧ احتل الجيش الإسرائيلي القطاع ثانية مع شبه جزيرة سيناء ، وعجزت مصر عن تحريرها حتى اتفاقيات أوسلو ، في ١٩٨٢ أكملت إسرائيل انسحابها من سيناء بموجب معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية، ولكن القطاع بقي تحت حكم عسكري إسرائيلي إذ فضلت مصر عدم تجديد سلطتها عليه.

دخلت إلى بعض مناطقه السلطة الوطنية الفلسطينية بعد توقيع اتفاقية أوسلو في العام ١٩٩٣، وفي فبراير ٢٠٠٥ صوّتت الحكومة الإسرائيلية على تطبيق خطة رئيس الوزراء الإسرائيلي أرئيل شارون للانسحاب الأحادي الجانب من قطاع غزة وإزالة جميع المستوطنات الإسرائيلية والمستوطنين والقواعد العسكرية من القطاع ، وتم الانتهاء من العملية في ١٢ سبتمبر ٢٠٠٥ بإعلانها إنهاء الحكم العسكري في القطاع .

يعيش حوالي مليون ونصف فلسطيني في قطاع غزّة ، أغلبهم من لاجئي حرب ١٩٤٨ عام النكبة المشهورة ، ويوجد في قطاع غزّة حوالى ٤٤ تجمعا سكانيا فلسطينيا أهمها :غزة ، رفح ، خان يونس، بني سهيلا ، جباليا ، دير البلح، خزاعة عبسان الكبيرة عبسان الجديدة ، بيت لاهيا، بيت حانون.



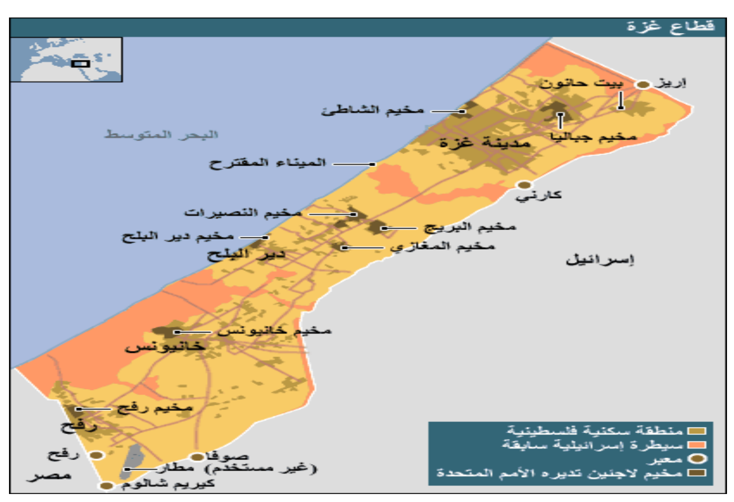
كانت إسرائيل قد قامت ببناء حوالي ٢٥ من المستوطنات في قطاع غزّة ، تتركز على ساحل جنوب القطاع وفي أطراف القطاع الشمالية ، تم إخلاء هذه المستوطنات وهدمها ضمن خطة الانسحاب الإسرائيلية من قطاع غزة.

قطاع غزة يغطّي حوالي ٣٧٨ كيلومتر مربع ، ويمتدّ من شمال شرق شبه جزيرة سيناء على طول البحر الأبيض المتوسط إلى حوالي ٤٠ كيلومتر .

بالرغم من كون مدينة غزة تمتلك الأسواق ، وبعض الصناعة الخفيفة، وقطاع غزة منطقة منتجة للحمضيات إلا أن الاقتصاد لا يمكنه دعم عدد السكان الكبير، ولذلك دعم من قبل وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى.

استولت القوات الإسرائيلية على القطاع خلال الحرب العربية الإسرائيلية من حزيران ١٩٦٧م ، في بداية كانون الأول ١٩٨٧، بدأت الانتفاضة في غزة ، خلال مظاهرات من قبل الفلسطينيين التي تطالب بحق تقرير المصير وإنهاء الاحتلال .

في أيلول ١٩٩٣ بعد مفاوضات سرية بين رئيس وزراء إسرائيل إسحاق رابين ورئيس منظمة



التحرير الفلسطينية ياسر عرفات وقّعا اتفاقية إعلان مبادئ التي تقر انسحاب إسرائيل من قطاع غزة ومناطق أخرى، وتحويل إدارة الحكومة المحلية للفلسطينيين ، في أيار ١٩٩٤ انسحبت القوات الإسرائيلية من القطاع، وأصبحت المنطقة تحت السلطة الفلسطينية.

مخيمات قطاع غزة : مخيم جباليا في شمال القطاع بين بلدتي جباليا وبيت لاهيا ، مخيم الشاطئ في غربي مدينة غزة ، مخيم البريج في وسط القطاع ، مخيم النصيرات في وسط القطاع ، مخيم الشابورة في جنوبي القطاع قرب رفح ، مخيم دير البلح في وسط القطاع ، مخيم خانيونس في جنوبي القطاع قرب خانيونس ، مخيم المغازي في وسط القطاع .

أسست جامعة الأزهر الغزية في العام ١٩٩١، وهي مؤسسة أكاديمية مستقلة من مؤسسات التعليم العالي في فلسطين ، تعمل بإشراف وزارة التربية والتعليم العالي الفلسطينية. الجامعة الإسلامية تأسست بغزة في العام ١٩٧٨، وهي مؤسسة أكاديمية مستقلة تعمل بإشراف وزارة التربية والتعليم العالي الفلسطينية.

خلال الهجوم على قطاع غزة (٢٠٠٨ – ٢٠٠٩) تعرضت الجامعة لقصف إسرائيلي من الجو في منتصف ليل الاثنين ٢٩ ديسمبر ٢٠٠٨، وقد استهدف القصف مبنى المختبرات العلمية في الجامعة والمكون من خمسة طوابق.

فرضت إسرائيل الحصار على قطاع غزة إثر نجاح حركة المقاومة الإسلامية حماس في الانتخابات التشريعية في ٢٠٠٦ ، ثم عززت إسرائيل الحصار في ٢٠٠٧ بعد سيطرة حماس كليا على غزة في حزيران ٢٠٠٧.

يشتمل الحصار على منع أو تقنين دخول المحروقات والكهرباء ، والكثير من السلع، من بينها الخل والبسكويت والدواجن واللحوم ، ومنعت الصيد في عمق البحر، وأغلقت المعابر بين القطاع وإسرائيل. مصر تشارك في الحصار بشكل غير رسمي، حيث أغلقت معبر رفح المنفذ الوحيد للقطاع إلى العالم الخارجي من جانب مصر ، وعلى اثر هذا الحصار قام الآلاف من الفلسطينيين في ٢٣ يناير ٢٠٠٨ باقتحام الحدود على الجانب المصري والدخول للتزود بالمواد الغذائية من مصر بعد نفادها من القطاع ، عبر في هذا الاقتحام ما يقرب من ٧٥٠ ألف فلسطيني نصف سكان القطاع ، وقد صرح الرئيس المصري للصحفيين لدى افتتاحه معرض الكتاب السنوي في القاهرة : "أمرت قوات الأمن بالسماح للفلسطينيين بالعبور لشراء حاجاتهم الأساسية والعودة إلى غزة طالما أنهم لا يحملون أسلحة أو أي محظورات".

تعتبر أنفاق التهريب الواصلة للجانب المصري من الطرق الرئيسية لدخول السلع التجارية للتجار في غزة بالإضافة للأسلحة بعد الحصار. الحالة المتردية لسكان القطاع دفعت منسق الشؤون الإنسانية في الأمم المتحدة ماكسويل غيلارد بوصف الحصار قائلا أنه "اعتداء على الكرامة الإنسانية". كما هدمت إسرائيل مطار غزة الدولي ، المطار الوحيد في قطاع غزة كلياً مما زاد شدة الحصار والمعاناة.

يعيش حوالي ٤٠ ألف مواطن فلسطيني من صيد السمك في قطاع غزة ، ووفقاً لنقابة الصيادين في غزة ، يحتاج الصيادون إلى ٤٠٠٠٠ لتر من الوقود و٤٠٠٠٠ لتر من الغاز الطبيعي كل يوم للتمكن من تشغيل القوارب خلال فصل الصيد.

وفي شهر نيسان من كل سنة تبدأ هجرة الأسماك من دلتا النيل إلى المياه التركية والتي يعتمد عليها صيادو الأسماك الغزيين ، ومع ذلك تحدد إسرائيل مدى ستة أميال فقط من شواطئ غزة

للصيد مع العلم أن معظم قطيع السمك المهاجر يتواجد عادة على بعد عشرة أميال من الشاطئ. وعادة ما يتم الاعتداء على الذين تجاوزوا الحد بثلاثة أميال ، حيث اعتقل أكثر من ٧٠ صياداً عام ٢٠٠٧ من قبل البحرية الإسرائيلية ، في عام ١٩٩٠ وصل معدل صيد السمك إلى أكثر من ٣٠٠٠ طن، أما الآن فيصل تقريباً إلى ما لا يزيد عن ٥٠٠ طن فقط بسبب الحصار الإسرائيلي على غزة.

كما أن هناك أثر بيئي للحصار على المياه التي يبحر عليها الصيادون، حيث تتلوث بخمسين مليون لتر من المياه العادمة كل يوم ؛ وذلك لعدم وجود خيار آخر لتصريفها. في ٢٣ أغسطس ٢٠٠٨ نجح ٤٤ من المتضامنين الدوليين الذين ينتمون لـ١٧ دولة على متن سفينتي "غزة حرة" و"الحرية" بكسر الحصار الإسرائيلي المفروض على قطاع غزة لأول مرة، وقد انطلقت هاتين السفينتين من قبرص يوم ٢٢ أغسطس محملتين بالمساعدات الإنسانية ووصلتا القطاع بعد أن واجهتا تهديدات من جانب الإسرائيليين بمنعهم من الوصول للقطاع ؛ كما واجهتا ألغاما بحرية ، وتشويش ، عرقلت وصولهما لشواطئ القطاع عدة ساعات، فيما استقبلهم أهالي القطاع والحكومة الفلسطينية وأعضاء المجلس التشريعي الفلسطيني بالترحاب ، وغادرت السفينتان يوم ٢٨ سبتمبر القطاع ، وأقلتا معهما عدد من الفلسطينيين كانوا عالقين في القطاع.

في ١ ديسمبر ٢٠٠٨ قامت إسرائيل بمنع سفينة المروة الليبية التي حوت ٣ آلاف طن من المواد الغذائية والأدوية ومساعدات متنوعة من إنزال شحنتها قرب غزة ، حيث اعترضتها الزوارق الحربية كما أوضحت وزارة الخارجية الإسرائيلية "إن سفناً حربية إسرائيلية اعترضت السفينة الليبية وأوقفتها وأمرتها بالعودة من حيث جاءت" بحجة "أنه غير مسموح لها بالرسوّ في الأراضي الفلسطينية بغزة".

وعلّق الزعيم الفلسطيني على سفن كسر الحصار بأنها "لعبة سخيفة" فيما عبرت منظمة "حركة غزة حرة" عن أسفها الشديد لتصريحات الزعيم عباس، فيما اعتبرت حركة حماس

تصريحاته "كلام سخيف لا يستحق الرد".

تعرضت إسرائيل في ديسمبر ٢٠٠٨ لانتقادات عنيفة في "منتدى الأمم المتحدة لحقوق الإنسان" الذي عقد في جنيف بسويسرا ؛ حيث حثت دول غربية بينها فرنسا ، ألمانيا، أستراليا، بريطانيا وكندا إسرائيل على رفع حصارها للقطاع، حيث قالت إن هذا الحصار أدى إلى تفاقم الأوضاع الإنسانية للمواطنين، كما تحدث في المنتدى عدد من مندوبي عدة دول بينها مصر، سوريا وإيران إلا أن مندوب الولايات المتحدة لم يتحدث في الجلسة ، ودافعت إسرائيل أن القطاع أصبح "بؤرة للإرهابيين" الذين يعدون ويشنون هجمات بالصواريخ عليها، وذلك حسب تعبير كبير المستشارين القانونيين بوزارة الخارجية الإسرائيلية.

في ١٠ ديسمبر ٢٠٠٨ رفع حقوقيون وقانونيون من بلدان عدة من بينهم ٣ محامين إسبان، مع وفد يمثل أمريكا الشمالية وأوروبا والشرق الأوسط وأمريكا الجنوبية ومنظمة التحالف الدولي لمكافحة الإفلات من العقاب المسجَّلة دوليًّا ، والعضو في المجلس الاقتصادي والاجتماعي للأمم المتحدة، دعوى قضائية أمام المحكمة الجنائية الدولية في لاهاي ضد حكومة إسرائيل وكبار قادتها السياسيين والعسكريين؛ بتهمة ارتكاب جرائم ضد الإنسانية ، وجرائم الحرب والإبادة الجماعية الناجمة عن استمرار الحصار المفروض على قطاع غزة ، وتمثل هذه الدعوى أول ملاحقة قانونية لدى المحكمة الجنائية الدولية لكبار القادة الصهاينة، وفي صدارة المُدَّعَى عليهم رئيس الوزراء الإسرائيلي إيهود أولمرت ووزير الدفاع الإسرائيلي إيهود باراك ونائبه ووزير الأمن الداخلي آفي ديختر ورئيس الأركان غابي أشكنازي، وتهدف الدعوى إلى إلزام مكتب المدعي العام للمحكمة الجنائية الدولية "بالتحقيق بالجرائم التي تُرتكب في غزة؛ وفقًا لنصوص المحكمة وما ورد في نظام روما الأساسي".

بدأت مصر في خريف ٢٠٠٩ ببناء جدار فولاذي يمتد على طول الحدود مع قطاع غزة تحت الأرض، بالإضافة إلى بضعة أميال بحرية للحدود البحرية وذلك للحد من التهريب وعمليات التسلل على حد قول الحكومة المصرية ، يقوم الجدار بحسب تصريحات الحكومة

المصرية بتعزيز الأمن القومي للبلاد. ورفضت مصر تصنيف الجدار كعامل لتشديد الحصار على القطاع لكون الجدار تحت سطح الأرض، مع إقرارها بالوضع المعيشي الصعب لدى الغزيين. الآن يمكننا أن نكتب عن أسطول الحرية الشهير ٢٠١٠.

مرمرة التركية



أسطول الحرية لفك حصار قطاع غزة ، بداية هو تجمّع من ثماني سفن يقوده ائتلاف مكون من الحملة الأوروبية وحركة غزة الحرة والإغاثة الإنسانية في تركيا ، إضافة إلى حملتين يونانية وسويدية ، وكان الهدف الأساسي للأسطول هو اختراق الحصار المفروض من قبل إسرائيل على قطاع غزة منذ أربع سنوات.

انطلق أسطول السفن من موانئ لدول مختلفة في جنوب أوروبا و تركيا، وكانت نقطة التقائها قبالة مدينة ليماسول في جنوب قبرص ، قبل أن تتوجه إلى القطاع مباشرة.

انطلق الأسطول باتجاه قطاع غزة في ٢٩ أيار ٢٠١٠، محملا بعشرة آلاف طن من التجهيزات والمساعدات ، والمئات من الناشطين الساعين لكسر الحصار ، الذي قد بلغ عامه الثالث على التوالي. شاركت شخصيات كثيرة في قافلة كسر الحصار من ٥٠ دولة مختلفة ، وكان من أبرز المشاركين فيها أعضاء من البرلمان الأوروبي والألماني والإيطالي والايرلندي، وأعضاء آخرين من البرلمان التركي والجزائري والكويتي والمصري والأردني ، وكذلك أعضاء عرب من الكنيست الإسرائيلي ، بالإضافة إلى أكثر من ٧٥٠ شخصية ناشطة في المجال الحقوقي تضم عددا من الإعلاميين ومراسلين قنوات فضائية عربية وغير عربية ، وهذا يعتبر أكبر تحالف

دولي يتشكل ضد الحصار المفروض على قطاع غزة ، ويعد كذلك أكبر حملة تسعى إلى كسره .
ويحمل على متن سفنه نحو عشرة آلاف طن من المساعدات الإنسانية الموجهة إلى سكان غزة ، ومنها ستة آلاف طن من الحديد ، وألفا طن من الإسمنت، إضافة إلى مولدات كهربائية وأجهزة طبية وأدوية وكمية من المعونات الغذائية.

انطلقت ثلاث من سفن الأسطول صباح الجمعة ٢٨ أيار من ميناء أنطاليا التركي على أمل أن تلحق بها سفن أخرى قادمة من اليونان وإيرلندا والجزائر، غير أن سفينتين من الأسطول تعطلتا لأسباب فنية. وكان متوقعا أن تصل القافلة إلى قطاع غزة في حدود الساعة العاشرة من صباح الاثنين .



ومنعت السلطات القبرصية سفينة يونانية من الوصول إلى السواحل القبرصية لاصطحاب ١٢ برلمانيا أوروبيا ، وثلاث شخصيات عامة، بينها الكاتب العالمي السويدي مايكل هانن كان مقررا أن يكونوا ضمن القافلة .

في فجر يوم ٣١ أيار ٢٠١٠ بعد الساعة الرابعة فجرًا ، تم الهجوم على سفن أسطول الحرية من قبل القوات الإسرائيلية الخاصة ، حيث قيل إنها قتلت أكثر من ١٩ وأصيب أكثر من ٢٦ من المتضامنين، في أحداث وصفتها مصادر عديدة "بالـمجزرة" والجريمة و"إرهاب الدولة" وقد نفذت عملية الهجوم على الأسطول قوات إسرائيلية خاصة، حيث استخدمت هذه القوات الرصاص الحي والغاز.

وسبق أن اعترضت البحرية الإسرائيلية العام الماضي سفنا عدة، من بينها سفينة روح الإنسانية التي دهمتها واعتقلت جميع من كانوا على متنها من ناشطين وإعلاميين لأكثر من ستة أيام.

كما أقدمت إسرائيل في ٢٠٠٩ على استهداف بعض السفن المشاركة في حملة الكرامة ، وما زالت تحتجز سفينتين من أسطولها ، وتجري جهات دولية اتصالات سياسية وقضائية لاستعادة السفينتين المحجوزتين في إسرائيل. وكانت قافلة شريان الحياة رقم ٣، قد تمكنت – بوساطة تركية– من دخول القطاع عبر رفح مطلع العام الحالي، وأدخلت مئات الحافلات المليئة بالمساعدات الطبية والإنسانية. يأتي ذلك في حين أخفقت قوافل وسفن أخرى من قبرص وليبيا ولبنان في الوصول إلى القطاع تحت تهديد من السفن الإسرائيلية المرابطة في مياه القطاع.

صدم العالم في اليوم الأخير من أيار من الاعتداء الوحشي للجيش الإسرائيلي على أسطول الحرية الذي أبحر من عدة مواني تجمعت في ميناء ليمارسون سواحل قبرص في اتجاه بحر غزة للمساعدة في فك الحصار المضروب من سنوات . وقد تم إيقاف هذه القافلة ، وبالتحديد سفينة مافي مرمرة من قبل قوات البحرية الصهيونية ، وقتل تسعة من الأتراك المتضامين مع أهل غزة .. دقائق هزت مشاعر أحرار العالم ، وتبين قسوة الصهيونية بحرمان مليون ونصف من الطعام والدواء والماء. وأدت تلك الأحداث الفظيعة إلى زيادة الضغط الدولي على إسرائيل لرفع الحصار وقامت إسرائيل على أثره بتخفيف الحظر المفروض على بعض السلع وأدوات المطبخ ولعب الأطفال ، بينما رفضت حركة حماس القرار واعتبرته دعائياً وغير عملي .

قال حبيب لابن أخيه جهاد بحزن وألم : شيء مؤلم ما حدث في البحر ! هذا الإجرام معهود من أعداء الإنسان والإنسانية ، ومجازرهم في فلسطين ولبنان ومصر معروفة ومتكررة ، والمضحك فعلا أنهم يبتزون أوروبا خاصة المانيا والنمسا وإيطاليا للمجازر التي ارتكبها هتلر ضدهم قاتلهم الله أنى يؤفكون ، وهم أشد إجراما من هتلر وموسوليني وفرانكو وماو وستالين .

قال جهاد : القرآن الكريم تحدث عن مجازرهم نحو الأنبياء ، فهم قتلة الأنبياء ونقضة العهود

والوعود .. أخزاهم الرب في علاه .. وسعوا مرات لقتل نبينا ﷺ .

كان العقلاء الأحرار مصدومين مما حل في سفن أسطول الحرية المسالم ، فقال : شعب وأمة حقودة وكارهة للبشرية .. عاملهم الله بما يستحقون ، لكل بداية نهاية عرفنا البداية ، وستكون النهاية مهما يطل الزمن .

أكد جهاد ما قرره عمه : سيزولون كما زال غيرهم .. الأمر لله من قبل ومن بعد ليتخذ الله منا شهداء .. رحم الله شهداء أسطول الحرية .. لجمعيتنا ثلاثة أعوان رافقوا الحملة الكبيرة .. ولم يصب أحدهم بأذى .. وسوف يعودون بعد اطلاق سراحهم .. ولن يتوقف السعي في فك الحصار الظالم والمجرم ، ما دام هناك أحرار بحق .. وعلمنا أن القتلى التسعة كلهم أتراك رحمهم الله .

قال حبيب : رحم الله شهداء أسطول الحرية .

ـ أمين .. لقد تمت تصفية أملاك أمي وبيعها ، وتوزيعها ، وحصة بلص أخذتها الأوقاف ، لم يجدوا وارثا عصبة ، والذي ظننا أنه ابن عمه ، تبين أنه ابن بنت خالته وأخوه العصبة ميت ، وأختاه ميتتان ، ولا ذرية لهم ، وأعطى عارف ألف دولار لابن بنت خالته ، وأغلب أثاث أمي ، ونقل ما يلزمه لشقته بعدما خرج المستأجر فقد دبر سامي له شقة .. وغرفة نوم أمي أخذتها جمعية ؛ لتقدمها إلى عائلة.. المهم القاضي حول حصته للأوقاف في بعنبس ، فله أقارب في أمريكا وقبرص ورجح القاضي أنهم لا يرثون .

ـ ما دام قاضينا فعل ذلك فهو أدرى .. والفيلا باسم من؟

ـ كان يرغب سالم بامتلاكها ثم اعتذر ، فأخذها سامي وحسن وستحول إلى عمارة .. والفيلا اذا لم تؤجر كفيلا ستحول لشقتين .. فأكثر الشبان يحبون الشقق الصغيرة والمتوسطة .

قال حبيب : تملكها سامي وحسن ـ ما شاء الله ـ وفقهما الله .

ـ دفعوا الثمن نقدا ، ووزع مع باقي الأملاك .

ـ والعمارات المؤجرة!

قال : امتلكت واحدة ، وامتلك سالم واحدة من حصتنا ، والمعرض نقلت ملكيته لتاجر .

ـ انتهيتم من ميراث أم عارف.

قال : أجل ، عرف كل واحد منا كم له بعد حصر الميراث ؛ حيث وصل لخمس ملايين يتضمن حصتها من ميراث أبي كما تذكر ثلاثة ملايين ونصف!

فقال : بارك الله لكم ! سبحان الله ! الناس أو بعضهم يجمعون ويجمعون ثم يرثه آخرون .. ما أخبار شقيقك عارف ؟

قال : استقال كما تعلم من العمل ، وما زال بدون عمل ينتظر شهاب وجريدة ليعمل معهم في إنشاء مستشفى ، وقد شاركهم رأس المال ، وقد امتلكوا بنايتين في حي الجبل شمال بعنبس وتم هدمهما لإقامة مستشفى مكانهما ، وعارف سمع النصيحة وتعلم الصلاة ، وهو يتردد على المسجد القريب من شقته ، مسجد حي العين ، ويمشي أحيانا مع جماعة الدعوة بحكم وجودهم في مسجده ، وسألني عن بنت الحلال، لأن بعض المشايخ يرغب بتزويجه من بناتهم وأخواتهم ، فقلت اصبر عمك يبحث لك ، وها أنا أذكرك بأمره ؛ كما طلب مني .. يستغل وقت الفراغ معهم .

قال : هذا المسكين كان خاضعا لأمك زكية خضوعا عجيبا ، كان يعلم بفجور زوجته ، ولم يفعل إلا الصمت ، رغم أنه طبيب يعني صاحب عقل علمي.

قال : وأعتقد أمي كانت تعلم من بلص ، وصمتها بسبب أنها ابنة صديقتها أيام بيروت ، وهي التي اختارتها وزوجتها لعارف برحلة كانت لها ببيروت.. وفيرا هي التي زوجتها للسيد ناجي .. عرفته من معرض السيارات .. وكانت ترغب أن يعرف عارف بنفسه فجورها ، ليطلقها على أنها لا تعلم شيئا .

****

وردة بعد الولادة استأجرت خادمة لمدة ؛ لآخر السنة ، وكانت الخادمة أو الشغالة شابة فوق الثلاثين من دولة غانا ، ولها تعمل في المدينة حوالي عشر سنين ، وحسب نظام مكتب

الاستخدام لها إجازة خلال السنة شهر واحد إذا رغبت بالسفر لوطنها ، أو أسبوعان في نهاية حزيران ، وأسبوعان آخران في نهاية كانون الأول ، تقضيهما داخل البلد في سياحة ، في بيت صديقاتها ، أقاربها في البلد ، واذا اعتذرت عن الإجازة على المستخدم دفع أجرة الإجازة غير راتب الشهر .

وفرت لها حجرة في الفيلا الواسعة ، ترقد فيها ، وكانت مربية جوهر وسلمى لها حجرة مستقلة ، وسرير في غرفة الطفلين عند مرض أحدهما للأشراف عليه ..لهن حمام مستقل ، وفيه مرحاض ، ولهن حرية استخدام المطبخ .

كانت جوليا الأثينية تبدأ إجازتها في الصيف ، ومدتها شهر تقضيها في أي مكان ، وعلمت وردة أنها تفكر بترك العمل ، والعودة الدائمة لبلادها ، وطلبت وردة منها اذا حسمت أمرها أن تخبرها ؛ لتتعاقد مع مربية أخرى من شركة استقدام المربيات الأوروبيات في تاج الزمان.

اليوم التجارة في كل شيء ، والأثرياء لا يستغنون عن الخادمات في كل بلدان العالم ويجلبن من خارج البلاد ؛ ليمكثن ويعشن في بيوت مستخدميهنّ ، وهناك خدم ذكور للمطابخ والبساتين وبينها وردة مشغولة في أوائل حزيران بولديها الجديدين ، وتساعدها جوليا وسالي برعايتهما ، وكانت تعتمد على اللبن الصناعي كثيرا في تغذيتهما ، لم تسطع فعل ذلك من ثدييها ، فدرهما قليل ؛ فكان لابد من الحليب المصنع .

اتصلت بها الدكتورة علا خميس دون سابق معرفة أو اتصال ، باركت لها الولادة والاعتذار عن التأخر في المباركة ، وبينت لها معرفتها الشخصية بشقيقها المحامي جهاد نجيب.

فرحبت بها وردة ، وشكرت مباركتها ، وبينت لها علا عن سبب هذا الاتصال ، واستفهمت عن شقيق زوجة جهاد وسالم الدكتور عبد الرحيم أمجد .

فاعترفت وردة أنها لا تعرفه حق المعرفة ، فلا اختلاط بينهم ، وحتى زوجات إخوتها اللواتي تحسنت علاقتها بهما ، لا تعرفهما جيدا ، علاقتها بهما علاقات مناسبات بعد توبتها وتركها الانحلال والإباحية التي كانت تدعو لها ، والرجل كان يعمل في السعودية محاضرا ومدرسا

في إحدى جامعتها ، وأن امرأته ماتت وتركت له طفلا صغيرا اسمه محمد ، فلا تعرفه حق المعرفة ، لا اختلاط بينهم ، ثم قالت : أنا أتذكر أن جهادا أخبرني أنه تقدم إليك قبل ولادتي بمحمد ومي لماذا تأخرتم ؟!

قالت : صدقت ، كان الكلام حول زواجي بداية منذ حدث طلاقي ، ولما انتهت العدة الشرعية ، تحدث معنا شقيقك جهاد في شهر شباط الماضي ، تلك الأيام تعرض والدي لمشاكل صحية ، ثم في آخر نيسان التقينا ، وتحدث مع أخي الكبير سليم وأمي ومعي ، فطلبت مزيدا من الوقت حتى تتحسن صحة أبي ، واليوم وضع أبي أحسن بفضل الله .. أنت لا تعرفينه ، ولا الدكتور زوجك.

قالت : كما قلت لك ، كانت علاقتي قبل سنتين باردة جدا وفاترة مع إخوتي وأنسابهم .. قد تمر السنة ، ولا نرى بعضنا بعضا .. كنت أنا وعصاما نعيش في عالم آخر ؛ لكن لما تكرم الله علينا بالعودة لدينه أصبحوا أهم الناس في حياتنا يا دكتورة !

قالت : ثبتك الله ورفع مقامك دنيا وآخرة ! أبي دائما يذكركم بكل خير ، وأنا معجب بك وبإرادتك.. ولي رغبة باللقاء بك ، والتعرف عليك عن قرب.. لقد أحببتك يا دكتورة !

ـ جزاك الله خيرا .. والقلوب عند بعض.. وجزى الله أباك خيرا على حسن ظنه بنا .. وسأتحدث مع جهاد في الأمر .. هو كما تعلمين زوج أخت الدكتور أبي محمد .. ولولا مناسبته لك ما فتح جهاد الموضوع معكم .

ـ صحيح كلامك! أنت تذهبين للعيادة.

قالت : لي شريكة في العيادة منذ مطلع العام ، وتعرف ظروفي .. بعد نهاية هذا الشهر سأعود لممارسة العمل بإذن الله .. وتشرفيني بالبيت . وذكرت لها عنوان الفيلا .. أنت ما زلت تعملين في مستشفى الأطفال الجامعي.

ـ لقد تركته ، وأعمل في مستشفى جديد .. متى تحبين أن أزورك أنا وأمي؟

قالت : أي وقت مناسب لكما!

ـ الرابعة عصرا غدا إن شاء الله

قالت : إن شاء الله .. حياكم الله وبياكم .. أنا في انتظاركم.

لما صلت فرضها هي وزوجها عصام قالت : تكلمت معي علا خميس .

قال : بنت اللواء!

قالت : بنت اللواء الدكتورة علا التي حدثنا جهاد أن أخ رندا قبل بالزواج منها الدكتور أبو محمد مدرس الجامعة .. ذهب لبيت والدها ؛ حيث تعيش بعد تعافي اللواء من العملية التي أجراها لقلبه .. اتصلت بي لتأخذ رأينا في الرجل فأخبرتها أننا لا نعرفه بشكل جيد .. هل تعرف عنه شيئا ؟

قال متفكرا : أنت تعلمين أننا كنا بعيدين عن جهاد وسالم إلا بالحد الأدنى وعلاقتي تحسنت معهما عند الحادث ، وعند التوبة زادت المحبة بيننا .. فأبي كان يحبهم ويقدرهم ويتناقش معهم أكثر مني .. فأبي يعتبر كل من لا يصلي ناقص الأهلية يعيش كالأنعام .. فلديه كره لمن لا يلتزم ولو بالقليل من العبادات ؛ فلذلك لم أكن محبوبا إليه إلا بعد توبتي ، فعدت الابن الكبير ويتشاور معي في أمور كثيرة .

قالت : عمي جوهرة العائلة ! وهو الأب الحقيقي لنا .. كانت تمر السنوات ولا أراه فيها ، ولا أتكلم معه ، ولا أهتم ، ولا أذكر أنني فتحت هاتفي لأُعيد عليه ، كنا لا نعرف تلك الأعياد ولا نهتم بها ، ولا حتى أمي تقول لي اتصلي وعيّدي على عمك.. كان بلص يفعل ذلك ، وأرد عليه بجهلي أي عيد؟ العيد لمن صام وحج .. يا كم كنت جاهلة !

ـ وأنا مثلك كنا نفطر على كأس شراب صباح العيد .. الناس الصالحة تصدح بالتكبير في الطرق ذاهبة لصلاة العيد ..ونحن نسكر يا للجهل !

قالت : اليوم شقيقي عارف تغير وبدا يتخلص من سيطرة أمي عليه .. ويخرج مع جيرانه في المسجد من شيوخ الدعوة إلى المساجد الأخرى .

قال ممتنا لربه : نعمة الالتزام والإيمان من أكبر النعم علينا .. الحمد لله الذي هدانا ونوّر قلوبنا

ما ألتقي مع زميل قديم إلا قال آ يا عصام سمعنا أن الشيطان أخرجك من قائمته السوداء .. وتركت الحانات لبيوت الأحزاب والتيارات الجاهلة .. تيارات الإرهاب والتزمت .. رحماك يا الله ! وأقول هداكم ربي كما هداني .. كون بلا إله .. إنسان بلا عقل.. فأخي عارف أخذ يتحرر من عقدة الانقياد لأمه .. أبي وعده بالزواج اذا التزم بفروض الله .. فلا يستطيع تقديمه للناس وهو عاص لله .. فاستوعب النصح ؛ كما استوعبته أنا .. وأخبرني جهاد أنه يتعلم حسن تلاوة الكتاب مع إمام المسجد .. فهو منذ طلاق ميرا ؛ كما تعلمين ترك الوظيفة الروتينية ، وشارك جريدة وزوجها المستشفى الذي يستعدون لإقامته حتى شهاب يصلي بعد أن ترك بلد الصلاة وترك الشراب .

قالت: للأسف جريدة تحاربه ، وتزعم أن ذلك نفاق ، قلت لها لمن ينافق ؟ وتكرر الشجار بينهم بسبب قوارير الخمر الموجودة في البيت .. أعترف أن الحياة المادية فارغة بعد التجربة .

قال : جهاد طلب منه أن يدع الخمر في البيت ؛ كما كانت حتى لا تلجأ للسكر في الحانات والملاهي الليلة .. وقال له : ستتخلص منها بثباتك أنت .. فالتربية الفاسدة لا تزول بساعات يا شهاب! عليك بالتدرج حتى تذهب رواسب التربية السيئة ، والكبر من نفسها ؛ فكأنه اقتنع.

همست : نظرية التدرج بالتخلص من العادات السيئة .

قال عصام : أحيانا كثيرة يحتاج الإنسان لهذه النظرية .. قال أحد العلماء لتلاميذه عندما تاب موسيقار كبير في بلدهم على أيديهم وألحوا عليه أن يطلب منه التخلي عن ماله الخبيث مال الموسيقى وحفلاتها فقال العالم: دعوه حتى يتعرف على أخلاقنا وسلوكنا والحلال والحرام ، وسيأتي وحده للخلاص منه .. وفعلا بعد شهور ستة جاء الموسيقار ، وطلب من الشيخ عن الكيفية التي يتخلص بها من المال السحت .. نعود لأبي محمد شقيق رندا وريم .. أنا أعرفه وزارني أيام الحادث في المستشفى وهنا .. معرفة عامة حتى إبراهيم نسيب جهاد كذلك ؛ لكنهم حسب ما نسمع من جهاد وسالم أنهم أناس محترمون ، ووالدهم وصل لمركز قيادة كلية

من الكليات العلمية .. أكاديمي كبير ومعروف على مستوى الجامعات .. وأبو محمد محاضر في كلية الآداب ، وسمعت أبا عبدالله يقول إنه يعرف الإنجليزية أكثر من أهلها ، ويقضي إجازاته في بلادهم في مراكز العلم المكتبات لمزيد من المعرفة والاطلاع .

قالت: غدا ستأتي بصحبة أمها وشقيقها للتعارف ؛ لتبارك لنا ويسمعون رأينا .

ابتسم وقال : الرأي عند جهاد .

قالت : هم يثقون بكلام جهاد عنه ؛ ولكنه صهره وأخ زوجته .. فيرغبون بسماع طرف محايد.

ـ صحيح وجهة نظر مقبولة.

قالت : اخبرني جهاد أنهم سألوا الوالد العم الغالي ، فأثنى عليهم خيرا .. وجهاد هو الذي شجعه على اختيارها أولا ، وثانيا أبو محمد يريد أما لمحمد ؛ ليتفرغ لأبحاثه وتقدمه العلمي .

مقتل عميل

نشرت بعض الصحف العالمية يوم ٢٩ حزيران خبرا مفاده مقتل طبيب عربي عميلا لإسرائيل في قطاع غزة ، كان قادما إليها عن طريق إسرائيل يعمل مع جمعية إغاثة بلجيكية ، لها مركز إغاثة دائم يعمل في القطاع من أيام الانتفاضة الأولى ، تدعمه جمعيات بلجيكية وأوروبية إنسانية ، دخلها برفقة الحملة ، وتصحبه صديقته الطبيبة البلجيكية وقيل الهولندية .



المقاومة الفلسطينية منذ سيطرتها على غزة ، وحتى من قبل لم تكن ترحم عملاء إسرائيل في القطاع ، وخففت منهم كثيرا وتقلص عددهم ؛ وهؤلاء العملاء عيون إسرائيل منذ ملكت القطاع في نكسة حزيران ، ومن قبل وأثناء حكمهم كذلك ، وطردت قوات ناصر منها ؛ لكن العمالة لا تنتهي ؛ ليس في غزة وحدها ؛ بل في كل العالم .

ويستغل كل شيء في تجنيد العملاء .. الصحافة والمراسلون والجمعيات الإنسانية والخيرية والأمم المتحدة والصليب الأحمر ووكالة الغوث والبعثات الطبية والمستشفيات الثابتة والميدانية والمساعدات الإغاثية وحتى الرياضية وبعثات السلام وقوات السلام وحركات السلام ، فوكالات الاستخبارات تزرع العملاء فيها .

في حرب غزة الأخيرة ٢٠٠٩ أعدمت فصائل المقاومة العسكرية عددا من العملاء ممن أدانتهم قبل نشوب الحرب ، والحرب مستمرة بين أمن حماس وعملاء إسرائيل من أيام عماد عقل

ويحيى عياش .

دخل هذا الطبيب العربي بجواز سفر بلجيكي ضمن أعضاء تتعاقد معهم جمعية الإغاثة البلجيكية في بروكسل عاصمة الاتحاد الأوروبي للعمل معها مدة شهر شهرين ، فصل ، نصف عام ، سنة ..حسب رغبة المتعاقد .

لم تكن أول مرة يدخل فيها غزة ، فبعد الحرب دخل ضمن بعثة إغاثة يونانية ، هذه المرة دخل وصديقته مع بعثة دائمة لبلجيكا تقدم خدماتها الطبية والإغاثية لفئة معينة من ضعفاء وفقراء ومرضى القطاع ، ودخل بجواز سفر بلجيكي تبين لاحقا أنه مزور .

دخلوا القطاع عن طريق أحد معابر غزة إسرائيل ؛ بسبب مجيئهم برحلة طيران مباشرة من بروكسل إلى مطار بن غوريون اللد سابقا ، وبعد دخولهم بليلة التقى هذا الطبيب قرب صلاة الفجر بعميل غزي حتى يظن من يراه أنه ذاهب للصلاة والتقى بعميل للموساد أو الشاباك في نقطة ما متفق عليه ، ليسلمه حقيبة مليئة بالدولارات .

وكان العميل الكبير في السن تحت المراقبة ؛ لأن عمالته مكشوفة لأجهزة المراقبة والتتبع ، ولما أحاطت سيارات الأمن بالمكان ، حاول الطبيب الفرار فأطلقت عليه النار فمات في مكانه ، وقبض على الآخر ، وصدر بيان مقتضب عن وزارة الداخلية الغزية بذلك ، ثم تبين لهم بعد السيطرة على وثائقه وأغراضه أنه عربي فلسطيني من عرب ٤٨ ، وهو حضر بصفته طبيب عربي يحمل الجنسية البلجيكية ، وصاحبته البلجيكية الطبيبة دايل ويت ، واسمه وائل زياد ، عمل في البلاد الشامخة لسنوات كطبيب ، ثم رحل لأوروبا ، فقد دخل حاملا الأموال لذاك العميل ليوزعها على المخبرين والمتعاونين معه ، وكتبت الصحف أنه كان صهرا لضابط كبير في مخابرات البلاد الشامخة ، واعترفت صحف إسرائيلية بتجنيده في آخر أيام الجامعة حيث درس الطب في جامعة بعنبس الدولية ، ووالده خدم كضابط في الجيش الإسرائيلي ، ثم في الأمن الإسرائيلي ، عمالة الأب معروفة لأهل بلدته المهجّرين لقطاع غزة ، ولأقاربه وسكان البلدة داخل الخط الأخضر .

ولما انتشر اسم هذا القتيل المتهم بالعمالة لإسرائيل في البلاد الشامخة ، صدمت مخابرات البلاد الشامخة للوهلة الأولى لصلته بنائب مدير المخابرات المتقاعد من خمس سنوات اللواء خميس جعلونة ؛ حيث كان الرجل زوج ابنته ، وتطلقا في العام ٢٠٠٩ ، والذي دفعهم للاهتمام أكثر نشر الصحف العبرية خبر مقتل عميل للأجهزة الأمنية في قطاع غزة على أيدي رجال المقاومة وقدمت العزاء لأسرته ووالده الضابط المتقاعد من الأمن الإسرائيلي ، وإخلاصهم لدولة إسرائيل منذ الاستقلال عام ١٩٤٨ .

وشباب العرب في كثير من أقطار العرب يعلمون مع مخابرات العدو ، وأسباب التجسس المهمة ثلاثة : الحاجة للمال والثروة أو تعرض العميل للابتزاز والتهديد أو كرهه لوطنه أو مبادئ اقتنع بها ضد بلده ووطنه ، وفلسطين يسقط الشباب للحاجة المالية والفقر أو ليسهل لهم الدراسة في الخارج دون معوقات ، ولا يعتقد أن فلسطينا يعمل من أجل وحب دولة إسرائيل .

كشفت الصحف أن الرجل دخل غزة مع بعثة يونانية بجواز سفر عربي ، والتقى ببعض العملاء الذين طلب الالتقاء بهم من أجل الجندي جلعاد المعتقل في غزة ، وقدم لهم المال .

وهذه المرة جاء ضمن متطوعين لمساعدة الضعفاء والفقراء في هيئة إغاثة بلجيكية هو وصديقته الطبيبة الغربية ، ولما دخل إسرائيل أعطي حقيبة المال التي عليه تسليمها لعميل كبير يحمل كود " د " لهم في غزة ، وكان يحمل جواز بلجيكي ثم تبين أنه مزور ، كما اعترف أمن بلجيكا بذلك التزوير .

وقد هلك قبل شهور جاسوس إسرائيلي كبير ومهم يوم ولادة وردة ، اسمه المعروف إعلاميا دافيد قمحي .دافيد قمحي ولد في بريطانيا ، لعائلة يهودية صهيونية كثيرة الأولاد من أصل سويسري ١٩٢٨م ، هو أصغر أشقائه ، عندما بلغ الثامنة عشرة ، هاجر إلى إسرائيل ، على عكس أشقائه الآخرين، وانضم فورا إلى التنظيم العسكري الصهيوني هاجاناه.

سنة ١٩٤٨ شارك في الحرب على جبهة القدس ، وأصيب بجراح بالغة في مقدمة رأسه ،

بقيت هذه الجراح علامة مميزة في رأسه ، غطاها طيلة عمره بباروكة اصطناعية . بعد الحرب ٤٨ وانتصار إسرائيل على الجيوش العربية السبعة تقدم للدراسة في الجامعة العبرية في القدس قسم الآداب ، ولم يترك الجامعة إلا بعد الحصول على شهادة الدكتوراه ، أتمها في جامعة السوربون في فرنسا ، ولكن دراسته الجامعية لم تكن لغرض العمل الأكاديمي ، بل جاءت كخلفية وغطاء لنشاطه في الموساد ، الذي انتسب إليه في سنة ١٩٥٠. فقد مكنته هذه الخلفية العلمية من البروز كشخصية قيادية موجهة في الجهاز، لدرجة أنه تحول إلى مؤسس للكثير من مناهج الموساد وتقاليده وعاداته.

الصحافي الصهيوني المعروف يوسي ميلمان، الذي يكتب في صحيفة هآرتس، كتب بمناسبة وفاته أنه كان من أصحاب النظريات الأساسية التي سادت ، وما زالت تسود في عمل الموساد حتى اليوم ، وأنه «كان القائد الذي غرس عملاء للجهاز في العالم العربي» ، وهو نفسه أمضى سنين كثيرة في دول عربية وأفريقية عدة تحت اسم مستعار . ارتبط اسم قمحي بفضيحة الموساد الأولى ، التي وقعت في أواسط الخمسينات في مصر ، أرسل الموساد مجموعة من عملائه إلى القاهرة ، لكي يعملوا على تخريب العلاقات الناشئة بين مصر والولايات المتحدة ؛ حيث دعمت مخابرات أمريكا الانقلابين في مصر ؛ كما دعمتهم في انقلاب ٢٠١٣ ، وكان هؤلاء العملاء من اليهود المصريين الذين هاجروا للتو إلى إسرائيل. طلب منهم قمحي أن ينفذوا عمليات إرهابية في العاصمة المصرية ، ووضع عبوات ناسفة لتفجيرها ضد مؤسسات أميركية ، ولكن المخابرات المصرية كشفت المؤامرة بسرعة ، واعتقلت العملاء جميعهم ، واعترفوا بكل شيء، ونقل المصريون اعترافاتهم إلى واشنطن ، فانقلبت العملية على إسرائيل وتحولت إلى فضيحة ، اضطر وزير الدفاع الإسرائيلي في ذلك الوقت بنحاس لافون إلى الاستقالة ، بعد أن تآمر عليه رئيس الوزراء، دافيد بن غوريون، وأفراد معسكره، وألبسوه ملفا هو غير مسؤول عنه.

قمحي كلف يومها بمهمة التحقيق حول كيفية تمكن المصريين من كشف العملاء ، أجرى

هذا التحقيق وفق نظريته «كل شيء مباح في سبيل حماية أمن إسرائيل»، فسافر إلى ألمانيا، وقام بتجنيد ضابط سابق في الجيش النازي لصالح الموساد ، وأرسله إلى مصر لاستقصاء الحقائق، فعاد إليه هذا الضابط بالخبر اليقين فتبين أن المخابرات المصرية ضبطت أحد العملاء مصادفة ويدعى أفري العاد، وحققت معه ، فكشف عن تفاصيل الخطة قبل أن يبدأ تنفيذها ، بسبب هذا التحقيق تمت محاكمة هذا العميل في إسرائيل بعد إطلاق سراحه من مصر.

في السبعينات تولى قمحي مهمة البحث عن «منفذ لإسرائيل في لبنان»، فسافر إلى لبنان بنفسه وأقام علاقات مع مجموعة من قيادة «الكتائب» في ذلك الوقت ، واجتمع بالرئيس بشير جميل في سنة ١٩٧٦، بفضل نجاحاته هناك ارتقى في سلم القيادة ، وأصبح قائما بأعمال رئيس الموساد ، ومرشحا لرئاسته ، إلا أنه اختلف مع رئيس الجهاز ، يتسحاق حوفي ، واضطر إلى ترك الجهاز. عام ١٩٨٠ قرر وزير الخارجية آنذاك إسحق شامير، تعيين قمحي مديرا عاما لوزارته. تقول أرملته روتي قمحي، فإنه كان يعارض فكرة «أرض إسرائيل الكاملة»، التي تنفي وجود وحقوق الشعب الفلسطيني والتي تبناها شامير ، كما رأى قمحي أن إسرائيل أخطأت باحتفاظها بالضفة الغربية وقطاع غزة ، وكان عليها أن تنسحب منهما فور الانتهاء من حرب ١٩٦٧.

لكن شامير اختار قمحي ، ووافق قمحي على خدمة شامير لكونهما رفيقي سلاح، ففي الموساد كانا يعملان معا، وخاضا مغامرات غير قليلة سوية.

يقول أصدقاء قمحي إن شامير لم يعامله كمدير عام فحسب ، بل ائتمنه على أسرار الدولة جميعها ، وأشركه في أدق القضايا، ووجد فيه رجلا يستحق الثقة، وسيحتاجه شامير لاحقا ، ليكلفه بمهمة خطيرة للغاية ، هي التقرب إلى نظام الثورة الإسلامية في إيران.

بعد الانتهاء من الخدمة في الخارجية الإسرائيلية سنة ١٩٨٦، عين سفيرا فوق العادة للمهمات الخاصة ، وتركزت مهماته في إقامة علاقات مع القوى المعارضة للشيوعية الصاعدة في بولندا ، ثم في دول اشتراكية أخرى ، تمكن قمحي من قراءة الخريطة ، فأرسل التقارير التي تفيد بأن

دول أوروبا الشرقية ستترك الاشتراكية في القريب ، وبدأ في إقامة علاقات جيدة مع المعارضة التي تتأهب لتسلم الحكم. تقاعد من العمل الوظيفي وتوجه إلى الاقتصاد ، فقد ظل على علاقة وثيقة في السياسة، واضعا نفسه في خدمة الحكومات المتعاقبة ، فقد اتبع أسلوب الموساد بأن يخدم إسرائيل بغض النظر عمن يقود ، وعن السياسة التي تتخذ.

ثم أنشأ «مجلس السياسة الخارجية» ، كمرجعية لتطوير السياسة الخارجية للدولة وتحسين أدائها، وظل رئيسا للمجلس حتى آخر يوم في حياته ٩ مارس ٢٠١٠م. ارتبط اسم دافيد قمحي بفضيحة «إيران – غيت» ، التي وقعت سنة ١٩٨٥، وكشفت سنة ١٩٨٦، تمثلت هذه الفضيحة بشراكة في صفقة أسلحة التقت بموجبها مصالح إيران وإسرائيل والولايات المتحدة وحزب الله اللبناني. جوهر هذه الفضيحة هو أن الولايات المتحدة التي كانت في العلن تناصب إيران العداء ، قررت بيع أسلحة لها تعينها في حربها ضد العراق، مقابل وساطة إيرانية لدى حزب الله ليطلق رهائن أميركيين اختطفوا في لبنان ؛ كما أن الرئيس الأميركي رونالد ريغان ، الذي كان يريد إطلاق سراح الرهائن الأميركيين في لبنان، كان أيضا قد وضع خطة لمحاربة الشيوعية في العالم من أفغانستان إلى كمبوديا وأنغولا ونيكاراغوا ؛ لكن الكونغرس الأميركي منعه من تحويل الأموال إلى المتمردين الكونترا ضد حكم السندستيين في نيكاراغوا، فوجد في الصفقة مع إيران فرصة للحصول على أموال «من مصادر أخرى»، ومنحها للمتمردين في نيكاراغوا بالالتفاف على الكونغرس. في حينه كان إسحق شامير وشمعون بيريس يتبادلان رئاسة الحكومة في تحالف وطني بين حزبي الليكود والعمل، فقررا مع وزير الدفاع إسحق رابين تكليف قمحي بالمهمة ، بصفته يتمتع بأسلوب ساحر في تليين الأعداء ورجل أمن عتيد وخبير .. واختار قمحي للعمل معه كل من يعقوب نمرودي، وهو رجل أعمال كبير يمتلك صحيفة «معاريف» ، وكان قد خدم طويلا في الموساد كمسؤول عن الساحة الإيرانية في زمن الشاه ، وإيلي شويمر، وهو أيضا رجل أعمال، وكان مديرا عاما للصناعات الجوية في إسرائيل ، وقد نجحوا في إقامة العلاقة مع القيادة الإيرانية، وعقدوا

الصفقة، وهي ٥٠٠ صاروخ «طاو» مضادة للدبابات، مقابل إطلاق الرهائن ، والأموال وصلت إلى المتمردين في نيكاراغوا، بالطبع بعد خصم العمولات الإسرائيلية. تطورت العلاقات بين الإسرائيليين والإيرانيين لصفقة أسلحة ثانية ، وهذه المرة من دون علاقة بحزب الله.. صفقة أسلحة عادية ، وكان المطلوب ٥٠٠ صاروخ «هوك» مضادة للطائرات ؛ لكن هذه الصفقة تعثرت ، حيث إن الإيرانيين وجدوا أن الدفعة الأولى مغشوشة ، وقد لاحقوا يعقوب نمرودي في السويد، وهددوه بالقتل إذا لم يذهب معهم إلى البنك، ويعيد النقود التي قبضها كدفعة أولى. ضمن قمحي أن تعاد النقود فعلا ، وأعلن الإيرانيون أنهم لا يريدون أن يتعاملوا مع إسرائيليين، وأنهم يريدون التعامل مباشرة مع الأميركيين.

وأرسل الأميركيون ١٠٠٠ صاروخ «هوك» فعلا ؛ ولكن إسرائيل تصالحت مع القيادة الإيرانية يومها ، وعينت شخصا آخر بدلا من نمرودي وشويمر، هو عميرام نير، المراسل العسكري للتلفزيون الإسرائيلي. وقد تخلصوا من نير في حادث سقوط طائرة مروحية فوق سماء أميركا سنة ١٩٨٨، عندما كانت تجرى محاكمة المتورطين الأميركيين في «إيران – غيت» ومن بينهم الكولونيل أوليفر نورث. عندما ترك قمحي مناصبه الوظيفية ، بدأ يظهر كشخصية سلام مفاجئة، فانضم إلى حركة «السلام الآن»، وفي سنة ٢٠٠٣ كان أحد المبادرين إلى المحادثات الإسرائيلية الفلسطينية غير الرسمية، والتي انبثقت عنها «معاهدة جنيف»، ففي هذه المعاهدة توصل الطرفان إلى اتفاق سلام متكامل، على أساس مبدأ دولتين للشعبين ، لهما عاصمتان في القدس، الشرقية عاصمة فلسطين والغربية عاصمة إسرائيل ، ويتضمن الاتفاق حلولا تفصيلية لقضايا الصراع الإسرائيلي الفلسطيني كلها، بما في ذلك قضية القدس واللاجئين والحدود والأمن والمياه والاقتصاد، وغيرها.

وقد وقف على رأس الوفد الإسرائيلي، يوسي بيلين، والوفد الفلسطيني، ياسر عبد ربه ، والمعروف أن هذا الاتفاق الذي صدر في سنة ٢٠٠٣، أثار اهتماما عالميا كبيرا ضايق رئيس الحكومة الإسرائيلية، أرئيل شارون ، وأحرجه ولكي ينزله عن الأجندة الدولية ، لجأ شارون

يومها إلى خطة الانسحاب من طرف واحد من قطاع غزة وإزالة المستوطنات جميعها منها، وكذلك من أربع مستوطنات أخرى في شمالي الضفة الغربية ، وقال إنه يريد إنهاء الاحتلال الإسرائيلي للمناطق الفلسطينية، ولكنه لا يجد في ياسر عرفات شريكا لعملية السلام.

انتبه قمحي إلى خطورة خطوة شارون ، ولكنه لم يحاربها ؛ بل قاد اتجاها لتشجيعها بشرط التنسيق فيها مع السلطة الفلسطينية ورئيسها ياسر عرفات. وكان قمحي يقول إنه يفضل اتفاق سلام كامل وشامل، ولكنه في الوقت نفسه وما دام أن هذا غير ممكن، فهناك أهمية تاريخية أن يقدم قائد تاريخي لليمين على الانسحاب الكامل من قطاع غزة ويزيل المستوطنات ويجب على قوى السلام أن تستفيد من هذه الخطوة فورا، وكذلك على المدى البعيد.

وكان قمحي من أشد المؤيدين والمتحمسين في إسرائيل لمبادرة السلام العربية، وسعى في الأحاديث الخاصة مع رؤساء الحكومات والجنرالات والوزراء إلى تأييدها ، وعندما يئس منهم قرر الخروج بمعركة علنية ضد إهمال هذه المبادرة وتجاهلها ، وفي ٢٦ أبريل ٢٠٠٧، على أثر إقرار مبادرة السلام العربية في مؤتمر القمة العربي في الرياض، كتب قمحي مقالا مشهورا في صحيفة «هآرتس»، تحت عنوان: «هل نخشى من السلام؟»، هاجم فيه حكومة إيهود أولمرت بشدة. ومما جاء في المقال: «مبادرة السلام العربية هي النقيض لما علمونا إياه في إسرائيل عن المواقف العربية ، فبدلا من اللاءات الثلاث في مؤتمر القمة العربية في الخرطوم، شاهدنا أربع «نَعَمات» (جمع نعم): نعم للاعتراف بإسرائيل، ونعم للمفاوضات مع إسرائيل، ونعم للسلام مع إسرائيل، ونعم للتطبيع مع إسرائيل في حالة صنعها السلام ، فهل يعقل ألا نتجاوب معهم؟! هل يعقل أن تكون لدينا حكومة تخاف من مفاوضات السلام؟ هل بدأنا نخاف فعلا من السلام؟ هل يمكن للقدس أن ترث الخرطوم وتصبح عاصمة اللاءات: لا للعالم العربي، لا لسورية، لا لفلسطين، لا للمواطنين الإسرائيليين الشغوفين برؤية الأمل وبمستقبل أفضل».

يقول قمحي في مقالته بشيء من الحسرة إنه في حقب ماضية من التاريخ الإسرائيلي كان هناك

قادة وجدوا في أنفسهم الشجاعة لاتخاذ قرارات غير عادية، تنطوي على إحداث انعطاف في المواقف ، من بينهم دافيد بن غوريون أول رئيس حكومة في إسرائيل، مناحيم بيغن، صانع السلام مع مصر، وإسحق رابين، صاحب اتفاقيات أوسلو الذي دفع حياته ثمنا ، ودعا أولمرت يومها أن يظهر الشجاعة ويتوجه إلى العالم العربي بإخلاص، معلنا التجاوب مع المبادرة العربية. وفي السنة الأخيرة من حياته ، دعا قمحي إلى الامتناع عن محاصرة قطاع غزة والدخول في مفاوضات غير مباشرة مع حركة حماس، بوصفها الفائزة في الانتخابات الفلسطينية، وعدم تركها خارج الساحة لقمة سائغة لسياسة الرفض والتلاعبات الإقليمية.

كان قمحي بعيد النظر في الاستخبارات ، أقام علاقات مع أشد أعداء إسرائيل . وصراع أجهزة المخابرات العربية مع أجهزة الأمن الصهيوني قديمة من قبل قيام دولة بني صهيون وإنشائهم الوطن القومي . وقصص الجواسيس والعملاء لا تزال تظهر بين الحين والآخر في مصر في سوريا وأبرزها قصة إيلي كوهين الذي اعدم عام ١٩٦٥ .

وفلسطين بسبب الاحتلال والظلم مليئة بالعملاء والخونة كما هي مليئة بالأبطال والشهداء ؛ وليس هذا فحسب ؛ بل العملاء في الشتات في كل دول العالم يحاربون علماء وثوار فلسطين .. حرب مستعرة ما دامت إسرائيل موجودة .. فقبل سنوات سعت الموساد لاغتيال قائد حماس خالد مشعل في قلب عمان عاصمة الأردن ، وفشل الاغتيال ، وما زال الرجل يقود مكتب حماس السياسي .

نشرت صحف البلاد الشامخة ترجمات وأخبار وكالات الأنباء الدولية والمحلية والصحف العالمية والعبرية حول مقتل الطبيب وائل زياد ، وذكرت الناس بحياته في بعنبس، وتبين أنه عميل مخابرات إسرائيلية ، ونتيجة لهذه الأخبار اهتز واضطرب جهاز المخابرات في البلاد وأجهزة الأمن الأخرى ، ومدى كمية الخسارة التي ألحقها بالأمن القومي للبلد ، كيف عاش سنوات طوال دون معرفة أي شيء عنه ؟ وهم يزعمون أنهم من أقوى أجهزة المخابرات في العالم ، ويعلمون أين تسكن كل نملة في البلاد ؟

والأدهى والأخطر أنه كان قريبا من نائب دائرة المخابرات اللواء المشهور خميس جعلونة ، وكان يرتاد النوادي العسكرية لمشاهدة حفلة أو عرض عسكري بصحبة زوجته ابنة اللواء ، وكان الرجل يعمل سكرتيرا لحزب عصبة النساء المتحررات من القيود الزوجية ، وأكثرهن من المطلقات والعوانس ، ويدعون لحرية النساء المطلقة ، وذكروا الناس بقصة زواجه من امرأة مطلقة بغير عقد محكمة ؛ ومن المعلوم أن المخابرات تدس مخبريها في كل حزب وجمعية.

نشرت الصحف المحلية أن أجهزة الأمن في البلاد الشامخة عقدت اجتماعا مهما وكبيرا ، راجعت فيه ما نشرته الصحف الكبيرة العالمية حول مصرع الدكتور وائل زياد ، حيث كان يسلم شنطة مليئة بالأموال لعميل مراقب من أجهزة وزارة الداخلية الغزية ، وحاول الهرب قبل القبض عليه ، مما اضطرهم لإطلاق الرصاص عليه فأصيب في مقتل ، وقبض على العميل وهو يحمل حقيبة المال الإسرائيلي ، وهم يدرسون مقدار الضرر الذي لحق بهم من عمالته ، وما مقدار المعلومات التي تمكن من إرسالها للموساد ، ونشطوا لمعرفة الأشخاص المقربين منه في العمل في المقاهي والنوادي أيام الجامعة ، وأيام العمل في المستشفى الجامعي وكيفية تفاصيل زواجه بابنة السيد خميس ضابط الأمن ، ثم طلاقه منها لما هاجر لأوروبا .

وبعد مراجعة وتدقيق تبين أن المعلومات قليلة لا تذكر ، ولا تبين ولا وتثبت أنه عميل بل مجرد ناقل أموال ، فلا علاقات له مع ضباط داخل الجيش ، ولا خارجه ، ولا ضباط الأمن إلا

اذا تمكن من تجنيد عملاء ، وربطهم بخلايا وشبكات تعمل في البلاد ، وهذا لا تخلوا منه دولة كما هو متوقع داخل البلاد ؛ لأن هذا العدوان قائم منذ قامت دولة الكيان المجرم .

فقد تبين وتكشف أنه قضى سنوات الدراسة بعمل العلاقات الجنسية مع الراغبات بذلك ، ولم يكتفي بامرأة واحدة ؛ بل أكثر من واحدة ، ثم انتقل نشاطه الجنسي إلى المستشفى الجامعي ؛ حيث عمل بضع سنوات التقى خلالها بابنة اللواء خميس ؛ حيث كانت رئيسة القسم الذي يعمل فيه ، واستطاع التحايل عليها ليتخذها زوجة وحقق ذلك .

لماذا جندت إسرائيل الدكتور للعمل كجاسوس في بعنبس ؟! بعنبس حي ضمن أحياء كثيرة ما الهدف أم هو محاسب ناقل أموال للخلايا والشبكات ؛ كما حصل له في غزة ؟! وهل يعتبر هذا جاسوسا ؟ وهذا ما ترجح لديهم لحد الساعة ، ولدى كبار ضباط دوائر الأمن في البلاد الشامخة ؛ أنه عميل بريد لنقل الأموال .. وتسألوا هل خميس عميل لهم ؟! ما حجم علاقته بخميس؟ هل هي قوية وحميمية ومفيدة له كجاسوس ؟ هل هو يقوم بنفس العمل الذي ختم به حياته ؟.. من يتلقى منه الأموال هنا ؟ لم يثبت له نشاط تجسسي مع قيامه بحضور بعض حفلات عسكرية .. فهي لم تكن سرية ، فيحضرها عائلات الضباط والعسكر والدبلوماسيين خميس كل من يدرس في الجامعة الدولية يعلم أنه مسؤول الأمن فيها ، ويعمل بين يديه عدد من الضباط ، وهؤلاء لهم مخبرون سريون في كل كليات الجامعة من الطلبة والحرس المدني ..

لماذا تقرب إليه وائل بالزواج من ابنته ؟! الجواب مهما حللنا ودرنا .. هنا شبكة يعمل ضمنها .. أين هذه الشبكة ؟ قررت المجموعة سماع خميس وملاحظاته بعد هذا الإعلان ، وسماع علا وسليم خميس والدكتورة وردة والدكتورة نبيلة ، وبعض أفراد حزبها حزب العصبة النسوية ، واليوناني فينوس وابنه الدكتور إسكندر الذي خرج مع وائل إلى اليونان وترافقا إلى غزة ، ثم رجعوا اليونان ، وسافر هو أوروبا ، ورجع من هولندا وطلق علا خميس ، ورجع أوروبا واختفى ، وظهر ميتا مقتولا في غزة ، وغيرهم من الأشخاص إن وجدوا.

قدرت اللجنة المجتمعة أن الأضرار منه كشخص واحد قليلة ، ولا أهمية لها ، ولا تشكل

خطرا على الدولة والنظام والشعب ، وإسرائيل لم تجنده إلا لسبب مهم في البلد .. والجواسيس موجودون في أغلب بلاد العرب .. ولهم تاريخ وهي منذ وجدت وتجند العملاء والجواسيس من العرب وغير العرب . ورجحوا أن خطره لم يكن كبيرا بسبب بعده عن الأجهزة الخطيرة والحساسة ، فهو طبيب درس في جامعة بعنبس الدولية ، وعمل فيها مدة ست سنوات قبل أن يعمل في مستشفى خاص ، ونشط في حزب ضعيف لحد الآن ، ثم طرد منه ، والحزب بعيد عن السياسة وألاعيبها .

فأصدر مدير الأجهزة قرارا باستدعاء الأسماء المهمة التي كانت على علاقة معه، ومراقبة الخطير منهم ، والبحث عمن له علاقات دقيقة منهم مع جهات أخرى والاستخبارات العسكرية بينت أن علاقته بهم لا تذكر ، فغير مفهوم لهم لماذا جندته إسرائيل ؟ واذا كان ناقل أموال .. لمن ينقلها ؟ هذا ما يجب أن نكشفه أيها السادة ؟ الرجل كل سنة تبين أنه كان يخرج إلى أوروبا على صورة إجازة وسياحة .. ما هي المعلومات التي يستطيع نقلها لإسرائيل ؟

اتصلت دائرة المكتب الثاني المخابرات بخميس ، وأعلموه بأنهم سيأتون لأخذه للدائرة لسماع أقواله في علاقته بالعميل المقتول في غزة . رحب بذلك ، فهو ابن الجهاز الأول المسؤول عن الأمن ، وحدد الوقت ، وكان في الليل ؛ حيث ستأتي سيارة أمنية لنقله لمكان التحقيق في عنبس حيث توجد المكاتب الرئيسية والاستماع لأقواله في القضية.

جلس اللواء وواجهه ثلاثة ضباط من ثلاثة أفرع أمنية ، وجلس الكاتب للجلسة وحيدا على طاولة وبين يديه دفتر لكتابة المحضر ، وفتح جهاز التسجيل. فتح الجهاز والدفتر وبدأ السؤال والاستجواب ، وعرف الرجل على نفسه وسكنه وعمره ، ثم ذكر أماكن خدمته الأمنية ، وأنه دخل بداية جهاز الشرطة بعد تخرجه من أكاديمية الشرطة كضابط بوليس وتحقيق ، ولما حصل على رتبة نقيب نقل إلى أمن واستخبارات الشرطة ، ثم نقل للأمن للعسكري لمدة عام واحد ، ثم نقل إلى المخابرات العامة برتبة رائد ، وبدأت خدمته في المخابرات والقلم السياسي يقصد به متابعة الذين يعملون بالسياسة كالأحزاب وما شابههم في تاج الزمان ، وعين بعد

وقت يسير مسؤول الأمن الأول في جامعة بعنبس الدولية ؛ لأن أمن الجامعات مسؤولية الدولة القائمة فيها الجامعة ؛ ولو كانت دولية أو خاصة ، ووظيفته قيادة مجموعة من ضباط الأمن ومخبريهم في كل كليات الجامعة والاندساس بين الطلبة في جميع الكليات ، وبين المدرسين والعاملين ، ومراقبة الأنشطة العامة والسياسية خاصة ، ففي كل كلية ضباط مخابرات ، ويستخدمون أعدادا من المخبرين من الطلاب ، وقد يكون هؤلاء المخبرون ممن تم تدريسهم على نفقة الجهاز ، وسيعملون في الجهاز بعد التخرج ، وكذلك بعض المدرسين والمعلمين قد يكونون موظفين مخابرات رسميين ، وبعض الإداريين والعاملين هم موظفو مخابرات أصلا ، ومن مهامهم التجسس على الأحزاب بشتى مسمياتها الوطنية القومية البعثية والاشتراكيون والشيوعيون والتيار الإسلامي بجميع أصنافه وقضى خميس أكثر سنوات خدمته بنجاح في الجامعة ، ثم انتقل للدائرة الرئيسية التي يجلس فيها للاستجواب ، ومع الوقت أصبح أحد نواب المدير العام وأثناء النيابة انتهت خدمته عام ٢٠٠٤.

أحيل على التقاعد برتبة لواء ، وبعد استراحة لنصف ساعة عادوا لمتابعة أخذ أقوال اللواء ، وحضر كاتب آخر ، فتح المسجل والدفتر من جديد ، وبدأ الاستجواب عن كيف التقى بزياد أول مرة ؟

أجاب متذكرا : هو تعلم في كلية طب بعنبس الدولية على حساب أسرته ، قدم أوراقه كأي طالب من خارج البلاد ، فالجامعة تقبل الطلبة من جميع بلدان العالم من غزة الضفة إسرائيل عرب فلسطين القديمة ، ولما التحق بالكلية بعدما قبلته ، كان ابن تسع عشرة سنة ، لم يظهر له أي نشاط سياسي أو اجتماعي في كلية الطب ؛ ليلفت الأنظار .. كان خاملا ككثير من الطلبة لم ينضوِ تحت حزب أو فرقة موسيقى أو مسرح أو جمعية ثقافية أو علمية أو أي تجمع كان .. وآخر كل عام يعود لفلسطين ماذا يفعل هناك ؟ لم تأت أي إشارة لنا تشير إلى عمله كجاسوس، لم يسعَ لأخذ معلومات من أحد ، بعد ثلاث سنوات من الدراسة الجامعية ظهر إباحيا ومحبا للسهرات في المراقص والحانات ، ومعه مال ؛ لأننا علمنا أن والده يخدم في

الشرطة الإسرائيلية ، وهو كان يصرح بذلك ، فكان يدور ويلف حول البنات والخمور ، وهذا ليس من اختصاصنا أن نمنع الشباب من الزنا خارج الجامعة ، ولا حتى داخلها .. هذا شغل إدارة الجامعة.. والخمر ممنوعة داخل الجامعة ، ومن دخلها سكران يتعامل معه حراس وشرطة الجامعة .. هذا عرف به بين زملاء الكلية .. وهذا يفعله هو وغيره ، كان بعيدا عن الأحزاب والسياسة .. ولما أنهى الكلية رغب بالبقاء في البلد ، وليحصل على شهادة الاختصاص ، واختار طب الأطفال ، وحصل على جنسية البلاد بصفته طبيب قضى سبع سنوات وعمل في المستشفى الجامعي للتدريب والاختصاص لمدة أربع سنوات.. وفي تلك الفترة طلقت ابنتي علا من زوجها احمد ابن الضابط محمود زميلي في الشرطة ..وعملت في نفس المستشفى رئيسة قسم الأطفال .. فاستغل لحظة انفصالها ، ولعب على عواطفها وأنه البديل ولا يهمه أن تكون امرأته عذراء بكرا أو مطلقة . وبعد حين اقتنعت بأنه البديل المناسب لها ، والمتعاطف معها ، وعمل عليها تمثيلية العطف والشفقة وأسطوانة الحب المشروخ . بينت لها أن هذا الرجل سيرته الأخلاقية فاسدة ، وله علاقات إباحية ، وأنه يحمل جواز إسرائيلي رغم كونه عربي ، وفي أي وقت يغادر لقريته الفلسطينية، ومعروف بين زملائه بالزنا والشراب ؛ لكنها أغرمت به ، وبكذبه وأنه تعهد بالاستقامة وترك النساء والشراب .. الطلاق صعب على النفس خاصة الأنثى كابنتي ، لقد استغلها في الأزمة ، فتخيلته ملاكا هبط عليها من السماء ، فهو الوحيد الذي وقف بجانبها من زملاء العمل ، واستعد للزواج منها رغم أنها مطلقة وعندها بنتان .. هل كان الجاسوس يأمل إلى الوصول إلى معلومات مني لدولة العدو ؟ فإذا فكر بذلك فهو غبي ، ومن أرسله غبيا ؛ لأنني بعيد عن العسكر ، وبعيد عن دائرة المخابرات ، ومعروف بأنني موظف مخابرات يعمل في مراقبة طلاب الجامعة ، فلا يمكن أن أملك أسرارا خطيرة في عمل في مؤسسة جامعية حتى أني وضعت عليه مؤجلا خمسين ألف بحجة أني أريد منعه من طلاقها .. والحق فعلت ذلك ؛ ليبتعد ولكنه وافق دون تردد . كان لما أضطر للجلوس معه أثناء زيارة لبيتنا يبدو مهتما بتسليح الجيش وأهم الأسلحة

التي تعتمد عليها القيادة العسكرية والطيران ، فأختصر الاسترسال والخوض في مثل ذلك بأني لا أعرف ؛ لأنني لم أخدم في تلك الأسلحة فألزم الحذر والصمت فطرة ؛ ليس ذكاء مني عملي بداية في الشرطة ؛ فلذلك معلوماتي عن الجيش قليلة ؛ وفعلا معلوماتي ضئيلة عنها .. معلومات ثقافية فحسب .. وكل خدمتي في الشرطة وأمن الجامعة والتحقيق مع المجرمين ، ثم مع مثيري الشغب في الكليات ، وتحذيرهم من الفوضى والإساءة للدولة ورمزها ، لم أخدم في قطاعات الجيش أيها السادة الكرام! كنت نفسيا لا أحب الالتقاء به كثيرا إلا في الحدود الدنيا من أجل خاطر علا، لم أرتح له ؛ لكن البنت في البداية تعلقت به ، واعتبرته حبل نجاة لما طلقت .. وهي مثل النساء تحلم بزوج ، ولم تطلب مني يوما معلومات حول عملي ونشاطي والجيش.

قال أحد الضباط : نحن لحد اللحظة لم نعرف لماذا جند في بعنبس ؟! كل التحريات لم تصل لخيط .. هل هو مجرد ناقل مال كما ثبت في غزة ؟ وهو الراجح .. لو كان عميلا مهما ما أرسل بمثل هكذا مهمة إلا اذا ذهب لإرسال مال واستلام معلومات شفوية أو مكتوبة ، ولم تشر أي جهة إلى هذا الفرض .. والعميل الذي ألقي القبض عليه معروف ومراقب فكيفت غامر الموساد ؟!

عقب خميس : أنا لم استشف أنه عميل إلا اذا كان ما قلتم بنقله المال .. ولمن ينقله في بلادنا ؟ وهذا يتطلب منكم معرفة الشبكة التي يتعاون معها ، وينقل المعلومات منها لإسرائيل .

****

جلست علا خميس على كرسي الاستجواب ، وقابلها المحققون الثلاثة المكلفون بالتحقيق ، وقعد كاتب المحضر وفتح دفتره ، وفتح جهاز التسجيل ، ذكرت اسمها عمرها عنوان البيت وعنوان العمل الحالي.

قال ضابط التحقيق : هل سمعت بوائل قبل عملك في مستشفى جامعة بعنبس؟

قالت : كلا، لما دخلت كلية الطب أعتقد أنه كان في الفصول الأخيرة ، فمن الصعب المصاحبة

لطلاب السنة السابعة أو حتى السادسة فهم على ووشك الرحيل ، وأنا بحكم وظيفة والدي لم أعمل أي صداقة مع الذكور خارج نطاق المحاضرات بحكم الاختلاط ، وكان عمل أبي لا يسمح لي باللف والدوران .

قال : متى التقيت بوائل؟

قالت : لما عملت بقسم الأطفال اقتربنا من بعض كزملاء عمل ، ولما أنهيت الاختصاص في طب الأطفال عينت رئيسة القسم ، وحصل طلاقي في أول عملي كمسؤولة أولى في القسم ؛ ربما كان يعلم من هو أبي ؛ فكان يخشى الاقتراب مني كثيرا رغم حبه لمصاحبة الطبيبات والممرضات وكثرة الرغي معهن ، وأنا لا أحب هكذا رجل .. وكنت متزوجة ، ولا أسمح لأحد بالكلام الغزلي معي ، وأثناء عملي بالمستشفى التعليمي ولدت طفلتين من زوجي احمد ، ولما حدث الطلاق تقرب إليّ على غير العادة ، وأخذ يواسيني ، وأن الحياة أكبر من الطلاق .. حقيقة استغل حالتي النفسية جيدا ، وكلما نلتقي كان قريبا مني حزينا مشفقا عليّ حتى بعد ستة شهور اقتنعت أنه الوحيد الذي يرثي على مصابي ، وأدخل فكرة الزواج مني متى قبلته للتخفيف عني ، وأن الطلاق ليس نهاية العالم ، وانطلى عليّ لفه ودورانه ، وأنه قد يكون الزوج المناسب ، وأنه لا يهمه الزواج من بكر أو أرمله أو مطلقة ، وأنه حزين من أجلي وأجل طفلتيّ اللتين أبيت التخلي عنهما ، ولم يفعل ذلك معي زميل أو حتى زميلة ما فعله من عطف ولما أقول له عن الأخريات والفاحشة والخمر يزعم أنه عند الزواج لا يحتاج لزنا أو خمر .. مع الوقت اقتنعت بأنه قد يكون رجلا صالحا .. وحدثت أبي عنه ، وبعد حين اخبرني أنه لا يصلح للزواج فهو إباحي ، فظننت أن والدي يبالغ ولا يرغب بزواجي منه .. وفعلا لما صار الموضوع جديا ، وضع مؤجلا مرتفعا .. بالنسبة لي بين أنه خشية عليّ من الطلاق كرة أخرى ومن ناحيته لينصرف عن الزواج مني ؛ ولكنه قبل بدون تفكير أو تردد.

صممت على قبوله بعد تعهده بترك النساء والخمر وتزوجنا .

ـ هل سألك يوما عن طبيعة عمل أبيك في المخابرات ؟ طلب منك سؤال والدك عن أشياء

عسكرية .

قالت : هو يعلم أن والدي ضابط مخابرات ، ومسؤول أمن في الجامعة .. لا أذكر شيئا مما تسأل عنه ؛ لأن حياتنا لم تبدو حياة عادية ، لم ينقطع عن الخمر ، ويسهر في حزب العصبة النسائية المعروف في البلد بزعمه سكرتير الدكتورة الإباحية نبيلة رئيسة الحزب الإباحي .. وكنا اتفقنا على عدم الحمل حتى تكبر البنات ، ورحب بذلك ، ثم هجرته بعد سنتين ونصف من الزواج لمدة سنتين ، ولم نتفق على الطلاق للخمسين ألف دولار ، وعدنا ، ثم هجرني ، وهرب إلى أوروبا ، ثم تطلقنا العام الماضي .. وأيام حرب غزة كنا معا .. وكان مهتما بالحرب على غير العادة مما لفت نظري ، فقال: الله ينصر المقاومة والقسام !

ـ يتكلم أمامك بالسياسة.

قالت : لم أره يقرأ صحفا أو مجلات سياسية .. كان همه النسوان ونشر الإباحية بينهن.

ـ هل هذا عمله وعمالته؟

قالت : كنت أهتم بابنتيّ أكثر من اهتمامي به ، ومنذ البداية علمت أنني أخطأت الاختيار ، وأني تاجرت بإباحي ؛ كما قال أبي ؛ ولكنّ علي التحمل والصبر.

جلست وردة نجيب عارف على كرسي الاستجواب في دائرة المخابرات العامة وذكرت اسمها وعنوانها وسنها ومكان عملها ولما سئلت عن أول مرة التقت بها الدكتور وائل الجاسوس الإسرائيلي ؛ كما نشرت وأذاعت وكالات الأنباء ، لاحظ أحد المحققين توترها ، فعرض عليها شرب فنجان قهوة وتدخين سيجارة .

فقالت : الحمد لله يا سيدي لا أدخن .

قال : بعض الناس يعتقد أنه اذا أصابه غضب أو توتر ودخن سيجارة ذهب غضبه وتوتره .. هذا وهم لا علاقة له بالدخان ..صحيح هذا يا دكتورة !

قالت : القلق كثير ما يكون طبيعيا ، وردة فعل للأذى المصاحب للشخص والإلف .. شرب

القهوة ؛ ربما تنفع الأعصاب أكثر من التدخين حتى أن أحدهم قال ساخرا: كنت أدخن صغيرا ؛ فكان أبي يضربني على شرب الدخان ، وهو يدخن أثناء تأديبي .

صمتت لحظات ثم قالت : أنا قبل سنين ثلاث كنت وردة أخرى غير التي تجلس أمامكم .

قال المستجوب : نعرف هذا يا دكتورة ! وقبل استدعائك للمقابلة أجرينا تحريات عنك ؛ ربما أنت نسيتها .. فأنت اليوم أم مثالية اذا حسن التعبير .. فكل شخص يا دكتورة يعمل في حزب أو جمعية أو أي تجمع يكون لحزبه مكتب في هذه المؤسسة بما يسمى الأمن الداخلي .. نحن نعرف عن حزبك أكثر منك .. تكلمي بكل ما تحبين بيانه ؛ لأن هدفنا معرفة ماذا كان يفعل هذا الجاسوس في بعنبس والبلاد ؟

قالت : شكرا ، تعرفت عليه في كلية طب بعنبس ، كان يسبقني بعامين يا سيدي وكنت من دعاة الحرية المطلقة للنساء دون أنتمي لحزب أو جمعية نسوية ؛ ربما لتربيتي المنحرفة من قبل أمي التي لا ألومها ؛ إنما هو هوى .. كنت أرى أن على المرأة أن تعيش حرة .. ترتبط بذكر ارتباطا بدون زواج أو عقد بوي فرند ؛ كما نقرأ ونرى بنات المانيا فرنسا أمريكا كل العالم الغربي .. وهذا الارتباط يعني المشاركة في الشقة وأجرتها ومصروف البيت ، ولا يمنع الطرفين من إقامة علاقة جنسية مع طرف آخر ، طبعا لم أطبقه أيام الجامعة ؛ لكني لم أكن أتحرج من فعل جريمة الزنا هي زنى سواء عرفي بورقة وهمية ، كما تضحك بعضهن على أنفسهن بهذا العقد غير الموثق أو بدون ورقة .. كنت بالطبع متأثرا بدكاترة الجامعة العرب والأجانب المنحرفين والمنحلين .. فسرت على دربهم ، فالتقيت بوائل مرة أو مرتين، ثم تخرج وبعده بعامين لحقت به ، وكان ابن عمي زوجي الدكتور عصام يسبقني بسنة وعلى شاكلتي ، لم نكن نعرف الدين والإسلام .. كنت امرأة جميلة والكل يطاردني ويغازلني .. وأنا أختار المناسب لصحبتي وجنوني .. وأنا علمتني أمي السكر من الصغر .. للأسف تعلمت ذلك صغيرة ، وكانت أول تجاربي الجنسية في الجامعة ليست مع وائل زياد .

لم أحب السياسة قديما وحاضرا ، غايتي اللهو المتعة ، فلما انفصلت الدكتورة نبيلة مزم العاملة في الجامعة والمستشفى التعليمي عن حزب النهضة العربية أنشأت حزب عصبة النساء الذي شكلا أجرأ من حزب النهضة في مسائل المساواة والحرية للنسوان ، دعتني للانضمام لمعرفة سابقة ببينا وهي تعرف أفكاري الجريئة في رأيها فقلت أنا لا أهتم بالسياسة والحكم والبرلمان ، فردت المهم أن تكثري العدد ؛ فأنا أعرفك من أنصار حرية النساء ، وضد مؤسسة الزواج الفاشلة ، وكان ذلك في آخر فصل لي في الجامعة ، فزرتها واطلعتني على أهم أفكار حزبها والحرية التي يسعون لتحقيقها في البلاد .

وفور تخرجي ألزمني عمي حبيب عارف بالزواج من ابنه الدكتور عصام وتزوجته ، وأحببته حقا ، وكان على نفس نمطي بالنسبة للحرية التي ننادي بها .

ولما رأيت خياناته المتكررة عدت للماضي القريب ، وكنت عضوا في هيئة الحزب القيادية ، فالتقيت بوائل بصفته سكرتير المدام نبيلة ، فعادت بنا الذكريات لأيام الجامعة ، وتجددت لقاءاتنا الشيطانية ، ولما صدمت سيارة عصام بعد سنوات من الزواج وقد أنجبت له فيها ابنه جوهرا ، صبرت على مرضه ثلاث سنوات ، ثم اتفقنا على الطلاق ، فقويت علاقتي بالدكتور العميل ورحلنا إلى أوروبا حسب إيحاءاته وصرنا زوجين بدون عقد في جمعية مشابهة وداعمة لجمعيتنا ماديا ومعنويا ونشرت بعض صحف سويسرا الاحتفال بهذا الزواج ووصل الخبر بقصد إلى بعنبس، فقامت الدنيا علينا ، فها هي غايتهم تتكشف لمن يبصر ، إنهم يسعون لتدمير الأسرة العربية والإسلامية بشبه وادعاءات فارغة ، لا يدركها الشخص فورا وبدون مساعدة .. أصرت أمي بأن أوثق الزواج مع أنها قريبة من الإلحاد وذكرتني بأننا نعيش في مجتمع شرقي .. عاداتنا غير عادات أوروبا .. رفضت أمي هذا الشكل من الزواج ، واستاء إخوتي سالم وجهاد الذين لا أكلمهم أصلا تلك الأيام ؛ ربما تمر السنة ولا نرى بعضنا بعضا ، ولا نسمع أصوات بعضنا بعضا فهم كنا نطلق عليهم رجعيون متعصبون ، وأصرت أمي على توثيق العلاقة بيني وبين وائل وعمل عقد محكمة ، فعرضت الأمر عليه وتبين أن زوجته

ابنة اللواء خميس على ذمته ، ولم تكن مطلقة كما أوهمني قبل الرحيل لأوروبا ؛ كانت مهاجرة له من سنتين .. فخرج من حياتي ، وعاد لشقته حيث كان يعيش في شقتي ، وبعد أشهر قررت العودة لعصام بمساعدة أمي وعمي حبيب ، وتبت إلى الله ؛ كما تاب وتغير عصام ، وتغيرت بفضل الله ؛ فأنا منذ افترقنا عام ٢٠٠٧ لم أره ، انتهى من حياتي ، وها هي كانت نهاية للابد!

قال بعد صمت : أبوك نجيب عارف كان مناضلا فلسطينيا في رام الله ؛ حيث أتهم بقتل ضابط إسرائيلي مع شريكه أكرم ، وعاش في بيروت ، وهناك تعرف على أمك وتزوجا ، ثم هرب إلى قبرص ؛ واختفى ربع قرن حتى ظهر أنه حيا وكان في كوبا .. هل كان الرجل مهتما بنجيب عندما تعرفت عليه ؟

قالت : لا ، كان كلامنا عن الجنس والحب وأجمل النساء وأفضل الخمور وأجودها وأحسن الدخان واللباس والعطور وأفضل البلدان سياحيا.. أبي كان بالنسبة لنا وللناس أنه ميت ، وهو ميت بالنسبة للأسرة كلها إلا أمي كانت تظن أن اليهود خطفوه ، وبين الصليب الأحمر لعمي أنه لا يوجد شخص باسم نجيب عارف في سجون إسرائيل ، وتم تقسيم ميراثه علينا بعد سنوات حسب قانون المفقود ، وتزوجت أمي موظفا عمل معها اسمه بلص زكور .. لا نعرف عنه أي معلومة .. وما شعرت أو أدركت أن علاقته معي من أجل نجيب عارف .. هو خبيث خبيث .. كانت صحبته نساء ومجون وشراب وزنا وحفلات سكر وعرض أجساد لا يحس المرء أنه جاسوس وعميل .. كان يفرط في الشراب والسكر والتحلل ؛ ولكن لما كان يستيقظ من ذلك السكر ، يصبح رجلا آخر بمعنى الكلمة ، وليس بالذي كان شاربا وفاقدا للوعي يبول على نفسه .

قال المحقق : لم تحسي يوما ما وأنتم معا سواء كنتم صاحيين أو سكرانين أنه يسأل أو يتحدث عن نجيب أو السياسة أو موضوع خطير ودقيق يشعرك اليوم بأنه عميل .

قالت بفكر : لم أحس بذلك ، هو لم يكن بالذكي الذكي .. هو خبير بأمور النساء ، وما يحببن

أن يسمعن من الكلام المعسول والناعم ، لا أذكر أنه اهتم بالسياسة أو بأي أخبار معينة .

ـ عن أبيك.

قالت : أبدا أبدا .. أنا نفسي لا أعرف شيئا عن أبي ونضاله .. أسمع من أمي أنه عمل مع الثورة الفلسطينية مثل غيره من المتعاطفين معهم .. لا أعتقد أنه تعرف عليّ ؛ ليعرف هل أبي حيا أو مينا ؟ كان عندنا أنه مفقود والراجح موته كل هذه السنين .

غادرت المكتب والدائرة .

قال أحدهم : نتابع التحقيق العجيب ؛ ولعلنا نعرف ماذا فعل في البلد ؟ ماذا قدم للموساد ؟ سنتابع الحديث مع المقربين منه ؛ لعلنا نلتقط طرف خيط .. كل ما سمعناه وعلمناه يدل على أنه عميل من نوع آخر .. قصته المفاجئة لدخول غزة بعد حرب غزة .. دخوله هذه الكرة ضمن فريق بلجيكيا .. الجاسوس لا يفرط بالشراب خشية كشف نفسه وأسراره إلا اذا أراد تمثيل دور السكران الثمل ليخدع المتبوعين .. ولا يفرط بعلاقات مع النساء .. فهو شهواني وتيس غنم واضح بامتياز .



تحدث عارف خلويا مع شقيقه المحامي من شقته التي يعيش فيها وحيدا بعد طلاقه لميرا وعودته لشقته ، وقد بيعت فيلا أمه والتي ستتحول لعمارة ، اتصل بجهاد والذي طفق يعتمد عليه منذ هلاك أمه في أمور حياته ، رغم أنه الأخ الأكبر ، ما خاب من استشار ، والسيد سالم الأصغر منه بسنة في ترحال متكرر مرة هنا ومرة في السعودية .

لما فتح جهاد الخط قال عارف بعد السلام : عمي حبيب اتصل بي قبل قليل يقول إنه وجد لي عروسا يراها مناسبة ، هل ترافقني لنراها ونتعرف على أهلها فهم من أهالي تاج الزمان .

ـ متى الموعد؟

قال : عليّ أن أتصل بهم ، ونتفق على الوقت .

ـ رتب معهم ، وسأرافقك ، هل سيذهب غيرنا ؟

قال : وردة أم جوهر قبلت .. نحن الثلاثة.

ـ ماذا تعمل المرأة ؟

قال : ما تحدث عمي عن ذلك ، قال هناك رجل أعمال صديقه يتعامل معه ، عنده بنت يرغب بمصاهرتنا بها اذا أعجبتنا .

ـ على كل اتصل بهم ، ورتب للمقابلة ، وأنا سأستفهم من عمنا عن تلك الأسرة الكريمة.

أغلق الهاتف والتفت لأصدقاء المكتب ، وقال: شقيقي الأكبر أبو سلمى يرغب بمشاهدة امرأة ؛ لعلها تكون زوجته.

قال إبراهيم : موضوع شقيقي طال يا جهاد!

قال مبررا : موت الجاسوس أخر الأمر بسبب التحقيقات التي لحقت اللواء وابنته ووردة أختنا ؛ ولعلها تنتهي .. عاش أكثر من خمس عشرة سنة في بعنبس دون أن يكشف ، تكلم معي الدكتور وهو منزعج من تململهم ومن إتعاب أمه بابنه محمد .

علق مهران : هم مترددون بسبب الجاسوس الذي ظهر بين ظهرانيهم زوج ابنتهم فالأمر

صعب ومرعب .. لا تنسوا ذلك ، وهناك سبب آخر طلاقها الثاني والخوف من فشل ثالث .. يا إبراهيم في مجتمع كهذا يُعظم مشكلة الطلاق ، ويجعل سببها المرأة .. والزوج ضحية ومسكين غلبان .. لابد للمرء أن يغامر .

فقال جهاد : كان المفروض أن يحدث الزواج قبل شهور في تقديرنا نحن البشر .. مرض اللواء وأصبح على وشك الموت ، عمل عملية قلب فمن غير اللائق منا ومن البنت أن يتزوجا ، ولو كان الكتاب معقودا ؛ ربما حدث الزواج ، ولم يكن بيننا وبينهم يا إبراهيم إلا الكلام ..البنت كما تقول شقيقتي وردة تتمنى أن تجد الرجل الطيب الذي تحلم به ، وتستقر الحياة معه ، يبادلها الحب والرصانة ، وهي تحب الحياة الهادئة ، ويقول عمي حبيب : أثنوا على أبي محمد خيرا ، وقال عمي : سيتوفقان بإذن الله ، وهي استفادت من تجاربها القاسية السابقة.

قال إبراهيم : جزاهم الله خيرا .. سينبسط أخي من هذا الكلام .. هو فعلا يريد زوجة أما لمحمد وأما له ؛ كي يتفرغ للبحث في الأدب الإنجليزي والروايات الإنجليزية العالمية ، فهو مرجع فيها ، كأنه يحفظها عن ظهر قلب ، قبل فترة ظهر على فضائية العالم الثقافي عرف فيها الأدب الإنجليزي .

قال مهران : الأدب العربي مظلوم مع عشقه الأدب الأجنبي .

قال جهاد : القدر يا ولدي القدر ! سمعتم بالجريمة الأخيرة.

قال احمد : أي جريمة ؟

قال : الصحف نشرت أن رجلا نحر عائلة في عنبس .

ـ عائلة ! لم أقرأ اليوم الصحف ، كان رأسي في صداع شديد البأس .

قال مهران : مرت تحت عينيّ لم أركز عليها ، شدّني هنا حديث عن خبر سقوط طائرة بولندا التي حدثت في شهر نيسان ، ومات الرئيس وتسعون مرافقا.

قال احمد : ما الجديد ؟

قال مهران: لا جديد .. هناك تشكيك بولندي بصحة تقارير روسيا عن الحادث اسمع:

(يذكر قراء فجر الأمة حادث سقوط طائرة رئيس بولندا في نيسان الفائت ؛ حيث كانوا في طريقهم لإحياء ذكرى البولنديين الذين قتلوا في مجزرة كاتين في الحرب الكبرى الثانية بيد البوليس السري السوفيتي إبان حكم ستالين ، تحطمت الطائرة توبوليف تو التي تقل ٩٦ شخصا وسط ضباب كثيف عند اقترابها من مطار سمولينسك غربي روسيا يوم السبت ١٠ أبريل ٢٠١٠ مما أسفر عن مقتل جميع من كان على متنها.. وكان على متن الطائرة كل من ليخ كاتشينسكي الرئيس ، وزوجة الرئيس البولندي ماريا كاتشينسكا ، ورئيس أركان الجيش البولندي ، وعدد من كبار ضباط الجيش ، إضافة إلى رئيس البنك المركزي البولندي ، وأعضاء من البرلمان البولندي.

وتابع القراءة : وقال محققون روس إن طاقم قيادة الطائرة لم يصغ للتحذيرات بسوء الأحوال الجوية ؛ لأنه كان يخشى إثارة استياء الرئيس.وأضافوا أن وجود قائد السلاح الجوي البولندي في قمرة الطائرة دفع الطاقم للمجازفة بشكل غير مبرر.

وفي هذا السياق قال كاتشينسكي رئيس الوزراء البولندي الأسبق وتوأم الرئيس الذي قضى في الحادث إن لديه شكوكا بأن تكون الجثة التي دفنت في الكاتدرائية البولندية لشقيقه : "حين رأيت الجثة التي نقلت إلى بولندا في تابوت ، شعرت أن ذلك الرجل لا يشبه شقيقي) .

وعقب مهران بعد انتهاء المقال : فهم يرون أن الروس فجروا الطائرة عمدا ، وألحقوهم بضحايا كاتين ، وكتبت الجريدة قصة ومجزرة كاتين.

فقال احمد : هات ها الجريدة أتعرف حكاية كاتين .. أنا أول مرة أسمع عنها!

قال : فظائع الروس وإجرامهم لا تعد ولا تحصى .. كم سحقوا من مسلمين القوقاز والشيشان ؟!.. تثقف يا دكتور عن عنف ستالين سيد وزعيم الشيوعيين العرب .

تناول احمد الجريدة من زميله مهران ليقرأ ما كتبت الصحيفة عن مجزرة كاتين المرعبة قبل سبعين سنة .

****

مجزرة كاتين

وقعت مجزرة كاتين ـ مدينة في روسيا ـ عام ١٩٤٠ قتل فيها الآلاف من البولنديين من بينهم ضباط وفنانون وسياسيون على أيدي أفراد الشرطة السرية السوفياتية ، بناء على أوامر من الزعيم السوفياتي جوزيف ستالين ، وبعد أشهر فقط من تقسيم بولندا بين ألمانيا النازية هتلر وستالين الاتحاد السوفيتي .

وقامت الشرطة السوفياتية السرية يومئذ بإعدام نحو ٢٢ ألف بولندي، منهم ثمانية آلاف ضابط ، كانوا أسرى حرب أثناء الغزو السوفياتي لبولندا عام ١٩٣٩، وستة آلاف ضابط شرطة ، والباقي من النخبة السياسية والثقافية، وتمَّ إعدامهم بإطلاق النار على رؤوسهم وإلقاء جثثهم في مقابر جماعية.

ورغم أن عمليات القتل وقعت في عدة مواقع ، فإن غابة كاتين الواقعة غربي روسيا أصبحت هي الرمز الرئيسي للمجزرة التي ظل الروس يحمّلون النازيين المسؤولية عنها حتى عام ١٩٩٠، عندما اعترف الزعيم السوفياتي السابق ميخائيل غورباتشوف بمسؤولية بلاده عنها.

اعتراف روسيا لم يشفع بفتح أرشيفها وتقديم الوثائق لبولندا ، وظل بعض الروس يحاولون الترويج لرواية مسؤولية الألمان عن المذبحة إلى غاية نيسان ٢٠١٠، حين نشرت موسكو ـ بأمر من الرئيس الروسي دميتري ميدفيديف ـ وثائق سوفياتية تخص المجزرة على موقع محفوظات الدولة. وكانت تلك الوثائق محفوظة لعقود في أرشيف الحزب الشيوعي، وذلك بهدف تعزيز التقارب وتحسين العلاقات بين روسيا وبولندا.

وجاء قرار دميتري بعد موافقة مجلس النواب الروسي (الدوما) على إعلان يقرُّ بمسؤولية الزعيم السوفياتي السابق جوزيف ستالين عن المجزرة خلال الحرب العالمية الثانية.

وكانت السرية رفعت عن تلك الوثائق أيلول ١٩٩٢ بأمر من الرئيس بوريس يلتسين، وتم كشفها لبولندا ، وحصر الاطلاع عليها على الباحثين المتخصصين فقط.

شاركت روسيا ـ لأول مرة ـ في إحياء ذكرى المجزرة في غابة كاتين بحضور رئيس الوزراء

الروسي فلاديمير بوتين ونظيره البولندي دونالد تاسك في نيسان ٢٠١٠، ولم تقدم اعتذارا رسميا للبولنديين.ودعا بوتين يومها البولنديين ؛ ألا ينحوا باللائمة على الشعب الروسي في هذه المجزرة التي ارتكبها جهاز الشرطة السرية لستالين ، وأن ينظروا إلى المستقبل لا إلى الماضي فحسب . تعد مجزرة كاتين ، أو كما تعرف باسم مجزرة في غابة كاتين عملية إعدام جماعي لآلاف البولنديين نفذتها المفوضية الشعبية للشؤون الداخلية البوليس السري ، وذلك على مدار شهري أبريل ومايو عام١٩٤٠.

وقد دفع إلى هذه المجزرة الوحشية اقتراح لافرينتي بيريا (اعدم رميا بالرصاص عام ١٩٥٣) رئيس المؤسسة آنذاك ؛ بأن يتم إعدام الأعضاء المقيدين بجهاز الضباط البولنديين جميعهم ، وذلك في ٥ مارس ١٩٤٠، قوبلت تلك الوثيقة الرسمية بالموافقة ؛ حيث وقع عليها المكتب السوفيتي بقيادة جوزيف ستالين ، تم تنفيذ المجزرة في ثلاثة أماكن مختلفة في روسيا ، غابة كاتين، وسجنيّ تفير وخاركيف ، ويقدر عدد الضحايا بحوالي ٢٢٠٠٠ ضحية.

وكان من بين الذين تم إعدامهم ٨٠٠٠ ضابط ، تم أخذهم كأسرى حرب أثناء الغزو السوفيتي لبولندا عام ١٩٣٩، إضافة إلى ٦٠٠٠ ضابط شرطي ، أما عن البقية فهم يمثلون طبقة النخبة المثقفة ببولندا ، وقد زُعم أنهم: "عملاء للمخابرات ، وحرس ، وملاك أراضٍ، ومخربون، وملاك مصانع، وقضاة ، ومسؤولون، وكهنة.

شملت تلك المجزرة مختلف الأطياف والأشخاص، فكان من بينهم: أدميرال، وجنرالان، و٢٤ عقيدًا، و٧٩ مقدمًا، و٢٥٨ رائدًا، و١٧ ربانًا، و٣٤٢٠ ضابط صف، وسبعة قسيسين ، وثلاثة ملاك أراض، وأميرا، و٤٣ مسئولاً، و٨٥ عسكريًا، و١٣١ لاجئًا ، و٢٠ أستاذًا بالجامعة، و٣٠٠ طبيب ، وعدة مئات محامين، ومهندسين، وأساتذة؛ وما يفوق ١٠٠ كاتب وصحفي، إضافة إلى ٢٠٠ طيار ؛ ليس كل من تم إعدامه من البولنديين يمثلون أحزابًا عرقية ، بل هناك دولة متعددة الأعراق تمثلت في جمهورية بولندا الثانية ، وما بها من فرق تدريب الضباط التي ضمت جنسيات مختلفة مثل البيلاروسيين، والأوكرانيين، واليهود.

٣٩٥ سجينًا نجوا من تلك المذبحة ، ومن بينهم ستانيسواف سفانيافيتش وهو مؤرخ بولندي ويوزيف تشابسكي جندي بالجيش البولندي، تم نقلهم إلى معسكر يوخنوف، ثم إلى مدينة غريازوفيتس. تلك الغابة التي تقع على مقربة من قرى كاتين التي تبعد عن مدينة سمولينسك بروسيا من جهة الغرب بحوالي ١٩كم ، ومن المعروف أن المجزرة المشار إليها هي الأضخم ضمن العديد من عمليات إعدام أسرى الحرب العشوائية.

أما عن العمليات الأخرى فقد نفذتها المؤسسة السرية داخل المعسكرات التي تقع في المدن النائية جغرافيًا مثل: أوستاشكوف ، وأيضًا بمقرات مفوضية الشؤون الداخلية في مدينة سمولينسك، إلى جانب السجون المتمركزة في مدن تفير، وخاركيف، وموسكو، وعدد آخر من مدن الاتحاد السوفيتي ، هناك العديد من المجازر الأخرى التي شهدتها مواقع مختلفة بمدينتي بيلاروسيا، وأوكرانيا الغربية طبقًا للقوائم الخاصة التي تحمل أسماء السجناء البولنديين . وفي عام ١٩٤٣ أفصحت الحكومة النازية عن اكتشاف مقابر جماعية بغابة كاتين فبمجرد أن علمت الحكومة البولندية الجديدة ، ومقرها لندن، طالبت اللجنة الدولية للصليب الأحمر بعمل استجواب عن الحادث ، فقام ستالين على الفور بقطع العلاقات الدبلوماسية ما بين الحكومة الجديدة والاتحاد السوفيتي الذي حاول توجيه تهمة الإبادة تلك نحو الحزب النازي.

ظل الاتحاد السوفيتي في حالة إنكار حتى عام ١٩٩٠ حيث كان الاعتراف الرسمي بالتهمة وتوجيه أصابع الاتهام إلى المؤسسة السرية لارتكابها المجازر، وكذلك الحكومة السوفيتية لتسترها المتوالي على القضية. وقد جاء، طبقًا للتحقيق الذي أجراه كل من مقر المدعي العام للاتحاد السوفيتي (١٩٩٠-١٩٩١) والاتحاد الروسي(١٩٩١-٢٠٠٤)، تأكيد تحمل الاتحاد السوفيتي المسؤولية الكاملة عن المجازر التي تمت، حيث تمكنوا من إثبات مقتل عدد ١٨٠٣ من المواطنين البولنديين؛ ولكنهم لم يلحقوا ذلك الحدث ضمن دائرة جرائم الحرب أو حتى اعتباره إبادة جماعية.

لقد تم غلق التحقيق في القضية على أساس أن مرتكبي المجزرة كانوا قد توفوا بالفعل. أقر مجلس الدوما في الاتحاد السوفييتي في بيان له صدر عام ٢٠١٠ في تشرين الثاني اعتبار ستالين مسؤولًا عن تدبير تلك المجزرة ، ومعه أيضًا عدد من المسؤولين في الاتحاد.

أدلى دميتري توكاريف- الرئيس السابق لمجلس حي المفوضية الشعبية للشؤون الداخلية بمستوطنة كالينين- بشهادته حول أحداث عمليات الإعدام بسجن المدينة موضحًا أن إطلاق النيران بدأ مساءً وانتهى مع بزوغ الفجر.

تمت أول عملية نقل للضحايا في الرابع من نيسان ١٩٤٠، حيث تم نقل ٣٩٠ قتيلاً، ووجدت صعوبة في قتل عدد ضخم في ليلة واحدة فقط. حملت العمليات التالية ما لا يزيد عن ٢٥٠ قتيلاً ، كانت تتم عمليات الإعدام عن طريق استخدام طبنجات ألمانية الصنع عيار٧.٦٥١٧×mm مستوردة من موسكو، كذلك تم استخدام مسدسات M١٨٩٥ عيار ٧.٦٢×٣٨ mmR. اتجه الجلادون نحو استخدام أسلحة ألمانية عوضًا عن الأسلحة السوفيتية النموذجية لما تؤدي إليه من ارتداد بالغ سبب ألمًا شديدًا للمنفذين خاصة بعد تنفيذ عشرات العمليات الأولية. فازيلي ميخايلوفيتش بلوخين الجلاد الرئيسي ومن ينفذ الإعدام بالمفوضية الشعبية للشؤون الداخلية عرفه التاريخ بالجلاد الأكثر نشاطًا ؛ قام وحده بقتل ٧٠٠٠ مدانٍ ينتمون لمعسكر أوستاشكوف.

لم تكن عمليات القتل عشوائية، بل كانت ممنهجة تمر بعدة خطوات؛ كانت تتم مراجعة بيانات كل منهم أولاً، ثم يقاد مكبلاً إلى زنزانة معزولة بأكوام من الأكياس الممتلئة بالرمال على امتداد الجدران ، كانت تستخدم لإخماد صوت إطلاق النيران، ومحكمة بباب ضخم مبطّنا باللبد ، يتلقى بعد ذلك السجين أوامر بالركوع على ركبتيه، ويتم إطلاق النيران على الرأس من الخلف . الخطوة التالية هي نقل الجثة إلى إحدى الشاحنات بالخارج عبر الباب المعاكس ، عندئذ يدخل السجين الذي يليه وهكذا دواليك ، إضافةً إلى السبل السابقة المستخدمة داخل الزنزانة، كان يتم تشغيل بعض الآلات، ربما مراوح، لإحداث نوع من الضجيج يطغى على

صوت الأعيرة النارية في جوف الليل ، كان ذلك بمثابة النهج التقليدي كل ليلة باستثناء يوم عيد العمال. كان يتم دفن كل من سجناء أوكرانيا بقرية بيكيفنيا، وسجناء بيلاروسيا بكوراباتي ، وهي منطقة مشجرة تقع على ضواحي البلدة ، وقد تراوحت أعدادهم ما بين ٣٠٠٠-٤٠٠٠ قتيل.

كان التساؤل آنذاك يدور حول إلام سيؤول إليه مصير السجناء البولنديين عقب عملية غزو الاتحاد السوفيتي (البارباروسا) التي تمت في حزيران ١٩٤١. وقع كل من الحكومة البولندية الجديدة والحكومة السوفيتية على اتفاقية شملت كلا الطرفين ومثلها رئيس الوزراء البولندي سيكورسكي ومايسكي سفير الاتحاد السوفيتي؛ لذلك عرفت باسم اتفاقية سيكورسكي-مايسكي، ونصت الاتفاقية على عزم الطرفين على مقاومة ألمانيا النازية جنبًا إلى جنب ، والعمل على تكوين جيشًا بولنديًا ضمن مقاطعة الاتحاد السوفيتي. تولى الفريق البولندي أنديرس تكوين الجيش والإشراف عليه، كما بدأ خطوات البحث عن المفقودين من الضباط بصورة عاجلة ، وأثناء مقابلة شخصية، طمأنه ستالين، وكذلك سيكورسكي، بأن جميع البولندينن قد تم إطلاق سراحهم ؛ لكن المشكلة تكمن في عدم القدرة على تقديم بيانا بأعدادهم ؛ حيث فقد الاتحاد السوفيتي آثارهم بأراضي منشوريا.

انتشر خبر المقابر الضخمة التي وجدت بكوزلسك على مقربة من غابة كاتين بين السكان وتسرب الخبر أيضًا إلى عمال السكة الحديد المأجورين، وكان ذلك عام ١٩٤٢ وقتما وقعت الأراضي المحيطة بمدينة سمولينسك تحت قبضة الألمان، كما اكتشفوا إحدى هذه المقابر والإبلاغ عنها لدى الدولة البولندية السرية.

أذاع راديو برلين أخبارا عن كشف القوات العسكرية الألمانية عن خندق بغابة كاتين بالقرب من مدينة سمولينسك يمتد إلى ٢٨م تحت الأرض بعرض ١٦م ؛ حيث تم إلقاء حوالي ٣٠٠٠ جثة في صورة تراكمية على امتداد ١٢ طبقة.

لم تتوقف الإذاعة عند بث تلك الأخبار الدقيقة فحسب ، بل وجهت أصابع الاتهام نحو

الاتحاد السوفيتي لارتكاب الجريمة في ١٩٤٠. بدأ الألمان بالعمل على إثبات التهمة على المتورطين، فقاموا بإعداد جمعية الصليب والهلال الأحمر الأوروبية كخطوة أولية ولقبت باللجنة الدولية للصليب الأحمر ؛ حيث تكونت من ١٢ خبيرًا بالطب الشرعي من مختلف الأنحاء؛ مملكة بلجيكا، وجمهورية بلغاريا، ومملكة الدانمارك، وجمهورية فنلندا، والجمهورية الفرنسية، والجمهورية الإيطالية، وجمهورية كرواتيا، وهولندا، ورومانيا، والسويد ، وجمهورية سلوفاكيا، والجمهورية المجرية.

قام جويتل بالهروب خارج البلاد فور انتهاء الحرب بجواز سفر مزيف؛ وذلك لوجود أمر بالإيقاف صادر ضده ؛ أجبر اثنان من طاقم العمل باللجنة الدولية للصليب الأحمر، ماركو ماركوف من بلغاريا وفرانتيسك هايك من الجمهورية التشيكية، على سحب أدلتهم التي جاءت ضد مصلحة الاتحاد السوفيتي، وخاصةً بعدما أصبحت كل من جمهورية بلغاريا والجمهورية التشيكية دولتين تابعتين للاتحاد السوفيتي، وبالتبعية تأييد الاتحاد والإلقاء باللوم على الألمان. نفذ الشيوعيون حكم الإعدام على لويس جوراك أخصائي علم الأمراض وعضو بفريق التحقيق الكرواتي عقب الحرب، بينما نجح إدوارد ميلوسلافيك زميله بالعمل في الهروب إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

كانت مجزرة كاتين بمثابة ورقة رابحة بالنسبة لألمانيا النازية استخدمتها للإضعاف من موقف الاتحاد السوفيتي والتشكيك في مصداقيته. وفي ١٤ نيسان دون غوبلز في مذكراته: إننا حاليا نستغل نبأ مقتل ١٢٠٠٠ضابط بولندي على يد جهاز مخابرات جمهورية روسيا السوفيتية الاتحادية الاشتراكية بحملة دعاية لمكافحة البلشفية على أكبر نطاق ممكن. لقد قمنا بإرسال صحفيين ومثقفين يتسمون بالحيادية إلى موقع الأحداث، حيث وردتنا تقارير مروعة، كما أتيح لنا إرسال بعض الأخبار الجذرية للصحافة الألمانية، وبناءً عليه قمت بإصدار بعض التوجيهات للاستفادة من مادة الدعاية بقدر المستطاع ، فهي السبيل الوحيد لنا لبضعة أسابيع قادمة. وبالفعل أبدت الدعاية الألمانية تقدمًا ملحوظًا في هذا الإطار ونقل كيف أن المذهب

الشيوعي يشكل خطرًا جامحًا على الحضارة الغربية. لم تفتأ الحكومة السوفيتية أن واجهت تلك التهم حتى أنكرتها جميعًا، كما ادعت تورط السجناء بأعمال بناء غرب مدينة سمولينسك الأمر الذي دفع العناصر الألمانية الغازية إلى أسرهم وإعدامهم بأغسطس، أيلول ١٩٤١.

وجاء رد الحكومة مفصلاً في ١٥ نيسان على ما بثته الإذاعة الألمانية في ١٣ نيسان من تهم موجهة ضدها، ساعدت على إعداده إحدى وكالات الأنباء السوفيتية: "إن من شارك من أسرى الحرب البولنديين في أعمال البناء غرب سمولينسك في ١٩٤١ سقطوا ضحايا الجلادين المنتمين للحزب الفاشي بألمانيا". وفي نيسان ١٩٤٣ عزمت الحكومة البولندية الجديدة على فتح ملفات القضية أمام الاتحاد السوفيتي، إضافة إلى حث اللجنة الدولية للصليب الأحمر على الشروع في إجراء تحقيق.

وجاء رد ستالين في ظل تلك الإجراءات باتهام الحكومة البولندية بالتواطأ مع حكومة ألمانيا النازية ، ولم يكتف بذلك بل قام بقطع كل العلاقات الدبلوماسية مع بولندا، وعمل على إنشاء حملة توعي الحلفاء الغربيين بوجود حكومة بولندية بديلة موالية للاتحاد السوفيتي بموسكو ترأسها فاندا فاشيليفسكا.

في أيلول ١٩٤٣ حينما علم غوبلز بأمر ضرورة انسحاب الجيش الألماني من منطقة كاتين قام بتدوين تنبؤاته حول هذا الأمر في مذكراته ، وفي مقدمة مذكراته ليوم ٢٩ من شهر أيلول كتب غوبلز: " التنازل عن كاتين كان أمرًا لا فرار منه، فحالما يكتشف الشيوعيون أننا قمنا بقتل ١٢٠٠٠ بولندي، وهو ما سيتم بلا أدنى شك، ستعترض طريقنا بعض العقبات في المستقبل، وبالتأكيد سيستغل الاتحاد السوفيتي ذلك الأمر للبحث عن أكبر عدد ممكن من المقابر الجماعية لكشفنا". قامت السلطات السوفيتية بإجراء مقابلات مع الشهود وتهديدهم بالاعتقال بتهمة دعمهم للألمان إذا ما جاءت شهاداتهم مغايرة لخط الأحداث المقرر بها.

لم يتم العثور على أية وثائق خاصة بضحايا يعود تاريخها إلى ما بعد أبريل ١٩٤٠؛ لذا قام الشرطة السوفيتية السرية بوضع بعض الأدلة الكاذبة على أن المجزرة تمت بصيف ١٩٤١ حينما

كانت المنطقة كلها تحت سيطرة الألمان. أصدرت مؤسسة **NKVD** تقريرًا تمهيديًا عن الحدث بتاريخ ١٠ـ ١١ كانون الثاني ١٩٤٤، عمل عليه كل من فسيفولود ماركولوف وسيرجي كروجلوف توصلا فيه إلى تورط الألمان بقتل الضباط البولنديين.

ترك احمد الصحيفة على مكتبه وتنهد عميقا وقال : عجيب أمر المجرمين ! يقتلون الناس ، ثم يزعمون أنهم أبرياء! يزيفون التاريخ .. وهذه إسرائيل ابنة الشيوعية والنازية يحرقون غزة بشرا وحجرا ، وأمام الغرب يجعلون من أنفسهم الضحية يا إخوان ! أول مرة أسمع بهذه المجزرة التي تقشعر لها الأبدان !



العروس

لما انتهى شباب المكتب من حوارهم ، اتصل جهاد من الخلوي الخاص به بعمه حبيب ، وعندما اطمئن على حاله قال : قبل قليل اتصل عارف يتكلم عن بنت تاج الزمان ورغبته بمرافقتي إليهم .

قال حبيب مفسرا : بينت له أنه تاجر معرفة وصديق ، يأخذ من مزارعنا الثمار والزيتون وزيته والعسل وأشياء أخرى ، فسألته من فترة عن بنت لابن أخي ؛ كما سألت غيره ، فقال أبو جميل كنيته : أنا عندي بنت ، وأنتم ناس طيبون ، ولنا سنوات نعمل معكم ، فلا نحتاج للسؤال عنكم .. وأنت عز النسب يا أبا عصام ! فقلت وأنتم عز النسب ، وقلت ابن أخي طبيب استقال لما طلق زوجته البيروتية التي خانته في عرضها .. فطلقها وأخذت حقها الشرعي ، ورحلت إلى وطنها، وتركت له بنتا صغيرة تحتاج لرعاية وحنان ، فقال : ابنتي معلمة مدرسة في مدرسة ثانوية خطبها ابن أخي ، وبعد شهر طلقها ، ولم يدخل بها ، فتقدم ابن أخ لي ثاني ؛ ولكنها رفضت الزواج من أقاربنا ، وعمرها خمس وعشرون سنة ، فقلت له: عز الطلب والقرب يا أبا جميل ! سأرسل لك ابن أخي يتعرف على البنت وعليكم والقدر يفصل بالأمر .. ونسيت الأمر ، وأمس ذكرني بابنته ، فاتصلت اليوم بعارف وأعطيته الرقم الخاص بأبي جميل ، ويبدو أنه لما اتصل بك اتصل ليخبرني فقلت خذ موعدا ، وأخبرني أن وردة الغالية سترافقه أيضا ، وأتمنى لكم التوفيق وقد أخبرتني أن الأمن و المخابرات أنهى التحقيق معها في الخائن الجاسوس.

قال : قالت :عندهم معلومات عنها أكثر مما تعرف هي عن نفسها ، سألوها عن بدء تعرفها عليه.. يعرفون تفاصيل كثيرة بسبب هذه القصة ، وركزوا على أبي نجيب هل سألها عنه عن موته وعن اختفائه ، وقصتها معه أثناء عملها مع حزب المطلقات والإباحية .

قال: الحمد لله الذي أنقذها هي وعصام من الظلمات إلى النور .. اليوم وردة أم لثلاثة أطفال .. أحلى شيء في الدنيا الأطفال ! هل وضعت امرأتك ؟

ـ قريبا إن شاء الله.

قال : اليوم وردة غالية علينا .. سيدة محترمة يفتخر بها أمام الخلق .

قال : بجهدك يا عم ! سنذهب بعون الله تعالى لتاج الزمان.. هل تراهم مناسبين يا عم لعارف ولنا ؟

ـ علاقتي بأبي جميل من سبع سنوات ، ومعاملاتنا التجارية على ما يرام.. لم يتأخر في سداد مشترياته .. وهو رجل ميسور عنده ثلاث بنات وخمسة ذكور.

ـ ما شاء الله!

قال: نعم ، ما شاء الله ! كل البنات متعلمات ، اثنتان متزوجات ، اثنتان معلمات والثالثة تعمل في الإدارة ، وأولاده جميل ضابط جيش ، درس كلية عسكرية والباقي ؛ كأنهم أصغر من البنات في الجامعات يتعلمون ، وله متجر بقالة كبير في تاج الزمان ، ويبيع الخضار والفواكه أيضا ، ووالداه أحياء يسكنون معه في البيت .

ـ يعني نشجع عارفا على مصاهرتهم .

قال : هو يرى البنت ، وينظر إليها ، ويتكلم معها ، ثم يقرر .. والبنت ليست كبيرة ؛ وليست صغيرة لسنه يا أبا عبد الله!

قال محللا : المشكلة عارف نفسه ، لم يتخلص من عقدة ميرا وخيانتها .. طعام شراب ملابس نزهات زيارة سنوية لبيروت وفي الآخر تخونه .. لماذا الخيانة ؟ لم يقصر معها .. وهي أم وتخون .. فهو ينظر للنساء بريبة وخائف .

قال حبيب : عارف طبيب كان مطيعا لأمه طاعة عمياء ، ولو في الضلالة .. طاعة غريبة .. يرى القبيح ويغض النظر .. ولا يفضح ربك أحدا من أول هفوة يا أبا عبدالله .. من ستر مسلما ستره الله .. فهل يفضح ربك من أول غلطة ؟! وما دام قد صلح والتزم .. سيتغير للأفضل .

ـ إن شاء الله !

فتح أبو جميل باب الدار للضيوف الكرام ، ومعه ابن له ، ودخل الضيوف يصافحون الرجل وابنه ، وعرّف عارف بنفسه وجهاد ووردة .

وقال أبو جميل وهم يجلسون على كنبات الصالون: أيها المحامي التقينا من قبل!

قال جهاد : أجل في مكتب العم حبيب .. ذاكرتك ما شاء الله ! عملت لكم عقدا قانونيا من سنوات .

وعرفوا وبينوا أعمالهم في الحياة الدنيا ، ثم أقبلت أم جميل وابنتها العروس ، واسمها شهدة ، وصافحن الدكتورة وردة وجلسن .

فقال أبو جميل مشيرا لعارف : هذا هو الدكتور عارف نجيب الطبيب .. وهذا شقيقه المحامي جهاد .. وهذه الدكتورة الفاضلة وردة نجيب .. أهلا وسهلا بكم جميعا .

قالت أم جميل: أهلا وسهلا بكم جميعا ، وشرفتم بيتنا .. هذه الدكتورة ملئت صورها الصحف قبل سنوات ، فمن يراها لا تخطئ عينه بأنها هي.

ضحكت وردة ضحكة مختطفة وقالت : الحمد لله ! كانت صوري أيام الجاهلية صورة غلاف لأصحاب الصحف والمجلات.

قال أبو جميل: اليوم الدكتورة سيدة فاضلة! أنا عمك أبو عصام صديقي .. وهو مهندس زراعي نشيط رغم سنه .. فاضل وصاحب عقل وحكمة .. وهو الذي جمعنا هذا المساء المبارك.

حضرت القهوة وأخذتها شهدة ، وبدأت بأبيها ، ثم بعارف وهي تقول : أهلا تفضل يا دكتور ! تفضل يا سيد جهاد ! تفضلي يا دكتورة ! يا أمي يا أخي !

تفعل الخطيبة ذلك ؛ ليسمع الطالبون صوتها ؛ كما يرون وجهها وكفيها ، وكل من يأخذ فنجانه، يقول : شكرا ! أو يهزّ رأسه بشكرا أو بعينيه شكرا.

رفع عارف صوته : شكرا لك ولكم.

قالت أم جميل: هذه يا دكتور عروسنا .. وهذا يا شهدة العريس .. وهو يبدو محترما وطيبا يا

أبا جميل!

قال : أنا وعمك أصدقاء من سنوات ؛ ربما سبع .

قال جهاد : صدقت ! وعمنا أثنى عليك وعلى أسرتك ..والدكتورة ترغب بالجلوس مع ابنتكم الكريمة على انفراد ؛ لتعرفها على طباع الدكتور يا أبا جميل اذا كان ذلك ممكنا.

ردت أم جميل : ممكن طبعا ..الدكتورة وردة وردة وسيدة كريمة .. مثال حي للنساء الفاضلات.

نهضت شهدة تتبعها وردة إلى غرفة خاصة ، فقال أبو جميل: أهلا وسهلا والبنت ابنتكم .. وأنا قلت لصديقي أبي عصام البنت ابنتك .

قال جهاد : عارف أخي الأكبر طلق زوجته اللبنانية في شهر شباط من شهور بسبب خيانتها لشرفها .. وترك الشراب ، ورغم ما كان فيه ، لم يزن بامرأة .. كان صاحب شراب للأسف ؛ ولكنه ترك ذلك بفضل الله.. وصار يصلي ، وتاب منذ فكر بالزواج ؛ لأن العم أصر على ذلك وله بنت صغيرة تعيش مع أختنا وردة ، والتزم دينيا بعد طلاق زوجته ، يعني متدين حديثا ، فيحتاج لدعم وتشجيع للثبات يا أبا جميل ويا أخ نصير .. اذا صار نصيب على البنت أن تعلم أنها لم تتزوج شيخ الإسلام .. تتحمل وتصبر .. فالتغير الكامل يحتاج لوقت .. عليها أن تتحمل أخطاء الرجل .. هو اليوم بلا عمل ، ترك العمل مع الحكومة من مطلع العام وتشارك مع أختنا الصغيرة وزوجها بإقامة مستشفى خاص بهم ، وهو قيد الإنشاء والبناء .

****

جلستا متقابلتين عيونها في بعضهما ، فقالت وردة : أنت مثقفة ومعلمة كما أخبرنا يا شهدة العزيزة .

هزت رأسها بالإيجاب ، فتابعت وردة الحديث : عارف نجيب أصغر سنا مني.. هو رجل مسالم ، كان يخضع لأمي خضوعا كاملا في الصغيرة والكبيرة .. افعل يفعل ، لا تفعل لا يفعل وكان الوحيد من إخواني يعيش في مسكنها ، وتصرف عليه وعلى زوجته طعاما سكرا لباسا ،

ترك شقته التي أجرها ؛ ليحيا معها .. فهذا له تأثير كبير في اتخاذ القرار والسلوك.. أمي ماتت آخر العام الماضي ، وبعد موتها بشهر اكتشف أن زوجته أم ابنته تخونه ، فتصرف تصرفا حكيما بطلاقها ، لم يقتلها كما يفعل بعض الناس عند الغضب ، وتخلت عن سلمى ، ورحلت لوطنها الأول وابنته تعيش معي في رعاية مربية خاصة .. أنت اذا قدر الله وحصل الزواج ستكونين لها أما .. وأخي دينيا التزم بطلب من عمي ، فهو يصلي من عهد قريب من شهور معدودة .. هذا صارحتك به حتى لا تظني أن أخي عريق في التدين ولكن ما دام قد مسك بطرف الخيط سيواصل بمشيئة الله .. أقول ذلك حتى لو حصل نزاع بينكم .. وهذا يحصل بين كل زوجين ولا يخلو منه زواج.. عليك بالصبر والتحمل .. ولا تقولي أنتم خدعتموني .. ضحكتم عليّ ، فتحلون مشاكلكم بالتفاهم والصبر والتحمل .. والعلاج بعد الهدوء بينكم ، وهو غالبا هادئ الطباع ؛ لكن لا يخلو الإنسان من نرفزة وتوتر .. قد يكون سببه من خارج البيت من العمل من الناس .. وأنت بما أنك مدرسة تعرفين كيف يتم التعامل مع الطلبة أو الطالبات وما بينهن من فروق وبيئات؟ وسيسير المركب وتصلوا إلى الشاطئ بسلام وحياة سعيدة .. بيت الزوجية يحتاج إلى إدارة مرنة غير متشددة.

قالت : أنت من رأيك أن أوافق !

ردت : هذا القرار يرجع إليك يا حبيبتي ! الاختيار هو لك وحدك .. ونحن الأخوة على الاستعداد بتقديم أي مساعدة ومشورة .. وعارف يستسلم لقول جهاد .. وهو الآن بلا شغل فقد ترك وظيفة الحكومة بعد وفاة أمنا ، وتشارك مع أختي الصغيرة وزوجها في إنشاء مستشفى خاص بهم بحكم أنهم أطباء.

ـ والخمر !

قالت : الخمر منذ طلب من عمي ووالد زوجي أن يبحث له عن زوجة هجرها لا شراب ، ولا نساء ، ونحن نعرف أنه لم يعاشر امرأة غير امرأته .. الزنا ابتعد عنه بإيحاء نفسي ؛ ليس تدينا .. في البداية يحتاج لاهتمام زيادة بسبب قصة خيانة زوجته التي ما قصر معها في شيء ؛ بل

رافق في الشهور الماضية ، وما زال رجال جماعة الدعوة ، ففي مسجد حيه طائفة منهم حتى أنهم عرضوا تزويجه من بناتهم ؛ لكن عمي رفض ذلك ، وهو بعد وفاة أمنا بدأ يعود للأسرة ، ويزورنا ويكشف لنا أموره ، ويسمع رأينا .. أنا للأسف كان والدي ملحدا شيوعا مناضلا فلسطينيا ، لما اختفى كنت بنت عشر سنوات ، واعتقدنا أنه مات ، وتقاسمنا ما تركه ، ثم قبل سنتين تبين لنا أنه لم يمت تلك الأعوام ، عاش في كوبا متخفيا من الموساد الإسرائيلي في قصة طويلة اذا تزوجتها سأقولها لك ، وذلك قبل أن يتزوج أمي ونولد .. فعارف كان خاضعا لأمي خضوعا تاما .. هل عندك أي سؤال؟

ـ ما قصرت حقيقة .. خلاصة الكلام أن أصبر .. هو عصبي.

قالت بابتسامة : لا ، هو من أهدأ الرجال وأكثرهم صمتا ، ولو كان عصبيا ما خضع لإرادة أمه حتى استسلم لإلحادها وتقاليدها .. فأمي رغم كفرها ما زنت ولا فحشت .. كانت تسكر من أيام دراستها بتركيا قبل الزواج من أبي.. قصتها ستعرفينها مع الأيام .

ـ شكرا لك ولنبلك ونصحك!

قالت : استخيري ربك.

****

اتصل اللواء خميس بجهاد عراب زواج ابنته من صهره قائلا : هل ما زال نسيبك راغب بمصاهرتنا يا أبا عبد الله ؟

قال : الرجل صبر صبر الجمال يا أبا سليم! لماذا البنت مترددة لهذا الحد؟!

قال : سبب التأخير بداية مرضي كما تعلم ، ثم انشغالنا بالجاسوس الخبيث الذي تعلم اسمه .

قال : هو خائن بالنسبة لنا ، وبالنسبة لبلدته بطل ومخلص .

ضحك خميس وقال : دخلنا في الفلسفة .. هل الدكتور جاهز؟

قال : هو ينتظر صفارة الحكم على أحر من الجمر .. والنجاح والفشل بيد الله يا أبا سليم ! الإنسان يمتلك أشياء كثيرة في حياته بأموال قليلة أو كثيرة بعد حين تخرب وتفسد ؛ وكذلك

الزواج وعلاقات الناس .. هذا رأيي !

ـ خلاص ، فلتتفضلوا ، وأهم شيء الوالد والأم ؛ لنتفق .. طال الانتظار .

قال : على بركة الله ، سأتصل به ؛ ليتصل بك ، وترتبون وقت اللقاء لحسم الأمور .. ذهبت قبل يومين لتاج الزمان لرؤية عروس لشقيقي الأكبر عارف .

ـ ممن ؟

قال : ابنة أحد التجار الذي يتعامل مع العم حبيب .

قال : الحاج حبيب بركة! اتفقتم .

قال : مشيت أنا والعريس وأختنا الكبيرة وردة ، تعرفنا على أبي جميل وزوجته وابنته .. هي مدرسة ثانوية في التاج ، عمرها خمس وعشرون ، خطبت ابن عمها وطلقها قبل الدخول الشرعي ، وحردت عن الرجال ، حتى جاء دور عارف وأعتقد أن الأمر سيتم قريبا ؛ لأن العم حبيبا وأبا جميل بينهم مصالح وتجارات فيأخذون منه الزيت والعسل والبيض والثمار ، والبنت راغبة بالزواج ، بدا لنا أن عارفا هو المشكلة يا سيدي! لم يتحرر من عقدة أمه وسيطرتها عليه ، رغم موتها فهي قريبة العهد من الفراق ، وصدمة خيانة زوجته كانت قاسية عليه ، وسيحتاج لوقت للخلاص من وهم أمه ، وعرّفنا أهل البنت والبنت على الصورة بكل صراحة .. تذكرت ما آخر التحقيقات ؟ هل انتهيتم ؟

قال : راجعت الدائرة مرتين ، وعلا مرة ، ووردة مرة ، واليوناني فينوس قابلهم ويرغبون بالحديث مع ابنه إسكندر رفيق الملعون إلى غزة ، وهو في اليونان منذ غادر ، ويرفض المجيء حاليا ، والحق أن الرجل لا تنطبق عليه صفات الجاسوس الخطير ، شكل أعماله شكل مخبر صغير ، زير نساء يشرب حتى الثمالة ، ويبول على نفسه ؛ كما أخبرت النساء التي تعرف عليهن، وحتى في حزب العصبة كان همه نشر الإباحية والزنا ، لم يقترب ويراود سيدات أزواجهن ضباطا كبارا.. مراكز المعلومات المهمة لم يتجه للحصول على معلومات عسكرية سياسية منها ، لم يقترب من حزب كبير وقياداته أو مؤسسة حساسة أو أمنية .

قال : لما تحدثت مع وردة سألوها عن أبي نجيب ، فقالت: عمره ما سأل عنه ولو مرة .

ـ ارتحنا منه يا أستاذ جهاد!

ـ أنا خائف أن تكون قد بدأت المشاكل يا سيادة اللواء! لابد أنه كان يعمل مع ناس .

قال : نحن تقاعدنا عن التفكير ، وأنا كانت عملياتي مع الطلاب في جامعة بعنبس.

اتفقت عائلة الدكتور أمجد محمد ، وعائلة اللواء خميس على زواج أبي محمد وعلا ، وتحدد المهر مقدمه ومؤخره ، وتحدد حفل زواجهما في ٧ أيلول بعد أسبوعين في مطلع الشهر المقبل .

وأطلع الدكتور صهره أن له شقة في عمارة والده ، ووعد ببناء بيت واسع بعد حين قصير بإذن الله ، وسيغير كل الأثاث السرير والستائر وخزانة الثياب .

ولما خرجوا من المحكمة الشرعية ؛ حيث تم كتابة عقد الزواج بحضرة القاضي ، وأصدرت المحكمة صك الزواج ، نسخة لكل منها، دعاهم العريس إلى أحد أفضل مطاعم بعنبس ، وكان قد رتب معه الدعوة من ليلة أمس ، وهو مطعم معروف لعلية القوم والناس الأثرياء جدا في بعنبس ؛ لأن خدماته مرتفعة الثمن ، وتناولوا الطعام بروح الفرح والسعادة والأهل الحبايب. ولما انتهت الضيافة ركب اللواء سيارة سليم وجلس بجواره ، وعلا في الكرسي الخلفي ، فتحت النافذة بإشارة من الدكتور عبد الرحيم ، فدفع إليها مغلفا بالمال وقال باسما : عديها بالبيت لتجهيز نفسك ! وكان المهر قد قبضته في بيت الوالد يوم الاتفاق.

فشكرته هي ووالدها وأخوها ، وافترقوا على أمل الزواج في الموعد المحدد بمشيئة الله عز وجل . ومساء قدم المهنئون لبيت الدكتور الوالد للتبريك للعريس، ووالده وأمه، وكان أبو إبراهيم وأبو محمد في استقبالهم ، وكان من المهنئين جهاد وسالم وزوجاتهم وإبراهيم شقيقه ، وقدم الأعمام والعمات والأخوال والخالات وأنسبائهم وأصهارهم . فبمثل هكذا مناسبات اجتماعية يتزاور الأقارب والأصهار والجيران للمشاركة بالفرح والخير والتهاني .

وزعت الحلوى والمشروبات ، وأكثرهم انصرف ، وبقي القليل ، وكان الكل يلهج بالدعاء

لهم بالتوفيق والسعادة ؛ لأن الزواج أحد عناصر السعادة في الدنيا اذا كان موفقا ، والمرأة سكن للزوج .. أزواجا لتسكنوا إليها .. ورحمة ، ومن آيات الله ، ومودة بين العشيرين. لحق المحامي جهاد بعض الثناء والشكر لجمعه بين رأسين بالحلال ، فقالت له حماته : الله يجزيك الخيرات يا أبا عبدالله ! عيلة محترمة ، وتعهدت بيني وبينها برعاية ابننا محمد مثل ابنتيها ، وأنها ستكون أما للجميع .

قال : بعون الله .. أنا منذ تعرفت على اللواء خميس أحببت هذا الرجل ، رغم أنه يحمل رتبة عسكرية أو أمنية كبيرة في أهم جهاز في البلاد .. كان يتعامل معي كابن له ، وما جلست معه وشعرت بضآلة حجمي أمامه .. أنا محامي صاعد ، وهو لواء متقاعد من المخابرات .. وأشفقت على ابنته ، وتمنيت أن أقدم لها خدمة طيبة جدا .. وحظها متعثر مع الرجال .. أرجو ألا يتعثر صديقنا أبو محمد .. زوجها الأول مدرس محترم ، كما يقول اللواء نفسه ، وهو ابن ضابط زميل له، وقعت في خطأ يقع فيه الجميع في حيرة .. حشرت نفسها في قضية ونزاع بين الزوج وأمه على قطعة أرض ، فصفت مع زوجها في الكلام ، فاعتبرت حماتها أنها أجرمت في حقها ، وأصرت على طلاقها ؛ لتتصالح مع ابنها ، ولو وقفت مع الأم في القضية لطلقها الرجل ؛ لأنها تخلت عنه ، على الجهتين سيقع الطلاق ؛ لأن السبب ليس قطعة الأرض.. الأم لا تريدها ، لا تريدها ؛ فكانت تلك الواقعة القشة التي قصمت ظهر البعير يا أم إبراهيم ، والزواج الثاني كان من الجاسوس وائل لعب على طلاقها وعواطفها لعملهم المشترك في قسم الأطفال ، استغل الظرف ومثل دور المسكين الشفوق مالك الحزين ، وصعب عليها أن تكون في مجتمع يمقت المطلقات فقبلته زوجا.

قالت رندا : جهاد متى ننصرف؟ التفت إليها وقال : لما تطردنا الحماة.

صاحت : ستبقى إلى آخر الدهر .. أمي لا تحب في الدنيا إلا أنت يا جهاد!

ـ صحيح يا عمتي!

ضحكت الأم وقالت : إنها تبالغ يا ابني !

زواج شهدة

عقد حبيب عارف وأبناء أخيه الذكور عارف وسالم وجهاد اجتماعا حول زواج عارف من شهدة بنت أبي جميل .

قال العم : الحمد لله والصلاة على محمد ﷺ جمعتكم ؛ لأن أبا جميل يقول لم تردوا سلبا أو إيجابا بعد تلك الزيارة .

قال عارف: انشغلنا بخطبة أبي محمد نسيب الشباب .

قال جهاد : تم الأمر ، وتحدد وقت الدخلة مطلع الشهر القادم ، ونحن ننتظر قرارك يا أبا سلمى .. بنت محترمة ، وأهلها كما سألنا عنهم أحسن منا يا عمي .. لك أكثر من أسبوع تفكر ، ولم نسمع صوتك.

قال سالم : رأيت البنت وأهلها ، لا تقارن بينها وبين ميرا من ناحية البياض والسواد ، فميرا من بلد وشهدة من بلد .

قال جهاد : البنت جميلة وحسناء ، وليست دميمة بالنسبة لبلادنا .. أنت عليك أن تفكر بأم لابنتك ؛ كما فعل شقيق زوجتي رندا.

قال عارف على استحياء : جريدة غير معجبة بها.

صرخ جهاد محتدا : جريدة لم ترها يا فطحل.. أنت الذي سيتزوج ؛ ليست أمنا جريدة .. جريدة لا تريدها ، ولا تحبها ؛ لأنها مسلمة بحق.. تصلي وتقرأ القرآن ، فالذي لا يصلي لا يحب الذين يصلون .. أنت المهم مقتنع بها أم لا .. جريدة لما علمت بأنني سأكون معك اعتذرت لك ؛ كما أخبرت .

ـ هذا ما تعذرت به .

قال سالم : فلتزوجك هي .. أنت لما طلقت ميرا استشرتها.. أنت طلبت مساعدة عمك وساعدك.. لماذا لم تتحرك أختك جريدة الشهور التي مضت ؟

قال : أنا رفضت تدخلها قديما .

قال سالم : ولماذا تتدخل اليوم ؟ معاندة لنا!

ـ سعيت لأخذ رأيها وشهاب.

ـ ماذا قال شهاب ؟

قال : قال لا ترد على شريكتنا في المستشفى يا عارف ، قد تتخلى عني وعنك أختك ؛ لأنني صرت أصلي بجد .. أيام السعودية كنت أصلي مرات نفاقا لرؤسائي.. اليوم أصلي رغبة وقناعة .

ضحك سالم وجهاد وقال أحدهم: معه حق ! لماذا لا تلتزم بدينها ، وتغطي بدنها، الرجل تغير ولا يقبل تعري زوجته .

تنهد عارف وقال : المشاكل مستمرة بينهم حول اللباس والشراب ، ولكنه يعمل بنظرية جهاد في التدرج.. التغير شيئا فشيئا مثل تربية الصغير والناشئ.

قال جهاد : هي نظرية وقواعد قرآنية يا عارف! وقصة تحريم الخمر واضحة في عملية التدرج متى ستخبر عمك ؟ ليرد على الرجل .. الرجل اتصل .. لا .. نعم .. فالعم مسؤول عن ترتيب الزواج .. إنهم قبلوا بحضرتك لخاطر عمك فاحسم أمرك .

قال حبيب: فعلا يا ابن أخي ! احسم ترددك ؛ فإذا كان لك نصيب نعمل حسب الأصول ، واذا لا تريدها ، ولا ترقى لمقامك كطبيب ، نعتذر لهم ، وكل في بيته هكذا عادات الناس يا ابن أخي ! وسجل اسمك وطلبك في جمعية العفاف والفضيلة .

قال : والله أنا رأيت البنت مناسبة لسلمى أكثر مني .. الدكتور عصام اتصل بي وقال توكل على الله ، فوردة تقول إنها مناسبة لك ، ولن تطلب منك السهر في نادي ليلي أو حتى نادي العائلة أو حانة أو شمة هواء في بيروت وباريس.

قال سالم : قول وردة هو الفصل!

تقدم حبيب باعتذار لعميله أبي جميل عن زواج ابن أخيه من كريمته أشد الاعتذار ولما سأل

الرجل عن سبب الاعتذار .

قال : الدكتور متردد وعاجز عن حسم أمره ؛ كأن عقدة أمه ما زالت تلازمه ؛ وكذلك خيانة زوجته بغضت إليه النساء والخوف من المستقبل .. وأنا على رجل عمره ست وثلاثون ودكتور لا أستطيع إجباره والضغط عليه ، وطلبت منه اذا فكر بالزواج أن يدبر نفسه بنفسه فأرجوك أن تقبل عذري وأنت خير العاذرين.

قال : قبلت عذرك ، والأمر لله ، فمنذ جاء الدكتور تقدم لها اثنان سبحان الله!

قال مسرورا : فرّحت قلبي ، لا تجعل هذا الأمر يفسد الود بيننا ، ويؤثر على تجارتنا ، واذا صار نصيب لا تنسى دعوتي لحفل الزفاف .. فأنت صديق عزيز عليّ .

قال : إن شاء الله.. الزواج قسمة ونصيب .

قال : صحيح ! هو القدر.. فالعذر عند الكرام مقبول.. والخيرة ما يختاره الله!

قال : أنا من أجل ذلك ألححت عليك بالرد .. سلم على جهاد والدكتور وابنتنا الفاضلة الغالية الدكتورة وردة التي أحبتها أم جميل من النظرة الأولى.

قال : هذا من لطفكم ، لا تنسى دعوتي للعرس ، فواجب عليّ أن أجبر بخاطرها .

ـ جزاك الله خيرا .

لم يمض على هذا الاعتذار سوى أربعة أيام حتى علم حبيب عارف بكتابة شهدة عبد القدير جمالات عقد زواجها ، وسيكون حفل العرس في شهر أيلول .

وأخبر ابن أخيه جهاد بخطبة شهدة رسميا ، واتفقا على أن يشاركا في حفل زواج بنت أبي جميل. وقبل حفلة زواج شقيق رندا حدثت مشكلة كبيرة بين جريدة وزوجها شهاب مما اضطر شهاب الطلب منها الخروج من البيت ، وسنفصل المشكلة بعد قليل، وأمام هذا الطرد غادرت غضبا ، ونزلت نزيلة في أحد الفنادق ، ونتج عن الانشقاق والشقاق أنهما قررا التوقف عن العمل بالمستشفى المشترك لاحتمال حدوث الطلاق . سعى عارف الإصلاح بينهما قدر الإمكان ، وفور حدوث الإشكال .

وتزوج في السابع من أيلول أبو محمد دكتور الجامعة كأبيه ، وكان الاحتفال في صالة فندق الدرجة العليا النجوم الخمسة والبوفيه المفتوح ، وحضر الحفل من كل أسرة مائة . واضطر جهاد وعمه إلى الذهاب للحفل للمجاملة ولمدة عشرة دقائق ، وانصرفوا ولم يأكلوا من البوفيه ، مبارك مبارك والسلام ، حتى دون الجلوس على المقاعد فهما لا يرون إباحة إقامة حفل في فندق تباع فيه الخمور ، ويطهى فيه الخنزير ، وفيه اختلاط وغناء شرقي وغربي ، وبدا نفور حبيب وجهاد واضحا لمن كان قريبا منهم ، وسعى والد رندا من التخفيف من الحرج الذي حل بهم ، وانصرف الرجلان أمام دهشة من تابع المشهد.

استقر جهاد على كرسي مكتبه بعد مصافحته للشركاء الثلاثة ، ووضع له خادم المكتب كوب قهوة وكوب ماء ، فسمع إبراهيم مخاطبا إياه بنبرة فيها حدة : لماذا غادرت الحفل حانقا ومكشرا ما دمت قد حضرت ليلة أمس؟!

لم يرد ، وتابع شرب القهوة ، وكرر إبراهيم بنبرة أعلى السؤال وزاد قائلا : ألم تقرأ بطاقة الدعوة التي تحدد مكان الحفل ووقته يا أبا عبدالله؟!

تنهد جهاد ونظر إلى عينيه وقال: قرأت بطاقة الدعوة ، وعرفت المكان .. وأنت ووالدك تعرفون أني لا أذهب لهذه الأماكن ؛ خاصة الحفلات أو صالات الأفراح المختلطة يا إبراهيم والعرس ليس لي ؛ لأضع شروطي ورأيي .. والعرس ليس يخصني لأمنعه في هذا المكان وشبيهه .. هذا خياركم وحقكم .

قال مهران : هذا صحيح يا إبراهيم ! كلنا يعلم أن جهادا لا يقرب مثل هكذا أفراح .. دقائق ويغادر ما الجديد ؟!

قال : لو لم يأت أساسا ؛ ربما كان أظرف يا مهران ! شكل تصرفه الرافض لجريمتنا وتر الجو عند الناس .

قال احمد : هذا غير صحيح ! أبوك هو الذي توتر ، ووتر من حوله ، وأخذ بلومك أمامنا ..

الرجل معروف للمقربين منا أنه يتجنب المنكرات كهذه لحد كبير ، لو اعتذر لقلتم نسيبنا ولم يحضر .. سيحدث اللوم .. ولقلتم تعال جاملنا عشر دقائق.

قال جهاد : أرأيت ؟ أنا أقدم ديني على هواي .. عشر دقائق في حفل مفتوح كثيرة يا إبراهيم ! هل استطيع منع منكر الرقص والغناء؟ أنا مدعو ، ولا يعني أني قريب منكم أن أغرش .. فالأفضل الانسحاب ولو سريعا .. وأنا يوم استلمت البطاقة قلت هنا يا إبراهيم هذا الحفل لا أستسيغه موسيقى وعري وسفور وتبرج لم تقل شيئا ، تجاهلت الرد .

قال : هي ليلة في العمر يا جهاد ! والأمر ليس لي.. لست العريس .

قال : افرض أني مت تلك الليلة.. أليس هذا بسوء خاتمة ، وثانيا لماذا نتجادل حول العرس؟!

- أبي زعل وتضايق من تصرفك ، وجميع الأخوة ، وبعض الاعمام وأبنائهم .

صاح : هم يعرفون مبادئي يا إبراهيم ! لا يمكن أن أغير قناعاتي وسلوكي وأخسر ما ربيت نفسي عليه .. أنتم فعلتم ما رأيتموه مناسبا .. أبوك أراد أن يجامل اللواء والدكاترة على حساب الدين .. الأمر بين.. رأى مصلحة في ذلك.

قال مهران مهدئا الجو : دعونا من الحفل وتوابعه .. يكفي أنا واحمد حضرنا أغلب الحفل .

قال إبراهيم : على كل قد يتكلم معك أبي.

قال : الأفضل يا إبراهيم أن ينسى الموضوع .. فالعرس وانتهى ، ولا يصح أن أفرض أفكاري واختياراتي على الناس ، وعلى والدك ، وغيره ؛ وكما قال احمد لو لم أحضر لقلتم جاملنا على الأقل بعشر دقائق .

قال : لكنك ظهرت بصورة الحانق والغاضب أمام الناس ، وليس بصورة المجامل.

قال : أظهر وأنا فرحان في مكان فيه الشيطان .

ونهض قائما بحدة : سأخذ إجازة أيها الشباب !

قال مهران : اجلس يا جهاد ! لا يصح الغضب هنا يا جهاد !

صرخ: يصح هذا .. السلام عليكم . حاولوا منعه من المغادرة ، وأصر على ذلك.

فقل احمد بعد خروجه غاضبا : لماذا فتحت الموضوع يا إبراهيم ؟!

قال بغضب : أغاظنا ليلة أمس ؛ كأننا ارتكبنا الموبقات السبعة ، وأساء لنا أمام الحاضرين .. لماذا انسحب صهر الدكتور ؟

قال مهران : أنت غلطان ! هل هذا مكان تصفية خلافات ومشاكل عائلية ؟ هو رجل متدين جدا ، لا يحب التهاون في أمور الدين يا إبراهيم !

ـ لقد أخطأ خطأ كبيرا أمام ضيوفنا ، وزعل أبي وأعمامي من فعله.

قال احمد : النصيحة أن تعتذر له ، ولا يكلمه أبوك قبل شهر .. وأنا أتوقع أن يترك العمل معنا!

صاح : غير مهم .. بالغنى عنه.

قال مهران : كلام خطير يا إبراهيم !

صاح : أنا سأترك العمل معكم ؛ لأرد كرامة العيلة.

قال احمد : أنت شريك .. هو موظف .. مالك جننت ؟! أختك امرأته وسالم زوج الثانية .. والعيلة بتسمع كلامه .. هدئ اللعب يا دكتور !

دخل عارف مكتب عمه في وسط بعنبس ولما اطمأن على عافية العم ، وشرب القهوة المقدمة من عطية ، قال: ما أخبار العم أبي جميل يا عمي؟

قال حبيب : بخير.. وأنت ما أخبار زواجك ؟

قال : تأجل بسبب مشاكل جريدة وشهاب .. هل نذهب نطلب يد شهدة رسميا؟

أخرج حبيب بطاقة دعوة ، ووضعها أمام عيني عارف ، فلما قرأها عارف امتعض وتحركت أمعاؤه ألما : متى حدث هذا؟

قال : عندما اعتذرت لهم .. أنت قلت إن جريدة ستزوجك طبيبة من معارفها فاعتذرت للرجل ، وتقدم لها العريس المذكور اسمه في البطاقة.

قال مدهوشا : هذا كان واقفا على الباب!

ـ وقبل الباب .. الرجل قدمنا عليه وعلى غيره.

قال : والعمل !

ـ العمل عند جريدة .

قال : جريدة مطرودة من بيت شهاب ، وتعيش في الفندق حتى تمتلك شقة ورفضت السكن معي بدل الفندق ، فقالت: الفندق أريح ، وفيه خدمة الغرف.

ـ مطرودة!

قال بضيق : تشاجرت مع شهاب ، ومشاجراتهم كثرت منذ صار شهاب يصلي ويعترض على لباسها وسفورها وتبرجها وشربها الخمر والسهر دونه ؛ وكما تعلم تحدث جهاد معه ، وطلب منه أن يتعامل معها بالتدرج رويدا رويدا ، ولم تغير السلوك ، وتذهب للمستشفى والحديث مع المهندسين دون حشمة ، لم تدرك وتستوعب تغير شهاب ، وتحضر بعض أصدقاء الجامعة ويسكرون في الشقة ويلعبون القمار هواية ، وقال لي : لباسها فاضح تظن نفسها في كواليس مسرح وأخشى أن يحدث بينهم الطلاق يا عمي ! فالوضع متوتر جدا .

قال : أخبرت جهادا بذلك!

قال : جهاد قال أختك لا تطيق كلامي ، ولا رؤيتي ، ولا تحب تدخلي بينها وبين شهاب وغيره .. فلماذا أحشر نفسي ممن لا يهمه رأيي ونصحي ؟

قال العم : كلام سليم ! جريدة أختك تعتبر نفسها أفهم أنثى تمشي على الأرض ؛ وكأنه لم يدرس الطب إلا هي ، فأنا عمها عمرها ما اتصلت تسلم عليّ تطمئن على صحتي ، وأنا بمقام أبيها .. اذا صدف وجاءت العين بالعين تسلم عليّ ، ولا تنتظر ردي عليها ؛ لأسمع أحوالها وأخبارها .

قال : معك حق ! والمأساة يا عمي أن إنشاء المستشفى سيتوقف كما قال شهاب .. واحتمال أن نفترق عن الشراكة ثلاثتنا.

فكر حبيب ثم قال : المشكلة يا عارف ليست المستشفى! المشكلة الحقيقية وراء الأكمة أن أختك عاجزة عن الحمل ، وتشيع أن شهابا عنده مشاكل في الجهاز التناسلي .

ـ لا أدري ، هم متزوجان من سنوات ؛ ليست قليلة قضاياها هناك في الرياض ، وقالت : إنها لا ترغب بالحمل حتى تبقى رشيقة.

ضحك حبيب وقال : رشيقة ! هي مثل عود الكبريت.

تبسم أبو سلمى وقال : ضعت بين حانة وبين مانا .

قال : وزواجك طار بين شقاقها.. ماذا ستفعل لك؟

قال محبطا : اعتذرت بسبب مشاكلها ، وقالت : أنا اليوم مطرودة ، وأسعى لشراء شقة عن طريق الإعلانات .

قال : جيد ! تتعلم من أختها وردة ، وتستفيد من تجربتها ، واذا لديها رغبة بالصلح مع شهاب تطيعه في الخمر واللباس .. راغب بأن تستر بدنها .

نتحدث عما جرى مؤخرا بين جريدة وشهاب ، هما تزوجا عند السنة السابعة لهما في كلية الطب ، بعد قصة حب كبيرة ومثيرة في ساحات وقاعات الجامعة ، قبلت أمها الزواج على مضض ، لم تحب شهابا منذ رأته مع ابنتها ؛ ولكنها تمجد الحرية الشخصية والاختيار، والشخص يتحمل نتيجة اختياراته ، وفور تخرجها تعاقدا للعمل في السعودية العاصمة الرياض ؛ لأن الخليج عامة مهوى خريجي الكليات العلمية ، فهم يدفعون رواتب مرتفعة بالنسبة للبلاد الشامخة العريقة ، عندما ورثت جريدة ما يزيد عن ثلاثة ملايين ، ثروة نجيب التي كونها في كوبا ، فكرا بإنهاء التعاقد ، تملك كل هذه الثروة ، ويعملان إجراء ، وعقدهما السنوي ينتهي بنهاية كل عام ميلادي ، رغم أنهم يعيشون في بلاد تعمل بالتقويم الهجري وتقدمه على الإفرنجي ، ويتجدد العقد تلقائيا إلا اذا أنهياه بنفسيهما أو استغنى عنهما المستشفى ، وفكرا بإقامة مستشفى خاص ، لا هو كبير ، ولا هو صغير ؛ لإدارته والعمل فيه ،

انتهى العام ورجعا للبلاد قرب نهاية الشهر الأول من العام الجديد ٢٠١٠ ، وقد ماتت أمها الشهر الماضي كانون الأول ، ففضلا البقاء حتى إنهاء العقد ، ثم مات بلص زوج أمها في مطلع العام . خلال عملها الطبي ، وقضاء مدة خمس سنوات زواج ، ولم يحصل الحمل ، سبب ذلك قلق للطرفين ، وقاما بما يلزم ، وتوقفت عن تعاطي موانع الحمل، ومع ذلك لم يحصل أي حمل ، فحصوا أجهزتهم التناسلية في أفضل مراكز العلاج في الرياض الرجل سليم إلى حد كبير ، وهي سليمة رغم بعض التشوهات الخلقية في أحد المبايض ، هذه إحدى المشاكل التي عصفت بهما قبل العودة للوطن الحبيب بعنبس عادت تبحث عن رفاق الجامعة والنوادي المشاركة فيها من طبقتها الغنية ، وامتلكت سيارة موديل حديث ، واشترى شهاب سيارة أقل حداثة منها ، رفض أن تشتري له سيارة من مالها .

لم يرتاح لانفتاحها على أصدقاء الماضي من الجنسين ، وكان إخوته يسخرون أمامه من مبالغتها في السفور والتبرج ، وبحثها الدؤوب عن أحدث قصات الشعر واللباس، فبدا شهاب يقترب من التدين الذي كان يمارسه نفاقا في السعودية خاصة أمام مدراء الأقسام ، وأمسك به إمام المسجد المجاور لشقته في حي رفيق وأثر فيه ، وبين له أهمية الإسلام والدين في حياة الإنسان.. أصبح لا يتخلف عن درس أو موعظة للشيخ جرير غزالي ، وزاره الشيخ في شقته التي ساعده والده الثري صاحب شركات صناعية في امتلاكها عندما تزوج قبل سنوات الهجرة ، ولما ولدت وردة ، كان قد قطع شوطا جيدا بالتزامه الديني ، وتراه تاركا لحيته تطول ، ثم يحلقها أثر نزاع بيتي وسخرية جريدة ، وبدا يطلب من جريدة التخفيف من العري والخمر والسهر ، فيواجه السخرية الحادة منها ، ومن ضيوفها الذين يعرف أكثرهم من الكلية ، ومن جلسات النادي ، واذا تحدث عن الحمل ، تقول ولماذا الهم ؟ أنا تركت الموانع ، ودع الأمر لصاحبه ، يذكرها بفعل وردة ، تقول : وردة زوجها عاجز عن جماعها .. أنت ما زلت جيدا رغم تعاطيك بعض المنشطات .

أصبح ينزعج من ليالي الأنس والشراب في بيته ، نتج عنها نزاعات تخف وتكبر حتى شكى

الأمر لجهاد ـ رغم برودة علاقتهما ـ ونصحه الرجل بالصبر والتغير ليس سهلا ، وكن فيكون تقبل النصيحة ، ولم يصبر عليها ، كانت محاضرات ومواعظ الشيخ تشعل نارا في قلبه .. قوا أنفسكم وأهليكم. شاركم عارف مشروعهم وحلمهم ، وساهم ماديا ببناء مباني المشفى في ضاحية الجبل شمال شرق بعنبس ، زادت سخريتها من صلاته ، وتصفه بالمنافق والمتلون وتحذره من افتعال المشاكل مع شلتها عندما يأتون للسكر والقمار في البيت.

زاره والداه ذات ليلة ، واجتمعت شلتها تلك الليلة ، وكان الموقف محرجا له من خلاعتهم وشرابهم وألفاظهم الدونية ، فغادر أبواه وهو يقول : فكرت أننا في بار يا شهاب .

تشاجر الزوجان أمام الشلة ، وأصلحوا بينهم ، فدخل حجرته مغلوبا على أمره. تعلم دروسا في السيرة والعقيدة والفقه ، فهو قاعد عن العمل منذ ترك الرياض ، فالمسجد ملأ راحته وروحه ، هي لا تعلم عمق الإيمان إن غرّز في النفس ؛ لأنها مشغولة في المستشفى الذي تعاقدوا على بنائه مع شركة هندسية ومقاولات لإقامته ، مع أن عارفا اقترح عليهم التعاقد مع سامي ابن عمهم وشريكه حسن ، رفضت جريدة بشدة هذا الاقتراح مما أثار دهشتهم ؛ ولكن المال مالها ، لها الثلثان ولعارف الثلث .. وليلا حياتها امع السكر واللهو .

في آب كانت الإنشاءات الخراسانية قد كملت إلى حد كبير ، وبدأت عملية التشطيب البلاط القصارة التمديدات الكهربائية والصحية والتدفئة والنوافذ والدهان والتسوير .

كل هذه المدة وشهاب يحاول إقناع جريدة بترك الشراب والسهر في البيت أو خارجه حتى أن لقاءاتها في الفراش ضعفت بسبب كثرة غيابها ليلا عن البيت أو السهر الطويل في البيت ، وترفض طاعته بإصرار وتتهمه بالخبل والجنون ، وفشلت نظرية التدرج التي نصحه بها جهاد نجيب . حاول كل هذا الوقت تغييرها دون ثمرة أو تلّين منها ، ورآها كيف أفسدت زواج عارف من بنت تعمل في التدريس ، وهو الطبيب المرموق ؟ وفقد فرصة الزواج ، فأصابه غيظ من أفعالها وتحديه ، وترك الاهتمام بالعمل والمستشفى ومراقبة العمل والشغل كما فعل في البداية ، فكان يحتج على خروجها الفاضح ، حتى أنها كانت تذهب للورشة ، وتتحدث مع

العمال والمهندسين بلباس سيء في نظره ، وتدخن أمامهم وتمازحهم ؛ كما يروي عارف له رفيقها في تفقد العمل . ذات مساء ارتدت ثياب السهر مع شلتها ، وحاول منعها ، وهددها بالطلاق فسخرت منه .

وقالت بتهكم : أحسن ! تخوفني بالطلاق.. طلقني يا ديك ! وكان يعترض طريقها ،فدفعته صارخة : ابتعد عن طريقي.

فوقع على الأرض ، تفاجأ من الدفعة ، فنهض غاضبا ، ومزق ثوبها الذي تلبسه ربما كلف مبلغا كبيرا من المال ، وذهب للثلاجة ، وكسر زجاجات الخمر أمام عينيها ، ووضعها في سلة المهملات ، وطلب منها إن خرجت ألا تعود ، ولا يريد أن يرى وجهها ، فضحكت قهقهة وقالت : صرت رجلا يا شهاب ! ودخلت غرفتها حيث غيرت ملابسها ، وهي تهدد وتتوعد بأنها ستدفعه ثمنها ، ووضعت بعض الثياب في حقيبة سفرية ، وقالت وهي تقف أمام باب الخروج : نذل حقير ! لن تراني حتى تبوس هذا الحذاء يا عاهر ! وحركت الحذاء جهته .

وخرجت إلى الفندق ، وفي الصباح التالي اتصلت قبل الظهر وقالت : متى نقف أمام القاضي يا فاضي؟

ـ وقتما تشائين .



اتصل جهاد بشهاب حول نزاعه الذي طفح على السطح ، ثم التقيا ببيت جهاد ، ولخص شهاب القصة .



وقال بحرقة : علينا أبا عبد الله أن نتغير .. لماذا نبقى في الغي والضلال؟ الله هداني وفتح بصيرتي بعد العودة .. أنا لم أطلب منها أن تصلي وتقرأ الكتاب.. طلبت منها أن تقلل أو تلغي السهر والخمر ، والتقليل من السفور والتبرج ، لا أريد منها أن تكون شيخة في ليلة وضحاها .. رفضت طاعتي ، وهددتها بالطلاق .. تقول ؛ كأنك راجل طلق .. أنا أعلم أنك لا تتكلم معها ، وهي لا ترغب بإدامة الحياة ولو بالحد الأدنى ؛ لعل الأيام تغير حالنا .. وكلما يحدث نزاع تهددني بالمستشفى وأني فقير لم أدفع شيئا ؛ كأن المستشفى مكتوب باسمي ولم أدفع والحمد لله أعيش على مدخراتي التي اكتسبتها أثناء عملي في الرياض .

قال : أنا معك في كل ما صرحت به أمامي .. من حقك عليها أن تطيعك ولا تخرج إلا بإذنك ولا تدخل أحدا بيتك إلا بإذنك ، ولا يجلس أحد على فراشك إلا بإذنك .. هذه أمور شرعية حق للرجل على أنثاه .

رفع شهاب صوته منفعلا : يا رجل اتصلت بي بعد أن دفعتني بعنف ، ومن المفاجأة وقعت عل الأرض ونهضت غضبا ، فمزقت ثوبها .. تخيل لو ضرب رأسي بالأرض أو بشيء لصار

بي ما صار مع بلص .. وخرجت سافرة وبحقيبة ملابس وفي اليوم التالي اتصلت لتقول : متى نقف أمام القاضي ؟ لي أسبوع لا أراها ، ولا أسمع صوتها.. أهذه امرأة شريفة ؟! يقول عارف : إنها تنزل في فندق ، وتبحث عن شقة .. ما المطلوب مني؟

قال : المطلوب منك الهدوء والتريث ؛ لعلها تراجع نفسها يا صديقي ! الزمن دواء للأوجاع .

ـ الزمن دواء الأوجاع إلى متى؟

قال : إلى نصف أكتوبر الذي نحن فيه ؛ فإذا لم تعد لشقتك ، ورأيت الطلاق حلا فالجأ إليه وافعله .. ولن يلومك أحد .

قال : اليوم الثاني من تشرين الأول .. أسبوعان.

قال جهاد : أسبوعان ، ومضى واحد .. قريب من شهر المجموع.

قال : حاضر أيها الصديق والنسيب .

غادر شهاب البيت شاكرا ، فقالت رندا بعد رجوعه من توديع زوج أخته: يقول إبراهيم متى ستعود للمكتب ؟

قال بضيق : رأيت الأفضل أن أبتعد حتى لا نخسر ما مضى من صداقتنا ، ونخسر بعضنا أنا وأنت .. أنت قلت " لم يكن موقفك سليما مع مشكلة العرس" أنا سكتّ عن نقدك من أجل ما في بطنك .. لا تبكي يا سيدتي ! أنت وأهلك كبرتم الموضوع .. دعوني أغضب وأزعل من العرس .. ألم يتم العرس ؟ لا يؤثر على العرس غياب واحد أو عشرة .. المهم العريس والعروس . وغادرها لمكتبه.

لحقت به وجلست بقربه وقالت بتوسل : أرجوك لا تزعل مني يا جهاد ! اذا رأيتني أخطأت سامحني ؛ ربما انفعلت.

قال : خلاص أنا غير زعلان منك ، لنكن لبعض كما تعاهدنا عند الزواج أيام الخطبة .. الكتاب والسنة يحكم بيننا .. وإبراهيم مكتبه ليس بحاجة لي ، وما كان ينبغي أن يناقش مسألة عائلية في ديوان عمل.. قدام الأصدقاء أو الأغراب.

قالت : ماذا قررت؟

قال : سأدرس يا رندا ! .. نحن رزقنا الله مالا كثيرا ؛ فلست بحاجة للعمل .. العمل لإشغال الوقت ومساعدة الناس .. وأنا أساعد الناس من خلال تطوعي في جمعية رحمة، وجمعية الفضيلة .

وسكت وقال : كلفت وردة باستئجار خادمة للبيت .

زار إبراهيم ومهران واحمد الشركاء السيد جهادا في بيته ، واستقبلهم في غرفة الضيوف والزوار ، ولما قدم لهم الشاي .

قال مهران : متى سننتهي من هذه المشكلة يا سيدنا ؟

ضحك جهاد قليلا وقال: لا يوجد مشكلة أصلا ، أنا يا إخوان حسمت أمري .. الله وهبني بعض المال .. سأدرس الماجستير في القانون التجاري ، والدكتوراه في القانون الجنائي ؛ لأعمل محاضرا في الجامعات القانونية .. يكفي عشر سنوات معكم ومع القضايا والمحاكم.

قال احمد : ما هذا القرار؟ اعمل معنا تعودنا عليك ، وادرس يا سيدنا .

قال : هي كانت فرصة للاعتزال حتى لا نخسر بعضنا بعضا ، ونبقى حبايب وأصهارا يا إخوان !

قال إبراهيم معترضا : يا جهاد لو فعلت ذلك قبل العتاب ؛ لتقبل الأمر بسرور ومحبة ، ومن حقك أن تصير دكتورا مثلنا في القانون .. والشغل معنا لا يمنعك من الدراسة.

قال مهران : سيترك الوضع شرارة تحت الرماد والسكن ، ويقال القشة التي قصمت ظهر البعير يا جهاد ! فكلام إبراهيم صحيح واحمد من قبله .. ادرس وابقى معنا حتى نقول إنك لم تتركنا غضبا وضيقا .

قال : لا أراها تفرق كثيرا ، منذ ورثت أبي الكويي ، وأنا أفكر بترك الوظيفة.. لا أكون يا أحباب في المكتب بدون روح .. عليّ أن أعمل لأحلل راتبي وطعامي.

قال إبراهيم : لو كنت أعلم أنك حساس وستغضب من العتاب ما عاتبتك حتى أنك ترفض الجلوس مع أبي ولقائه .. أنا كلمتك من حبي لك ، وما بيننا من الود

قال : سيبقى الود .. أنا بحبكم جميعا.. أنتم كبرتم الموضوع.. وزعمتم أني زعلت المعازيم مع أن أكثر هؤلاء المعازيم والضيوف من دكاترة الجامعة ونسائهم وبناتهم .. لا يعرفهم العبد الفقير لربه ، ولا يعرفونني يا إبراهيم ! لماذا بارك النسيب وانصرف بسرعة ؟ من فيهم يعرفني يا إبراهيم ؟

ـ نحن آسفون .

قال مهران متنبها : فعلا يا إبراهيم من فيهم يعرفنا ؟!.. لم ننتبه لهذه النقطة .. نحن من شهدنا الحفل لا نعرف أكثرهم .. أنت نفسك قلت هؤلاء ضيوف أبي وزوجاتهم .. لماذا المشكلة؟!

قال متعذرا : زعلنا من تصرف جهاد ؛ لأن أبي خاطبني على إثر انصرافه بحدة " مال زوج أختك مكشر وعيناه حمر " وجه كلامه لي يا أحباب ؛ لأنني يسرت زواج جهاد من أختي.. فقلت له فيما بعد نتكلم يا أبي .. فغلط أبي عليّ وعليك للأسف من الغضب فقال : "هو كل الشيوخ مثله ، لماذا أتى؟".. فأحببت أن أعاتبك ؛ لتحاول أن تتصالح مع والدي وأخي عبد الرحيم .

قال : سنتصالح في الوقت والظرف المناسب يا دكتور !

قال احمد : الأفضل أن تعود للمكتب من أجل خاطرنا ، وبعد حين تنسحب اذا كنت مصرا والمكتب لن يعيق دراستك ، واذا سجلت في جامعة نتمنى لك التوفيق والسلام .. ونحن نشجعك على ذلك .. وكم مرة حدثتك على الدراسة ؟

قال : سأدرس في فرنسا جامعة باريس سوربون اذا تيسر الأمر أو ليون ، أرسلت إليهم أوراقي عن طريق مكتب القبول في الجامعات الأوربية المعروف، وقدمت للجامعة الأردنية في عمان ، واذا تخرجت من جامعة باريس أو ليون سأكون محاضرا بسرعة في الجامعة .. فيا أحباب انتهى عملي في مكتب إبراهيم وشركائه وسأحل عليكم من الآن فصاعدا ضيفا أنتظر

القبول ، وقد سجلت في المعهد الفرنسي لتعلم اللسان الفرنسي .

قال إبراهيم : وزوجتك !

قال : ستبقى مع الأطفال وعملها ، وفي كل فرصة أركب الطائرة وأرجع ، لا غنى عنهم .. اطمئن على أختك التي لامتي مثلك .

ـ أنت غضوب يا جهاد! أختي ليس لها إلا أنت .

قال : أرجو ذلك .. النفوس تعرف حقيقتها في المواقف الحادة.

ـ كلامك يزعل!

قال : سأتعاقد مع خادمة يا إبراهيم ؛ لتكون معها ، فقد طلبت من وردة ذلك .

ـــــ

التفت وردة لعصام : دعوت جهادا وعارفا للعشاء معنا.

ـ وسالم.

قالت : في السعودية .. الأمور بين جهاد وعمه متوترة منذ العرس ، فلما قلت له أحضر رندا وزوجة سالم معك ، قال : سآتي وحدي ، كلمتني رندا لأتدخل بتخفيف غضب زوجها على أهلها .

قال مستغربا : بسبب عشر دقائق في حفل الزواج!

قالت : للأسف والدها كبر الموقف ..كبروا الموضوع .. خروج جهاد من الحفلة.

قال : لو لم يذهب لغضبوا ، ولما جاملهم غضبوا ، فقد ترك العمل معهم في المكتب يريد السفر لفرنسا اذا تمكن من ذلك لدراسة الماجستير والدكتوراه ؛ ولكن الحمد لله قُبل في الجامعة الأردنية بعمان وهي أقرب إلينا من أوروبا .. فأنا أحب بقاءه بيننا، وأحب سماع قوله ورأيه في أي مشكلة ، والجلوس معه عامة .. أنا أنافسك في حب جهاد ، والذهاب معه في توزيع الزكوات والصدقات.. هنا أو في تاج الزمان ، ولو ترينه وهو ينبسط مع البسطاء ، ويسمع مشاكلهم ويساعدهم فوق مخصصات الجمعية .. فيقول لي هذه أموالك وأموال وردة ليتنا

نعرف المحتاجين بدون وصولهم للجمعية ؛ لكن الكذب كثير .

قالت بسرور : هو رائع بكل معنى الكلمة ! لا أنسى كلماته عندما حل بيننا الشقاق .. جريدة احتمال كبير أن تنفصل عن شهاب كما يقول جهاد ؛لأنها راكبة رأسها ، ما زالت تعشش في الفندق .. ونصف هذا الشهر سيكون الحسم ؛ ليحسم شهاب أمره ؛ كما اتفق مع جهاد.

قال أسفا : عارف ضاع .. ضيعت عليه فرصة الزواج من شهدة ، كانت تريد تزويجه من طبيبة من رفيقاتها ، وضاعت فرصة العمل في المستشفى .. فشهاب انسحب ؛ فليس له شيء في رأس المال ؛ فليس بينهم أوراق معينة ، والمبنى مسجل باسمها وباسم عارف .

ـ والآن!

قال : الآن عارف توقف عن دفع المال ، وتركها تدبر نفسها ،ويطالبها بما دفعه ؛ ليصبح المشروع كله باسمها ، هو لم يرخص مشفى بعد ، هو بناء كأي بناء ، ولما ينته البناء يرخص من عدة جهات كمستسقى ، وتجلب له المعدات والآلات الطبية.

قالت بحزن : المسكين عارف ماذا سيفعل ؟

قال : الليلة بعد العشاء سنفتح الموضوع .

وضعت جوهرا على ركبتيها وقبلته بحب وحنو وضمته لصدرها : كم أحبك يا جوهر ! كبرت يا جوهر ! وزنك زاد .. خالك حبيبك سيأكل معنا .

أظهر جوهر سعادته لهذا الخبر ، وعبر عن ذلك ، فهو معجب بخاله جهاد ، فقالت : ولكن يا قرة عيني سيأتي وحده دون عبدالله ومي .

ـ لماذا ؟

قالت : لا أدري عندما يحضر أسأله.

قال عصام : تعال أقبلك يا حبيبي! أمك ليست أحسن مني. نزل عن ركبتيها وقبلها من خدها ، ثم انتقل لحضن أبيه يقبلان بعضهما البعض وجلس بجواره .

قالت وردة أثناء ذلك : تعالي يا سلمى يا حبيبتي أقبل الخدين الحلوين .

قدمت سلمى نفسها لعمتها التي أجلستها على ركبتيها وقبلت خديها وقرصتها مداعبة ، وداعبت شعرها ومدحت نعومته .

قال عصام : كيف الصف الرابع يا صديقي ؟ لأنه انتقل مع الموسم الجديد للصف الرابع .

ـ اسم معلمتي روز .. ما معنى روز ؟

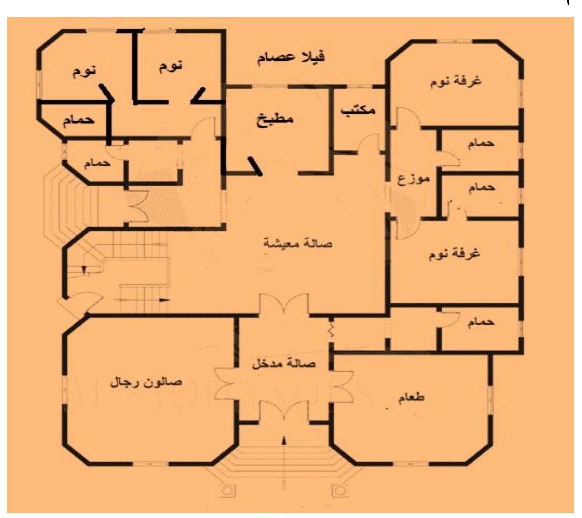
قال : اعتقد نوعا من الزهر أو الورد يا وردة!

قالت : وردة بالإنجليزية واللغات الأجنبية ، وهو اسم شائع تاريخيا على ما اذكر.

ـــــ

ذهب جهاد للمغسلة لغسل يديه وفمه بعد قيامه عن طعام عصام وردة وقال : الحمد لله الذي أطعمنا وأروانا غير مكفي ولا مودع .

ومسح يديه بالمنشفة البشكير كما يقول بعضهم ، وتوجه إلى صالة الاستقبال في فيلا عصام ، وتبعه عارف وعصام.



واهتمت الخادمة برفع بقايا الطعام ، ونقل الأواني المستخدمة لحوض الغسيل في المطبخ . وقدم عارف الشكر لعصام وزوجته ، ولما جلس الجميع يتسامرون ، ويذكرون نعم الله ، ويشكرونه عليها ، وأن يديمها عليهم.

سألت وردة عارفا عن آخر أخبار جريدة ، فقال : اقترب نصف أكتوبر دون جديد ، تركت

الفندق واشترت شقة من سامي.

قالت بدهشة : سامي ابن عمها.

قال : ربما بالخطأ .. مكتب عقارات وفر لها الشقة .

قال عصام : مكتب عقارات سامي وحسن الذي يديره يوسف بدير .. وشهاب!

قال عارف : حدثتها عن نصف الشهر ، قالت أنا لا أحب الشيوخ يا عارف! إياك أن تتزوج من متدينة مثل شهدة ، فقلت سأتزوج واحدة مثلك، تقضي وقتها في الملهى والخمارة ، وأنا في انتظار عودتها وتشريفها سكرانة.. اعمل لي قهوة يا حبيبي ، رأسي مصدع ؛ كأنني أكثرت من الشرب .. فزعلت وطردتني .. فقلت لها انتقمي مني.. شهاب يطردك ، وأنت تطردينى ضيعت عليّ الزواج.. أريد مالي ما دام مشروعك توقف وفشل .. البنت أحوالها صعبة !

قال جهاد : سوف تتحسن بإذن الله تعالى.

قالت وردة : إن شاء الله.

أقبل جوهر وسلمى نحوهم تدفعهم المربية بعد تنظيفهم ، ولبسهم ثياب وبيجامات النوم ، اقتربت سلمى من جسم أبيها ورفعها بعد أن داعب شعرها وأذنيها ، وقبلها وسألها عن المدرسة والمعلمة ، ثم أنزلها وقال : تعال يا جوهر يا حبيب خالك ! .. أنت فعلا جوهرة العيلة ! دفعه والده لخاله وتناول سلمى يتحبب إليها.

فقال له عارف : كيف أنت والعروس الصغيرة؟

قال : بحبها وهي تحبني .

أخذ جهاد سلمى من عصام وأجلسها على ركبتيه : أنت تحبين جوهر الشجاع!

قالت : أنا بحبه ، قد سمح لي بالنوم معه في نفس الغرفة ، فهو يقول إن هذه الغرفة له وحده ؛ ولأنه يحبني سمح لي بالنوم فيها .

هتف عارف : عظيم يا جوهر ! أنت في الصف الرابع السنة أكبر من سلمى بصفين .

قال : الحمد لله .. معلمتي روز حلوة ما عندها أطفال مثلنا.

قال جهاد : لم ؟

قال : قالت : حين تتزوج يأتي الأطفال ، لا يأتي الأطفال إلا اذا تزوج رجل وامرأة فلما تتزوج يصير عندها أطفال حلوين مثل سلمى.

قالت وردة معرفة : متخرجة جديدة من الجامعة ، أول سنة تدريس ؛ كما أخبرتني .. معلمة مرحلة أولى أساسية .. ما رأي عارف بخطبتها؟ أسعى بذلك..

- صغيرة .

قالت : أصغر من شهدة بثلاث سنوات .. تزوج أبوك أمي في عمرها ، وكان أكبر منك تلك الفترة .

قال جهاد : المهم تقبل ، وهذه سهلة .. المدرسة لي ولسامي وحسن .. فسامي يتكلم مع المديرة.

قال عصام : والله فكرة!

قالت وردة : ما رأيك يا جوهر أن نزوجها لخالك حتى تلد أولادا إخوانا لسلمى الحلوة.

صاحت سلمى وهي ترقص : يا سلام ! يصير لي إخوة مثل جوهر محمد ومي.

وبينما هم في انسجام ، وقد تحول اسم روز معلمة جوهر إلى مشروع زواج لعارف رن جرس الفيلا ، فنهضت وردة تنظر في كاميرا البوابة ، وهتفت بفرح: عمي حبيب عمي حبيب ، وضغطت زر البوابة وهي تهتف : تفضل يا عمي تفضل !

انقلب بغضها لعمها حبيب إلى حب بعد صلحها مع عصام إلى حب كبير يظهر على وجهها واضحا للعيان في كل لقاء ، ولا يكاد يمضي يوم ولا تصبح عليه هي وعصام فيقول بعضهم لنفسه : سبحان مقلب القلوب!

دخل السيد حبيب عارف رويدا رويدا ، ولما أصبح بالباب للفيلا ، انحنت وقبلت يده: أهلا عمي ومرحبا بأغلى عم . فقبل رأسها ويدها هو الآخر ، وقال : غالية عليّ!

وتقدم نحوهم ؛ حيث وقفوا يسلمون عليه ، ويقبلون يده ، فهو كبيرهم ، وقبلوا رأسه ، هكذا التقليد تقبيل اليد المصافحة والرأس أو الرأس ثم اليد احتراما لمقامه وتعبيرا عن حبهم له .

فقال : جئت وأنا أعلم أنكم هنا من زوجتك يا جهاد أم عبدالله.

فلما جلس جلسوا ، وهذا عرف آخر بين الأسر ، وتقدم جوهر وفعل مثل والديه ، فمسح الجد على شعره ، وشعر سلمى وقبلهما ، ودعا وبارك في صحتهما وعمرهما وعلى الفور أحضرت المربية التي ينتهي عقدها بنهاية العام محمد ومي واحتضنهما وقبلها وشمهما ، ودعا لهم بدعاء إبراهيم لولديه " أَعُيذُكما بِكَلِمَاتِ اللهِّ التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لامَّةٍ " وناولهما فردا فردا لأمهما التي تدفع بهما للمربية وتثني على عمها ، وهذا عرف آخر بينهم ، كلما يدخل بيتهم تجلب المربية الأطفال لجدهم ، ليدعو لهما ويشمهما ويرقيهم ، وأخرج لهما الهدايا من الحلوى التي يحبونها ، وعوّدهم عليها ، وبعد انتهاء البرتوكول أخذتهم المربية ، وقدمت الخادمة كوبا من الشاي للسيد الكبير وسألت من يرغب المزيد من الشاي ، فكلهم أشار برأسه نعم .

فقال عارف بدون تمهيد : جئت للسهر أم هناك شيء.

فضحكوا ؛ لأن مجيئه بعد العشاء ، لابد أن يكون وراءه أمر مهم دفعه للخروج ليلا ، وتابع عارف: قبل قليل يا عم ! وجد لي جوهر عصام عروسا . وضحك وضحكوا هم ، وقال: من ؟!

قالت وردة باسمة ، وكانت تحب أن تجلس قريبا من عمها على يمينه لا يفصل بينهما مقعد : معلمة جوهر الأبلة روز .

وقص عصام الموقف والقصة ، فقال حبيب : الله أعلم قد يتحقق المأمول يا عارف وكما قال جهاد فليتحدث سامي أو حسن مع المديرة ويأخذ رأيها ، ثم نسأل عن أهلها وأسرتها .

فقال جهاد : وأنت يا عارف ما قولك؟

قال بحماس : والله من الساعة أرغب وأحب أن أتزوج ..أنا أنام في الغرفة وحدي من عدة شهور .. عدة المرأة خلصت ، وعدتي لم تنته وأنا أبحث.

فغمرهم الضحك ، فعارف معروف بخوفه من الخيانات والزنا ، رغم عدم تمسكه سابقا بالدين .

أخرج جهاد بإذن من عمه الهاتف على نظرية خير البر عاجله ، واتصل بسامي، وقص عليه رغبة عارف برؤية المعلمة الجديدة روز للنكاح .

قال بحماس: جيد جدا ! الآن سأتصل بسعاد ، وهذه المعلمة روز جديدة وحضرت مقابلة تعيينها ، ووقعت على عقدها .

- توكل على الله.

قال عصام : سبحان الله سبحانه ! يدبر الأمر من السماء إلى الأرض! .. أهلا أبي محضر مبارك .

التفت إلى جهاد وقال : جئت خصيصا إليك.. أبو إبراهيم تكلم معي ، وقال كنت متوترا ومرتبكا ليلة العرس يا أبا عصام ، وإنه يعتذر ويأسف من إظهار زعله أمام الناس والضيوف ويأسف للموقف الذي حدث منه نحو صهره ونحن أهل ومن سنوات أصهار ، والرجل راغب باللقاء بك ، وأن تعود للعمل لأن إبراهيم زعلان منه ، وقال له يا أبي كل الضيوف لا يعرفون جهادا فأحرجتنا أمامهم .

فقال عارف : أجب عمك.

قلب جهاد نظره في أعينهم فردا فردا ثم قال: ما المطلوب؟

قال حبيب : المطلوب يا ابن أخي .. نحن نذهب إليهم بدلا أن يأتوا إلينا ؛ لنكون نحن أهل الفضل والسبق كما تعودنا طيلة العمر ، كان المسكين يتحدث معي ، وأحسست أنه يمسح دموعه.

قال : كما تريد يا عمي! أرسلت أوراقي للجامعة الأردنية في عمان .

ـ قال لي اعمل معهم حتى يرضى إبراهيم ويزول زعله .. وادرس في الجامعة .. فعمان ليست بعيدة عن البلاد الشامخة.

وتابع حبيب قائلا : المسامح كريم يا جهاد ! علينا دائما الصفح وأم عبدالله تحبك وامرأة مباركة ، قالت أموت أنا ولا يزعل جهاد ، وسبق ومرّ عليّ إبراهيم أيضا وقال يا عمي المكتب بدون جهاد سينفض عنا الكثير من الزبائن والعملاء ..فليبق معنا ولو بالاسم .

قال : أنا آسف يا عمي شغلتك معي.

قال : لا ، الناس محترمون طيبون جدا يا ولدي! لولا طيبتهم ما اهتموا بزعلك وغضبك .. الخطأ عند الكرام معذور ومقبول .. غدا بعون الله بعد صلاة المغرب نمر عليهم.

هز رأسه بحاضر . رن الهاتف فقال: سامي.

ـ رد عليه .

فتح الخط ، وقدمت الخادمة فناجين القهوة ، فمد كل منهم يده وتناول فنجانه شاكرا لها.

ـ آ ! يا مهندسنا الغالي.. أبوك يشرب معنا القهوة ، في بيت أبي جوهر.. لا يوجد مؤامرة .. على من سنتآمر ؟ لسنا طلاب حكم ونياشين.. اتصلت المديرة بروز رغم الظلام الدامس، لم تصبر لتقابلها في المدرسة ، وهي ترحب بنا كما قالت سعاد .. شكرا فلتأخذ لنا موعدا ، وسترافق عارف وردة أمنا الحبيبة وردة بمقام أمنا يا حضرة المهندس .

فهمهموا ، فجهاد منذ هلكت زكية ويردد أن وردة أصبحت أم العائلة ، وتابع : سيتعرف على الآنسة روز معلمة الشجاع جوهر .. مع السلامة وأغلق الخلوي.

فقال : على السريع تحدثت مديرة جوهر مع المعلمة روز .. أذكر أن سفينة كبيرة للبحرية الإنجليزية اسمها روز ماري.. على السريع يا عارف تحدثت مع روز وأم روز .. البنت دون أب .. أمها أرملة .. لها أربع أخوات ودون ذكر بينهن أو كان واحدا مات غرقا وهو طفل .

سألت وردة : ألا تذهب معنا؟

ـ هذا يعود لعارف.

قال عارف : أنا رأيي أن ترافقنا .. نسير نحن الثلاثة ؛ لتحصل لنا البركة بوجودك .

قال حبيب : حسن ! كما فعلتم مع ابنة أبي جميل .. ما حصل لأختكم جريدة؟

قال عارف رادا : اقترب الطلاق ، اشترت شقة من عمارات سامي وحسن عن طريق سمسارهم يوسف بدير .

قال : الله يصلحها ، ومصيرها العودة ، مشكلتها ليست صلاة شهاب ، مشكلتها العجز عن الحمل ، شهاب حدثني بذلك ، هي غير قادرة حسب فحوصات السعودية ، فبدل أن تهدأ وتلجأ إلى الله وتسأله الشفاء .. تعاند وتكابر ، والحياة بدون ذرية صعبة للزوجين ، ولا يجب عليها الاستسلام ، فقلت له تنظر إلى أختها الكبرى ، وتتعلم منها ، وتخضع لعملية تلقيح خارج الجسم ، كنا نسمع عن مثل هذه العمليات ورأيناها عن قرب ، واليوم أختها من خير النساء .

قالت : شكرا عمي ! تكلمت معها في هذه القضية ، وعرضت عليها منذ تركت بيتها أن نتكلم مع شهاب ، ونصلح ذات البين ، ولن يضيرها التغير ، كل الناس تتغير ؛ لكنها نفضت يدها من شهاب ، وهو كما قلت ، المشكلة أنها تعاني من تشوهات خلقية في المبايض ، ولا تعترف بعقمها ، والعلاج ميسور وسهل .

قال حبيب وهو ينهض: شكرا لكم ! شكرا أبا جوهر وأم جوهر ! أنتظرك يا أبا عبدالله في مسجد حيّنا نصلي المغرب سوية ، وننطلق بعون الله فأنت عقلنا الكبير ؛ لتعود المياه لمجاريها .. والجماعة يحبوننا ويعبروننا .. وهم من أفضل أنسبائنا .. وكل ابن آدم خطأ ، وخير الخطائين التوابون.



طلاق وزواج

دخل منتصف أكتوبر الحياة ، وفي سبعة عشر منه اتفقت جريدة وشهاب على الانفصال الورقي بعد الانفصال البدني ، وضحى اليوم التالي التقيا على باب المحكمة الشرعية في بعنبس وسلمها المحامي مؤخر صداقها ، ووقفوا بين حضرة القاضي ، وأعلن شهاب طلاقه منها ، وأنها تسلمت حقوقها ، وانتهت الحياة الزوجية بعد سنوات بينهما .

ولما انتشر الخبر في الصحف المحلية ، كان في عشرين منه ينشر شهاب إعلان خطوبته على امرأة قريبة له . قابل عارف وجهاد وأختهم وردة أسرة روز في بيتهم الكائن في حي بعنبس بالقرب من مدرسة جوهر ، وسارت معهم سعاد مديرة المدرسة في الزيارة .

استقبلت الأم الضيوف ، وكان شقيقها مهندس الطيران معها ، وتمت الرؤية الشرعية والتعارف ، ورأت روز الدكتور ، وشرب القهوة التي قدمت له ، ورغم فارق السن اتفقا ، وقبلت الفتاة به مبدئيا ، وعارف المتلهف على الزواج قبلها واتفقوا على ثلاثة أيام تفكير ؛ ليتم كتب الكتاب والزواج ، وكتبوا الكتاب بكل حرية واتفاق ، ودفع العريس المهر كله بدون مؤخر وزيادة ألف على المتفق عليه بينهم ، وأعطاها عشرة أخرى ؛ لتجهيز نفسها بالذهب العرفي والثياب ، وأعطى أمها لتكسوا نفسها وبناتها خمسة آلاف ، وهو خلال أسبوع سيكون جهز الشقة التي يملكها بالأثاث والأدوات الجديدة ، وأرسل كل ما في البيت إلى جمعية جهاد لتوزعه محليا لمن هو محتاج إليه .

وكان الحفل في أول أيام نوفمبر وصادف يوم الاثنين ، وأصبح لعارف زوجة ، ولم يعد ينام وحيدا ، وانتقلت روز معلمة جوهر لبيت عارف الذي أحب أن يجدد زواجه ، وأفرغت عاطفتها في حب زوجها ، وترك لها الخيار بالنسبة للعمل ؛ لأن العمل ينشط الحياة ، ويرفع الكسل والعجز .

وأما هو فقبل العمل مع صديق طبيب مثله في مجمع طبي يعمل من العاشرة صباحا حتى الثانية ظهرا أربع ساعات ؛ لأنه يفكر أن يعمل بالاستثمار كابن عمه عصام ، يمتلك

صيدليات أو مصانع دواء ، فاقترح عليه جهاد وسالم إدارة مؤسسة يخططون لإنشائها . مؤسسة طبية كبيرة ، تستورد الأدوية والحاجات الأخرى ، مثل الملابس الطبية الكريمات الأدوات الطبية المختلفة للمختبرات والتحاليل ، فارتاح للفكرة . واستشار سامي وحسن في شراء شقة أوسع أو فيلا فاقترحا عليه أن يعود لفيلا أمه ، فهي لم نؤجر بعد ؛ فرفض معللا ستبقى مذكرة له بأمه وبخيانة ميرا وموت بلص.

فاقتنعا بحجته ووعداه بشقة أوسع ، وعادت سلمى لبيت والدها بحفلة لطيفة وبمربية خاصة دبرتها وردة ، وعقد الاتفاق مع مكتب المربيات الغربيات ، وحضر جوهر ووالداه الحفل ، وباركا لعارف الزواج ولروز ، وقدمت لها وردة مفاتيح سيارة كهدية منها حتى أن روز بكت واحتج عارف ، فلم تقبل احتجاجه ، ولا اعتراضه ، وإنها منها ومن عصام و جوهر.

وعانقت روز جوهرا بحب ، وهي تمسح دموعها بصمت : هذا أنت بطل يا حبيبي ! ها أنا تزوجت خالك!

قال : مبارك يا أبلة ! فخالي يحبني كما يحب سلمى .. حزنت لأخذ سلمى من بيتنا .. سأنام وحدي دون سلمى .. ومن سيحفظ معي قرآنا؟

فقالت : أخذناها أمس .

ـ لم تعد تنام عندنا كما قال أبي.

قالت : أنا أمها يا حبيبي ! وأنت حبيبي يا جوهر ! سأبقى أحدث الأصدقاء أن جوهرا زوجني من خاله الغالي.. شكرا يا دكتورة على الهدية !

قال : أنا أحبك يا أبلة ! وأحب أن أسمع صوتك بالقرآن .

كانت روز تمتاز بصوت جميل في التلاوة ، وتحسن إخراج الحروف من مخارجها وقرأت التجويد وتعلمته ، وخلال الجامعة أخذت عددا من دورات القرآن والترتيل في الجامعة ، والمراكز المنتشرة في الأحياء ؛ لتعليم القرآن والفقه الميسر البسيط ، وتحفظ شيئا كثيرا منه .

قالت وردة : كلما تشتاقين يا سلمى للحديث مع جوهر اتصلوا بي يا روز لآتي وأخذها ساعة

زمان وأعيدها .. تعودوا على بعض خلال الشهور الماضية.

كان عصام وعارف يتحدثون بصوت منخفض حتى سمع أخته تسأله عن العروس.

فأجاب : أحلى عروس! أبدلني الله خيرا من الخائنة .

قالت : ستر الله عليها .. الدنيا فيها الطيب والخبيث.

****

نقل لجريدة خبر زواج شهاب بعد الطلاق بأيام على قريبة له ، لا تعرفها ، ولا تذكرها ، وكانت رتبت وماريا رفيقتها قبل إشهار الطلاق أمام القاضي لرحلة سياحية في أوروبا رغم فصل الخريف ، ماريا طبيبة أكبر من جريدة ، عرفتها خلال دراستها في الكلية ، كانت تتقدمها بأربع سنوات ، تعرفت عليها خلال رحلة جامعية على بعض مواقع السياحة الداخلية .

وماريا من سكان تاج الزمان درست الطب في بعنبس ، واستمرت الصداقة بينهن بعد الجامعة وكانت ماريا من دعاة الحرية الجنسية للمرأة ؛ حتى ولو ارتبطت بزوج ؛ لذلك تزوجت بعد التخرج بشاب قبل بشرطها على شرط أن يفعل مثلها ، يمارس الزنا مع أي أنثى ، ولا تعترض عليه ، اتفقا على البغاء ، كان الزواج صوريا أمام الناس ، عادة هذا الشكل من الزواج يفعله القوادون ؛ حيث يقتسم المال مع من هي زوجته ، ويحلون الزنى بينهما .

فشل هذا الاتفاق بعد سنتين ، لأنه لم ينتفع منه ماليا كما كان يأمل ، كانت تدفع له من راتب عملها له وللزناة ، لم تتأخذ الزنى مهنة ، هي تبحث عن المتعة واللذة .

لما يأت العشيق من طرفها عليه بالخروج للسهر في المقاهي والمسارح ، ولما ينقطع العشاق ويقلّون يأتي هو لها بهم ، ففي هذا الوضع تسمح له بالمكث في البيت ؛ حيث يتظاهرون بلعب القمار ، وكل ساعة أو أقل يدخل عليها غرفة النوم أحدهم يعاشرها ، ثم يأتي التالي، يتبادل زواره معها الفاحشة ، مثل بغاء الجاهلية .

فمرض الزوج الصوري جنسيا بسبب عدم استعمال أسباب الحماية الجنسية كالعازل الذكري

الذي أوصت به منظمة الصحة العالمية للوقاية من مرض السيدا فتطلقا .

هي كانت تصطاد الفرائس والزناة من خلال عملها في عيادة المستشفى أو عن طريق القحبات مثلها سواء كن طبيبات إباحيات ممرضات موظفين مرضى ، وبعد حين صادت موظفا شهوانيا شاذا ، وظن أنه العشيق الأول ، وتزوجا مدة سنتين وانتهى الأمر إلى الطلاق بسبب الإباحية الجنسية ، ووجد نفسه يعيش في كرخانة دار الدعارة والبغاء.

فاتفقت مع ملهيين ليليين لممارسة الجنس والدعارة ، فصار صاحب كل ملهى يحتاج لخدماتها يتصل بها ، ويرسل لها الزبون سواء كان ابن بلد أو سائح أو سائق شاحنة دخل المدينة يرفه عن نفسه ، هم يسمون الفجور ترفيه عن النفس.

كانت تعمل فحوصا باستمرار ؛ لأن بعض الرجال يرفضون ممارسة الجنس بواقي ذكري .

اليوم البغاء فنون ومدارس ، وخاصة مع ظهور الأجهزة الخلوية المتطورة ، ومواقع التواصل الاجتماعي ، وموقع جوجل عامة . كان لابد من هذا التمهيد ؛ لنفهم سبب الانحرافات والشذوذ الجنسي والجندر الذي تدعو له منظمات النسوان في كل العالم.

خططا لهذه الرحلة قبل طرد جريدة من بيت الزوجية ، شهاب يعلم أن زوجته منحلة ، ولم يدخل عليها عذراء ، وهذا الأمر أيام الكلية ، ومتقبل لدعاة الحرية ، ومارس الزنا قبل أن يصاحب جريدة ، ثم لما دخلا في علاقة سمياها الحب ابتعدا فعلا عن الغواية ، وأنتم عرفتم البيئة التي كانت تعيش فيها جريدة ، عم مبغوض، أخوة ضعفاء أمام الانحراف ؛ كما ذكرنا في قصة وردة ، الآباء عاجزون من تقويم الأبناء ذكورا وإناثا ؛ لكن من حسن حظ شباب المسلمين أن الإسلام ما زال في بلدانهم يقاوم التغريب والإباحية وضياع الأسرة .

لم يستطع الاستعمار والشيوعية من القضاء عليه رغم أننا في فترة السبعينيات وما قبلها كان الشباب المتدين يخجل من إظهار إسلامه ، والمسجد لا يتردد عليه بكثرة إلا الرجال الكبار الذين أكل عليهم وشرب ، وبعض ظهور ما سمي بالصحوة الإسلامية والعودة ، تغير الحال فأغلب رواد المساجد من فئة الشباب ؛ بل تجد في الحي الواحد عددا من بيوت الله ، حتى في

بلدان أوروبا المساجد أكثر من الكنائس .. والفضل لله وحده.

لما انتهى ما بين جريدة وشهاب كما ذكرنا بدأت رحلة سياحة بين المرأتين إلى أوروبا عن طريق تركيا ، كانت البداية بالسفر إلى إسطنبول ، فهي مدينة عريقة نصفها في آسيا والنصف الآخر في أوروبا . في السابع والعشرين وصلتا إسطنبول لقضاء ثلاثة ليال ، ومنها بالطيران إلى فينا ، وكان التخطيط أن يسيحا مدة شهر ، شهر نوفمبر كله ، ومنذ بدأت الرحلة تخلت جريدة عن شريحتها المحلية ، واتخذت شريحة دولية ، ومثلها فعلت ماريا ، واعتادت جريدة كلما ظهر موديل جديد من أجهزة الاتصال تمتلكه فورا ،وهذا من أيام الكلية بزعم أنها تحب وتغرم بالتكنولوجيا ؛ فلذلك كلما رن عارف أو غيره ، لا يمكن الاتصال فالخط المحلي مفصول .

مكثن في ملاهي إسطنبول ثلاث ليالي ، بين خماراتها ونواديها الليلة ، وماريا لها خبرة في مثل هذه السياحة فهي الدليل السياحي ومهندسة الرحلة ، وهي التي حببت إليها هذه الجولة الطويلة، بترك البلاد وذكور البلد . انتقلت بهن الطائرة إلى فينا ، والخطة البقاء سبع ليالي في ربوع فينا ، الجو الخريفي بارد في تلك المدن ومتقلب ، وبينما هنّ ينزلن لبار الفندق ؛ ليشربن الخمر رأت جريدة زوجة عارف السابقة أو طليقته ، وعرفتها ميرا دون مواربة ، ولما التقت العيون التقت الأجساد والقبلات ؛ كأنهن صديقات حميات ، ولما سألتها عن شقيقها، ردت بعدما سلمت ماريا عليها : لم يجد بديلا عنك ، وأنت أصادك أحد؟

قالت : سلمى ما أخبارها ؟

قالت : سلمى تعيش مع وردة مع مربية جوهر ابن وردة .. أنت سائحة أم تحيين هنا ! فشكلك لا يدل على السياحة.

قالت دون تورية : أنا تعاقدت معهم للعمل في الدعارة في هذا الفندق .

قالت : مهنة شريفة ! كيف العمل؟

قالت : حسب الزبون .. الصعب والمزعج هنا كثرة الفحوصات الجنسية لنا فحص شهري ،

فحص كل أسبوع مرة ، مرات كل صباح مارست فيه الجنس وأنت مع هذه ماذا تفعلن ؟

قالت ماريا : تقريبا مثلك بدون مقابل وبدون فحوص .

ـ وشهاب يا جريدة!

قالت : طلقني من عشرة أيام ، وجئت آخذ إجازة مع صديقتي ماريا .. طبيبة مثلي.

ـ ترغبن بالشغل والمتعة في هذا الفندق !

قالت ماريا : ربما نفعل ذلك متى وصلنا روما و باريس ومارسليا ؟

قالت : أنت معك ملايين .. لماذا تعملين يا جريدة ؟!

قالت : للتسلية .. أنا الآن مطلقة مثلكن .. ما أخبار فيرا أختك؟

ـ في إحدى الغرف تلعب رياضة ليلية.

قالت ماريا : تلعب رياضة .. حصة رياضة بجد.

قالت : مع واحد بحب بنات العرب واللحم العربي ؛ كما يقول مسؤول الفندق تشربن شيئا ما دمتن في بار الفندق .

قالت ماريا : ضيافتك الليلة علينا .. نحن أبناء مهنة واحدة.

ـ في زبون سيأتي الليلة للقاء بي ، وأنا أنتظره ؛ فإذا أحبت إحداكن استضافته فأضحي من أجلكن والأجرة لي .

ـ كم يدفعون ؟

ـ حسب المدة ، ممكن ألف دولار ، وممكن أكثر اذا استمتع أكثر .

ـ على الليلة .

ـ يعني

ـ على كل نحن في غرفة ٥١٦ اتصلي بنا اذا رأيته مناسبا .. عندي ساعة وعندها ساعة .. نحن نريد المتعة وأنت لك الأجرة .

رجع جهاد لمكتبه وكرسيه الفارغ بعد لقائه التصالحي وعمه أمجد محمد والد إبراهيم . ولما جلس في مكانه صفق الشباب فرحا واستقبالا ، فهو لم يباشر العمل فور التصالح ؛ بل بعد ترتيب أموره الخاصة والعائلة ، ورتب أمور الالتحاق بالجامعة الأردنية في مدينة عمان ، وزواج عارف السريع ، والبدء في تأسيس مؤسسة طبية كبيرة برأسمال كبير ، وظيفتها استيراد الأدوية والأجهزة الطبية ، والكريمات الكثيرة العدد والأشكال ، والمقاعد الطبية والأسرة الطبية والأحذية والملابس الطبية . احتفل الرفاق والأصدقاء بمقدمه بقالب من الجاتو والعصائر والمياه المعدنية .

قال إبراهيم : الحمد لله .. والشكر لله .. كان يعتصرني الألم والندم لم حصل بيننا من تماس كهربائي .. كنت أخشى أن نخسر صداقتنا الممتدة من سنوات لأمر تبين لنا أنه تافه ؛ وإنما الظروف جعلته كبيرا و مدمرا .

قال : الشكر لكم جميعا ! ولنبلكم وعواطفكم نحو شخصي الضعيف .. وأنتم أعز الأصدقاء منذ عملت معكم ، وتدربت في مكتبكم ، وحتى ولو لم أعش معكم ببدني.. فروحي بينكم.. سنبقى أصدقاء يا إبراهيم بعون الله.. والله الموفق للجميع .

قال احمد : ستبدأ من مطلع العام .

قال : أجل في بداية شباط ٢٠١١ ، الماجستير سنتان كل عام فصلين ، ممكن تقديم أطروحة رسالة أو ساعات دراسية بدلا من الرسالة ، حوالي ٣٣ ساعة ، والدكتوراه سنتان ٥٥ ساعة معتمدة ، ومنها أطروحة .. قضيت كما تعلمون ثلاثة أيام في عمان وسجلت .. أجور المساكن معتدلة في الأحياء الراقية ، وكلفت ابن قريب لنا يعيش هناك من عهد بعيد ، يعرفه عمي حبيب باستئجار منزل بعيدا عن الجامعة ؛ لأني سأشتري سيارة ، وابن قريبنا اسمه محسن سعيد سيتابع الموضوع ، هو يعرف البلاد جيدا.. ولد محسن في عمان ودرس الهندسة ، وتزوج وأنجب ومعهم جنسية الأردن .

قال مهران : نتمنى لك التوفيق .. وشهادة هذه الجامعة جيدة ! هي على مستوى جامعات العالم الكبيرة .. وكل إجازة المكتب مفتوح لك.

قال إبراهيم : وأنا والشباب تحدثنا قبل حضورك بأننا مستعدون للاستمرار بدفع راتبك ؛ لكن مهران زعم أنك لن تقبل .

ضحك جهاد وقال: بالتأكيد لن أقبل راتبا دون عمل ، فهذا لا يجوز أدبا ولا شرعا .. فالمال مقابل العمل ، ولست بحاجة للمال .. فقد وهبنا الله ما تعلمون به وحتى هذين الشهرين سأعمل بدون أجرة ، فقد بدأت أنا وعارف وسالم والأسرة كلها بعون الله بإنشاء مؤسسة طبية كبيرة ، حدثت إبراهيم عنها ، وسيحدثكم عنها ، فراتبي كما خبرتم حول نصفه لجمعية الإغاثة ، والثاني لجمعية الفضيلة التي تساعد على الزواج .. والأيتام نقدم لهم من استثمارات أخرى.

ـ تقبل الله عملكم الصالح .

قال جهاد : إبراهيم يا حبيبي عليك بتفقد العائلة رندا وزوجة سالم ؛ لأنك تعلم كثرة غيابه.

ـ في عيوني .. سمعت من رندا أنك قد تأخذها لعمان.

قال : هذا بعد حين .. حسب الأحوال ، ووجدت المدينة والجو مناسبا .. فالتغرب صعب على النفس .

عمان جميلة يا جهاد ! قال احمد: أنا أعرفها ذهبت للدراسة في عمان، ثم عدت ودرست في جامعة بعنبس الدولية قسم القانون.

أوشكت رحلة السياحة الجنسية على الانتهاء ، النمسا روما باريس جنوب فرنسا هناك توقفت الرحلة بانتهاء الوقت ، وبظهور الأمراض الكامنة في الأبدان مع أنهن كن يفكرن بتمديدها لمزيد من اللهو والمتع الجسدية .

ذات ليلة في مارسليا زاد ألم البطن في أسفله لدى ماريا ، فأخذت بعض المسكنات المعتادة ،

صداع شديد ، ألم في الحلق ، وبعض التضخم المزعج والصوت ، العضلات تتألم وتتضامن مع الأعضاء الأخرى ؛ ليست أعراض الإنفلونزا ، حكة في الفخذين تذهب و تأتي ، ألم مزعج في العضو التناسلي ، وما صدقن وطلعت الشمس ، فأخذت جريدة صديقتها إلى عيادة أرشدهما إليهما موظف الاستقبال في فندقهما.

فلما ذكرت ماريا لطبيبة العيادة أعراضها قالت فورا : هل سبق أن عملت فحوصا جنسية ؟

ـ أنا في جولة سياحية ، والليلة زاد الألم في جسمي ، وسبق أن تألمت قبل أسبوعين بمثل هذه الآلام ومع المسكنات التي اعتدنا عليها خفت.

قالت الطبية: تحتاجين لفحوصات حديثة ، فأنت بصراحة قريبة من مرض السيدا الإيدز .. تحملين الفيروس الخاص به .

قالت ماريا بحيرة وبحلقة بنظارات الطبيبة : إيدز مرض نقص المناعة!

هزت الطبيبة رأسها مرات نعم نعم : واعتقد أنه قديم معك ، وبدأت تظهر أعراضه ، فهذا لا يظهر فجأة ، مع الوقت يتطور .. وأنت وصلت لمرحلة متقدمة .. اذا لا يوجد معك ريالات عودي سريعا لبلدك ، وتابعي العلاج .. الفحوصات مرتفعة هنا عن الشرق الأوسط عليك بكسب الوقت ، وعرض نفسك على أطباء الاختصاص .. فالإيدز لا يظهر من بداية الخطايا وأخطاء الاتصال .. مع الوقت يحدث .

ـ كيف عرفت؟

ضحكت وقالت : تمر علينا حالات كثيرة في فرنسا ، فحفظنا أخطر الأعراض يا جميلة !

صدمت البنتان، وأدركت جريدة أن رفيقتها الإباحية مصابة به قديما ، وهي أيضا تعاني من مرض جنسي تغاضت عنه ؛ خشية شماتة شهاب الذي كان يحضها على عرض نفسها على عيادات الجنس التي انتشرت في الوطن ، مثل عيادات العلاج النفسي ، فهذا سبب عدم تمديد رحلة السياحة الجنسية ، وترك مسارح الجنس والكباريهات الأوروبية وقرى الشواذ في فرنسا وبعد زيارة عيادة أخرى، سمعن نفس التشخيص، فبعد يومين كن في طائرة متجهة لبعنبس

وفور وصولهن ساقتها جريدة إلى عيادات متخصصة في علاج الأمراض الجنسية التي زاد انتشارها مع موجة الإباحية التي غمرت مدن العالم الصغيرة والكبيرة .

فالإيدز منذ ظهر وهو مرعب للإباحيين وغيرهم ، فملايين البشر يحملونه ، ولا علاج قطعي له ، فهو يضرب جهاز المناعة للجسم البشري ، ويسبب أمراضا أخطرها السرطان والأجهزة الحيوية.

ولما تأكد لجريدة صحة ما قاله أطباء فرنسا ، وأن ماريا مصابة به ، طلبت منها العودة لبيت أهلها ، ومصارحتهم بنتائج الإباحية . وجريدة نفسها خضعت لفحوص واختبارات الإيدز ، فتبين أنها مصابة بالسيلان شقيق الكلاميديا .

أدركت حينئذ عاقبة التنقل من ذكر لآخر دون معرفة ما يحمل أحدهم من بكتيريا جنسية أو فيروسات ، وتبين لها قبح الانحلال ، وترك وسائل الحماية ؛ كما تنصح بها منظمة الصحة العالمية. فالسيلان هو سبب ألم المهبل عندها ، وأنه سبب ظهور القيح على فرجها وتذكرت لما عاشرت رجل فينا ، وأنها تألمت كثيرا من تلك المعاشرة فقال لها : اعرضي نفسك على أهل الاختصاص والمعالجة الجنسية ، ليلتها تألمت كثيرا .

فلعنت الساعة التي عرفت فيها ماريا التي شجعتها على الحرية الجنسية والاستمتاع بالشباب قبل الكبر . علاج السيلان اليوم ميسور ، وسهل أكثر من الإيدز ؛ ولكنه مزعج ، وسيمنعها من النوم مع العشاق والمتعة ، ويخوف من يتصل بها ، واذا ظهرت أعراضه عليها سيفضحها ، ويحذر الرجال منها ، وستفضح بين القريب والبعيد ،ويعلقون عليها بطاقة احذر جماع هذه المرأة . وبينما هي في حيرتها اتصل بها عارف ، فقد سمع بعودتها من السياحة الأوروبية كرر الاتصال ، فهي قد عادت لخطها المحلي فور رجوعها ، فهنأها على السلامة فقالت لنفسها : أين السلامة يا عارف ؟ وذكرها بأمواله التي ساهم بها في المستشفى .

فقالت : سأعرضه للبيع يا عارف ، لم نعد بحاجة لمستشفى وحتى العمل.

قال : كلامك معقول ! وهو الأحسن .. هل عرضتيه أم أكلم ابن عمنا وشريكه زوج نوار؟

فهمست لنفسها : هل هؤلاء الأقارب سعداء يا جريدة ؟ إنهم نظاف من صغرهم .. لماذا لم نكن مثلهم ؟ ها هي وردة نظفت نفسها .. لما لا أفعل مثلها ؟ هذا المرض جرس إنذار .

صاح : أين سرحت ؟ مع من تتحدثين؟

- مع نفسي يا أبا سلمى .. سمعت شيئا.

صرخ: كيف سأسمع تمتمة ؟ أنا الصراخ لا أسمعه .

قالت : كنت تتحدث عن سامي وحسن ..كلمه أحسن أنا منزعجة هذه الأيام.

قال : كنت تشمين هواء حول العالم .. فما الذي يزعجك ؟

قالت : عدت مريضة .

- مرض السفر .

قالت : هل صحيح أنك تزوجت ؟

قال : قرّبت تولد.

هتفت ضاحكة : أوه ! تزوجتها حامل!

- يعني .

قالت : يا لك من فحل نيوزلندي !

أدركت أنها أصيبت بلعنة السيلان بسبب سياحتها الجنسية ، وأنه ظهر عليها سابقا أيام عملها في مستشفى السعودية ؛ حيث كانت تغافل شهابا ، وتمنح نفسها لبعض العاملين في المستشفى بحجة تغيير الجو ، هل كان يعلم شهاب بزناها ؟ كان يهتم بمن تداوم معه ، تقول : كانت علاقاتي بعيدة عن بعضها ؛ ربما كل فصل وآخر أغامر مرة أو مرتين ، كانوا يستعملون رغوة لمنع انتقال أمراض جنسية ، ولمنع الحبل حيث تقتل الحيوانات المنوية ، أحست به ، وعالجها دكتور على سبيل الاحتياط قالت : منذ عدنا أفرطت بمثل هذه اللقاءات ، سمحت لجسدي بلقاء عدد كثير من الرجال ، لم يكن شهاب بالقوي جنسيا ، كان ضعيفا مرة واحدة في

الأسبوع ، فكنت أحب تعويض حاجتي ورغبتي دون إحراجه وضعفه ، لم أقتصر على شريك واحد أو اثنين .. يا ترى هل زوجته الجديدة مستمتعة به ؟ لا اعتقد إلا اذا كانت أمية لا تعرف الجنس والرجال لتقارن.. رجل فينا بدا خبيرا وقال : يا فتاة تحتاجين لتدريب أكثر على الزنا . نعم قال الزنا .. لماذا حرم الله الزنا ؟

فاهتمت بمراجعة أطباء الاختصاص ، وبحثت عن أشهرهم ، وتكتمت عن الأمر أمام رفيقاتها في الإباحية حتى ماريا . وتساءلت :هل أعديت شهابا وهو لا يشعر به ؟ لم يكن كثير المعاشرة بعد شهور من الزواج ، فمن أجل ذلك كنت أخونه ، وللأسف كلهم مثله ، معاشرة واحدة ، ثم يغرق أحدهم في نومه ؛ كأنه جثة هامدة .. الدكتور قال : مرض مشهور وعلاجه ميسور لكنه سيضعف المتعة بالجنس، فنسأل الله الشفاء.

هو أحد أمراض الجنس المشهورة في كل بلدان العالم ، مرض جرثومي بكتيري ومعدي ، قالت : اذا أعديت شهابا ، سيعدي زوجته ، ستكون فضيحة مدوية !

السيلان له تأثير على الحالب والشرج والحلق وعنق الرحم . وأهم أعراضه عند جنس النساء الإفرازات المهبلية ، ترتفع وتزيد عند التبول ، تشعر المصابة به بألم شديد ، ونزيف مهبلي بين الدورة الشهرية والأخرى ، وبعد الجماع المهبلي ألم في البطن والحوض ؛ لذلك يسبب العقم .

وكذلك يسبب حكة شرجية ، وبقع الدم ، وإفرازات تشبه الصديد والتعب عند قضاء الحاجة والبراز خاصة. وقد يسبب ألما للعين ، والتهابات الحلق والمفاصل .. قالت وهي تقرأ عنه : يا يا أعراض كثيرة ! ينصحون المصاب به بالاتصال بشريك واحد معروف ، عقبت : كم شريك استمتعت معه؟! ومع شريك لا يتصل بأخريات .. أين ستجدين الشريك المخلص؟ والنساء العاهرات مثلك يبحثن عن الزناة في كل مدن ومصانع العالم .. هناك من يمارسن الجنس في المكاتب وأسرة المرضى ، لقد فعلت أنا ذلك. الابتعاد عن الاتصال بأكثر من مجرم وخائن. عليّ بأخذ المضادات الحيوية التي وصفت لي.

لما سألها الطبيب عن شريكها ؛ ليجري له الفحوصات والتحليل.

قالت بوقاحة : أكثر من رجل ، وتركتهم في أوروبا ، وأصبت بأعراضه حقيقة قبل السفر .. فلي عشاق هنا ؛ فكيف سأفاتحهم بقبح فعلتي؟ ومن سيقبل بالاعتراف بأنه نام معي وشاركني السرير يا دكتور ! وأغلبهم أو حتى كلهم متزوجون.

تبسم وقال : مشكلة! ألك زوج ؟

ـ طلقني قبل رحلتي الجنسية لعواصم أوروبية .

ولما لزم الصمت قالت : ولم أهتم بداية بما يحدث ، وكنت أتحمل الألم عند أي جماع مهبلي ، فلما زادت اضطررت للقدوم إليك .

وصف لها الطبيب مضادات حيوية خاصة بالسيلان ، وحذرها من أي جماع قبل الشفاء الكامل ، وزوال أعراض السيلان ، واذا لم تذهب الآلام وألم الحوض تعود لفحوصات جديدة لأنه قد يؤدي لمرض الإيدز ، وبما أنك مطلقة ابتعدي عن الجنس حتى ولو بالألعاب والأدوات الجنسية .. زوجك قبل الطلاق أظهرت عليه أعراض ، فهو مرض معدي ؛ كما هو معروف؟

قالت : لا أذكر .

ـ تحدثي معه ؛ ليفحص احتياطا.

قالت : لا استطيع ، تزوج قبل رحلتي إلى أوروبا .

ـ أعطيني رقمه ، وأتدبر الأمر معه .

قالت : سيشمت بي ؛ لأنه مرات كثيرة حذرني من فتح رجلي لمن هب ودب .

قال بدهشة : يعني يقبل أفعالك !

قالت : لا يقبل حقيقة ؛ لكنه يعرف خيانتي له ؛ لأنه يفعل ذلك يا دكتور !

قال : أنت حرة يا دكتورة جريدة ! أنا اشتريت سيارة من أمك قبل بيع معرضها

قالت : ماتت.

ـ أعلم قرأت نعيها في الصحف يا سيدتي!

قالت : شكرا دكتور باسل .

ـ المرض هذا اذا عولج مبكرا زال من المريض وشفي ، واذا استفحل شكل خطرا عليك ، ويسبب مشاكل في الحلق الملف والمفاصل ويؤدي للعقم وضرب المبيض .

قالت : هل من نصيحة ؟

قال : اذا تعافيت يا صديقي الصغيرة تزوجي شريكا واحدا أفضل ، ولا تستسلمي لشهوات الجسد والإباحية ، واذا تيسر شريك واحد ، فلا يمارس الجنس مع غيرك.

قالت : معادلة صعبة.

قال : هذا ما أنصح به .

قالت : متزوج يا دكتور

قال : لن أتزوج مريضة .. عندي زوجتان أجمل منك!

ـ خفت

قال : لازم أخاف أمراض الجنس .. هناك ما يزيد عن عشرين مرضا نعالجها يا دكتورة .

رنت ماريا على جريدة ، ولما سألتها عن آخر أخبارها ، كشفت ما حاولت تخفيه من تعرضها للسيلان بسبب الممارسات الجنسية المنحرفة ، وأنها تعالجت ، وتأخذ الأدوية الموصوفة لها ، ونصحها الطبيب بإخبار زوجها السابق؛ ليعرض نفسه على الأطباء قبل أن تظهر عليه أعراض المرض ، ويسبب العدوى لزوجته ، فالمرض ينتقل جنسيا ، والمشكلة في رأيها زوجته والطفل اذا حملت ، فالعدوى تصل إليه.

فقالت : تكلمي معه ؛ ليرتاح ضميرك .. متى آخر جماع كان بينكم ؟

قالت : من يوم ما بدأت مشيخته قلّ الاتصال بيننا ؛ ربما حصل مرتين أو ثلاث .. صارت علاقتنا سيئة.

قالت : لابد من تحذيره من باب الاحتياط ، فهذه الأمراض تكمن ، ثم تظهر فجأة .. ولما

يتصدع الرأس يذهب الواحد منا للمسكنات والمضادات الحيوية التي تباع بدون وصفات .

ـ وأنت ماذا فعلت؟

قالت : طردوني من البيت خوفا من العدوى ، قالوا طول عمرك تعيشين وحدك ، لما أصبت بهذا المرض عدت إلينا.. استأجري بيتا وسوف نساعدك في أجرته يخافون أن أعديهم ، فحالتي النفسية سيئة عمري ست وثلاثين سنة يا جريدة .

قالت : ما هو أنت أخبرتيني منذ دخلت كلية الطب وتمتعين جسمك.. عشرون سنة .. عمر يا ماريا !

قالت : غير مقتنعين أن العدوى تنتقل من خلال الاتصال والعلاقة فحسب .. فاضطررت لاستئجار شقة ، ثم فصلني المستشفى ، لما تحقق مرضي ونبذني ، أتقبلين بي؟

قالت : أنا مريضة مثلك ، من الصعب أن تعيشي معي، يكفي ما عشناه معا أيام الفندق والشقة قبل رحلة الشقاء .. هذا ثمن الانفلات ، كما قال الدكتور باسل.

قالت : على كل شكرا، ابقي على اتصال بي ..ألا تقرضينني مالا؟

ـ كم تريدين ؟

قالت : أنت وكرمك.

قالت : اعطني رقم حسابك واسم المصرف ، وسأضع فيه ألف دولار ، وكلما تصرفيها اتصلي بي ، وتابعي العلاج ولا تيأسي .

ـ كريمة وصديقة كريمة!

أغلقت جريدة الهاتف وقالت: دمرنا حياتنا بأيدينا ، حتى لو تزوجت سيصعب عليّ الحمل .. هناك خشية من عواقب السيلان .. شهاب يجب أن يعلم من أجل تلك المرأة من أجل الحمل وسلامة الجنين اذا حملت.

أخذ هذا التفكير منها ثلاثة أيام ، وحسمت القرار ، فاتصلت بشهاب ، وبداية رفض فتح الخط ، ومن كثرة رنها فتحه وقال: أنا شهاب !

قالت : أنا أعرف أنك شهاب .

ـ ماذا تريد المليونيرة ؟

ـ كيف عملك ؟

قال : الحمد لله تمام .. وأنت هل تزوجت أوروبا ؟

قالت مغتاظة : تزوجت كل رجال العالم .. أنا أتصل لأمر خطير ؛ ليس من أجلك من أجل زوجتك الجديدة .. هل تسمع؟

قال قلقا : أسمعك .. ما هو الخطير ؟

قالت : تبين أني أحمل جرثومة السيلان ، وقد يكون قديما ، ولم أحفل به .. فعليك أن تفحص نفسك في عيادة جنسية .. تعمل اختبارات وتحاليل .

قال : متى عرفت ذلك ؟

قالت : وأنا في أوروبا ظهرت أكثر الأعراض ، ولما عدت زرت عيادة الدكتور باسل ..اعتقد بدأ في السعودية ، ثم اختفى أخذت أدوية دون مراجعة المختصين .. استبعدت ذلك.

فور سماع شهاب خبر المرض صعق رعبا ، واشتكى لعارف غدر أخته ؛ لأنه هو الأقرب إليها من جهاد وسالم.

قال عارف : أول مرة أسمع بمرضها هذا ، وهذا يا صديقي شيء ممكن حصوله لكل الزناة الشواذ لا تخف .. اذهب واعمل فحوصات ، وعلاجه سهل وميسور مضادات حيوية يا شهاب ! وأنت طبيب .. واعتقد لو أنك معدي لظهر عليك المرض ؛ لكن افحص ؛ لتطمئن زوجتك حامل.

ـ بعد

قال : خلاص هذا الخطير .. فالطفل لا يحتمل هذا المرض .. أنا جريدة من قبل طلاقكم ، لم أرها ، لما سكنت الفندق كانت ترفض مقابلتي مباشرة ، وتقابلنا لما رحلت للشقة المشتراة ..

كما تعلم شاركتها في المستشفى ، وطالبتها بإعادة حصتي واتفقنا على بيعه ، وعرضته على سامي ابن عمي ونسيبه زوج أخته حسن .. ويأخذ كل واحد ما دفعه .. اذهب إلى الطبيب .. المرض كشف فحشها ، واعترفت بفحشها وزناها ..أنا أضرب على رقمها مائة مرة حتى ترد مرة .. لما رجعت من رحلة الانحلال اتصلت بها ، وأعلمتها بزواجي ، وذكرت أنها مريضة ومنزعجة ، لم تقل ما هو نوع مرضها.

قال: شكرا دكتور ! آسف لإزعاجك.

قال: موفق شهاب، اذا اقتنعت بالعلاج أنا سأتكفل بالأدوية والفحوص من باب الصداقة والأخوة .

ـ أشكرك صديقي ! مستورة يا دكتور ! شهامة أنت أهلها وأقدرها منك .. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

قال : وعليكم السلام .

أغلق الهاتف ، فقالت روز : من ؟

قال : زوج أختي جريدة قبل الطلاق .. أنت لا تعرفين جريدة .. أخبرني أنها مصابة بمرض إباحي ومعدي ؛ وكأنها أشفقت على زوجته فأخبرته بمرضها ؛ ليذهب ويفحص خشية أن تكون نقلت له جرثومة السيلان .

قالت : شفاها الله تعالى ، لماذا تقع الناس والنساء خاصة المتزوجات في هذا الإثم الفظيع؟ !

قال : أنت تعلمت في الجامعة ، ورأيت بنات الجامعة .. بنات مراهقات .. وزواج بعد أربع خمس سبع سنوات .. والزناة موجودون ، والدول العلمانية تشجع ذلك ؛ ربما نحن أرحم مما نسمع ما يفعله النظام العلماني في تونس العربية من تشجيع الفاحشة ، وممارسة الجنس قبل الزواج .. محاربة رهيبة للتدين.. دكاترة الإباحية منتشرون في أغلب الكليات ؛ لترويج الإباحية والجنس الأمن ، كما يفعل الغرب وجمعيات النسوان تعزف على وتر تعدد الأزواج .. فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين .. هذا ثمن الانفلات يا روز ! نزور عصاما ووردة الليلة

لأنقل لهم الخبر ونرى ما نستطيع فعله لمساعدتها اذا سمحت لنا .. إنها مجنونة !

قالت : سمعتك تقول إنه سهل العلاج!

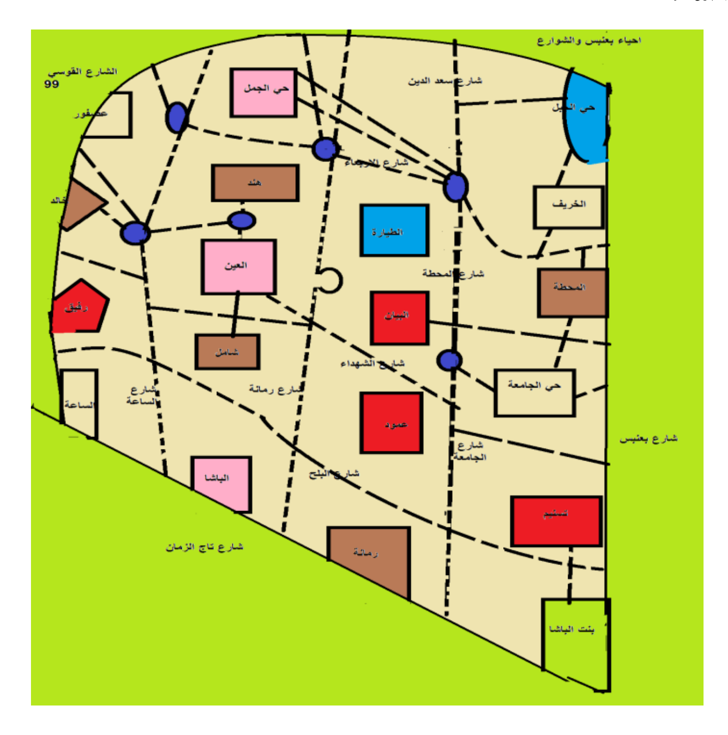
قال : سهل! لأن دواءه متيسر حبوب ومضادات حيوية ، وترك الاتصال والمعاشرة لحد الشفاء ، تمكن العلماء والأطباء من علاجه ، وهو مرض عالمي ؛ إنما الخطير مضاعفاته ، الأخطر منه الإيدز ، له أدوية ؛ لكنها لا تشفيه ، الموت هو الشفاء ومصير حامله، قصرت المدة أو طالت .. هذا لحد الآن لا علاج له ، العلاج يشفي ؛ لكن قد يكمن المرض لحين ؛ ثم يثور كالأنفلونزا ، تذهب ثم ترجع في العام القادم ؛ وربما في نفس الموسم.

قالت : أجهز سلمى لنأخذها معنا أم نتركها.

قال : الأفضل في الليل أن تبقى ، سمعت أن أبا العبد نقل زوجته لمستشفى الولادة قد تلد الليلة أو نهار الغد .

قالت : كان الله في عونها عقبال عندي إن شاء الله!

قال : إن شاء الله .



خبر انتحار

في منتصف ديسمبر كانون أول نشرت صحف الصباح في البلاد الشامخة خبر لفت أنظار القراء والعامة عن انتحار طبيب كبير ، ومشهور أكاديميا في البلاد والأوساط الطبية العالمية ، وهو من كبار المحاضرين والجراحين في جامعة بعنبس الدولية .

الانتحار حادث يومي في أكثر بلدان العالم ، كل نهار يستيقظون على خبر انتحار ؛ لأسباب شتى ؛ وتتصدر روسيا والصين والدول الإسكندنافية دول العالم في أعداد المنتحرين بين مواطنيها بنسبة ١٣ منتحرًا لكل ١٠٠ ألف نسمة ، نشرت منظمة الصحة العالمية تقريرا عن ظاهرة الانتحار حول العالم ، وجاء في التقرير أن شخصا واحدا ينتحر كل ٤٠ ثانية ، أي أكثر من الذين قتلوا في الحروب وعمليات القتل أو سرطان الثدي ، ينتحر مليون إنسان سنويا حول العالم.

لكن الذي أثار الاهتمام بقضية انتحار الجراح ينال روكبس اليوناني الأصل والذي أشهر إسلامه منذ أكثر من عشرين سنة في بلده سالونيك اليونانية ، وتعاقد مع جامعة بعنبس الدولية كمدرس طب ، وطبيب جراحة في مستشفى طب الجامعة وكان متزوجا الدكتورة سلينا انور بلاش عملت في كلية الهندسة في جامعة سالونيك ، فهي آسيوية مسلمة عملت في جامعات اليونان ، وقيل إنها سبب دخوله الإسلام ؛ لأن بلادها تعمل بعدم صحة زواج مسلمة بنصراني ، فأسلم يعني شكلا ، وهي مسلمة شكلا ؛ لكنهم مسلمون.

ولما انتحر ينال كان قد بلغ من العمر عتيا ٦٥ عاما ، والذي شد الشعب للحادث والانتحار ، ليس بأنه مسلم ، والإسلام يحرم قتل النفس ، السبب أن الانتحار حدث عندما كان فريق من رجال بحث الأمن السري في طريقهم للحديث معه ؛ وربما اعتقاله لأسباب مخابراتية ، فلما أخبره الخادم اليوناني بأن رجالا مسلحين يرغبون باللقاء به ، دخل مكتبه في المنزل الخاص به وأغلق الباب على نفسه ، ومن ثم سمع صوت اطلاق الرصاص ، فأدركت سلينا أنور بلاش أن زوجها قتل نفسه ، فسمحت لرجال الأمن بالدخول ، وأشارت إلى المكتب ، فاقتحمه

الرجال عنوة ، فوجدوه ميتا . طوقت سيارات الشرطة والأمن الفيلا ، وحضرت الإسعاف ، والطب الشرعي المنطقة ، وأصبح المكان مسرح جريمة ، ونقلت زوجته سلينا إلى مكان سري. لم يكن في فيلا البرفسور ينال سواه و وزوجته وخادم وخادمة يونانيان .

وأضافت بعض الصحف غير الرسمية أن سبب الانتحار ليس الكبر والمرض ؛ بل اشتباه بعمل تجسسي ، وأن علاقة بينه وبين عميل إسرائيل الذي قتل في غزة وائل زياد على أيدي عناصر المباحث السرية الفلسطينية .

وذكرت بعض الجرائد قد يكون الدكتور من جذور يهودية ، لقد كانت سالونيك مليئة بأبناء الطائفة اليهودية قبل قيام دولة إسرائيل على أرض فلسطين ، فهو يهودي يوناني صهيوني ، فلما عرفت المخابرات تلك العلاقة انتحر خشية التعذيب واكتشاف أسراره ، وما زالت الأجهزة المختصة تبحث عن العملاء في قضية وائل الخائن لعروبته وإسلامه ، وتبين أن الرجل المنتحر له علاقات مع رجال وكبار الدولة بصفته طبيب وجراح كبير في بعنبس. فكثير من علية القوم يتطبّبون عنده ، فمن منهم متعاون معه عن جهل أو تعمد أو مقابل مال ؟ وهل وائل همزة الوصل بينه وبين موساد إسرائيل ينقل لهم المال ؛ كما استغل لنقل المال لعملاء الموساد في غزة؟ فكنت تقرأ في الصحف والمجلات نتفا وأقوالا عن ينال روكبس المتظاهر بالإسلام ، وكشفت أوراقه المصادرة صورة للدكتور نجيب عارف وبعض صور أولاده ، مما زاد الإشاعات والأقاويل حتى أن الأمن زار بيت وردة زيارة خاصة في بيتها وسؤلت عن معرفتها بينال ، فقالت : درسني بعض المواد في الجراحة العامة والدم والجراثيم .

لم تكن علاقتهما سوى معلم وطالبة ، لم يكن هناك لقاءات خاصة ، وقد كان رجلا عجوزا بالنسبة لجيلها ، واكتفت المخابرات بذلك ؛ لأنهم تحروا ذلك من غيرها وفي تلك الفترة ، لم تكن التقت بوائل لقاء شخصيا . وكانت وسائل الاتصال الحديثة تبث القصص والإشاعات ويتناقلها الناس على أنها حقائق ومعلومات صحيحة.

وكانت بعض صحف الأثارة التي تسمى الصحف الصفراء تنشر الإشاعات وخيالات ،

فقيل إنه رأس كبير في شبكة تجسسيه تعمل في البلاد من سنوات ، وقيل إن وائلا هو الزعيم ، والمخابرات الوطنية تعرف الكثير من أعضاء هذه الخلايا ، فشكل مقتل الزعيم وائلا صدفة انقطاع لأعضاء الشبكة .

كان المحامي إبراهيم يقول : كيف أم عبدالله هذا الصباح؟

قال : بخير والفضل لله ! وكملت فحوص الطفل حبيب .. سميناه حبيبا تفاؤلا بالعم الغالي

قال مهران : أصيل يا أبا عبدالله !

قال : أنا تربيت في بيت عمي حبيب أنا وسالم.

ـ نعم العم!

قال : ترك عمي البنات وعارف لأمي .. أبي خرج من بيروت عام ٨٢ بعد انهزام المنظمة الفلسطينية ، واتفاق الخروج إلى سبع دول ، خرج للشام وحضر الخال هاشم وعلي لنقلنا إلى بعنبس وطننا ، و تابع أبي مخطط الهروب ، ومعه أمي إلى قبرص ، ثم ترك أمي بتمثيلية دون علم لها بها ، وهرب إلى كوبا ، والكل اعتقد أنه مات ، ثم كنت أنا ابن أربع أو خمس سنوات ولما استسلمت أمي لضياع أو موت أبي وعادت لبعنبس أصرت على أخذنا الخمسة ، فأخذني العم وسالم ، وتخلى عن عارف التي أصرت الأم على أخذه ووردة ، فتخلى عمي عن جريدة التي ملئت الدنيا صراخا وعويلا ؛ فكانت تربيتها فاشلة وعلى الإلحاد ، وتربية عمي ما ترون القدر ورحمة وفضل الله.

قال : والله معلومات جديدة .. وصور أبيك عند الجاسوس ينال.

قال : الإنسان يا إبراهيم يتذكر .. الصور كلام جرائد.. أبي اختفى قبل وجود ينال في بعنبس

سكت لثوان وقال : كلكم بعون الله مدعون على عقيقة حبيب!

ـ ألف مبارك يا صديقنا !

ـ هل تتابع خبر المنتحر؟

قال : مثله كثير في بلدان العرب ، منذ موت الخائن والأجهزة مشغولة ، لولا أمن غزة لبقي أمره مستورا ، حتى تكتب وتكشف إسرائيل في يوم ما عن قوة جواسيسها وفشل أجهزة العرب عن كشفهم .. حال يرثى لها .. اختراق اختراق

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا ... ويأتيك بالأخبار من لم تزود

قال : أجهزتنا تطارد المصلين ببراعة مشهودة بحجة أنهم إرهابيون.

قد يتنبأ أحدهم أو بعضهم بثورة في كيان وقطر ما ؛ للإطاحة بالزعيم والقائد الملهم والزمرة المعاونة له ؛ لتحقيق العدالة ورفع الظلم ، أما مآلات الثورة فعلمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ، ولا ينسى.

رأينا علما ، وقرأنا كتبا عن ثورات على مسار التاريخ ، ثورات نجحت ، فكتب المنتصرون تاريخها ، وثورات فشلت ، ولم يحقق الثوار مبتغاهم ، فنسيهم التاريخ إلا بإشارات لا تغني ولا تسمن من جوع . وقد تقوم الثورة لطرد المحتل والمستعمر أو ذنبه الذي نسي أخذه معه ، وربما صنعوا بطلا للشعب حتى اذا لم يعد الشعب للنوم جاء المنقذ صاحب التاريخ والسجون ليكمل ما عجز عنه الاستعمار .. تأمل ذلك في بلاد العرب أوطاني .

قامت الثورة الفرنسية أشهر ثورة في القرون الأخيرة ، والأميركية ، والبلشفية والصينية ، وكل الدول نهضت بها ثورات وثورات ، مصر العراق سوريا اليمن ومرات تسمى انقلابات أبيض وأسود. ثورات البلقان وبولندا ، ورومانيا .

عام ٢٠١٠ قامت ثورة في تونس ، بدأت كاحتجاجات على الظلم ، ثم صارت ثورة عصفت بنظام بليد من خمسين سنة ، الزعيم هرب مما فاجأ شعب الثورة نفسه والشعوب العربية ، وسميت الثورات بثورات الربيع العربي مع أنها حدثت في الشتاء كفصل.

صفعت شرطية تونسية شابا في حي بوزيد جنوب تونس في منطقة مهمشة يعمل بياعا على عربة تدفع باليد ، قامت سلطات البلدية بإهانة الشاب الجامعي ابن ست وعشرين سنة ،

المسمى محمد بو العزيزي ، بائع على عربة فواكه وخضار معيل لأسرة كبيرة من تسعة أفراد أحدهم معاق ، ويحمل شهادة جامعية عضته البطالة بنابها بسبب ظلم السلطان والأعوان .



والبيع بواسطة العربات شائع في كل بلدان العربان ، موجود من قدم الزمان والسلطات البلدية شغل مطاردة لهم بحجة عدم الترخيص ، ودفع الإتاوات لأشاوس البلدية من شرطة وموظفين قائم ومعتمد ، وبعضهم يبيع الأطعمة والحلويات عليها والفول المسلوق والحمص المسلوق والذرة المسلوقة والمشوية ، ترغب الناس الفقيرة بالستر ، وعدم السرقة ومد اليد.

ذهب الشاب محمد اليائس إلى البلدية للشكوى على الشرطية التي أهانته قدام الناس واستعادة العربة أداة العمل ، فتعرض الضعيف للطرد والإهانة من جديد ، فخرج من المبنى الأسود ، وحرق نفسه عمدا وقهرا أمام البلدية ، ففزع إليه المشفقون ، ونقل للمستشفى بحروق ؛ ربما من الدرجة الثالثة في تصنيف الحروق .

احتج رفاقه على الظلم الذي لحق برفيقهم الفقير ، وكبرت الاحتجاجات وامتدت إلى العاصمة تونس الخضراء ، لم يستشف خبراء الأمن الكبار في تونس وفرنسا والعالم رياح الثورة والتغيير ، فهو حادث كغيره من آلاف الحوادث ، دخلت نقابات وعمال على خط الثورة والاحتجاج ، كبرت المطالب ، زار الزعيم المحترق أمام عدسات الشاشات والوكالات العالمية ، في الرابع من يناير مات البو عزيري كبر الميدان ، أصبحت كل تونس ثائرة ، أرادت الدولة تقديم آلاف العربات للفقراء والضعفاء لتخفيف الاحتقان والنقمة.

والمزاج الشعبي تغير بسرعة ، وسائل الإعلام لم تعير الحادث اهتماما ؛ لأنه متكرر في كل بلادنا فلماذا تهتم به ؟ سخن الجو سخونة حادة ، فبلغ مطلع العام الجديد ٢٠١١ ، فخرجت

الأحقاد والدفائن على النظام ، خرج طلب العدالة والثأر ، أصبحت مظاهرات تونس وشعاراتها مهمة لرويتر والجزيرة وبي بي سي ، كبرت الشرارة ، فأصبحت جحيما تعصف بتونس والشرق العربي . النار تبدأ بمستصغر الشرر ، عقب سيجارة يحرق غابة ، تكبر وتكبر واحترق الطاغوت ، ولم ينفع شرطي ، ولا جندي ، ولا سلاح ، وانشغل الناس في الثورة ، وأصبحت ثورة ، لم تعد مجرد احتجاجات ، الدول المجاورة أخذت تتفقد أحوالها وفقراءها وأبدانها خشية العدوى ، وانتقال المرض والفيروس الثوري إليها ، وكل رئيس يزعم أن بلاد محصنة ضد العدوى الثورية ، والعدالة متحققة والقضاء مستقل وعادل ، والسجون بيضاء .

طفق تغيير الوجوه في الأمن في الوزراء في قيادة العسكر ؛ لكن خرج المارد من قمقم سليمان ، وفهم الرئيس جاء متأخرا ، واستيقظ بعد سبات عميق وطويل، وسائل الإعلام تنقل الأحداث والتحاليل بقوة ، والشعب يقترب من القصر، الرعب على الحياة والمال ، أوشكت الثورة على النهاية .. تذكروا مذابح الثورات وإعدام رئيس رومانيا مصورا على التلفزيون الرسمي. أرسل زعيم مجاور طائرة لنقل الزعيم إلى مالطة للحياة في فرنسا ، جبنت فرنسا عن تحمله ، تريد إبقاء شعرة معاوية مع الشعب التونسي مع رجالاتها في تونس أين ؟ أين ؟ جدة في السعودية ، استقرت طائرة الهارب جوار مكة بجوار المساجد ، ما حل بجامعة الزيتونة وأخواتها؟ ١٤ يناير انتهى حكم زين تونس ، أصبح ميتا في رعبه في جدة ، يا لها من نهاية مكررة في التاريخ ! تخلت عنه مخابرات فرنسا ، ومخابرات أمريكا وإسرائيل، قبلته دولة اسمها السعودية في جزيرة العرب .. هل اعتبرونه مواطنا أم لاجئا ؟

شطب في منتصف الشهر من التاريخ كزعيم ملهم ، لم تلد الأمهات مثله ، انتهى حكمه عن ولاية تونس بعد ثلاث وعشرين سنة من الشجاعة والبطولة الوهمية . نجحت ثورة تونس في شهر بدا عمرا على شعب تونس الخضراء، انتهت بهرب بن علي.. هرب بن علي! وسقطت النياشين .. لم تحمِ البطل ، لم يرها الثوار! الرعب والخوف من جنود الله ! نصرت بالرعب مسيرة شهر .

النخب استولت على السلطة ، رفعت هامتها ، وهي ترفع شعارات الثورة ، أمسوا ثوارا بالشعارات والتعبير ، باراك أوباما ، ودول العرب صمتت خرست ، على من الدور ؟ النخب تعهدت بسماع صوت الأمة ، صوت الحجاب المحجوب في تونس ، صوت جامع الزيتونة الخالد المغلق في تونس ، سمعت همسات رفع الظلم ، لم يكن للثورة قيادة ورأس واحد ، فقد طار الزعيم بطائرة ليبية ، قيل ثورة خطط لها ؛ ليتزعمها القائد الخفي ؛ لكنها ثورة ، هل تغير نظاما ؟ علم ذلك عند الله ، ثورة عصفت بنظام علماني جلد من خمسين سنة كان يرى محاربة الإسلام بطولة وتقدم ، يسمح بالاختلاط الفاضح ، وإقامة العلاقات الإباحية فضيلة قبل الزواج ، عاد الحجاب لتونس الخضراء ، تململت العروش في كل أفريقيا ، تفاجأ الشعب أنه يستطيع خلع الرئيس ، الشعب يسقط النظام ، ثم تبين " لم يسقط النظام ، سقط الرئيس وحده " . تحرك الشعب ، تحرك اللسان ، الربيع العربي في عام ٢٠١١ في كل الأقطار العربية وبعض بلدان الإسلام ، الكرسي ورثناه كابرا عن كابر ، وصلت الشرارة بعد عشرة أيام مصر.



مصادرة عربة شعبية لبيع الخضار والفواكه غيرت تونس المعاصرة ، أكثر بلدان العرب علمانية منذ استقلت عن الاستعمار الفرنسي الحاقد على الإسلام ، والمستعمر الفرنسي الذي انهزم أمام الجيش النازي بزمن يسير . لقد توطد الإسلام في تونس ، وارتسمت هويتها الإسلامية منذ أربعة عشر قرناً عندما طرقها الفتح الإسلامي الأول سنة ٣٠ للهجرة ، ولن ترضى تونس ولا شعب تونس بغير الإسلام ديناً ، والعربية لغة مهما اجتهد اليساريون في طمس هويتها وتغريبها ، وإلحاقها بركب الغرب النصراني أو البحث والتنقيب عن أصولها الوثنية والنصرانية .



ولقد عبَّر بورقيبة عن ذلك بوضوح في أكثر من مناسبة ؛ حيث قال في لقاء صحفي له مع إحدى الصحف الفرنسية : «إني مدين إلى فرنسا بكل شيء، وأساتذتي الفرنسيون هم الذين يرجع إليهم الفضل فيما بلَغْته، وتعليمهم هو الذي نهلت منه، وهو الذي أمدني بالسلاح الذي اعتمدته في السبيل التي اخترتها لنفسي وفي الطريق التي سلكتها منذ شبابي» .

هذا الإنسان كان مغرما بفرنسا أكثر من الفرنسيين ، هو تعلم المحاماة في عهد الاستعمار ، كان مفتونا بالثورة الفرنسية التي قامت ضد الملكية والنبلاء والكنيسة في القرن الثامن عشر للميلاد ١٧٨٩، وامتدت عشر سنوات .

وكان هذا العلماني مولعا بعلماني تركيا أتاتورك بعد خسارته وحزبه الحرب الكبرى الأولى التي تركت تغيرات كبرى على البلدان العربية المشرقية الأسيوية. أصدر الرجل مجلة الأحوال الشخصية ليغير نظام الأسرة الإسلامي بجهله وغبائه لذلك نزل للشارع بمسرحية ، ونزع

الحجاب بيده ، ومنع لبسه في البلاد عرضا وطولا . كأن الإسلام حجاب فحسب ، دفع بقوة إلى اختلاط الشباب بالفتيات ، فتح لهم المواخير ، دعم البارات بالمعونات ، نشر نوادي الرقص ، وزاد ؛ حيث راقب المصلين في مساجدهم ، بدّل المناهج التعليمية التي هي مناهج فاسدة أصلا ، أباح التبني استدرك على القرآن حقد عجيب على الدين ، ومنع المطلقة من العودة لزوجها بعد طلاقها من الثاني ، شرع الطلاق بإذن القضاء ، سمح للمرأة بالإجهاض دون إذن الزوج ، رفع سن زواج الذكر إلى عشرين ، والبنت سبعة عشر عاما ، والزواج لها من أي دين شاءت . جعل الدعوة للصلاة جريمة ، جمع الجمعة بالعصر لمنع صلاة الجمعة ، تفتح المساجد وقت الصلاة فقط ، إعدام الزوج بقتل زوجته الزانية .

لقد طالت الحرب التي شنها بورقيبة على الهوية الإسلامية لتونس جميع النواحي القضائية والاجتماعية والثقافية والتعليمية والسياسية في المجتمع التونسي؛ في مجلة الأحوال الشخصية المختلقة اشتملت على تحريم تعدد الزوجات ومعاقبة من خالف ذلك بالسجن ، وقد أصدر بورقيبة هذا القانون متذرعاً بحرصه على تحرير المرأة التونسية وردِّ الحقوق إليها وإنصافها من جور الرجل وظلمه ؛ إذ «إن تعدد الزوجات يسيء إلى كرامة المرأة وعنفوانها، ويجعل منها ذليلة لا تهدف إلا إلى إرضاء زوجها خوفاً أن يتحول عنها إلى امرأة أخرى» .. وسمح بالعشيقات والخليلات . لم يغن المرأة التونسية ، ويجد لها سعة في المال .

ومن موبقاته إلغاء المحاكم الشرعية وتوحيد القضاء ، وفي خطاب بورقيبة الشهير الذي ألقاه في مؤتمر المدرسين والمربين ، والذي نال فيه من شخص الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، واتهم فيه القرآن بالتناقض، ودعا فيه إلى تسوية الرجل بالمرأة في الميراث ، وادعى لنفسه فيه حق تبديل أحكام الله وتطويرها بحسب تطور المجتمع ، وتطور مفهوم العدل ونمط الحياة باعتباره من حق الحكام بوصفهم أمراء المسلمين على حد زعمه ؛ ضربه الخرف في كبريات عمره ، وأقيم عليه حجر في بلدته مدة ١٣ حتى هلك عام ٢٠٠٠. يزعمون العلم والمعرفة وأفعالهم تدل على عمق جهلهم ، يحكمون بالشهوات وطاعة الغرب .

أعلنها صراحة أن الإفطار في رمضان من مقتضيات التنمية وزيادة الإنتاج القومي ، وما زاد الإنتاج !حظر لبس الحجاب وارتداء اللباس الشرعي على التلميذات في المعاهد والثانويات والجامعة وعلى الحرائر من النساء في الإدارة العمومية؛ حيث اعتبر الزي الإسلامي زياً طائفياً منافياً لروح العصر وسنَّة التطور السليم.

كما اعتبر سُنَّة إرسال اللحى مظهراً من مظاهر التخلف الذي لا يليق بمظهر المواطن التونسي كما يريده محرر تونس وزعيمها الأوحد . اختار بورقيبة منذ فجر الاستقلال يوم الأحد يوم العطلة الأسبوعية في الدوائر الحكومية؛ بينما اعتبر يوم الجمعة يوم عمل حتى الواحدة ظهراً، وقد شاع لدى شعوب العالم ارتباط يوم عطلة آخر الأسبوع بهوية هذه الشعوب الثقافية والدينية؛ فيوم السبت يوم عطلة لليهود ، ويوم الأحد يوم عطلة للنصارى يمارسون فيه طقوسهم الدينية ويؤمُّون فيه الكنائس ودور العبادة ؛ وكأنما أراد بورقيبة بذلك محق الهوية الإسلامية لتونس وبث روح الانتماء إلى المجتمع الغربي النصراني. استطاع العلماني الجلد بورقيبة أن يربي جيلا كاملاً من حَمَلة الفكر العلماني (اللائكي) وبوَّأهم من تونس مكاناً علياً ؛ فلقد ازدادت الحرب على الهوية الإسلامية لتونس ضراوة في العهد الجديد ، وتعدد رموزها، وتنوعت أشكالها بتحالف التيار الماركسي الشيوعي اليسير العدد مع رموز الحزب البورقيبي الحاكم في مواجهة التيار الإسلامي الصاعد ممثلاً في حركة النهضة التونسية.

في المجال التعليمي والتربوي: بادر بورقيبة منذ أيام الاستقلال الأولى إلى غلق جامع الزيتونة ؛ حيث أغلقت المدارس الثانوية التابعة للزيتونة بأنواعها منذ منتصف الستينيات، وتحولت الجامعة الزيتونية العريقة إلى كلية تابعة لجامعة تونس الحديثة.

كما أرسى سياسة التمييز الثقافي بتهميشه لأصحاب التكوين الثقافي العربي والإسلامي من خريجي الزيتونة والجامعات الإسلامية في المشرق العربي وإقصائهم من الوظائف الكبرى في الدولة، ولقد استمرت سياسة الإقصاء هذه في العهد الجديد عهد زين بحدة أكثر؛ حيث تم تسريح كل من يُشَكُّ في تدينه من الوظيفة العمومية في المواقع الحساسة في الدولة، وشُكِّلت

للكثير منهم محاكم وهمية، وزج بالكثير منهم في غياهب السجون ، ومنعت الفتيات من الالتحاق بالمدارس والمعاهد والجامعات لارتدائهن اللباس الشرعي، بل حُرِمَ بعضهن من الاستشفاء في المستشفيات العامة لتمسكهن برداء الحشمة والحياء ، والتمكين في المجال الثقافي لعناصر التيار الماركسي الإباحي مما شاع معه إنتاج وعرض أفلام خليعة لا تمت إلى الحياء بصلة ، مثل فيلم: «عصفور فوق السطح» الذي عرضت فيه أجساد النساء عاريات بلا حياء، وعرض فيه مؤدب القرآن الكريم في مشهد يدعو إلى السخرية والاستهزاء، كما لا يجوز لأي حزب سياسي أن يستند أساساً في مستوى مبادئه أو أهدافه أو نشاطه أو برامجه على دين أو لغة أو عنصر أو جنس أو جهة ، بينما فتح الباب واسعاً لأصحاب الأفكار اللائكية (العلمانية) والبرامج المستوردة من الشرق الشيوعي والغرب النصراني من الشيوعيين واللادينيين مما مهد لولادة تحالف قوي بين الحزب الحاكم والعناصر الشيوعية المنبثة في مؤسسات الحزب وهيئاته العليا، والحرب مستمرة بلا هوادة وطرفاها : أقلية فرنكفونية علمانية متنفذة تمسك بزمام السلطة ومقدرات الدولة تعضدها العناصر الماركسية اللادينية المتحالفة معها من جهة، والشعب التونسي العربي المسلم ممثلاً في قدامى خريجي الزيتونة وخريجي الجامعات الإسلامية بالمشرق العربي من أصحاب التوجه الوطني العروبي الإسلامي تعضدهم ثلة من شباب الصحوة الإسلامية المباركة في تونس من جهة أخرى ، لقد أيقظت الحروب الأخيرة في أفغانستان والبوسنة والهرسك وكوسوفو والشيشان والاعتداءات الإسرائيلية الأخيرة على المقدسات الإسلامية والشعب الفلسطيني الأعزل ، لقد أيقظت هذه الحروب في الشعوب الإسلامية روح التمسك بدينها وثقافتها وهويتها الإسلامية، كما أن إخفاق التجربة الشيوعية وانكسارها في الوطن الأم روسيا أسقط أسطورة الفكر الماركسي المخلّص للشعوب المضطهدة من نير البورجوازية المستبدة وجور الأنظمة الظالمة، أضف إلى ذلك إخفاق الثورة القومية التي رافقت حرب التحرير في الوطن العربي واعتَلَت سدة الحكم في أغلب البلاد العربية في توفير الأمن والاستقرار والتنمية والعزة والكرامة للشعوب العربية؛ بحيث لم يبق

أمام هذه الشعوب من سبيل سوى العودة إلى دينها والتصالح مع هويتها الإسلامية ، كما لم يبق أمام الحاكمين بأمرهم في بلاد العرب من سبيل سوى سبيل التصالح مع شعوبهم على أساس احترام ثوابت الأمة وحفظ الدين واللغة؛ وهو أمر قد تنبهت إليه العديد من الأنظمة الحاكمة واستجابت له من خلال استيعابها الاتجاهات الإسلامية المعتدلة كما هو الحال في بعض الدول العربية . في زمن الظلام والجنون أصبح وجود المصحف في منزل أي تونسي مثار شبهة قد تؤدي إلى الاعتقال والمحاكمة ، صار الناس خوفا يستبدلون المصاحف وكتب التراث، بقوارير الخمر في رفوف منازلهم وثلاجاهم ، لتأكيد براءتهم من الانتماء للحركة الأصولية النهضة ، ولخداع الأمن السري .

وصار ارتداء الحجاب جريمة يعاقب عليها القانون ، فلا حق للمحجبة العمل ولا التعلم ، بل وصل المنع إلى حد الحرمان حتى من الاستشفاء في المستشفيات ، إذا أصرت الأنثى على حجابها ، ولم تمتثل بخلعه ، تمنع من رؤية وزيارة زوجها أو أبيها أو قريبها المسجون ، ومورست في حق المنتمين للمؤسسة العسكرية والشرطية كل سبل الاختبار والتمحيص من إلزامهم بحضور الحفلات الماجنة الخليعة وصحبة زوجاتهم، وكل من يلحظ عليه امتناع أو امتعاض، فمصيره التعنيف ، ومن ثم الإبعاد ، وكثيراً ما وصل الأمر إلى حد الاعتقال والتعذيب والترهيب. وصار بعض الناس ينتقمون من خصومهم أو منافسيهم بالاتصال بالشرطة، والادعاء أن فلاناً «خوانجي» (عبارة أطلقها الإعلام التونسي والنظام على كل من يتمسك بدينه، ويقصد بها التشويه واللمز) على أنه من جماعة الإخوان ، وهذه تهمة كافية للقذف بالغريم إلى ما وراء الشمس، ولم يشمل التعسف والقمع الأهوج في تلك الحملة الناشطين الإسلاميين وحدهم ؛ فقد طال أقاربهم ومن لهم به صلة رحم أو نسب أو قرابة ؛ فجرى في كثير من الأحيان ، اعتقال الآباء والأمهات والإخوة والأخوات، دون جريمة، إلا أن يكون أحد أفراد العائلة من الدعاة إلى الإسلام ، ووُجهت عائلات كثيرة بالحصار الاقتصادي والاجتماعي في محاولة لممارسة أقصى وأقسى أنواع التضييق عليها، واخترعوا

«خطة تجفيف ينابيع التدين» ، واضعو الخطة هم فلول اليسار من الفرنكفونيين المعادين للعروبة والإسلام الذين هزمتهم الحركة الإسلامية في مختلف النزالات الفكرية والسياسية والاجتماعية بالجامعة والمعاهد والنوادي الثقافية وحتى النقابات العمالية التي تعد من القلاع المحسوبة تقليدياً على اليسار ؛ وذلك خلال فترة وجيزة من الزمن، وللانتقام من هذا الغريم الفكري والحضاري اندمج اليساريون في أجهزة الدولة وفي التجمع الدستوري الديمقراطي الحاكم ، وتترسوا بالأجهزة الأمنية، وقد قامت خطة تجفيف ينابيع التدين على محاربة اللغة العربية والدين، فعمل بكل قوة على نشر اللغة الفرنسية ، في حين تخصص قطاع من السينمائيين التونسيين في تحطيم كل المقدسات الدينية والاجتماعية، وفي ترذيل المؤسسات التي حفظت هوية المجتمع التونسي العربية والإسلامية ، وعلى رأسها مؤسسة العائلة، في مقابل التركيز بشكل مفتعل على الدفاع عن صورة اليهود في تونس، وتسجيل إنجازات لهم ثقافية وفنية وحتى وطنية في تاريخ تونس ، برزت إلى السطح في تونس ظواهر غريبة على المجتمع التونسي، مثل ظاهرة عبدة الشيطان، ونشطت الفرق التنصيرية ونشرت بكل السبل الخرافات والبدع والشعوذة لتلبِّس على الناس أمر دينهم. كما عرفت جامعات تونس مساكن مختلطة بين الطلاب والطالبات، وانتشر الفساد الأخلاقي والمخدرات، وشاعت أمراض نقص المناعة المكتسبة (الإيدز) بينهم .

وقد أقضَّت ظاهرة الإقبال على التدين، وارتياد المساجد من أعداد كبيرة من الشباب اليوم في تونس ، وعودة الحجاب الإسلامي للظهور بقوة رغم كل التضييق على من يرتدينه، أقضَّت مضاجع كل المخططين لسياسة تجفيف ينابيع التدين السيئة الذكر ، التي أريد من خلالها القضاء المبرم على دين الناس وثقافتهم وحضارتهم الأصيلة ، بل أصبحت هذه مظاهر التدين العام للناس من مختلف الأعمار والطبقات من الظواهر الشديدة البروز، بالرغم من كل محاولات لجمها أو مسخها وتشويهها ، فالمساجد أصبحت تعج من جديد بالمصلين، وخصوصاً الشباب منهم في كل مدن البلاد بلا استثناء ، والحجاب صار ظاهرة بارزة على

الرغم مما يمثله من تحدٍّ واضحٍ لقرار السلطة التي تمنع ارتداءه، وتمنع المحجبات من ارتياد المدارس والمعاهد ومختلف الإدارات الحكومية وغيرها، سواء أكان ذلك لغرض التعلم أو العمل أو المراجعة. ورغم أن كثيراً من هؤلاء المتحجبات يلاقين أنواعاً شتى من التضييق، يصل إلى حد الفصل من الوظيفة والمنع من الدراسة، وكتابة التزامات وتعهدات لدى مراكز الشرطة بخلع الحجاب، إضافة للتهديد والوعيد الذي يوجه عادة لأولياء الأمور، إلا أن ذلك زاد إصرار هؤلاء القابضات على دينهن، وعزيمتهن على التمسك به .

تعد تونس البلد الإسلامي الوحيد الذي يتبنى منشوراً رسمياً أي قانوناً ـ المنشور ١٠٨ ـ يمنع ارتداء الحجاب ، وينعته بالزي الطائفي، ويحرم المتحجبة من كل حق مكفول لغيرها كالتعليم والعمل الوظيفي، مما سبب ولا يزال معاناة بالغة لكل متحجبة في البلاد.

تباينت التحليلات حول موجة التدين الكاسحة التي تعم المجتمع التونسي في الفترة الأخيرة؛ ومما زاد في غرابة هذه الظاهرة أن كل المؤشرات المشاهدة كانت تشير إلى انحسار شبه شامل لكل مظاهر التدين بسبب التضييق والمراقبة المستمرة، كما كانت تشير إلى أن المجتمع قادم لا محالة على فترة غير قصيرة من العلمنة الشاملة، إلا أن إرادة الله وأمره الغالب كذب كل هذه التوقعات ، (وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) ، ولم تكن احتجاجات تونس ؛ لتأخذ بعدا خارج البلاد التونسية ؛ بدأت كأي احتجاج يحدث في بلاد الدنيا ، التي تحدث متأثرة بحدث أو لرفع ظلم أو رفع لسعر الخبز والقمح أو سخط ضد قضاء ، ردة فعل بعيدة جدا عن تغيير الحاكم . انتحار شخص أو حرق نفسه ؛ ليس بالأمر والحدث المهم ، وكثير حرق نفسه بعد تونس دون ردة فعل ، فحوادث كثيرة تحدث في الدول الغنية والدول الفقيرة لأسباب كثيرة لا تصنع ثورة ؛ لكن استمرت نشرات الأخبار تتحدث عن اضطرابات واحتجاجات بوزيد في جنوب تونس ، بلدة مهمشة في كل الخدمات من الدولة دون أن ينتبه لها الإعلام العالمي .

عمان

لم يعد التزام جهاد بمكتب شركة إبراهيم ؛ كما كان قديما وسابقا ؛ فهو على وشك الرحيل للأردن ؛ لإكمال الدراسات العليا في القانون ، وسيبدأ بالماجستير الدرجة الثانية حسب الترتيب العلمي والعالمي ، ونظام الماجستير الأردني مثيل الجامعات العالمية في أنحاء العالم ، كل سنة دراسية فصلان ، ويدرسون بطريقتين إما أن يدرس الطالب ساعات البرنامج ورسالة أو ساعات البرنامج وبدلا عن الرسالة تسع ساعات مواد ومحاضرات ، فساعات البرنامج ٣٣ ساعة مع الرسالة ، (وسيمجستر) في القانون العام سنذكر بعض تفاصيله أثناء وجود صديقنا في عمان. ماجستير الرسالة ١٨ ساعة إجبارية و ٦ ساعات اختيارية و ٩ ساعات رسالة.

أخذ يتردد على المكتب بعد ولادة زوجته بصورة متقطعة ، وبغير التزام بالوقت ، دخل جهاد المكتب ظهرا وبرفقته شاب يرتدي بذلة سوداء ؛ كأنه ذاهب لمقابلة أو استلام عمل.

سلم ، وصافح جهاد ورفيقه الدكاترة الثلاثة ، وأشار له جهاد إلى مقعد ، فقعد عليه .

وقال جهاد معرفا : هذا الدكتور إبراهيم ، وهذا الدكتور مهران ، وهذا احمد وهو دكتور وإبراهيم هذا شقيق زوجتي أم عبد الله .. هو مؤسس الشركة والمكتب مع مهران واحمد .. وأنا عملت معهم من سنوات .. وهذا الشاب هو المحامي أسامة زبدي المتخرج من شهور من سكان بعنبس .. إبراهيم دكتور قانون تجاري ومهران جنائي واحمد قانون دستوري وأنت قانون عام .

رحب الرجال ببعضهم ، وأين درس ، وأعزب أم متزوج . وقال : في هذه الغرفة يا أسامة الطابعة ، وقسم الطباعة ، تعمل فيه أم وليد والأنسة المحترمة نهلة محمد ، وهذا الأستاذ عفان أبو خالد خادم المكتب ؛ منذ فتحه الشباب .

تكرر الترحيب والمجاملات ، وقدم أبو خالد القهوة لجهاد وأسامة ، ودارت بينهم استفسارات وأجوبة.

فقال إبراهيم : نحن بحاجة لمحامي متحرك يا أسامة من أجل الذهاب للمحاكم وأخذ مواعيد الجلسات ومتى ؟ وتأجيلها ، وحسب القضية يذهب معك أحدنا أو يكفي ذهابك وحدك ؟ وقد تصحبك الآنسة نهلة للإجراءات .. هذا العمل في البداية .. وجهاد سيرحل إلى عمان لدراسات عليا ، وقبل توقيع عقد العمل بيننا ستقضي أسبوعا تحت التدريب والتجربة .

رد أسامة : جيد يا دكتور ! أنا عملت شهرا في مكتب لسان الحق المعروف في شارع ونش حي الطيارة ، ولما التقيت بالأخ الكبير جهاد نجيب ذكر لي حاجتكم لمحامي متخرج حديثا .

قال : نحن بحاجة إلى اثنين... أنت ، ونحتاج لمحامية ، نرغب بوجود محامية أنثى ، فقد كانت معنا امرأة في الشركة تعينت في جامعة حقوق تاج الزمان .

قال : أختي محامية ؛ ولكنها تعمل في شركة خاصة قسم القانون من سنوات وترغب بترك الشركة بسبب مشاكل إدارية .

قال : من متى متخرجة؟

قال : إنها متخرجة من خمس سنوات تقريبا.

- متزوجة!

قال : متزوجة ، ولديها طفل واحد .

قال : اعرض عليها أمرنا وحاجتنا .

قال : جيد ! متى أبدأ ؟

قال : من الآن .. أسبوع زمان ثم نوقع العقد.

قال مهران بفضول : كيف التقيت جهادا؟

- في الشارع . وضحك

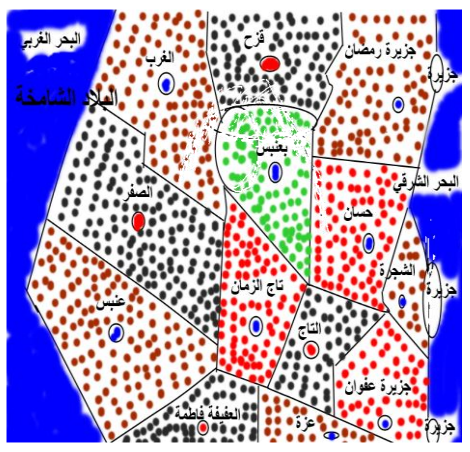
فقال : بجد ، أين التقيتم ؟

قال باسما : في المسجد عند باب المسجد ، كان الأستاذ الفاضل يصلي العصر في مسجد

شارعنا حي العين مسجد أم سلمة زوج النبي ﷺ ، وأنا عرفته عن طريق جمعية الرحمة ، كنت أساعدهم في تقديم المساعدات والأشياء المستعملة على فقراء بعنبس وتاج الزمان وحتى العاصمة .

قال مهران : عندنا فقراء يا جهاد !

قال : كثير .. السكان الأصليون للحي كان أغلبهم أغنياء ؛ لأن الحي نشأ للأغنياء وطبقة الأرستقراطيين الذين نزحوا من تاج الزمان ، فهو قد كان جزءا من تاج الزمان ، ناس ظلت أغنياء، وناس صارت فقراء ، وكبر المكان حتى صار مقاطعة من عشرين حيا ؛ الفقراء عائلات تغير حالها من الغنى للفقر ، ورثوا بيوت الآباء والأجداد أو عمال وخدم في بيوت الأغنياء ، ولا حي يخلو من الفقراء ولا في اليابان .. الفقير حسب أغنياء بلده.. ناس كدهم المرض والعجز والشيخوخة والإعاقة .



استأذنت وردة فترة الغداء وقالت لشريكتها الدكتورة ثروت حسيب ونوال : اتصلت جريدة شقيقتي ترغب بمقابلتي فاسمحن لي بذلك.

قالت ثروت : سلمي على الدكتورة .. هل أكملت الاختصاص ؟

قالت: سعت أثناء عملها في السعودية للتخصص في الطب الباطني ، ولم تكمل فعادت ، وأنهت عقدها.

قالت نوال : بلغيها تحياتي وسلامي .

ضغطت جرس الشقة ، ففتحت جريدة الباب ، وهي بملابس النوم والسيجارة في فمها ، ورائحة الدخان تملأ فضاء المدخل ، ورأت زجاجات الخمر وعلبه المعدنية مبعثرة في وسط الغرفة ، بعضها على الأرض ، وبعضها فوق منضدة دائرية ، تلقائيا بعد المصافحة ، وضعت كفها على أنفها ، وتأففت و هي تقول : كيف تعشين مع هذه الرائحة والقذارة ؟ دخان .. بزر مزبلة .. جو يشيع الكآبة ، رائحة الدخان مرض وقاتلة .. أعقاب السجاير تملأ الأرضية .

قالت: رحم الله أيام زمان!

صاحت محتجة على المقارنة: كنت أرمي أعقاب السجاير على الأرض .. هذا مكان قذر .. كل الناس تمرض .. الحمد لله على السلامة.

قالت: طيب ..تعالي .. هذه غرفة مغلقة .. لا أستخدمها .. نجلس نتحدث فيها بدلا من أن يبقى المنديل على خرطومك.

بحثت عن مفتاحها ، وفتحت به الغرفة ، وجلستا فقالت وردة : هذا التراب والغبار يملأ مقاعدها .. استأجري خادمة .. نحن نجلس على التراب .. عجلي بما تريدين .. مكان يسبب الأمراض .. مكان قذر !

صاحت : فيما بعد نتكلم .

خرجت وردة ساخطة على صراخها في وجهها وقالت: أفضل من البقاء في مزبلة.

صاحت جريدة : لما أحتاجك أتصل بك . وخبطت الباب خلفها بشدة : مع السلامة.

لم ترد ، وما صدقت أن وصلت للعيادة ؛ لتسرع إلى المغسلة، وتغسل وجهها وتستنشق ، وتغسل أنفها وفمها حتى أن نوال قالت: رائحة الدخان ؛ كأنها عالقة بثيابك !

قالت: كنت في ضباب من الدخان .. أين ثروت ؟

قالت: في المطعم .. هل أطلب لك شيئا ؟ تسليكة.

قالت: الأسرة تنتظر عصام جوهر محمد مي.

ـ متى يشرفون العيادة ؟

قالت: عند العام يا نوال .. ثلاثة شهور يكتمل العام.

جاءت ثروت ، وبيدها كوب من القهوة ، وقالت: مرحبا وردة عدت سريعا! ألم تجديها ؟

تنهدت بصوت عال وقالت: وجدتها ! والبيت مليء بالدخان ..قولي ؛ كأن عشرة يحششون معها .. وزجاجات الخمر تملأ المكان ..مزبلة .. يجوز أن تكون المزبلة أنظف .. لم أحتمل .. وها هو ريح الدخان عالق بثيابي؛ كما تشم نوال .. أين المراجعات يا نوال؟

قالت: ستحضر بعد قليل ثلاث نسوة حسب المواعيد المتفق عليها .. فهن عاملات في المصنع المتعاقد معنا للإشراف على نساء المصنع.

قالت ثروت : اذا تحبين الانصراف توكلي على الله .

قالت : إنهن ثلاث .

قالت نوال : سيأتين بوقت متفاوت .

قالت: أشكركم حقيقة .. الرائحة أرهقتني أنا بحاجة لحمام وتطهير ؛ لعل هذه الرائحة التي علقت بي تختفي .. وهذه الثياب تحتاج لكوا وغسيل .

انتقلت ملكية المبنى الذي شيدته جريدة وعارف في حي الجبل المكون من ثلاثة طوابق فوق الأرض ، واثنين تحت الأرض مواقف سيارات إلى سامي وحسن وشركائهم ؛ ليتحول إلى المؤسسة الطبية الكبرى ، أجريت عليه تعديلات ، فالطابق الأرضي سيكون فيه صيدلية ضخمة ، ومستودع أدوية ، وعيادات تؤجر ، وقسم مختبر طبي لفحص البول والدم والحمل وأمراض أخرى ، وقسم لطب الأعشاب الطب البديل والطب الصيني والهندي ، ويستقبل المستودع أدوية أغلبها أوروبية وتركية ، والقليل محلي لوجود صيدليات أخرى يملكونها في بعنبس وتاج الزمان وعنبس العاصمة ، وستباع الكريمات والأدهان الطبية بأشكال كثيرة ، ومعاجين أسنان وغيرها ، وعطور خاصة بالمرضى والموتى ومكتب المدير العام للمؤسسة في نفس الطابق ، الدكتور عارف نجيب ومساعدوه ، والطابق الأول للملابس الطبية والأحذية

الطبية والرياضية والمشدات للقدم والركب والرقبة والصدر وثياب الأطباء والممرضين .
والثاني أجهزة التصوير وما يلزمها ، وأسرة المرضى والمستشفيات وأجهزة التنفس والأكسجين ومقاعد قضاء الحاجة للمرضى وغير ذلك ، وكل قسم له مدير ومشرف وإدارة ومحاسبة وموظفين وعمال ، والثالث أدوات المختبرات الطبية والمدارس والجامعات وكليات الطب ، وتم استئجار مخازن في عدة شوارع لاستيعاب أغراض كل قسم ، وتم استئجار مخازن يملكها سامي وحسن في مدينة تاج الزمان .
وسيشرف مكتب إبراهيم على العقود والقضايا القانونية للمؤسسة وعقود الشراء والبيع والاستيراد ، وسيتم إنشاء مكتب محاماة تابع لهم داخل المؤسسة .
بدأت المؤسسة نشاطها للجمهور مع مطلع السنة ٢٠١١. كان سامي بواسطة عارف دفع لجريدة كل قرش تكلفته دون أن تخسر فلسا واحدا ؛ بل عرض عليها عارف الشراكة معهم ، فاعتذرت . فكانت هذه المؤسسة الطبية الكبرى ملك سامي وحسن وعصام وورده ونوار وكبيرهم حبيب وجهاد وسالم وأعطت وردة سهما لكل من جوهر ومحمد ومي وعلى رأسها عارف مديرا عاما له راتب غير أسهمه . وعين الدكتور عبد القادر جمال مساعدا أول ويحمل دكتوراه إدارة مالية من بريطانيا ، وسليم ناصر مساعدا ثاني دكتوراه إدارة ، وروحي فلفل مساعدا ثالث وسيكون عدد كبيرا من الموظفين والعاملين في أقسام وفروع المؤسسة التي انطلق عملها رويدا رويدا مطلع العام ، ولكل قسم مدير خاص ، وهناك مدير عام للمخازن في بعنبس وتاج الزمان . فبدأت البضاعة تأتي للمؤسسة ، والتعيين تحت التجريب على أن يكتمل عملها خلال العام الذي حل عليهم .
رحبت وردة بعارف وروز في بيتها رغم البرد الشديد ، وتساقط الثلوج في بعض الأماكن من البلاد ، والمطر في غيرها ، انتقلوا للجلوس في غرفة أصغر من الصالة ؛ ليكون الدفء أكثر لصغر الغرفة ، فأجهزة التكييف اليوم تعمل على نظامين تبريد صيفا وتدفئة شتاء.
ذهبت سلمى لغرفة جوهر حيث الألعاب الإلكترونية على الحاسوب ،ولما تبادلوا أخبارهم .

قالت وردة وهي تبتسم : عام جديد يا عارف هل احتفلت بأول السنة؟

ضحكوا على غمز وردة ، وقال عارف بهدوء : أولا روز حامل.

هاج عصام ووردة ، وارتفعت التبريكات والمشاعر ، وقال عارف : قبل أي سؤال المولود سميته محمدا صلوا على محمد ﷺ .

صلى عصام ووردة على النبي ﷺ ، قال عصام : مبارك يا أبا محمد ! متكتمون على الخير.

قال عارف : أعتقد أنها حملت من أول ليلة .

فغمرهم الضحك والابتسامة ، قالت وردة : حبيبتي روز ألف مبارك ! خبرت أمك .

هزّت رأسها بنعم ، وقالت : أمي شيء كبير في قلبي يا دكتورة ! مات أبي ـ رحمه الله ـ وأنا بنت خمس عشرة سنة قبل ثمان سنين من زواجي عارف.

قال عارف : مات أو اختفى أبي وعمري ثمان سنين ، المؤسسة باشرنا العمل فيها بشكل رسمي ، فقد تم تجهيز الكثير من بضاعتها ، كانت فكرة رهيبة من سامي وحسن حقا ! رجال أعمال وسوق بحق !

قال عصام : ما شاء الله ! لا تكاد تحصي أعمالهم وشركاتهم بفضل الله .. سامي مثل أبيه مشاريع مشاريع ..شعارهم : ناس تعمل ،وعائلات وأسر تستفيد حتى لو خسر المشروع .

قال : بارك الله لهم ! حقيقة لما اقتربت منهم ضعت .. زكاة يخرجون كثيرا من الملايين .

قال عصام ضاحكا : كنت في أول حياتنا يا وردة ! أقول لنفسي ولهم لماذا كل هذه الصدقات؟ عمل عمل من أجل الفقراء والأرامل ، فيضحك أبي ويقول : أنت لا تعرف يا عصام الإحسان ، ودعاء الأرملة المحتاجة لتطعم أطفالها ؛ لأنك غارق في الشهوات .. واليد العليا خير من السفلى .

قالت: عمي حكيم يا عارف ! كيف أنت وعمي يا روز ؟

قالت: الله يحفظه ، لم أخالطه كثيرا ؛ ولكنّ عارفا غارق بحبه ، والثناء عليه ، فعداني ، ونعم العدوى ، وكيف غير حياته من الحياة من أجل الحياة إلى الآخرة ؟ وهذه المؤسسة تدل على

عظم أفكارهم وخيالهم .

شكرها عصام ووردة وقالت وردة : نعم ، أوحى بها لسامي وحسن من أجلك يا عارف .

قال : صحيح علمت هذا . قال لي : عارف لا يحتاج لمال ، يحتاج لشيء يشغله كباقي الناس أنا سعيد بوالدك يا عصام .. وأما رأس السنة فقد حذف من القاموس ـ رحم الله أمي ـ كانت تنتظره بشوق وحنين ؛ كما كانت تنتظر نجيبا .. كان أهم عندها من أعياد الوطن والأعياد الدينية .. ونحن تبعا لها .. ماذا ترانا نفعل ؟ سكر سكر ؛ كأننا باقي السنة لا نسكر .. حمق وغباء ، حتى بلص جن واحتفل به في بيتها .

قال عصام : الحمد الذي هدانا ولطف بنا يا دكتور عارف! كنا نهتم بالكريسمس ورأس السنة اهتماما أهم من عيد الفطر والأضحى ، وأتعجب من همة والدي لشراء خرفان العيد ؛ لتوزيعها على الأقارب والفقراء.

قالت وردة : الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات .

الجمعة ١٤ يناير العام الجديد حدث الذي كان غير متوقع هرب ابن علي عن عرشه في تونس نفد بجلده ، صارت ثورة ، وانتصر الشعب ، الشعب صنع الانقلاب .

خرج سالم وجهاد من الجامع بعدما أديا صلاة الجمعة ، فقال جهاد قبل أن يجلس بجوار شقيقه حيث أتيا سوية : تونس الثورة محتدمة ، وبعض المحطات الفضائية تشير أن الرئيس يبحث عن منفى ، ولم يعد يسيطر على الوضع رغم ما غير من وزراء وقادة شرطة وجيش ، والأخير رفض الاشتباك مع الشعب .

قال : أمس أذاعت قناة الجزيرة القطرية أن الأيام المقبلة ستغير وجه تونس .

قال جهاد : حتى خطيبنا اليوم يثني على الشعب التونسي والثوار خاصة ؛ تقول من حماسه كأنه تونسي متحمس جدا!

قال : الشيخ حسني من جماعة الإخوان ، وحركة النهضة التونسية فرع من الجمعية ومنغمسة

في الحراك الشعبي بقوة ، وقد فعل فيهم بورقيبة وابن علي الفظائع ، وها هو راح ، وهم بقوا ؛ كما فعل ناصر ، فذهب ناصر وبقي ذكر سيد والإخوان .. الطغاة مستعدون للتعايش مع كل الفرق الضالة إلا فرق الإسلام .. فالنهضة التونسية غارقة بالثورة بكل عزم .. متى ستسافر؟

قال : خلال الأسبوع قبل الجمعة القادمة ، لقد أمن لي محسن شقة في أحياء عمان الغربية كما يقول ، واتفق مع معرض سيارات على شراء سيارة حديثة.

قال : نتمنى لك التوفيق والسلامة والعودة بالشهادات العليا.

قال : بارك الله فيك ! أسامة ابن شارع حي العين ؛ حيث يسكن شقيقنا عارف سيتسلم مكتبي أو الكرسي ، وانتقلت أخته للعمل في مكتب إبراهيم .

قال : امرأة في المكتب !

قال : لها مكتب خاص ، كانت تشغله دكتورة قانون ، ورحلت للتدريس في كلية قانون بعنبس ثم تاج .. أنت تعرفه ؛ لأنه دائما يقول سلم على المهندس سالم.

قال : أذكره ، هو متعاون مع جمعية الرحمة.

قال : وامرأة عارف حامل .

قال : صحيح!

قال : هذا الخبر من وردة، صرح لهم بذلك في آخر زيارة لهم ، وسيسميه محمدا.

قال : صلى الله عليه وسلم، ما شاء الله ! الله يدخلنا الجنة بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم.

قال جهاد : أمين ! كلفت إبراهيم بتفقد أخواته يوميا عندما تكون مسافرا ، وأخبر عيلتك أن تتصل به فور سفرك ؛ ليأخذ باله منهم .. ورندا احتمال رحيلها معي مع الفصل الثاني .

ـ والعمل.

قال : ستأخذ إجازة من شريكاتها .

قال : اذا أحبت العمل هناك ؛ فلن تعدم ذلك .. أنا زرت عمان مرتين .

قال : امتلكت رقما دوليا لاستخدامه من عمان.

قال : اليوم نفس شركتك المتعاقد معها تحول خطك لدولي أو تزيد ثمن المكالمات .

قال : كنا نفعل ذلك في رحلات العمرة ؛ لكن الخط الدولي سيكون للمقربين.. أنت تعرف خطي المحلي عشرات الأرقام في محفظته .. فترة اعتزال ، ولما أرجع أعيد تفعليه، وسيسافر معي قد أحتاج لرقم شخص .. لن أنقطع عن العالم كليا .

****

أخبر عارف أخته وردة بأن جريدة تقبع في مستشفى نور ؛ حيث اتصلت به من هناك فصدرها يتألم بشدة من الأنفلونزا والرشح ، وطلبت مجيئه.

قالت : اسمع أبا محمد قبل أسبوعين اتصلت بي من شقتها أن أمر عليها ؛ فتركت العيادة وزرتها .. بيتها مقرف ، مزبلة البلدية .. غيوم من التبغ.. البلاط مبعثرة عليه زجاجات المنكر .. تقول بار أو حانة في البيت .. وأعقاب التبغ على البلاط مزبلة بدون مبالغة .. ذهبنا لغرفة مغلقة جلسنا على التراب يا أخي .. قلت نظفي بيتك استأجري شغالة .. طردتني من البيت ، ولم أعرف ما الذي تريده ..عدت للعيادة والدخان عالق على ثيابي .. اضطررت للاعتذار والعودة للدار للاستحمام .. فعذرا يا حبيبي ! اذهب وحدك وانظر الوضع وخبرني آسف عارف.

قال متحزّنا : فهمت ، لا حول ولا قوة إلا بالله ، سأذهب لمستشفى النور ، وأرى الطفلة للأسف ، لم تكف عن السفه رغم ما حل بها من سيلان ، فرفيقتها في السياحة الجنسية كما أسميها انتحرت .. ماريا تبين وهي في آخر أيام الرحلة أنها مصابة بالإيدز مرض الانحراف والشذوذ .. انتحرت لم تتحمل مرضها اللعين فألقت نفسها عن سطح العمارة ، ووقعت على الشارع ، فهلكت فورا .. ودفع أهلها لشركة الدفن ليدفنوها .. فسأقنعها بعد الشفاء من نزلة البرد والمرض بمراجعة الطب النفسي .. قبل مرضها هذا قلت تزوجي ولو أرمل واتركي الهبل .

قالت : ما كان الرد ؟

قال: لا تتدخل في حياتي، أنا أعرف بها منك ..فشتمتها وأغلقت الهاتف حتى اتصلت وأعلمتني بحالها ، ودعتني للمرور عليها ..مخبولة لا تعي ما تفعل أو تتحامق .. طلقت الرجل وراحت أوروبا تتهمّل ..وعادت مريضة بالسيلان ، ولما خف أو زال عادت ترود نوادي الإباحية وحانات الهبل .

قالت بعطف وشفقة : أصلحها الله ! طمنّي عليها يا أخي الغالي ؛ فإذا الوضع يحتاج لزيارة سأفعل ؛ لتعلم أني لا أحقد عليها ، ولا أكرهها .

قال معللا : فقدت توازنها منذ عادت من السعودية ، لما سرنا لبيت أبي جميل لخطبة ابنته جنّت كيف تتزوج امرأة معلمة وأنت الطبيب ؟ وأنت ... وأنت ... حتى حيرتني وصدقت أنها ستزوجني من طبيبة ؛ كأنها هي التي ستتزوج .. مع السلامة ، سأخبرك بما يحدث .

قالت : سلم حبيبي.. هي بلا عمل !

قال : هي بلا عمل .. رحلة أوروبا كانت على نفقتها ..هي من أنفقت على ماريا رفيقة السياحة وعلاجها .. كانت تدفعه عنها ، وحتى شقة ماريا بعد تخلي أهلها عنها ، كانت تدفعه جريدة.

قالت : صدقة عنها.

قال: الله يتقبل .

كانت جريدة تستند على وسادة المستشفى لما دخل الأخ الأكبر عليها ، فمدت يدها لتصافحه فغض يده وقال : مرحبا جريدة أم ... عفوا لم تتحصلي على هذا اللقب .. كيف حالك ؟

قالت : تعيسة .. تعيسة ! جلس على كرسي قرب السرير كانت وحيدة في الغرفة .

قال: لماذا أنت تعيسة ؟! حزينة على ماريا لما علمت بانتحارها .. عاهرة وهلكت حتى أهلها كلفوا شركة الموتى بدفنها ، ولم يشاركوا في التشييع ؛ كما كتبت بعض الصحف ، في البداية ظنوا أن أهلها لم يشاركوا لأنها انتحرت ، ثم تبين عدم المشاركة لأنها مصابة بالإيدز ، وهو دافعها للموت ، وقد تخلى عنها كل الصحاب والعشاق .. في النهاية تخلت عن رحلة العلاج

وانتحرت .

قالت وهي تبكي : اتصلت بي قبل النهاية ، قلت لها : لا تفعلي كل مصاريف حياتك عليّ .. تعبت يا عارف! لا أحد يساعدها ويشتري لها الحاجات ، تخلوا عنها أنا تعيسة منك ومن أختي الكبيرة .

قال مستفزا : وسالم وجهاد!

قالت باحتقار : من ؟ من هؤلاء؟!

ضحك قائلا : في سجل النفوس والأحوال المدنية أخوة لك ، وأصبحوا شركاء لي في مستشفى الأحلام .

قالت بحنق : تسخر من أحلامي .. ما أخبار المؤسسة ؟

قال: الحمد لله .. بدأت تعمل بنشاط .. وأنا مديرها العام !

عادت تقول : أنت وأختك سبب تعاستي يا مدير المؤسسة العام !

قال: وردة تسلم عليك ، وتتمنى شفائك من الأسقام ، تقول لو تعقلين قليلا حتى تسعى في الستر عليك من عريس محترم .

قالت ساخرة : عريس! العرسان ملقون في الشارع .. لماذا أتزوج وأنا لا أصلح ؛ لأن أكون أما يا أم ... ؟!

ـ أنت تعيسة مني ، ومن حبيبتي وردة!

قالت : حبيبتك وردة.. وأنا !

قال باسما : وأنت ! نحن الله جعلنا أخوة ورحم .. وهذا اختيار الله يا حبيبة عارف .. صدقي كلنا نحبك .. نحن نبغض تصرفاتك الحمقاء .. روز ذات مرة تسأل لماذا المرأة تزني خاصة اذا كانت ذا بعل ؟ فعلا لماذا سقطت ميرا في الخيانة ؟! أمن أجل النوم خمس دقائق في حضن رجل خائن ؟! وهل التنقل بين الرجال والرجل بين النساء بطولة ؟! ها هي ماريا عشيقتك المفضلة لم تحتمل نتيجة الخيانة !

صاحت بتأفف : لا أحب أن أسمع هذا الكلام !

قال متعمدا التهكم : أين ؟ إلى أوروبا سياحة جنسية ؛ كما سميتها .. نحن قلنا لك خوني شهابا!

احتجت قائلة : هو خانني ، قبل أن أخونه.

قال: ليس المهم البادي .. نحن سببنا لك السيلان وغيره.. خلاص توبي تعلمي من وردة ، لم تستسلم لإبليس ، يغلط الواحد ، ثم يصحو .. أنت الحمقى .. ها أنا كنت أكبر سكير في العائلة .. ببضع كلمات من عمي فكرت ، واستيقظت وأصبحت من خامل وكسول إلى مدير وأنت تغيري ، وأستطيع تسليمك عملا في المؤسسة تظهرين مواهبك فيه .. أي مواهب في مضاجعتك الرجال والنساء؟

ـ عمرك زنيت!

صرخ محتجا : أزني ! أنا أيام الهبل والسكر ، كنت أخجل من خلع سروالي في بار وملهى وبيت خائنة.

قالت : لا أصدق!

قال : ليس بالضرورة أن تصدقي .. أختك الشريفة بسنوات قليلة صارت قدوة للتائبات من تأثير الإباحية والحرية الجنسية .. والناس تحبها وتقدرها ؛ لأنها خلعت ثوب الرذيلة وإبليس .

قالت : شكلك بتحب إبليس .

قال : على المرء أن يتحمل نتائج أخطائه .

قالت : أنا اتصلت بك حتى تسمعني كل هذا الهبل .. كلام وردة.

قال: هذا كلامي يا جريدة ! أنا أيام ما كنت مثلك شريبا ومدخنا ، والله ما ضاجعت امرأة غير ميرا ، ومع ذلك خانتي مع عديلي ، الذي هرب من البلد بعدما تم فضحه في الجرائد ، حتى الواحدة ولو لم تلد تتزوج.. أمك لما تزوجت بلصا تعرفين لماذا ؟حفاظا على سمعتها وشرفها حسب قانونها ، حتى اذا اختلت بتاجر أو زبون ، لا يتهمها الناس بالفاحشة .. بلص

غير قادر على الجماع نظر ومداعبة وشم .. فالزواج سمعة ، وخلال شهور ـ إن شاء الله ـ سأرى محمدا .. روز عمرها أقل من خمس وعشرين .. ودرست في الجامعة وعمرها ما صاحبت شابا ، ولو في الجامعة .. مع أنها بنت أرملة .. التربية جيدة .

فترة صمت ثم قالت : سميته محمدا قبل أن يخرج من المعتقل.

قال: معتقل محفوظ من الله .. هو في قرار مكين لا أحفظه أنا أو روز أو أنت .. الله الحافظ .. هذا معتقل رباني .. بعد هذه النكبات والإنذارات عليك بالصحيان أنت تنحدرين للأسفل .

قالت : ما أخبار وردة أختك؟

تبسم وقال : لولا حبي لك ما تفوهت بكل ما سمعتيه .. تسلم عليك وتحبك.

قالت : وأنا أحبها وأعزها ؛ لكنها تتعامل معي ؛كأنني طفلة .

قال بحنق : أنت طفلة بالنسبة لها ، ووردة تحترم الآخرين ، ولم أرها متعالية ، تخاطبنا بلطف وحب حتى قبل أن أستيقظ من نوم الجهل.. إنها تتكلم عن تجربة عاشتها فهي عادت لعصام وهو المسكين لا يستطيع معاشرة امرأة اعتبرت نفسها كعمتنا فاطمة الأرملة الصغيرة .

قالت : لم يشف عصام.

قال : سيشفى بإذن الله ، هناك تحسن في بدنه ؛ لكنه صابر محتسب ، وحتى لو تحسن لا يعود الإنسان مثل أيام الشباب.. النساء بعد الخمسين والأربعين يصبحن عاجزات عن الحبل .. وتموت هرمونان الطمث .. وقد تعيش الواحدة خمسين سنة أخرى بدون الحاجة لجماع ومعاشرة .. ووردة تدعو لك بالشفاء .. كيف العلاج؟

قالت : الدكتور يقول ستتعافى القصبات الهوائية ويضعف الالتهاب الرئوي ويخف ألم الصدر .. هذا كلام الأطباء .

قال: الطبيب ليس حمارا وأنت الطبيبة ، لما ترجعي اتصلي بشركة تنظيف المنازل والشقق .. فبيتك الملوث هو سبب مرضك هذا .. وتعاقدي مع خادمة نهارية لتنظف البيت وراءك ووراء شلتك القذرة .. تقدم الشركات خدماتها يوميا أسبوعيا شهريا .

قالت : والله فكرة غابت عن ذهني!

قال : لم تغب، أنت تغافلت عنها ؛ لأنك تحبين القذارة ورائحتها .. تحبين سمها .

قالت بلين : ما أقساك ! أين الحنان على أختك الصغيرة ؟ هؤلاء الرفاق يشربون ويسكرون لتسليتي حتى لا أبقى وحيدة تحت وطأة السيلان والوحدة ، ونلعب الشدة عن بعض المال نتسلى.. وللأسف يلقون أوساخهم على البلاط ، لا يشمون يريدون أن أنظف خلفهم ، كانت سجادة في الصالة خمّجت من بقايا السكر وقشر البزر ، فطلبت من بواب العمارة التخلص منها.

- تزوجي

قالت : من يتزوج عاقرا ومريضة ؟!

قال: أخلصي النية مع الله ، ستجدين ابن الحلال ، كما هناك نساء عواقر فهناك رجال عواقر .. كان لي صديق متزوجا من بنت الناس ، خلف منها ثلاثة أو أربعة طلقها يا سيدة جريدة ! وتزوج امرأة لا تلد من أجل رعاية الأطفال، وتحقيق رغبته ورغبتها .. تزوجي يا بنت الحلال.

قالت : بنت الحلال ! هل أنا بنت حلال !

قال: تبقين بنت حرام !

قالت : الله اعلم!

قال: أمك مرات ومرات سمعناها تتكلم بأنها لم تنم في حجر رجل سوى نجيب ثم بلص رغم إلحادها .

قالت : وأبي!

قال : لا نعرفه جيدا ، لما اختفى كنا صغارا.

قالت : الأفضل أن أتعاقد مع شغالة .

قال: ألا تخشين عليها من زبائنك ؟

قالت : لا ، البيت للشراب فقط والقمار ، منذ ظهر المرض ابتعدت عن الجنس ، وهم يعلمون بمرضي ، ويخافون انتقال العدوى حتى لو أنني تعافيت.

قال: ما أحلى العفة والطهارة ! لما اتصلت ؟

قالت : فقط لأراك ، وأرى أحدا من أهلي يدخل عليّ المستشفى يطمئن .

قال: أنا مستعد أن أسمح لك بالعيش معنا اذا تحسن سلوكك ، وسنجد لك الحبيب المناسب.

قالت : صعب يا عارف ! أنا بحبك وبحب وردة وجوهر .

قال: على ذكر جوهر .. هل تعلمين هذه العروس زوجّنيها جوهر؟

قالت : جوهر بعرف النسوان!

روى القصة فعجبت منها ، فقالت: حبيبي جوهر ،كم أنا مشتاقة له يا عارف!

****

ركب جهاد بجوار سالم متجهين للمطار الكبير في عنبس ؛ ليسافر جهاد باتجاه عمان لدارسة الماجستير ؛ وذلك مساء الخميس ، وفي صباح الجمعة كان المهندس محسن سعيد في استقباله في مطار الأردن الدولي ؛ حيث رحل والده ابن بعنبس للعمل في الأردن من عهد ليس بالقريب ، ويستقر فيها ، قبل ولادة محسن بسنتين أو ثلاث .

التقيا في المطار وتعانقا ، وركب بسيارة المهندس نحو غرب عمان في إحدى الضواحي من ضواحي الأثرياء والطبقة الثرية ، كانت الشقة في الطابق السابع ، ركبا المصعد فحملهما إلى الشقة ، وأكلا ما أحضره محسن ، وسلمه المفاتيح ، واتفقا على اللقاء صباح السبت .

صباح السبت فتح جهاد لمحسن ؛ حيث جلب معه الطعام الشهير في بلدان العرب الحمص والفول والفلافل . وأحضر معه معلبات خضار ولحم وجبنة وخبز ، وأخذا بالمضغ وشرب الشاي الذي أعده جهاد .

وقال محسن: في مطعم في الشارع العام ، قريب من العمارة ومخبز ومغسلة وكوّى ، وبقالات ..

وسآخذك في جولة قبل أن نذهب لمعرض وبيع السيارات ؛ لترى سيارتك.

قال: أشكرك أيها الصديق ؟ودفع إليه مغلفا . قال : فيه عشرة آلاف ؛ لتسديد ثمن الأثاث والأشياء الأخرى.

فكان محسن قد استأجر البيت ، وجهزه وفرشه وأثثه على الهاتف وتطبيق واتس آب ، فامتلأت الشقة بالثلاجة الغاز غرفة النوم فرش الصالون والستائر .

قال الشاب وهو يخرج الشيك من المغلف: فيه زيادة !

قال: هي حلال زلال لك .

كانت العطلة الأسبوعية في عمان الجمعة والسبت ، والجامعات تعطل السبت إلا بعض البرنامج مستثناة . خرجوا بعد الفطور ، وعملوا جولة قرب العمارة والمكان سيرا على الأقدام ولما ركبوا السيارة متجهين للمعرض أعطاه مغلفا ثانيا فيه خمسمائة دينار ، وانتظر محسن ليفهم لماذا ؟ فقال : أنت خدمتي وأنا نائم هناك .. ولم تقصر .. فهي بدل أعطال يا صديقي !.. وهي هدية عن طيب نفس.

ـ العشرة فيها زيادة .

قال: بارك الله فيك ! حلال عليك .. وبارك الله في جهدك .. وأنا أملك الكثير من المال بفضل الله يا أخي يا محسن!

قال: كرمك عجيب يا أبا عبدالله !

علل جهاد فقال: المعطي الحقيقي الله ﷻ .. أنا أرغب بالدراسة ليس لتحسين وضعي المالي أو ليقال الدكتور جهاد ، جئت أتعلم رغبة بالعمل بالتدريس .. أنا ورثت عن أبي ـ رحمه الله ـ ثلاثة ملايين ، ونصف ، ونصفها عن أمي ـ رحمها الله ـ ولي بفضل الله استثمارات كثيرة مع إخواني وعمي ، فلو نمت في البيت وعشت قرنا لن تذهب ببركة الله ، لم أعرف طريق الخمر والنساء صغيرا وكبيرا ، وحتى السياحة مقل منها .. فشكرا لك .

قال: بارك الله لك فيها ! والله أنا أول مرة أتعامل مع مليونير بهذه الروح التي لم استوعبها بعد

وشجعتني على دفعك للاستثمار في بلدنا ؛ لأنك تحب الاستثمار من أجل أن يعمل الشباب .

قال: صحيح هذا .. أهم أهدافنا ؛ كما تعلمنا من عمي حبيب عارف أن لا يبقى المال في خزائن البنك ، يستغله البنك وحده ، رغم التعب والشقاء أثناء معاملة الخلق أي استثمار تراه مناسبا ، ولا يتعارض مع وقتك ، وفيه فوائد للناس ندرسه ونعمله .

قال معجبا : ما شاء الله ولا قوة إلا بالله!

قال: لا أنسى كل الساعات التي قضيتها من أجلي.

قال: واجبك علينا يا أبا عبد الله ! كما طلب أبي ، وأنت سيد من بلدنا الأولى وأخدمك ما دمت في عمان .

ـ سأقضي بعون الله بداية سنتين الماجستير ، وقد " ندتكتر " هنا عامان آخران اذا ارتحت للتدريس في بلدكم .

وصلا المعرض ، وتعرف جهاد على مديره ، ونظر السيارة التي اختارها محسن وقال صاحب المعرض : اذا تريد أخي بدلا عنها يمكنك فعل ذلك أو لون آخر.

قال: ما اختاره محسن بركة ! تمت المباركة ، وأخذ الرجل الشيك ، وسيعمل على صرفة من البنك ، وخلال يومين بالكثير ثلاثة ، سيتم تسجيل ملكية السيارة باسم جهاد ، وسيتم تسليمها على باب العمارة ، ولابد من مراجعة بعض الدوائر .

******

دخل جهاد عمان صباح الجمعة ٢١ يناير ، والسبت امتلك السيارة ،وخلال الأسبوع ستسجل باسمه ، وسيبدأ الفصل الثاني مطلع فبراير والفصل الدراسي الأول الفائت سيأخذه في الفترة المسائية .

في خمسة وعشرين منه تجمهر شبان وشابات مصريون لعمل ثورة شبيهة بثورة تونس ، للخلاص من مبارك الزعيم المصري. الإعلام اشتغل بها قبل أن تبدأ ، مصر من أهم بلدان العرب في العصر الحديث ، وبدأت يوم الثلاثاء ، وكانت أسرع من الثورة التونسية في إزالة

الزعيم ، هربت الشرطة يوم ٢٨ من الساحات والمراكز ، انهارت أمام الجماهير ، وتدخل الجيش لضبط الأمن ، كثرت التصريحات والتحاليل ، وعمت المظاهرات الشعبية المدن المهمة في مصر ، وتظاهر الجيش بالتعاطف مع الجماهير . ارتفع الصراخ في الميادين بتغيير النظام ، وكانت الاعتصامات ، وتعطلت الحياة العادية في مصر ، صراع إرادات ، صراع المخابرات مع الشعب ، محطات التلفزة الفضائية من قلب الميادين تبث أفكار ورغبات الثوار ، بين صراع كر وفر ، خلع المجلس العسكري حسني من كرسي العرش ، أصبحت مصر من غير رئيس في ١١ فبراير ، يحكمها مجلس عسكري من كبار الرتب والجنرالات. تأكد للشعب قوته من جديد ؛ كما فعل شعب تونس ، ثمانية عشر يوما أزاح الشعب المصري الرئيس .

قال محسن لجهاد : الثورة حكاية عجيبة يا أبا عبدالله ! تونس انتصرت مرة أخرى اكتشف المصريون أنهم قادرون على إزاحة حسني.

قال: كما قلت ثورة كالعاصفة .. يؤتي الملك من يشاء ، وينزعه عمن يشاء قال الحق في علاه { قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} .. لاحظ لفظة وكلمة ينزعه الله .. سخر الشعب لينزع التاج عنه رغم أنوفهم وجيوشهم وجبروتهم ومخابراتهم ..أتراهم يتأثرون بخلعهم عن العروش ؟

قال محسن : الشعب مسكين ! الشعوب العربية مسكينة ! فعلا كلها بليت بزعماء رباهم الاستكبار ؛ لذلك يحترمونهم ويخشونهم أكثر من شعوبهم المطحونة بالضرائب ولقمة العيش.. يولد الطفل العربي وعلى بلده مليارات الدولارات لدول الظلم ، خلعوا الرئيس ، ويبحثون عن رئيس جديد .. صنم جديد.

ـ تقرأ سياسة يا محسن !

قال: الصحف عادة سياسة ، وأقرأ مقالات الصحف لمن يعجبني من المحللين ، وأسمع بعض الفضائيات ، لا أنتمي لحزب سياسي .

قال : عندكم أحزاب !

قال: إلى حد ما .. عندي ثقافة سياسية ، وتابعت يوميات الثورة التونسية، وكانت مفاجأة للمراقبين هزيمة بن علي بشهر ؛ لذلك تتبع الناس الثورة المصرية أكثر من ثورة تونس .

قال : مصر حقل تجارب لدول الاستعمار ، يجربون بها كل شيء ، ثم ينقلونه لباقي دول العرب .

قال مؤكدا : صحيح التمثيل الأفلام الغناء والملاهي والانحراف بكل أشكاله بدأت فيها.

قال جهاد : لا تنسى بيروت .. اللبس الموضة في مصر ولبنان .



كانت وردة تجلس مع جوهر ومحمد ومي في غرفتهم ، وكان جوهر تحدث معها ظهرا من خلوي والده مخبرا أن المعلمة التي تعلمهم مادة الدين قرأت لهم قصة عن المسجد الأقصى المحتل من قبل اليهود المغتصبين بلاد فلسطين ؛ بما فيها المسجد الأقصى ، ووعدته أنها ستسمعها منه في الليل .

" العدل قيمة إنسانية عالمية ، وهي مسعى لكل الأمم وسيلة وغاية ، والظلم لا ينتهي ، فالسلطان ياقوت ليبق عادلا في رعيته سمى مدينة حكمه مدينة العدل ، كان هذا السلطان جالسا في ديوان ملكه ، وبين يديه وزيره رشيق وقادته وأمراؤه ، وكانوا يتهامسون ويبتسمون وفجأة تنحنح السلطان ، فصمت القوم ، ولم تعد تسمع لهم همسا ؛ وكأن على رؤوسهم الطير فقد علموا بأن السلطان عنده كلام ، وقد طال الصمت برهة من الزمن ، ثم قال السلطان مخاطبا وزيره : يا وزيرنا .. يا وزير مدينة العدل .. تأخر وفدنا الذي بعثناه لمدينة السلام .. تلك المدينة المطهرة المباركة من رب السماء ..الوفد الذي أرسلناه لينظر الظلم الذي أصاب البلاد والعباد في تلك الديار .. لينظر ما فيه الناس من سجن وعذاب .. وخاصة تلك المدينة المقدسة .. بيت الله .. ما الخطب أيها الوزير اللبيب ؟

تردد الوزير الحكيم لحظات ثم قال : الخطب يا مولاي السلطان ! أن تلك البلاد احتلها عدو لئيم ، وقاتل مأجور لدول الاستكبار ، وجنس خسيس من إخوان إبليس اللعين .. عدو استغل لحظة ضعف أصابت أهل تلك البلاد ، وغدر بهم ونال منهم ، وأجرم في حقهم ، فشرد الآلاف ظلما وبغيا وعدوانا ، وقتل الكثير وما زال القتل في ذلك الشعب الغلبان .. ومع ذلك بقي الكثير صابرا متحملا الشقاء في موطنه محتسبا عند ربه .. وللأسف الشديد دول العالم الكبرى تقف مع الظالم ولا تنصف المظلوم .. فالوفد ذهب كما تعلم لمعرفة أحوال تلك البلاد ، وما يحدث من ظلم للمسجد المعظم مسجد الأنبياء .. ولكنّ هؤلاء الظلمة لديهم أفتك الأسلحة ، وأخطر الأدوات والمعدات التي قد تكشف من يدخل من جو السماء .

فقال الملك : أرجو لهم العودة سالمين، وأن يعودوا بخير ويقين ، وبخبر تلك المدينة المظلومة .

فقال الوزير : إن شاء الله أيها الملك السعيد !

وما كاد الوزير ينهي كلامه بين يدي السلطان حتى صاح حاجب الملك معلنا بصوت واضح للعيان : عاد الوفد يا مولاي السلطان !

فتطلعت العيون تجاه مدخل الديوان حيث رفرفت أربعة طيور محيية السلطان وحاشيته ، وجلست حيث يحق لها الجلوس .

وقال السلطان ياقوت : مرحبا ! .. يا مرحبا بوفدنا الشجاع القادم من أرض بيت المقدس .. الأرض المطهرة المباركة !

فلما أخذت الطيور مكانها في المقاعد المخصصة لها ضمن الحاشية الملكية ، وانتهى الترحيب والسلام وتقديم الاحترام لسلطان مملكة العدل ، قال الوزير رشيق : حمدا لله على سلامتكم بعد هذه الرحلة الخطيرة إلى بلاد المسجد الأقصى .. يا أهلا بالطيور الجميلة وفد السلطان .. أيها الهدهد حفيد هدهد النبي سليمان ﷺ سيد وملك تلك البلاد في غابر الأيام ماذا عندك من الأخبار ؟ وما حل بمدينة السلام بيت المقدس الذي جدد بناءه النبي سليمان بن داود عليهما السلام ؟

رفع الهدهد رأسه إلى السماء ، ثم خفضه ، وأخذ يمسح الدموع المتساقطة على وجهه حتى أبكى من كان جالسا في الديوان ، وأدركوا ما حل في البلدة من ظلم وعدوان وما أصاب المسجد الأقصى من ذل وهوان في زمن علو اليهود على أرض فلسطين المباركة ، ثم قال : يا مولاي الملك ويا سيدي الوزير ! فليحدثنا الطير أبو سعد عن المسجد الأقصى ومكانته وصفته ؛ ليعلم السامع أهميته وقيمته لنا عباد الله المسلمين قبل أن أعلمكم بما أجرم أعداء الله اليهود على ذلك البيت المعظم ، وما جنوا وظلموا ليدركوا عظم الكارثة والمأساة التي أحاطت بالمسجد وأهله الضعفاء .

فأشار الوزير لأبي سعد (اللقلق) أن يتحدث بما طلب الهدهد رئيس الوفد الذي زار الأرض

المقدسة ، وهذا الهدهد حفيد هدهد سليمان الذي ذكره الرحمن في سورة النمل من القرآن ، وقد بعثه سليمان بخطاب لملكة اليمن .

رفرف أبو سعد بجناحيه، وتلفت بوجه يمينا ويسارا ، وحمد الله وصلى على نبيه محمد ﷺ ثم قال : لكل أمه أماكن مقدسة تقدسها وتعظمها .. فكيف إذا كان المقدس المسجد الأقصى بتقديس الله ﷻ له فهو الذي ذكره في مطلع سورة الإسراء (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) ..؟ وقد أسرى الرحمن بعبده محمد ﷺ من مكة المشرفة إلى بيت المقدس المبارك .. والأقصى اليوم أيها القوم .. مظلوم يعاني من جهل كبير من أمته ومن عدو أمته .. فهو محتل من عدو غاصب باغٍ في الأرض . واعلموا أيها الأخوة السامعون أن المسجد هو اسم لكل ما دار حوله السور ، الواقع في أقصى الزاوية الجنوبية الشرقية من مدينة القدس الشريف .. أولى القبلتين وثالث المسجدين .. فهو يشمل القبة " الصخرة المشرفة "القبة الذهبية الموجودة في وسط قلب المكان ، والمكان مليء بالمعالم الإسلامية التاريخية.. فهناك ما يزيد عن مائتين معلم تقع ضمن حدود المسجد الأقصى ، ففيه المساجد والقباب وسبل الماء والمصاطب والأروقة والمدارس والمحاريب والمنابر والمآذن والأبواب والمكتبات .. ويمثل المسجد الأقصى نحو سدس مساحة البلدة القديمة ، وشكله شبه مستطيل .. والقدس قائمة على عدد من الجبال جبل المكبر وطور زيتا وجبل المشارف وجبل موريا وهو القائم عليه المسجد الأقصى ويسمى أيضا جبل بيت المقدس وهناك جبل صهيون . والصلاة في المسجد الأقصى تضعف وتفضل على غيره من المساجد ما عدا الحرمين الشريفين المسجد الحرام بمكة ومسجد الرسول ﷺ بالمدينة المنورة .. وهو ثاني بيت وضع للناس في الأرض وقد بناه آدم أول البشر عليه السلام ، ثم جدد بناه يعقوب عليه السلام ، ثم بناه سليمان عليه السلام كما أخبر النبي محمد ﷺ في الحديث الصحيح عنه .

فقال الملك : ذكرنا يا وزيرنا بحديث بناء سليمان للمسجد الأقصى ، فاليهود يزعمون أن

سليمان بنى هيكلا لهم .

قال الوزير : أمر مولانا السلطان . . كما قرأنا عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : إن سليمان بن داود صلى الله عليه وسلم لما بنى بيت المقدس سأل الله عز وجل خلالا ثلاثة ، سأل الله عز وجل حكما يصادف حكمه فأوتيه ، وسأل الله عز وجل ملكا لا ينبغي لأحد من بعده فأوتيه ، وسأل الله عز وجل حين فرغ من بناء المسجد أن لا يأتيه أحد لا ينهزه إلا الصلاة فيه أن يخرجه من خطيئته كيوم ولدته أمه . ومعنى ينهزه يدفعه .

فهتف السلطان غابطا الطيور : أوه ! لقد كسبتم الصلاة فيه في هذه الرحلة ، ونلتم تلك الفضيلة .. أكمل الحديث يا أبا سعد .

قال أبو سعد : أمر مولانا السلطان .. لم يبق إلا القليل أسرده على مسامعكم .. فتح المسلمون بيت المقدس في عهد الخليفة العادل عمر بن الخطاب ﷺ العام الخامس عشر من هجرة نبينا ﷺ ، وبقي في حوزة المسلمين إلا زمنا يسيرا عندما استولى عليه الصليبيون .

ويرجع بناء المسجد الأقصى كبناء إلى عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان وأتمه ابنه الخليفة الوليد .. وأما القبة المشهورة فيه بناء مستقل عن بناء المسجد الأقصى .. وبنيت هذه القبة الصخرة في عهد الخليفة الأموي عبد الملك عام ٥٦٦ وكمل البناء في عام ٥٧٢ قام على بنائها المهندسان رجاء بن حيوة الكندي وهو من مدينة بيسان ، ويزيد بن سلام مهندس مقدسي .. وشيد مسجد الصخرة لعلاقة له برحلة المعراج النبوي إلى السموات العلى .. فهذه أهم معالم وأخبار المدينة المقدسة .

فأثنى القوم على الطير أبي سعد على ما قدم لهم من معارف ، والتفت الوزير لرئيس الوفد الهدهد الشجاع حفيد هدهد النبي سليمان ﷺ .. وقال : لقد سمعنا رسولنا أبو سعد أيها الهدهد معرفا لنا بذلك المكان المعظم في شريعتنا .. تكلم .

قال الهدهد الجميل الهيئة : نعم ، القدس بلد عظيم تعرض لكثير من الغزو والاحتلال .. وأشار أبو سعد لاحتلال الصليبيين له مدة من الزمان .. وهو اليوم معذب ، مضطهد من قوم

يزعمون أنهم من أبناء يعقوب وأتباع موسى عليهم السلام .. وموسى بريء منهم .. الأنبياء لا يعرفون الظلم ، لا يعرفون المجازر الوحشية .. فبعد سقوط المدينة في يد جيش اليهود الصهيوني تعرض المسجد لمئات الاعتداءات ، كان أسوأها الحريق الشهير عام ١٩٦٩ في شهر آب في اليوم الحادي والعشرين .. على يد دنيس مايكل روهان اليهودي الأسترالي .. فاحترق يومها منبر نور الدين زنكي وصلاح الدين ، منبر فتح بيت المقدس ، وامتد الحريق ليشمل ثلاثة أروقة قضى على أغلبها ، إضافة إلى سقف الرواق الشرقي الخشبي للجامع بالكامل وانصهر الرخام الذهبي عن الواجهة القبلية والمحراب .. واعترف الجاني بجريمته ، ثم زعموا أن الفاعل مختل عقليا فأخلي سبيله .. وللأسف يا مولاي كان رد فعل المسلمين ضعيفا لا يكاد يسمع البتة .

فقال الملك : حسبنا الله ونعم الوكيل .. وهل من مصائب أخرى حلت به ؟

قال الهدهد الحزين : أجل يا مولاي ! فقد صادر اليهود باب المغاربة بعد هدم حارة المغاربة ، وهو باب مؤد للحرم ، وبدأت الحفريات التهويدية من عام ١٩٦٨ حول الأقصى حفريات بمحاذاة الجدار الجنوبي ، وحفريات بمحاذاة الجدار الغربي وعلى شكل نفق ، فتصدعت نتيجة تلك الحفريات مبان تاريخية وأثرية ، وفي عام ١٩٨٢ قام الجندي الصهيوني ألن جولد مان بإطلاق النار داخل القبة فقتل اثنين من المسلمين وجرح ٤٤ آخرين ، مما دفع اليهود لإدخال قوة حماية داخل الحرم القدسي .. جرت محاولات نسف للمسجد بالمتفجرات ؛ ولكنها لحد الآن باءت بالخيبة والخذلان .. وتهويد المدينة قائم على قدم وساق .. والعالم الإسلامي يتفرجون لا يحركون ساكنا . وكذا الاعتداءات على مقبرة مأمن الله الإسلامية مستمرة ، أرأيتم يا قوم حتى مقابر القدس لم تسلم منهم ؟!

قال الوزير : بارك الله فيك ؛ ولكن الآن انتبهت أنكم أربعة ، والذين سافروا خمسة فأين الطاووس الأبيض ؟

ذرفت دمعة من عين الهدهد وقال : لقد اغتالوه يا مولاي ..!

سمع صوت همهمة ودهشة فقال الهدهد مبينا : أخطأ الطاووس الدرب ، وطار فوق منطقة عسكرية ، فحسبوه طائرة مقاتلة تريد أن تلقي عليهم قنابل ، كما يفعلون في البلاد المحيطة وغزة .. فسقط شهيدا كآلاف الشهداء .. حتى يتم أمر الله ﷻ .. والله غالب على أمره ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

قال الملك : بماذا تنصحنا يا أيها الهدهد الشجاع ؟

قال الهدهد : يقول الناس حائط المبكى والصحيح أنه حائط البراق حيث ربط النبي ﷺ البراق عندما عرج للسماء ، ويقولون هيكل سليمان والصحيح أن نقول المسجد الأقصى .. والقدس هي القدس .. وليس البناء فقط .

قالت وردة : برافو حبيبي جوهر أتحب الأقصى ؟

قال باستهجان : كيف لا أحبه ؟ وله كل هذه الفضائل كما يقول أبي.

ـ عظيم ! قرأتها على أبيك .

قال عصام : منذ جاء .. فاتك شيء .

ـ أي شيء ؟ وكانت تلتفت تارة لعصام وتارة لجوهر.

فصاح جوهر فرحا ، وقال : آسف حبيبتي ماما .. نسيت أن أقول لك اسم كاتب القصة .. الأقصى تحت الاحتلال.

قالت : من ؟ ! المعلمة أم ...

ضحك جوهر سعيدا ، وقال: قال أبي الكاتب صديق لكم .

ـ صديق لي ! ما اسمه ؟

قال: جمال بن محمود.

قالت بدهشة : بحق ! محرر صفحة الإسلام في صحيفة فجر الأمة .. نحن دائما ننظر صفحته الدينية .

قال عصام : هو صديقنا الذي دعوناه لهذا البيت ، لنتعرف عليه شخصيا .. فلما قرأ جوهر

القصة اللطيفة اتصلت به ، وأكد لي أنه هو كتبها فعلا لبعض المراكز المهتمة بالأقصى .. وطبعوها ووزعت على الأطفال .

****

انشغل الناس مثقفون وعوام بثورة الشعب المصري ، واهتموا بها لحجم مصر وأهميتها في العالم العربي والعالم ، وجاءت بعد نجاح الثورة في تونس ، والاحتجاجات في مصر قائمة من عهد بعيد ، تنشط وتضعف .

****

وانشغل الطالب جهاد نجيب بدراسة القانون صباحا مع طلبة الفصل الثاني الدراسي ، ومساء مع طلبة دراسة الفصل الأول ؛ لأنه لم يلتحق بالجامعة إلا في الفصل الثاني مطلع شباط .

الماجستير الأردني ثلاث وثلاثون ساعة معتمدة ، توزع على أربعة فصول ، كل سنة فصلان ، وتوفر الجامعة فرصا للدراسة المسائية حتى يتاح للموظفين والعاملين الالتحاق ببرامج الدراسات العليا ، وعندهم برنامج يسمونه الشامل يأخذ الطلاب ساعات دراسة بدلا من كتابة الرسالة ، ومن يتعاقد على الرسالة ينقص من ساعاته تسع ساعات ، يعني أن الرسالة تعادل تسع ساعات ، فاختار جهاد كتابة رسالة ؛ لعلها تفيده في حياته الأكاديمية.

سيقدم أطروحة بعد إنهاء الساعات المعتمدة ، ويبدأ الإعداد للرسالة من البداية وتناقش بعد اكتمال والنجاح في المواد المدرّسة ، ويعين أستاذا مشرفا على الرسالة من قبل عمادة الكلية ، يتابع ما يكتب الطالب أولا بأول ، ثم تعين لجنة آخر الدراسة لمناقشتها ، وتبيين أخطاءها .

وكان يحدث رفيق عمان عن المساقات ، بأن بعضها إجباري ، وهو الأكثر وبعضها الاختياري يختار مادتين من عدة مواد .

قال : تعرفت على طالب من بلادنا من نفس المنطقة ، لكنه من تاج الزمان ، وأنا من الحي بعنبس ؛ لكنه لا يصلي ، وأنا لا أرتاح لصداقة لمن لا يصلي، أخذت ذلك عن عمي حبيب ، لي أخت أصغر مني لا تصلي ، لا نتكلم معا ، نتهرب من اللقاء ، الصلاة عمود الدين ، لا خير

في رجل لا يصلي ، الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر .. فكيف سنأمن لمن لا يصلي يا محسن قال الله { فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا } أرأيت ؟ من لا يصلي سيتبع الشهوات .. اكتفينا مرحبا .. السلام عليكم ، ووجدت لديه أفكارا غير مريحة .. أضطر في الكلية والكافتيريا للجلوس معه .. فحاول أن يستدرجني للقاءات خارج الكلية فاعتذرت بضيق الوقت .. كما ترى ، ولا أحب جلوس المقاهي إلا حالة الاضطرار لمقابلة شخص .

قال محسن : ولا أنا ، لا أحب لعب الورق ، قراءة مقال في مجلة أو صحيفة خير وأفضل من جلسة ورق وشدة .

قال على هيئة مذاكرة : الفصل يا أبا صهيب ثلاثة مواد ، والمحاضرة ساعة ونصف ، يمتد الدوام إلى نهاية حزيران ، ثلاثة أيام في الأسبوع والمسائي أربعة أيام ، كل المواد أو أغلبها معروفة ودرستها في البكالوريوس تتوسع قليلا ، الفصل الحالي سأدرس مجموعة من القوانين ، القانون الإداري الذي يهتم بالتنظيم الإداري للمؤسسات في الدولة في الجامعة في المستشفى في الشركات الكبرى وحتى الصغرى كل شيء اليوم محكوم بقانون وأنظمة ، الوظيفة العامة ، العقد الإداري ، القرار الإداري، الأموال العامة التنظيم ، ومادة القانون المدني تعني عقود البيع الإيجار المعاملات المالية كما في الفقه الإسلامي ، وأما المادة الثالثة الضرائب والمال العام للدولة الإيرادات والمصروفات وميزانية الدولة ، منازعات ضريبة الدخل ، والجمارك .. الماجستير إعادة تذكر ما درسنا في البكالوريوس ، ففي الحياة العملية يمارس نوع واحد أو اثنان .

قال: والله نحن نوقع عقودا ، لا نمارس القانون في الشركة ، ولكن لديهم فريق محاماة وقع أوقع .

قال جهاد : مادة القانون العام الدولي ، والجزائي، التسوية السلمية ، قانون البحار القضايا والمنازعات الدولية المنازعات المسجلة مشاكل بين الدول ، أما الجزائي أو الجنائي فله علاقة

بالعنف والجرائم والعقوبات التحقيق الجنائي قانون العقوبات طرق الأثبات وطرق النفي والطعن فيها ، والمادة الثالثة جميلة وهي مادة اختيارية المواريث في الشريعة الإسلامية ، الوصايا ، موانع الإرث ، أصحاب الفروض والحجب .. علم دقيق .

ـ أنت اخترت الرسالة .

قال : رأيتها أفضل مستقبلا ، كمدرس جامعة أفضل من الساعات .

ـ كم ساعة المجموع ؟

قال: ١٨ ساعة مدار العامين إجبارية ، وست ساعات اختياري أي مادتين ، ورسالة تغني عن تسع ساعات ، وسأزعجك بالحديث عنها لأذاكر أنا .

قال: مع أنه موضوع أكاديمي يا جهاد ! لكنه ممتع .. نحن نتحدث مع أبنائنا بمعلومات مدرسية ، كلنا مرت عليه ، نحن كما تعلم في قضايا القانون نفزع إليكم ؛ لتساعدونا .. أنت لماذا اخترت القانون ؟

قال معاكسا : لماذا أنت اخترت الهندسة؟

قال باسما : أنا أبي حبب إليّ هذا الفرع من الدراسة ؛ كدخل جيد ، وموقع اجتماعي بين الناس والأسرة خاصة .

قال جهاد : أنا ولدت في بيروت ، أبي له قصة مع الموساد ، اتهم أو شارك بقتل ضابط شاباك ، عندما عمل طبيبا في رام الله مع إحدى المنظمات الفلسطينية اليسارية ، حركة صغيرة ، لا مع جورج الشعبية ، ولا حواتمة الديمقراطية ، ولا احمد القيادة العامة ، كانت عشرات الفصائل تعمل لتحرير فلسطين من البحر الأبيض إلى نهر الأردن والبحر الأحمر .. فلسطين كل فلسطين .. كلها تعمل في الساحة الفلسطينية ، لما سقطت الضفة ، كما اشتهر عام ٦٧ هرب إلى هنا ، ثم تسلل إلى سوريا ، كان للفدائيين نشاط قوي هنا قبل حرب أيلول الأسود ، ومن سوريا إلى لبنان وحين انتهى أمرهم هنا قويت شوكتهم في لبنان، وسمحت لهم سوريا بعمل قواعد تدريب دون نشاط عسكري ضد إسرائيل ، ولما اضطرت إسرائيل لمحاصرتهم في

بيروت عام ٨٢ خرج أبي لقبرص برفقة أمي ، وهناك اختفى حتى اعتقدنا أنه مات ، ووزع ميراثه ، ثم تبين أنه لم يمت .

قال: والله قصة مشوقة يا جهاد !

قال: نشرتها الصحف في منتصف عام ٢٠٠٩ عندما تبين أن والدي كان يعيش متخفيا باسم آخر في كوبا بحماية مخابرات كوبا .

قال: صحف ٢٠٠٩ شهر ...

قال: أيار ، مات في أول يوم من ٢٠٠٩ ، وعرفنا خبره في آخر خمسة ، فوجدناه مليونيرا في الكاريبي البحر الذي يفصل بين الأميركتين .. ولولا تلك الملايين ما علمنا بحياته .

ـ قصة رهيبة !

قال جهاد : ترك مذكرات ذهبت وأحضرتها من كوبا، والعائلة تفكر بدفعها لصحفي أو كاتب مشهور يجعل منها كتابا للأجيال ، لم يكن أبي للأسف مؤمنا ، كان ماركسيا ، وأثّر على أمي التي درست إدارة عمل ، ومن خلال عيادة أبي تعرفا وتزوجا ، وكان عمره ٣٨ ، وأمي ٢٣ ، وولدت منه خمسة قبل هربه مختفيا من الموساد ، ولدنا في بيروت ولست أصغرهم ، لي شقيقة أصغر مني.. فأبي طبيب وأختي الكبيرة بكر الأبوين طبيبة نساء ، وأخي الأكبر طبيب عام ، وأخي سالم مهندس ، وأنا اخترت المحاماة ؛ ليس حبا بها ؛ إنما الرغبة في التغيير والمخالفة والصغيرة طب عام .. أنا وشقيقي سالم ابتعدنا عن الطب .

ـ سيرة عجيبة يا أبا عبدالله ! أنت متدين على خلاف أبيك .

قال: لما اختفى كنت طفلا دون الخامسة ، فلما خرج من بيروت هاربا ، حضر خاليّ لسوريا ، وساقانا لعمي في بعنبس ، وعمي مهندس زراعي متدين جدا على خلاف أبي .. أبي درس قبل الخمسينات في جامعة بيروت الأمريكية وهي جامعة تنصيرية وتلك الأيام انتشر فكر ماركس وأنجلز في بلدان العالم والإلحاد ، والعم رفض أن يسلمنا لأمنا .. وهذا من فضل ربنا ورحمته .. فوفقنا الله للتدين صغارا.

قال: حديثك ممتع جدا ! ماذا تحب أن تشرب ؟ فنحتاج لشرب الشاي.

قال جهاد قائما : أنا سأعمل شايا .. ذكريات يا محسن ! الإنسان تأتيه لحظات يتذكر فيها صفحات من الماضي والتاريخ .. كيف صار طبيبا مهندسا محاميا ؟!

قال : نحن واحد ما دمت عازبا ؛ فأنا في مكتبنا أحب أن أكرم الإخوان بالشاي .

قال: نحن واحد .. أنت اعمل الشاي ، وأنا احضر بعض الخبز والجبن والزيتون.

نشطا إلى المطبخ ، كان هذا الوقت من نهار الجمعة الأولى من شباط ، جهز الشاي والخبز والزيتون والجبن وتخلل الطعام الحديث عن مظاهرات مصر والثورة الناشبة فيها .

قال جهاد : أنا عملت محاميا في مكتب أخ زوجتي منذ تخرجت ، تدربت عندهم ثم تصاهرنا أحببت الدراسة في أوروبا فرنسا ، وحدثني صديق بتقديم أوراقي للجامعة الأردنية عن طريق مكتب مساعدة الطلاب للالتحاق بالجامعات العربية والإسلامية ، وشجعني للدراسة في عمان .

قال: هل تتابع أخبار مصر ؟

قال: أحيانا أتفرج على قناة الجزيرة الإخبارية ، كلها عن مصر ، لهم مصور في قلب الثورة وميدان التحرير.

نهض محسن ، وشغل الرسيفر على قناة الجزيرة لسماع برنامج آخر الليل ، كانت الاحتجاجات نشطة في عدد من الدول العربية ؛ مطالبة بالتغيير والإصلاح والعدالة ، ومحاربة الفساد ومكافحته ، حراك في الأردن والسودان والجزائر واليمن ؛ لكنها لم تكن بقوة زلزال مصر وتونس.

قال: هل يطالب شعب الأردن بتغيير نظام الحكم والملكية؟

قال: لا ، الإصلاح ، ومحاربة الفساد، النظام الأردني والحكم الهاشمي عامل توازن واستقرار في هذا البلد .

قال: كيف؟

قال: فهنا شوام ، أعني سوريين ، وسكان أصليون يعيشون هنا قبل قيام الدولة عرب وشركس وكرد وشيشان ودروز تتر وحضر وبدو وفلسطينيون قبل النكبة وبعدها ، أول رئيس وزراء لشرق الأردن لبناني درزي اسمه رشيد طليع على ما أذكر من عشائر بني معروف الدرزية ، كانوا أنصار الملك الأول عبد الله ابن الشريف حسين مؤسس المملكة الهاشمية ، وهذا البلد أسسه الإنجليز بعد انتصارهم على الأمة العثمانية التركية ، وأسسوا العراق الهاشمي الملك فيصل الأول مؤسس أول حكومة عربية في دمشق ، وفرنسا أنشأت لبنان وسوريا وأضافت بريطانيا إسرائيل عام ٤٨ ، وشطبت الشعب الفلسطيني من قائمة الدول ، والعرق الكردي لم يحظ بدولة ، فالإنجليز أنشأ مملكتين ، والفرنسيون جمهوريتين ، ودولة لا هي جمهورية ، ولا هي مملكة ، هي إسرائيل ، وشعب بدون دولة.



زيارة عائلية

طرقت الباب بعد ضغطها الجرس ، فجريدة تعرف مستقر شقة عارف في حي العين من أيام زواجه بميرا ابنة صديقة أمهم ، ففتحت روز الباب ، وسمعت : مرحبا روز ! أنا جريدة شقيقة زوجك هذا . الرجل الذي كان يقف وراء روز.

سلمت على روز وقبلتها ، وصافحت عارفا ، والتزمته مقبلة وجنتيه ورأسه ، وفعل مثلها بتقبيل رأسها .

وساقها عارف لغرفة الزوار ، كان الجو باردا وماطرا ، والأرصاد الجوية تتحدث عن سقوط الثلج ، فأشار لها بالقعود ، وقال : هذه حبيبتي روز يا جريدة ! تأمليها جيدا ، وفي بطنها محمد تأملتها من قمة رأسها إلى أخمص قدميها وهمست ممازحة : كيف حالك يا عمة لوز ؟ .. عفوا روز بدون عمة .

قال : روز أو لوز قد لا تحب كلمة عمة يا حجة جريدة ! روز أصغر منك بسنوات سبع سنوات وأشهر .

قالت : الحمد لله يا سيدتي ! شرفت المكان ؛ ولتأخذ راحتها ما دامت أختك ، فهي أختي ؛ لكنها لا تشبه الدكتورة .

قالت جريدة : يا يا تلك ملكة جمال يا سيدة روز!

فقال عارف : وأنت ملكة الزنوج .

فغمرهم الضحك ، فعارف يحب المداعبة واللعب على الكلمات والمزاح .

قالت : أهلا وسهلا دكتورة .. بماذا نبدأ ؟

قال: شاي يا حبيبتي! سأتصل براتب ليجلب لنا العشاء .. فهذه زيارة كبيرة !

قالت : موجود لدينا الطعام الزاكي .

قال : جريدة تحب طبيخ وطعام المطاعم ، تعودت على ذلك . فتح الهاتف ، وهو ينظر في عيني أخته ، ويطلب من راتب أصناف الطعام ، وجريدة تهز رأسها ؛ لأنه يطلب ما تحب هي،

اغلق الهاتف ، وقال : نسيت أن أسالك عما تحبين.

قالت : سمعت ما طُلب ، لم يصل السقم أذناي ..كله طيب ، بس لم تطلب ذاك.

قال: إجازة لبعض الساعة يا ابنة الكرام ! والتفت لروز وقال : تسأل عن المسكر .. شربينا الشاي يا روز .. ها هي المربية في باب المطبخ .

قالت : عندك مربية!

قال: نسيت سلمى ، المربية لسلمى ، وليست لي ، ولا لروز ، روز تربت أحسن تربية ، عمرها ما رافقت شابا في المراهقة ، ولا الجامعة .. أمها امرأة صالحة.

قالت : هل تعلم أني رأيت أمها وأنا في فينا ؟

صرخ : أم من ؟! عفوا قصدك ميرا أم سلمى ! ماذا تفعل هناك؟ كانت تشم هوا في برد فينا .

نظرت لروز وقالت : هل تعلم روز لم طلقت ميرا؟

قال: تعلم أنها خائنة لفراش الزوجية ،وماذا تفعل في فينا؟

نظرت لروز من جديد ، وقالت : تشتغل في بار الفندق .وابتسمت .

قال: هذا مصير كفر النعمة والخيانة .

قالت : هناك عمل آخر !

قال: عرفته ! الدعارة .. ابتسامتك بينت ذلك .

قالت : تشتغل بجد.. الزنا بفلوس .. يدفعون ألف دولار للزانية ، وخمسة آلاف دولار .

قال: أغلبها يا حجة جريدة تذهب للفحوص والعلاجات اليومية والأسبوعية خشية نقل الأمراض الجنسية ، ومنها قسم للضرائب.. هناك بنات الهوى لهن رخص للزنا .

قالت : ضرائب على الزنا .

قال: الدولة تأخذه ، والبغاء مهنة عالمية .

قالت : أول مرة أسمع !

قال: ألا تسمعين بالإتجار بالبشر والنساء والرقيق الأبيض ؟ في بلاد تصدر عاهرات

وموسات .. والسياحة تنشط من أجل ذلك .. هل هم يسافرون لرؤية الحجارة والتماثيل وبس .

فقالت روز بسذاجة : لماذا تخون المرأة زوجها ؟

ضحك عارف عاليا ، ووجمت جريدة ، وقال : هبل ، وبحث عن الإثارة ، كله كذب وحمق ، الرجل الخائن يفعل ذلك ؛ لأنه يفعل أمام الزانية ما لا يستطيع فعله مع الزوجة من قبح ، والخائنة تفعل ما لا تستطيع فعله لزوجها من قبح ..

وتابع ساخرا : لو اشتغلت أنت والمنتحرة هذه الشغلة في سياحتكم الخاصة لعرفتم القانون .. الحمد لله الذي نجاكم من ذلك .. اشربي شايك الذي ثلج مالك واجمة يا روز ! لا تخافي منها ، ومن حدة نظرها ،فهي تحبني .. وأنا أحبها أختي الصغيرة .

حضر الطعام العاجل تحمله سيارة نقل الطعام للأسر والتجمعات ، فتح لهم عارف الباب ، وأدخل عمال راتب الطعام إلى مائدة الأكل في المطبخ ، أعطى عارف السائق الثمن حسب الفاتورة ، وأعطاه بقشيش العمال ، وذكره بتوزيعه ، وهو يثني عليهم ، وأغلق الباب خلفهم وصاح بمرح : إلى المائدة يا أختي الحبيبة!

استدعيت سلمى للمشاركة معهم ، وحملتها عمتها وقبلتها ، وأجلستها على مقعد حول الطاولة ، وكانت المربية تناولت حصتها من يد روز ، وبدأ الطعام .

فقالت : زوجتك معلمة كما قلت لي ، وأنت معلمة حبيبنا جوهر تجلسين معنا ؛ كأنك تلميذة على مقعد الصف .

قال ضاحكا : هكذا ربيت وعلمت ، هكذا الأدب والتربية .. روز لا تحب كثرة الثرثرة والكلام .. اذا لم تسأل أو يوجه لها الخطاب تلزم الصمت .

ـ معقول !

قالت : لا أدري هو يقول ذلك ؛ ربما تعودت على قلة الكلام مع الناس .

قال : هذه صفة طيبة اذا بقيت فيك !

ظل الكلام حتى انتهى الطعام ، وأخذت روز بتنظيف المائدة ، ونقل ما ينفع للثلاجة ، وما لا يصلح لسلة القمامة .

وعارف وأخته سبقوها لغرفة الاستقبال ؛ حيث بدأت الجلسة ؛ وحيث رفع حنجرته بقول : الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين .

وتابع : لعل السبب لمجيئك إلينا منذ رحلت سببا وجيها .. سنة لي أسكن هنا .

قالت : سنة لك راحل !

قال: لا وقت لديك للزيارات العائلية .. أهلا وسهلا .

أحضرت روز إبريق شاي لذيذ ، وسكبت الأكواب ، ووضعت أمام جريدة كوبا وآخر أمام زوجها ، وآخر صغيرا أمامها ، فشكرتها جريدة ، وفتحت حقيبة اليد التي ما زالت من علامات الأنوثة ، ومصيدة للنشالين لسرقة الخلويات والمال وأخرجت علبة مجوهرات: مبارك يا روز الزواج ! هدية الزواج اقبلي هذه الهدية المتواضعة من أختك جريدة .. لا تنتظري الإشارة العارفية .

ابتسم عارف وقال : خذيها .. الهدية لا ترد .

وأخرجت ساعة ثمينة مطرزة بجواهر ، ومدت بها لعارف ، وقالت : هذا الشيء لك يا أخي الكبير من أختك الصغيرة .

تحسسها وقال : حلوة ! ساعة توصية . وضعها على ساعده .

شكرت روز جريدة على هديتها وإن تأخرت، وقالت : غالية من الغالية.

قالت : شكرا روز! أتمنى لك السعادة مع هذا الأخ العزيز .. للأسف لي أخوة ويزعمون أنهم شيوخ ، ولا يتصلون بي رغم الأمراض التي حلت بي في الفترة الأخيرة .

ضحك عارف وقال : دائما يرسلون معي تحياتهم لحضرتك .. بس هما لا يحبون رؤية أختهم بهذا الزي ، لو لم يكن الجو باردا لجئتنا شبه عارية .. المعطف اخفى بدنك .

صاحت : أنت سخيف ! هذه ثياب عارية يا روز .

قال: تنورة أو فستان للركبة ! أليس عريا يا جريدة ؟ يا روز البنت تستورد الألبسة الغربية حسب الموضة .. كيف تقبل النساء بهذا الزي؟ واذا علق أحدهم ترد عيب .. حرام .. أنا مثل أختك .. أمك تشتري فستانا أو تنورة أو أي اسم بألف دولار خمس آلاف .. لا يصلح ممسحة .

قالت : طولنا التنورة ، وألبس السراويل الطويلة .

ـ لأجل المطر .

قالت : هكذا تعودنا يا روز ؛ كما تعودت أنت على لبس الجلباب وتغطية الرأس.

ثم قالت جريدة : سمعت أن جهادا سافر إلى عمان .

قال: له أسبوعان مسافر في طلب الدكتوراه ـ سهل الله دربه ـ سيتزوج عَمانية ويستقر هناك.

ضحكت روز ، وردت جريدة : أتسخر مني ؟!

قال: ممن سمعت ؟ من كشف لك السر ؟ فالذي أخبرك لم يقل ماذا ذهب يفعل ؟

قالت : أرغمت نفسي وذللتها ، وتحدثت مع أختي الكبيرة لأزروها ، فرفضت استقبالي .. فعصام لا يحب أن يراني سافرة ؛ كأنهم لا يرون السافرات في شوارع بعنبس يا روز !

قال: حر هو في بيته .

قالت : فاتصلت بالحر على الفور ؛ فكأنه ذكر اسم جهاد في الحوار ، فسألت عنه مجاملة وخجلا منه ، فقال عصام : سافر جهاد لعمان ، وخجلت أسأل ماذا ذهب يفعل في عمان ؟ فقلت لنفسي اذا فطنت أسأل أخي الكبير الذي يخبرني بأخبار أسرة نجيب عارف باستمرار .

قال: ماذا قال عصام عن اللباس ؟

قالت وهي تضحك : رحب بي ، ولم أسأله عن اللباس المناسب لزيارة وردة ؛ لذلك أريد أن ترافقني إليهم .. اشتقت لجوهر .

قال: كبر جوهر صار طولك .. البسي بنطالا أسود ، ومعطفا أمريكيا أسود فتبدين محتشمة .

قالت : أسود ! وما الفرق يا جميل بين الأسود والأخضر ؟!

صاح : أسود أسود .. متى ؟

قالت : حسب وقت المدير .. قلت لي في المستشفى إن لديك عملا لي .

قال: ما زال التوظيف قائما .. ها هي أخت روز توظفت عندنا ، وبدأت تنتهي عملها في شركتها ، فهي محامية ، فعينها إبراهيم للعمل في المؤسسة مندوبة عن مكتبهم ، ولدينا أشياء لولا المؤسسة ما عرفتها .. أعرفها لأول مرة ، ولديّ مساعدون دكاترة في الإدارة والتجارة.

قالت : ما الذي يصلح لي لتسلية نفسي ؟

قال: عمل للتسلية فقط أم هناك جدة يا حلوة!

قالت : ماذا تبيعون في مؤسستكم التي بدأت إعلاناتها في الصحف واللوحات الإلكترونية ، أتبيعون الدخان ؟

قال: نبيع ما يساعد على ترك الدخان ، لدينا أنواع كثيرة من الصابون الطبي الذي لم أسمع به من قبل .. حليب أطفال عشرات الأصناف من دول العالم خاصة أوروبا .. قطع شوكولاتة طبية .. ملابس طبية لبعض الأمراض .. جوارب لمنع الجلطات أثناء العمليات ، جوارب لتسلق الجبال .. الجورب بمائة دولار .. ملابس داخلية لمن يعاني من أمراض جلدية وحساسية مع أني طبيب وجدت نفسي أميا ؛ لكن كتالوجات عالمية تجدين فيها هذه الأشياء.

قالت : ملابس داخلية طبية لماذا ؟

قال ضاحكا: أنت طبيبة عليك الاهتمام والمعرفة .. أنا أتكلم ؛ لتعرف روز .. هي للرجال والنساء والصغار .. تساعد على امتصاص العرق ، وتسربه إلى الملابس الخارجية .. حمالات الصدر التي لا تترك أثرا على البدن ، ولا تسبب الالتهابات تحت الصدر .. والسراويل الضيقة تسبب زيادة في الإفرازات المهبلية ، وتسبب الحكة .. فالثياب الفضفاضة والقطنية ومواد أخرى تمنع ذلك وتخففه .. مرضى سلس البول والجرب يحتاجون ملابس طبية ، ملابس فترة النفاس والولادة القيصرية من أثر الجرح .. حزام البطن بعد الولادة .. وأحذية وشباشب طبية لبعض المرضى وللأصحاء .. ولدينا مستودع أعشاب طبية الطب البديل

عشرات آلاف الأصناف تدخل المستودع الطبي الطب الطبيعي .. عندنا أكثر من عشرين نوع من العسل .. لدينا عسل مر من شجر الكينيا ، شمع العسل.. العطور والشموم ذات الروائح منومات حديثة ، مهدئات، منشطات مباحة .. حبوب فتح الشهية ، والكراسي الطبية ، والأسرة ، والعصي.. نحن أميون أمام هذه المنتجات الرهيبة .. مجاهر المستشفيات ، ومختبرات المدارس ، والجامعات ، والمراكز العلاجية.. أعشاب تستخرج من البحر من البر والجبل .

قالت : ماذا أعمل معكم ؟

قال: سكرتيرة لي .

قالت : لم تعينوا سكرتيرة .. مدير بدون فريق من السكرتاريا .

قال: أنا عندي سكرتير وسكرتيرة ، وكل مدير له نفس العدد ، تقام في العالم معارض وتجمعات لمثل هذه المنتجات ، فلابد من رحلات عمل بدلا من رحلات الجنس.

قالت : الرحلات حلوة ! تناسبني هل من مجال فيها؟

قال: سأرى .

قالت : عندما ترى ، قدم لي طلبا .



فور انصراف جريدة وإغلاق باب الشقة خلع ملابس الخروج ، ولبس ملابس البيت ، وعاد لغرفة الاستقبال ، وخاطب حليلته : كيف رأيت أختي الصغيرة ؟

قالت : ماذا أقول ؟ لقد كنت قاسيا عليها .

قال: هكذا تعودنا يا روز الغالية ؟ كيف صحة الجنين ؟

ردت : تقول وردة وشريكتها ثروت : إنه تمام ـ بفضل الله ورحمته ـ وزنا وطولا ودقات قلب الحمد لله .

قال: الحمد لله .. لم أكن اعتقد وأتصور أنه يوجد بنات بهذا الأدب والخلق .. هدوء احترام .. وبحبك لهذا العجوز.

قالت : أنا بحب العجوز .. أنت قدري ونصيبي يا سيدي ! وأمي تهديك التحايا وتشكرك على العسل الذي أرسلته لها .

قال: لما دخلت مستودع الأعشاب ، ذهلت مما فيه من بضاعة وأسماء.. الدكتور سميح وابنه خبراء طب شعبي أو بلدي آلاف الأسماء .. العسل أكثر من عشرين نوعا من بلاد شتى .. أغلبه من مصر وتركيا ..كل أعشاب العالم تباع عند سميح و سعيد.

قالت : الله يوسع عليكم .

قال: آمين .. اسمحي لي .. سأتصل بوردة .

قالت : أقدم لك شيئا .

قال مفكرا : اذهبي للنوم.. سأكلم وردة عن زيارة جريدة ، ورغبتها بالصلح مع جهاد وسالم فهذا يا روز يوحي بشيء مهم .. يا روز الصلح مع جهاد يعني تغييرا في نمط حياة جريدة .. حتى زيارتها المفاجئة فيها رسالة ما .

انصرفت الفتاة لغرفة نومها بعد أن مرت على غرفة سلمى، فوجدتها نائمة فقبلتها ، ودعت لها بالحياة السعيدة .

قال: كيف حال أختنا الكبيرة ؟

قالت : بشوق للحبايب .

قال: هل اتصلت بجهاد ؟

قالت : غير رقمه .. انتظر اتصالا منه ، يبدو أنه انشغل بتجهيز الشقة والدروس ويقول سالم إنه يدرس صباحا ومساء ؛ لتعويض الفصل الماضي .. وأنت ما أخبارك وأخبار روز ؟

قال: روز كانت عندكم اليوم .. كيف أمورها ؟

قالت : ما شاء الله ! بارك الله لك فيها! سمعت أن عندكم أنواعا من العسل .

قال: كل أعشاب الدنيا عندنا ، المستودع فيه ثلاثة أطباء سميح وابنه بدر وسعيد شريك لهما .. سيقدم سعيد لعصام وصفة يشفى بها بإذن الله من مرض الأعصاب لابد من التجربة يا وردة !

قالت : رضينا بقدرنا.. ورحنا أمريكا، ثم فرنسا.

قال: الأسباب من القدر ؛ كما جربتم أدوية الطب البشري فجربوا طب الأعشاب .

قالت : كما تشاء ..

قال : كيف هو الدكتور ؟

قالت : كلنا بخير .. وجوهر يسلم عليك ، ويسأل عن سلوم .

قال: ستزوره بعد زوال فترة البرد ..كانت عندي جريدة.. خرجت قبل الاتصال أحضرت لي ولروز هديتين بمناسبة زواجنا قبل ثلاثة أشهر .

قالت : خبر خطير على الشاشة يا عارف! رئيس مصر يتنحى هكذا يقال .. تنحى عن العرش انكسر الكرسي الثاني .. الشعب المصري يكتب تاريخا جديدا .

قال: صحيح !

قالت : بيان بتنحي الرئيس عن حكم مصر .. ما أخبار أختنا الصغرى ؟

قال: ترغب بالصلح.

قالت : معي!

قال: مع جهاد وسالم .

قالت : مع جهاد ! معقول ! هي تعلم أن جهادا في عمان من عصام.

قال: قالت لي ذلك .

قالت : هل ستسافر لعمان لتصالح جهادا؟

قال: هذه بوادر طيبة يا وردة ! الصلح مع جهاد يعني بوادر تغيير .. عليك أن تسعي في ذلك .

قال محسن مهوّوسا : العدوى شغالة ! تونس مصر اليمن الأردن ليبيا .. تغيرات كبرى تحدث في التاريخ المعاصر .. هل تصحى شعوب العالم النائم ؟ العراق البحرين الجزائر السودان المغرب .

قال : رغم أنني لا أحب السياسة ودهاليزها ، وكذبها كثيرا .. مرت عليّ فترة عشقتها .. في آخر سنة في الثانوية ، وأول سنة جامعة .. الكل يتكلم في السياسة والأخبار ، فكنت أشتري مجلات سياسية محلية وخارجية .. مثل المستقبل الحوادث على ما أذكر .. الوطن العربي من باريس فلسطين الثورة .. فلسطين المسلمة وأسماء كثيرة .

قال: لم تعد مهمة بعد ظهور الفضائيات الإخبارية .

قال: كانت الوطن العربي من باريس ، الشرق الأوسط من لندن ، الجمهورية المصرية وإصدارات دار الأهرام مجلة الشباب ، لغة العصر .. الجمهورية السورية .. اليمامة السعودية .. مجلات الثورة الفلسطينية.. فلسطين المسلمة وغير ذلك من المجلات .. فاكتشفت في آخر المطاف أن ذلك تضييع وقت ولا أي فائدة بالنسبة لي .. واهتممت بالجانب الديني والكتب الإسلامية والمجلات الإسلامية مثل كتاب الأمة ، مجلة منار الإسلام ، عالم المعرفة الكويتية ، الأزهر ، الحقوق الكويتية ، مجلة الدراسات الإسلامية الكويتية مجلة الحكمة اللندنية ،البيان اللندنية السلفية .

قال: أحسن شيء فعلت ! السياسة تؤثر فينا مهما ابتعدنا يا صديقي! مرغمون على القراءة والسماع .. السماع وحده لا يكفي .. من يسمع فقط سيتوه ، لابد من القراءة لمعرفة وجهات النظر .. هذا الشعب الذي ابتعد عن السياسة والحكم طحنته هذه الأنظمة ؛ لذلك تمرد ، واستيقظ، شبع ظلما ، وخسفا ، وسخطا فاضطر للسياسة .. عشرات الملايين هاجروا ، تركوا أولادهم ووالديهم وزوجاتهم الصغيرات من أجل لقمة العيش للستر ؛ لإبعاد شبح الجوع عنه وعن أسرته ، فساد في توزيع ثروات الوطن الذي يفدى بالأرواح .

رن الهاتف قال : هذه أختي الكبيرة يا أبا صهيب !

قام محسن وقال: سأقوم لعمل كوبين شاي مصري .

أشار له بتفضّل وقال: نعم ، أم جوهر .. وعليكم السلام عساك بخير !

قالت : الحمد لله وأنت .

قال: أتكلم مع صديق عماني ،المهندس محسن ، ووالده المهندس سعيد مهاجر من بعنبس لعمان .. كيف الأهل ؟

قالت : كلنا بخير وبفضل ورحمة من الله .. وأنت وبدون أم عبد الله .

ـ الحمد لله .. اليوم ظهرا تحدثنا سوية.. تفكر بالرحيل إليّ .. ما رأيك؟

قالت ضاحكة : أفكر بمرافقتها .. زمان ما خرجت من بعنبس.

قال: فعلا زمان ! كيف حبيبي عصام والفتيان ؟

قال: هو يسمع الدردشة ؛ لأني فاتح الـ سبيكر .. بسلم عليك ، وسيتكلم معك سأفكر بجد .. عصام يقول غياب أسبوع فقط ، مسموح السفر .

أعطت الهاتف لعصام ودردش مع عصام بضع دقائق، ثم قال : تابع مع وردة .

قال: يقول رتب مع أختك ، وأنت أقول رتبي مع أختك أم عبدالله ؛ لأنها تلح بالسفر والحياة معي ؛ كأنني لي سنة غائب لم أكمل الشهر.

قالت : الحب الحب يا حبيبنا !

قال: ونعم الحب .. كيف محمد ومي ؟

قالت : ما شاء الله يمشون ، ويأكلون معنا .. أنا اتصلت لأمر قبل أنساه.

قال: تفضل يا محسن .. ما هو الأمر ؟

قالت : أختك الصغيرة لديها رغبة بفتح صفحة معك .. تريد الصلح معكما.

قال: الصلح ! هي محاربتنا وتعتبرنا خصوما وأعداء .. تصير مثلك تلقائيا نعود أخوة وحبايب يا وردة .. نصير أصدقاء والأهم مني ومن سالم العم .. أخبرني عمي أن عمتي أخته سعيدة تعبانة .

قالت : الحجة سعيدة تعبانة ؟ هي أكبر من عمي .

- أجل ! قمتم بزيارتها .

قالت : فعلنا ذهبت وعصاما وعارفا وروز .

قال: جريدة!

قالت : تلعب وحدها .. جريدة تفكر بالعمل بالمؤسسة .

قال: ماذا ستفعل؟

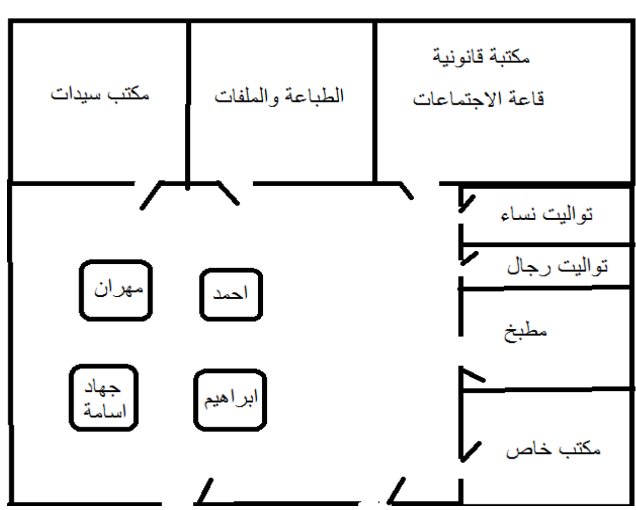
قالت : يقول عارف ستعمل في قسم الرحلات ، رحلات عمل لحساب المؤسسة

قال معجبا : والله فكرة ! هذه أفكار عارف .

قالت : أخته !

علق فقال: عارف موهبة ! كانت أمك دافنتها بسيطرتها عليه .. سلمي عليها وهي عارفة شروط الصلح .. حبي لكم .





ترك مهران القراءة ووضع الجريدة على المكتب أمامه ، وخلع نظارة القراءة ، ومسح عينيه بكفيه ، وقال بصوت يسمعه من في المكتب احمد وإبراهيم وأسامة : هذا الطبيب ـ تطلعت العيون الستة إليه ـ الذي انتحر قبل أشهر قالوا عنه جاسوسا ، ولما أراد الأمن السياسي القبض عليه نحر نفسه ، وأخفيت زوجته اليوم ينشرون أنه لم يكن عميلا لإسرائيل ، ولا لأحد ، ولم يكن الانتحار خشية القبض عليه ، ينفون عنه تهمة التجسس ، وأنه زعيم الشبكة ، وأن قتيل غزة يتعاون معه .. ما الأمر أيها الناس ؟!

بدا احمد بالقول فقال : قصة محيرة أدهشتني ؛ كما أدهشتك .. أنا أقرأ بالخبر وغير مصدق ! رجل لبسوه صفة العميل الأكبر في البلاد والزعيم ، واليوم يتراجعون ويبرئون .. وذكرت هذه الصحيفة التي بين يديّ الخبر ؛ كما قال مهران وزادت أنه لم تكن علاقته بوائل سوى علاقة طالب بمعلمه ، واستمرت الصداقة بعد الجامعة لعمل وائل في مستشفى الجامعة لسنوات .

هزّ مهران رأسه وقال : صحيفة فجر الأمة لم تضف هذه الجملة.

قال أسامة : القضية شغلت الرأي العام ؛ كما تذكرون ، وصورت الأجهزة الأمنية على أنه إنجاز عظيم في تعقب الجواسيس وشبكة وائل زياد .. هو في الحق تبريرهم الضعيف لما حدث

من مقتله على أيدي داخلية غزة ، وإشارة بعض صحف إسرائيل إلى أنه جاسوس إسرائيلي ..
وأنا تابعت قصته في صحف غزة والقدس ولندن .. فوائل فما هو بجاسوس بمعنى جاسوس.. هو يقدم خدمات لوجستية للموساد والشاباك ، مثل تصوير مكان ما ، الاهتمام بشخص ما ، مثل نقل المال الرسائل.. لا يعمل ضمن شبكة ، ولما قتل في غزة كان مع صديقته البلجيكية وقيل الهولندية في حملة إغاثة تابعة لجهات الإغاثة الأوروبية أو حملات الإغاثة الدولية لمساعدة محتاجي غزة ، وكان ضمن البعثة البلجيكية ؛ لتقدم الإسعاف والعلاج للمحتاجين في القطاع كغيرها من البعثات الإنسانية ، وهذه البعثات من السهل العمل معها واختراقها ، لا يهتمون بالجانب الأمني ، المهم العمل وتقديم الخدمة والإغاثة ، لأن العاملين فيها يتبدلون يتغيرون كأي مؤسسة تطوعية ، فعمل معهم للعمل في القطاع مقابل راتب هو وصديقته ، وستؤمن لهم البعثة البلجيكية المنامات لمدة ستة شهور على الأقل ، ويأتي غيرهم أو يمددون عقدهم ؛ ليس كل من يرافقهم متطوع ومتبرع ، فها هي حملات الإغاثة ، كما تكتب الجرائد يحضرون لأسطول حرية ثاني سيبحر إلى غزة فيه ناشطون من عدة دول أوروبية وكندية وعربية.

قال مهران : أكمل قصة وائل.

قال : عفوا يا سادة ! عادة هؤلاء الأوروبيون يدخلون عن طريق إسرائيل ؛ حيث مطار اللد أو ابن غوريون الصهيوني معلن إنشاء دولة إسرائيل عام ٤٨ ، لا يدخلون عن طريق معبر مصر ، والرجل يحمل الجواز الإسرائيلي بحكم ولادته في بلدة عربية في شمال فلسطين عرب ٤٨ ، فكلف من قبل أجهزة الأمن الإسرائيلية بنقل أموال لأحد كبار العملاء آلاف الدولارات ؛ لأنه منذ سيطرت حماس والقسام تابعت مطاردة العملاء والقضاء عليهم بشدة ، وصراع شرس بينهم أصبح من الصعب على العملاء أخذ الأموال الكبيرة من البنوك الغزية بدون لفت نظر ، ففي ذلك مخاطرة ، وكل من يتنقل عن طريق المعابر اليهودية العين الأمنية عليه .. كلفوه بنقل حقيبة المال ، وبعض التعليمات للوصول للعميل الذي كشفت الصحف

الغزية اسمه مضطرة ، ومطاردة ومتابعة الأمن له ، فأحيانا يا إخوان يقبض على العميل ، وأحيانا كثيرة يترك لمعرفة غيره منه ، وهذه البعثات معروف أنها مخترقة من أجهزة أمن أوروبية وإسرائيلية ؛ وربما هي أنشأتها بثوب إنساني للتجسس .. فهذا أمر معروف .. أقيمت مستشفيات جمعيات جامعات مدارس للتنصير باسم التبشير.. السفارات أوكار للتجسس في أنحاء العالم فالعملاء موجودون بينهم وبين الصحافة بين عمال الوكالة.

قال : ما شاء الله تابع!

قال : دخل غزة مع أفراد البعثة كموظف ، والعميل الغزي تلقى إشارة من مصدر غير معروف لحد الآن ؛ كما تذكر مواقع الأمن على شبكات النت ، فالعميل مراقب تحرك إلى جهة مسجد ؛ لأن الناس تخرج لصلاة الفجر ، وهو تحت الرصد حتى وصل لمكان محدد ، فجاء وائل سيرا على الأقدام ، والتقى العميل ، وسلمه الحقيبة في كيس خضار يحمله ، وهنا جاء الأمر بالاستسلام فهرب وائل مما دفع أحد أفراد المتابعة بإطلاق النار عليه ، فقتل وأسر العميل وفتشت ملابس وائل وحاجياته في مقر البعثة ، وأعلن عن مقتل جاسوس من أجل القضاء والنيابة وحكومة بلجيكا ، ووالده لوائل خدم في أمن الاحتلال .

قال إبراهيم : عندك معلومات أكثر من مخابراتنا .

قال : لأنه في البداية علق بالقتيل أنه جاسوس لأغراض أمنية ومخابراتية ، وللحرب النفسية زعمت إسرائيل أنه عميل لتبرير حمله للمال ..وعندنا ظلت عقدة العجز عن عدم كشفه لطوال سنوات ، وتزوج ابنة نائب مدير المخابرات ظلت القضية مزعجة للجهاز المختص ، فلما بدأت تتحلل وتتفكك قصة وائل حدثت فضيحة الدكتور ينال المنتحر ، ثم تبين كما نشرت الصحف اليوم أنه لم يكن جاسوسا ، وهذا كان معروفا منذ الحادث ، كما نشرت صحف أمريكية وحتى إسرائيلية عن براءة ينال روكبس من العمل كجاسوس .

قال مهران : حقيقة أنت مبدع يا أسامة ! حللت لمتابعتك لتلك القضية .. أظن ما زال الكثير من الغموض في القضية .. قضايا التجسس كثيرة الغموض.

قال احمد: لماذا أنت اهتممت بالموضوع وقضية وائل؟

ابتسم قال : لذلك حكاية وسيرة حياة.

ضحك إبراهيم : أنت صغير يا أسامة صار لك سيرة!

قال : سيرة الحياة يا دكتور تبدأ بولادة الكائن الحي .

قال احمد لما صمت المكتب : لعل أوامر صدرت من دول كبرى لقلب الموضوع وتحويل المنتحر إلى ضحية.

قال مهران : ما مصير امرأته ؟

قال إبراهيم مجيبا : بعد أيام عادت للبيت ؛ كما أخبرني أبو محمد نسيب اللواء خميس ضابط المخابرات المتقاعد من عشر سنوات ، والضابط يا إخوان لما يتقاعد يبقى ضابط احتياط ويعمل حتى الموت ، لا يعني أنه تقاعد انتهى، يبقى له ارتباط ولو بخيط عنكبوت مع الأجهزة الحساسة .

قال احمد : ما قال نسيب المخابرات؟

قال: إنه حدث تسرع من بعص الضباط الذين مشوا لاعتقال المدرس ، ونقل بعضهم الخبر سريعا للصحافة ووكالات الأنباء.. تسرع .. فهم ظنوا بالانتحار أنه بالفعل الجاسوس الذي يتعقبونه منذ مقتل وائل ، فقد تسرعوا بربطه بوائل ، أما لماذا انتحر ؟

قال : هل عندك معلومات ؟

قال إبراهيم : معلومات بسيطة من دردشة أخي مع أسرة اللواء .. تتلخص لما طرق رجال المباحث السرية البيت للحديث معه ، لم يفهم الخادم عملهم بأنهم مخابرات ، فهو يوناني مثل الدكتور وزوجته ، فظن الدكتور أنهم جاءوا لخطفه ...

هتفوا :لخطفه !

قال مهران: نحن في شيكاغو .

قال : قال الخادم للسيد رجال يريدونك وهم مسلحون، ففهم أنهم عصابة بينه وبينهم قصة

لم تعرف كاملة بعد .. قبل سنة كان الطبيب يقضي إجازة في بلد أوروبي وتعرض لعملية خطف فاشلة .. لماذا يسعى ناس لخطف طبيب مسالم بعيد عن السياسة ؟! وماذا دفعه للانتحار؟ ولماذا أخفيت زوجته أياما ، تقل عن أسبوع ؟! ولماذا ظهر اسم وائل في القضية سريعا ؟

قال احمد : أسئلة تحتاج للإجابات!

قال إبراهيم : أخذت الصحف تضيف وتسقط لتشبع فضول القراءة ، ولزيادة عدد القراء باستغلال الحادث ، انتحار بسبب التجسس ، بسبب الخطف حتى أن بعض مقالات الكُتّاب والأعمدة تعلق وتعقب ، فمما قيل إن الرجل لم ينتحر قتل على أيدي المباحث بخطأ أو بتعمد لإخفاء سر الرجل.

قال أسامة : وآخرون أكدوا أنه جاسوس دولي ، وأن هناك ترتيبا بين أجهزة مخابرات دولية ؛ لتصفية القضية ، ولا تقدم القضية للمدعي العام ؛ لخلط الورق .. وتساءل بعضهم عن باقي أعضاء الشبكة بعد كل هذه الشهور ، فلا يعقل أن يعمل طبيب وحده في شبكة تجسسيه .. لماذا الاستخفاف بعقول الناس؟ .. قضت الصحف أسابيع وهي تتناظر وتتجادل حول قضية ينال روكبس في تفسير انتحاره ، وشاع من خلال المقالات أن الدكتور صنع سما جديدا في مختبره المنزلي ، سما لم يكن معروفا فتتصارع عليه أجهزة المخابرات؛ لتملتك أوراق هذا السم ، وعينات منه.

قال احمد : وذكر بعضهم أن علاقته بوائل ، لم تكن علاقة تجسس وعملاء ، كانت علاقته علاقة أستاذ بطالب فقط ، واستمرت الصداقة بينهما ، وأن وائلا لم يكن جاسوسا لإسرائيل ، نفس الكلام الذي حدثنا به أسامة مجرد نقل مال .

وافق مدير شؤون التوظيف بعمل جريدة بناء على توصية من عارف ومساعديه الثلاثة ، وعينت مديرة لقسم الرحلات التجارية والمعارض ، وكان الفريق مكونا من مساعد مدير ،

وثلاثة شبان، وثلاث شابات ، كلهم خريجو كليات تجارة ومعهم فريق من الفنيين في الأجهزة الطبية ، والملابس الطبية ، وما له علاقة بالطب والمختبرات من مواد تحليل ، وفحص أجهزة الترا ساوند الموجات فوق الصوتية ، وأدوات العمليات الطبية ، والوقاية والعدوى ، قبلت أن تكون تحت التجربة ؛ فاذا لم ترتاح للعمل في هذا القسم ، تذهب لأي قسم ، والسبب أنها لا ترغب بأخذ راتبا ، ولسوف تدخل شريكة في مطلع العام القادم ، وتكتفي بحصتها في الأرباح كباقي الشركاء .

وسمح لها بالعمل في عيادة المؤسسة كطبيبة عامة ، ووافقت على اللبس الخاص بنساء المؤسسة وهي منذ طلب منها عارف تغيير نمط لباسها بعيدا عن السفور ، وتضع غطاء رأس يخفي الكثير من شعرها ، فأصبحت قريبة من المحتشمات ، واللباس الشرعي ، والزي الموحد ينتشر في المدارس والشركات والورشات والمستشفيات ليميز العاملون من الزبائن والمراجعين .

وأكد لها الدكتور باسل طبيب العيادة الخاصة بالأمراض الجنسية بشفائها من مرض السيلان ، ونصحها أن تبتعد عن الحياة الجنسية لمدة سنة على الأكثر ؛ لتتأكد مائة بالمائة بزوال جراثيم وبكتيريا السيلان ، ونصحها بالزواج خشية نومها مع رجل له شريكة أو شريكات فيتجدد نشاط المرض، فكثير من الأمراض لا تموت تماما تكمن لحين ؛ ربما تثور بعد حين أو عدوى جديدة .

فقالت لنفسها وهي تسمع إرشادات ونصائح باسل :لأكن مثل وردة لها سنوات لم تعاشر عصاما .

أخبرت عارفا بما أوصى به الطبيب المعالج والمتابع لصحتها ، فقال : جيد ! أخبار طيبة فعلا ، وأتمنى أن لا تعودي ، وتحني لليالي السيئة والماضية ، ومن الآن لسنة ؛ لعلك تجدين الزوج الصالح النظيف العفيف.. فأمي رغم إلحادها ؛ كما تعلمين لم تزن هنا أو في بيروت رغم خيانة أبي لها كما اعترفت .. ومات أبوك وهي شابة مثلك عمرها حين اختفى ثلاثا وثلاثين سنة ، ولما تزوجت بلصا ؛ ليس لأنه فحل ؛ بل لدرء شبهات الاختلاط بالرجال وقول

الإشاعات .

قالت : أنا فعلا راغبة بالخروج من الماضي بحلوه ومره ؛ ولكن كيف سأتزوج وأنا لا ألد ؟

قال : كثير من المتزوجين ، لا ولد لهم ، هذا بأمر الله وقدره .. فالذرية مهمة للوالدين ؛ ولكن يعيش الزوجان دون ذرية لمشيئة الله ذلك ، أناس أقوياء بدنا وصحة ممتازة ، وحيواناتهم المنوية ميتة ضعيفة ، لا يجب أن يؤرقك هذا .. اذا لك نصيب برؤية ذريتك سيتحقق ذلك بإذن الله ، والنبي زكريا الله أصلح له امرأته وحملت زوجه بيحيى .. الله يصلح الزوجة والزوج .. وأنت لست عقيمة .. عندك مشاكل في المبايض، وقد تعالج عند الجد .. وأنا سمعت أن زوجة شهاب حامل.

قالت : صحيح ! اتصلت به شخصيا ، لما نقل لي ذلك ، فقال نصيب يا جريدة ، لا يدري الإنسان من تلد له أو يولد لها.

قال متعجبا : شجاعة أن تتصلي به !

قالت : إذن المشكلة كانت مني .

ضحك عارف وقال : المشكلة منك من زمان .. أنت تكابرين ..كنت مهتمة بعلاقات خارج عش الزوجية ؛ ولذلك لم تهتمي بالعلاج بعلاج نفسك وسأكشف لك سرا.

قالت بتعجب : سر ! ما هو سرك ؟

قال : شهاب أخبرني عند إجازة لكم في بعنبس ، قال جريدة أنا أعرف أنها لم تتزوجني عذراء ولم يكن هذا الأمر مزعجا لي ؛ لأنني أنا مثلها خائن للفراش ، لم أقصر عندما كانت تسنح لي فرصة مع طالبة أو محاضرة منحلة ، فلما تلاقينا أنا وإياها أحببنا بعضا تعاهدنا على الوفاء لبعضنا ، فلا هي تخونني ،ولا أنا ، وتزوجنا في آخر فصل كما تعلم ، وكان العهد لنحمي أنفسنا ؛ ولنبعد عن الأمراض الجنسية التي أصابت بعض الزملاء ، وقال الكلام سهل يا عارف وكانت تأخذ حبوب منع الحمل كأي فتاة معنا.

صاحت : أرجوك اختصر .. أين السر ؟ حدث بيننا أكثر من اتصال قبل عقد الزواج تنفيذا

لتعليمات الجامعة ، وسكوت الدولة العلمانية من تجربة الجنس قبل الزواج .

قال : الدولة تتساهل بذلك باسم العلمانية ، ومحاكاة أوروبا ؛ لذلك لم تعد فضائح الجنس في الجامعات تثير الصحافة والرأي العام ، ولا أحد يثق أنه تزوج بكرا يا حبيبتي ! ويزعمون أن الشاب العربي يعاني من العنت والكبت ، لا يمارس الجنس إلا ليلة الدخلة ، وليلة الدخلة يكون ضعيفا مستهلكا ، وقد يلجأ للخمر والمقويات ليواري عجزه وضعفه .. الدول اليوم كلها غضت الطرف وشجعت فماذا جنت إلا الخيبة ؟ وأكبر دليل على الفشل الإباحي تونس حاربوا الدين حاربوا الحجاب .. حاربوا العفاف .. ظل الدين ظل الحجاب ظل العفاف والفضيلة .

قالت بضجر وملل : رجعنا للمحاضرات .

قال : أسطوانتهم العلمانية الإباحية مشروخة يا جريدة ! أكذوبة الجنس الآمن شائعة بين الطلبة ، ولما يصاب أحدهم بالكولاميديا والسيلان والسفلس والهربس والإيدز يصبح الشخص وحشا ، لا تقربه بنت ، والبنت لا يقربها شاب.. أصبحوا غير صالحين للعمل .. أين الجنس الآمن ؟! كم من البنات انتحرن بسبب الجنس الآمن ؟ حمل إجهاض .. أين وردة طبيبة الإجهاض ؟

قالت : أين السر يا دكتور ؟

قال : السر كما أخبرني زوجك في إحدى جلسات الفضفضة والاعتراف اللاشعوري اللاإرادي علم أنك تخونينه مع أطباء القسم ، والمستشفى كمدراء الأقسام وداخل المكاتب وغرف المرضى .

قالت : وكان هو يخونني!

قال : فكان يلجأ لأخذ أدوية قتل المنوي حتى لا يحصل حمل ويعيش في دوامة ابني ليس ابني .. خشية أن تحملين من غيره ، ويصبح الجنين ابنه قانونا ، ويضطر لفحص دي ان ايه.. فهذا هو السر!

ضحكت قليلا ، ثم بكت ، ولما انتهت موجة البكاء ، قالت : كنت أتجنب فترة الإخصاب أي اتصال مع غيره ؛ لأني متعودة على حبوب منع الحمل من أيام الجامعة والكلية، وأكثر البنات يفعلن ذلك ، وكنت أعلم بخوفه من حبلي من غيره من أفعاله وتصرفاته ، وأعرف أخذه لأدوية خاصة بالرجال ، فكان يحذرني من السقوط والحمل وأنا أسهر معهم ، وكان يترك الأدوية والعازل لما نتصالح .. أنا طبيبة أعرف تلك الأدوية والحبوب ، وانقطعت فترات طويلة عن الاتصال بغيره ، ولم يحصل الحمل ولا إجهاض ، وهو بصراحة ضعيف جنسيا ؛ أحيانا في الشهر يعاشرني مرة أو مرتين ، ويستعين بالفياجرا ، والمنشطات لإتمام عملية اللقاء.

قال : هذه المنشطات لا دخل لها في الحمل ، فها هي أختك حملت بدون اتصال مباشر .. هذه الحبوب تقوم بمساعدة الجهاز التناسلي لإقامة علاقة حميمية كاملة وجيدة ؛ فلذلك تباع بالمليارات في أنحاء العالم المتمدن ، فالشركات المصنعة تثير حولها الإشاعات والقوة للمزيد من المبيعات وفي أحيان كثيرة لا فائدة منها .. حالة نفسية للرجل ؛ لكنها حديث الرجال ، وحتى النساء من باب الثرثرة والفحولة المفقودة ..بعضهن تحبل بعد سنة بعد خمس سنين ، وأكثر من ذلك .

قالت : ولماذا التهافت على شرائها ؟

قال : أولا اعلمي أن الأدوية المنشطة لا تقوي الرغبة في الجنس ابتداء ، العقاقير التي تستخدم "كمقويات جنسية" من الفياغرا المشهورة وأشباهها، فائدتها تشمل الذكر والأنثى حيث تؤدي المقويات إلى زيادة تدفق الدم في الأعضاء التناسلية ، وهذا ما تحتاجه المرأة ؛ كما الرجل للشعور بالإثارة والرغبة الجنسية.

ولكن يا جريدة ، لا بد من اللجوء إلى استشارة طبيب لاستخدامها ، وذلك لتحقيق فائدتها ، لا الصيدلي ، الصيدلي بياع ، فالطبيب يساعد على تلافي المضار التي قد تصاحب استخدامها.

وأزيدك معرفة وعلما حسب ما نقرأ عن هذه المقويات ، وظيفة هذه الأدوية والعقاقير العمل على تنشيط "أوكسيد النيترات" الذي يرخي عضلات الأوعية الدموية في العضو الذكري ،

فيسمح بورود المزيد من الدم إليها، مما ينشط انتصاب العضو في حالة الإثارة الجنسية. من الكذب طبيا وعلميا الزعم أن هذه الأدوية تقوي الرغبة في الجنس، فإن لم توجد الرغبة لدى الرجل ، لا يتوقع لهذه العقاقير أن يكون لها أي أثر إيجابي في معالجة العجز الجنسي.

وما دمت صامتة راغبة في المزيد من الفائدة ، حد علمي العقاقير الفموية الموجودة في صيدليات البلاد أربعة أصناف أساسية حالياً ، أشهرها الفياجرا الأمريكية . تحتاج في بدء نشاطها من ١٥ – ٦٠ دقيقة ، وفي طول تأثيرها من ٦ إلى ٢٤ ساعة ، لكن على المصابين بضعف الانتصاب أن يعالجوا أنفسهم قبل اللجوء لهذه العقاقير . يجب أن تكون الرغبة للجماع متوفرة قبل تعاطي هذه العقاقير، وينصحون باستخدامها على معدة فارغة من الطعام. لهذه العقاقير يا أخت جريدة ! مضاعفات جانبية ـ كما لكل الأدوية ـ فمنها الصداع ، احتقان الأنف ، ألم البطن ، احمرار الوجه ، اضطراب الرؤية ، التهاب المسالك البولية ، الإسهال، الدوار الدوخة ؛ لذلك قالوا لابد من استشارة طبيب.. مريض الذبحة الصدرية تشكل عليه خطرا كبيرا ؛ لأنهم يتناولون أدوية النيترات ، المصاب بانخفاض الضغط ، أو بارتفاع الضغط الذي لا يستجيب للعلاج ، المرضى بقصور الكبد أو القصور الكلوي الشديد.

قالت : أنت موسوعة!

ضحك وقال : كثير من الأصدقاء يسألوننا عن استخدامها كلهم ضعفاء جنسيا فنضطر للمعرفة حتى نحسن النصح ، واعلمي أنه لا يستجيب لهذه العقاقير أكثر من ٧٥ في المائة من المرضى في أحسن الحالات ، ومن المعروف أن المصابين بأمراض القلب ، وتصلب الشرايين، والمرضى بالسكر ، والذين استؤصلت غدة (البروستات) لديهم، هم أقل استجابة لها. واذا حصل المحتاج على موافقة صريحة واضحة من طبيبه ، فلا شيء يمنع الاستفادة من هذه الأدوية التي صارت تستخدم في كل بلاد العالم، والتي حسنت أحوال الملايين من البشر ، ووفرت لهم السعادة الزوجية.. الجنس حاجة لكل الناس ، ومشاكل الأزواج في أول حياتهم

الزوجية الضعف الجنسي .

قالت : صديقتي مريم ثلاث سنوات حتى تمكنت من الحمل ، وأنجبت مولودها الأول .

قال : وردة بعد أكثر من سنتين حتى حملت بجوهر .

قالت : فها هو شهاب ينتج !

قال : ولو جامع أحدنا زوجته مرة في الشهر ممكن تحمل ، هناك فترة للتلقيح قد ينجح ، وأكثره لا ينجح .. فالرجل بعد الحمل يعاشر أمراته يا دكتورة طول فترة الحمل ، ولا حمل فوق الحمل .

قالت : ممكن أحمل يوما ما !

قال متفائلا : ممكن ، عمرك ٣١ ، واذا تيسر الزوج الصالح وأذن الله ستحملين .. هذه الموانع التي تبدأ البنات بأخذها من المرحلة الثانوية ، هي التي تسبب أمراض العقم ، وتؤخر الحبل .. بإضعافها للرحم من القيام بواجبه .. الاستعانة بالله تيسر الحال ، وقد يحتاج الشخص للعمل مثل وردة .. فأختك مثال لك .. استغنت عن الذكر كما تعيش الأرملة .. وها هي سعيدة كما أرى ، عمرها منذ رجعت لعصام شكت منه .. سلمت أمرها لله .. وها هو عشاب المؤسسة الدكتور سميح وسعيد ركبا له وصفة من العسل والحبة السوداء وأشياء أخرى قد تقوي جهازه العصبي والعضلات؛ لأن الجهاز العصبي يقوي العضلات ، وطلبا منه التوقف عن أدوية فرنسا ، ولما جلس مع سميح وابنه و سعيد تفهم ، وقبل التجربة ، وخلال ستة شهور سيبدأ ـ إن شاء الله ـ التحسن في الجهاز العصبي ، وتبقى مشكلة عظام العمود الفقري المهشمة .

قالت بوهن : حبيبي يا عارف ! أنت أحسن واحد بالنسبة لي من إخوانك.

قال : كلنا إخوانك ، ونحبك ، ووردة حدثت جهادا عن الصلح ، والصلح خير .. حدثته عن رغبتك بالصلح ، فقال: الصلح تلقائيا اذا رجعت لما فطرنا عليه .

قالت : حدثتني وردة بذلك ؛ ومن أجل ذلك قبلت العمل تحت قيادتك ، لم أكن أعلم أنك

بهذه القدرات الإدارية ، أنت تغيرت من يوم موت أمك .. عملت لإزالة الملل والزهق وترك الرفاق .. وأحضرت شركة ونظفوا البيت ودهنوه بالدهان ، وغيرت كل الأثاث، أخذوه واشتريت غيره ، سمعت كلامك ، ولم أعد أشرب إلا القليل .

قال مشجعا : خطوة جيدة!



جهاز أمواج فوق صوتية

هزة الموت

ماتت سعيدة عارف عن عمر يزيد عن خمس وسبعين سنة ، اتصل سالم بجهاد مخبرا ومعزيا بوفاة العمة الكبرى ، وبادله جهاد العزاء ، وقال : سأركب الطائرة الليلة بإذن الله.

اتصل بشركة مكتب طيران للسفر إلى عنبس في أقرب رحلة ، ولما رتب أمور السفر ، اتصل بإدارة الكلية صباحا معتذرا عن الدوام .

وكان قد قدم العزاء لعمه وعمته فاطمة ، وبعض أبناء عمته سعيدة هاتفيا ، وترك الباقي ريثما يقابلهم ، فسعيدة من سكان عنبس أثناء سرد أحداث القصة ، لها بنت متزوجة في تاج الزمان عمة جهاد الأخت الشقيقة لعمه حبيب ، أنجبت سبعة مواليد ، خمسة من الذكور ، وهي تكبر عمه بأكثر من سبعة من السنين ، وعمته فاطمة ، ولدت ثلاثة وتسكن مع ابنها محمد بعنبس بجوار حبيب أخيها حي بنت الباشا ، وابنتها البكر طبيبة علياء يوسف ، متزوجة من قريب لأبيها ، والوسطى صيدلانية منى ، وزوج ابنتها صيدلاني مثلها ، تزوجا بعد دراسة الصيدلة ؛ حيث التقيا في الكلية ، والصغير محمد مهندس معماري يعمل في بلدية بعنبس .

وأما سعيدة عارف أم حسين فابنها الكبير حسين جادر ، رجل معروف في عنبس العاصمة مدير مستشفى حكومي ، وهو جراح دماغ وأعصاب .

حسين أكبر أبناء سعيدة كان في هذا الوقت مديرا لمستشفى حكومي ، فهو جراح دماغ وأعصاب ، والابن الثاني حسن طبيب قلب ، والبنت الكبرى سكينة جادر دكتوراه سياسة سفيرة في دولة آسيوية ، وأبوهم جادر كان ضابطا كبيرا في سلاح الطيران العسكري حمل رتبة فريق ، ومات بسكتة قلبية قبل عشر سنوات ، وماجدة مهندسة طيران تعمل في عُمان هي وزوجها ، ولهم شقة في تاج الزمان ، وحمدي مهندس طيران في سلاح الجو الوطني ، والذي يليه الدكتور الاقتصادي علي يحاضر في جامعة أمريكية ، درس هناك وتزوج أمريكية واستقر فيها ، وهما دكتوراه اقتصاد ، ومن عهد بعيد لم يحضر للوطن ، وأصغر أبنائها حاتم جادر ، درس المحاماة ، عمل بها قليلا وتركها ، وعمل في التجارة والصناعة ، فربما هو أغنى إخوته

يملك مجموعة مصانع ومتاجر وعقارات ، تأثر بخاله حبيب ، مشروع ناجح يفتح آخر ، وكان محبا لخاله حبيب أكثر من إخوانه ، لا يكاد يمر أسبوعان إلا ساق أمه وزوجته إلى زيارة أخيها ، وكان دائم الاتصال بخاله مثل جهاد ، لكن مسرح عملياته عنبس والتاج ، والمدن الصناعية ، وزوجته أم أولاده ابنة عمته ، تزوج في حياة أبيه .

لم تدفن في عنبس حيث دفن زوجها جادر ، دفنت سعيدة عارف في مقبرة العائلة في بعنبس ، بوصية منها أن تدفن عند والديها عارف وأمها ، يسمح نظام البلدية بشراء مقابر خاصة داخل المقبرة العامة ؛ لرغبة بعض الأسر بدفن موتاهم في مكان واحد ، لتسهل زياراتهم جميعا ، فتباع قطعة أرض لعائلة باسمها ، وتكون مكونة من عشرات القبور ، واذا امتلأت دفن في القبر الأقدم ، تم الدفن بعد العصر ، بعد أن صلى عليها الإمام في المسجد الأقرب للمقبرة ؛ لكسب الوقت لقصر النهار ، صلاة الجنازة تختلف هيئتها عن كثير من الصلوات التي شرعها الإسلام ، صلاة قيام بدون ركوع ، ولا سجود ، توضع الجنازة أمام المصلين ، يكبرون أربع تكبيرات ، تقرأ الفاتحة أولا ، والصلاة الإبراهيمية بعد التكبير الثاني ، ثم الدعاء ، ثم الدعاء والسلام ، وتحمل الجثة للمقبرة لتدفن بالتراب داخل حفرة تسمى قبرا ، لا تدفن بتابوت كفعل الآخرين ، ولا تحرق كالهند وغيرها ، وأقام أولادها سرادق العزاء في عنبس لاستقبال المعزين . ماتت سعيدة عارف شقيقة حبيب في العشرين من آذار من العام ٢٠١١ ، ومات زوجها الطيار عام ٢٠٠١ عام أبراج نيويورك الشهيرة .

سيبقى جهاد في البلاد طوال أيام العزاء ، درج الناس للجلوس للعزاء ثلاثة أيام وينتهي السامر ، ثم سيعود لعمان الشامخة لإكمال الفصل ، وسترافقه زوجته وذريته وشقيقته وردة وزوجها وأطفالها ، ومربياتهما لجولة سياحية لمدة أسبوع في ربوع الأردن .

فرتب لهم إبراهيم بخبرته الفندق الذي سينزلون فيه فترة السياحة القابلة للزيادة ؛ كما رتب مع إدارة الفندق في عمان موعد الطيران والاستقبال ، وسيرافقهم للمطار إبراهيم نفسه ، وسالم الذي وجد في البلد أثناء العزاء والجنازة .

التقت جريدة بجهاد وسالم في بيت وردة قبل السفر ، ولما احتضنها جهاد ، وألقت صدرها على صدر أخيها ، كانت تبكي على صدره كالطفل الصغير ، فهم من سنوات متدابرون، والأصح هي بعيدة عنهم ، وتتجنب اللقاء بهما ، فقد أدمع المشهد قلوب عيون السامعين والرائين ، حتى قال عارف: ألا تكفي هذه الدموع ليحصل الانفكاك ؟

ابتسم الجميع ، وانتقلت لصدر سالم ، ثم رفعت رأسها قائلة : أنا أعتذر إليكم جميعا .

وقبلت سالما وهمست :كنت طائشة ؛ كما قال عارف يوما!

قالت وردة وهي تحتضنها وتقبلها : الله يرعاك بفضله ورحمته حبيبتي جريدة ! الحمد لله .. جمعنا موت عمتنا سعيدة .. أسعدها الله في قبرها وجعله روضة من رياض الجنة

- آمين !

قالت : كلنا نحبك يا جريدة ! أنا وعارف وسالم وجهاد .. أنت أختنا .. الله أراد لنا أن نكون إخوانا في الرحم سوى أخوة الإيمان .. إنما المؤمنون أخوة .

ملس جهاد على شعرها وقال : لم نكرهك يوما ما ! إنما نكره أفعالك .. أفعالك لم تتوافق مع أفعالنا الحسنة والبسيطة .. هل ترافقيننا لعمان ؟ ما رأيك؟

فألقت رأسها على صدر جهاد ، وتجدد بكائها، وقالت : عزيزي حبيبي سأقبل دعوتك .. تعال يا جوهر إلى صدر خالتك .

هجم ثلاثة عليها : جوهر ومحمد ومي.

انتهت الرحلة العمانية أو الأردنية لأسرة عصام وأسرة جهاد ، وضيفة الشرف جريدة. جميعهم نزلوا في فندق واحد حسب حجز إبراهيم ، وكان المهندس محسن رتب لهم الرحلة السياحية مع مكتب وشركة سياحية ، بدأت الرحلة بوسط وقلب العاصمة ، زيارة إلى المدرج الروماني أو مدرج عمان ،ومتاحفه ، ثم صعد بهم إلى جبل القلعة المقابل لمنطقة المدرج ؛ حيث قلعة تاريخية ومشاهدة متحفها .

المدرج عبارة عن قاعة مسرح قديمة تشبه مدرجات ملاعب كرة القدم ، المدرجات هي أماكن دائرية أو بيضاوية في الهواء الطلق ، مع مقاعد مرتفعة ، مدرجات بناها الرومان في أنحاء الإمبراطورية الشاسعة ، استُخدمت لأحداث معارك المصارعين ، ومصارعة الحيوانات مع الأسرى والعبيد للتسلية والترفيه ، عن السادة والأمراء ، والأميرات ، وكانت أيضا ساحات لعمليات الإعدام ، عُثر على نحو ٢٣٠ مدرجا رومانيا في جميع أنحاء الإمبراطورية الرومانية.

يعود تاريخ المدرجات الأولى إلى فترة الجمهورية ، لكنها أصبحت أضخم خلال عصر الإمبراطورية. تتميز المدرجات عن السيرك ، ومضامير سباق الخيل، التي كانت عادة مستطيلة ومشيدة بالأساس لأحداث السباق، والملاعب المشيدة لألعاب القوى.. كلمة المدرج تعني «المسرح الملتف (الدائري)»، وبالتالي يتميز المدرج عن المسارح الرومانية التقليدية نصف الدائرية بأنه دائري أو بيضاوي الشكل.

يتكون المدرج الروماني من ثلاثة أجزاء رئيسية ؛ تُسمى منطقة الجلوس الكافيا والأرينا وهي الساحة ، والفومِتريوم .. تتكون الكافيا من صفوف متحدة المركز من المدرجات ، الكافيا ثلاثة أقسام أفقية ، تتناسب مع الطبقة الاجتماعية للمتفرجين ، (الكافيا السفلى) وهي الجزء الأدنى من الكافيا الذي يحيط مباشرة بالساحة ..كانت مخصصة عادة للمراتب العليا في المجتمع.. مثل تخصيص الكراسي الأولى في القاعات الاحتفالية للشخصيات المهمة .

الكافيا الوسطى وكانت مفتوحة لعامة الناس، لكنها كانت محجوزة للرجال عادةً ، السوما كافيا هي أعلى قسم ارتفاعًا ، وكانت مفتوحة عادة للنساء والأطفال.

متى شُيدت المدرجات الأولى وأين لا يُعرف ؟ هذا ذكر أشهرها عالميا . مدرج بومبي سواحل إيطاليا ، المؤرخ تشييده بدقة ٧٠ قبل الميلاد بقليل في عصر الإمبراطورية ، أصبحت المدرجات جزءً أساسيًا من المشهد الحضري الروماني ، استوعبت المدرجات الإمبراطورية بسهولة ما بين ٤٠٠٠٠ إلى ٦٠٠٠٠ متفرج وأكثر .

سُجل آخر تشييد لمدرج عام ٥٢٣ في بافيا تحت حكم ثيودريك ، كان الغرض الوحيد المتبقي

للمدرجات هو أن تكون مكانًا للإعدام والعقوبات العلنية ، ثم بعد أن تضاءل هذا الغرض تدهور العديد من المدرجات إلى حالة سيئة ، وفُكّكت تدريجيًا للحصول على مواد البناء، أو هُدمت لإفساح المجال أمام المباني الجديدة ، أو خُرّبت .





لفترة طويلة حكمت الإمبراطورية الرومانية أجزاء كبيرة في العالم القديم ، فبجانب سيطرتها على كامل أوروبا وأسيا الصغرى تركيا اليوم سيطر الرومان على بلاد الشام وكامل شمال أفريقيا. وأثناء تلك الفترة ترك الرومان أثار معمارية كبيرة في بلادنا العربية وفي أوروبا، لعل أشهرها المدرجات الرومانية التي شيدوها لأغراض فنية واستعراضية ، نستعرض معكم هنا أشهر المدرجات الرومانية في العالم: الكولوسيوم في روما ـ إيطاليا ، وهو المدرج الأكثر شهرة وأهمية في أوروبا ، ويعتبر منطقة جذب سياحي في إيطاليا. مدرج آرل ـ فرنسا ، صمم لسباق المركبات، والمعارك اليدوية القديمة ، ويستخدم حتى الآن في مصارعة الثيران وحفلات الموسيقى خلال الصيف . مدرج ساحة نيم ـ فرنسا ، يستخدم كحلبة لمصارعة الثيران.

مدرج ساحة فيرونا ـ إيطاليا ، ويستخدم حاليًا في عروض الأوبرا. مدرج الجم ـ تونس ، بني في مدينة الجم التي كانت واحدة من ضمن المدن الرومانية البربرية في أفريقيا.

المدرج الروماني في عمان ، بالتحديد على سفح جبل الجوفة على أحد التلال المقابلة لقلعة عمان قد بُني إكراماً للإمبراطور مادريانوس الذي زار عمان سنة ١٣٠م ، تقع إلى جانب المدرج ساحة الفورم .

وفي اليوم التالي قامت رحلة إلى آثار ومعابد وساحات وأعمدة جرش ، وفي نفس اليوم سار بهم نحو قلعة عجلون المشهورة في الأردن . وفي يوم آخر رحلة إلى مدينة البتراء التي يؤمها السواح من كل بلاد العالم الغنية ؛ حيث مدينة الأنباط الصحراوية ، وكانت رحلة صعبة ، وفيها مشي على الأقدام أو الدواب .

على العموم استمتع الجميع بهذه الرحلة ، ونزلوا وسط عمان لرؤية أسواقها ومسجد عمان الكبير المسجد الحسيني ، وسبيل الحوريات ، وتسوقوا في عمان القديمة . قضوا عشرة أيام سياحة في الأرض ، ثم رجعوا للديار ، ورجع جهاد لشقته والجامعة ،وتشجع الرجل لسفر زوجته وأولاده للحياة معه في عمان ، ما دامت المدام رضيت بذلك في الخريف القادم ، ووضع إعلانا بمساعدة محسن لكراء فيلا لأن المربية والخادمة ستسافران مع الأولاد ، وطلب من محسن أن يؤمن له شغالة أو خادمة للبقاء في البيت اذا رفضت خادمته الإفريقية الانتقال إلى عمان ، تشتهر عمان باستيراد الخادمات الآسيوية من الفلبين وإندونيسيا وبنغلاديش والسريلانكيات.

تعرفت زوجة محسن المهندسة نوال على زوجات جهاد وعصام وجريدة ، ودعاهم الشاب إلى بيت العائلة ، وتناولوا الغداء مع الأسرة ولقاء الوالد سعيد وأمه .

رن هاتفه ليلا ، وفتحه ، مع أن اسم المتصل لم يظهر .

قال المتصل : السلام عليكم يا دكتور جهاد!

قال : أهلا زياد بن حسن .. وعليكم السلام .. حبيبي أخذت الرقم من عمي!

قال : صدقت ! لا أعرف في العائلة الكريمة إلا الأخ جهاد رفيق البحر الكاريبي الدكتور جهاد جيفر كرانسي والسيد حبيب عارف .

ضحك جهاد وقال : حياك الله ! كيف الحال ؟

قال : الحمد لله .. كثيرا ضربت رقمك ، لا يجيب ، فلما لم يستجب ، اتصلت بالحاج حبيب فتكرم بإعطائي رقمك الدولي الجديد ، لم تستخدم رقم رحلة الكاريبي .

قال : فُقد ..كيف عيالك والشركة؟ هل من جديد من كوبا؟

ضحك زياد حسن وقال: أجل ، جديد كوبا يا أبا عبدالله ! انتهت أخبار كوبا.

قال : هل تمت تصفية أملاك أبي وأسهمه في تلك المصانع والشركات ؟ ٢٠٠٩ و ٢٠١٠ ونحن في ٢٠١١ سنتان استغرقت العملية !

قال : كم شهر وتكتمل السنتان ، أرسلت الشركة الموكلة بمتابعة أملاك الوالد الكوبية بنقل الأموال التي باسم جيفر إلى حسابنا في بنك سويسري ، ولم يعد لكم ارتباط بأي منشاة كوبية والبلاد حولها .

قال : انتهت علاقتنا بكوبا الشيوعية.

قال : حسب المعلومات الواردة لشركتنا ، لم يبق باسم الوالد شيء باسم جيفر كرانسي.. وأخذوا أتعابهم ، وأرسلوا لنا أتعابنا ، وتم إرسال الصافي لحسابك حسابنا في سويسرا ، وقد بلغ حسب الأوراق المرسلة ثمانية ملايين ونصف ، كان أبوك رأسمالي يعيش في دولة اشتراكية

قال : مبلغ كبير بفضل الله ﷻ .

قال : البركة من الله ، ولولا هذا المال ما علم أحد بحياة الوالد ، لم يبق إلا أمر واحد .. مبارك على الجميع!

قال : سنضطر للسفر يا زياد !

قال : ومن أجل السفر اتصلت بك .

قال : اعتقد أن البنك يتحمل حتى يتيسر لي السفر .

قال : لابد من وجودك ؛ لأنك الوكيل والمال حول باسمك.

قال : ننتظر لاكتمال الفصل ، بقي شهران يا زياد !

فيلا عارف

سكن عارف الطبيب في حي الجمل الحي الحديث ، أقام عارف في الفيلا الجديدة التي تملكها من ابن عمه سامي وحسن وليمة أو دعوة عشاء بعد صلاة المغرب ، وحضرتها وردة وجريدة وعصام .

قاموا عن المائدة تباعا إلى صالة الفيلا ، أخذ عارف بعد تدينه يلبس القميص العربي، الذي يقال له اليوم دشداشة ، ثوب طويل بأكمام أو نصف كم ، القميص اليوم يطلق على لباس الصدر والبطن الذي يغلق بأزرار ولبس الدشداشة لباس رسمي في دول الخليج الستة ، وضعت روز المكسرات أمام الزوار وصحون الفاكهة والسكاكين والشوك .

بعد همهمات وتمتمات وشكر ومجاملات ، قالت جريدة : هل الدعوة لها سبب ؟

قال عصام : أكيد لها سبب ، أوصاني عارف ألا أخبر وردة بالسبب .

ضحكت وردة ، وردت : لو لم تقله يا عصام يا قرة العين ! فأنا أعرفه .. تكلمت ظهرا مع حبيبي جهاد .. أنا أحفظ برنامج وقت محاضرات الدكتور جهاد!

قال عارف : رائع يا أهل الخير!

قالت : اتصلت كالعادة .. أنا أحب سماع صوته ودردشته في وقت فراغي وفراغه سواء أثناء وجودي في العيادة أم في البيت .. أحب سماع صوت هذا المخلوق اتصلت أسأله عن حاله ودراسته وعن اقتراب نهاية الفصل ، فذكر لي أنه سيقوم بزيارة لسويسرا عندما يعود للوطن .

ضحك عارف وقال بأسف : نسيت أنك تتواصلين معه كل يوم أو يومين .. أختك يا جريدة لو قرصتها نملة ، ستتصل به تقول ما تفعل؟ طبعا بعدما يشير عليها عصام برأيه ، ثم يختم اسألي جهادا ؛ ليؤكد لك حلي.

ضحكوا فهذا الواقع ، فلما تطلع على الجريدة الصحيفة ، ويشكل عليها فهم الكلام المكتوب تتصل فورا بجهاد تستوضح ما لبس عليها ، فقال عصام مواسيا لابن عمه : صدق يا عارف أن وردة تقر لك بالألمعية والقدرة على أخذ القرار ؛ لكن حبها لأخيها الأصغر الطفل أكثر.

قالت مبررة لتعلقها الزائد بشقيقها : لا أدري ! منذ تصالحنا وأنا أحب الحديث والمناقشة معه في الدين والدنيا .. وأنا أقدر الجميع يا عصام ! وأنتم أحب الناس إليّ ؛ وليس لي أصدقاء سواكم .. تعرفون هجرت الجميع إلا بالحدود الدنيا . . حياتي البيت ، ولولا أن العمل ينفعني دنيا وآخرة لتركته ؛ كم أستلذ عندما أسمع دعاء فقيرة محتاجة تأتي العيادة ، وهي تدعو لي ولزوجي وأولادي وأهلي .. سهر معكم .. زيارات لكم .. سفر انتهى.

قال عارف ممازحا : أنا أعرف وردة جيدا.. كلنا نحبك .. أنت أمنا ؛ كما يقول جهاد ؛ ولكننا نرى جهادا مرجعا دينيا مثل مرشد ايران أو الإخوان .. ماذا تطالع وتقرأ أختنا اليوم غير القرآن ؟

قال عصام باسما : سأخبرك ببرنامج حبيبتا وأمنا وردة .. تستيقظ قبل نداء الفجر تصلي ثمان ركعات ، ثم تجلس للذكر والتسبيح ، حتى يؤذن أبو احمد مؤذن الجامع المجاور لدارنا ، فتوقظني " الصلاة يا عصام ".. تصلي السنة التي هي خير من الدنيا وما فيها ، ثم تصلي الفرض ركعتين ، وتجلس تذكر أذكار الصلاة والفجر أو الصباح ، ثم تحضر شراب العسل والحليب ، وتعود لقراءة القرآن حتى تشرق الشمس وتصلي الضحى ، وتساعد الخادمة في إعداد الإفطار ، ونفطر جميعا الصغير والكبير وتساعد المربية في غيار جوهر وساندويشة المدرسة ، ولما يأت باص المدرسة تأخذ المربية أو الخادمة بيده إلى معلمة الباص ، وهي تقف قرب نافذة الصالة تراقبه وهو يشير إليها مودعا بتحرك الحافلة، وتطلق قبلة في الهواء مودعة ، ثم تعود للجلوس بقربي ، وتسأل عن برنامجي اليوم ؟ نشرب القهوة عند اقتراب موعد خروجها للعيادة.. وتبسم وهو يقول : وأنتم كيف برنامجكم ؟

تبسمت روز وقالت : نفس برنامجكم .. هل يختلف شيء يا عارف ؟

قالت جريدة : والله يا أبا جوهر دقيق في وصف البرنامج .. حبيبتي وردة لا تنسيني من حبك!

قالت : أنا أحبك بحق وليس مجاملة ! اسالي عارفا عن مقدار حبي لك .. ومنذ وفقني ربي إلى

الإسلام ، وأنا أدعو لكم جميعا بالنصر والثبات.. فأنت أصغرنا ، وتحتاجين لعطفنا وحبنا أليس كذلك يا مديرنا ؟ أنا لا أعاملك كطفلة ؛ كما شكوتيني لعارف .

قالت جريدة : عارف لا يؤتمن على تعليق .. سامحيني.

قال عارف : كما قالت روز برنامجنا الليلي قريب من نشاطكم يا عصام ، لم نعد نركض من مسرح إلى آخر ، من سينما إلى أخرى .. هل تعلمون أن روز عمرها ما دخلت سينما أو مسرح؟.. في الجامعة حضرت بعض المسرح للتدريب على ذلك لاستخدامه كوسيلة تعليمية كنا أنا ورفاقي في المدرسة نتباهى من شاهد أفلاما أكثر .. من دخل مقاهي أكثر .. وها نحن سعداء بدون مسرح ، بدون سينما بدون مقهى حتى التلفاز مللنا منه .. فأختكم روز تصلي وتصوم من نعومة أظفارها ؛ كما يقال .. قصص الحب ورسائل الغرام ومطاردة المراهقين وتبادل كاسيتات الأغاني.. لا تعرف هذا الجهل البتة .. الحقيقة والدتها أم فاضلة وصارمة يا وردة ! فروز تقوم الليل وتصوم الاثنين والخميس إلا اذا منعتها ، وأنا لا أمنعها ؛ لأن نهار ذاك اليومين غالبا ما أكون في العمل ، وأما أنا فأصلي أربع ركعات قيام قبل النوم يا جريدة ! أصلي وأقرأ ثم أدحل وأنام على وضوء .. هل تعلمين يا وردة أن روز تقول أن هناك أربعين نوعا من الصلاة؟

قال عصام مستغربا : أربعون صلاة ..كيف يا روز ؟ هل هناك غير الفرض والسنن؟

قالت وردة بابتسامة مشجعة : فهمينا يا أم محمد ! ﷺ على محمد .

قالت : حبا وكرامة ! قد لا أتذكر أسماءها كلها ؛ كما قال أبو جوهر نحن نعرف الفرض والسنن .. الصلوات الخمس وسنن راتبة للفروض الخمس صلاة الجمعة صلاة العيد صلاة الميت صلاة الاستسقاء صلاة الخسوف والكسوف صلاة الخوف صلاة الإحرام بالحج قيام الليل الوتر التوبة صلاة الحاجة الضحى النوافل المطلقة صلاة الاستشهاد كما فعل سيدنا خبيب صلاة الفتح .. هذا ما أذكره الآن .

قالت : جزاك الله خيرا نوّرتينا .. ما شاء الله !

قال عارف : نعم ، فجوهر يسر لي كنزا كبيرا في العلم الديني ..تعال عندي سأبقي مدينا لك بهذا الكنز ـ اقترب الفتى من خاله الذي قبله ، وأجلسه على جنبه على الكنبة ، وقامت سلمى وجلست بجوار جوهر ، مما أضحك الجميع ـ وهل هناك أروع من هذا الحب بين الأخوة يا جريدة ! فأبي سجّل كل أملاكه باسم أخيه رغم ما بينهما من البعد العقدي .. الأخوة خطب كبير لمن يفهمها.. أخوة على سرر متقابلين .. فوردة تاج رؤوسنا يا جريدة ! اجلسي يا روز الخادمة تقوم على ما نريد أحسن أن يتعب محمد .

قالت وردة : اطمئن الجنين صحته ممتازة بفضل الله تمام .. وأنا أقرأ اليوم بإرشاد من جهاد بكتاب مشهور للشيخ سيد سابق رحمه الله اسمه .. فقه السنة.

قال عارف : كتاب معروف ومشهور .. كأن جهاد لا يعرف إلا هو .. ونصحني أيضا بقراءته .. وحتى روز قرأت الجزء الأول منه في بيت خالتي أم هيفاء.

قالت جريدة : لماذا لا تعطوني رقمه في عمان ؟ لقد تصالحنا حتى أعوض ما فاتني من حب لأخي الأكبر مني بثمانية عشر شهرا ،وما أكنه له من مشاعر .. نسيت طلبه منه أيام عمان الجميلة .

ذكر لها عصام الرقم ، وحفظته على الجهاز :وقالت : الليلة سأتحدث معه من شقتي حتى لا أبكي أمامكم ، وتضحكون مني.

ضحكوا وقال عارف : ضحكنا سلفا ومقدما أيتها الطفلة !

قالت : مهما قلت ، فأنت مديرنا آخر الزمان .. عارف مدير على جريدة!

قال : أنا مدير على مئات الموظفين .. أنت مجرد فرد واحد .. اسمعوا وافرحوا جمعتكم أيها الاحبة ؛ لأخبركم أن جهادا سيسافر لسويسرا قريبا ، بعد انتهاء بيع وتصفية أملاك أبيكم نجيب عارف في كوبا والكاريبي وما حوله ، ولم يعد لنا أي شيء في بلاد العم كاسترو الذي كان مزعجا للولايات الأمريكية التي وراء كل انقلاب في العالم منذ الحرب الكونية الأولى والثانية .. وبلغت أيها الأحباب وابن العم الغالي ثمانية ملايين ونصف ، وبعض الفراطة

سنهبها لجهاد جزاء أتعابه معنا.

هتف جريدة : يا الهي ! هذا أبي كان غنيا هناك !

قال مفسرا : أبي كعمي وجدنا يحبون العمل والمشاريع ،حتى أنهم عدونا يا عصام!

قال : معك حق ! لما صار معي الحادث يا دكتور وبدا شريكي في العيادة يتذمر من كثرة جلوسي في البيت، وعن عجزي بالعمل بيديّ ، شكوت الأمر لأبي ، حقيقة لم يقصر بمساعدتي في إدارة البيت والمصروف والعلاج أكثر من وردة العاملة في العيادة منذ تخرجت .

همست وردة ودمعة خرجت من عينها : كنت حمقاء ! أصرف على الخمر والدخان والزينة والعطر ، وأستخسر مساعدة عصام .. آسف يا حبيبي !

قال : هذا انتهى يا حبيبتي!

قالت جريدة : ماذا فعل لك والدك ؟

ابتسم عصام وقال : شكوت له ضعفي وقلة الدخل يا أخت جريدة ، فقال : اشتر المزيد من الأسهم ، والسندات الحكومية ؛ لأني كنت يومها لا أصلي ، وإلا هي حرام يا جريدة ! اشتر صيدلية ، ووظف فيها فنيون ، تملك مصنع دواء ، وساعدني سامي وحسن ، وامتلكت صيدلية بمساعدتهم ، وامتلاك عمارتين لتأجيرهما ، شاركوني في مصنع دواء ، وتحسن أمري ، وأنا أجلس في البيت ، ولما تصالحنا مع وردة زادت المشاريع ، ونملك اليوم خمس صيدليات ، وحوالي خمس عمارات ومشاريع مع أخي ، وزوج نوار ، ولأول مرة أصرح أمامكم أن وردة سجلت في حسابي الخاص مليون دولار .

أخذت وردة بالبكاء وتشهق ؛ كأنها تعتب عليه كشفه هذا السر ؛ مما أدمع روز وجريدة ، نهضت وردة حيث غسلت وجهها ، وعادت تعتذر لضعفها أماهم ، فقال عارف : بالعكس ، نحن فرحنا بما سمعنا ، وجزاك الله خيرا .

قال عصام ختاما : فارتحت من الحاجة لمساعدة أحد .. واليوم نحن نغرق بنعم الله التي لا تعد ولا تحصى .

قال عارف : سيذهب حبيبنا جهاد والمحامي زياد صيفا بعد عودته لسويسرا لجلب المال ؛ لتوزع علينا .. لا تخشوا الفقر .. انفقوا .. اللهم أعط منفقا خلفا وممسكا تلفا.. نحن تعلمنا من مدرسة عمنا حبيب حب الإحسان وفتح المشاريع لفائدتنا أولا وفائدة العاملين ، وتقليل ما يسمى اليوم البطالة .

قالت جريدة مكررة : هذا أبي كان ثريا !

قال : أبي كعمي وكأبيهما .. هكذا تربوا على الاستثمار والإنتاج ، وتعلم الكل منهم ، كنت قبل شهور قبل سنة أعتمد على وظيفة الدولة ؛ السبب أمي .. كانت مستثمرة مثل العائلة .. وكانت تنفق عليّ وعلى الخائنة وبلص، لم تشجعني يوما على الاستثمار ؛ كما فعل عمي مع عصام وورده .. والمشروع الأخير حقيقة كان مفاجأة عظيمة لي ! كنت أظنه حلما أو خيالا ، وهم يضعون أفكارهم ، ويلتقون بفلان وفلان .. طبعا أنا كالأطرش في الزفة .. لا يسمع ما يردد الذين يزفون العريس ، حتى كنت أستغرب مناقشة عصام معهم وطرحهم الأفكار والخطط وكيف تحول مستشفاي أنا وجريدة إلى مؤسسة تجارية كبرى؟.. فحتى أن جريدة قالت بتأفف : خلصنا من تلفونات عارف ؟ متى ستعيدين أموالي ؟ حقيقة زهقتها .

قالت : وأنا ما صدقت أن أجد من يشتريه سامي أبو سامي .

قال : سيستفيد منه بإذن الله نحن والأجيال ، وجدنا ما دفعناه أمام ما اشتري قليل وأسمع اليوم بعد انتهاء العام المالي وتقييم العمل، قد يوسع أو يرحل قسمان لبناء جديد، ويسمح بمشاركة جريدة في الشركة وغيرها.

قال عصام : هناك مساهمون جدد.

قال : النية إبراهيم يرغب بذلك ؛ ليستثمر أمواله معنا ؛ وزوجتا جهاد وسالم وسأسجل حصة باسم سلمى ومحمد وأمه ـ إن شاء الله ـ حقيقة المشروع واعد .

قال عصام :كم موظفا عندك؟

قال : الآن ألف وخمسمائة ، والمخازن الخارجية تسعة كم فيها لا أعلم ؟ .

قال : كم ستصبح يا عارف؟

ـ قريب من الثلاث آلاف .

قالت روز : ما شاء ثلاثة آلاف موظف !

قال عصام : أولئك فقط الذين تحت مسؤولية الدكتور .. المخازن كل ثلاثة مخازن له إدارة خاصة .

قال : الحق أن ابن عمي سامي وحسن عمالقة في الإدارة والتجارة ، ولا يظهر عليهم هذا الإبداع والتخطيط ، وهم يعملون مشاريع إسكان وأبراج في تاج الزمان والبلاد .. يقيمون برجين في ضمن مشروع الثلاثين برجا ، ووصلوا الطابق العشرين من مجمع الثلاثين برجا .. البرج سيكون أكثر من ٧٠ طابقا، مثل أبراج الخليج وشيكاغو ونيويورك وأمريكا وماليزيا .

قالت جريدة : وأنت تستطيع السيطرة على ثلاثة آلاف .

قال : بتوفيق الله ممكن .. يدير مدير مستشفى كادر ومرضى بعشرة آلاف.. الإدارة تسلسل هرمي .. ومهمتي مراجعة تقارير من كل قسم ، وقسم المال يتابع الداخل والخارج .

قال عصام: سمح سامي بمعالجة أي موظف وأسرته في مستشفاه الخاص ، واذا لم يتوفر العلاج والأخصائيون ينقل إلى أي مستشفى وعلى حساب الشركة .

قالت وردة : والله رائع! طلب مني سامي أن أعالج نساء الشركة وزوجات الرجال على حساب المؤسسة ؛ كما نقدم هذه الخدمة لمصانع وشركات نتعاقد معها .

قال عارف: هذا التطور سيقوم إبراهيم بعمل العقد مع عيادتك في بداية تموز .. كل الحوامل وغيرهن لمن ترغب المراجعة عندك .. وهناك احتمال أن يطلبوا منك تغير مكان العيادة لأضاقه طبيبة أو أكثر .. فهناك مبنى امتلكناها .. قريبا من موقع المؤسسة ، تصلح لمركز طبي لمرضى المؤسسة وعيالهم بما يسمى تأمينا صحيا خاصا .

قال عصام : دردشت وسامي في ذلك ، ولم أعرضه عليكِ حتى يصلح البناء وعرض أن تكوني مديرة ، لا تعملين بيدك مثلي.

قال عارف : أطباء الأعشاب يرغبون بحجز نصف طابق عند انتقال الأقسام ، أنا لم أكن أظن أن أحدا يذهب لهؤلاء العشابين ، كنت أظنهم مشعوذين، فهم يحملون شهادات مثلنا يا وردة ومستودع الأدوية والكريمات والدهون والزيوت يريدون حصة ، والأمر الآخر ...

قالت : عندك أمر آخر غير الملايين !

قال باسما : هذه الفيلا أصبحت ملكي .. والملك لله.

ـ والشقة.

قال : هدية لأختي جريدة .

قالت : وشقتي !

قال : بيعها .

قالت : لست فقيرة!

قال : الهدية غير مرتبطة بالفقر والغنى.


جهاز الكلية الصناعية

خاطب مهران إبراهيم : ذهبت لعزاء أسرة عارف.

قال : عزاء عمة جهاد .

قال : ذهبت ، وعرفت شيئا أو أشياء ، لم أكن أعرفها ، مع عشرتنا الطويلة لجهاد !

قال بفضول : ما الجديد الذي عرفته ؟

قال أحمد داخلا على الخط : ماذا عرف صديقنا أبو نزار؟

قال متعجبا : وجدت أن زوجها.. الحجة سعيدة الميتة .. وصل لرتبة فريق في سلاح الطيران ومات قبلها بسنوات ؛ ربما لذلك لم نسمع جهادا أو شقيقه سالما يتكلم عنه ، وثانيا ابنها الكبير

حسين مدير مستشفى في عنبس ، وابنة عمته سفيرة .. كل الأولاد من علية القوم .. هل سمعتم جهاد يتكلم عنهم؟!

قال احمد : أنا سمعت عنهم شيئا قليلا .

قال إبراهيم : كعائلة سمعنا عنهم ؛ لكن ليس بمثل ما سمعنا يومين العزاء .. وجهاد بطبعه لا يحب التفاخر بأقاربه أو يتحدث عنهم وحتى سالم مثله.

قال مهران : المعرفة والأخبار ليست من التفاخر .. كلنا يخجل من التفاخر ؛ لكن للحاجة والشفاعة ، لما نعرف أن والد زوجتك مثلا ضابط مخابرات نطلب مساعدته عند الضرورة .

قال أسامة : وجهة نظر طيبة يا دكتور!

قال إبراهيم : ربما السبب أن تواصلهم مع بعض رسمي ؛ لأن جهادا من عائلة وزوج الحجة سعيدة من عائلة أخرى ؛ كما أنا وجهاد فنحن من عائلة ، وهم من عائلة ، ليس من مشترك بينهم في كل هموم وقضايا العائلة ، ونحن مثلهم .. هذا العزاء مثلا .. لو لم يكن له علاقة بجهاد ما ذهبنا .. هكذا العزايات اليوم .. جهاد أولا ثم أقاربه الأقربين .

ـ يبدو اختلاطهم قليل ؛ وليس بينهم مصاهرات حديثة .. فالنساء تجمع وتفرق .

قال إبراهيم : الحجة سعيدة عارف كبيرة في السن ، كان جهاد وسالم يزورنها في كل فرصة متاحة ، وابنها الأصغر اسمه حاتم جادر محامي مثلنا ؛ لكنه طلق المحاماة وعمل بالتجارة والصناعة متأثرا بخاله حبيب ، ومحب لخاله ، فكان يحضرها لزيارة حبيب أو السيد حبيب يزورها باستمرار وتكرار وصّال للرحم ، وحاتم أكبر مني بسنة ، قريب من الأربعين .

قال مهران معلقا : أسرة تحب الاستثمار ، الكل يحب الاستثمار ؛ ولكنهم يكثرون من المشاريع لتشغيل الناس يستفيدون ويفيدون مع أنها لو وضعت في البنوك وأخذت فوائد ؛ لكسبوا الملايين بدون تعب ومناكفة الناس ، تعيين موظف ، علاج موظف ، ترك موظف.. ذات يوم جلست مع مليونير ، يملك ما يزيد عن عشرين مليونا ، فقلت له أين تستثمر ثروتك ؟ أجاب يا مهران استثمرها في البنوك في النمسا سويسرا أريح نأخذ عنها أرباحا دون مشقة

ودون ضريبة ، عملت عدة شركات انكسرت رواتب موظفين ضريبة مخالفات بيئة .. فوضعها في البنك لا أحد يسألك عنها .. هذه عقلية .. وحبيب عقلية .

قال احمد : بارك الله لهم في أموالهم ، ورثوا ذلك عن أباهم وأجدادهم .

فقال أسامة : يتصدقون كثيرا ، عملت معه في التوزيع ، عندما نذهب لأسرة معينة في الكشف تتطفل علينا أرملة فقيرة فيعطيها من ماله الخاص زيادة على المخصص .. أسرة تحب الجود بالفطرة .

قال إبراهيم :هذا معروف في أبي العبد قبل أن يصير مليونيرا .. أنت قل عاوز دين عشرة عشرين فسيعطيك بدون أن ينتظر السداد ، لو فعلت لا يقبلها ويعتبرها هبة .

قال احمد: الناس الطيبون لا يمّل الناس من ذكر محاسنهم أيها الإخوة .. الجريمة التي حدثت قبل أسبوع .. اتصل شخص بنا للدفاع عن ابن أخيه .. فالقاتل ابن أخيه ، ويزعم أنه لم يقصد القتل ؛ إنما هي ساعة غضب.

قال مهران بتهكم : ساعة غضب ، ومعه مسدس ، هو ذاهب لحرب .

قال احمد : المسدس المشكلة ، زعم أنه كان يحمل المسدس لبيعه!

قال إبراهيم المختص بالقانون الجنائي: نشرت الصحف تفاصيل الحادث يبدو أن في الجريمة مخدرات ، وليس بيع مسدس .

قال أسامة : وهذا كشفته جريدة الشرطة العدد الأخير .

قال احمد : رأيت جهادا في العزاء وأخذت رقمه الدولي ، واتصلت به بعمان فأخبرني بتصفية أملاك أبيه في كوبا ، وسيذهب صيفا لسويسرا ، ونقل ما تم تصفيته لبنكه هنا ، وقال لي ضاحكا : ترك لنا ثمانية ملايين ونصف .

قال إبراهيم : تحدثت أختي أم عبد الله، وزوجة المهندس سالم بذلك .. العجيب أنه جمعها في بلد شيوعي اشتراكي حازم .

قال أسامة : كيف ؟!

قال إبراهيم : خرج نجيب من بيروت هاربا من الموساد ، وتزوج كوبية عميلة مخابرات كوبية بشخصية جديدة ، لم يعد يعرف بنجيب عارف ، فلا أحد يعلم من أهله وأقاربه أنه حي يرزق في كوبا إلا هو ، ومن ساعده على أخذ الاسم جديد كزوجته الكوبية ، وهو طبيب ، فعمل طبيبا ، واستثمر مع شركات أجنبية ـ الاستثمار يسري في دمائهم ـ تعمل في كوبا لصناعة الدواء ، وفي جزر الكاريبي الموالية لأمريكا مثل هايتي والدومنيكان وكولومبيا فرغم الاشتراكية ، فكانت تسمح لبعض الشركات أن تعمل في كوبا لتبادل السلع والأموال ، حتى في روسيا لم يكن كل شيء اشتراكيا ، فهناك شركات قريبة من الاقتصاد الحر .

صمت القوم قطعه مهران : المؤسسة الطبية العالمية شيء مذهل يا إبراهيم ! ذهبت لمراجعة بعض قضاياهم القانونية فأخذني الدكتور عارف في جولة سياحية .. فذهلت حقا ! .. أشياء حتى في الدعاية والإعلان ما عرفتها .

قال إبراهيم : نجحت بسرعة ، نيات صادقة ، وعمل جاد ، فيها مدراء خبراء بحق ، وفي العام القادم سيجري تغييرات ، وفصل الأقسام إداريا وماليا ، سيبقى المبنى كله للطب والصيدلة وطب الأعشاب والكريمات والزيوت ، وينقل القسم الثاني والثالث إلى أماكن أخرى حتى الشكولاتة التي يقدمها عارف لزواره طبية وعلاجية .

فقال أسامة : أي عقل رتب هذا المشروع؟

ضحك إبراهيم قال: عقل أسرة عارف!

فقال أسامة : شخص!

قال إبراهيم باسما : شخص ! ومجموع عقول .. كان سامي قد رأى مثلها في أوروبا .. في بلد زارها ، وظلت فكرة حتى نضجت ، ووجد من يعمل ويقتنع بها.

فقال أسامة : ما شاء الله .. لا قوة إلا بالله!

خرج احمد وأسامة للغداء في مطعم قريب من عمارة المكتب ، صعدوا للطابق العلوي من

المطعم ، قال احمد وهم ينتظرون قائمة الطعام : قبل زمن قليل يا صديقنا تكلمنا عن الجاسوس وائل زياد ، وأنك وبعض رفاقك تتابعون مواقع أمنية وتجسسية ومخابراتية ، وتحبون مثل هذه الحكايات وكتبها ، وأفلامها الحقيقية والخيالية.

فقال أسامة متحمسا : حببت لي القراءة يا دكتور وأنا طفل في الصف الرابع أو الخامس ، كنت أقرا قصص الألغاز البوليسية التي تنتشر في مصر والعالم العربي من بداية السبعينيات فمن ضمنها قصص أو الغاز تتحدث عن عالم الجاسوسية ؛ حيث كانت مصر في حالة حرب مع إسرائيل ، أما اليوم فمصر تشارك في حصار غزة ، وتغلق المعبر شهورا بحجة الأمن المصري والقومي .

قال احمد : صحيح ! كنت تقرأ مغامرات المغامرون الخمسة .

فقال أسامة : كل من يحب قراءة القصص البوليسية سيقرأ منها ، فهي أشهر سلاسل الألغاز التي تتكرر طباعتها ، ولنفس الكاتب سلسلة الشياطين الـ ١٣، وغيرها من السلاسل ، وقرأت سلسلة المخابرات والعالم للصحفي سعيد الجزائري السوري ، وأسرار الموساد مترجم والمخابرات الأمريكية .. والهدف من هذه الكتب الأجنبية حرب نفسية ضد العرب والشعوب الأخرى ؛ لأنها قبل أن تطبع وتنشر تخضع لدراسة من الأمن الأمريكي الإسرائيلي الروسي ، فكل ما فيها من التفاصيل بعيد عن الحقيقة .. فهناك حرب سرية وأمنية بين عقل شباب غزة وعقل أمن اليهود ، وجوجل فيها مواقع متعددة تهتم بقضايا الجاسوسية ، وتستخدم في التجسس ، فحرب الجاسوسية مستمرة بين أجهزة مخابرات الدول القوية .. وبعض المواقع تنشر مقالات وتحليلات وخيالات عن أحداث أمنية .. ككشف الجواسيس ويختلط الحق بالباطل .. وصراع التجسس قائم بين حماس والموساد .. وقضية وائل بعنبس مثال على ذلك .. فهي حرب ضروس.

قال احمد : نعم ، أذاعت قنوات فضائية ملفات تجسسية ؛ وليس كل ما تبثه حقائق وصادق الجاسوس نفسه لا يعرف كل التفاصيل ؛ ربما المسؤول عنه عنده معلومات أكثر من العميل ..

فرأينا ملفات روسية وأمريكية وصينية .

فقال أسامة : كلها كتابات لتعظيم أجهزة دولهم ، أغلب ما فيها بعيد عن الحقيقة قرأت كتاب جورج تينت مدير السي اي ايه في كتابه "في قلب العاصفة " عن أحداث أيلول ٢٠٠١ واحتلال أفغانستان والعراق .. الكتاب دفاع عن مواقفه وضعفه أمام أحداث أيلول .

قال احمد : اطلعت عليه ، وقرأت كتاب " اقتل خالد" للصحفي الأسترالي بول ماغوو في وصف حادث اغتيال مشعل ممثل حماس في عمان ؛ حيث يدرس جهاد ، وكان فشلا ذريعا للموساد .

فقال أسامة : على القارئ أن يقرأ في كتب اليهود وكتب الطرف الآخر .. قد تعرف بعض الحقائق فعلا .. انظر في قضية وائل زياد .. فور الحادث نشر أمن غزة أنه عميل ، فصدق الناس ، وفيما بعد تبين أنه قدم خدمة ، ولم يعمل مع الموساد ، مخابراتنا هنا انزعجت ، فقد مكث سنوات هنا ، مع من كان يعمل ؟ فلما أرادوا الحديث مع الطبيب ؛ لأن وائلا من أصدقائه انتحر ، ثم تبين أن الانتحار لأمر آخر .. مرة إسرائيل أرادت اغتيال علي حسن سلامة قائد فلسطيني في السويد ، فقتلت نادلا مغربيا ظنوه حسن سلامة .

قال احمد : هل المخابرات تحكم العالم؟

فقال أسامة : لا ، يتظاهرون بذلك ، والثورات العربية تدل على ضعف أجهزة المخابرات في تونس ومصر وليبيا وسوريا والعالم .

قال احمد : لماذا؟!

فقال أسامة : كيف بدأت الثورات ؟ كم مظلوم قتل نفسه ، ولم تحدث ثورة ؟

قال احمد : لأن الثورات لا رأس لها ليعتقلوه وينكلوا به .

الحرية الثاني

أسطول الحرية الثاني ، قامت حملات إغاثة دولية لإحياء ذكرى أسطول الحرية الأول ، سينطلق الأسطول الثاني ، ويتجمع في مواني اليونان بحمولة ٥١ سفينة من أوروبا محملة بالأدوية والحليب والمواد الغذائية وأجهزة طبية ومقاعد طبية وعربات للمعاقين والمعوزين، وستحمل القافلة ٣٥٠ ناشطا من دول أوروبية وعربية وكندا. رفضت إسرائيل بشدة وجنون إبحار هذا الأسطول على ميناء غزة ، واقترحت أن تنزل حمولته في ميناء أسدود أو العريش المصرية. وأدى الضغط الإسرائيلي والأمريكي على اليونان إلى فشل الحملة ، فقد رفض قادة الحملة الخضوع لشروط إسرائيل ، وتفريغ الحمولة في أسدود أو العريش ؛ لأنهم يعلمون أن المساعدات لن تصل كاملة .

هذا ما كان جهاد ومحسن يتسامرون حوله ، وهم يتابعون فشل الحملة الجديدة ، وكان ذلك في آخر حزيران حيث نشرت الصحف الأردنية خبر فشل الحملة ؛ نتيجة للضغوط القوية على اليونان.

فقال جهاد بحزن في نغمة صوته : يبدو أن الضغط الأمريكي أدى مفعوله .. لهم الله العزيز القهار .

قال : لهم الله .. ما زالوا يضمدون جراح الأسر التي فقدت الكثير من أبنائها وبيوتها .. يا رجل في أول يوم من الغدر الإسرائيلي والعربي صرع ٢٤٠ فردا.

فقال جهاد بحزن : أنا ذهبت لغزة العزة بعد توقف الحرب الأخيرة مع جمعية الإغاثة رحمة في بعنبس.. فرغم قسوة المأساة والمعاناة ، فهم صابرون راضون بقضاء الله ﷻ وقدره .. تجد الكثيرين منهم أشد قوة وبأسا منا .. صبر وإيمان وعزة.

قال: تابعت الأحداث يوما بيوم ، وساعة بساعة .. كانت الحرب على الهواء الفضائي.. أكثر من محطة بث مباشر من غزة طوال الثلاثة أسابيع ، غير نشرات الأخبار في أغلب القنوات العربية والأجنبية ..هل انتهت الاختبارات ؟

فقال جهاد مجيبا: انتهت بفضل الله ، وأنا على وشك العودة لبعنبس في أوائل تموز .. نستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه .. وسنبقي على اتصال ـ إن شاء الله ـ أنت صديق عزيز يا أبا صهيب ! يبدأ الفصل القادم في أواخر أيلول ، سنغيب عنكم باقي تموز وآب وبعض أيلول ، واذا لديك رغبة أنت وعيلتك زيارة أرض الآباء والأجداد يمكنكم مرافقتي وممكن أن تختار الوقت المناسب فالبيت بيتك .

قال: لا مجال أيها الصديق الكريم ؛ ربما في السنوات القادمة .. فأبي زارها عددا من المرات معزيا أو مشاركا بفرح مهم بالنسبة له .

ـ أنا أشرف بزيارتكم .

رن الهاتف ، وحيا عمه المتصل : وعليكم السلام ، التفت لمحسن ، وقال عمي حبيب.

قال: متى تعود ؟ سمعت من وردة أنك أنهيت الاختبارات .

فقال جهاد: صحيح ، أنتظر النتائج ، واستعد للعودة بعون الله وفضله .

قال: بالسلامة ، هناك موضوع خاص أحببت البدء بك قبل أن تعود.

فقال جهاد: حسن ! إني مصغ إليك .

قال: الدكتورة جريدة ، تحدث معي ابن عمتك حاتم جادر المحامي يفكر بطلب يدها والارتباط بها.

صمت جهاد لثوان ثم سأل : هل حدث لأم خالد شيء ؟!

قال: لم يطلقها ، من قريب ولدت له الذكر الأول ، له منها ثلاث بنات ، لم يبلغ المولود الأخير السنة.. قمت أنا وزوجتي بزيارته وتهنئته بخالد .. هو يسكن بين تاج الزمان وبعنبس على الحد الغربي بين الحيين .

فقال جهاد: أعرف بيته ، واعتقد أني زرته فيه مرة ، كنت أوزع طرودا في أحد الرمضانات ، والتقينا في المسجد المجاور لبيته بعد صلاة التراويح ، وأصر على استضافاتنا أنا والشباب ، فشربنا الشاي بمعيته والعصير، وأغلب نشاطه يا عمي في عنبس العاصمة والتاج .

قال: لا أدري ممن سمع عن طلاق جريدة ! وأنها ما زالت بدون زواج .

فقال جهاد: الله أعلم ، أتوقع أيام العزاء ذهبت للعزاء مع وردة وعارف .. والغريب يثير فضول النساء.

قال: المهم أنه سمع عنها .. ممن ؟ سيُعرف اذا جد الجد ، وعلم أنها لا تلد .. هل هي لا تلد حقا حقا كما نسمع ؟

فقال جهاد: عارف قال : إن عندها مشاكل تعيق الحمل ؛ لأن زوجها شهابا حملت امرأته منذ تزوج .

قال: الناس تنقل الأخبار ؛ لعل هذه المعلومات وصلت إليه ، كما قلت أثناء عزاء أم حسين ـ رحمها الله ـ لقد أوصت عمتك ببناء مسجد من مالها قبل توزيع الميراث ، وتحدث معي سامي أن ابنها حسينا طلب مساعدته بالمكان المناسب لإنشاء المسجد ، فهي ورثت من أبي ؛ كما تعلم ، ومن زوجها الفريق جادر الحمدي .

فقال جهاد: الناس تحب نقل الكلام ؛ خاصة اذا اجتمعوا في بيت عزاء أو فرح أين امرأة حاتم من القضية ؟

قال: عملت ربط مواسير بقناتي فالوب بعد ولادة خالد ، فيريد الزواج عليها ؛ لأن صحتها على غير ما يرام .. هو يقول إن بعض الأطباء يشك بوجود سرطان رحم أو مبايض ، لم تعد تتحمل الجماع من الألم .. من أجل ذلك رحبت بأن يتخذ لها ضرة .. فهي تقرب لأبيه ـ رحمه الله ـ ابنة عمة ، فرضيت أن يتزوج عليها ، ولا يطلقها ، فطلب مني أن يسمع رأي أخوة جريدة قبل رأيها، فبدأت بك .

فقال جهاد: جزاك الله خيرا ! أنت ما رأيك ؟

قال: هذا ابن أختي ، ورجل حسن .. وتلك ابنة أخي .. وجريدة كما أخبرني عارف بدأت تستيقظ من الغفلة وحب الدنيا .. وها هي تعمل معه في المجمع الطبي .. وذهابها للعزاء في عمتها خطوة صحيحة وكبيرة .. فهي لم ترها من سنوات من أيام الجامعة .. حتى يوم عزاء

أمها كانت في السعودية .

فقال جهاد: أمر مؤسف !

قال: لا بأس .. مصيرها الصلاح .. ناقش وردة وسالما وعارفا في الموضوع .

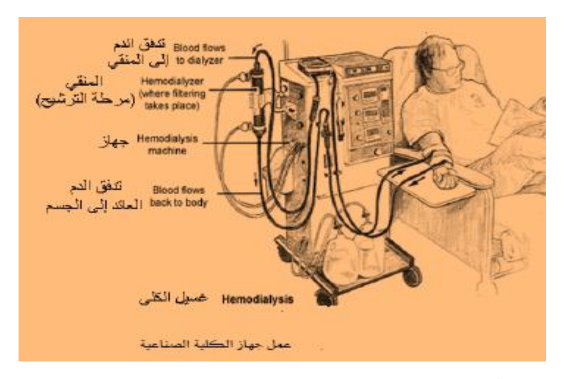
فقال جهاد حسن ! سأفعل ، وأترك المهمة لعارف، فهو أقربنا إليها هذه الأيام فعلاقتهما جيدة من أيام وحياة أمي .. فنحن تصالحنا حديثا حتى لا تعتبر تدخلنا ضغطا وشفقة .

قال: تمام ! وهذا ما دفعني ألا أخاطبها مباشرة .

فقال جهاد: هو في الأصل محامي كما نعلم.

قال: ترك المحاماة من أول سنة ، وحول نفسه للتجارة والصناعة .. اهتم بالموضوع .. ونحن بانتظارك سالما.

فقال جهاد: بعون الله تعالى.



التقى عارف وجهاد وسالم بابن عمتهم حاتم بلقاء نسقه ، ورتبه عارف في صالة مطعم في فندق يملكه حاتم جادر الحمدي .

كان موعد اللقاء العاشرة ليلا ، فلما قضوا حاجتهم من ضيافة حاتم الذي أصر أن يكون اللقاء في فندقه ذي النجوم الثلاث الكائن في أحد شوارع تاج الزمان إحدى محافظات البلاد الشامخة ، ومن حيث عدد السكان تكبر على بعنبس بزيادة مليون من البشر ، فيها خمسة ملايين بني آدم ، البلاد الشامخة عدد سكانها يقارب الثلاثين مليون نسمة ، بعنبس أربعة ملايين ، هاتان المدينتان كانتا مدينة واحدة كانت تسمى تاج زمان عنبس ، فتشكل حي بعنبس برحيل

الكثير من الأسر الغنية من تاج الزمان إليه ، ثم في خمسينيات القرن العشرين تضاعف عدد سكان البلاد الشامخة وكانت أربع محافظات كبرى ، فتحولت لتسع مدن كبرى ،وتحولت بعنبس لمديرية مستقلة ، محافظ وبلدية ، تدعى هذه تقسيمات إدارية ؛ لاستطاعة تقديم الخدمات والأمن للناس ، ودخل الفقراء والبسطاء بعنبس ، ولم تعد تقتصر على الأثرياء واتباعهم ، واختص الأغنياء بشوارع من يدخلها يعلم أنها شوارع أثرياء من القصور والفلل الحديثة ، وهي مدينة اقتصادية مهمة في البلاد الشامخة.

فلما انتهوا من الطعام والضيافة ساقهم إلى صالة خاصة وصغيرة ، غرفة جلوس خاصة ، وقدم لهم عامل الخدمة الشاي والعصير وأكواب الماء المغلقة .

قال عارف بعد تقديمه الشكر والثناء على الكرم والضيافة: مرحبا أبا خالد! نحن على العموم أقارب ، وبيننا معرفة بحكم القرابة ؛ لكن لا نعرف تفاصيل حياتك وأنت بدورك لا تعرف تفاصيل حياتنا .. عموميات لا تغني ولا تسمن، أمور عامة ، أما الخاصة فهي خاصة ، ولا اعتقد أحدا منا يتابعها ، ونحن لم نسمع عنك إلا خيرا ، وبارا بعمتنا وكنت تُزوّرها شقيقها حبيبا ، وتقبل الله ذلك منك ، والعم يثني عليك الثناء الحسن ، ويحبذ فكرة الزواج من أختنا الصغيرة .

قال حاتم : أنا شخصيا لا أعرفها أيها السادة ! مع أنها بنت خالي ، لم ألتقِ بها ؛ ولكنها ظهرت في عزاء أمي ؛ كما سمعت ، وعرّفت امرأة خالي حبيب أختاي وبعض زوجات إخواني على بعض .. امرأتي هي التي تحدثت عنها ؛ لأنني أفكر بالزواج منذ ولادة ابني خالد ، وأخبرني خالي عنها بأنها تعرفت على دكتور درسا معا وتزوجا وسافرا السعودية ، ولما رجعا تطلقا ، ولم يشرح سبب للطلاق واضحا ، وكانت بداية تعيش مع أمها أمك يا عارف ؛ حيث تربت في حضنها ، ولا تتكلم مع الحاج حبيب ، ولا مع سالم وجهاد بسبب ابتعادها عن الدين .

قال جهاد : كلام صحيح ! كنت وسالما متخذين منها موقفا حادا وتصالحنا أثناء عزاء عمتي سعيدة .. وكيف رغبت بها كزوجة ؟!

ضحك لحظات وقال : البنات حولي كثير ، في شركاتي ومصانعي ؛ ربما يعمل معي أكثر من ألف امرأة بين عزباء ومتزوجة .. في هذا الفندق غير شغالات الغرف في الإدارة والسكرتاريا حوالي عشر .. أنا وأنت يا جهاد كثيرا ما التقينا عند خالي وعمك ؛ لكن علاقتنا يا عارف كانت رسمية مجاملات تقليدية أقارب يلتقون فقط ، وحتى سالم عرفته من تلك اللقاءات ، وأثناء زيارتكم لعمتكم كنا نتصادف عند أخي الكبير حسين ؛ حيث كانت تقطن أمي .. هكذا العلاقة.

قال عارف : صح ، كل في عمله وشغله .. وأنت رجل أعمال كبير في البلد .

قال حاتم : الدكتورة جريدة حدثتني عنها قبل خالي زوجتي بهية ، وهي ابنة إحدى عماتي .. الدكتورة جرى بينها وبين بهية حديث وتعارف خلال العزاء والذي فتح موضوع الزواج منها أم خالد ، فأم خالد عليلة وضعيفة ، وبعد ولادة خالد منعت من الحبل والولادة بربط قناتي فالوب ، وأصبحت غير صالحة بشكل صحيح ؛ لتحمل المعاشرة الزوجية ، فبدأت تحثني على الزواج من غيرها ، وتطلب ألا أطلقها ، وأنا من الصعب أن أطلقها ؛ لأنها ابنة عمتي ، والطفل خالد ما زال صغيرا .. وزوجتي قبل ولادة خالد أجهضت ثلاث مرات ، فلما عرفت أن أختكم مطلقة وقريبتي رغبتني بالزواج منها ، وحدثتني عن عجز بها عن الحمل وتحتاج لعلاج .

هزوا رؤوسهم وتتمتموا ، فقال : ثم توسعت في طلب المعلومات من خالي ، وهو لا يعلم عنها الكثير ، وأنه سيتحدث معكم ، وها هو تحدث معكم كما وعد ونحن نجتمع من أجل ذلك .

في منزل عصام جلس الأخوة الخمسة وعصام معهم ، ومنعت الزوجات الثلاث من حضور الاجتماع الخاص بجريدة.

عرض عارف الكبير موضوع حاتم جادر حمدي ، وعرضه الزواج من جريدة دون طلاق ابنة عمته أم خالد ، والسبب للتعدد عجزها عن المعاشرة الزوجية.

وتابع فقال : إن الرجل مستعد لمعالجتك من معوقات الحمل ، فهو يحب ويرغب بمزيد من الخلفة ، وصارحته في حديث خاص عن إصابتك بالسيلان ، والعلاج منه بدون أن أزيد عن سبب انتقاله إليك أو ظهوره ، وهو من جهة يرغب بمصاهرتنا ؛ لأننا من أسرة عارف ، وباب هذه المصاهرة جريدة .

تكلم سالم مبينا وجهة نظره وشجعها على فعل ذلك ، وجهاد أشاد بالرجل ، وكان رأيه من رأي سالم ، وأبدى عصام رأيه حتى وقف الكلام عند وردة محبوبة الجميع ، وسيدة العائلة رقم واحد ، فقد فرضت أخلاقها وأفعالها بعد التوبة حبها وكلامها على الجميع ، قالت : يا حبيبتي الأمر دقيق ، وحسب ما فهمت من كلام عارف بأنه سيستقل بك عن زوجته ؛ ولكن من حقها أقصد بهية أن يقيم عندها ليلة بغض النظر عن حدوث معاشرة زوجية أو لم تحدث ؛ كما يأمر الشرع ، ويمكنها شرعا أن تتنازل عن المبيت والعشرة ؛ كما فعلت أم المؤمنين سودة ـ رضي الله عنها ـ تنازلت عن يومها لعائشة رضي الله عنها ، ولم يطلق النبي ﷺ ، هذا الخيار من حق أم خالد .. سيكون لك زوج .. لك فيه شريكة ، وهو قريب لنا ابن عمتك التي لا تعرفينها ، ويرغب بمصاهرتنا ، ومعروف لعمي حبيب ؛ لأنه ابن أخته .

قال عارف : جيد أم جوهر ! هذا ملخص الحكاية .. حياة مع زوجة أخرى أم أولاده ، وليست الحياة مع زوجتين ؛ كما مع زوجة واحدة .. الزواج ليس علاقة جنسية فحسب .. مسؤولية بحق .. هي أم ، والرجل حابب أن تكوني أما ؛ كما فهمنا ، وسيبذل قصارى جهده لعلاج أمرك والشافي هو الله .. الطب وسيلة.

قالت : وهل سنعيش ونأكل في بيت واحد؟

فقال عارف: لا اعتقد ؛ كما ذكرت سابقا ، ممكن تبقين في شقتك ومع الخادمة.. أنت ترغبين بزوج نظيف ، حتى لا يتجدد المرض ، والرجل لم ينزعج من السيلان ، ويدقق من أين أتى وسببه ؛ ربما ظن أن العدوى أتت من شهاب ، فعليك نسيان الماضي بحلوه ومره .. العفة تاج على رأس العفيف.. وأنت تنوين أن تبدئي حياة أخرى ، لا حاجة فيها للجنس العابر ،

والنوادي الليلية والعشيق وصحبة الماجنات .. تذكري استهتار ماريا حتى نبذها أهلها ، وطردت من عملها ، حتى أصبحت عالة عليك ..الرجل يريد أن يتزوجنا ، وكما قال حوله مئات الإناث في الفندق والشركات والمصانع .

قالت : هو يصلي ؛ وليس له عشيقات ما دام يعاني من الحاجة للزواج .

قال جهاد : هو يصلي بدون شك ، مرة في أحد أشهر الصيام كنا نوزع معونات في تاج الزمان ، صليت ورفاقي التراويح في مسجد صدف أنه كان يصلي فيه يا جريدة ، وأصر على ضيافتنا في بيته ، وكنا نلتقي ببيت عمي وبيت شقيقه حسين لما نزور عمتي ، ولو لم يكن مناسبا ما تحدث عمك معنا عنه .. المهم أنت أن تصلي .

ضحكت ، وهي تعلم أن الصلاة بالنسبة لجهاد هي الإسلام ، ثم همست : سأتعلمها من عارف.

قال سالم : فعلا أنت بحاجة لحياة هادئة بعيدة عن الطيش ، فزوجة خير من لا زوجة لمن في سنك يا جريدة !

قالت : أنت يا وردة!

ابتسمت وردة وقالت : أنا أحب لك الخير ؛ كما أحبه لنفسي " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه " والزواج خير بعلاقة وبلا علاقة ، كما قلت قبل دقائق عن أم المؤمنين سودة بنت زمعة ، والتوفيق قدر .. طبعا الحلال أفضل من الحرام .. الحلال فيه راحة ونية وثواب.. الحرام والزنا قضاء شهوة ، وكل واحد عند أهله ؛ لكن ليس فيه راحة حقيقية ؛ إنما هي راحة اصطناعية متكلفة ، لا يوجد فيها رحمة ولا سكينة .. الزواج آية من آيات الله ؛ كما قال القرآن في سورة الروم " وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا " فالمرأة سكن وبيت للزوج " وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ " سكن له ، سواء أحبها أو بغضها " وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً " حب وعاطفة والود ورحمة .. فحتى لو لم تحب المرأة زوجها فتتحصل على الحصانة والرحمة .. فهو خير من الزنا والفواحش يا جريدة .. أنت قضيت مع شهاب

خمس سنوات بزواج شرعي ، وأنتما تخونان بعضكما ، كل ينتقم من الآخر رغم حبكما الكبير أيام الكلية . . قرأت عن الأمام الحسن البصري أن أتاه رجل، فقال: إن لي بنتا أحبها وقد خطبها غير واحد، فمن تشير عليّ أن أزوجها ؟ قال رضي الله عنه : زوجها رجلا يتقي الله، فإنه إن أحبها أكرمها، وإن أبغضها لم يظلمها.

قالت : أشكركم وأشكرك يا وردة ! كم من الوقت تسمحون لي بالرد ؟

فقال عارف: كم تحتاجين للرد ؟ حتى لا يصرف الرجل نظره .. يوم يومان أسبوع شهر حتى ننقل له الأمر .





أسرة المرضى الكهربائية

فكرت وفكرت ثم اعتذرت جريدة بالزواج من ابن عمتها سعيدة أم حسين ، وزعمت لأخوتها أنها قد تشكل خطرا على صحة حاتم ، وتنقل إليه عدوى السيلان ، رغم تقرير الطبيب باسل بزوال المرض ، فجلس جهاد مع حاتم ليعتذر له .

فقال جهاد وهو يشرب القهوة معه : كلفوني يا أبا خالد بالاعتذار إليك عنا وعن الدكتورة ، وهي للآسف ما زالت تعاني من فشل زواجها من الطبيب شهاب ومن السيلان، ومن عجزها عن الحمل خلال خمس سنوات زواج.

قال : المرض ألم تخبروني بزواله ؟!

قال : نعم زال عنها .. حالة نفسية ، حتى أنها أخبرت زوجها السابق عندما اكتشفته بأن يفحص نفسه وزوجته قبل أن تحمل .. هذا سبب الاعتذار.

قال معللا : هي تخشى عودته والخوف من نقله ! والله هذا الفكر يدفعك للتمسك بها وقبول المخاطرة يا أبا عبدالله ! هذا أولا...

قال : والأمر الثاني أنها خائفة .

قال : مني!

ضحك جهاد : لا ، من نفسها .

قال : هل هناك رجل آخر ؟

قال : أنا وسالم تصالحنا معها لما اجتمعنا في عزاء أمك رحمها الله .. علاقتنا معها لم تكن طيبة يا حاتم وحتى عمي .. هي كانت خارج العائلة !

قال : سمعت من خالي نحو ما تكلمت .

قال : أي لا سلطة أو مشورة لنا عليها .. وأما أن هناك رجلا آخر فأنا لم أسمع حتى لو كنت في عمان ؛ لأن عارفا لا يخفي عنا ذلك .. وهو الأقرب إليها ؛ لأنهما عاشا معا في كنف أمي .

قال : لا تريد أن تكون ضرة !

قال : لا أظن ذلك ، لم تتحدث عن الضرة بقبول أو رفض.

قال : والله أنا وجدتها فرصة ؛ لأتقرب إليكم ؛ لأنني أحبكم في الله .. والنساء تقرب وتبعد بين العائلات .

قال : أحبك الله الذي أحببتنا فيه .

قال : اذا كانت محتاجة لوقت فأنتظر .

قال جهاد : أخشى أن أقول ذلك ، ثم ترفض من جديد .

قال : أنا لا أذكر أني رأيتها أو قابلتها أو تعرفت عليها حتى عند موت أمك في العزاء.

قال جهاد: كانت يومذاك في الرياض .

قال : إنها ذكرتها أم خالد ؛ حيث تعرفت عليها في عزاء أمي ، وسمعت قصة طلاقها وأنها أصغر أبناء خالي نجيب ، وطلقت أواخر العام الماضي بعد عودتها من السعودية ، وسبب الطلاق عجزها عن الحمل ، فسألت الخال حبيبا ، فقال : حاول .. وها أنا حاولت .

قال جهاد : عليك بالبحث ، ستجد بعونه تعالى خيرا من جريدة ، واذا لم تجد ما يروق لك

وطال الوقت فبعد حين سنعمل لها جس نبض .. الله يغير القلوب كيف يشاء؟ لم يمض على طلاقها العام ، والمطلقة حسب ما نسمع تحب الزواج ؛ لتثبت لنفسها وأهلها وأصدقائها أنها ما زالت مطلوبة ومرغوبة ، وفي نفس الحين تخشى الطلاق من جديد فيزداد الجرح بسبب سوء تصرف المجتمع معهن ، وزوجها شهاب تزوج بعد الانفصال مباشرة ، وحملت عيلته منه سريعا ، صبروا على أنفسهم خمس سنين ، والرجل مهما صبر سيهتم بالذرية بعد حين ، فالذرية أهم من العلاقة الحميمية.

قال مستسلما : دع الأيام تمضي ، تلفونك القديم تغير!

قال جهاد : لا ، إنه في إجازة عندما أكون في عمان.. التلفونات ؛ كما تسمع لا تتوقف .

قال : بارك الله فيك !

قال جهاد : هذا هو رقمي الدولي.. اكتب.

أدخله على جهازه شاكرا : شكرا جهاد .. وسلم على كل أولاد خالي .

قال جهاد : يصل بعون الله ، وبعد زمن اذا لم تنكح بنت الحلال اضرب عليّ ؛ لعل الله يحدث أمرا.

قال : أوصل لها سلاما خاصا .

قال جهاد : توكل على الله.

تمكن محسن المهندس من استئجار فيلا باسم جهاد نجيب في نفس الحي الذي تقع فيه الشقة في غرب عمان ، ونقل أثاث الشقة إلى الفيلا المستأجرة بعد عمل الصيانة والدهان لها .

وكانت الصور والأفلام القصيرة تنتقل بينه وبين جهاد على فيس بوك وواتس آب وماسنجر .

سمحت له السلطات الإدارية بنقل مربية الأطفال والخادمة للفيلا حتى ينتهي من دراسته الجامعية ، ولم يجد معوقات وقوانين تمنع ذلك.

وكان الرجلان يخططان لإقامة مشاريع تجارية أو صناعية مشتركة بينهما ، وتبادلا الأفكار قبل

عودته لبعنبس بداية الصيف الفائت ، وكلفه جهاد بالبحث عن مستشار وخبير اقتصادي في عمان ؛ ليستشيروه في أفضل المشاريع والمناسبة لإقامتها في الأردن عند العودة لإكمال الجامعة .
فحدد محسن خلال عطلة الصيف ثلاثة خبراء ومستشارين ؛ ليجلس معهم جهاد عند بداية الفصل الجامعي الشتوي ، الأول منهم دكتور اقتصاد مشهور في الأردن محاضر جامعة ، والثاني دكتور في وزارة الصناعة والتجارة الأردنية ، والثالث محرر صفحة الاقتصاد في جريدة يومية أردنية . فلما دخل أيلول جاء جهاد لعمان ؛ حيث أشرف على تأثيث أو إكمال تأثيث الفيلا وغرف النوم ، وتحول سريره المفرد للخادمة أو المربية ، وخزانة ملابس لكل واحدة منهن وسرير ، وغرفة نوم له ولزوجته ، وغرف نوم للأطفال ، وصالون البيت ، وغرفة المعيشة ، والستائر ، وإضافة ما يلزم للمطبخ .
ولما اكتمل العفش أرسل إبراهيم أخته والذرية إلى عمان بواسطة الطيران المدني وخلال ساعات خمس حلت الطائرة بمطار الملكة علياء الدولي ، وكان جهاد بسيارته ، ومحسن بسيارته في استقبالهم ، فركبت أم عبدالله وأولاده مع جهاد والخادمة والمربية مع محسن ، وفي أقل من ساعة ونصف كانوا يدخلون الفيلا ، ويودعهم محسن على أمل اللقاء غدا ؛ حيث ستصحبه امرأته ؛ لترحب بأم عبدالله هما تعارفتا فترة سياحة الأسرة في شهر نيسان الماضي .
بعد الانتهاء من إدخال الحقائب أغلق بوابة الفيلا الخارجية ، وباب الفيلا نفسها وكان الوقت قرب الثانية فجرا ، فصنعت أم عبد الله شايا وكعكا للجميع تناولوه ، ثم ناموا من النصب ، وشعروا على العموم أنهم ما زالوا في بعنبس ؛ إنما الذي تغير اسم المدينة ، والذي تغير أن رندا بدون عمل ودوام ، وكانت تحمل رندا أرقام تلفونات لأقارب لزميلاتها في بعنبس يسكنون في الأردن اذا رغبت بالتواصل معهن .أم عبدالله كانت حياتها في البلد العمل ، والبيت ، وقراءة بعض الكتب والمجلات التي يشير إليها جهاد بقراءتها ، والزيارات العائلية خاصة والد بها.
وتزور بعض الحدائق في العطل والمناسبات لترفيه نفسها والأطفال ، فتلتقي بزميلات العيادة أو قريباتها والأطفال في تلك الحدائق. والمدارس بالنسبة لعبدالله ومي مدارس أهلية سواء في

بعنبس أم عمان ، وحبيب خارج المدرسة.

كان عارف نجيب يجلس في مكتبه وحيدا حين دخلت عليه جريدة ؛ لأن سكرتيرات المكتب لهنّ مكتبهن الخاص، فيرونه ويراهن من خلال الفواصل الزجاجية السوداء ، فرحب بها وأشار لها بالقعود ، كان له ثلاث سكرتيرات. وقدم لها قطعة شوكولاتة طبية مما يقدمه للضيوف ، ودعاية لهذا المنتج العالمي، وقدم لها مراسل أو فراش المكتب فنجان قهوة مرة سادة . أرادت أن تخرج سيجارة فأشار لها بلا ، وأشار لها ليافطة أو لوحة " ممنوع التدخين " فأعادتها للعلبة وسمعته يذكرها : هناك غرف خصصت للتدخين وشرب القهوة أو الشاي.. في كل طابق موقع سواء للعاملين أو المتسوقين . .ألم تقرئي اللوحة؟

قالت : أنا بنت المؤسسة .. أدخن في غرفة التدخين .. فقد نسيت.

قال : هل من أمر؟

قالت : أفكر بترك العمل .

قال بدهشة خفيفة : تفكرين بترك العمل .. فلماذا يا ترى؟!

قالت وهي تتطلع بعينيه : وجدت زوجا.

نظر إليها بقسوة وحدة وقال: ألف مبارك ! حاتم تزوج.

قالت : أعلم ، تعرفت على طبيب في النادي بقصد الزواج.

قال : إذن عدت للنوادي !

قالت : اشتركت في نادي جديد ، وقدمتني الدكتورة صفية لطبيب نادي رياضي عمره أربعون سنة ، ولم يتزوج من قبل ، وتثني عليه صفية الثناء الحسن ، وهي التي شجعتني على الاشتراك في هذا النادي ، ولا أعزل نفسي في البيت ، والأمراض تصيب كل الناس .

قال : صفية ! من صفية ؟ لا أعرفها أيام ذاك النادي نادي العائلة!

قالت : هي عضو في نادي بعنبس الوردي.

قال : من هو هذا الطبيب؟

قالت : هو عضو في النادي الوردي ، يعمل في نادي رياضي كطبيب ، أثناء المباريات التي يخوضها النادي مع الفرق الأخرى ، وعيادته الخاصة تعالج أفراد وأعضاء النادي .

قال سارحا : ما المطلوب مني ؟

قالت : المطلوب منك بصفتك الكبير ، وولي أمري أن تسأل عنه ، وعن صحة أنه أعزب كل هذه السنين حتى يطمئن قلبي.

تبسم مرغما وقال : ولي أمرك ! ألك ولي أمر ؟! اكتبي لي اسمه ، واسم النادي .

قالت : مالك زعلان ؟!

قال : أنا لا دخل لي باختياراتك ، سأسأل عنه ؛ لكنني غير مقتنع بهذا الاختيار فهؤلاء صيادون نساء ، ويعيشون على كدهن .

قالت : هو صياد!

قال : أكيد ، واعتقد أن هذه الصفية تمكر بك ، ودعتك للاشتراك في ناديها لخداعك .

قالت : أنت لا تعرفهم .

قال : دكتور عمره أربعون سنة ، الأصل أن يكون دخله جيدا.. لماذا لم يتزوج من قبل ؟!

قالت : لي شهر أجلس معهم ، فلم أشعر بذلك الخداع .

تنهد بعمق وقال : آخ آخ يا جريدة ! كله بأمره .. جربي .. أين كانت هذه الصديقة من أول أزمتك ؟ وعند انتحار صديقتك ماريا .. هل يعني الطبيب عريسا ممتازا ؟.. أنا اعتقد أنك أخذت قرارك بالزواج قبل هذا الحوار .. لن أشارك بهذه المهزلة.

احتجت فقالت : أي مهزلة ؟

صاح الآخر فقال: مهزلة زواجك من طبيب النادي ! سأنبك بتفاصيل حياته.. هل تزوج من قبل أو طلق؟

قالت : تقول صديقتي إنه لم يتزوج .

قال : لماذا لم يتزوج لليوم ؟

قالت : لا أدري !

صرخ محتدا : يعني زير نساء .

عمل الرجل تحريات عن الدكتور غانم بارخ طبيب النادي الرياضي وعيادته المفتوحة لأهل النادي، والأمر ليس صعبا ، ثم سافر إلى المانيا لحضور معارض تهم المؤسسة ضمن فريق الرحلات والبحث في الأسواق الأوروبية ، فتقام المعارض باستمرار في تلك البلاد ، معارض لعرض أجهزتهم الجديدة والمحدثة من مجاهر وأدوات طبية للمستشفيات ، مثل المشارط المقصات الإبر خيوط الخياطة الطبية الأدوية الجديدة للأمراض المزمنة ، والكراسي الخاصة بعيادات الأسنان ، وأجهزة التصوير وغير ذلك.



وفاء الأحرار

في ١٨ تشرين الأول تمت صفقة جلعاد شاليط ، أسير المقاومة الغزية ، وشغلت العالم بترتيبها والقلق المصاحب لعملية تسليم شاليط لإسرائيل ، هل ستغدر إسرائيل ؟ شنت حرب قاسية ٢٠٠٩ لتحرير شاليط ، وفشلت فشلا ذريعا عسكريا ومخابراتيا حتى اتهمت حماسا بقتله ، وأذاع القسام شريطا لثوان يؤكد أنه حي يطعم ، ولم يقتل أثناء القصف العشوائي، وبعد هذه الصفقة بيومين أعلن في ليبيا مقتل العقيد القذافي ، بعد حكم استمر أربعين عاما . إليكم تفاصيل صفقة جلعاد ، ومعاناة الأسرى في سجون الصهيونية .

أسير واحد اسمه جلعاد مقابل ما يزيد عن ألف أسير فلسطيني ، في الثامن عشر من تشرين الأول ٢٠١١ تمت صفقة تبادل الأسرى بين حركة المقاومة الإسلامية ، والاحتلال الإسرائيلي أو صفقة شاليط ، أو صفقة وفاء الأحرار ؛ كما يسميها الفلسطينيون ، تعتبر أضخم عمليات تبادل الأسرى بين العرب وإسرائيل ، الفلسطينيون استطاعوا الحفاظ على الجندي الإسرائيلي أسيرا لنحو خمس سنوات ، رغم خوض إسرائيل حربا على قطاع غزة لتحريره .

تشمل الصفقة الإفراج عن ١٠٢٧ أسيراً فلسطينياً مقابل الإفراج عن الجندي الوحيد الأسير الإسرائيلي جلعاد شاليط.

وقد أعلن عن التوصل لهذه الصفقة في ١١ أكتوبر ٢٠١١ بشفاعة مصرية ، وتعد هذه الصفقة الأولى في تاريخ القضية الفلسطينية التي تمت عملية الأسر ومكان الاحتجاز والتفاوض داخل أرض فلسطين. بدأت عملية تبادل الأسرى صبيحة يوم الثلاثاء ١٨ أكتوبر حين قامت إسرائيل بالإفراج عن ٤٧٧ أسيرا فلسطينيا ، وتسليمهم إلى الصليب الأحمر الدولي فيما قامت حماس بتسليم جلعاد شاليط إلى مصر إيذانا ببدء عملية التبادل.

بعد الحرب الإسرائيلية على قطاع غزة ٢٠٠٨ـ ٢٠٠٩ عُقدت صفقة بين إسرائيل وحركة حماس تم بموجبها تسليم حركة حماس لإسرائيل شريط فيديو لمدة دقيقة واحدة فقط ، يظهر فيها الجندي جلعاد شاليط حيا ، وقد عُرفت هذه الصفقة بصفقة شريط شاليط ، وذلك مقابل

أن تفرج إسرائيل عن عشرين أسيرة فلسطينية ، وكانت الأسيرات من تنظيمات فلسطينية مختلفة . تضم الصفقة أسرى من الضفة الغربية وقطاع غزة ، وأسرى من فتح وحماس وحركة الجهاد الإسلامي والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين والجبهة الديموقراطية لتحرير فلسطين وأسرى من الجولان ومسيحيين ؛ تشمل الصفقة إطلاق أسرى أودوا بحياة ٥٧٠ شخصا . وجهت كتائب القسام عشرات من السيارات رباعية الدفع متطابقة الشكل إلى معبر رفح ، وكان شاليط في إحداها ، ودخل شاليط في تمام الساعة العاشرة صباحاً إلى الجانب المصري من ميناء رفح ، والمشرف على الصفقة القائد القسامي أحمد الجعبري إلى جانب مجموعة كبيرة من مقاتلي القسام ، ولما اطمأن الاحتلال الإسرائيلي على شاليط أفرج عن نصف الأسرى المحررين ، ثم تحفظ الجانب المصري على شاليط ؛ ليتم الإفراج عن النصف الثاني من المرحلة الأولى من الصفقة ودخل الأسرى المحررون إلى معبر رفح يستقلون عدداً من الحافلات ملوحين بعلامات النصر. وحدة الظل إحدى وحدات كتائب الشهيد عز الدين القسام ، وقد أُنشأت بهدفِ الاحتفاظ بالأسرى الإسرائيليين وإبعادهم عن عيونِ تل أبيب .

حركت أجهزة مخابرات إسرائيل جل عملائها في القطاع لمعرفة مكان سجنه مدة سنوات خمس دون فائدة ؛ بفضل وحدة الظل المكلفة بحفظ شاليط .

جلعاد شاليط جندي إسرائيلي ، تم أسره من قبل حماس عام ٢٠٠٦ ، وظل في الأسر لأكثر من خمس سنوات حتى تم الإفراج عنه في ٢٠١١ . انتشرت حملات ومطالبات من جمعيات حقوقية للمطالبة بالإفراج عنه ، وبعد مفاوضات طويلة ووساطة مصرية تم إبرام الصفقة ، وتم الإفراج عنه ٢٠١١.

في يوليو ٢٠٠٥ تم تجنيده للجيش ؛ وفقاً لقانون التجنيد الإجباري في إسرائيل فأدى خدمته في سلاح المدرعات ، وبعد أشهر من تجنيده في ٢٥ يونيو ٢٠٠٦ وقع جلعاد في قبضة المقاومة ؛ حيث تم أسره ونقله إلى قطاع غزة على يد مقاتلين تابعين لثلاثة فصائل فلسطينية مسلحة كتائب عز الدين القسام التابعة لحركة حماس وألوية الناصر صلاح الدين التابعة لـ لجان

المقاومة الشعبية ، وجيش الإسلام في عملية عسكرية نوعية أطلقت عليها الجهات المنفذة اسم عملية الوهم المتبدد . في فجر ٢٥ يونيو ٢٠٠٦ استهدفت العملية قوة إسرائيلية مدرعة من لواء جفعاتي كانت ترابط ليلاً في موقع كيريم شالوم العسكري التابع للجيش الإسرائيلي على الحدود بين مدينة رفح الفلسطينية وإسرائيل ؛ حيث نجح عدد من المقاتلين الفلسطينيين من التسلل عبر نفق أرضي كانوا قد حفروه سابقاً تحت الحدود إلى الموقع الإسرائيلي مما ساعدهم في مباغتة القوة الإسرائيلية ، وانتهى هذا الهجوم بمقتل جنديين وإصابة خمسة آخرين بجروح وأسر شاليط ، ونقله إلى مكان آمن في قطاع غزة .

ويذكر أن عملية أسر الجندي شاليط كانت من أكثر العمليات الفدائية الفلسطينية تعقيداً وج رأة منذ اندلاع انتفاضة الأقصى الثانية ؛ حيث تمكن المقاتلون الفلسطينيون من اقتياد الجندي الأسير إلى عمق القطاع بسرعة فائقة رغم التعزيزات الجوية الإسرائيلية الفورية في الأجواء وخصوصاً في سماء مدينة رفح قرب مكان تنفيذ الهجوم. عقب هذه العملية قام جهاز الاستخبارات الإسرائيلي الداخلي الشين بيت بتنشيط مئات من عملائه في قطاع غزه للبحث وللتحري عن مصير شاليط ، ومكان اعتقاله وهوية محتجزيه ؛ كما شن الجيش الإسرائيلي على مدار السنوات الثلاثة الماضية سلسلة من العمليات الخاصة في مناطق متفرقة في القطاع في محاولة لتحرير شاليط أو إلقاء القبض على أشخاص فلسطينيين يشتبه في ضلوعهم في احتجازه. مع أن مكان وجود جلعاد شاليط كان مجهولا ؛ فإنه لم يكن هناك شكٌ في بقائه على قيد الحياة ، إذ في ذكرى مرور عام على أسر شاليط أرسلت كتائب القسام شريطا مسجلا بصوته بمناسبة مرور عام واحد على أسره ، في التسجيل يقول جلعاد شاليط أن حالته الصحية تتدهور ، وإنه محبط لعدم استجابة الحكومة الإسرائيلية لمطالب القسام.

ومنذ أسر شاليط تطالب حركة حماس نيابة عن جناحها العسكري ولجان المقاومة الشعبية وجيش الإسلام إسرائيل بالإفراج عن أكثر من ١٠٠٠ سجين سياسي فلسطيني من ذوي الأحكام العالية ورفع الحصار المفروض على قطاع غزه مقابل إطلاق سراح شاليط حياً.

هذا وقد رفضت الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة شروط حماس وقالت بأنها لن تفرج عن ما أسمتهم "فلسطينيون ملطخة أيديهم بدماء إسرائيلية".

تحملت دولـة مصر مهمة التوسط بين حماس وحكومة إسرائيل لإطلاق سراح جلعاد شاليط ؛ ولكن المفاوضات تعرقلت مرات عديدة خاصة بعد تولي حماس الحكم على قطاع غزة في يونيو ٢٠٠٧ ، مما أدى إلى إغلاق مصر الحدود مع القطاع . وفي أكتوبر ٢٠٠٩ فاجأت كتائب القسام العالم بإصدارها لأول مرة شريط فيديو مصور يظهر فيه الجندي الأسير جلعاد شاليط لمدة دقيقتين مرتدياً الزي العسكري وحاملاً جريدة إخبارية فلسطينية بتاريخ ١٤ سبتمبر ٢٠٠٩ وتحدث بالعبرية مخاطباً رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو بالموافقة على شروط حماس وتأمين الإفراج عنه في أسرع وقت ممكن قبل فوات الأوان ؛ كما وجه شاليط رسالة شخصية إلى عائلته قال فيها أنه يتطلع إلى اللقاء بهم عما قريب ، وأكد بأن وضعه جيد وأن كتائب القسام تعامله معاملة ممتازة ، وقد بدا شاليط في حالة صحية وبدنية جيدة وهادئة على عكس توقعات الجهات والدوائر الأمنية الإسرائيلية المتابعة لقضيته والتي تحدثت كثيراً عن احتمال تعرضه لإصابات بالغة أثناء عملية الأسر. ومن خلال هذا الشريط نجح الجناح العسكري لحركة حماس في ٢ أكتوبر ٢٠٠٩ بوساطة ألمانية مصرية في تأمين الإفراج عن ١٩ أسيرة فلسطينية من ذوات المحكوميات العالية مقابل إصدار دليل مادي يثبت بأن الجندي الأسير لا يزال على قيد الحياة ، تمت الصفقة وسلمت حماس شريطاً لإسرائيل يظهر فيه الجندي المختطف بصحة جيدة.

قال أبو عبيدة الناطق باسم القسام: إن المقاومة تمكنت من إحداث اختراق هام في الموقف الإسرائيلي عندما أجبرت إسرائيل على الموافقة على الإفراج عن معتقلين من فلسطينيي ٤٨ والقدس، مشددا على أن هذا يمثل إنجازا هائلا للمقاومة الفلسطينية، وأكد أن هذه الصفقة هي الأكبر في تاريخ الاحتلال الصهيوني.

قال نتنياهو : إن القبول بالصفقة أمر صعب ، وأن الصفقة هي الأكبر في تاريخ الدولة

العبرية. كتبت صحيفة يديعوت أحرونوت: "الثمن مبالغ فيه، المخاطر كبيرة والسابقة غير لطيفة، ولكن دولة لم تتمكن على مدى خمس سنوات من تخليص جندي من الأسر بوسائل أخرى لا يمكنها إلا أن تدفع الثمن". صحيفة معاريف : أمس كان مساء استسلام ، مساء نزلت فيه "إسرائيل" على ركبتيها أمام حماس، مساء فشلت فيه قوة الصمود الإسرائيلية، رقة القلب تغلبت على الصلابة ، مساء عقد فيه خالد مشعل، وأحمد الجعبري وإسماعيل هنية مهرجانات النصر عن حق، مساء قال لي فيه مسؤول فلسطيني هاتفيا، بصوت مخنوق: "ما العمل، أنتم لا تفهمون إلا لغة القوة".

****

معاناة الأسير لنفهم أهمية صفقة وفاء الأحرار في النضال الفلسطيني ، هذه الورقات تتكلم عن معاناة الأسرى في سجون ومعتقلات الصهيونية . فاعلم الأسْر عند اليهود سياسة ممنهَجة وعقيدة ، لا يُراعَى فيه فرقٌ بين رجل أو امرأة ، راشد أو قاصر ، أو بين معافًى أو مريض، فمَن لم يُؤسَر نجد أنَّ أحدَ أقاربه في الأسْر ، ومَن لم يقضِ زهرة شبابه في ظلمات السجون وتحت ظُلم السجَّانين، نجده قد قضى طفولتَه أو شبابه أو شيخوخته في انتظار غالٍ ، قد لا يعود من غياهب السُّجون. ومِمَّا يَزيد الوضعَ إيلامًا أنَّه في الوقت الذي ينادي فيه العالَمَ أجمعُ بحقوق الإنسان وحقوق الحيوان والخرفان ، واتفاقيات جنيف بحسن معاملة الأسرى ، وصيانة كرامته وحريته ، نجده يغضُّ الطرْف عما يحدث للأسرى الفلسطينيِّين، ولا يُلقي بالاً لمعاناتهم ويُشير تقرير وزارة شؤون الأسرى والمحررين الفلسطينية إلى أنَّ قوات الاحتلال قد اعتقلت منذ العام ١٩٦٧ عام احتلال باقي فلسطين ، وحتى أبريل ٢٠٠٨ حوالي ٧٥٠ ألف مواطن فلسطيني؛ أي: ما يقرب من ٢٥٪ من إجمالي عدد السكان المقيمين في الضفة الغربية وقطاع غزَّة .

يتمُّ الاعتقال وفقًا لمجموعة من الأوامر العسكرية ، أو عشوائيًّا دون أي مذكرات توقيف أو مبررات، وغالبًا لا يتمُّ توجيه تهمة محدَّدة لهم، ثم يجري التحقيق معهم وتعذيبهم بهدف

استصدار أي اعتراف منهم ، أو إجبارهم على الاعتراف تحت الضغط أو التعذيب بما لم يرتكبوه. وفي حالِ ما إذا تمَّت محاكمتُهم، فإنَّ هذه المحاكمة تتمُّ في محاكمَ عسكريَّة إسرائيلية دون مراعاة أصول المحاكمة العادلة المنصوص عليها قانونيًّا ودوليًّا، والتي تحفظ للأسرى حقَّهم في المساواة أمام القانون، والمثول أمام محكمة مختصَّة، ومستقلة محايدة ، ومُنشأة بحكم القانون. يتمُّ عند الاعتقال تقييد يدي المعتقل بقيود بلاستيكيَّة ، وتُعْصب عيناه ، ولا يتمُّ إخباره عن سبب اعتقاله، أو عن الجهة التي سينقل إليها، وتترافق عملية الاعتقال بالعنف الجسدي وإهانة المعتقَل، وأكَّد العديد من المعتقلين في شهادات مشفوعة بالقَسَم أنَّهم تعرَّضوا لمحاولات قتْل واغتصاب، وتمَّ في أحيان كثيرة دفعُهم إلى الأدراج (الدرج) بينما كانت أعينهم معصوبة؛ ليسقطوا ويتدحرجوا. هذا إلى جانب العديد مِن ممارسات التعذيب التي اقترفها الجنود الإسرائيليُّون في حقهم، وكثيرًا ما أُجبِر المعتقَلون على التعرِّي أمام الجميع عند اعتقالهم للإذلال ، كما أَجبر الجيشُ الصِّهْيوني الفلسطينيِّين على خلْع ملابسهم، عندما قامتْ حملات المداهمة من بيت لبيت .

المعتقل يتعرَّض للتعذيب الشديد قَبل المحاكمة، وتُوجّه له العديد من التُّهم في لائحة تعدُّها المخابرات الصِّهْيونية ، فإن لم يعترف يتمُّ إبلاغه بالاعتقال الإداري وإلاَّ يتم تخييره بين الاعتراف ببعضها، وقضاء محكومية أقل، أو يتم إقرارها كلها بالمحكمة، ويحاكَم على هذا الأساس، كما يُخيَّر البعض بين الإبعاد إلى خارج الأراضي الفلسطينية، وبين البقاء في السُّجون الإسرائيلية. المحاكم الصهيونية تعدُّ مثلاً حمل العَلَم الفلسطيني تُهمة ، وإزالة النفايات والحجارة التي يضعُها جنودُ الاحتلال تُهمة أيضًا، وكذلك تقديم القهوة لشخصٍ ينتمي لمنظمة تعدُّها سلطات الاحتلال غيرَ شرعية تهمة مع الإشارة إلى أنَّ الاحتلال يعتبر جميع منظَّمات المقاومة الفلسطينية غير شرعية.

وتبقى هناك دائمًا ذريعة "الملف السري"، و"الأسباب الأمنية"، التي تستخدمها سلطاتُ الاحتلال متى شاءت؛ لاعتقال مِن أرادتْ عبر الاعتقال الإداري، والذي قد يمدَّد لعدد غير

محدود من المرات. يُعاني الأسرى الفلسطينيُّون من أمراض ومشاكلَ صحيَّة مختلفة، بسبب الظروف المأساوية التي يعيشونها في المعتقلات بسبب سوء الطعام المقدَّم للأسرى ، بقلَّة النظافة والحِرمان من الاستحمام لفترات طويلة ؛ ممَّا يؤدِّي إلى انتشار الأوبئة والأمراض الجلدية ، ويعانون بالنقص الكبير في الألبِسة والأغطية، ويعانون بتأخير استلام مستحقَّات الأسْرى التي ترسلها لهم وزارة شؤون الأسْرى الفلسطينيَّة ، أو يرسلها ذَوُوهم ، ويعانون بسبب الحرمان مِن النوم ؛ إمَّا بسبب ظروف الزنزانة القاسية، أو عدم توفُّر فرشات ، أو تقديم فرشات متَّسخة، أو مليئة بالرُّطوبة والعفن ، ويعانون من الحِرمان من العلاج، والإهمال الطبي، وعدم توفير الأدوية والعلاجات اللاَّزمة للمرضى.

هناك الممارسات الصِّهْيونية الخبيثة التي يُقصد بها إذلال الأسرى، وإهدار كرامتهم جرَّاء عمليات التعذيب المنهجة بحق المعتلقين فمنها التحرُّش الجِنسي، والتهديد بالاغتصاب، الضَّرْب الشديد بالأيدي والأرجل وأعقاب البنادق، استخدام المعتقَلين كدروعٍ بشرية ، إجبار المعتقَلين على التعرِّي من ملابسهم ، إجبار المعتقَلين على تقليد الحيوانات وحركاتها كنَوع من الإهانة. إيقاف المعتقَلين في العراء صيفًا وشتاءً لساعات طويلة ، الشتائم البذيئة والمُهينة ، تعريض المعتقلين للهزِّ الشديد ، الشبح ، وإيقاف المعتقَلين في أوضاعٍ صعبة، وإجبارهم على جلوس القُرْفصاء على رؤوس أصابعهم (جلوس الضغط)،الشدُّ المفرِط للأصفاد القيود ، الحِرمان من النوم لفترات طويلة ، تغطية الرأس بغِطاء قَذِر ، إطفاء السجائر في جِسْم الأسير، تعريض الأسير للصدمة الكهربائية حتى فقدانِ الوعي.



المجهر الالكتروني الماسح



المجهر الضوئي

أقامت دولة إسرائيل العديد من معسكرات الاعتقال عقب حرب حزيران ١٩٦٧ ، التي احتلت فيها إسرائيل القدس والضفة الغربية وقطاع غزة ، والأسرى موزعون على ٢٢ سجنا ومعتقلا إسرائيليا داخل وخارج الخط الأخضر.

سجن غزة المركزي أنشئ في بداية الثلاثينيات من القرن الماضي، وكان يقع في مقر القيادة العسكرية البريطانية صاحبة الانتداب على فلسطين آنذاك ، وقد جعلت جزءا من المبنى سجنا مركزيا للثوار الفلسطينيين ، وبعد نكبة عام ١٩٤٨ ، ووضع قطاع غزة تحت وصاية الإدارة المصرية ، استخدم هذا المقر كمجمع للدوائر الحكومية، وخصص جزء منه كسجن للقاطنين في قطاع غزة. وبعد هزيمة حزيران عام ١٩٦٧ استخدمته إسرائيل كسجن ومركز تحقيق للفدائيين والمنتمين لفصائل الثورة الفلسطينية ، أغلق سجن غزة المركزي، مع عودة السلطة الوطنية إلى قطاع غزة عام ١٩٩٤، حيث تحرر عدد كبير من السجناء على خلفية الاتفاق، وتم ترحيل عدد آخر إلى السجون الواقعة داخل إسرائيل.

سجن بئر السبع المركزي أنشئ في بداية عام ١٩٧٠، وحاولت سلطات الاحتلال إجراء جملة من التجارب على الأسرى، لكن الأسرى، أفشلوا هذا البرنامج ، وقد رحل كافة السجناء الأمنيين عام ١٩٨٤ إلى باقي السجون والمعتقلات الإسرائيلية وبقي السجن للجنائيين فقط، وبعد عام ١٩٨٧ تم إنشاء قسم للعزل بهذا السجن ، وباقي أقسام السجن تستخدم للسجناء الجنائيين اليهود والعرب. سجن عسقلان المركزي أنشئ في عهد الانتداب البريطاني كمقر لقيادة الجيش البريطاني في عسقلان ومحيطها ، وكسرايا لاستقبال الوفود البريطانية الرسمية ، وداخل سرايا عسقلان خصص جناح من المبنى كمركز تحقيق وتوقيف.

وبعد هزيمة ١٩٦٧ وتصاعد المقاومة الفلسطينية وازدياد عدد المعتقلين، أصدرت قيادة الجيش الإسرائيلي عام ١٩٧٠ مرسوماً عسكرياً بافتتاح سجن عسقلان المركزي ، وشهد افتتاح المعتقل تنكيلا نازيا بالأسرى الفلسطينيين حيث كانوا يمرون وسط صفين لدرك

السجون من البوابة وصولا إلى غرف وزنازين السجن، بينما الهراوات تنهال على أجسادهم.

شيد سرايا الرملة عام ١٩٣٤ إبان الانتداب البريطاني على فلسطين، وبعد إعلان دولة إسرائيل عام ١٩٤٨ تحول إلى مركز للجيش الإسرائيلي، وفي عام ١٩٥٣ تم تخصيص جزء من السرايا كسجن للفدائيين الفلسطينيين، ثم حولت السرايا بكاملها في عام ١٩٦٧ إلى سجن مركزي للجنائيين اليهود إضافة إلى الأسرى الفلسطينيين وخصوصاً من منطقة القدس.

وأنشئ مستشفى داخل السجن تابعة لمديرية السجون الإسرائيلية بهدف معالجة الأسرى، كما ألحق به معتقل للنساء ، خصص للأسيرات الفلسطينيات والجنائيات الإسرائيليات. ويعد سجن الرملة المعبر الرئيسي للتنقلات بين السجون ؛ حيث أنه عادة ما يتم وضع الأسرى المنقولين من سجن إلى آخر في هذا السجن قبل إرسالهم إلى السجون الأخرى.

تم افتتاح سرايا كفار يونا عام ١٩٦٨، ويطلق عليه اسم "قبر يونا" ويعتبر هذا السجن معتقلاً بالمعنى المتعارف عليه إذ يقوم بدور حلقة الوصل بين السجن والتحقيق، فبعد انتهاء التحقيق مع المعتقلين وقرار تقديمهم للمحاكمة يتم تحويلهم وتوزيعهم إلى بقية السجون، ويقع سجن كفار يونا في منطقة بيت ليد على الطريق بين طولكرم ونتانيا داخل الخط الأخضر. يقع سجن المسكوبية في القسم الشمالي من مدينة القدس، ضمن ما يسمى "ساعة الروسي" أقيم في عهد سلطات الانتداب البريطاني ، وهو مخصص للتوقيف والاعتقال.

افتتح سجن النقب الصحراوي أول مرة عام ١٩٨٨ حيث زاره أكثر من خمسين ألف معتقل فلسطيني إلى أن أغلق عام ١٩٩٥، ثم أعيد افتتاحه مع اندلاع أحداث انتفاضة الأقصى عام ٢٠٠٠، ويقع المعتقل على بعد حوالي ١٨٠ كم جنوب مدينة القدس ، وعلى بعد ١٠ كم شرق الحدود المصرية. كان السجن يدار من قبل الجيش الإسرائيلي حتى شهر ١١ من عام ٢٠٠٦ إلى أن تم نقل الإدارة إلى مصلحة السجون الإسرائيلية المعروفة بالشاباص.

سجن عوفر مقام على أراضي بيتونيا غرب مدينة رام الله، وقد أنشئ هذا السجن في فترة الانتداب البريطاني ، ويطلق عليه السجناء اسم "جوانتانامو" و"الأحمر" نظراً لسوء

الأحوال فيه، حيث يعيش في كل خيمة من خيامه ٣٠ أسيراً ، يعانون من نقص الطعام والملابس وسوء الرعاية الصحية فضلاً عن انقطاع السجناء تماماً عن العالم الخارجي .

سجن تل موند يقع جنوبي الخط الممتد بين مدينتي طولكرم ونتانيا على الطريق القديمة المؤدية إلى الخضيرة ، شيد هذا السجن خصيصا للأحداث من العرب واليهود ، وينقسم إلى قسمين، قسم للأحداث الذكور وآخر للأحداث الإناث ، ويحيط بالسجن سور عال يصل ارتفاعه لثلاثة أمتار، وأربعة أبراج عالية للمراقبة. سجن نفحة يعد هذا المعتقل الذي يبعد ١٠٠ كلم عن مدينة بئر السبع و ٢٠٠ كلم عن مدينة القدس من أشد السجون الإسرائيلية قسوة ، وقد استحدث هذا السجن خصيصا للقيادات الفلسطينية من المعتقلين في مختلف السجون بغرض عزلهم عن بقية السجون الأخرى. سجن الدامون أقيم هذا السجن منذ زمن الانتداب البريطاني كمستودع للدخان، بحيث روعي في بنائه توفير الرطوبة لحفظ أوراق الدخان ، وبعد عام ١٩٤٨ وضعت إسرائيل يدها عليه ، وتم تحويله إلى سجن.

وقد أدلت مؤسسة التضامن الدولي لحقوق الإنسان في واشنطن بشهادة في هذا الأمر جاء فيها أن الأسرى والمعتقلين في السجون الإسرائيلية يعانون من نقص النظافة وسوء الرعاية الصحية والحرمان من الطعام الجيد إضافة إلى سياسة العقاب العنيفة التي تتبعها إدارة المعتقلات في حق السجناء المخالفين لأبسط تعليمات الإدارة والتي تصل إلى حد العقاب الجماعي.

يوجد سجن في دولة الكيان الصهيوني يحمل رقما .. سجن ١٣٩١ .. محبس سري . هو بناية مبنية من الإسمنت ، داخل كيبوتس ، وهو عبارة عن قرية تعاونية استيطانية محاطة بالأشجار الحرجية والجدران المرتفعة. يبدو السجن من الخارج كأي مركز شرطة بناه البريطانيون في الثلاثينات أبان انتدابهم لفلسطين، وتستغل أغلب هذه الأبنية كقواعد عسكرية، وتتم الإشارة إلى هذه الأبنية من خلال لافتات طرق يكتب عليها أرقاماً فقط.

هو قريب من الخط الأخضر، وهو الحدود ما بين إسرائيل والضفة الغربية ما قبل العام ١٩٦٧ ، مختلف عن غيره من السجون ، فهو ليس بمكان معرّف على الخرائط، كما تم محوه عن

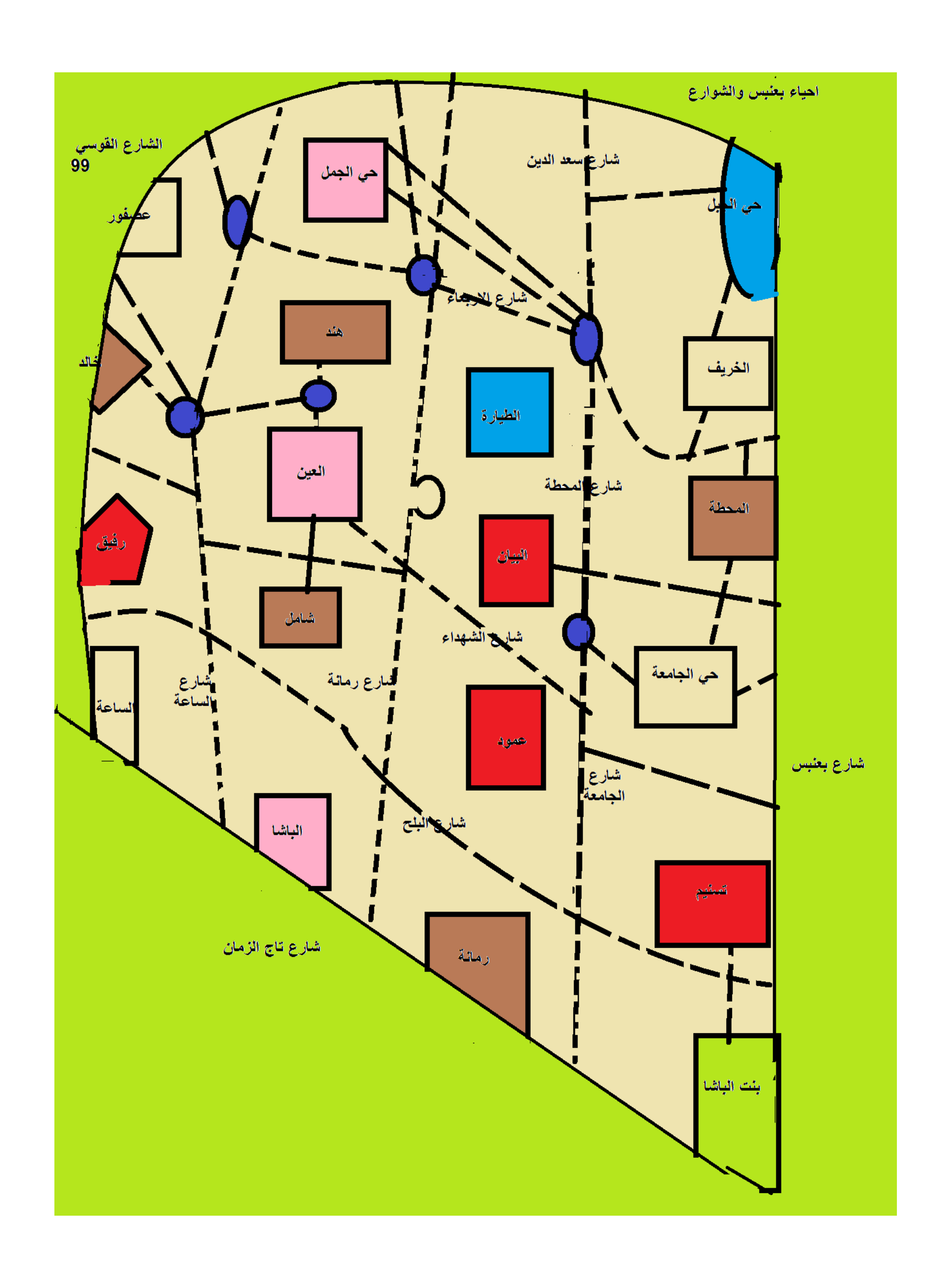
الصور الجوية .

وبالرغم من أن سجن ١٣٩١ الإسرائيلي لم يحظ بأي شهرة مقارنة بالسجن الأمريكي في خليج كوبا ، فإنه ينتهك القوانين الدولية والإنسانية بشكلٍ أفظع ، وعلى عكس معسكر الاعتقال الأمريكي ، لا يعرف الجمهور مكان السجن الإسرائيلي ؛ وليس هناك صور فوتوغرافية قريبة أو حتى بعيدة المدى للمحتجزين فيه كالتي أخذت للمحتجزين في حجيرات معسكر غوانتانامو . وعلى عكس معسكر الاعتقال الأمريكي، لم يفحص أو يفتّش السجن ١٣٩١ مطلقاً من قبل هيئة مستقلة ، مثل هيئة الصليب الأحمر الدولي ، ويعتبر ما يحدث في هذا السجن لغزٌ غامضٌ .

المجهر الالكتروني النافذ



مجهر العمليات


احياء بعنبس والشوارع
الشارع القوسي
99
عصفور
حي الجمل
شارع سعد الدين
هند
الخريف
الطيارة
العين
شارع المحطة
المحطة
رفيق
البيان
شامل
شارع الشهداء
حي الجامعة
شارع الساعة
الساعة
شارع رمانة
عمود
شارع الجامعة
شارع بعنبس
الباشا
شارع البلح
تسنيم
شارع تاج الزمان
رمانة
بنت الباشا

زواج جريدة

عاد عارف مع أوائل نوفمبر تشرين الثاني من أوروبا ، وكان سبب مرافقته لفريق الرحلات معرفة المزيد من المعرفة للشراء والتعاقد . وفور وصوله اتصلت جريدة تطمئن على صحته وسلامته ، واستأذنت زيارته في البيت ؛ لتطلعه على قرارها الحاسم بموضوع غانم بارخ.

وفي اللقاء بينت أنهما اتفقا على الزواج ، وأنها ملّت من الوحدة ، ولا تريد أن تعود لسيرتها القديمة بالعلاقات العابرة ؛ خشية الأمراض والأفضل الشريك الواحد وهو الزوج ، وأن يوافق على الجلوس معه ويسمع منه .

فرفض عارف زواجها منه بشدة وعصبية ، ولن يتعرف عليه ، ولا يلتقي به ، وقال بعصبية : أنت امرأة تملكين أمرك وزواجك ، ولا داعي لديكور وطرطور ، وأنا لا يشرفني اللقاء برجل منحرف وصياد نسوان ، ومبتز إناث ، وتصوريهن شبه عاريات .. وسالم وجهاد لا يعجبهم مثل هكذا رجل.. ولا يحب سالم اللقاء به .

قالت بضيق وصراخ : أنا التي ستتزوج ؛ وليس أنتم ؛ لست مجبرة على الزواج من حاتم.. أنا التي أختار شريك حياتي!

قال : لا أحد أجبرك على الزواج من شهاب ، ولا أحد أجبرك على الطلاق منه ، والرجل تزوج قريبة له من جهة أبيه .. أتظنين رجلا كحاتم ينتظر حتى تتصدقي عليه بنظرة ؟ الرجل أراد تزوجنا نحن .. والمال بين لديه كثير ؛ ليس بحاجة لمالك ؛ ليطمع فيه.

فبكت من توبيخ عارف ، وقالت : وسالم وجهاد لم يرفضا ؟!

قال بنفس العصبية : الرجل فاسد ، معلومات موثوقة عرفتها عنه ، فتحدثت مع بعض أعضاء النادي القدامى والجدد قبل سفري ، وقلت لك فكري جيدا.. الرجل غير مناسب وغادرت لألمانيا ، فله مغامرات نسائية مع بنات النادي ، ومن خلال العيادة ؛ لكنه دكتور فتتسامح معه العائلات.

قالت : الناس تتغير .

قال : على بركة الله ! تزوجي كما ترغبين .. أنا أعلم أنك عدت للسكر والسهر في الحانات والنوادي الليلية.

قالت : من قال لك ذلك ؟!

قال : أصدقاؤك الفاسدون .

قالت بعصبية : لا أحد وصي عليّ.

قال : تفضلي من غير طرد .. أنا لست وصيا ، ولا مستشارا ، بيني وبينك خمس سنوات.

قالت : تطردتني!

قال بغضب : أطردك ؛ لست بحاجة لنا .. أنت امرأة ناضجة عاقلة تعرف مصلحتها ، والله لو بحثت عن رجل صالح حسن السيرة والسلوك ؛ لكنا معك وفرحنا لك أما أن نفرح لرجل فاسد يتزوج أختنا فكيف نفرح ونقبل ؟! ولو زلنا مع أمنا لسكتنا .. الكلام لها .. كانت ترفض شهابا ؛ ولكنك أصررت عليه .. تذكري ذلك .. صاحبك الجديد حاول اغتصاب امرأة في العيادة .. وصور لاعبة بصور غير لائقة ، وابتزها حتى اضطرت لكشف الأمر لوالديها .. لا تبكي .. طلبت رأيي والسؤال عن الرجل وفعلت.

قامت وقالت: لا تنسى أنك .. أنك تطردتني من بيتك.

قال : لن انسى !

تزوجت جريدة من الدكتور غانم ، ولم تعر اعتراض عارف الأقرب إليها أي اهتمام ، مع أنه ذكرها باعتراض أمها على زواجها من شهاب ؛ لعلها تتراجع . لم يحضر حفلة زواجها من المقربين إليها من الأسرة أحد ، كانت بعد طردها من بيته أعادت له مفتاح شقته ، وعادت لشقتها التي لم تكن أجرتها ، وسكنت فيها هي وزوجها الجديد ، وتركت عمل المؤسسة تلقائيا. لم يكتمل الأسبوعان من الزواج عندما طلب منها غانم بارخ مساعدة مالية ؛ لفتح متجرا لبيع الأدوات الرياضية في عنبس ؛ حيث النادي الرياضي المتعاقد معه لعلاج اللاعبين ،

وقرب عيادته الخاصة . ونذكر أن الرجل كان يسكن شقتها ، كما اتفقا ، فقالت بعد أن بين لها أهمية المتجر لهما : كم يحتاج هذا المشروع ليرى النور ؟

قال متظاهرا بالتفكير العميق في المشروع : سيكون ؛ كما اتفقت مع الدكتورة صفية على مستوى الشرق الأوسط .. وسنبدأ بمائتي ألف إلى ربع مليون .. منك مائة ومن صفية خمسون.

قالت : والباقي!

قال غانم : فيما بعد الدفعة الثانية .. في الأول سنستأجر مبنى قريب من النادي والعيادة التي أملكها في العاصمة .

تركت القهوة ورمت عقب السيجارة في مكانها ، وقالت : قالت صفية: أنك تملك مائة ألف ابدأ بها ، واذا رأيت المشروع جيدا سأدفع الباقي وربما أكثر .

ردد فقال بسخط بين : صفية أخبرتك وقالت لك إني أملك مائة ألف دولار لعنة الله عليها ! وما أدراها ؟

قالت : لا أدري ! وأنت الآن تقول إن صفية تملك خمسين ألفا .. ولما حضرت تبارك لي ، طلبت قرضا حسنا بخمسين ألف .. من أين لها المال وهي تطلب القرض ؟

واحتد النقاش ، معي لا معي ، حتى قالت بغضب : أنا لست مغفلة وطفلة يا دكتور ! أنت تزوجتني لسحب ملاييني .. غادر الشقة ، وغدا على باب المحكمة .

قال مخفضا صوته : أنا أمزح معك.

قالت : خلاص أنا كرهت صحبتكم، واكتشفت خداعكم .. مستعجلون على أخذ المال .. مع السلامة قبل أن أتصل بالبوليس .

قال : أنا بمزح.

قالت : أنت لا تمزح! أنت قذر محتال .. سمحت لنفسي بالاطلاع على اللاب توب ذاك .. وأرى خداعك ونساءك ، وقرأت بعض ملفاتك.

قال : كيف تسمحين لنفسك ؟!

قالت : أنا زوجتك .

قال مترجيا : هل تطلقين بعد أسبوع ؟

قالت : في أناس تطلق على كرسي الزفاف .

قال : عيب أن نتطلق من أول أسبوع .

قالت : عيب أن تخدعني أنت والعاهرة ! رأيت صورها الخلاعية على حاسوبك يا دكتور ! رتبتم على النصب والاحتيال.

وكانت تحدثه وتضرب على رقم بوليس النجدة ، وقالت : أنا الدكتور جريدة شارع النورس في شقتي عمارة الزهر نصاب ومحتال.

فلملم أغراضه وجهازه ، وهو الأهم ؛ وربما هو الذي سرّع هربه ،وخرج مسرعا وهو يقول : متى الطلاق؟

قالت : عندما تهدأ أعصابي ! انصرف مع ألف لعنة تصحبك.

ولما خرج أغلقت الباب بالمفتاح ، ودخلت غرفة الاستقبال ، وراحت في موجة من البكاء والدموع. همست لروحها : أسبوعان وتطلقين يا جريدة ! ألف لعنة عليك يا صفية! عشيقة لغانم وصور عارية على حاسوبه يحتفظ بها يا للوقاحة ! ترغبون بالاحتيال عليّ .. وأخذت تتذكر كيف عادت صفية للدخول في حياتها من بضع شهور؟ لما سمعت عارفا يتحدث عن خداعكما ، لم أصدق .. كل الناس تفهم أكثر مني.. لما ذكر لي أنه خدع فتيات وابتزهن ، ظننت أنه يقول ذلك ؛ لينفرني عن غانم .. ولم أصدق تصويرهن ؛ لابتزازهن .. اضطر عارف لطردي ؛ لأنني لم أسمع كلامه عندما أنتهي من غانم سأستسمحه .. عارف قلبه كبير ، سيصفح عن عجلتي ، لم أكن أعلم أن عارفا بهذا الذكاء والفطنة .. في حياة أمي كان بليدا كسولا ، لا يشبع من الخمر والدخان واللهو .. تغير .. لماذا أنا لا أتغير؟ يجب أن أتغير اذا أحببت أن أكون قريبا من العائلة .. أصبح الزواج بابا لخداعك يا جريدة! يسعون وراء

ثروتك .. ضحكت .. متجر رياضي على مستوى الشرق الأوسط .. يا للسخرية !!

رن عارف على جريدة أخته لما نقل إليه خبر انفصالها عن المحتال غانم بارخ ، وفتحت الخط ،

قالت : نعم!

قال : سمعت الخبر ، وأنا في انتظارك في البيت ، واذا أنت غير راغبة بالحضور لبيت أخيك الكبير نلتقي في أي مكان يناسبك.

قالت : أنا في بيتي .

قال : والخمر و الدخان!

قالت : لا يوجد خمر ، لما أرغب في الشراب أسكر في الخمارات أو ملهى ليلي .

قال موضحا : أنا لا أشمت بك ..أنت حرة في حياتك .. في معدتك .. في سمعك بصرك .. في بدنك .. نحن وقفنا ضد زواجك ؛ لأننا إخوتك .. أرجو أن لا يكونوا نصبوا عليك!

قالت : لم ينصبوا عليّ ، أنا تعبانة يا عارف ! أنا ميتة !

قال مطمئنا لها : لا يوجد فيك شيء! الفشل وسوء الاختيار يترك أثره في النفس ، ومع الوقت يختفي.

قالت باستعطاف : أين نلتقي؟ أنا مشتاقة لك .. أنت سندي الوحيد.

قال : كلنا سند لك ، أنت عشت بعيدا عنهم يا جريدة ! يا حبيبة أختك وردة ماتت دموعا لما علمت بزواجك العاجل ، ويستغل الرجل الطب لابتزاز النساء والنصب ، حدثني أحدهم عن قضية له مع مريضة من النادي.

قالت : قرأت في حاسوبه المحمول ، ورأيت صورا للنساء ، يحتفظ بها في الحاسوب عجبت كيف يحتفظ بها ؟

قال : غرور وكبر .. البيت مفتوح .. حاولت منعك من الزواج من محتال ، لم تأخذي كلامي على محمل الجد .

قالت معترفة : أنا الآن في حانة ، لما أصحوا أمر عليك في العمل .

قال : العمل مكان غير مناسب للحديث في أمور العائلة .. اعلمي علم اليقين أننا نحبك .. ونرجو لك الحياة الطيبة والسعادة.

قالت : أنا أصدقك .. الوحدة يا عارف هي التي جعلتني أسقط سريعا .. لي سنة أعيش وحيدة في الشقة .. وهم كشفوا أوراقهم سريعا .. بعد الزفاف جاءتني صفية تبارك وتطلب قرضا بخمسين ألف دولار ، والدكتور النصاب يريد عمل مشروع متجرا لبيع أدوات الرياضة وملابس الرياضة وأجهزة قاعات وصالات الألعاب الرياضية من حصان خشبي فرشات للقفز عليها بمائة ألف دون توثيق ووصولات ودون محامي.

قال : لم أكمل لك قصة الفتاة اللاعبة في النادي .. استطاع تصويرها بصور مخلة للآداب .. ولما رجعت للمراجعة ، رأت صورها السخيفة ، دفعت مائة دولار ، ثم كرة ثانية مائتا دولار .. كانت تضحك على والديها وتأخذ منهما المال بحجة دعم النادي ، ولما طالبها في المرة الثالثة لتأخذ الصور اعترفت لأبيها بدناءة الدكتور ، فقدم بلاغا للشرطة ، ولم تستطع الشرطة إثبات الجريمة ؛ لأنه زعم أنه صورها برغبتها ، ولم يبتزها ، وأخذت البنت الصور ، وحذر الطبيب من العودة لذلك ، وطبّب النادي على القصة ؛ لأن الصور أخذت بالحيلة .

قالت : قرأت في بعض ملفات اللاب توب أوسخ من قصة البنت .. وصور كثيرة قبيحة.

كانت جريدة تجلس في شقتها مع طبيبة درست معها أيام كلية الطب اسمها هدى حماد تلقت منها هاتفا من أيام قليلة : أنا هدى حماد .. درسنا معا .. أتذكرينني؟

قالت بعد تفكير قصير: نعم ، أذكرك ، لم أنس أي زميلة درست معها أو صاحبتها تلك الفترة .. نحن دفعة واحدة .. أهلا !

تذاكرن أيام الكلية حتى قالت هدى : قرأت من أيام خبر انفصالك عن الدكتور غانم بارخ .. وأحزنني ذلك ، وراغبة بالحديث معك مباشرة اذا في ذلك مجال .

قالت : أهلا وسهلا .. هل هناك موضوع معين ؟

قالت : لا ، فقط تجديد المعرفة؛ لأنك سافرت فور التخرج للعمل في الرياض .

قالت : صحيح ، أهلا .. عصر اليوم أنا في البيت .

وذكرت لها عنوان الشقة الشارع والعمارة وقالت : من أين أخذت رقمي ؟

قالت : زرت عيادة شقيقتك الفاضلة وردة قبل الخبر ؛ لأن شريكتها قبل توسيع العيادة صديقتي ثروت حسيب وابنة خالي أيضا ، فلما قرأت الخبر اتصلت بثروت ووردة أعطتني رقم هاتفك .

قالت : حسنا ! أنا في البيت عصرا الساعة الرابعة .

قالت : تعملين أين ؟

قالت : أنا لا أعمل يا دكتورة !

جاءت هدى حماد حسب الموعد إلى الشقة وتعانقتا على باب الشقة ، ودخلتا وهما يرحبان ببعضهما البعض ، وأخذن يتذاكرن أيام الجامعة والمناوبات وقصصا اشتهرت بوجودهن .

قالت: أنت كنت ملتزمة ومحسوبة على التيار الديني ، ونحن على التيار العلماني.

قالت هدى : وما زلت ملتزمة بفضل الله ؛ ولكني أتواصل مع الزميلات قدر الإمكان وحسب الظروف .

قالت : ظاهر من لباسك وغطاء الرأس .. كم ولد عندك ؟

قالت هدى : ثلاثة مثل شقيقتك وردة .. فمنذ تشاركت وردة وثروت وأنا أزور وردة في العيادة أو البيت .. محبوبة الدكتورة كاسمها !

وبينما هنّ مندمجتان بالذكريات رن جرس الشقة ، نهضت لترى الضاغط؛ فاذا هي امرأة محجبة ، تلبس مثل هدى تقف على الباب ، فتسألت عن سبب وجودها.

فقالت: أنا مندوبة جمعية الإغاثة رحمة في بعنبس ، علمت أنك تحبين مساعدة الأيتام والفقراء

- تفضلي.

فلما دخلت الزائرة باسم جمعية الإغاثة ، قامت هدى وقالت : من ؟ عائشة.. صدفة خير .. هذه يا دكتورة تعمل في جمعية رحمة للإغاثة !

قالت : قالت ذلك بالباب تفضلن بالجلوس.

أحضرت الخادمة الشاي والماء للزائرات ، وعرفت عائشة بنفسها لجريدة ، وعن عملها التطوعي في جمعية رحمة ، ولما وصل الحديث عن سبب الزيارة .

قالت : نحن كلما نسمع عن ثري كريم نسعى للوصول إليه من أجل الفقراء والمحتاجين .. تعتمد الجمعية على غني ما فيتوفاه الله ، فورثته يتوقفون عن المساعدة ، فمن أجل ذلك دائما نبحث عن الأغنياء، فقيل إنك من الأثرياء ، ومن محبي مساعدة الفقراء .. فجمعيتنا تكفل عددا من أيتام بعنبس وآخرين في الضفة وغزة .

قالت : حسن ! ومن دلك عليّ أنا بالذات يا سيدة عائشة ؟!

قالت : الدال على الخير كفاعله ، اذا تحقق المطلوب وكفلت يتيما أو أكثر ستعرفين مرشدنا إليك يا دكتورة !

قالت : كم كفالة اليتيم ؟

قالت : اليتيم يكلف من ٣٠ إلى ٤٠ دولارا شهريا .

قالت دهشة : بس !

قالت : بس ! حتى يكبر ويبلغ ١٨ عاما ؛ فإذا دخل الجامعة هناك جمعية أخرى تتابع معه ، واذا ذهب لسوق العمل، لم يعد بحاجة للجمعية .. وأخوك جهاد نجيب صديق للجمعية .

قالت هدى مشجعة : أنا أكفل يتيمين في جمعية الأيتام ، وسأكفل ثالثا مع جمعيتكم.

هذه الحركة كانت من الدكتورة وردة والدكتورة ثروت ، كانت هدى في زيارة لعيادة وردة وشريكتها ثروت ، وانتشرت قصة طلاق جريدة من الدكتور غانم ، فعلمت هدى من وردة

أن سرعة فشل الزواج ، الفراغ والوحدة التي تعاني منها جريدة ، فمن خلال نقاش طرحت هدى فكرة اشغال جريدة بالأيتام ، ورتبت مع عائشة محمود للقاء بجريدة كما كتبنا .



انتهى الفصل أيها الصديق ! هذا قاله محسن وهو يجلس مع جهاد في بيته ، وزوجته تجلس مع أم عبدالله في غرفة ضيافة أخرى . اعتاد المهندس عندما يقدم زائرا ليلا ، أن يجلب زوجته معه وأحيانا تصحبهم أخته جارة له ، ومرات والدته ؛ لإيناس أم عبدالله في غربتها ، وتارة يأخذ الأطفال معه للعب مع عبدالله ومي ، ووجد ذلك عند جهاد صدى وعرفانا .

قال جهاد : الحمد لله .. انتهت الامتحانات بقي عليّ مناقشة الرسالة في آخر حزيران أو أول تموز ؛ لنستعد للدكتوراه مطلع العام الدراسي القادم في أكتوبر .

ودع العالم عام ٢٠١١ بحلوه ومره ، وخيره وشره ، فقد دخل التاريخ ، وصار ماضيا ، ومن أهم أحداثه على الصعيد الغزاوي صفقة الوفاء بتبديل شاليط بألف مقاوم في سجون إسرائيل والثورة في ليبيا أجهزت على القذافي ، ورأينا انتهاء ثورة تونس ومصر ، واشتعال الثورة باليمن وسوريا واحتجاجات في بلدان عربية أخرى .

ما هو الربيع العربي ؟ اسم اشتهر خلال هذا العام ؟! هو حركات احتجاجية سلمية ضخمة انطلقت في البلدان العربية أواخر عام ٢٠١٠ ومطلع ٢٠١١، متأثرة بالثورة التونسية التي اندلعت جراء إحراق محمد البوعزيزي نفسه ونجحت في الإطاحة بالرئيس السابق زين العابدين بن علي، وكان من أسبابها الأساسية انتشار الفساد والركود الاقتصاديّ وسوء الأحوال المَعيشية، إضافة إلى التضييق السياسيّ والأمني وعدم نزاهة الانتخابات في معظم البلاد العربية.

ولا زالت هذه الحركة مستمرة حتى هذه اللحظة ، نجحت الثورات بالإطاحة بخمسة أنظمة فبعد الثورة التونسية نجحت ثورة ٢٥ يناير المصرية بإسقاط الرئيس محمد حسني مبارك ، ثم ثورة ١٧ فبراير الليبية بقتل معمر القذافي وإسقاط نظامه ، فالثورة اليمنية التي أجبرت علي عبد الله صالح على التنحي، وأما الحركات الاحتجاجية فقد بلغت جميع أنحاء الوطن العربي، وكانت أكبرها هي حركة الاحتجاجات في سوريا ، تميزت هذه الثورات بظهور هتاف عربيّ ظهر لأول مرة في تونس وأصبح شهيرًا في كل الدول العربية وهو: "الشعب يريد إسقاط النظام" ، وبعدها بتسعة أيام ، اندلعت ثورة ٢٥ يناير المصرية تليها بأيام الثورة اليمنية، وفي ١١ فبراير التالي أعلن محمد حسني مبارك تنحيه عن السلطة ، وإثر نجاح الثورتين التونسية والمصرية بإسقاط نظامين بدأت الاحتجاجات السلميَّة المُطالبة بإنهاء الفساد وتحسين الأوضاع المعيشية ؛ بل وأحياناً إسقاط الأنظمة بالانتشار سريعاً في أنحاء الوطن العربي الأخرى ، فبلغت الأردن والبحرين والجزائر وجيبوتي والسعودية والسودان والعراق وعُمان وفلسطين والكويت ولبنان والمغرب وموريتانيا. الهدف إسقاط الأنظمة الفاسدة وتحقيق الديموقراطية وتحقيق حياة كريمة للمواطن ، إصدار عفو ملكي في المغرب والأردن عن المعتقلين السياسيين.

في ١٧ فبراير اندلعت الثورة الليبية، التي سُرعان ما تحولت إلى ثورة مسلحة، وبعد صراع طويل تمكن الثوار من السيطرة على العاصمة في أواخر شهر أغسطس عام ٢٠١١، قتل معمر القذافي في ٢٠ أكتوبر خلال معركة سرت ، وبعدها تسلّم السلطة في البلاد المجلس الوطني الانتقالي ، وقد أدت الثورة إلى مقتل أكثر من خمسين ألف شخص، وبذلك فإنها كانت أكثر الثورات دموية قبل دموية الثورة السورية .

وبعد بدء الثورة الليبية بشهر تقريباً، اندلعت حركة احتجاجات سلمية واسعة النطاق في سوريا في ١٥ مارس ، وأدت إلى رفع حالة الطوارئ السارية منذ ٤٨ عاماً وإجراء تعديلات على الدستور ، وفي أواخر شهر فبراير عام ٢٠١٢ أعلن الرئيس اليمني علي عبد الله صالح

تنحيه عن السلطة التزاماً ببنود المبادرة الخليجية لحل الأزمة اليمنية ، التي كان قد وقع عليها قبل بضعة شهور عقبَ الاحتجاجات العارمة التي عصفت بالبلاد لعام كامل. معظم الدول العربية تملك سجلاً سيئاً في حقوق الإنسان، وذلك لاستبداد الحكام وتشبثهم بالكراسي لعقود طويلة، إضافة لمجيئهم للحكم بطرق غير شرعية. كذلك في الأنظمة الملكية كان هناك حكم ملكي مطلق مما أدى لخروج مظاهرات في بعض الدول الملكية مثل البحرين والأردن والمغرب والسعودية وعمان للمطالبة بملكية دستورية ومزيد من الحريات.

ويعتقد البعض أن الربيع العربي عبارة عن مؤامرة تنفذها الولايات المتحدة الأمريكية والكيان الصهيوني لرسم خريطة الشرق الأوسط الجديد التي قام بها برنارد لويس. في مصر تولى المجلس العسكري إدارة مصر لفترة ١٨ شهرا لم تخلوا من مظاهرات وإضرابات ودماء إلى أن تم انتخاب الرئيس محمد مرسي رئيسا للبلاد ، واستمر حكمه لمدة عام لم يخلو أيضا من مظاهرات وإضرابات وقطع للطرق، وجاءت مظاهرات ٣٠ يونيو ٢٠١٣ ضد الرئيس مرسي وخرجت مظاهرات أخرى لمؤيدي الرئيس، وفي يوم ٣ يوليو عام ٢٠١٣ قام وزير الدفاع المصري عبد الفتاح السيسي بعزل الرئيس محمد مرسي ، ذلك الحدث الذي أحدث انقسام داخليا وخارجيا حتى على تسميته ، ففي حين يسميه البعض ثورة استجاب لها الجيش، يسميه البعض الآخر انقلابا عسكريا، مما أدى إلى قيام احتجاجات ومعارك من الجيش ضد جماعة الإخوان المسلمين وأنصارها ومعارضي الحكم العسكري.

ثورة الشباب اليمنية ، هي ثورة شعبية انطلقت يوم الجمعة ١١ شباط عام ٢٠١١ الذي أطلق عليه اسم "جمعة الغضب" (وهو يوم سقوط نظام حسني مبارك في مصر) متأثرة بموجة الاحتجاجات العارمة التي اندلعت في الوطن العربي مطلع عام ٢٠١١ م وبخاصة الثورة التونسية والثورة المصرية . قاد هذه الثورة الشبان اليمنيون بالإضافة إلى أحزاب المعارضة للمطالبة بتغيير نظام الرئيس علي عبد الله صالح الذي يحكم البلاد منذ ٣٣ عاماً، والقيام بإصلاحات سياسية واقتصادية واجتماعية، وكان لمواقع التواصل الاجتماعي على الإنترنت

مثل فيسبوك مساهمة فعالة في الثورة إلى حد كبير، حيث ظهرت العديد من المجموعات المناوئة للنظام الحاكم ، بدأت بمطالب إصلاحية ثم ارتفع سقف المطالب إلى إسقاط النظام ، ولعبت هذه المواقع دوراً كبيراً في تنظيم الاعتصامات واستمرارها، وفي الخروج بالمسيرات ، وقد كان يوم الجمعة التي عرفت بجمعة الكرامة ١٨ مارس يوما مفصليا في الثورة اليمنية حيث انضم بعدها الكثير من مشايخ وزعماء القبائل والشخصيات الاجتماعية إلى الثورة بعد أن انضم إليها اللواء علي محسن الأحمر يوم الاثنين ٢١ مارس بعد تأثره بمذبحة جمعة الكرامة التي راح ضحيتها ٥٢ شهيدا من الشباب المعتصمين السلميين في ساحة التغيير بصنعاء إلى جانب أكثر من ٧٠٠ جريح بنيران القناصة التي قال المعتصمون أنهم ينتمون إلى الحرس الجمهوري وبلاطجة الحزب الحاكم، فيما رد الرئيس صالح أنهم من سكان الحارات المجاورة لساحة الاعتصام والذين تضرروا من المعتصمين ورغم كمية الاستقالات الذي حصل بعد انضمام علي محسن للثورة إلا أن التباطئ في الزحف للقصر الجمهوري من قبل شباب الثورة أعطى الوقت لصالح لإعادة ترتيب أوراقه ، واستمرت المناورات بين شباب التغيير والمعارضة من جهة وبين صالح من الجهة الأخرى ، وحصلت بعض الاشتباكات المسلحة بين موالين للنظام ومسلحين قبليين ، وقد غادر الرئيس علي عبد الله صالح البلاد متوجها إلى السعودية يوم ٤ حزيران للعلاج بعد سقوط قذيفة على القصر الرئاسي يوم الجمعة الموافق ٣ حزيران وعاد علي عبد الله صالح إلى اليمن يوم ٢٣ أيلول وفي ٢٣-١١-٢٠١١ ، وقع صالح على المبادرة الخليجية التي بموجبها فوض صلاحياته إلى نائبه عبد ربه منصور هادي ، وغادر صالح اليمن يوم ٢٣/ ١/ ٢٠١٢ إلى سلطنة عمان ، ومن ثم إلى الولايات المتحدة للعلاج .

واعلن عن ترشيح عبد ربه منصور هادي كمرشح توافقي للانتخابات الرئاسية اليمنية، ، وقد حصل على دعم واسع قبل الانتخابات من جميع اليمنيين من قبل الأحزاب ورجال القبائل وعلماء الدين وشباب الثورة السلمية اليمنية.

أما الثورة السورية فهي انتفاضة شعبية انطلقت يوم الجمعة ١٨ آذار عام ٢٠١١ م ضد القمع

والفساد وكبت الحريات في تحدٍ غير مسبوق لحكم بشار الأسد متأثرة بموجة الاحتجاجات العارمة التي اندلعت في الوطن العربي مطلع عام ٢٠١١ اندلعت شرارة الثورة عندما كتب أطفال من درعا البلد حي الأربعين شعارات على حائط المدرسة مدرسة الأربعين ، متأثرين بربيع الثورات العربية الشعب يريد إسقاط النظام ، فقامت قوى الأمن باعتقالهم وشلع أظافرهم وتعذيبهم جسدياً مما جعل الأهالي يطالبون بأبنائهم فكان الرد القبيح من مسؤول الأمن السياسي "العميد عاطف نجيب" ، فثار الأهالي بمدينة درعا فتم اقتحام الجامع العمري بالطائرات المروحية والقوات الخاصة وحدثت مجزرة رهيبة للأهالي ومن ثم انطلقت الثورة. وقاد هذه الثورة الشبان السوريون الذين طالبوا بإجراء إصلاحات سياسية واقتصادية واجتماعية ورفعوا شعار: "حرية... حرية"، لكن قوات الأمن والمخابرات السورية واجهتهم بالرصاص الحي فتحول الشعار إلى "إسقاط النظام"، انتشرت المظاهرات للمرَّة الأولى لتعمَّ العشرات من مدن سوريا تحت شعار «جمعة العزة» بتاريخ ٢٥ مارس ٢٠١١ لتشمل دمشق وريفها وحمص وحماة واللاذقية ودرعا وبانياس والقامشلي ومناطق أخرى عدة، واستمرَّت بعدها بالتوسع والتمدد شيئاً فشيئاً أسبوعاً بعد أسبوع، وبعد القمع الدامي للانتفاضة من قبل القوات السورية تم تشكيل الجيش السوري الحر.

أما الاحتجاجات البحرينية ٢٠١١ م هي حملة احتجاجات شعبية بدأت يوم الأثنين ١٤/ ٢/ ٢٠١١ م متأثرة بموجة الاحتجاجات العارمة التي اندلعت في الوطن العربي، سمّيت هذه الانتفاضة بـثورة اللؤلؤ وهناك من أسماها بـ"ثورة الورود" ، قاد هذه الاحتجاجات شباب مستقلون إلى جانب جمعيات معارضة شيعية وليبرالية وقومية وبعثية تطالب بالحرية والديمقراطية التي هيَ حقٌّ مكفول دولياً ودينياً على أرض البحرين ، وتدعي بأنها تطالب بإصلاحات سياسية ولم تكن الانتفاضة هذه بقيادة الأشخاص إذ أنّها كانت شعبية بحتة ، من الجدير بالذكر أنّ الحكومة البحرينية وفي بادرة غريبة إثر الاحتجاجات التي ضيّقت الخناق عليها، قد استعانت بقوّات درع الجزيرة التي من المفترض أن تكون قوّة لفض النزاعات

الدولية والهجمات الخارجية على إحدى دول مجلس التعاون مما أدى لانتقادات واسعة ولاذعة للحكومة البحرينية.

في الجزائر ٢٠١١ م حملة احتجاجات شعبية غير أنها عمليا لم تنجح في جذب الشعب إليها ، بدأت منذ شهر كانون الثاني عام ٢٠١١ م، متأثرة بموجة الاحتجاجات العارمة التي اندلعت في الوطن العربي مطلع عام ٢٠١١ م ، وقادت هذه الاحتجاجات أحزاب المعارضة بالإضافة إلى الشبان الجزائريين الذين طالبوا بإجراء إصلاحات سياسية واقتصادية واجتماعية.

انتقلت الثورات التي تجتاح عدة دول عربية إلى جيبوتي ذات الأهمية الاستراتيجية الواقعة على الساحل الشمالي الشرقي لأفريقيا ، وصرحت أحزاب معارضة بأن أكثر من ثلاثين ألفا خرجوا يوم الجمعة ١٨/ ٢/ ٢٠١١ م احتجاجا على حكم الرئيس عمر غيلة الذي ألغى العام الماضي فقرة دستورية تسمح له بالحكم لولايتين، ليسمح له بالترشح للمرة الثالثة للانتخابات المزمع إجراؤها في نيسان المقبل.

أما الاحتجاجات العراقية ٢٠١١ م فهي احتجاجات شعبية بدأت منذ مطلع شهر شباط عام ٢٠١١ م متأثرة بموجة الاحتجاجات العارمة التي اندلعت في الوطن العربي.

الاحتجاجات الفلسطينية جاءت لإنهاء الانقسام ، بدأت في ١٣/ ٢/ ٢٠١١ قام بها مجموعة من الشباب تحت اسم الحملة الوطنية الشبابية لإنهاء الانقسام والاحتلال ، وكانت أول فعالية في ٢٤/ ٢/ ٢٠١١ في الضفة وغزة والشتات والداخل الفلسطيني ١٩٤٨ وتوجت في أكبر فعالية مشتركة في ١٥ آذار/ مارس عام ٢٠١١ م ، وقاد هذه الاحتجاجات الشبان الفلسطينيون مع بعض الفصائل الفلسطينية للمطالبة باستعادة الوحدة الوطنية ورفع الحصار عن قطاع غزة.

أما الاحتجاجات الأردنية ٢٠١١ فهي موجة من المظاهرات والمسيرات الاحتجاجية التي انطلقت في مختلف أنحاء الأردن مطلع عام ٢٠١١ م ؛ متأثرة بموجة الاحتجاجات العربية العارمة التي اندلعت في الوطن العربي مطلع عام ٢٠١١ م ، كان من الأسباب الرئيسة لهذه

الاحتجاجات تردي الأحوال الاقتصادية وغلاء الأسعار وانتشار البطالة وانتشار الفساد ، وقد بدأت هذه المسيرات يوم ١٤ كانون الثاني ٢٠١١ بعد صلاة الجمعة ، واستمرت في الأسابيع التالية.

الاحتجاجات المغربية ٢٠١١م احتجاجات شعبية انطلقت يوم الأحد ٢٠/ ٢/ ٢٠١١ م ؛ متأثرة بموجة الاحتجاجات العارمة التي اندلعت في الوطن العربي مطلع عام ٢٠١١ م ، قاد هذه الاحتجاجات الشبان المغاربة "حركة ٢٠ فبراير" بدعم من الهيئات الحقوقية والأحزاب السياسية المغربية وعموم المواطنين المغاربة، وطالب المتظاهرون بملكية برلمانية وبإصلاحات سياسية واجتماعية ، أنشئ دستور جديد يحد من صلاحيات الملك وتقوي موقع رئيس الوزراء، ودخل حيز التنفيذ في ١ أغسطس ٢٠١١، بعدد من الحقوق المدنية الجديدة، بما في ذلك الضمانات الدستورية لحرية التعبير، المساواة الاجتماعية للمرأة ، حقوق لغوية للمتحدثين بلغات الأقليات واستقلال القضاء، خلاصة المطالب: ملكية برلمانية يسود فيها الملك ولا يحكم ، استقلال القضاء، ومحاسبة المفسدين وناهبي المال العام.

عُمان حملة احتجاجات شعبية انطلقت يوم الجمعة ١٨ كانون الثاني عام ٢٠١١ م، متأثرة بموجة الاحتجاجات العارمة التي اندلعت في الوطن العربي مطلع عام ٢٠١١ م ، قاد هذه الاحتجاجات الشبان العمانيون الذين طالبوا بإجراء إصلاحات سياسية واقتصادية واجتماعية، وقد قام السلطان قابوس بإجراء بعض التعديلات وذلك بعد الأخذ بعين الاعتبار الكثير من مطالب شعبه.

احتجاجات السعودية متفرقة بدأت يوم الخميس ٣ آذار عام ٢٠١١ م ، قاد هذه الاحتجاجات الشبان السعوديون للمطالبة بإصلاحات سياسية واقتصادية واجتماعية ، وأعلن الملك عبد الله بن عبد العزيز يوم الجمعة ١٨/ ٣/ ٢٠١١ م عن حزمة من الإجراءات تشمل مكافحة الفساد، ومخصصات مالية بمليارات الدولارات لرفع الأجور، وتوفير آلاف الوظائف، وبناء نصف مليون وحدة سكنية للعاطلين والموظفين والطلاب.

احتجاجات سودانية طفيفة انطلقت في ٣٠ كانون الثاني عام ٢٠١١ م ، وكانت هذه الاحتجاجات تطالب بالقيام بإصلاحات سياسية واقتصادية واجتماعية كما نادى عدد ضئيل منها بتغيير النظام.

الاحتجاجات الكويتية ٢٠١١: هي سلسلة احتجاجات شعبية انطلقت منتصف عام ٢٠١٠ م قبل موجة الاحتجاجات العارمة التي اندلعت في الوطن العربي وكانت أول من استخدم كلمة "ارحل" ضد رئيس الوزراء وطالبت هذه الاحتجاجات بإصلاحات اجتماعية واقتصادية ، كما قامت مظاهرة حاشدة في ساحة الإرادة للإطاحة برئيس وزراء الكويت ناصر المحمد الصباح، انتهت هذه المظاهرة بإقالة الحكومة وحل مجلس الأمة الكويتي.

الإمارات لم تشهد أي مظاهرات بحد ذاتها، فقد حدث فيها عدد من التوترات والاضطرابات تحسباً من الحُكومة لأي استجابة شعبية اتجاه موجة الثورات العربية، وقد تضمنت هذه التهيئات توقيفات واعتقالات وتضييقات على الناشطين السياسيين وأطياف المُعارضة المُحتملة للنظام الحَاكم.

الاحتجاجات الموريتانية ٢٠١١ م احتجاجات شعبية بدأت منذ مطلع شهر كانون الثاني عام ٢٠١١ م على شكل احتجاجات متقطعة للمطالبة بالإصلاح السياسي والاقتصادي والاجتماعي وللتنديد بانتشار الفساد والبطالة والفقر ، وقد ردت السلطات بعنف على هذه الاحتجاجات.

الاحتجاجات اللبنانية ٢٠١١: هي حملة من المظاهرات والمسيرات انطلقت يوم ٢٧ شباط/ فبراير عام ٢٠١١ م متأثرة بموجة الاحتجاجات العارمة التي اندلعت في الوطن العربي مطلع عام ٢٠١١ ، وقاد هذه الاحتجاجات الشبان اللبنانيون للمطالبة بإصلاحات سياسية واقتصادية واجتماعية ، كان من الأسباب الرئيسة لهذه الاحتجاجات هو النظام الطائفي الذي يحكم لبنان منذ أكثر من سبعة عقود، حيث أن الرئاسات الثلاث (الدولة ، الحكومة، مجلس النواب) مُقسمة بشكل طائفي منذ أيام الانتداب الفرنسي واستمر حتى بعد

جلائه عن لبنان عام ١٩٤٦ ، فجاءت هذه المظاهرات للمطالبة بنظام علماني مدني ينهي التقسيم الطائفي للبلاد الذي كان وقوداً للحرب الأهلية اللبنانية التي اندلعت بين عامي ١٩٧٥ و١٩٩٠ .

شهد إقليم الأحواز العربيّ مظاهرات مناهضة للنظام الإيراني في عدة مدن أحوازية دُعي إليها تحت اسم "يوم الغضب" في تاريخ ١٥ أبريل ٢٠١١م وتطوَّرت هذه المُظاهرات بعد فترة إلى اشتباكات عَنيفة بين الأمن والمُتظاهرين سقط فيها ٣ قتلى والعديد من الجَرحى بينها اُعتقل ١٥٠ شخصاً. حاصر الأمن الإيرانيُّ مُختلف الأحياء العربية في إقليم الأحواز وأطلق النار في شوارع مدنه بشكل عشوائيّ خلال باقي اليَوم. وقد قامت أجهزة الأمن الإيرانية بقمع هذه المُظاهرات مباشرة مُستخدمة الأسلحة النارية والرصاص الحيّ، كما خرجت المَزيد من المُظاهرات في "حي الثورة" الوَاقع ضمن مدينة الأحواز يوم السبت ١٦ أبريل التالي، إلى أن مصيرها كان ذاته بالتفريق بالرصاص الحي.

قال الرئيس الأميركي باراك أوباما : إن الانتفاضات في منطقة الشرق الأوسط تخدم الولايات المتحدة وتمنحها فرصة كبيرة، ورأى أن هذه الثورات تفتح آفاقا واسعة أمام الأجيال الجديدة ، ووصف أوباما هذه الثورات بأنها "رياح حرية" هبت على المنطقة.

رجح رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو أن تسفر التغييرات الجارية في العالم العربي عن حالة من عدم الاستقرار تستمر طويلا ، بيد أن نتنياهو عاد وحذر مما اعتبره التداعيات المحتملة لانهيار الأنظمة في الدول العربية المجاورة لإسرائيل على مسألة الشريك السياسي، معترفا بأن أفضل خبراء الاستخبارات في دول كثيرة لم يتوقعوا ما جرى وأنهم غير قادرين على تقويم النتائج.

واستبعد إيهود باراك في تصريحات للقناة الثانية في التلفزيون الإسرائيلي استتباب الديمقراطية الكاملة في الدول العربية في السنوات المقبلة، لكنه وصف التوجه الحالي "بالإيجابي" لكونه يؤدي إلى "مزيد من الانفتاح وحقوق الإنسان والأقليات والتنمية الاقتصادية".

قال محسن مخاطبا جهاد : وفقك الله تعالى ، استعرضت المشاريع التي اقترحها علينا الدكتور الاقتصادي خميس حسين هو سألني عنها .

قال جهاد : أرسلت العروض لابن عمي سامي وزوج أخته المهندس حسن ، فهما خبراء في المشاريع والاستثمار ، هناك توجه لإقامة مشروع الإتجار بالسيراميك ، فقال سامي : نجاحه كبير.. أنت ما رأيك ؟

قال محسن : هذا ما أشار إليه أيضا الدكتور خميس.

قال جهاد : حتى اذا وفقنا إلى استيراد السراميك الإسباني والإيطالي والصيني وحتى المصري سيكون العمل ناجحا.

قال: أهناك غيره ؟

قال جهاد : فسامي وحسن خبراء مشاريع واستثمار ، وهم من جيلي، لا تظن أنهم كبار في السن ؛ لكن تربية الوالد فتحت عليهم هذه القدرات في الاستثمار والإنتاج ، لهما رغبة وإرادة بتشغيل الناس ، فهما مهندسان مثلك ، ويملكان شركة إعمار كبرى في بلادنا ، ويبنيان برجين في تاج الزمان من ضمن ثلاثين برجا ، ضاحية تسعى الدولة أو البلدية لتاج الزمان لإحيائها تسمى ضاحية الأبراج .

قال محسن : ما شاء الله !

قال جهاد : يملكان ما يزيد عن مائة مشروع يا أبا صهيب! بعضها خاص بهما مثل شركة العقارات ، وبناء العمارات والشقق .. استئجار أو بيع في كل مقاطعات البلاد الشامخة ، وهناك مشاريع لهما فيها شركاء مثلي وأخي سالم وعمي والعائلة .. شركات عائلية خاصة مدارس صيدليات مصانع وورش .. مصانع متعثرة يتملكانها ويعيدان إحيائها ، مستشفى مصنعي دواء .

قال محسن : كيف يتابعان كل هذه المشاريع ؟!

قال جهاد مبتسما : مكتب محاسبة مستقل منفصل عن كل الشركات ، فقد لأخذ التقارير والموازنات من كل المشاريع .. هم شركاء في الأرباح .. إدارة مستقلة لكل استثمار .. قلت هدفهما إيجاد فرص عمل للناس ، فاذا أخبر مكتب المحاسبة ومراقبة الشركات والمشاريع الذي يستقبل التقارير الفصلية النصف سنوية السنوية كالمدارس والعيادات ضعفا وفشلا في مشروع ، فيعقدان جلسة مع الإدارة بذلك المشروع ؛ فاذا كان التقصير من الإدارة ، هناك حلان الأول امتلاك الإدارة المشروع كاملا ، وإنهاء علاقتهما به بتغيير العقود أو إيجاد إدارة بديلة تحت التجريب ، واذا فشلت الإدارة البديلة يصفى المشروع ويسرح العمال .

قال محسن :والله هذا يحتاج إلى قدرة كبيرة!

قال جهاد : قبل سنة أسسنا مؤسسة طبية برأسمال عشرة ملايين ، وفي هذه السنة سيتم توسيعها وإعادة هيكلتها ، وإضافة شركاء جدد .

قال محسن : شيء مذهل حقا ! والمشروع الثاني.

قال جهاد : مصنع .. مصنع.

قال محسن : مصنع ماذا ؟

قال جهاد: البان أو معادن ، خزائن معدنية لحفظ الأشياء الثمينة أوراق أو مجوهرات .

قال محسن : وهل لها سوق ؟!

قال جهاد : لها سوق.

استطاعت الدكتورة هدى حماد من تعميق علاقتها بجريدة وكذلك عائشة ، فكلما يحدث لقاء نسوي ترافقهم سواء لتوزيع جوائز على أنشطة رياضية ثقافية تقيمها جمعية الإغاثة ، أم زيارة مراكز أيتام لتوزيع هدايا وهبات يتبرع بها أحدهم لمركز معين أو الجمعية نفسها تتبرع بتلك الجوائز ، فقدت شغلت هذه النشاطات المتتابعة جريدة ، واندمجت فيها لشغل وقت الفراغ الذي تعاني منه .

كانت تستضيف عائشة وهدى وسألت : كم مركز أيتام تشرف عليه الجمعية؟

قالت عائشة وهي تتناول صينية الشاي من شغالة جريدة : حوالي تسعة ، خمسة ذكور وأربع بنات .. المركز يرعى من ٣٠ ـ ٥٠ يتيما حسب كثافة الشارع والحي القائم فيه مركز الأيتام ، ويراعى البعد والقرب عن بيوتهم .. المركز الذكوري مديره رجل ، والأنثوي امرأة .. وهؤلاء أشخاص يحملون شهادات تعليم جامعي ، علم نفس ، تربية إسلامية ، معلم مرحلة .. فنكفل حوالى ٤٠٠ يتيم من الجنسين .. وهناك جمعيات أخرى تكفل آخرين .

قالت هدى مضيفة : ولديهم خمسة نوادي رياضية للأطفال ، ونادي رياضي للشباب ، ويشارك مع أندية البلاد كلها في المنافسات ..أنا لي أربع سنوات أتعاون معهم ، وأقدم لهم المساعدة بسعر رمزي ، ولوجه الله أولا .

قالت عائشة: نحن نكفل أيتاما في غزة في الصومال الباكستان بنغلاديش ندعمهم ماديا فقط نحن واسطة فحسب ؛ لأن البعض يحب ويجدد كفالة أيتام غزة فنأخذ المال ونوصله لجمعيات أيتام ناشطة عندهم ، فتقدم لنا تلك الجمعيات اليتيم ؛ ليتواصل مع كافله بالرسائل والحاجات .. ونقل المال خارج البلد لمثل هذه الجمعيات معقد بسبب الأمم المتحدة ، وجهات مالية تراقب الداخل والخارج خشية أن يوجه للإرهابيين على زعمهم .

قالت جريدة : أنا استمتعت معكن بهذا العمل الإنساني ، وإسعاد هؤلاء الأيتام هذه الشهور وغيرتن نمط حياتي .. وأحس بالمتعة وأنا أرى البسمة على وجوه الأيتام وأهلهم .. عمل جاد حقا ! وفيه خدمة للناس .. الدكتور زاهر الدين عرض عليّ إدارة مركز ما دمت متقاعدة ، وغير مرتبطة بعمل ، ووظيفة لإزاحة الملل والضجر عن النفس ما رأيكن؟

قالت هدى : زاهر الدين كما تعلمين هو رئيس الجمعية من عشرين سنة ، ويضحي من وقته وماله الكثير .. له عيادة يعمل بها قليلا ويديرها ابنه جمال .

قالت عائشة مضيفة : يعمل بها قليلا يديرها ابنه وابنته ،وهو يعتمد ماديا على استثمارات أكثر من العيادة .. وهو يرأس جمعية ثقافية في تاج الزمن ، ونائبه يقيم نشاطها في الغالب.

قالت : جميل ! هل أصلح أن أرأس مركز أيتام أم لا.. تعملين معي يا هدى!

قالت : عندي عملي يا دكتورة ! ممكن في البداية أعمل معك بضع ساعات مبكرا قبل ذهابي العمل .. ممكن تستفيدين من خدمات عائشة .

قالت عائشة : في البداية سأفعل حتى تتمكني من إدارة العمل ؛ فأنا عملي الرئيس في الجمعية ، والبحث عن المحسنين والمتبرعين وللعمل معنا مثلك ، والمركز هو مثل المدرسة معلمات يقمن بالعمل.. وأنت المديرة عليهن .. ولما تملي أو تتزوجي أو تشتاقي للعمل في الطب تنسحبين بكل هدوء .. هي عبارة عن دروس وألعاب .

انتخب الشعب المصري بعد نجاح ثورته الدكتور محمد مرسي رئيسا للجمهورية لأول مرة في انتخابات حرة ونزيهة ، وتمكن من الفوز على منافسه بواحد وخمسين بالمائة ، وهو أول رئيس مدني من ثورة يوليو ٥٢ . غمرت الفرحة الشعوب العربية الحرة ؛ لأن مصر أهم دولة في الدول العربية ، الجمهورية نشأت أثر انقلاب عسكري عام ٥٢ بدعم أمريكا أو صمت أمريكي . كانت الانتخابات الرئاسية في حزيران ٢٤ منه لعام ٢٠١٢، واحتفلت المحافظات بهذا الإنجاز العظيم ، وإنهاء حكم العسكر بعد أكثر من ستين سنة ، وانتهى حكم المجلس العسكري الذي دام عاما ونصفا.

كان جهاد ومحسن فرحين ؛ كسائر أبناء الأمة الأحرار والشرفاء الذين يضيقون بالاستعباد والتبعية للغرب أو الشرق خلال العقود السالفة ، وكان الأمر في الشارع المصري وحتى العربي هل تحكم مصر بالشريعة أم ببقاء العلمانية؟!

وقبل نهاية تموز ناقش جهاد رسالته ، ومنح درجة جيد جدا ، وأخذ بالاستعداد للعودة للديار لقضاء الصيف ، بين الاحبة والأخلاء ؛ ليعود بعد حين للتسجيل لدرجة الدكتوراه في القانون في منتصف آب أو آخره .

قال محسن بعد أن قدم التهنئة والهدية المتواضعة والرمزية بهذا المناسبة : لقد بانت مهارتك

أثناء المناقشة بشكل أدهش المناقشون!

قال جهاد : أنا عملت في المهنة أكثر من ثماني سنين مع شقيق زوجتي الدكتور إبراهيم .. والأخطاء التي أشار إليها المناقشون شكلية ، وهي وجهات نظر خاصة يمكن أن أضيفها عند طباعة الرسالة أو أتجاهلها منذ أن يضع المشرف تقريره انتهى أمر النجاح .. والحمد الله الذي تتم بنعمته الصالحات .

قال محسن : ألف مبارك يا أبا عبد الله !

قال جهاد : والأعمال ما آخر أخبارها ؟

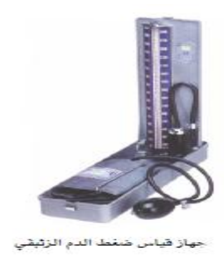
قال: متجر السراميك كان اختيارا موفقا ، ويعمل بشكل ممتاز ، وشركتنا قبلت بشراء كل حاجتها من السيراميك من متجرنا ، ومصنع الخزائن المعدنية بدا من شهر نيسان بالبيع في السوق المحلي ، وهو يستعد للتصدير للعراق والخليج والحقيقة ؛ كما يقول المدير مشروع موفق ، فيقول كل غرفة في فندق خمس نجمات أو مكتب يحتاج لخزانة لوضع المدام مجوهراتها والرجل وثائقه ، لم كن أعرف ذلك .

قال جهاد : الفنادق البنوك المؤسسات المكاتب ، كلٌ عنده وثائق مهمة ، الجامعات مكاتب المحاماة والمحاسبة .

قال: حقيقة ابن عمك يستحق لقب خبير .. هل هذه مشاريع موجودة عنده ؟

قال جهاد : السراميك من قديم .. بعد أن فتح الله عليهم في العمارة والبناء أنشأوا سلسلة من المتاجر سيراميك بلاط أسمنت حديد تسليح مواد بناء دهانات .

قال محسن معجبا : ما شاء الله ! لا قوة إلا بالله .



جهاز قياس ضغط الدم الزئبقي

جريمة مثيرة



حدثت جريمة قتل في العاصمة الهولندية أمستردام ، كان لها ارتداد في البلاد الشامخة أكثر من هولندا ، الجريمة كانت مساء يوم الثلاثاء ٢٤ تموز صيف ٢٠١٢ كانت بالنسبة للشعب الهولندي حدثا طبيعيا ، ويتكرر بين الحين والآخر ، ولا أهمية له ، وهو جريمة قتل إنسان مجهول مهاجر من الشرق الأوسط، ومثله كثير في العالم كله ؛ ولكنه مهم ومثير ومدهش ومحير في بعنبس وغزة .

فقتل الإنسان بالسم أو بالرصاص ، لم يعد مرعبا للنفوس ، فآلاف البشر تقتل يوميا بالسيارات بالأمراض بالحروب بالغرق بالهجرة من البلدان الفقيرة إلى البلدان الغنية .

الساعة الخامسة مساء في أمستردام ، غادرت الطبيبتان دايل ويت ، ورفيقتها ليزا تايس عملهما في العيادة التي تعملان بها في شارع لاين . كان لدايل ويت شريك بيت من أصول عربية ، يتقاسمان الحياة بدون عقد زواج مدني ، حتى اذا ملّ الواحد من شريكه ، تركه أو اذا عاشر غيره ، لا تبعات تتبعه ، لا مشاكل ، وهذا شائع في أوروبا وأمريكا .

رافقت ليزا تايس دايل لشقتها ذلك المساء لممارسة الحب يعني الجنس مع عشيق دايل ، وهذا وضع متكرر ، وكان الشريك الذكر مستعد لتقديم هذه الخدمة التيسية لليزا دون حياء ، دخلتا متجرا لشراء الكحول ووجبات الطعام قبل الوصول للشقة .

وقفت سيارة دايل في الموقف أسفل العمارة الضخمة ، وركبتا المصعد إلى الطابق السادس،

وهن يحملن مواد السهرة . ضغطت دايل على الجرس؛ لعلمها أن عشيقها في البيت ، فلقد اتصلت فترة الظهر تحدثه عن ليزا ، وحاجتها لخدماته فرحب بذلك ، لم يفتح الباب ، فظنت أن الشريك خرج للتسوق من أجل السهرة ، فأخرجت مفتاحها الخاص بها ، وفتحت الباب ودخلت ليزا بما تحمل ووضعته على طاولة مدخل الشقة ، ودخلت دايل ويت وأغلقت الباب بالمفتاح وسلسة الأمان . وكانت ليزا تشعل الإضاءة ، ثم التفت إلى صالة الشقة حيث توضع منضدة متوسطة الحجم فرأت الشريك ملقى على أرض الغرفة ، ولم يذهب للتسوق ؛ كما اعتقدن ، فصاحت : إنه هنا يا دايل ! ما به ؟! وهرعت إليه تتبعها دايل، وقد تركت المشتريات بجانب مشتريات ليزا .

لاحظت ليزا أن الرجل كان على الكنبة وسحل وانزلق إلى الأرص ، فحصته وهي الطبيبة ، وضغطت على شرايين الرسغ لسماع النبض ، ووضعت أذنها على صدره بعد فك الأزرار ، ونهضت وهي تقول : اطلبي الإسعاف والشرطة إنه ميت !

تظاهرت دايل بالفزع والانزعاج وقالت : جلطة !

حضرت الإسعاف والشرطة والطبيب التابع للبوليس ، ثم حضر فريق التحقيق في الوفاة المفاجئة ، وبين طبيب الشرطة لهنّ أن الرجل ميت بالسم ، ويعني هذا أنه قتل ، هل قتل بفعل فاعل أو انتحار؟ فالانتحار شائع في بلدان العالم ، وأمر الطبيب الشرطة بعد إنهاء إجراءاتهم بنقله لمشرحة الطب الشرعي في الجامعة القريبة من مكان الحادث .

هل حدثت جريمة في هذه الشقة ؟ وبينتا للشرطة علاقتهما بالقتيل منذ سنوات وأن الرجل وهي شريكان في الحياة ، وهو طبيب عربي يحمل الجنسية الإسرائيلية من العرب الذين يعيشون في دولة إسرائيل . وبعد يومين أكدت الصحف مقتله بالسم ، وبينت نوع السم الذي تعاطاه أو أعطي له ، وبينت الكاميرات أن رجلا زاره مساء الثلاثاء ، وغادر البناية قبل الخامسة بساعة قبل مجيئهن من العمل ، عندما رجعت شريكته ورفيقتها للعشاء والسهر ، وجدتاه ميتا ، ولم يعرف الرجل الزائر من قبل شريكته في الشقة ، والشرطة طلبت شهادة الرجل ،

فليزا ودايل صديقات الرجل لم تعرفا هوية الزائر.

والذي شد الناس في بعنبس وغزة وإسرائيل دون العالم هوية القتيل ، ذكر البوليس الهولندي أن الرجل الذي قتل مسموما في شقته في أمستردام اسمه الدكتور وائل زياد من أصل عربي فلسطيني يحمل جنسية دولة إسرائيل .

فصاح الجمهور : ألم يقتل في غزة قبل سنوات ؟!

نشرت بعض الصحافة العربية خبر اغتيال الطبيب العربي المهاجر إلى هولندا من عام ٢٠٠٩ للعمل كطبيب مهاجر ؛ حيث عمل في مستشفى خاص ، ثم انتقل للعمل في عيادات خاصة ثم أشيع أنه قتل في غزة ٢٠١٠، وها هو اليوم يقتل مرة ثانية في أمستردام .. هل مات وائل زياد حقا ؟! وشغل هذا النشر أعضاء مكتب الدكتور إبراهيم ، وضيفهم جهاد نجيب الذي رجع من عمان من فترة .

قال مهران موجها الخطاب لزميلهم أسامة الذي ظهر لهم اهتمامه بقصص المخابرات والتجسس بين العرب وإسرائيل وأمريكا وروسيا والصين فقال: ما القصة يا أسامة ؟

قال : القصة ؛ كما تذكرون أننا تكلمنا ذات نهار عن الجاسوسية أنها يختلط فيها الكذب بالحقيقة ، والخيال بالحقيقة والشعوذة ، شخص أو جاسوس يموت ، ثم يحيا .. ومثال قريب منكم ، والد صديقنا أبي عبدالله مات في قبرص ، ثم مات في كوبا .. فهذا مثال حي وبسيط نعرفه.. أنا قرأت الخبر ، وذهلت ودهشت مثلكم !.. ألم تعلن داخلية غزة بقتل عميل إسرائيلي دخل غزة ضمن بعثة إغاثة بلجيكية ؛ لأن وثائق التعريف على الرجل بحوزتهم جواز سفره البلجيكي المزور كما قالت حكومة بلجيكا ، والعميل (د) الذي قابله هو يعرفه بكلمات السر ؛ حتى لو عرفه شخصيا اذا التقيا مرات سيعرفه باسم الحركي ، وليس الحقيقي .. الآن سيبحث أمن غزة عن شخصية القتيل .. من هو الذي قتل ؟ وهذا لا يهمهم كثيرا وقد يكون معروفا لهم ، وتظاهروا بأن المقتول وائل ؛ كما في جواز السفر ؛ لذا لا تعرف الحقيقة إلا بعد سنوات وعقود .. والطبيبتان الهولنديتان هل شاركتا في قتله مع الرجل الذي ظهرت

صوره على كاميرات مداخل العمارة وموقف السيارات ؟

قال مهران : إسرائيل اعترفت أن عميل غزة عميل لها، وعمل في بعنبس .

قال أسامة : إنهم يقصدون تثبيت موته في غزة ، ليبقى وائل الحقيقي يعمل بدون مطاردة .. والمخابرات هنا تقول إن الطبيب لم يكن يعمل كجاسوس .. من الصادق ؟ .. من الكاذب ؟ فمواقع قريبة من أمن المقاومة أن القتيل عميل إسرائيل من عرب الطائفة (...) فلسطين فيها عرب بدو كرد ترك دروز يهود السامرة أرمن وشركس وأكثر السكان من العرب واليهود المستوردين ، هؤلاء كانوا رعايا الدولة العثمانية ، ولما ماتت العثمانية ، ظلوا مواطنين عرب ، وهذه الفئات موجودة في كل بلاد الشام والعراق ، فلبنان فيها أكثر من ثمانية طوائف دينية الشيعة عرب المارونيون عرب الدروز وعرب .

وتابع أسامة لما لم يعقب أحد : نشرت صحف غزة من جديد صورة جواز سفره ؛ ولكن من يعرف وائلا يعرف أن الصورة ليست له ، ونشرت بعض الصحف هنا صورا حقيقية له .

قال احمد : ونشرت صورا لصديقته الهولندية التي رافقت البعثة البلجيكية كطبيبة متعاقدة معهم للعمل في غزة ؛ ولكنها بعد مقتل ما سمي وائلا غادرت القطاع واسمها يطابق ما نشرته الصحف الهولندية عنها ، واكتشافها جثة صديقها وشريكها في الشقة .. وهل الذي قتل في هولندا فعلا هو وائل زياد ؟ هناك مواقع قالت لقرائها إنها ستحل لغز هذا الرجل الذي قتل في غزة وفي أمستردام .

قال مهران : تابع الأمر يا أسامة ، وكلما جد جديد زودنا به .

قال أسامة : إسرائيل لم تطلب جثة عميلها القتيل في غزة على غير العادة .. مما أدهش أمن غزة إسرائيل حكمت غزة من عام ٦٧ حتى انسحبت ٢٠٠٥ من طرف واحد تحت ضغط حرب المقاومة .. وكانت تتحكم بآلاف الجواسيس ، ولما عادت غزة للعرب أخذ يقل عدد العملاء والجواسيس .. وفي عهد سيطرة حماس على غزة قلوا كثيرا ، ورأيتم بعد حرب غزة قتل عشرات منهم أمام الناس، إسرائيل تستغل فقرهم ومرضهم لزرع الجواسيس.


فنّ التجسس
الجهاز الخفي لوكالة الاستخبارات
المركزية الأمريكية (السي آي إيه)
K. G. B
الجاسوسية

العشاء

كان جهاد مدعوا للعشاء على مائدة عصام ووردة بمناسبة عودته من عمان ، ودعت وردة شقيقتها جريدة للدعوة لتسلم على جهاد وزوجته ، فهي لم تجرؤ على زيارته في بيته رغم أن طلاقها حدث من شهور. وصلت جريدة أولا وقصدت ذلك ، لا تدري لماذا تهاب جهادا لهذا الحد ؟ وعانقت جريدة أختها بحرارة ، ولبثت على صدرها لدقيقة أو أكثر وتلك تربت على ظهرها بعطف وهدوء ، وكانتا تبكيان ، حتى خجل عصام وجعل عينيه في الأرض ، وهن منذ رحلة عمان لم تلتقيا أو قل منذ ظهر غانم في حياتها ، لم تلتقيا جسديا ، وذهبت كلتاهما لحوض الغسيل (المغسلة) لغسل ووجهيهما من الدموع التي سالت على وجنتيهما حبا وعطفا .

حضرت جريدة بثوب طويل إلى كعبيها ، وجاكيت نسائي فوقه ، وقبعة حتى لا تسمع تعليقا من جهاد ينغص عليهم اللقاء ، ودفعا لأي حرج لعصام ووردة ، ولباسها هذا بسبب نشاطها مع هدى وعائشة كذلك ، فقد اعتادت على لبس الثوب الطويل بصحبتهما .

قالت وردة : أنا بحبك يا جريدة ! والله لا أكرهك أبدا ، أنت أختي الحبيبة .. أنا كغيري سمعت أخبارك مع مركز الأيتام الذي تديرينه .. وهذا شيء ممتع كما أسمع ..العيش مع هؤلاء الضعفاء ، وبسط اليد لهم شيء عظيم ! يرقق القلب ويزيد من قوة العطف والإحساس بهذه الفئة من الناس .. والنبي ﷺ شجع ورغب برعاية الأيتام وكفالتهم والمسح على رؤوسهم .. فموفقة في هذه الحياة أو التجربة .. وهي خير من القعود في أماكن تضييع الوقت واللهو.

قالت : لم أحب العودة لمؤسسة عارف بعد تركها ، رغم أن عارفا قال العود احمد ومللت جدا من العمل كطبيبة .

قالت وردة : يمكنك العمل طبيبة متطوعة يا أختي ! كلنا لسنا بحاجة لمال بفضل الله وحده .. ولكن نقدم هذا الأجر للأيتام والفقراء .. وقت الفراغ قاتل يا أختي ! وهل أعمل في العيادة من أجل بضع دولارات؟! نحن كما تعلمين كبرنا العيادة ؛ لتخدم نساء وزوجات موظفي

وعمال المؤسسة .. فالعيش مع الناس مستحب لمساعدتهم مباشرة .. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المؤمن الذي يخالط الناس، ويصبر على أذاهم، أعظم أجرا من المؤمن الذي لا يخالط الناس، ولا يصبر على أذاهم»

قالت : من أجل ذلك مشيت مع هدى حماد ، وعائشة محمود ، وجدت العمل الخيري مريحا لنفسيتي في الوقت الحاضر .. كانت فكرة العيش معهم في الوقت المناسب .. وأنا ممتن لهن يا وردة!

قالت وردة مشجعة : نعم ، أنت كنت بحاجة لمثل هذا العمل الإنساني الكبير واذا أحببت العمل في عيادتنا بعد دوام المركز فلدينا مجال .. فتدخل علينا نساء تحتاج لطب عام قبل طب النساء .. فنحن اليوم خمس طبيبات في الأمراض النسائية ؛ لأننا نخدم المؤسسة التي يعمل في جميع فروعها ومخازنها أكثر من ثلاثة آلاف موظف من الجنسين ، والرجال يبعثون نساءهم وبناتهم .. ولدينا عيادة مستقلة عنا للأطفال من الجنسين .. والرجال لهم عيادات حسب ما قال سامي .. وجمعية الإغاثة رحمة يا جريدة ترسل لنا نساء للعلاج مجانا أو لوجه الله .. فرواتبنا من المؤسسة ، وما نكسبه من الجمهور يوزع علينا بالتساوي ، وأجر المكان من المؤسسة ، في مجال لعملك معنا.. فوقت الفراغ قاتل .. فكري بالاقتراح .

قالت : العمل في المركز ينتهي ظهرا ، لدينا ستين يتيمة ، وأربع معلمات وبواب وخادمة ، وشركة نظافة هي التي تقوم بتنظيفه مرتين يوميا ، قبل السادسة وبعد الدوام .

قالت وردة : وبعدين !

قالت : أذهب لعيادة الجمعية أساعدهم أو انصرف للبيت ، وبعد العيادة التي تغلق عصرا أذهب لمسرح أو سينما أو لقاء صاحبة .

قالت وردة : ما زلت متعلقة بهن ! تعالي عندنا البيت .. نسمع درسا دينيا.. نشاهد فلما وثائقيا .. نتحدث صدقي أني أحب ذلك.. نقرأ يوما بعد يوم.

قالت : عصام !

قالت وردة : أنا أفارق العيادة في الثالثة عصرا .. أما عصام فقليل الكلام ! بعد أن يعود من جولته في زيارة أعمالنا ينشغل بالأخبار والصحف .. وهو اليوم يطالع في صحيح الإمام مسلم ، بعد قراءته البخاري .. أتشربين؟

قالت بخجل : لا أشرب بالبيت .. أمر أحيانا للآسف على حانة وأجرع كأسا صغيرا .. الثلاجة لا يوجد فيها شراب .

قالت وردة باستعطاف وحنان : ولماذا هذا الكأس يا حبيبتي ؟ اشربي عصيرا أو كولا صلي يا جريدة ! جربي الصلاة والأنس مع الله وبالله .

قالت : الأنس مع الله ! لم أفهم ! .. لم أعد أشرب مثل أيام شهاب .

قالت وردة : الخمر في الإسلام حرام .. القليل والكثير سواء .. أطلنا الوقوف جنب المغسلة نسينا الدكتور .

مشتا ؛ حيث يجلس الدكتور : كيف حالك يا دكتور أبا جوهر؟

قال : الحمد لله .. وأنت عساك طيبة وبخير !

قالت : الحمد لله .. كيف صحتك اليوم ؟

قال : الحمد لله .. و أمورنا أنا ووردة بدأت تتحسن بفضل الله.

قالت : ماذا ؟!

قال بسعادة غامرة : وردة حامل بدون أنابيب .

دخلت أسرة جهاد بيت عصام ، وهنأ عصام ابن عمه على تحصيله الماجستير والعودة سالما للبلد ، وتناقل الجميع التحيات والقبل ، والتفت جهاد بعد انتهاء التحايا والتبريكات نحو جريدة ، فقال لجريدة : ما أخبار أختنا الفاضلة ؟

وكانت جريدة قد انتهت من الحديث مع رندا ، فقالت : الحمد والشكر لله ..أنا مشتاقة لكم بحق ! كيف عمان؟

قال : كما تركتيها في الرحلة السياحية .

قالت : كانت رحلة ممتعة ! خاصة بترا .. كيف بنيت في تلك الأرض القاحلة ؟! وكيف كان الناس يحيون هناك ؟! نحن اليوم لدينا كل شيء ونضيق بالعيش!

قال عصام : الجواب بسيط يا دكتورة ! الإرادة .

صفنت للحظات تفكر بجواب عصام حتى سمعت جهادا يقول لها : سمعت أخبارا طيبة عنك ! وتعيشين فترة نقاهة مع أيتام بعنبس .. والله هذه فكرة ممتازة !

قالت بحماس: أنا سعيدة بوجودي معهم ؛ كأنني أم حقيقية لهم ..ينادونني بماما .. نحن عشنا أيتاما ؛ ولكن لم أشعر بما أشعر به مع هؤلاء حقا ! تقول هدى عن هذا الشعور ؛ بسبب الغنى الغنى عوضنا عن حنان الأب والإحساس بفقده .

قال جهاد : ممكن يا وردة !

قالت وردة : ممكن ! ويقول عارف إننا عشنا في بيروت أمام القتل والقصف والاغتيال أغلب الوقت وفي الملاجئ ، لم نر الوالد كثيرا بسبب عمله وتعودنا على غيابه.

قالت جريدة : مآسي أسمعها من أمهات الأطفال ، واستهتار بواجبات الأب وضعف الدخل والحرمان .

قال جهاد : تعاونت منذ تخرجت مع الجمعية يا دكتورة ، ورأيت المأساة الكبرى في غزة وحصارها بعينيّ .

قالت جريدة : الجمعية تكفل وتقدم أموالا لإيتام غزة بالتعاون مع جمعيات غزية ؛ حيث خلفت الحرب عددا كبيرا من الأيتام .

قال جهاد : صح ! غزة بقعة صغيرة ، وفيها مليون ونصف من البشر ، ومحاصرون من ستة أعوام ؛ لكنهم أحرار أكثر من كثير من البلدان ، وهذه الثورات التي جرت في العام المنصرم تشير إلى حجم الظلم الواقع على الناس .. أهل غزة أحرار بمعنى الحرية الحقيقية للكلمة!

قالت جريدة : أتعرف السيدة عائشة محمود مسؤولة الجمع من أهل الإحسان ؟

قال جهاد : نشيطة ! ما شاء الله ! هذه المدّرسة بعد انتهاء دوامها المدرسي وإطعام صبيانها

تسرع للجمعية ؛ بحيث يقدم لها الدكتور زاهر الدين قائمة بالزيارات والمحسنين .. فبعض المحسنين يباشر ويطلب منهم زيارته ، وهو يدل على غيره حتى عصام يعرفها.

قال عصام: أعرفها جيدا يا جريدة ! تزورنا في هذا البيت ، صديقة العائلة وكفلت يتيمين قبل طلاقي المعروف من وردة ، وبعد الزواج كفلت اثنين.. ووردة تكفل عددا منهم .

قالت أم عبدالله : كفلت واحدا عن طريق جهاد ، وبعد حرب غزة تكفلت بأخر في غزة .. الله يتقبل منا كلنا .

ـ آمين .. آمين

قالت جريدة : الله يتقبل من الجميع .. سأستمر معهم حتى أمّل أو أتزوج.

قال جهاد : إن شاء الله ! على ذكر الزواج ، أنا حدثت عارفا عن رجل لو تقبلين بالجلوس معه مع أنك لا تحبين اختيارنا .. مجرد اقتراح .

قالت وردة : أنعرفه نحن ؟

قال : قد تكونون سمعتم به .. أُفضل أن أترك الكلام لعارف وجريدة.

قالت رندا : شغلت فضولنا.

قال جهاد : الأمر غير مستعجل يا رندا ! أنا الذي دفعني للتصريح قولها أو أتزوج يعني في فهمي في نية للزواج وترك الرهبنة .. أنا بحبك صدقا يا جريدة ! ولا أتعامل بالماضي السيء بيننا والماضي القديم .. السن يعبر بنا ، وزادت تجربتنا مع الدنيا .. لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه .. وأنا أحب الخير ديانة ؛ فكيف لا نحب لأختنا الخير ؟

عادت الدكتورة لشقتها بعد عشاء وسهرة في بيت أم جوهر ، غيرت ملابسها ، ودخنت سيجارة ، وفتحت الرسيفر على قنوات الأفلام ، بحثت عن فلم مسلي ، واستقرت على فلم قديم ، وقالت لنفسها وهي تحدق في شاشة العرض : لماذا أتفرج على الأفلام ؟ منذ المدرسة وأنا أشاهد الأفلام وأتابعها ، ماذا استفدت ؟ كل فلم ينسي ما قبله.. لا ولد ألعب معه ..

والله هؤلاء الأيتام شغلوا أفكاري وأحاسيسي ، لم يعد للحياة طعم منذ عدت لهذا الوطن التعيس! تنهدت وأغلقت الفلم ، وتركت الكرسي ، ودخلت غرفة النوم ، واستلقت على التخت ، وقالت : وردة سعيدة أكيدا! سعيدة بحبها لعصام ! ولو أنه كان طول هذه السنوات مجرد ونيس .. ها هو يشفى من مرضه بأدوية سعيد وسميح .. كانت تتنازع معه على كل صغيرة وكبيرة حتى طلقها ، ثم تغيرت فجأة .. وها هي اليوم حامل بدون أنابيب ، عادت له طبيعته .. حبيبتي وردة أنت سيدة عظيمة! لماذا لا أصير ولو جزء بسيطا منها ؟ .. عسل طبيعي وحبوب وأعشاب أنتجت شفاء عصام وقدرته على الجماع .. ألديهم وصفة لتحسين الحمل عندي؟ لابد ..كم رأيت من النسوة دخلت عليهم تطلب ذلك؟ المساعدة على الحمل وردة حامل من غير أنابيب .. حبيبتي يا وردة ! من هو الرجل الذي يتحدث عنه جهاد ؟ ولم يفصح عنه ، وترك التصرف لعارف.. هل أتزوج ؟ ألا تمشي الحياة بلا زواج بدون ذرية ؟ ممكن سعيد وزميلاه أن يقدما لي وصفة أحمل بها.. لم اليأس ؟

تناولت الموبايل ، ورنت على عارف، ثم نظرت للساعة ، كانت بعد منتصف الليل لم تنتبه إلا بعد الضغط على رقم عارف.

رد فقال : أهلا جريدة .

قالت جريدة : آسف لم انتبه للساعة إلا بعدما ضغطت على الزر .

قال : عدت من بيت وردة مباشرة للبيت!

قالت جريدة : أنا صدقا في البيت .. حلفت ألا أقرب الكأس .. حلفت لنفسي فقط ألا أشرب كأسا .. أريد أن أتغير مثلكم .

قال سعيدا : والله هذا جيد وبشرى خير! أنا في الخدمة.

قالت : أنت نائم أم مستيقظ!

قال : خلاص استيقظت يا غزال! ألبس الثياب وآتيك .

قالت : شكرا ، الخادمة موجودة .

حدثته عم صدر من جهاد حول الزواج والعريس .

قال : حسنا ! دعيني بضع دقائق أشرب القهوة ، وأرن عليك.

قالت روز : أنا استيقظت على الرن .. هل أعمل لك القهوة ؟

ـ محمد مستيقظ أم لا!

ـ غير مستيقظ .

قال : نشربها معا حبيبتي الغالية.

لما شرب كوب القهوة ، انتقل لمكتب البيت ، وجلست روز مثله ، تتطلع فيه ، هي لم تشرب ؛ لأنها ترضع الرضيع ، ولما صحصح وفعل تلك الطقوس رن على الدكتورة وبعد الكلام والسلام قال :حدثني أخوك الغالي أن رئيس جمعية العفاف والفضيلة ـ تكلم عن الجمعية ـ وسألها : أسمعت بها ؟

قالت: من عهد قريب .. تابع.

قال : جهاد له علاقة معها ، وتعاون معنوي ومادي، ومع غيرها من الجمعيات الخدمية والثقافية والدينية والنوادي الدينية والعلمية.

قالت جريدة : جهاد عجيب ! وسامي ابن عمنا سمعت عنه الليلة أشياء عظيمة وذهلت من مشاريعه ، ولديه كل هذه الطاقة.. من هو العريس المنتظر؟

قال : باختصار هل لك رغبة بالزواج؟

قالت جريدة : ولماذا أسأل ؟

عادة الدكتور عارف نجيب يغادر المؤسسة الخامسة مساء صيفا أو شتاء وأصبحت الإدارة كل يومين في قسم خلال الأسبوع ؛ بسبب فصل الأقسام ، فيوم في الأول يراجع الأعمال ، ويوقع على التقارير ، ويوم في القسم الثاني وهكذا دواليك ، ويدرسون اقتراحا لفصل الأقسام عن بعضها نهائيا ، ويصبح كل قسم مؤسسة وحده ، وبعد مغادرة عارف القسم الرئيس ،

تبقى الأعمال لساعة أو لساعتين في بعض الفروع إلا الإسعاف والصيدلية فهما يعمل ليل نهار .

وصلت جريدة منزل شقيقها بعد صلاة المغرب ؛ حيث كان عارف يصلي ، فعانقت روز ، وحملت محمدا ، وروز تدعو ربها أن يطعمها ذرية تقر عينها بها ، وتلك تردد : أمين .. شكرا حبيبتي روز !

وجاء عارف ، وسلم عليها ، فقبلته من خده ، وقبل رأسها ، وساقها إلى المطبخ ؛ حيث مائدة الطعام التي أشرفت على إعدادها روز ، فتبين لجريدة طبعا مهارتها في الطهي ، وتخلل الطعام الحديث عن أخبارهم ، وتحدثت جريدة عن عملها في المركز الخاص بها ، وسرورها بالتطوع لرعايته . وحين انتهى العشاء انتقلوا إلى غرفة الاستقبال الصغيرة التي يحب عارف استقبال فرد أو اثنين فيها ، ولما حضرت القهوة قدم عارف لشقيقته قطعة شوكولاتة من التي تستوردها المؤسسة لحسابها ، وهي مرتفعة الثمن عن غيرها من الأنواع الشائعة في البلاد .

وصل الحديث عن العريس المعروض عليها أو المطلوب منها أن تقابله ، فقال عارف : هو لا يُفرض علينا يا أختي الكريمة .. هو خيار وصديق لجهاد أو معرفة .. هو دكتور جامعة محترم عرفني به جهاد.. عمره أربعون سنة.. متزوج .. متزوج سابق .. تزوج دكتورة جامعة لاشتغالهما معا .. أنجبت له ذكرا واحدا يدرس في الجامعة حاليا .

قالت جريدة : ولماذا يريد الزواج ؟!

تبسم وقال : المرأة سر عجيب ! لغز ! كما يتحدث بعض الفلاسفة .. هذه المرأة لم يعد يعجبها الرجل .. فطلبت الطلاق ..وسبب الطلاق جنون .

قالت جريدة : جنون ! كيف ؟!

قال مستسخفا الأمر : أحبت مدرسا دكتورا في الكلية التي تعمل فيها!

قالت جريدة دهشة : أحبت زميلا لها ! الحب في الأربعين!

صاح : أليس هذا جنونا ؟! وهذا الدكتور عمل قبل سنوات قليلة وزيرا للمعارف .. وهو

يرأس جمعية العفاف والفضيلة .. هل سمعت بها ؟

قالت جريدة : أمس .. من سهرة أمس .

قال : الدكتور أحمد نبيل يعمل في جامعة بعنبس الدولية دكتور إدارة .

قالت جريدة : يعرفه جهاد طبعا!

قال : بالطبع ! يعرفه جهاد عن طريق الجمعية ، لما رجع جهاد من عمان قدم الدكتور للسلام عليه ، فأخبره بقصته مع أهله ، وأنه أضاف اسمه في قائمة الزواج في الجمعية .. فسأله عن السبب ، فقص عليه ما قلته لك ؛ وربما مازحا قال هل حولك عروس يا جهاد ؟ فذكرك أمامه ، وأنك طلقت مرتين ، والطلاق الأول حصل بسبب العجز عن الحمل ، والدكتور منذ ولد ابنه نبيل ، لم تحمل الدكتورة زوجته ، اكتفت بواحد ، وقبل بسبب التأثر بفكرة مولود واحد يكفي ، ثم تدين وأسلم مثلنا ، وعمل قائدا للجمعية لإضافة الثقة للجمعية ، ودعما للجمعية ؛ وهو خبير إدارة مثقف ، وقال جهاد إن أخته بحاجة لرعاية وعناية .

صمتت بعض الوقت وقالت : متى نجلس معه ؟

قال : جلست معه عندما عرفني عليه جهاد باعتباري أقربهم إليك في الأمور الخاصة ، حتى لا تري قول جهاد ؛ كأنه أمر أو إجبار .

التفتت إلى روز الصامتة كالتلميذة الخجولة : حبيبي يا جهاد ! لست لهذه الدرجة حساسة .. أرأيت يا روز ؟

قال : البيت هنا جاهز للقاء .. تجلسان وحدكما تناقشان حياتكما معا أو تلتقيان في مطعم صالة فندق أي مكان عام.

قالت جريدة : متدين كجهاد!

قال : لا ، أقل درجة أو درجات .. يصلي مثلي ، غير متشدد اذا حسبت جهادا متشددا .. والأفضل أن تتديني حبتين .. لماذا لا تتدينين ؟ الصلاة صعبة عليك رويدا رويدا تتعودين، وتصبحين وردة أخرى .

قالت جريدة : بطلت أشرب الكأس ، وغيرت نمط اللباس منذ بدأت أندمج مع الأيتام .

قال : هذا اللباس مقبول ، هو غير متشدد .. اجلسا معا ، وتناقشا في كل شيء في السلوك في العلاقات مع الأهل مع أهله وأهلك ، في السعي للحمل والولادة .. والله أنا رأيته مناسبا لك رجل متزن ، ولا يفتخر أنه كان وزيرا ، حتى ولا تشعرين بأنك تجلسين مع وزير سابق .

طلبت جريدة من جهاد أن يرافقها في اللقاء بالدكتور احمد نبيل ، فقبل المشاركة والتعريف بينهما ، فقالت : أرغب وأود بأن تحضر اللقاء أنت .

قال جهاد : أخشى أن تتحرجي من وجودي ، وتخجلين من مناقشة مواضيع خاصة بك .

قالت جريدة : نجلس معا ، واذا احتجت وجودك معنا تقترب منا.

قال : ولا يهمك يا أختي الغالية !

وافق عارف على هذا الترتيب واتصل بالدكتور احمد ورتب أن يكون اللقاء في منزل جهاد بعد التاسعة ليلا.تناولت جريدة العشاء في منزل جهاد ، وشاركهم الدعوة الدكتور احمد مما فاجأ جريدة لأول وهلة ، ثم ارتاحت نفسها لهذه الخطوة ، فاحمد زميل وصديق لجهاد .

ولما انتهى الطعام ذهب بهما إلى مكتبه البيتي الذي قامت الخادمة صباحا وقبل قليل بمسح غباره ، ولما جلسوا قدمت لهما الخادمة القهوة بعد دردشة قصيرة ، قال معرفا مرة ثانية : هذه أختنا التي ذكرتها لك يا دكتور احمد .. وهذا أبو نبيل يا دكتورة صديقي من سنوات .

وبعد دقائق خرج جهاد وتركهما يتحدثان على شبه انفراد ؛ حيث لم يغلق الباب ، وحدثها الدكتور عميد كلية الإدارة عن حياته وزواجه وعمله ، وقصة طلاقه من أم نبيل ، وقصت جريدة قصة زواجها من شهاب بعد قصة حب أثناء الجامعة ، ثم سفرهما للرياض فور التخرج ، وعاشا خمس سنوات ، ولم يحدث الحمل ، وكان السبب المهم لفراقهما ، ولما رجعا وتأكد له عدم قدرتها على الحمل انفصلا وتزوج شهاب ، وحملت امرأته الجديدة ، فثبت أن الإعاقة منها ، ثم سعى طبيب نادي رياضي للمكر بها بعد أن قبلت الزواج منه ، ومن أول

أسبوع طالبها بمائة ألف ليفتح مشروع تجاري .

وقالت: كنت قبل طلبه المالي أن فتحت حاسوبه الشخصي بدون علمه ، ورأيت فيه ملفات فيها صور نساء وعناوينهن، فانتهت العلاقة بيننا بعد أقل من أسبوعين ، وكانت همزة الوصل بيننا طبيبة زميلة سهلت عملية الخداع للأسف .

فقال معلقا : هذه الدنيا كما قيل ، تزوجت أماليا بعد الجامعة مثلك وصاحبك وكملنا الماجستير والدكتوراه معا ، واكتفت بمولود واحد ، وقبلت ؛ لأنني كنت متشبعا بالعلمانية .. والواحد مثل الأوروبيين كفاية .. وقبل سنة عشقت رجلا وزعمت أنه يحبها ، وحصل الطلاق .. هذه الدنيا ، كما قيل ثمانية لابد للمرء أن تجري عليه سرور وحزن واجتماع وفرقة وعسر ويسر وسقم وصحة أو عافية .. جهاد شقيقك المحترم تعرفت عليه أثناء زيارة لجمعية الإغاثة .. ذهبت أسلم أموالا جمعتها لمصلحتهم .. وتعرفت عليه وزارني في جمعية العفاف، وشاركنا في العمل التطوعي ، وعرفني على الدكتور إبراهيم .. وصار المكتب يساعدنا في القضايا القانونية تطوعا .. نحن مشاكلنا القانونية ضئيلة ؛ لكن بعض الناس يستاؤون من عمل أو خطأ فنحتاج للقانون .. وتطّورت الصداقة ، وشاركنا جهاد والمكتب بنشاطاتنا المختلفة ؛ فاذا رأيت أني الرجل المناسب سنتقدم خطوة ؛ بل خطوات ، لا وقت للانتظار .. فخير البر عاجله .. فعندنا في الجمعية ندون مواصفات الراغب في الزواج عن طريقنا من الجنسين ، ثم نرى المناسب في رأينا لكل منهما ثم عن طريق الهاتف نحاور ونعرض المختار.. فاذا أبديا الاستعداد نجمع بينهما في الجمعية في غرفة خاصة غير مغلقة أو يذهب الطالب لبيت المطلوبة .

قالت جريدة : أنا راغبة بالزواج كسائر النساء .. وأنا بحاجة للبيت الهادئ والزوج المحب .. ليس كالحب المزعوم والوهمي ..وأهم هدف لي من الزواج الحمل ، وأن أصير أما ، وأسعى إلى ذلك بعزيمة وبدون إحباط من زوجي حتى نصل إلى زمن يتأكد لي أني عاقر مائة بالمائة .

قال : أنا لا مانع لديّ لتحقيق هذا الهدف الشرعي، وهو الغاية من الزواج ..أنا لديّ ولد

واحد ، وهو في الجامعة يا دكتورة ! فطليقتي رفضت إلا واحدا فقبلت كانت أفكاري مريضة .. اعترف بذلك ..علماني مائة بالمائة.

قالت جريدة : هذا طلبي الوحيد سأستدعي جهادا ليشهد .

قال : هذا الطلب موافق عليه بدون أن تطلبيه ، وأتمنى أن أرى ذلك .. وعمرك حسب ما قيل لي صغير .. وسنك تسمح بحدوث ذلك .. ومستعد أن نعمل كما فعل الدكتور عصام والدكتورة الرائعة وردة.

دخل جهاد تتبعه الخادمة بالشاي والمكسرات ، وكرر ترحابه بهم من جديد ، ولما تناول احمد الشاي ، قال: بارك لنا يا دكتور فأختك الفاضلة قبلت بي ، ولها شرط وحيد هو الحمل ، وأنا هذا غايتي ومبتغاي ، ولست عجوزا .

قال جهاد : اذا لكما نصيب ستوهبان بالذرية .. وهذا من أسمى أهداف الزواج في الحياة الدنيا وأقدم مهنة في التاريخ الولادة وطب الولادة يا دكتورة ! عفوا أنت تحبين أن أناديك يا أختي! هي أصغر ذرية أبي .

ضحكوا لمداعبة جهاد وقالت : دكتورة للآخرين .. مع أني تركت الدكترة وأنا أعيش مع الأيتام .

قال جهاد : هل من شرط أو شروط ترغبين بتحقيقها من صديقنا أبي نبيل ؟

قالت : سأفعل كل ما يطلبه مني عن طيب نفس .. القضية الأولى أن أجتهد في الحمل ، ولو فعلنا مثل وردة .. والدكتور أبدى استعداده لذلك.

قال : صدقا يا دكتورة راغب بالولد .

قالت جريدة : منذ عملت مع الأطفال الأيتام ، وأنا أكاد أموت في الأطفال وحبهم والتعلق بهم . فتدمع عيناي لما أسمع أحدهم ينادي: ماما جريدة.

قال جهاد : بعون الله لن يألوا الدكتور جهدا في هذا الحق.

قال : سأبذل قصارى طاقتي يا أبا عبدالله ! المال والبنون زينة الحياة الدنيا .. زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير .. ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين.

قال جهاد : بارك الله لكم ، وجمعكم على كل خير .. كان اللقاء وديعا.. أتبكين ؟!

قالت : آسفة ! لي فترة أتأثر سريعا وأبكي .. معذرة يا دكتور .. اسمحوا لي بالخروج لغسل وجهي.

خرجت ودردش الرجلان عن قلوب النساء ورقتها ، وعن الجمعيات حتى رجعت جريدة وهي تعتذر من جديد ، وقالت : هل من شروط مطلوبة مني؟

ضحك الرجلان وقال جهاد : نيابة عن صديقي احمد ، فنحن نعرف بعضنا من سنوات عديدات.. سبع تقريبا.

قال : تقريبا .. يبدو أن والدكم الدكتور نجيب لما اخبروه بولادة جريدة كان يقرأ في الجريدة فسماها جريدة.

ضحكوا وقالت : لا أعلم .

قال جهاد : الدكتور يعلم أنك لا تصلين ، ويتمنى أن تصلي من أجل الله ليس من أجله ..لن يدق على ذلك .. كان عدوا للصلاة قبل توبته وانقلابه على العلمانية .

قالت : والشرط الثاني . وضحكت ؛ لأنها تعرفه.

قال جهاد : الدخان لن يقول لك لا تدخني ، واذا عنّ في رأسك الدخان دخني في غرفة خاصة مثل الإنجليز غرفة التدخين.

قالت جريدة : سأفعل قبل يومين جددت وردة بنصحي بالصلاة وتشجيعي عليها رويدا رويدا .. سأتغير أعدكم بذلك ، سأصلي بإذن الله ، كنا نصلي في الرياض نفاقا.. فعلا أرغب بالاستقرار ، وأن أعيش مع رجل يحترمني وأحترمه .. مللت من حياة الطيش .

قال احمد : والله أنا سعيد بمثل هذا الكلام ! سنرتب الأمور مع جهاد غدا بإذنه تعالى قبل سفره لعمان .

قال جهاد : نعم ، لابد من السفر .

قالت : نحن في وسط آب بعد !

استأذن الدكتور بالانصراف ، فمشى معه جهاد حتى ركب سيارته وانطلق، ولما عاد وجد جريدة تجلس في الصالون مع رندا فسلم وجلس ، وقال : الدكتور سعيد بك ، وأنت هدية من السماء يقول ، وهو مثلك يبحث عن السكينة والأنيس ، ويعيش مع خادمة ، كما تعشين .. ما رأيك؟ هل أنت مقتنعة به؟

قالت جريدة : أنت ألم تقبله لي؟

قال جهاد : بالتأكيد ! وإلا لماذا عرضته عليك ؟ قال : ليس شرطا أن تحبني أختك فالحب يأتي بعد الزواج والعشرة .. كم رأينا في الجامعة من دعاة الحب والغرام وقليل من يتزوج بعضه بعد التخرج ؟! الحياة تصنع الحب .. أنا وأم عبدالله نحب لك التوفيق في الزواج .. والرجل كما رأيت يطلب منك تغيير نمط حياتك على أقل من مهلك.. لا يريد أن تكوني في يوم وليلة رابعة العدوية .. المهم النية والرغبة.. فالرجل له عشرين سنة في الإدارة ، وساير أم نبيل ، وقبل بالابن الواحد مع أنه تدين من تسع سنوات .. فتركها كما تريد .. وهو مستعد لكل تكاليف العلاج .. فالرجل ميسور ليس طامعا في مالك .. هو يبحث عن السعادة والسكون والرحمة ؛ كما تنشدينها أنت .. وما تفيد ملايين الدنيا بدون راحة وسكينة .. فنحن وسامي لم نفتح المشاريع رغبة بمزيد من الملايين.. إنما لإدخال السعادة على البسطاء والطيبين الذين لا يملكون المال .. فيعمل معنا المئات .. فهؤلاء الأيتام الله يسخرنا لدعمهم ماديا ومعنويا .. سنموت وتبقى الملايين أتعلمين أن ساميا وحسنا أغنى منا ماديا ؟

ـ كيف؟!

قال جهاد : أنت تسمعين عن سامي وحسن وعملها ؛ لكن ثروتها مجهولة لك ولغيرك حتى هذه أم عبدالله تعتقد أني أغنى من سامي.

هزّتا رأسيهما بأنها فعلا لا تعلمان مقدار ثروته .

قال جهاد : سامي منذ تخرج وحتى قبل أن يتخرج كان يستثمر مع أبيه عمنا حبيب ؛ ربما خرج من الجامعة وهو يملك عشرة آلاف على الأقل ؛ لأن عمي أصر على دفع تكاليف الدراسة ؛ كما فعل مع عصام ونوار ومعنا أنا وسالم ، ورغم غنى أمنا وتجارتها ، تكلف دراستنا ؛ لأننا عشنا تحت رعايته وكفالته ووصايته ؛ كما أراد أبونا .

قالت جريدة : وأين أمي ؟

قال جهاد بجفاء : دعينا من أمنا ، أصر عمي ، لأننا عشنا في ولايته ؛ فكان يصرف علينا ؛ كما يصرف على عصام ونوار وسامي .. وأمك تعلم ذلك .. وكانت تقول أمام الناس : أموال أبيهم .

قالت جريدة : أول مرة أعرف .. كمل عن سامي شوقتنا.

قال جهاد : تخرج سامي وحسن ؛ حيث كانوا معا في كلية الهندسة ، فوالد حسن مهندس بناء ، وله شركة مقاولات مع خال سامي ، وقد تعرض لسقوط في إحدى الورشات ، فتسبب له السقوط عن أضرار في العمود الفقري ، فلما انتهى حسن وسامي من الدراسة استلما الشركة ثم تقاسم الشابان الشركة ، واعتزل الأب العمل نهائيا ، وباع خال سامي حصته لسامي ، وكُلف حسن بمساعدة إخوته وأخواته في الجامعات ، وتخرجت نوار من كلية الطب ، وتزوجها حسن عن كلام قديم بين عمي ووالد حسن ، فهم جيران في الحي ، وكبرت الشركة وأصبحت من الدرجة العليا الأولى في البناء في البلاد ، وكثرت المشاريع الأخرى ، تعلما من العم .

قالت رندا : إذن سامي يملك أكثر منك ومن جريدة!

قال جهاد : زكاته الخاصة دون المشترك والمشاريع التي تزيد عن مائة.. أذكر في سنة كانت زكاته ٢٥ ألف لكل مليون ، فلما يكون يملك باسمه حوالي ٧٠ مليون ، فكم تكون الزكاة يا جريدة ؟

بهرت جريدة ورندا وقالتا : ما شاء الله !

قالت جريدة : لا أدري ! كم ؟

قال جهاد : ١٧٥٠٠٠٠

قالت جريدة بذهول : سامي وحده ، زكاته مليون ٧٥٠ ألف يا الهي ! يخرجها للفقراء .

قالت رندا باستغراب : لا يظهر هذا الغنى عليه !

قال جهاد : عشرات الجمعيات التي تعنى بالفقراء تتلقى من زكواته ، وحتى مؤسسات تابعة للدولة يدفع لها ، وتنقل بعض الزكوات إلى دول أخرى .

قالت جريدة : شيء مذهل .. مذهل ! صدق أنني متفاجئة حقا !

قال جهاد : أنتم أقصد أنت ووردة وعارف كنتم بعيدين عن سامي حتى عصام يجهل هذا قبل مرضه أثر الحادث .. فسامي المؤسسة التي أنشأناها من سنتين يعمل بها حوالي ثلاث آلاف إنسان .. كم أسرة تعتاش منها ؟.. المهم إدارة جيدة ، ومتابعة دقيقة.. نعود لأحمد .

رن الهاتف: عارف خذي .. استحى أن يضرب عليك مباشرة .

تناولت الهاتف من يد شقيقها ، وبدا ساخطا لعدم اتصالهم به ، ولما سمعها خفف من عتبه وقال : زهقت وأنا أنتظر نتيجة الاختبار .. قمحة ولّا شعيرة .. عفوا .. فكرت جهاد.

قالت جريدة : قمحة .. الحمد لله ..قبل قليل انتهى اللقاء .. وتفاهمنا على الأهم وغدا سيكون اللقاء الفصل .. وقبل سفر جهاد ؛ حيث سيزور عمان للتسجيل والعودة لإنهاء الموضوع.

ـ هو لم ينته!

قالت جريدة : العرس سيكون خلال هذا الشهر إن شاء الله.

ـ أنا قادم .. لا ينفع الكلام على آلو .. آلو.

فقال جهاد وهو يستعيد الجهاز : نحن في انتظارك مع أم محمد .

أخذت جريدة يد جهاد ولثمتها فجأة وهي تقول: أنا ممتنة لك يا أخي الشجاع ! كنت يا رندا وما زلت أهاب منه ، وأتحاشا اللقاء به عند أمي ، وذلك أكثر من سالم .. لا أدري لماذا ؟!

كنت أخشى هذه اليد التي قبلتها أن تصفعني .

ملس على رأسها بلطف ومحبة وقال : يا لك من طفلة ! لا أذكر يا غالية أنني مددت يد على أنثى في حياتي التي مضت ، هل آذيتك يا أم عبدالله بيدي ؟

قالت باسمة : لم أدعك لتفعل ذلك !

تحولت إليها معانقة قائلة : دائما أنت رائعة ! هنيئا لكم الدفء العائلي .. الوهم قتلني يا حياتي .. أحلى يوم في عمري يوم تصالحنا ، وقبلتني وقبلتك، وربت على ظهري وشددت أزري بنبلك .. وردة ترن .

فتحت الخط وقالت : ما زلت عند جهاد .

قالت: عارف في الطريق ، وهو مهتم أكثر منك بنتيجة المقابلة .

قالت جريدة : أتعبته بقصصي .. تفضلي أنت والدكتور .

قالت: سنأتي لنرى الابتسامة على وجه عروسنا .

قالت جريدة : شكرا حبيبتي غمرتموني بحبكم .

رن جهاد على زوجة سالم ريم أم سيف الدين ، وهو يقول لهم : سالم في السعودية ولما ردت دعاها وقال : انزلي لنفرح مع جريدة بقبولها بالاقتران بصديقنا احمد نبيل ثم كلم عمه حبيب وقال : جريدتنا قبلت بالاقتران بأحمد .. نعم ، هي بجواري.

أخذت الهاتف ، وتلقت التهنئة من عمها وزوجته ، وتمنوا لها السعادة والخير مع الدكتور احمد نبيل.

واتصل جهاد بسامي ونوار ، وقال سامي: ظهرا سأمر على مركز الأيتام ، وأبارك لها بإذنه تعالى ، لقد زرته مرة .

قال جريدة بعدما انتهت من الحديث مع نوار التي تحدثت مباشرة مع جريدة تبارك وتهنيء.

قالت جريدة :لقد زارني بترتيب مع عائشة ، وقدم ملابس لهم وقرطاسية وحلوى.

قال جهاد : سامي عنده لمسة حنان تجاه الأيتام ، يساهم كثيرا في رعايتهم والعناية بهم ، ولا

أظن مركزا للجمعية رحمة لم يزره ، وفعل ما فعل في مركزك .. صنائع المعروف تقي مصارع السوء .

حضرت وردة وعصام وعارف وروز وريم ، واحتفلوا على الهامش ، ونقل جهاد الموافقة وصورة الاحتفال لأحمد الذي تكلم مع جريدة ، واتفقوا على عقد الزواج قبل سفر جهاد لعمان للتسجيل في الجامعة ، وبعد رجعته بإذن الله سيتم حفل الزواج .

تم العقد صباح اليوم التالي ، وحضره جهاد وعارف، وستسكن جريدة في فيلا احمد نبيل ، وطلب منها اختيار ستائر الفيلا لتجديدها وأثاث غرف النوم ، وحلف سامي أن يكون كل ذلك هدية منه لابنة عمه ، واعترض الدكتور ؛ ولكنه وافق لما رأى إصرار سامي ، وعرف كم يحب الأقارب أخت جهاد ؟ وقدمت الدكتورة شكرها الجزيل لسامي وأقاربها وتعترف بنبلهم وحبهم لشخصها الضعيف .



أقطاب سطحية لتسجيل إشارة تخطيط العضلات EMG



جهاز قياس درجة الحرارة المستمرة

اغتيال قائد

اسمه أحمد سعيد الجعبري وظيفته نائب القائد العام لكتائب القسام الجناح العسكري لحركة المقاومة الإسلامية حماس ، وهو القائد الفعلي للكتائب على الأرض حتى اغتياله ، يُطلق عليه رئيس أركان حركة حماس ، وهو من أهم المطلوبين لإسرائيل ، وتتهمه إسرائيل بالمسؤولية عن عدد كبير من العمليات ضدها ، نجا من عدة محاولات اغتيال ، وقد قصف منزله في الحرب الأخيرة على غزة ٢٠٠٩ ، وقد ظل ممسكاً بملف الجندي شاليط منذ أسره في حزيران ٢٠٠٦ حتى اطلاق صراحه ٢٠١١.

تتميز شخصية القائد الجعبري بقدرات أهلته لقيادة الكتائب ، وأشارت التقارير أنه استطاع نقل الكتائب نقلات نوعية ، ووضع لها نظاما عسكرياً متينا ، إضافة لإشرافه على العديد من العمليات ضد الكيان الصهيوني.





الرابع من كانون الأول ١٩٦٠ ، ولد المجاهد احمد الجعبري في حي الشجاعية شرق مدينة غزة ، في أسرة ملتزمة وبسيطة ، تعود جذور عائلته إلى مدينة الخليل جنوب الضفة الغربية ، أنهى دراسته الابتدائية والإعدادية والثانوية في مدارس قطاع غزة ، ليعمل بعدها في الزراعة ليعيل أهل بيته ؛ كون والده مقيماً في ذلك الوقت في الأردن ، متحملاً مسؤولية البيت في غياب والده ، لمدة تسع سنوات متواصلة تحمل فيها الجعبري مسؤولية بيته في الرعاية والاهتمام ، له ستة أولاد ذكور وابنتان ، ولم يثنِ ذلك الجهد الجعبري على مواصلة مسيرته التعليمية حتى

حصل على شهادة البكالوريوس في تخصص التاريخ من الجامعة الإسلامية بغزة.

استهل الجعبري حياته النضالية في صفوف حركة فتح النشطة في القطاع ، وقد اعتقل مع بداية عقد الثمانينيات على يد قوات الاحتلال ، وأمضى ١٣ عاماً بتهمة انخراطه في مجموعات عسكرية تابعة لحركة فتح خططت لعملية فدائية ضد الاحتلال عام ١٩٨٢ ، وخلال وجوده في السجن أنهى الجعبري علاقته بحركة فتح ، وانتمى لحماس وعمل بمكتب القيادة السياسية لها، وتأثر بعدد من قادتها ومؤسسيها الأوائل ، كان أبرزهم عبد العزيز الرنتيسي وإسماعيل أبو شنب ونزار ريان وإبراهيم المقادمة ، ومؤسس أول ذراع عسكري للحركة الشيخ صلاح شحادة. وتركز نشاط الجعبري عقب الإفراج عنه من سجون الاحتلال عام ١٩٩٥ م على إدارة مؤسسة تابعة لحركة حماس تهتم بشؤون الأسرى والمحررين ، ثم عمل في العام ١٩٩٧م في حزب الخلاص الإسلامي الذي أسسته الحركة في تلك الفترة لمواجهة الملاحقة الأمنية المحمومة لها من جانب السلطة العرفاتية آنذاك.

في تلك الفترة توثقت علاقة الجعبري بالقائد العام لكتائب القسام محمد الضيف ، والقائدين البارزين عدنان الغول وسعد العرابيد ، وساهم معهم إلى جانب الشيخ صلاح شحادة في بناء كتائب القسام ، ما دفع جهاز الأمن الوقائي التابع للسلطة في العام ١٩٩٨ إلى اعتقاله لمدة عامين بتهمة علاقته بكتائب القسام ، وتم الإفراج عنه مع بداية الانتفاضة الثانية إثر قصف الاحتلال لمقرات الأجهزة الأمنية في القطاع.

وقد ظل القائد الجعبري ثالث ثلاثة في المجلس العسكري لكتائب القسام إلى حين اغتالت إسرائيل الشيخ شحادة عام ٢٠٠٢، وفشلت في محاولة اغتيال الضيف عام ٢٠٠٣ والتي أصيب خلالها بـ "جروح بالغة وإعاقات غير محددة"، ليتحول معها الجعبري إلى القائد الفعلي لكتائب القسام إلى جانب "الضيف" القائد العام للكتائب في فلسطين.

وتعرض رجل "صفقة الأحرار" لمحاولات اغتيال إسرائيلية عدة ، كان أبرزها تلك التي نجا منها بعد إصابته بجروح خفيفة عام ٢٠٠٤، بينما قتل ابنه البكر محمد ، وشقيقه ، وثلاثة من

أقاربه ، باستهداف طائرات الاحتلال الحربية منزله في حي الشجاعية.

قال الجعبري: ما دام الصهاينة يحتلون أرضنا ؛ فليس لهم سوى الموت أو الرحيل عن الأراضي الفلسطينية المحتلة.

وصرح في رسالة نشرتها مجلة درب العزة التي تصدر عن المكتب الإعلامي لكتائب القسام في ذكرى الحرب الإسرائيلية الثانية على غزة : كتائب القسام لم ولن تسقط من حساباتها أي خيار ممكن من أجل تفعيل المقاومة وتحرير الأسرى وقهر العدو الغاصب المجرم ، عيوننا ستبقى دوما صوب القدس والأقصى ، ولن تنحصر داخل حدود غزة ، وإن مشروعنا المقاوم سيمتد كما كان دوماً إلى كل أرضنا المغتصبة إن عاجلاً أو آجلاً.

وكان دائما على رأس قائمة المطلوبين لإسرائيل، التي تتهمه بأنه المسؤول والمخطط لعدد كبير من العمليات ضدها ، تعرض الجعبري لمحاولات اغتيال إسرائيلية عدة كما سلف ، ثم تم اغتياله لاحقاً بقصف إسرائيلي على سيارته ، وذلك في يوم الأربعاء ١٤ نوفمبر ٢٠١٢.

يوم الأربعاء عصرا الرابع عشر من نوفمبر ٢٠١٢ ، تمام الساعة الرابعة إلا ربع هزّ انفجار قوي أرجاء قطاع غزة ؛ حيث قامت طائرات العدوان الصهيونية باغتيال أحمد الجعبري في قصف سيارة كانت تسير قرب مشفى الخدمة العامة وسط مدينة غزة. تلك الجريمة أشعلت الأراضي الفلسطينية ، دفعت خلالها المقاومة لتوجيه ضربات للمحتل في حرب السماء الزرقاء التي استمرت لثمانية أيام ، ضربت خلالها المقاومة تل أبيب ومدينة القدس المحتلة ، وشلت الحياة في الكيان الصهيوني في حين ارتكب الاحتلال العديد من الجرائم البشعة في صفوف المواطنين الأبرياء ، ارتكب مجموعه من الجرائم في قتل عوائل فلسطينية بأكملها مثل عائلة الدلو وكذلك قصف مباني وعمارات يستخدمها الصحافيون ، وأدت إلى استشهاد ثلاثة من الصحافيين ، واستهدفت برجي شوا وحصري والشروق بضربات مباشره لمكاتب صحافية.

نشرت صحيفة "يديعوت أحرونوت" الإسرائيلية ، تفاصيل الإعداد والتجهيز لعملية اغتيال القائد القسامي ، واستهلت الصحيفة تقريرها بوصف دقيق لعملية اغتيال الجعبري،

ويقول الرائد (ط) وهو ضابط ما يسمى بـ "الفهم الشبكي المسؤول عن مجال الإرهاب الفلسطيني في وحدة جمع المعلومات ٨٢٠٠ التابعة لشعبة الاستخبارات": " كان الجعبري ٥٢ عاما على رأس قائمة أهداف اغتيال الجيش الإسرائيلي وقد استُعملت حوله جميع القدرات الاستخبارية .. تعلمنا أن نعرفه ، وأن نفهم ما يفعله ، وأن نخنقه استخباريا ببساطة". ويقول تقرير الصحيفة "منذ سنتين وإسرائيل تعتبر الجعبري الهدف الأفضل والأهم بالنسبة لها ، وكان مستهدفاً من زمن طويل ، غير أن الذي كان يقف مانعاً أمام اغتياله وحافظ عليه حيا هو جلعاد شاليط".

ويصف الضابط (ط) حياة الجعبري بالقول "يعلم الجعبري أنه يحيا في زمن مستعار ، وتصرف على هذا الأساس، ونجا في الماضي من الاغتيال .. كان شكاكا وكان يعلم جيدا بأننا نتعقبه .. سكن عدة بيوت ، ولم يكن يركب السيارات إلا برفقة أناس اعتمد عليهم ، فقط بهدف تناول الطعام في المطاعم أو نقله إلى بيته .. واعتمد على حلقة ضيقة من مساعديه المقربين ، وكنا نعلم حين يفعل أحد أولئك المقربين شيئا ما ؛ فإن ذلك يتصل بالجعبري .. كان يمنح وقته للعمل التنظيمي ويزور المواقع ويراقب التدريبات ولا يخرج إلا مضطراً".

وتقول الصحيفة "يوم الأربعاء الموافق ١٤ تشرين الثاني ٢٠١٢ قبل الساعة الرابعة بعد الظهر بخمس دقائق بالضبط حددت إسرائيل نهاية الجعبري بصاروخين من سلاح الجو ، وقتل الجعبري ومرافقه"، مشيرة إلى أن سلسلة من الاجتماعات الأمنية عقدت في مختلف أجهزة الأمن قبل عملية الاغتيال وبعدها وأيضا من أجل متابعة عملية (عامود السحاب) وما رافق تلك الاجتماعات من آراء مختلفة حول الهجوم وتداعياته.

وتضيف الصحيفة "بدأت حماس عقب السيطرة على غزة في تقوية حكمها ، وكان شعورها أنها قادرة على القيام بالإدارة وبالإرهاب معا ؛ ولكن عملية (الرصاص المصبوب) حطمت هذا التصور وبدأت الحركة تقوي العمل السياسي .. ولاحظ الجعبري هذا التوجه ، وبدأ يقترب من الذراع السياسي ، فبنى لنفسه تأثيرا كبيرا في الاتجاهين العسكري والسياسي ، بيد

أن الزمن فعل فعله وأخذ يضعف الردع الإسرائيلي الذي تم الحفاظ عليه منذ عملية الرصاص المصبوب ، وتحولت جولات التصعيد في السنتين ٢٠١١ – ٢٠١٢ أكثر عنفا من حيث كمية إطلاق الصواريخ ومداها والأهداف".



جهاز قياس درجة الحرارة اللحظية للمريض

ويقول أحد كبار المسؤولين في سلاح الجو الإسرائيلي "أدركنا أنه يجب علينا أن نحطم هذا الرسم البياني ، وكان واضحا أننا نتجه إلى عملية أساسها معركة جوية مهمة تضرب مخزون الصواريخ ووسائل القتال ، وعلمنا أيضا أن إصابة محاور اتخاذ القرارات والقيادة تؤثر جدا في العدو ، وعلى حسب ذلك تم تخطيط عامود السحاب".

وحين بدأت العملية بُذلت جميع الجهود الاستخبارية للبحث عن فرصة اغتياله أو اغتيال مسؤولين كبار آخرين . تقول النقيب (عدي) من قسم البحث "سؤالان عرضا على القسم كانا بحاجة لإجابة من رئيس الوزراء، الأول: كيف سترد حماس على اغتيال الجعبري؟ هل تطلق صواريخ على تل أبيب أم تستمر في الإطلاق إلى المدى نفسه؟ والسؤال الثاني: كيف سيؤثر اغتيال الجعبري في حركة حماس في أمد بعيد؟.. الأول كان جوابه من خلال عرض سيناريوهات الرد المحتملة من قبل (حماس) كإطلاق صواريخ على مركز البلاد ، حيث بحثوا في الجيش وفي الأمن الكلفة في مقابل الفائدة، وقد رجحت كفة الاغتيال المباشر، والقضاء فورا على مخزون الصواريخ بعيدة المدى التي خطط لتدميرها والاعتماد على قدرات منظومة القبة الحديدية".

ويقول (زيف) :"كان جواب السؤال الثاني أكثر تعقيدا ، ذلك ؛ لأن الجعبري يُعد محوريا ومهما جدا في (حماس) ؛ لكنها تستطيع أن تواجه غيابه فمنذ اغتيال أحمد ياسين وعبد العزيز الرنتيسي أدركوا في حماس أنه لا يمكن أن يكون كل شيء في يد إنسان واحد ، وأصبحت

البنية الحاكمة شبه هرم مقطوع الرأس ؛ ليس طرفه الأعلى شخصا واحدا بل أربعة أو خمسة من كبار المسؤولين ، وبالرغم من ذلك كان التقدير أن اغتياله (الجعبري) سيسبب زعزعة شديدة في الحركة وشعورا بالتغلغل الاستخباري وتجديد الردع الذي ضاع بعد عملية (الرصاص المصبوب).

ويقول أحد المسؤولين الكبار ممن شاركوا في الاجتماعات الأمنية التي عقدت قبيل تنفيذ عملية الاغتيال "حينما وضع اسم الجعبري على الطاولة كانت الغريزة الأولى لرئيس هيئة الأركان بيني غانتس تقول إن هذه خطوة متقدمة ، وأنه لا يصح قتله ، وإن بداية كهذه لن تفضي إلى جولة جديدة ؛ بل ستفضي بنا إلى مكان آخر ؛ ولكنه لم يرفض سريعا ، وكان واضحا أن الكلمة الأخيرة في هذا الشأن لم تُقل بعد"، "خرج غانتس من مكان الاجتماع ، واتجه لمشاورات أخرى بحضور رئيس جهاز (الشاباك) يورام كوهين ، وقائد المنطقة الجنوبية تال روسو، ورئيس جهاز الاستخبارات العسكرية (أمان) أفيف كوخافي ، حيث كان غانتس يريد معرفة النار التي سيشعلها هذا الاغتيال ، وهل سيقف الأمر عند حدود العملية أم أنه سيفضي إلى احتلال غزة من جديد ؟ .. وأجرى بعد ذلك محادثات ومشاورات في هذا الشأن مع رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو ومع وزير الدفاع آنذاك ايهود باراك"، حسب ما جاء في تقرير الصحيفة، واستعرضت الصحيفة الضغط الكبير الذي تعرض له رئيس الأركان قبل الهجوم ، وما تخلل الفترة التي سبقته من هجمات على حدود غزة والتي كان آخرها إصابة ٤ جنود بصاروخ مضاد للدبابات ، مشيرة إلى أن غانتس عرض على المجلس الوزاري المصغر (الكابنيت) خطة العملية بإنجاز أول في هجوم جوي وعرض بصفة خاصة اغتيال شخصية كبيرة دون ذكر الاسم ، وقيل إنه سيتم اغتيال شخصيات كبيرة في (حماس) دون تحديد أسماء". وفي نهاية المشاورات الأمنية وبعد تقرير أمني عن التأثيرات المحتملة للعملية، أصدر رئيس الوزراء ووزير الدفاع موافقة مبدئية على اغتيال الجعبري، أما قرار تنفيذ الاغتيال بالفعل، كما تقرر، فاتخذه رئيس هيئة الأركان بناءً على استعداد القوات، واستعداد بطاريات

"القبة الحديدية"، واستعداد الجبهة الداخلية ومعطيات حالة الجو وغير ذلك.

واتخذ بيني غانتس قرارا، وقال "سننتظر الجعبري يومين، أي إلى ظهر يوم الأربعاء ، فإذا لم نجده حتى ذلك الحين ، فإن الأمر سيطول كثيرا وفي هذه الحال سنبدأ العملية باغتيال اثنين أو ثلاثة من كبار المسؤولين برتب ميدانية"، ثم نقلت التوجيهات إلى الرتب الميدانية ، فدخل (الشاباك) والوحدة (٨٢٠٠) وفريق الطيران الاستخباري الذي يفترض أن يساعد على الاغتيال أقصى درجات استعداد"، يقول الرائد (ط): "جمعت فريق الجعبري من الوحدة (٨٢٠٠) وأبلغتهم أن القرار قد اتخذ وهدفنا الآن هو الإتيان بالجعبري .. الحديث عن بضع عشرات من الجنود أصبحوا مطلعين على السر ويعلمون أن الجعبري هو الهدف الآن ، ومن الواضح لنا جميعا أنه يجب أن نأتي بالمعلومات المحددة وأين يوجد بالضبط؟".

(إصابة دامغة) هو المصطلح الذي استخدم للتعرف على هدف الاغتيال .. يقول الرائد (ط): "طوال تلك الساعات كان عندنا عدد من الدلائل ؛ لكنها لم تنضج لتصبح إصابة دامغة مؤكدة .. تم الأمر على مراحل إلى أن أدركنا أن تلك سيارته وإلى أن تحققنا من وجوده وعرفنا كيف نصاحبه لكن ليست كل مصاحبة كهذه تنضج لتصبح إصابة دامغة".

يقول أحد الجنود "نضيق الخناق عليه ، ونوسع المتابعة حوله وحول كل الحلقات المتصلة به سواء العائلة أو المساعدين المقربين والمساعدين البعيدين وكبار المسؤولين في حماس .. نفحص كل شيء .. يجب أن نتذكر أنه حذر على نحو منقطع النظير ، وقد اعتاد دائما أن يبدل مساعديه ويُبدل السيارات ويُبدل البيوت ولم يكن ينام أكثر من ليلة واحدة في المكان نفسه لقد عرفناه إلى هذه الدرجة". ويقول قائد التشكيلة الجوية وهو برتبة مقدم "في اللحظة التي أبلغوني فيها أنه استقر الرأي على اغتيال الجعبري ، وضعت في التشكيلة أفضل الجنود تدريبا ممن اخترتهم بحرص على حسب مستوى أهليتهم ، ولم أترك شيئا للصدفة ، وفي يوم الثلاثاء علمت أن الجعبري هو المهمة لكن في يوم الاغتيال وخلال التوجيه الذي أجريته في الساعة ١١ صباحا كشفت لهم عن المهمة لأول مرة".

ويضيف "تحركنا بين عدد من المراكز بحسب المعلومات الاستخبارية التي تم الحصول عليها من (الشاباك) والوحدة (٨٢٠٠) ، وبعد نحو ساعتين تم تلقي معلومة أن الجعبري موجود كما يبدو في مبنى ما ، ووصلنا إلى هناك ، وتابعنا الوضع من فوق البيت ، وتقاطعت جميع المعلومات ، وبدأنا في حصاره استخباريا وصرنا ندرك أين يوجد ؟ ولماذا ومتى سيكون هناك ؟ ومع كم من الناس ؟ وفي غضون ساعات قليلة أصبحنا على علم بتحركاته بيقين ، وعلمنا إلى أي مبنى سيدخل وكنا ننتظر فقط أن يخطئ ويخرج".

تقول الصحيفة "في مركز سلاح الجو في تل أبيب والمعروف باسم (كوك بيت) كان يجلس رئيس فريق جوي هو العميد نوركين والذي أدار عملية الاغتيال، حيث مكث في مكانه ٤٨ ساعة متواصلة منذ الموافقة على اغتيال الجعبري ، وكان سيبقى أيضاً ٢٤ ساعة أخرى، وفي مقر (الشاباك) تم إنشاء غرفة عمليات خاصة للعملية تكون مشغولة بالعاملين على مدار ٢٤ ساعة كل يوم ، ونقلت إلى غرفة العمليات كل المعلومات ونُقحت وحُللت هناك قبل أن تُنقل إلى متخذي القرارات ، فيما كان غانتس يتابع من مكتبه في الطابق ١٤ ما يجري ومشغولاً بالموافقة على الخطط لاستمرار عملية (عامود السحاب) التي لم تبدأ بعد .. وأضاء مكتبه من أجل الرؤية عبر الشاشتين اللتين بثت عليهما الصور المباشرة من الطائرات الاستخبارية ، وكان غانتس بذلك يرى الوقت المناسب للاغتيال ، بينما كان نتنياهو وباراك في زيارة لهضبة الجولان". "بلغ التوتر ذروته في مركز سلاح الجو (كوك بيت) .. هدوء وصمت .. عيون الجميع مركزة على العميد نوركين .. وفي حوالي الساعة ٣ ظهرا كانت جميع الدلائل تُبين أننا بدأنا نصل إلى الهدف ، وانحصرت المعلومات في البيت الذي تحلق فوقه الطائرة الاستخبارية والسيارة التي يفترض أن يدخلها الجعبري .. المسؤولية كلها ملقاة على كتفي نوركين".

وتمر الدقائق ولم يظهر الجعبري ، وبدأت الأعصاب تتوتر أيضا في مكتب رئيس الأركان ، وكلما مر الوقت بدأ كبار في هيئة القيادة يحاولون التأثير على غانتس ويقولون: لا تنتظر ، ابدأ باغتيال المسؤولين الآخرين في الميدان .. كانت لعبة أعصاب ؛ ولربما لن يخرج الجعبري البتة

هذا المساء ؛ لربما يبقى للنوم هناك في الليل ، واستمر عدد من كبار المسؤولين يضغطون وقالوا لرئيس هيئة الأركان: عندك عصفورين في يدك ، سنضيعهما أيضا آخر الأمر، فاتجه إليهما .. لكن رئيس هيئة الأركان لم يخضع للضغوط ؛ بل حافظ على برودة أعصابه وأيد رئيس (الشاباك) ورئيس (أمان) موقفه .. فقد اعتقدا أنه يجب انتظار الجعبري أكثر .. وكانوا جميعاً على حق فلو أن الجعبري بقي في ذلك البيت ساعة أو ساعتين لكفوا عنه"، يضيف المسؤول الأمني :"قبل الساعة ٤ عصرا بخمس دقائق ظهر أشخاص على الشاشتين .. كان الجعبري يخرج من المبنى ويدخل السيارة، وصادق (الشاباك) والعاملون في (٨٢٠٠) على ذلك بقولهم: هذا الجعبري ، توجد إصابة دامغة .. وأبلغ المقدم (دولف) رئيس هيئة الأركان والمسؤولين الكبار قربه في المكتب قائلا: خرج ، نطبق عليه .. ولم يتردد العميد نوركين في (كوك بيت) فأمر بالعملية قائلا : نفذ .. وانطلق الصاروخ لتصاب السيارة .. في (كوك بيت) ظل الهدوء والتوتر والعيون كلها مصوبة إلى الشاشات دون صيحات ابتهاج .. كانوا ينتظرون معلومات استخبارية عن الأرض ، هل أصيب الجعبري حقا؟ وهل كانت تلك هي السيارة الصحيحة؟ وإن لم تكن كذلك ؛ فربما يكون موجودا في سيارة أخرى ، ويجب اتخاذ قرار بمهاجمتها أيضا".

في غضون دقائق معدودة جاء الجواب ، وهو أن احمد الجعبري رئيس أركان حماس قد صُفي.

تقول الصحيفة ويقول رقيب عسكري مشارك في العملية "لم يكن يوجد زمن كثير للهضم، بل إنني لم أستطع التأثر أو ادراك حجم هذا الاغتيال ، حينما خرج من المبنى حافظنا على صلة عين به ، وصاحبناه في تعقب جوي حتى لحظة الهجوم رأينا سيارة وحولها ناس كثيرون ، وصاحبناه من أعلى طول الوقت ، وراقبنا من يدخل السيارة أو من يخرج منها .. وفي لحظة الاغتيال نفسها كانت مرحلة قصيرة جدا يرتفع فيها النبض والأدرينالين ، وبعد ذلك بقينا في الأعلى إلى أن تلقينا بعد خمس دقائق النبأ النهائي وهو أن ذلك كان الجعبري". ويضيف "استمر عملنا على أهداف أخرى ، وحينما عدنا وهبطنا في القاعدة الجوية جرت مساءلتنا، وفي المساء فقط حينما شاهدت الأخبار في نادي الوحدة الجوية بدأت أفهم ما الذي كنت

مشاركا فيه حقا". ويسأله مراسل (يديعوت احرونوت) "هل حدثت أحدا خارج الوحدة الجوية أنك شاركت في اغتيال الجعبري؟ فأجاب: "أبي فقط وقد كنا وحدنا".. هل حسدك الرفاق في الوحدة الجوية ؟ فقال "يبدو لي .. نعم".

ويقول مسؤول أمني إسرائيلي "لم يكن لدينا وقت للاحتفال ، فقد كنا نعرف أنه بعد زمن قصير سنكون تحت هجوم صاروخي ، وأن الملاجئ ستفتح ، وأن منظومات الدفاع الجوي ستُمتحن أشد امتحان ودخلنا (عامود السحاب) وخرجت الطائرات للقضاء على مخازن صواريخ (فجر) بعيدة المدى". ويضيف "(الشاباك) واصل العمل باستمرار وترجم المعلومات بهجمات مفيدة ضد نشطاء حماس ؛ بل كان هناك تعليمات باستهداف المستوى السياسي إن اضطررنا لذلك وقتلنا العشرات من خلايا إطلاق الصواريخ، وفي قسم البحث (أمان) تابعوا جمع المعلومات الاستخبارية والبحث عن أهداف جديدة وكانوا يتفهمون أثر اغتيال الجعبري". وتختم الصحيفة تقريرها بحديث للمقدم (زيف) الذي قال : "أصيب كبار مسؤولي (حماس) بغصة شديدة ، وأجروا تحقيقات عميقة لمحاولة معرفة كيف وصلت إسرائيل إلى هذه المعلومات ، وما حدث بالضبط ، وأعدموا أيضاً مشتبه فيهم كعملاء وما زالوا في مراحل استخلاص الدروس ؛ ولكن لا توجد شكوك لدينا بأن حماس مستمرة في زيادة قوتها ، وتهريب السلاح والأموال وبناء القوة وهي تعيد بناء نفسها بفضل الدعم الإيراني الذي تحظى به ، ولا يوجد اليوم شخص حتى لو كان إسماعيل هنية يمكن أن يحطم باغتياله حماس".

حرب غزة تشرين ٢٠١٢ كانت قصيرة أرغمت إسرائيل على وقفها ، وظفرت بمقتل القائد القسامي احمد الجعبري ومهندس صفقة الوفاء. ويبدو أن لمصر برئاسة محمد مرسي دورا مهما في وقف الحرب ، فقد أرسل الرئيس رئيس وزرائه للتضامن مع أهالي غزة .

حرب غزة ٢٠١٢ كان من نتائجها وقف إطلاق النار بين المتحاربين ، والجانبان يعلنان

النصر، وتقول إسرائيل المارقة إن العملية " أضرت بشدة بقدرات اطلاق حماس " ، ووفقا لحماس فإن هجماتهم الصاروخية أدت إلى اتفاق وقف إطلاق النار السريع. وكان من نتائجها وقف إطلاق الصواريخ من غزة إلى إسرائيل، والسماح لصيادي غزة بستة أميال بحرية لصيد الأسماك ، خفضت إلى ٣ أميال بحرية بعد ٢٢ مارس ٢٠١٣.

شارك في المعركة : من حركة حماس كتائب الشهيد عز الدين القسام ، من حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين سرايا القدس ، الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ـ القيادة العامة، الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، لجان المقاومة الشعبية، كتائب شهداء الأقصى. كانت الحرب على غزة ٢٠١٢ التي أطلقت عليها إسرائيل اسم عملية عامود السحاب حربا استمرت ثمانية أيام شنها جيش الدفاع الإسرائيلي على قطاع غزة الذي تسيطر عليه حماس ، وبدأت في ١٤ نوفمبر ٢٠١٢ بقتل أحمد الجعبري، رئيس الجناح العسكري لحماس في غزة نتيجة غارة جوية إسرائيلية. ووفقا لحكومة إسرائيل، بدأت العملية ردا على إطلاق أكثر من ١٠٠ صاروخ على إسرائيل خلال فترة ٢٤ ساعة ، وهجوم شنه محاربو غزة على سيارة جيب تابعة لدورية عسكرية إسرائيلية داخل الحدود الإسرائيلية ، وانفجار ناجم عن عبوات ناسفة وقعت بالقرب من الجنود الإسرائيليين على الجانب الإسرائيلي من نفق يمر تحت الجدار الإسرائيلي في الضفة الغربية . وذكرت أن أهداف العملية العسكرية هي وقف الهجمات الصاروخية على أهداف مدنية مصدرها قطاع غزة ، وتعطيل قدرات المنظمات المسلحة ، وألقى الفلسطينيون باللوم على الحكومة الإسرائيلية في تصاعد وتيرة العنف ، واتهموا قوات الدفاع الإسرائيلية بشن هجمات على المدنيين في قطاع غزة في الأيام التي سبقت العملية ، وأشاروا إلى الحصار المفروض على قطاع غزة واحتلال الضفة الغربية، بما فيها القدس الشرقية، كسبب للهجمات الصاروخية. خلال عامود السحاب ، زعم جيش الدفاع الإسرائيلي أنه ضرب أكثر من ١٥٠٠ موقع في قطاع غزة ، بما في ذلك منصات إطلاق الصواريخ ، ومستودعات الأسلحة، والمرافق الحكومية ، والكتل السكنية.

ووفقاً لتقرير صادر عن المفوضية لشؤون اللاجئين، قُتل ١٧٤ فلسطينياً وأصيب مئات ، وتشردت العديد من الأسر، قتلت ضربة جوية واحدة عشرة أفراد من عائلة الدلو، وأعدم ثمانية فلسطينيين من قبل أعضاء كتائب عز الدين القسام على أنهم تعاونوا مع إسرائيل.

زادت حماس ، والجهاد الإسلامي الفلسطيني من تكثيف هجماتها الصاروخية على المدن والبلدات الإسرائيلية ، وسمتها كتائب القسام عملية حجارة سجيل ، وأطلق أكثر من ١٤٥٦ صاروخا على إسرائيل ، استخدمت الجماعات المسلحة الفلسطينية أسلحة فجر٥ الإيرانية الصنع ، وصواريخ غراد الروسية الصنع ، والقسام ، ومدافع الهاون ، وقد أطلقت بعض هذه الأسلحة على ريشون لتسيون ، بئر السبع، أسدود، عسقلان، وغيرها من المراكز السكانية، وتل أبيب ، واطلقت الصواريخ على القدس. قتلت الصواريخ ثلاثة مدنيين إسرائيليين في ضربة مباشرة على منزل في كريات ملاخي، وبحلول نهاية العملية ، قُتل ستة إسرائيليين، وأصيب مائتان وأربعون، وعولج ما يزيد عن مائتي شخص بسبب الهلع والخوف ، تم اعتراض حوالي ٤٢١ صاروخًا من قبل نظام الدفاع الصاروخي الإسرائيلي المسمى القبة الحديدية وضرب ٥٨ منطقة حضرية في إسرائيل ، تم تفجير حافلة في تل أبيب من قبل عربي إسرائيلي، مما أسفر عن إصابة ٢٨ مدنيا.

كندا وألمانيا والمملكة المتحدة والولايات المتحدة ودول غربية أخرى أعربت عن تأييدها لما اعتبرته حق إسرائيل في الدفاع عن نفسها وقتل قادة الجهاد ، ودانت هجمات حماس الصاروخية على إسرائيل ، وقد أدانت الصين وإيران وروسيا ومصر وتركيا والعديد من الدول العربية والإسلامية العملية الإسرائيلية ، عقد مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة جلسة طارئة حول الوضع ؛ لكنه لم يتوصل إلى قرار ، وبعد أيام من المفاوضات بين حماس وإسرائيل، أعلن في ٢١ نوفمبر وقف إطلاق النار الذي توسطت فيه مصر ، وقد أعلن كل من الفرقين فوزه.

وقالت إسرائيل: إنها حققت هدفها في شل قدرة حماس على إطلاق الصواريخ، في حين

أكدت حماس أن خيار إسرائيل لغزو غزة قد انتهى .


نظام محوسب لتخطيط وتشخيص العضلات

فقال أسامة : لم يطل عامود السحاب ، توقف عن الصعود .. أرأيتم كيف يطارد العملاء القادة ليل نهار ؟! حتى تمكنوا من تحديد موقع وسيارة الجعبري؟

قال مهران : على ذكر العملاء يا رجل ! إسرائيل تزرع أجهزة وأنظمة تجسس في قصور الأمراء والرؤساء والأحزاب والحركات العربية والمسلمة .. هل نشر من جديد عن جاسوس بعنبس الذي كشف أمره؟

قال إبراهيم متهكما: وائل زياد قتيل غزة ، قتيل أمستردام ، والمرة الثالثة أين ستظهر جثته؟

قال أسامة بثقة : اعتقد أنها لن تظهر ، فعلا قتل .. وصحف هولندا تتهم زوجته بالمساعدة باغتياله، يقصدون عشيقته دايل ويت ، والسبب أنهم وجدوا له صورا في حانة مع الرجل الذي غادر مسكن وائل قبل اكتشاف موته بساعات.

قال مهران : لماذا ة أيها المحامي لن تظهر الجثة؟

قال أسامة: لأن الجثة نقلت لفلسطين إلى أسرته في شمال فلسطين ، ودفن حسب طقوس طائفته ، وهذا يعني أن إسرائيل تعترف بأنه وائل زياد ؛ بل صحف تشير أنه قتل بأمر من إسرائيل ؛ كما يتخلص عادة من العملاء.

قال احمد : موجودة الطائفة في سوريا في لبنان وفلسطين والأردن ، والعالم ، ووائل من هذه الطائفة ؛ إذن مات وائل زياد الذي شغل الناس فترة من الزمن في بلادنا، وكان صهرا لضابط المخابرات خميس ، وزوجا لامرأة أخيك ؛ كما أخبرتني ذات مرة .

قال : نعم ، زوجة أخي أبي محمد ، كانت زوجته القانونية الوحيدة ، وكان له حكاية شيطانية

مع الدكتورة وردة شقيقة جهاد احدى أعضاء جمعية أو حزب العصبة النسائية .. هل جمعت شيئا من أخباره وقصة مقتله في غزة أو هولندا؟

قال أسامة متحمسا : أنا اذا اشتغل بالي في حكاية .. لا أهدأ حتى ألم بتفاصيلها كلها .. حتى أقتنع بالخاتمة إلى حد ما .. ومع ذلك قصة هذا لم تنته على ما اعتقد ، ذكرت بعض المواقع التي لها صلة على ما يبدو بأجهزة مخابراتية عربية وعالمية جمعت معلومات عن المذكور ، فتأكد أن قتيل غزة لم يكن وائل أبدا ، الذي قتل في غزة ، فقط جواز سفره المزور ، والمقتول قريب الشبه به .. فهذا يدل على أنه عميل للموساد .. وترجح أجهزة مخابرات غزة والمقاومة أن الطبيبة الهولندية دايل ويب التي قتل في شقتها في بيتها عميلة لليهود ؛ لأن بعض الصحف في هولندا ذكرت لما أثير ذهابها معه إلى فلسطين عن طريق جمعية بلجيكا أن أمها يهودية وأبوها هولندي .. فكثير من اليهود يقدمون خدمات لإسرائيل بحكم أنهم يهود وصهاينة ، وقيل إنها عميلة رسمية .. قالوا دخلت غزة بعد عدوان ٢٠٠٩ وبصحبتها وائل وقضوا أسبوعا ضمن حملة إغاثة يونانية ، ولم تكن أول مرة تدخل غزة ، وقدموا إغاثات طبية وغذائية كسائر هيئات الإغاثة التي نشطت بعد صمت النيران وقضيا سبعة أيام في فضاء غزة ، حتى أن بعض مهاجري قريتهم قبل النكبة تعرفوا على أقربائه الكبار ، لما علموا أنه فلسطيني ؛ لأن هناك تواصل بين المهاجرين والباقين ، فلما عرفوا اسم عائلته ـ وهو دخل غزة باسمه العربي عن طريق مصر ـ تذكروا أباه وجده وأعمامه ، فاضطر أن يتحدث عنهم ويطمئنهم على أنه مواطن عربي خرج من إسرائيل للدراسة ، وعاش عندنا ، ويحمل جنسية بلادنا التي دخل بها القطاع ، فكُرم من قبلهم ، وإسرائيل تسمح لعرب غزة والضفة بالعمل داخل الخط الأخضر منذ احتلالهما ، ومن المعروف أن قرى الداخل لم يهاجر كل سكانها خاصة الشمال الفلسطيني المثلث الجليل الناصرة ، فوالده وجده خدما في الشرطة الإسرائيلية ، ومن قبل البوليس الإنجليزي أيام الانتداب ، ووالده معروف على مستوى البلدات ، بقسوته ولؤمه قبل أن يولد وائل، وكان دخوله غزة كطبيب إغاثة ، وفي تلك الجولة لم يلتق أو يسع إلى لقاء أي عميل

معروف لأمن الداخلية ؛ ولعله قابل أناسا مجهولين للمقاومة ، فإسرائيل تركت مئات العملاء لم يعرفوا بعد ، وهناك من يجند حديثا ، فهذه المعابر بينها وبين غزة تستفيد منها إسرائيل بالالتقاء بالعملاء ، بتجنيد العملاء باستغلال النفوس الضعيفة التي غير قادرة على الحياة الشريفة ، يستغلون الحاجة للدراسة في الخارج ، للعلاج في إسرائيل وخارج إسرائيل .. طرق التجنيد كثيرة حب المال ، والكسب بدون تعب حتى يستوي ويبتز .. السماح لهم بالإباحية مع بنات إسرائيل وتصويرهم بأفلام وصور عارية فيسقطون .. فقصص صيد العملاء كثيرة ، والمكتشف أقل من المخفي ، عندما يقرأ الشخص في ملفات الصراع بين الجواسيس المزروعين في المنظمة يرى العجب ، ورأيتم مقتل صلاح خلف القائد الثاني في منظمة فتح في تونس ، وقبله خليل الوزير وعلي حسن سلامة والنجار والعدوان وعماد عقل وعياش .

قال احمد : ما شاء الله ! تقرأ كثيرا عن الجواسيس .

قال أسامة: اليوم مسلسلات وأفلام وكتب ووثائق خرجت للعموم .

قال مهران : تابع حكاية جاسوسنا.

قال أسامة: المرة الثانية جاء مع بعثة بلجيكية لهم عمل دائم في الإغاثة بغزة ، فمن الطبيعي أن يتبدل أفراد البعثة كأي مؤسسة ، دخل كطبيب في البعثة التي تقدم دعمها لغزة من عام ألفين ، وأعضاؤها أكثرهم متطوعين ، تدعمهم جمعية أو جمعيات أوروبية ، فتجد من يمكث شهرا عدة شهور سنة سنوات حسب عقده واتفاقه .

قال مهران : كيف وهو ليس بوائل الحقيقي؟!

قال: أجابوا عن هذا السؤال ، دخل وائل ودايل عاملين مع البعثة من خلال مطار بن غورين اللد أيام الإنجليز .. وفي إسرائيل حدث التبديل ، رافق البديل دايل ويت للقاء العميل "د" كما لقب في الجرائد .. لذلك هم يرون أنها عميلة إسرائيلية ، وفي الغالب أعضاء البعثة عندما ركبوا الطائرة من بلجيكا لا يعرفون بعضهم على المستوى الشخصي .. والعميل حسب

التكتيك والخطة لا يحتك بالناس بوضوح إلا اذا طلب منه ذلك .. وتجد كل شخص مع رفيق غير مهتم بالآخرين ، تم التبديل على أنه رفيق دايل ويت ؛ من أجل ذلك بعض الناس يتهمون دايل بالمشاركة في التخلص من وائل .. فقد وجدوا أنه يرتاد حانة معينة في هولندا ووصلوا إلى صور كاميرات مع رجل صديق له، وقال بعضهم : إن هذه الصور لرجل يوناني عرف لهم باسم إسكندر فينوس ، وهو الذي رافقهم لغزة ، وهو الذي سافر معه من هنا ، ووالده مالك مستودع أدوية يونانية في تاج الزمان ، وتبين لفريق التحقيق في الجريمة أن إسكندر دخل البلاد من بلجيكا ، وهو طبيب يوناني ، وهو صديق لوائل ، والتحقيق مستمر حتى يغلق ملف القضية ، وبعض الصحف أشارت أن دايل اختفت .

قال مهران : نعود لقتيل غزة .

قال أسامة: قصة معقدة ! وهكذا قصص الجواسيس .. دخل الجاسوس بجواز سفر بلجيكي مزور ، وقد يكون غير مزور مسروق من قنصلية بلجيكية في أوروبا والذي كشفه أنه ذهب للقاء عميل متبوع ، وكانت الناس قد خرجت لصلاة الفجر فالذي يراه سيظن أنه ذاهب لمسجد ، وليس لمقابلة عميل ، وقرب السياج كان اللقاء ، ولما سلم الحقيبة التي كانت داخل كيس ، هجم رجال الأمن ، فهرب وائل ، فاطلقت الرصاصات لعدم توقفه ، فمات، وأعلنت الجهات اسم القتيل حسب الوثائق الموجودة معه ، وهم لا يهمهم من قتل سوى أنه عميل ، أبوه أمه لا يهم التحقيق ولما فتشت أغراضه ، لم يجدوا سوى ملابس وغيارات ، ودايل ـ كما نشرت وسائل مقربة من التحقيق ـ أنهما صديقان ويعيشان معا ، ثم اختفت بعد أخذ أقوالها ، فهي امرأة أوروبية ، قدمت في بعثة معروفة ، وذلك مثل المستشفيات الميدانية التي تقدم المساعدات الطبية للجمهور ، ويتبدل أفرادها باستمرار ، وهل هؤلاء لا يوجد بينهم رجال مخابرات بثياب أطباء بثياب إدارة ؟ .. الأحداث والأخطاء تكشف عملهم الحقيقي.

قال مهران : معروف ..هذا معروف ..حقيقة معلومات جيدة رغم الفوضى فيها .

قال أسامة مفسرا : لأنها نتف تؤخذ من هنا وهناك .. وخيالي يحاول تنسيقها ، وبعض

المقالات تفيض وتحاول تسكير الثغرات ، وبعضها تنقل بدون تدقيق ، هكذا عمل الصحف .

قال احمد : هل بقي شيء ؟

ضحك وقال أسامة: أشياء ، العميل المعتقل سموه دالا ، ويعمل جاسوسا عميلا من أكثر من عشر سنوات مع أجهزة الشاباك الأمن الداخلي ، ولم يكن لديه معلومات عن القتيل؛ إنما تلقى إشارة بأن يذهب إلى قرب مسجد ، ثم باتجاه السياج الفاصل بين السكان والبلدات الإسرائيلية ، وحدث اللقاء .

قال مهران : يتلقى إشارات كيف ؟!

وقال أسامة: هذه قرأت عنها ، عن وسائل الاتصال بالعملاء علينا أن نعرف الجاسوس والعميل .

قال احمد : هل من فرق مهم بينهما ، كلاهما يؤدي نفس المهمة!

قال مهران : كما يقول أسامة بينهما فرق ، وضح لنا ذلك يا أسامة .

وقال أسامة شارحا الفرق بين العميل والجاسوس : الجاسوس يقوم بجمع معلومات للقيادة السياسية والعسكرية في البلد الذي يعمل لحسابه ، ويقوم بمراقبة بلد أو منظمة أو حركة أو شخص، ويعتمد على شبكة من الجواسيس ترسلها الحكومات والمجموعات الأخرى إلى أراضي العدو لجمع المعلومات في الحرب والسلم . أما العميل فيقوم بالعمل ضد مصالح الدولة التي ينتمي إليها ، وقد يعمل العملاء فرادى أو في مجموعات صغيرة، ويستخدم بعضهم هوية مزيفة ، العميل يخدم الاحتلال، والعمل لمصلحته الشخصية ، ضد الوطن والشعب.. العميل مواطن أصيل . والعملاء يسمون طابورا خامسا ، صرَّح أحد جنرالات "فرانكو" الإسباني ،: "إن لي أربعة طوابير تتحرك باتجاه مدريد ، وطابور خامس سينهض من داخل المدينة نفسها".

قال احمد : جيد ! عرفنا الفرق ، بوركت .. وسائل نقل الأوامر والمعلومات ؟

قال أسامة : كشفت التحقيقات مع بعض العملاء عن سبعة أساليب لتواصل "الشاباك"

معهم ، وهي: الاتصال بالخلوي: هو من أهم الوسائل المستخدمة لسهولتها وشيوعها بين الفلسطينيين ، إضافة للخصوصية الشخصية في كل جهاز منها ، اعترف عميل بأن التواصل مع مسئوله "س" تم من خلال الاتصال الخلوي ؛ بحيث لا يظهر الرقم المتصل على شاشة الجهاز ، ويتم الاتصال بشكل أسبوعي، علاوة على الاتصالات الطارئة ، بقيام الضابط بـ"الترعيش" على الجوال ، فيقوم العميل باستبدال شريحة "الجوال" الفلسطينية بـ"الأورانج" الإسرائيلية ، ويتم الاتصال".

قال مهران : وسيلة سهلة وبريئة !

وقال أسامة : وعن طريق الإنترنت ، وقد اعترف أحد العملاء بأن المسؤول تواصل معه عبر الشبكة العنكبوتية بطريقة محمية من الاختراق ، عبر إعطائه "قرص مرن" سي دي عادي ، يضعه في حاسوبه الشخصي الموصول بالإنترنت، ويعيد تشغيله، فيدخله على برنامج خاص خارج نظام "الويندوز" ؛ كأنه في نظام "الدوس"، وبطريقة خاصة تعلمها، يستقبل ويرسل رسائله بطريقة آمنة!

قال إبراهيم : يا الهي ! الجاسوسية تستغل كل شيء ، وتحوله إلى أداة تجسس .. تابع أنت داهية في هذا العالم !

وقال أسامة: هواية ليس أكثر! هناك ما يسمى بالنقاط الميتة : نقاط صغيرة غير معرّفة وليست بارزة في أماكن عامة ، يتفق عليها العميل وضابط الارتباط مثل: الحدائق، المدارس، الأشجار، المستشفيات ، ومن خلالها يضع الأول تقاريره، ويتلقى من الثاني المكافآت مقابلها.

وقال أسامة مكملا : إذن تواصل مع "د " إما عن جهاز خاص أو رسالة خلوية شيفرات .. قتل البديل باسم وائل ، وهذا الذي ظهر في الإعلام الغزاوي والإسرائيلي عام ٢٠٠٩ ، وبعد خروج دايل ويت وهربها من القطاع ، عادت ووائل إلى هولندا لإكمال مشوار حياتها ، وكان من المقرر أن يبقيا للعمل مع البعثة شهرا واحدا ؛ وربما كان على البديل أن يمكث ليلة ، ويعود لإسرائيل ، ويدخل وائل لإكمال المدة ؛ لكن مقتل العميل ، ويرجح أنه عربي مجهول

لحد الآن فعادوا لهولندا كما قيل ، هذا ما فسرت فيه العملية بعد ظهوره مغتالا في شقته ودايل في هولندا ، وهم يبحثون عن إسكندر الأثيني الذي التقى به وائل قبل اكتشاف جثته ، والده فينوس هنا في تاج الزمان له مستودع أدوية تأتي من اليونان ويسكن في البلاد من عشرات السنين، ويقول موقع أمن ٨ - موقع متخصص في متابعة الجواسيس - إن إسكندر حسب المعلومات القادمة من اليونان طبيب مخابرات يوناني جندته إسرائيلي .

قال مهران : كيف ؟

قال أسامة: هو ضابط أمن يوناني في الأصل ، وجندته إسرائيل لمتابعة نشاط المتعاطفين مع الفلسطينيين وأهل غزة من اليونانيين ومن الدول الأخرى ، وموقع أمن ٨ من يدعمه غير معروف ، قد تكون إسرائيل ، مخابرات بريطانية ، روسية السي اي ايه ، وهو يخلط المعروف بالكذب ؛ لكن المتابع والمدقق يستطيع معرفة الأقرب للحقيقة بالاطلاع على أكثر من موقع ، والصحف اليومية كلها تنشر مثل هذه الأخبار ، ولا تنسوا موقع ويكلكس الشهير ، وموقع أمن ٨ يؤكد أن قتيل الشقة هو وائل زياد ، وأن قتيل غزة عميل آخر وعربي ، لذلك لم تطالب إسرائيل بجثته ، ولا حتى أهله ، ولما قتل وائل الحقيقي نقلت الجثة لبلده ودفن ، وهناك احتمال أن تطالب إسرائيل بجثة القتيل في غزة بعد افتضاح أمر وائل .

وقال إبراهيم معلقا : قتيل غزة عربي أو عربي متصهين .

وقال أسامة: أو غير ذلك يهودي مستعرب.

قال مهران: تفسير معقول .. السؤال يا أسامة ! هل وائل جاسوس وعميل إسرائيلي ؟ فهنا زعموا أنه عميل خامل ، ولم يجدوا له نشاطا أو شبكة أو خلية .. مجرد رجل حانات وزنا وخمر .

قال أسامة: موقع مخابرات إسرائيلي ذكر في إحدى نشراته أنه قدم البلاد الشامخة لدراسة الطب على نفقة أسرته ، ثم جند للتجسس على الطبيب اليوناني اليهودي الأصلي اليوناني المولد الذي أسلم لما تعرف على الدكتورة المسلمة سلينا الهندية اليونانية ، وتعاقد مع جامعة بعنبس

كمحاضر وطبيب قلب في الجامعة والمستشفى.

قال احمد : الدكتور ينال الذي انتحر!

قال مهران : ولماذا يتجسس عليه؟

وقال أسامة: ذكر الموقع السبب ، وهم يكشفون بعض المعلومات خشية أن يكون للدكتور مذكرات لم تظهر بعد ، فكثير من العملاء المثقفين يكتبون مذكرات لحماية أنفسهم من غدر من يجندهم .

قال احمد : المهم!

وقال أسامة: المهم أنهم جندوه في آخر سنة أو سنتين للتجسس على الطبيب ، فقوى علاقته به على أنه طالب معجب بأستاذه .

قال مهران : لم تقل لماذا يتجسس عليه ؟

وقال أسامة: الدكتور ينال هذا عالم في السموم ، ويعمل تركيبات سمية ؛ فقيل إنه عمل تركيبة لسم ، لا يظهر مفعوله على الضحية إلا بعد مرور سبع ليالي، واذا أخذ الضحية ضده قبل انتهاء السبعة تعافى ، ولم يظهر مفعوله ، فيمكن لشخص أن يتناوله في أمريكا وبعد عودته للصين يموت .

قال احمد : فيكشف التشريح أنه مات بالسم كما قتل الدكتور وائل .

وقال أسامة بإثارة : الأخطر في هذا السم الذي ركبه ينال، اذا شرح الميت خلال أول ساعة يكتشف أنه مات بالسم ، واذا شرح بعد أكثر من ساعة لا يظهر أثره وعادة الجثث لا تشرح فورا .

قال مهران : فعلا هذا خطير !

وقال أسامة: فجند وائل فقط للتجسس على الطبيب ؛ لمعرفة التركيب ومضاده وفشل في ذلك ، فلما سافر الطبيب إلى أوروبا للسياحة لحضور محاضرات علمية تعرض للخطف ، ولم يكن يحمل المعادلات أو أوراق التركيب فترك وهدد ، فلما عاد ، وأخبره الخادم اليوناني بأن

جماعة مسلحة على الباب يرغبون بالحديث ، فظن أن القادمين من عصابة للخطف وأخذ التركيبات بالسلاح ، ففضل الموت على كشف أسراره .

قال احمد : من أين صدرت هذه المعلومات؟!

وقال أسامة مبينا : من زوجته الدكتورة سلينا مع صحيفة أجنبية ، ذكرت أن زوجها قتل بسبب تركيبه هذا السم الذي سماه "الثعبان الغامض" وأن وائل زياد كان يتجسس عليهما لمصلحة الموساد ؛ ولذلك تعيش في مكان سري ، وتحت حماية أمن المخابرات لحماية الشخصيات المهددة .



جهاز تحفيز وتخطيط العضلات



جهاز أمواج فوق صوتية

كان جهاد قد أنهى اختبارات الفصل الأول من شهادة الدكتوراه ، فبرنامج الدراسة يدرس الطالب ثلاث مواد في الفصل الواحد ، فالبرنامج يمتد لعامين ، يتكون من أربع وخمسين ساعة جامعية ، منها واحد وعشرون يسمونها ساعات إجبارية ، وخمس عشرة اختيارية ، وللرسالة ١٨ ساعة.

مواد الفصل الأول مادة الجرائم المستحدثة ، مثل جرائم المخدرات والتكنولوجيا الإتجار بالبشر ، الجرائم الاقتصادية كالتهرب الضريبي وغسيل الأموال ، والمادة الثانية للفصل الأول حول المسؤولية الدولية ، تدرس قواعد وشروط المسؤولية الدولية التي وضعتها لجنة القانون الدولي للأمم المتحدة والمنظمات الدولية ، والثالثة أساليب البحث القانوني : التعريف ، وضع الخطط ، التوثيق، التحليل الاستنباط. أنهى جهاد هذا المواد ، مواد القانون متداخلة بالمجمل ، وحقق المطلوب ، وزار وأسرته منزل صديقه المهندس محسن سعيد ، وسعد بالجلوس مع الوالد ابن بعنبس المستقر في عمان منذ زمن ليس بالبعيد ، والتقى بضيف يزور المهندس .

فقال : هذا صديق العائلة شرف الدين أنوار ، خدمت أنا وإياه في سلاح الهندسة أنا خدمة العلم ، وكان هو جندي ثاني خدم أربع سنين ، تدربنا على تركيب الجسور والحرب الكيماوية ، ولما تقاعد خرج للجهاد في أفغانستان أيام الشيخ عبدالله عزام شيخ المجاهدين العرب في الثمانينات ، وظل هناك حتى اندحر الروس ، وعاد حيا للبلاد ، نال أجر القتال .

قال جهاد : أهلا وسهلا بالمجاهد! كيف قضيت السنوات في جبال تورا بورا؟

فقال محسن : اليوم يعاني مع أجهزة الأمن.

قال جهاد : هذا يحدث في كل الدول العربية ، أرسلوهم على أمل ألا يعودوا ، ولكن عاد الكثير منهم ، قرأت بعض حكاياتهم في مجلات المجاهدين ، وسمعت بعضها على قنوات المجاهدين .

قال شرف : حياك الله في بلدنا المحترم .. الحماس وحب الشهادة يدفعان المرء للبحث عن

موضع للاستشهاد ، فلسطين مغلقة ، والرايات علمانية وشيوعية فأوضح راية كانت أفغانستان بالنسبة للمتحمسين للشهادة ، ووجود الشيخ عبدالله هناك دفعنا للخروج ، ولا تنسى الإعلام العربي كان يدفع بقوة شباب الصحوة للموت هناك ، ونيل الدرجات العلى ، وأمريكا ظاهرا وعلنا تدفع بذلك إنما نقاتل على النية يا أخ جهاد ، وكانت فرصة للتدريب الفعلي على السلاح ؛ لعل الجهاد إلى فلسطين يفتح في حياتنا.

قال جهاد : ها هي المقاومة الفلسطينية تحاول تصحيح البوصلة الجهادية.

قال شرف : خرجنا للقضاء على الشيوعية الملحدة ، وتحرير الشعب الأفغاني منها وحكومات العرب كلها ، وحكومة باكستان سهلوا الالتحاق بمعسكرات الجهاد في بيشاور ، وبعض المدن الأخرى ، وعلى حدود باكستان وأفغانستان نتدرب ونتثقف ، ونزج في مدن الحرب مع الأحزاب الأفغانية ، تدربنا على مختلف الأسلحة الأمريكية والروسية التي كان يستولي عليها الثوار من عملاء روسيا ومن روسيا نفسها .. والألغام زرعها والحذر منها .. في البداية سيطر الرعب على قلبي رغم أني متدرب في الجيش العربي الأردني .. كنت أرتجف وأن أتدرب على الرشاش ، وتصطك الأسنان ، أرقص رقصا ، حتى تعودت على عزف القنابل والرصاص ؛ كأنك تحضر فلما حربيا أو تلعب ؛ كما نرى اليوم في ألعاب الأتاري الحربية .. قضيت أيها الأخ الكريم أكثر من خمس سنوات في الجهاد في كنر وغيرها من مواقع القتال .. يا رجل كنا نحمل الصواريخ ضد الطيران إلى قمم الجبال على ظهور البغال ، فلما ننزل الصاروخ عن ظهر البغل ينتحر البغل من الإرهاق والنصب ، يقتل نفسه من شدة التعب .. جبال تعانق السماء ، كان الله يمدنا بطاقة جبارة .. الحيوان الدابة لم يحتمل تسلقها ، ولما انهزم الروس ، ولم نستشهد عدنا ؛ ظانين أننا سنستقبل استقبال الأبطال ، قبعنا في السجون والملاحقات الأمنية .

قال جهاد : لكم إحدى الحسنيين .. أكيد كانت أيام عصيبة وصعبة في الجبال والكهوف وقلة الزاد والماء .

قال شرف : المجاهد صحيح يحتاج أو بحاجة للطعام والزاد والماء ؛ لكن الاستعداد للموت

الذي يرفرف على القلوب ينسيك الطعام ، قد تمضغ عشبة أو بضع حبات من التمر .. مرة يا رجل وزع علينا أعوان ابن لادن أبوات ؛ كأننا حزنا الدنيا وما فيها .. حذاء يا سيد أبي عبدالله !

قال جهاد : عشبة.

قال شرف : أكل العشب والشوك أيام القتال ؛ كأنك تتغدى في أفضل مطعم في العالم .. الاستعداد للموت روحك ترفرف في السماء ، لا يكاد يمر يوم من دون شهيد أو جريح انفجار صاروخ قذيفة لغم.. وأنت تتسلل لنقطة ساخنة انفجار ذخيرة حولك من قصف طائرة حربية.. الموت يأتيك من كل مكان .. وتتعجب أنك لم تمت بعد .. قلت أولا التدريب في باكستان ، ثم في الداخل .. من صوت الرصاص ترقص أطراف الواحد .. وتصطك أسنانك ؛ كأننا في القطب الجنوبي وبعد حين اليوم الذي لا تسمع فيه الرصاص تستغرب ، فهو مثل صوت زقزقة العصافير يا أخي ! صوت الرصاص والانفجارات موسيقى .. هؤلاء الأفغان عندهم عزيمة .. غاية القوة والصبر على قطع الأرجل والأيدي .. نحن لا شيء أمام تحملهم ..كانت حياة مع الموت !

قال جهاد : متزوج يا أبا عفيف !

قال شرف : تزوجت في المعركة ، كان معي مجاهد زوجني ابنة أخيه ، وأنا هناك وجاءت العروس باكستان ، وكنا نعطى خشة ، ثم نعود لمواقع الحرب ، وولدت لي ثلاث كلهم في بيشاور ، ولما رجعت ـ يعلم أبو صهيب ـ مشاكلي معها .. يا رجل كانت تنقل صوري التي تصورتها هناك للمخابرات .. صور عادية لمن عاش ونجا من الموت .. تبقى ذكريات ؛ لكني طلقتها .

قال جهاد : كانت عينا عليك.

قال سعيد : امرأة كهذه لا تصلح عينا ؛ إنها تفعل انتقاما ولتطلق، وحصل ذلك وتزوج خيرا منها.

شهر يناير يتوقف التعليم في الجامعة حتى أول فبراير ، لم يسافر لقضاء الإجازة بين إخوانه وأخواته ، فقد مرضت رندا في أواخر ديسمبر ، وفي شهر يناير بعد معاناة مع المرارة دخلت مستشفى خاصا لعلاجها أو إزالتها ، وهي كانت في حالة حمل ، وأصبح هناك خطر على الجنين ، واحتمال لسقوطه ، فهي الشهور الأولى وأعطيت أدوية تساعد الحوامل في تثبيت الحمل، تعطى تلك الأدوية حتى تجتاز مرحلة الخطر .

جاء إبراهيم شقيقها لعمان للوقوف معها ومع جهاد ، ورفع معنويات أخته، ودعما لصهره في هذه المحنة ، وجاءت برفقته زوجة سالم أخته الثانية ريم ، وسرت رندا بوجودهم ؛ وكذلك جهاد ، فالإنسان عند المحن يحتاج للخلان في مساندته والوقوف معه لتسليته ومواساته ، فبين لهم شكره ، وكانوا يرغبون بالنزول في الفندق تخفيفا عنهم عبء الضيافة ، فرفض الزوجان هذا الاقتراح ؛ حيث أن الفيلا واسعة ، ولديهم خادمة ومربية .

المرارة على شكل فاكهة الكمثرى ، تقع أسفل الكبد على الجانب الأيمن العلوي من البطن ، تقوم بجمع وتخزين السوائل الهاضمة التي يتم إنتاجها في الكبد.

استئصال المرارة هو عملية شائعة ، بسبب تكوّن حصوات في المرارة ، أو تكوّن حصوات في قناة المرارة ، أو عدوى المرارة ،أو عدوى البنكرياس ، أو التهاب المرارة، ولا تنطوي إلا على خطر بسيط لحدوث مضاعفات.

تجرى عملية استئصال المرارة بشكل أكثر شيوعًا عن طريق إدخال كاميرا فيديو صغيرة وأدوات جراحية خاصة من خلال أربعة شقوق صغيرة لرؤية داخل البطن وإزالة المرارة ، يسمي الأطباء هذ العملية باستئصال المرارة بالمنظار.

في بعض الحالات، يمكن استخدام شق واحد كبير لإزالة المرارة ، وهذا ما يسمى استئصال المرارة المفتوح.

استئصال المرارة ينطوي على خطر بسيط من المضاعفات : تسرُّب العصارة الصفراوية،

النزف، العَدوى، إصابة الأعضاء القريبة ، مثل قناة المرارة والكبد والأمعاء الدقيقة والأوعية الدموية ، مخاطر التخدير العام، مثل الجلطات الدموية والتهاب الرئة ومشاكل قلبية والأخطر الإصابة بمتلازمة ما بعد استئصال المرارة بي سي بسبب تسرب القنوات الصفراوية إلى المعدة .

المريض لا يتناول أي شيء في الليلة التي تسبق العملية ، يمكنه أخذ رشفة من الماء مع أدويته ، لكن يجب عليه تجنب الأكل والشرب لأربع ساعات قبل العملية على الأقل.

التوقف عن تناول أدوية معينة والمكملات الغذائية ، يستمر في تناول الدواء وفقًا لتوجيهات الطبيب ، سيطلب منه الطبيب التوقف عن تناول بعض الأدوية والمكملات الغذائية ؛ لأنها تزيد من خطر النزف. يعود معظم الأشخاص إلى المنزل في نفس اليوم الذي أجريتْ فيه عملية استئصال المرارة، ولكن قد تحدُث مضاعفات تتطلَّب الإقامة في المستشفى لليلة أو أكثر.

يتم إجراء التنظير البطني باستخدام التخدير العام ، بحيث لا يكون واعيًا في أثناء الإجراء ، يتم إعطاء أدوية التخدير عبر الوريد في الذراع ، بمجرد سريان مفعول الأدوية، يقوم فريق الرعاية الصحية والعملية بإدخال أنبوب عبر الحلق لمساعدته على التنفس ، يجري الجراح التنظير البطني باستخدام المنظار أو العملية المفتوحة.

أثناء عملية استئصال المرارة بالمنظار، يقوم الجرَّاح بعمل أربعة شقوق جراحية صغيرة في البطن ، يتمُّ إدخال أنبوب مزوَّد بكاميرا فيديو صغيرة في البطن من خلال أحد الشقوق الجراحية ، ثم يُتابع الجرَّاح شاشة فيديو في غرفة العمليات أثناء استخدام الأدوات الجراحية التي يتمُّ إدخالها من خلال الشقوق الجراحية الأخرى في البطن لإزالة المرارة.

بعد ذلك ، قد يخضع لأحد اختبارات التصوير، مثل الأشعة السينية أو الألترا ساوند (تصوير فوق صوتي) ، ثم يتمُّ خياطة الشقوق الجراحية، ويتمُّ نقله إلى منطقة التعافي والمتابعة ، يَستغرق استئصال المرارة بالمنظار من ساعة إلى ساعتين.

استئصال المرارة بالمنظار ليس مناسبًا للجميع ، في بعض الحالات، قد يبدأ الجراح بطريقة الجراحة بالمنظار ويجد أنه من الضروري إجراء شِقٍّ جراحي أكبر بسبب وجود نسيج ندبي

ناتج عن عمليات أو مضاعفات سابقة. أثناء عملية استئصال المرارة المفتوح، يقوم الجرَّاح بعمل شِقٍّ جراحي بحجم ١٥ سم في البطن أسفل الأضلاع على الجانب الأيمن ، يتمُّ سحب العضلات والأنسجة مرة أخرى للكشف عن الكبد والمرارة ، يقوم الجرَّاح بعد ذلك باستئصال المرارة. يتمُّ خياطة الشق الجراحي ، وبمجرد أن يذهب أثر عقاقير التخدير، يتمُّ نقل المريض إلى منطقة التعافي والمراقبة ، يَستغرق استئصال المرارة المفتوح من ساعة إلى ساعتين، ويختلف التعافي بناءً على نوع العملية. استئصال المرارة بالمنظار يكون المرضى قادرين غالبًا على العودة إلى المنزل في يوم إجراء العملية نفسه ،وبشكل عام يمكن أن يتوقع المريض العودة إلى المنزل بمجرد أن يستطيع تناول الطعام أو الشراب دون ألم والسير دون مساعدة ، ويستغرق التعافي التام نحو أسبوع.

عملية استئصال المرارة المفتوحة ، ينبغي أن يتوقع المريض قضاء يومين أو ثلاثة أيام في المستشفى للتعافي ، قد يستغرق الوصول إلى التعافي التام أربعة إلى ستة أسابيع. تساعد عملية استئصال المرارة على تخفيف الألم والانزعاج الذي تسببه حصوات المرارة ، في أغلب الحالات تمنع عملية استئصال المرارة حصوات المرارة من الظهور مجددًا. لا يواجه أغلب الناس أي مشاكل هضمية بعد استئصال المرارة وهي ليست أساسية في عملية الهضم الصحي.

أزيلت مرارة رندا بطريقة المنظار دون عملية جراحية ، ولما تحسنت صحتها عاد إبراهيم وزوجته وريم لبعنبس ينشرون خبر العملية وزوال الغمة ، وبقيت مشكلة الحمل وبقائه .

لم يثبت الحمل ، وحدث الإجهاض التلقائي ، فمن المعروف علميا ونسائيا أن الكثير من الحمل يسقط ، وربما لا تشعر به الحامل حتى تأتيها الدورة الشهرية ويسقط الجنين بسبب التشوه الخلقي للحمل ، ولأن الجنين يكون شيئا صغيرا في الشهور الأولى .

حدث السقط ، ولم تستطع أدوية التثبيت من إبقائه في رحم رندا ، فتحتاج إلى عملية تنظيف وشفط بقايا الجنين وأنسجة الرحم ، لأن الجنين يغذى ويتنفس عن طريق المشيمة (الخلاصة)

الحبل السري ، من دم الأم ، فدم الأمهات ينقل الغذاء والأكسيجين للجنين ، فالمعدة لا تعمل والرئة لا تعمل، القلب الذي يعمل حتى تتكون أعضاء الجنين مع الوقت ، فنقلت إلى أفضل مستشفى لمثل هذه العمليات لكن كان الأجل قد حل بها ؛ مما فاجأ جهاد ومحسن والطبيبة والمستشفى .

طبيا عملية توسيع الرحم وتنظيفه عبارة عن إجراء لإزالة الأنسجة من داخل الرحم ، يقوم الأطباء بإجراء عملية توسيع الرحم وتنظيفه لتشخيص ومعالجة أمراض الرحم ، مثل النزيف الحاد أو لتنظيف بطانة الرحم بعد الإجهاض التلقائي ـ كما حدث مع رندا ـ أو الإجهاض المتعمد. يستخدم الطبيب أدوات صغيرة أو دواء لتوسيع عنق الرحم ، وهو الجزء الأسفل والضيق من الرحم ، ويقوم الطبيب بعد ذلك باستخدام أداة جراحية يطلق عليها المِكحت لإزالة نسيج الرحم ، إن أدوات الكحت التي يتم استخدامها في عملية توسيع الرحم ونحته يمكن أن تكون حادة أو باستخدام أداة الشفط. قد يوصي الطبيب بالعملية لتشخيص الحالة مثل الإصابة بنزيف غير طبيعي بالرحم ، حدوث نزيف بعد انقطاع الطمث، اكتشاف الطبيب لوجود خلايا غير طبيعية ببطانة الرحم في أثناء الفحص الروتيني لسرطان عنق الرحم. يقوم الطبيب بأخذ عينة من نسيج بطانة الرحم ويرسل العينة إلى أحد المختبرات لفحصها ، فمن خلال الاختبار يمكن اكتشاف: فرط نسيج بطانة الرحم حالة محتملة للتسرطن تؤدي إلى جعل بطانة الرحم سميكة للغاية ، سلائل الرحم، سرطان الرحم.

يزيل الطبيب الجراح الأنسجة التي تبقى في الرحم بعد الإسقاط أو الإجهاض لمنع العدوى أو النزيف الحاد ، يزيل حملاً رحويًا، حيث يتكون ورم بدلاً من الحمل الطبيعي، يعالج النزيف الشديد بعد الولادة عن طريق إخراج أي جزء من المشيمة التي تتبقى في الرحم.

عادة ما تكون عملية توسيع الرحم وتنظيفه آمنة للغاية ، وتعتبر المضاعفات نادرة الحدوث ، وعلى الرغم من ذلك، فهناك بعض المخاطر ، وهذه تشمل: انثقاب الرحم ، يحدث انثقاب

الرحم عندما تؤدي الأدوات الجراحية إلى حدوث ثقب في الرحم ، ويحدث ذلك بشكل أكبر للنساء بعد الحمل بفترة قريبة وفي مرحلة انقطاع الطمث. تُشفى معظم الثقوب من تلقاء نفسها ، وعلى الرغم من ذلك، في حالة تلف الأوعية الدموية أو عضو آخر، فقد يلزم إجراء جراحة أخرى لإصلاحه. وفي حالة تمزق عنق الرحم في أثناء توسيع الرحم وتنظيفه يمكن للطبيب الضغط أو إعطاء المجهضة دواء لإيقاف النزيف، أو يمكنه إغلاق الجرح ببعض الغرز. يؤدي توسيع الرحم وتنظيفه إلى الإصابة بنسيج متندب داخل الرحم، وهي حالة يطلق عليها متلازمة شيهان ، تحدث متلازمة شيهان عادة عند إجراء توسيع الرحم وتنظيفه بعد الإجهاض أو الولادة. يؤدي ذلك إلى أن تصبح دورة الطمث غير طبيعية أو غائبة أو مؤلمة، أو حدوث إجهاض أو عقم في المستقبل. أو حدوث العدوى بعد توسيع الرحم وكحته أمر ممكن، لكنه نادر الحدوث. على المجهضة مراجعة الطبيب إذا عانت المريضة بعد توسيع الرحم وتنظيفه: النزف الشديد بحيث تحتاجين إلى تغيير الفوط الصحية كل ساعة ، الحمى، التشنجات المستمرة لأكثر من ٤٨ ساعة ، ألم يزداد سوءًا بدلاً من التحسن، إفرازات مهبلية ذات رائحة كريهة.

لإسراع عملية التوسيع ، يستخدم الطبيب دواء خاص يعطى عن طريق الفم أو المهبل ـ لترقيق عنق الرحم ، أو يُدخل قضيبًا رفيعًا مصنوع من اللاميناريا في عنق الرحم ، تتمدد اللاميناريا تدريجيًا ؛ مما يتسبب في فتح الرحم .

عند الخضوع لعملية التوسيع والكحت، سيتم التخدير ، يعتمد نوع التخدير على سبب إجراء عملية التوسيع والكحت. يؤدي التخدير العام إلى إفقاد الوعي وعدم الشعور بالألم، توفر الأشكال الأخرى من التخدير تسكين الألم بصورة خفيفة أو تستخدم الحقن لتخدير منطقة صغيرة فقط (التخدير الموضعي) أو منطقة أكبر حجمًا (التخدير الناحي) في الجسم.

يقوم الطبيب بإدخال أداة تُعرف باسم المنظار داخل المهبل ، كما يحدث في فحص عنق الرحم، حتى يتسنى له رؤية عنق الرحم. يقوم الطبيب بإزالة قضبان التوسيع وإدخال أداة على شكل

معلقة ذات حافة حادة أو جهاز شفط ويقوم بإزالة نسيج الرحم.

قد تقضي المريضة بضع ساعات في غرفة الإفاقة والمراقبة بعد عملية توسيع الرحم وتنظيفه حتى يتمكن الطبيب من مراقبة حدوث النزيف الشديد أو غيره من المضاعفات ؛ كما يمنحها وقتًا للتعافي من آثار التخدير. قد تستمر الآثار الجانبية الطبيعية لإجراء توسيع الرحم وكحته عدة أيام ، وتتضمن ما يلي: التشنج الخفيف، بقع دم أو نزيف خفيف. قد يقترح الطبيب تناول دواء للتخلص من ألم التقلصات وإزعاجها.يجب أن يبني الرحم بطانة جديدة بعد توسيعه وتنظيفه ، لذلك قد لا يحدث الحيض التالي في موعده .

وغمر الحزن محبي جهاد ورندا ، وصبر الرجل كما تعلم من دينه ، ونسب الموت غير انتهاء الأجل لخطأ طبي من الطبيبة التي أشرفت على تنظيف الرحم بسبب التلوث الذي حدث في الرحم والأدوية المنتهية الصلاحية التي أعطيت للمرأة لتسهيل عملية التنظيف.

قام جهاد بمساعدة محسن وإخوته ووالده بنقل الجثة إلى بعنبس حيث ولدت الدكتورة قبل أكثر من ثلاثين سنة ، دفنت في مقبرة العائلة ، وكان العزاء في بيت زوجها جهاد وشقيقه سالم.

ولما انتهى العزاء غادر لعمان ؛ حيث الأطفال الثلاثة عبدالله ومي وحبيب ومربيتهم والخادمة.

كان المهندس ينتظره في المطار الدولي ، ورافقه للفيلا ، وقال: كيف حدث هذا؟

قال جهاد : تهاون في استخدام الأدوية ، أدوية فاسدة لم ينتبهوا لفسادها أو قدمها إلا بعد حدوث الموت السريع ، والأدوية اذا فسدت تتحول لمواد سامة ، لما عادت للبيت بعد العملية تعبت جدا ، ونقلتها للمستشفى ، وكانت منهكة وفارقت الحياة قبل أن تدخل غرفة العمليات ، لا تكاد تصدق ، مضى الأمر سريعا والحمد لله على كل حال.. إنا لله وإنا إليه راجعون .. ونقول: «إن لله ما أخذ ولله ما أعطى، وكل شيء عنده لأجل مسمى، فلنحتسب ولنصبر» ونقول «إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا، وإنا بفراقك يا أم عبد الله لمحزونون»

قال: آلمتنا الحادثة يا أبا عبدالله ! الموت عندما يأتي لا يرده شيء ، ولا مجال لوقفه وكانت أختنا عظيمة لأسرتنا ، وكانت محبوبة من أمي وزوجتي .

قال جهاد : رحمها الله ، كانت هينة معي ، فلا أذكر أنها رفعت صوتها في وجهي أو اعترضت كانت مسالمة للغاية .. أنا تزوجتها عن طريق شقيقها إبراهيم ، عندما قررت الزواج ، قال : أختي ما رأيك ؟ فأخذناها وأختها معها لشقيقي سالم الأكبر مني.. وتنهد وقال : رحمك الله يا أم عبدالله ! لما حضر كما تذكر إبراهيم وشقيقتها وتخلصت من وجع المرارة ، قلنا زال الخطر ، فلم نستطيع تأجيل عملية المرارة ؛ لأنها متعبة .. وأنا أكثر نهاري في الجامعة ، والأخصائي قال: لن يؤثر إزاله المرارة على الحمل ، المرارة علاقتها بالجهاز الهضمي ، والرحم علاقته بالجهاز التناسلي، لا علاقة بينهما ، فتمت إزاله المرارة بعملية متوسطة ، فكان الإجهاض طبيعيا ، ولما حصل ذلك ؛ كما يحصل لملايين النساء ، وتلوث الرحم من موت الجنين ، عملنا عملية تنظيف للرحم ؛ لأن المرأة لو تركت ؛ ربما تؤثر على الحمل القادم ، فأعطيت أدوية فاسدة قديمة ، فحصل تسمم والتهابات حادة في الرحم أدت إلى الموت السريع.

وصلت السيارة للفيلا ، ونزلت الحقيبة، وقال محسن : هو في النهاية انتهاء الأجل ! رحمها الله ومتعك الله بالصبر.

قال: رحمنا الله جميعا ! القضية المهمة هؤلاء الأطفال بحاجة لأم ، فهم يعانون من فقد الأم .. فكيف لما أبدا الدراسة؟

جاء عبدالله ورفعه بحنان وقبله : ها هو عبدالله أصبح رجلا .. تعالي ميا ـ وأنزل الصبي ـ وقال : خذ الحقيبة يا عبدالله ! وعانق ميا .

قال: هل لو عادوا لبعنبس من فائدة ، وعاشوا مع خالتهم؟

قال جهاد : خالتهم طيبة مثل أختها ، وهي طبيبة أيضا ، وحتى لو تركت العمل يا أخ محسن فلا فائدة من بقائهم عندها .. سأتزوج الصيف القادم بعون الله .. لقد ناقشنا هذا الاقتراح في بعنبس .. فهو حل غير عملي وبلا فائدة ؛ لابد لهم من أم بديلة .

عام ٢٠١٣

اعلن في ٥ آذار في فنزويلا عن موت الرئيس هوغو تشافيز الاشتراكي المشاكس لأمريكا ، المعادي للإمبريالية ، والداعم لليسار ، والوفي للفقراء ، المحب لسيمون بوليفار محرر معظم دول أمريكا اللاتينية من الاستعمار الإسباني . قامت أمريكا عليه بانقلاب عسكري ، أفشله الشعب بيوم وليلة ، وكان مصابا بالسرطان ، ويعالج في كوبا ليتوج للمرة الرابعة حاكما لبلده وأجل التنصيب حتى يعود من رحلة العلاج ، والعجيب أن واحدا وثلاثين زعيما حضروا جنازته .

وفي الشهر نفسه تفاجأ العالم الكاثوليكي بتنازل بابا الكنيسة الكاثوليكية الألماني الأصل عن البابوية ، وأصبح مكانه كاردينال أرجنتيني بابا روما . المجمع المغلق هو الذي ينتخب البابا ، وهو الطريقة الرسميّة والمعتمدة منذ القرن الثاني عشر لانتخاب بابا الكنيسة الكاثوليكية ، وباتت تطلق على الخلوة الانتخابية الخاصة لانتخاب البابا ، نشأت طريقة المجمع المغلق، لحث الكرادلة ـ درجة ورتبة كنسية ـ على الإسراع في مهمتهم ، ومنعًا لإطالة فترة شغور الكرسي الرسولي ـ كرسي بطرس ـ وما يرافق ذلك من نشوء خصومات ومنافسات وتضعضع في الأجهزة الإدارية وفقدان الثقة ، وينظم شؤون المجمع المعاصر قانون خاص أصدره البابا يوحنا بولس الثاني عام ١٩٩٦ ، أما أقدم قانون فهو قانون الانتخاب الصادر عام ١٢٧٤ .

ومن الطقوس وبعد إشهار نبأ موت البابا يغطى وجه البابا بنسيج أبيض ، وتبدأ من كابيلا الغرفة البابوية القداديس لراحة نفسه ، وفي اليوم ذاته ، يتم تغسيل جثمان البابا وإلباسه الثياب الحبريّة ، وتوقد حوله أربع شمعات ، ويحرسه اثنان من الحرس السويسري ، ويقوم سكرتير البابا وهو أعلى سلطة مؤقتة في الكنيسة الكاثوليكية، بخلع خاتم الصيّاد الخاص بالبابا ، وإتلافه بحضور الكرادلة في القصر الرسولي لمنع توقيع أو تزوير أي وثيقة أو مرسوم.

عشية اليوم الأول لوفاته، ينقل الجثمان إلى الكنيسة السيستينية ، وتترافق الليلة مع القداديس المتوالية ، وحضور شعب روما، وتنظّم التقاليد والقوانين الخاصة لهذه المناسبة ، وفي اليوم

التالي ينقل الجثمان إلى كاتدرائية القديس بطرس تحديدًا إلى مصلّى القربان الأقدس ؛ حيث يعرض ثلاثة أيّام كاملة أمام شعب روما ، في حين يختم باب غرفة البابا بالشمع الأحمر ، وتغلق نوافذه علامة الحداد، وينشر على باب الكاتدرائية إعلان كبير بالأسود والأبيض ينعى البابا إلى شعب روما، وتنكّس الأعلام الفاتيكانية والإيطاليّة.

ينعقد المجمع الانتخابي بعد خمسة عشر يومًا من وفاة البابا ، هي أيام الحداد الرسمي على البابا الراحل ، يقوم عميد المجمع مع اثنين من مساعديه، بتلاوة قانون الانتخاب لعام ١٩٩٦ على الكرادلة ، وتذكر تفاصيل طريقة انتخاب الحبر الأعظم ، والمراسيم المرافقة للعملية بإسهاب ، الفترة السابقة للمجمع تستثمر أيضًا في عقد التحالفات بين الكرادلة من جهة ، ووصول كرادلة الأقطار البعيدة من جهة ثانيّة ، ينعقد المجمع في الكنيسة السيستينية ، تطلى عادة نوافذ الكنيسة لمنع إرسال أي إشارات من الخارج ، وتركب أجهزة تشويش لتعطيل أدوات الاتصال والتنصّت بمختلف أنواعها، ويتولى الحرس السويسري تفريغ المكان سوى من الكرادلة ومعاونيهم، ولا يسمح بإدخال أي شيء لهم خلال انعقاد المجمع إلا الطعام والشراب ، يحق فقط لسكرتير البابا ورئيس الاحتفالات الرسولية وراهب للاستماع إلى الاعترافات ، وطبيبات والعدد الكافي من الخدّام الكنسيين البقاء داخل الفاتيكان خلال فترة انعقاد المجمع ، أما إقامة الكرادلة فتكون في القصر الرسولي الذي يغلق بدوره أيضًا.

يتجه الجمع ـ عدد الكرادلة إلى سبعين ـ نحو الكنيسة السيستينية وراء الصليب تستمر الصلاة حتى يأخذ الكرادلة أماكنهم ، فإذا ما تم الأمر يطلب رئيس المجمع خروج غير الكرادلة الناخبين وإغلاق الأبواب بعد حصر الموجودين ، والتأكد من هوياتهم، وبعد الانتهاء من هذه المراسيم، يقسم الكرادلة واحدًا تلو الآخر على احترام البابا المنتخب ، والامتثال لأوامره وعدم إفشاء أي سر يخصّ المجمع ، وقسم آخر يتعلق بعدم إدخال السلطة المدنية ، لا عن طريق المنع أو النقص أو التمني في عملية اختيار الحبر الأعظم ؛ حيث يكون كأس القربان موضوعًا ومغطى بصحن القربان، ويجب على كل كاردينال رفع الصحن وإبراز

الورقة الانتخابية فوق رأسه مرددًا : المجمع المغلق يشهد السيّد المسيح الذي سيدينني، أني أنتخب الذي أرى أمام الله من واجبي انتخابه.

ويلقي الرقعة في الكأس ، ويعيد الصحن إلى ما كان عليه ، يتم إحصاء عدد الأصوات، للتأكد من مطابقتها عدد الحاضرين قبل الشروع بالفرز، وكلما فرزت ورقة ثقبت وأدخلت في خيط ، فإذا لم يحقق أحد الكرادلة الأغلبية المطلوبة تلف الأوراق بشكل إكليل ، ويحرق كل دورتين في موقد مضافًا إليه موادًا خاصة فينبعث دخان أسود من فوهة الموقد على سطح الكنيسة، إشارة إلى فشل انتخاب البابا ، وعندما يتم انتخاب البابا، فإذا قبل يسأل عن الاسم البابوي الذي يختاره ، يتبادل المنتخب التهاني مع الكرادلة ، أما عميد المجمع فيحرق الأوراق الانتخابية مع مواد خاصة حينئذ ينبعث دخان أبيض من المدخنة إخطارًا بانتخاب البابا، يترافق ذلك مع قرع أجراس الكاتدرائيّة وكنائس روما احتفالاً ، وبعد انتهاء تجمع الحشود يطلّ أحد أساقفة الفاتيكان أو الكرادلة أو عميد المجمع ليعلن انتخاب البابا، ويبدأ بالعبارة التقليدية باللاتينية: "إني أبشركم بفرح عظيم، لقد أصبح لدينا بابا"، وبعد الإعلان بهذه الطريقة ، يخرج المنتخب يتقدمه الصليب ويحي الجموع ويلقي البركة التقليدية الأولى مع الصلاة التقليدية . في اليوم التالي للانتخاب ، يحتفل البابا بقدّاسه الأول في الكنيسة السيستينية بحضور الكرادلة فقط ، ويتم في القداس إلقاء الكرادلة بشكل علني قسم الطاعة للبابا الجديد وكذلك يلقي البابا عظته الأولى التي يذكر فيها عادة سبب اختيار اسمه البابوي.

لقد كان لزعيم الكنيسة في العصور الوسطى الكلمة الطولى في تثبيت الملوك وخلعهم ؛ مما دفع الثورة الفرنسية الشهيرة لشطب الكنيسة ، وظهور العلمانية بفصل الدين عن الحياة والحكم والاقتصاد ، ونشبت حروب أهلية في بلدان أوروبا ومستعمراتها وانتهت بالحرب الكونية الثانية. واستمر الصراع بين الكنسية والعلم حتى تفتق عن الشيوعية والاشتراكية ضد النظام الرأسمالي ، ظهرت الشيوعية عدوة للكنسية في القرن التاسع عشر، وانتصرت الشيوعية في روسيا القيصرية والصين وكوريا وفيتنام ، وفي دولة كوبا وغيرها ، ثم ماتت الشيوعية في

التسعينيات من القرن العشرين ، وقتلت الملايين باسم الحرية ، وهي ضد الحرية ، وباسم الاستقلال ، وهي أشد استعبادا وظلما للعالمين ، والسعي للحكم في كل مكان نبتت فيه ، وفي كل دولة شكلوا حزبا ، وحكموا اليمن العربي الجنوبي .

كانت شعارات يضحكون بها على الناس ، لا أثر لها على الأرض إلا على أصحاب الأهواء ، فلا يكاد قطر عربي وإسلامي يخلو منهم ، حتى في دول الخليج لهم أنصار وأعوان ، وإن لم يظهروا في تكتل علني ، وهم قلة لمجموع السكان ؛ ولكن أقلامهم وألسنتهم تفح من السموم ويتاح لهم الكثير من المجلات والصحف التي لا يقرأها إلا هم .

وظهرت في الولايات المتحدة فضيحة تجسس هزّت أمريكا بقيام وكالة الأمن القومي بالتجسس على الشعب الأمريكي في عهد الرئيس الأسود أوباما .

في أيار نشبت مظاهرات في تركيا ، استمرت حتى آب ، تسعى للإطاحة بحكومة أردوغان والعدالة . وأخطر ما حدث في العالم العربي انقلاب عسكر مصر على الرئيس المنتخب محمد مرسي بانقلاب مفضوح، زعموا أنها ثورة ٣٠ يونيو ، ثم تبع ذلك مذابح رابعة ضد أنصار مرسي ، تورط فيها الجيش والشرطة ، هزّت الكون فظائعها ، وبينت خبث العالم ضد الحرية والاستقلال .

وفي حزيران أنهى جهاد نجيب الفصل الثاني من السنة الأولى من الدكتوراه ، وقفل عائدا لأرض الوطن، وهو يترحم على زوجته التي فارقت الدنيا إلى الأرض السفلى في مطلع العام .

عم الحزن العالم العربي والربوع المصرية على مجازر ورثة جيش أكتوبر عام ١٩٧٣ وحزن الناس وخابوا ؛ لأنهم كانوا يرجون ويأملون الخير من ثورات الربيع العربي ، وخاصة ثورة الجدعان في مصر . والثورات عادة تواجه الردة من أعوان النظام السابق ، ووضعت في دواليبها العقبات والمعوقات بما يسمى بالثورات المضادة ، وصراعات حادة في اليمن وليبيا لإحباط الثورات .

كانت أحداث منصة رابعة المصرية ودموية الانقلاب المصري صدمة للشعب العربي والمصري

رغم ما سبق وعلم من دموية ناصر ، وفتكه الشديد بالإخوان المسلمون ، أظهر وبان الانقلاب الجديد عن حقد ودموية أكثر .. لماذا ؟ الله اعلم! لكن الأيام والتاريخ سيظهر الحقائق .

****

حل جهاد في أول أسبوع من تموز في بعنبس ، وبعد زيارة خاطفة لعمه حبيب كانت أول زيارة لوردة التي وضعت مولودها الرابع في شهر أيار ، وكانت حديث العائلة والأصدقاء بعد موت رندا أمجد محمد . احتضنت أخاها ، وهي تبكي وتدعو، فقبلها من رأسها وقال : تذكرت رندا !

نقلت رأسها عن صدره وقالت : تذكرت أم عبدالله الحبيبة رحمها الله.

قال جهاد : لله ما أخذ ، ولله ما أعطى ، وكل شيء عنده بأجل مسمى يا أم جوهر الحمد لله على سلامتك .. و مبارك المولود حبيب .

فقد سمت ابنها حبيبا على اسم عمها سيد العائلة المحبوب منها ، ومن إخوتها ، وجهاد سمى ابنه الأخير حبيبا تعبيرا عن عرفانه بحب مربيه .

وانتقل حاضنا ملتزما لابن عمه عصام مهنئا بالمولود ، وبعودة صحته المفقودة إليه وبعد تعانقهم جلسوا ، وقد أحضرت المربية المولود ليراه خاله ، فتناوله وقبله ورقاه برقية إبراهيم ، وأخذه عصام وقبله وأعاده للمربية ، ووضع جهاد نقوطا في يد أخته الكبيرة سنا ومقاما ا، فقالت: بارك الله فيك ! ماذا أفعل بها ؟

قال جهاد : تصدقي بها عنه .

قالت وردة : أحسنت ! دائما أنا وعصام في سيرتك والدعاء لك بكل خير ، وأن يرزقك الله امرأة مثل أم عبد الله.

قال جهاد : جزاكم الله كل خير . تعال يا جوهر ما شاء الله ! رجل حبيبي والتزمه وقبله ـ وأعطاه مالا كهدية ـ اشتري بها قصصا .

قال: شكرا خالي .. أنا بحبك جدا .. ماما تحبك .

قالت وردة : وبابا!

قال: بابا أيضا .

قال جهاد : تعالي ميا تعال يا محمد ! رفع محمدا وميا عاليا، قبلة هنا وقبلة هناك : حلوين يا أولاد ! رائعون !

وأنزلهما وأخذتهما المربية ، وأراد جوهر الانصراف ، فقال جهاد وهو يمسك بيده : أنت اليوم رجل العيلة ! عليك أن تجلس معنا ؛ لتتعلم عاداتنا .

نظر لأمه ، وعيني والده ، فقالت وردة : أطع خالك .. أنت اليوم رجل ـ وضمته لصدرها ، وربتت على ظهره ـ حبيبي جوهر.. ما دام خالك قال عنك رجل خلاص لازم تقعد معنا صح يا عصام!

قال عصام بحماس : صح ، اجلس يا ولدي! تفضل بالجلوس أبا عبدالله.

قال جهاد : كيف أنت وجدك حبيب ؟

نظر لوالديه وقال: جدي صديقي بحق .. أنا بحبه مثلكم ، لا يراني إلا ويضع في جيبي مالا.. فأقول عند بابا وماما كثير.. فيقول هذا أفضل من جدك المحب لك ، ويضمني لصدره .

قال عصام : أبي يحب أن يشتري لهم الثياب ، ويطلب منا أن نتصدق بالمستعمل .

قالت وردة : عمي غالي على قلبي مثلك يا جهاد ! كم خسرت من عمري وأنا أجهله ؟! .. كنت حمقاء!

قال عصام : وأنا مثلك يا حبيبتي ! كنت وأنا شابا أتعجب من تعلق سالم وجهاد بأبي ، ويسمعان إرشاداته وتوجيهاته أكثر مني .. يذهبان للمسجد يا وردة ! وأنا أميّل على أقرب مطعم أشرب كولا ، وأدخن حتى يعودا من الجامع ، وأرجع معهما ؛ كأنني صليت معهما ، فيقول الحاج : صليت يا عصام ! وهو يعرف كذبي ولكنه يقول : حسنا ! ستصلي ، فأنا لما

أتذكر تلك المشاهد يا جوهر أضحك من نفسي ، فمرة قلت لسالم أو جهاد كيف عرف أنني لم أذهب معكم للجامع؟ فيقول أحدهما : من رائحة الدخان ، ومن بقايا الطعام على صدرك .

قالت : الحمد لله الذي تداركنا يا عصام ! حبيبي كيف الدراسة والدكتوراه ؟

قال جهاد : الحمد لله ، أنهيت السنة الأولى بنجاح ممتاز .. المواد مكررة ..القانون له مفهوم واحد في نظري، وأسماء تتغير .. كيف أنت دكتور عصام ؟ جميل أن تتذكر تلك الصور .. أنا نسيتها.. أنت الابن ،ونحن أبناء الأخ .. وكان والدك لا يحب أن ننقل له أخبارك ، حتى لا تنظر إلينا كجواسيس ، وتقع الأحقاد والكره بيننا .. هذا قاله لي ولسالم ؛ فلذلك لم يحب أن يسألنا عن أفعالك .

قالت وردة : يا الهي أدمعت عيناي يا جهاد!

ابتسم وقال جهاد : نعم ، عمي مثقف ، وقال لنا : حركات المراهقين معروفة ، والله يقول {فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ} فلا داعي لينظر لكم عصام بسوء ، والأب الحقيقي يعرف طباع ابنه وابنته ، لا تحتاج لفهلوة ودراسات علم نفس ، قال الشاعر طرفة:

عنِ المرْءِ لا تَسألْ وسَلْ عن قَرينه ... فكُلُّ قَرينٍ بالمُقَارِنِ يَقْتَدي

وقال غيره:

عن المرء لا تسأل وأبصر قرينه ... فإنّ القرين بالمقارن مقتدى

غير لفظ وسل بـ وأبصر.

قالت وردة : سبحان ربي ! عمي فعلا مثقف ومربي حكيم! هذا قيل قبل الإسلام يا جوهر ! أنت حفظتها يا جهاد من تلك الأيام .

قال جهاد : فهمت معناها ، ولما كبرت حفظتها ؛ لذلك عصام ما كرهنا يوما حسب معلوماتي ؛ لأنه مهما فعل أمامنا لا نتحدث لأبيه ، ولا أبوه يسألنا.. كان مطمئن من ناحيتنا .

قال عصام : كنت أدهش لماذا وجه الاستفسار لي بدلا منكم ، ما دام يرغب بمعرفة أفعالي ؟

قالت: عمي مدرسة في التربية ، نتكلم عن جدك يا عيون أمك !

قال: أسمع جيدا منكم .

قال جهاد : ذكرنا بتلك اللحظات حبيبنا أبا جوهر! كيف أنت يا جوهر ؟ أين ستقضي العطلة السنة ؟

قال بانفعال : سنذهب كما تقول ماما إلى مزرعة جدي شي كم يوم .

قال جهاد : ممتاز فواكه الصيف بدأت تملأ الأسواق ، والله فكرة قد آخذ الأولاد إليها ما رأيك يا جوهر؟

قال: أهلا وسهلا .. متى سيزورنا عبدالله ومي وحبيب ؟

قال جهاد : خلاص لما تروحوا المزرعة نرافقكم ليلة ، والأولاد سأتركهم معكم ما عدا حبيب ؛ لأن عمي طلب مني عندما سلمت عليه أن أذهب بهم للمزرعة يا جوهر !

قال عصام : سنذهب جميعا، وسأطلب من أبي ياسر تنظيف القصر .

قال جهاد : اعتقد أن العم فعل ذلك خاصة الطابق الثاني ، فالطابق الأول دائما نظيف ؛ لأن العم يقدم الطعام والضيافة فيه .. نحن سنحل بالطابق الثاني .

قالت وردة بحزن وعطف : لابد لهم من أم يا أبا عبدالله !

قال عصام : كما قالت أختك ، ألم تجد لك زوجة عمانية ؟

ضحك وقال : لا أرغب بزوجة عمانية .. وكلهم خير !

قالت: تحدثت مع زوج جريدة .

قال جهاد : ما أخبارها ؟ هل حملت؟

قالت وردة : سعيدة بزوجها ! وتقول إنه الرجل المناسب ، وهو من ناحية الصحة الجنسية سليم ، وهي تتعالج ، والدكتور سعيد وزميلاه يتابعون تركيب الوصفات لها ، ويأملون أن تثمر مع الوقت ؛ كما حصل لي ولحبيبي أبي جوهر ! وربتت على أكتاف جوهر .

قال جهاد : وفقكم الله .. على الإنسان أن يسلم أمره لله مع الأخذ بالسبب والتوكل عليه سبحانه ، سأتعشى الليلة مع العم أنا والأولاد وأثناء تلفون بيني وبينه قبل حضوري لبعنبس

حدثني عن زوجة .

قالت : رائع ! الرجل يصعب عليه العيش بدون زوجة .

قال جهاد : في الغالب ، الحياة تعوّد ، يبلغ الشاب هذه الأيام الثلاثين وأكثر ، ولم يتمكن من الاقتران ، حدثني عن ابنة صديق عزيز وجار في بنت الباشا ، ومنذ سمع الرجل بموت أم عبدالله ، وهو يلح عليه بالمصاهرة ، عارف يقول حوله صبية في المؤسسة قد تصلح أن تكون أما لأطفالي ، فأخبرته بطلب العم ، فقال العم أولا .

قال عصام : حدثنا عنها يا وردة عروسة المؤسسة.

قالت: أذكر ، وقلنا لما يرجع يحلها الله .. أنت بحاجة إلى امرأة مثل زوجة أبي محمد شقيق رندا ، عندما اختار أما لولده محمد.

قال جهاد : ما أخبارهم ؟سمعت ...

قالت وردة : تمام ! مات اللواء خميس ؛ كما سمعت ، وقال الدكتور إبراهيم استفادت من تجربتها القاسية مع الطلاق.

قال عصام : حضرنا الدفن والعزاء رحمه الله .

ليلا دخل جهاد بيت عمه حبيب وتحابا ، وسلم على زوجته ، واطمئن على صحتها ، فزوجة عمه بهدوئها وقلة كلامها يشبهها جهاد بقرينته الراحلة ، لا تتكلم إلا اذا سئلت حتى وردة قريبة منهن بهذه الصفة .حضر سامي وزوجته وأطفالها وتنالوا جميعا الطعام على مائدة المهندس حبيب عارف .

فقال جهاد وهم ينتقلون لصالة البيت الواسعة : جوهر صار طويلا يشبه أباه يا عمي .

قال حبيب : صبي قليل الكلام ؛ لكنه فهمان وفطن وعاشق القراءة !

قال جهاد : اليوم عصرا مررت عليهم ، وسمحت له بالجلوس معنا ، وقلت له أنت كبير يا جوهر! في الصف السادس ، فانبسط وتطلع في وجه والديه فقالوا افعل ما أراد خالك .. هذا

الوالد أحببته جدا!

قال حبيب : طيب جدا ؛ ليس كابني عصام ..مرة كان هنا قلت أتحب السينما يا جوهر؟ قال : لا ، مرة في المدرسة عملوا لنا مسرحا مدرسيا طلبوا مني المشاركة رفضت مع أنهم يا جدي ! يمثلون قصصا قرأتها ، فقلت له لماذا ؟ قال أحب قراءة القصص التي يأتينا بها خالي جهاد .

كان سامي قد بنى قصرا صغيرا بجوار أبيه في أراضي أبيه ، واعتبره لأبيه ، فقبل حبيب ذلك ، حتى عندما يتوفاه الله يكون لجميع الورثة ، فقبل سامي الشرط ؛ ليكون بجوار الوالد ، فلذلك كلما يكون خاليا من المراجعات يسهر مع والده وزوجة أبيه ، وعمته فاطمة التي تسكن في بيت مستقل مع أبيه ، وبجوارها ابنتها منى ، وزوجها خليل ، وابنها المهندس محمد تعشوا على المقسوم كما يقال ، وانتقلوا للصالة ، وتحدثوا عن أحوالهم وظروفهم ، وعن عمان وأخبارها ، وذكروا ولادة وردة بدون الحمل الصناعي ، وشكروا الله على صحة عصام ، وتمنوا لجريدة الحمل ليرتاح بالها ، وتعود لمرحها المعهود .

قال سامي بعد صمت : هل حدثك أبي عن ابنة صديقه الباكستاني العميد عبد المحسن خان؟

قال جهاد بدهشة ، فالعميد جار لعمه في الحي : عبد المحسن خان عنده بنات في سن الزواج!

قال حبيب : كما تعلم هو مهندس عسكري .

قال جهاد : كثيرا ما التقيه عندك في هذه الغرفة.

قال حبيب : وهو يعرفك حق المعرفة ، وهو له زوجتان من جنسيته ، هؤلاء يحبون أن يعطوا بناتهم لبعضهم البعض إلا ما شذ وندر ، وأحيانا يرسلون أبناءهم ذكورا وإناثا للزواج من وطنهم باكستان ، تقاليد وعادات متوارثة ، كما يفعل بعض الناس المهاجرين في الغرب تأتي بناتهم في الغالب للزواج من أقاربها هنا .. فالمهندس عبد المحسن له امرأتان ، الزوجة الأولى تسكن بجوارنا ، وكل ذريتها تزوجت ثلاثة أولاد وبنت.

قال سامي مكملا عن أبيه : والثانية عكس الأولى ، ثلاثة بنات وذكر ، وهو الأصغر ويدرس في الجامعة .. بنتان متزوجتان وظلت الأخيرة ، فيرغب والدها بتزويجك إياها .

قال حبيب : والرجل صديق وجار قبل أن تولدوا ؛ لأن في بلادنا وبلاد الشام والحجاز والعراق تجد الكثير من العائلات الهندية منتشرة فيها ، وكان سبب زواجه قديما مرض الأولى فتزوج ابنة ضابط باكستاني مثله ، وولدت هؤلاء الأربعة وهي سيدة فاضلة .

قال جهاد سائلا : متعلمة ابنته !

قال حبيب : أولاده من الأولى جارتنا في حي بنت الباشا متعلمون ، اثنان منهم تزوجوا في باكستان ، ويعملون هناك في الجيش الباكستاني ، وابنتها الوحيدة والولد الثالث متزوجون كذلك .

قال سامي : الزوجة الثانية زوجت البنتين كما قلت ، والصغير يدرس في الجامعة وأعزب ، والبنت العزباء تدرس في الماجستير ، درست فيزياء ، ولم تعمل، ترغب مثلك بالدكتوراه ؛ لتعمل معيدة في الجامعة ، فلها عم عميد جامعة برفسور فيزياء

قال جهاد : ما شاء الله!

قال حبيب : أسرة محترمة وجيرة طيبة ! وهو منذ سكن حينا ، ونحن أصدقاء ، لما ترملت وماتت سليمة ـ رحمها الله تعالى ـ ذكر لأبي رغبته بمصاهرتنا على خلاف تقاليدهم التي درجوا عليها.

وتابع حبيب فقال: قديما رغب بمصاهرة سامي ؛ لكنّساميا كان راسما على هناء ما رأيك؟ أولادك بحاجة لأم ؛ كما أنت بحاجة لقرينة .

قال جهاد : ابنته ما قولها أولا ؟

قال سامي : سنسألها بالتأكيد .

قال جهاد : أي سنة في الماجستير ؟

قال حبيب : اسمها جنة ، أنهت البكالوريوس ، وسجلت في الماجستير فورا ؛ ربما أنهت السنة الأولى يا أبا عبدالله!

قال سامي: طموحها ؛ كما سمعتها تقول هنا ، العمل في الجامعة ، يبدو أن عمها عبد القدير

يشجعها على ذلك.

قال جهاد : مثلي إذن !

قال حبيب : الوالد راغب بذلك، والبنت تعاملني كوالدها قبل موت أم عبدالله واعتقد أنها تعلم رغبة والدها بمصاهرة أسرة عارف ، فاذا لم يكن عندك أخرى نذهب ، وترى الصبية وتتحدث معها عن الأولاد والأم البديلة .. أنت كما ذكرت بحاجة إلى أم أكثر من زوجة .

قال جهاد : الوقت ضيق، وسأتزوج بعون الله هذا الصيف يا عمي.. فلتأخذ لنا موعدا قريبا حتى اذا لم يحدث النصيب نبحث ونرى غيرها .

قال سامي: خير البر عاجله .

ذهب حبيب وسامي وجهاد إلى بيت عبد المحسن في حي خالد القريب من حي الساعة في نفس الشارع الرئيس شارع الساعة .

استقبلهم القائد عبد المحسن وزوجته وابنه صديق طالب القانون ، تقدمهم العميد الطيار إلى قاعة الاستقبال ، وهو وزوجته يرحبان بهم ، ولما جلسوا حضرت جنة ، وألقت السلام عليهم وجلست بجوار أمها.

فقال حبيب وهو يشير إليها : هذه يا أبا عبدالله جنة بنت صديق العمر الجار المحترم عبد المحسن خان .

وقال متابعا التعريف : وهذا هو ابني العزيز جهاد أبو عبدالله الذي ترمل في مطلع هذا العام ، وحدثتكم عنه آنفا ، وهو يدرس الدكتوراه في مدينة عمان الغالية .

قالت أمها لجنة : أهلا بالدكتور الغالي شرفتمونا ونوّر البيت بوجودكم .. أهلا حبيبنا أبا عصام .. هذه ابنتي أنهت الدرجة الأولى من الجامعة ، وبدأت في الدرجة الثانية في نفس تخصص الدرجة الأولى .

فقال سامي : وابن عمي أنهى السنة الأولى دكتوراه في القانون في الجامعة الأردنية وهي من

فضليات الجامعات في العالم .

حضرت القهوة وتناولتها جنة من الخادمة ، وقدمت لوالدها ، فأشار أن تبدأ من عند أبي عصام ، ولما وصلت لجهاد رفعت صوتها : تفضل دكتور أبا عبدالله .

قال جهاد : شكرا لك يا آنسة جنة !

قال حبيب : جنة لسانها العربي مثلنا يا جهاد ! وطبعا تتكلم بالأردية لغات بلاد الهنود قبل التقسيم الاستعماري.

فقال جهاد متبسما : تقبلين الزوج العربي.

قالت : نحن ولدنا هنا ، وباكستان نزورها باستمرار ، فيها قبائل أصلها عربي ؛ بل عندنا بقايا الخلافة العباسية وهاشميون .. فأبي وأمي ولدا في هذه الديار ، نحن في الغالب نتزوج من بعضنا بعضا ؛ ولكن نأخذ ونعطي العرب ، لن نكون الحالة الفريدة اذا قدر الله ذلك ، فلما تكثر البنات في العائلات يزوجونهن للعرب وغيرهم .. نحن مخلصون لأزواجنا يا عمي حبيب!

قال حبيب : هذا مشهود ، حتى كنا نسمع أن الزوجات كانت تحرق مع الأزواج في بلاد الهند.

قال عبد المحسن : طقس قديم عند الهندوس والبراهمة ، لا أدري بالضبط ! نعم سمعنا بذلك.. والحرق للميت عند الهندوس ديانة وتقرب للآلهة البقرية والأوثان.

قالت جنة: أنا أحب عمك كثيرا يا دكتور ! وهو يعلم ذلك قبل أن نتحدث في هذا الأمر .. لم يهبط علينا الحب فجأة !

قال حبيب مسرورا : وأنا محب لك ولأهلك يا بنية !

عادت تقول : أنا لا أقول لكم مثل بنات بلدكم أمري لأمي وأبي أنا تركت الأمر إليك .

ضحكوا وقال جهاد : تصلين وتصومين يا أستاذة جنة !

قالت أمها كأنها محتجة : هذا سؤال يا أبا عبدالله ! نحن في الباكستان انفصلنا عن الهند عام ٤٧

من أجل الدين والإسلام .. أنا والدي من جنرالات الانفصال والاستقلال ..وسعى بعض زعمائنا تقليد زعيم تركيا أتاتورك في العلمانية ، لقد ترك عداءه للإسلام حب العلمانية في نفوس أنصار العلمانية في بلاد الإسلام كلها.

قال سامي : الدكتورة قامة إعلامية ، وابنتها جنة صحفية كهواية ، تكتب مقالات صحفية .

قال جهاد : صحفية كيف؟

قال عبد المحسن : ليست صحفية بشهادة ، هي تحب الكتابة للصحافة والمجلات وهي مثلك محسوبة على التيار الإسلامي .

قال حبيب: أمها مرحبة بك زوجا لابنتها كأبيها ، وهي تعلم أن لديك ثلاثة أطفال ، والبنت ها هي تركت الخيار لك ، وها أنا أقول قدام صديقي عبد المحسن أبي نزار أن الأمر إليك ، وأعطوه فرصة يفكر ؛ فهو حقيقة راغب بالزواج خلال الصيف لتصحبه قرينته إلى عمان .. وهذه أول امرأة يقابلها من أجل هذه الغاية النبيلة .

قال الأب : بارك الله فيكم ، فالمهندس حبيب جار العمر وصديق غالي ، وهذه بضاعتنا يا دكتور جهاد ، ونحن كما قالت أم صديق نشرف بصحبتكم ونسبكم .

فقال : أمهلوني يومين .

قالت جنة : أسبوع .

قال جهاد : شكرا لكم ولحسن ضيافتكم ومصاهرتكم.

دعا عارف شقيقه جهادا وزوج جريدة الدكتور احمد وجريدة على العشاء في منزله بمناسبة عودته من عمان والسفر. التقى الجميع في بيت عارف ، فقامت جريدة عندما دخل جهاد تهرول نحوه وعانقته ؛ كما تفعل وردة ، وقبل رأسها ويدها ، وفعلت مثله ، وقال : كيف أمورك مع أبي نبيل؟

قالت : الحمد لله .. كيف العروس؟

ابتسم ، وسلم على الدكتور احمد معانقا ، فهم أصدقاء قبل زواجه من جريدة : كيف أنت وأختي الصغيرة ؟

قال: الحمد لله .. عسل يا أحلى صديق !

تعانق مع عارف عناقا دافئا ، رحبت روز بجهاد وتناول محمدا مقبلا ، وسألت عن الأطفال

فقال : عند خالتهم جارتي .

كان عارف قد زار جهادا في بيته ودعاه ، وسمع منه نتيجة زيارة المهندس عبد المحسن .

جلسوا على مائدة عارف وروز يأكلون ويتكلمون حتى انتهوا ، فانتقلوا لغرفة الجلوس ، وكانت أمامهم الفاكهة ، وأكواب الماء والعصير ، ناولت روز زوجها حبة دراق ، وقالت : أعطها لجهاد ، وثانية لأحمد ، وثالثة لجريدة ، ثم قالت بحياء : من مزرعة عمنا الحاج أبي عصام .

قال عارف: اليوم أبو عصام أرسل لنا خالدا بصناديق الفاكهة الدراق والخوخ .

فقالت جريدة : بعث لنا .

فقال جهاد : وزع على كل أفراد الأسرة والعنب .

قالت روز : والعنب حتى أمي بعث لها ، اتصلت تشكر عارف ليشكر عمه .

حضرت زوجة جهاد المجلس وترحموا عليها ، وسألت جريدة عن جارة عمها حبيب.

فقال : رأيتها ليلة أمس .. هندية عفوا باكستانية.

قال احمد : الهند والباكستان في الأصل بلد واحد.

قال جهاد : قابلت ابنة عبد المحسن ووالديها ، فهو صديق عمي من عشرات السنين ، البنت غاية في الذكاء ؛ ربما أكثر واحدة تحدثت في المجلس ، وجريئة أخشى أن لا تحسن معاملة الأولاد ، العائلة غاية في الأدب ، والدها طيار مهندس طيار برتبة عميد متقاعد من قريب ، شقيقه برفسور في الجامعة في عنبس عالم فيزياء ، والبنت أنهت بكالوريوس علوم الفيزياء ، ولا ترغب بالعمل كمدرسة .

قالت : ماذا ستعمل ؟ ربة بيت.

قال جهاد : هي تخرجت من سنة ، وسجلت للماجستير ؛ متأثرة بشقيق أبيها ، راغبة بالعمل مدرسة جامعة ، عمها عميد كلية العلوم.

قال احمد : عرفته ، نعم ، هو في جامعة عنبس الأولى الدكتور عبد القدير خان رجل عظيم عرفته ، والتقيت به ، وهو يعرفني بحكم عملي عميد جامعة في بعنبس.. بس زمان ما التقينا عالم فيزياء ، وله بحوث حول الطاقة النووية.

قال جهاد : البنت حيوية ، ولها نشاطات صحفية وإعلامية ، فأمها كانت دكتورة في كلية الإعلام ، وأنا لا أرضى أن يحدث مع الأولاد مما هو شائع عن زوجة الأب في المسلسلات المصرية.

قالت جريدة : كلامك يدل على ميلك إليها .

قال جهاد : أنا أتكلم عنها بصدق ، وأنا كما يقول عارف اذا قال عمي شيئا أستحي أن لا أنفذه ، وهذه رغبته ، وإلا ما رافقني ، فلما ذهبنا لرؤية رندا ذهب معي ، وحصل المقدر .

قال عارف : ما دام أبو عصام راغبا بها لك فتوكل على الله .

قال جهاد باسما : وأنا أقول ذلك يا دكتور احمد ! ماذا في بطن امرأتك يا عارف؟

قال عارف : بنت إن شاء الله ! روز راغبة بتسميتها وردة .

قال جهاد مداعبا : على ذلك ستتحصل على نقوط كبير يا روز!

قال عارف : رشحت أنا اسم زكية .

قالت جريدة : وردة أحلى ، حتى لا تطلع على أمنا يا عارف ! يقولون الأسماء تؤثر على المسمّين.

قال جهاد : بالسلامة يا أم محمد .

قدمت الشكر بهزّ الرأس ، وبارك احمد ، وقال : يعني ستتزوج هذا الصيف.

قال جهاد : نعم ، قبل السفر .

قالت جريدة لروز: والمدرسة!

قال عارف : فتحت لها حسابا خاصا لتسحب منه بدل التعليم.. الحمل متعب يا جريدة ! جربنا أثناء حملها بمحمد .. هذا الحساب تسحب منه كما تشاء .. عقبال عندك ، وأنتم ماذا فعلتم؟

قال احمد: الأمور تسير إلى الأفضل بفضل الله .. وأخونا سعيد يرى أنها ستحمل بإذن الله .. بس مع الوصفة تكثر من الاستغفار والدعاء ، وتلزم الهدوء ، ولا تستعجل الإجابة .

قالت جريدة : لقد تعلمت من وردة الصبر والتأني ! أه ! كم أحبها .. ! كم وضع لك في الحساب ؟ وكيف تنفقينها؟

ضحكوا ، ورشفوا من القهوة التي تناولوها من الخادمة ، وقال احمد : سؤال محرج

قال جهاد باسما : مرة تحدثنا في الهاتف فقال خمسون ألفا .

فقال عارف : هذا حساب فقط؛ لتصرف كيف تشاء ؟ تعطي أمها أخواتها أقاربها المشكلة أنها لا تصرف، فانا أول مرة أرى امرأة لا تحب الصرف يا دكاترة !

قالت : وماذا تفعلين فيها يا روز ؟!

قالت : لا شيء ، كل الملابس والعطور لي ولأخواتي وأمي يدفع ثمنها هو .. لا أدري ماذا أفعل بها ؟!

قال عارف : كم يتيما تكفلين ؟

قالت : ولا واحد ، كفلت لي اثنين، باسمي واحد وباسم أمي واحد .

قال عارف : الحمد لله يا دكاترة ! فلوس تزيد .. السماء تشتي علينا مالا .. سمعت بقصة ملايين أبي الذي اختفى من ربع قرن .

قال احمد : حدثني جهاد القصة.

قال عارف : وأمي كانت تكنز لنا ، والمؤسسة مكسبها مبارك ، قلت لها اشتري لأخواتك وأزواجهن سيارات حديثة فيرفضون أو في حالة خجل .

قال احمد : سنفرح قريبا يا أبا عبد الله!

قال جهاد : قريبا إن شاء الله ! سآخذ وردة وجريدة اذا أحببت أن تراها.

قالت : أنا مستعدة إلا اذا اعترض الدكتور ـ وضحكت ـ وإن لم أكن أفهم في مثل هذه التقاليد ، وماذا أفعل؟

قال احمد : كيف أعترض وجهاد العريس يا عارف ؟!

رافقت وردة وجريدة عمهم حبيب وجهاد لبيت العميد خان ، وجلسوا كالزيارة الماضية ، وحضرت جنة وأمها وعانقت الشقيقتين ، ولما شرب الجميع الشاي خطب حبيب فقال : ابن أخي لا يرى مانعا بالاقتران والارتباط بابنتكم الكريمة يا أبا نزار !

فقال العميد فرحا : والله يا أبا عصام اعتبره مثل ابنيّ نزار وصديق .

فقال حبيب : الدكتور جهاد يريد ويرغب بقول أمامكم.. شيئا مهما يراه هو .

ـ تفضل يا ابني.

قال جهاد : كما يعلم عمي وأنتم أن عندي أطفالا ثلاثة عبدالله تسع سنوات ، مي خمسة ، حبيب سنتان وشهور ، وأنك يا جنة ستكونين أما لهم قبل أن تكوني زوجة .. هم الأهم لي ولك ، فاذا وفقت بجذبهم إليك ، سيدوم الوثاق بيننا والمحبة وإلا المربية والخادمة هما اللتان تقومان بالإطعام وتغيير الثياب .. الحب هو واجبك الأول أفي هذا ظلم؟

قالت جنة: هذا فرض عليّ ، سأبذل كل طاقتي ؛ لتحقيق هذا الحب ، وعليك أن تشير عليّ ؛ لتحقيق ذلك ؛ فأنا لم أتعامل مع الأطفال مسبقا ، أحتاج لتعليم وتوجيه أليس كذلك يا دكتورة وردة ؟! يا حبيبتي أنت وأختك التي لم ترفع عينها من النظر في وجهي.

اضطربت جريدة ، وسمعت وردة تقول : جريدة أول مرة تمشي في رؤية عروس وتربية الأطفال سهلة وصعبة .. والدكتورة أمك التي ربتك تعرف ذلك .

قالت صفا : أنا أحببتك جدا من ثناء عمك عليك أثناء محنة عصام .. وأبو نزار معجب بك

كذلك وبإرادتك الكبيرة .

قالت بخجل : بارك الله فيكم ! وكسب الحب وتثبيته يحتاج لجهد بسيط وإخلاص.

قال جهاد: اذا وضح هذا الهدف ، سيسهل تطبيقه ، الاهتمام بتدريس عبدالله اللعب معهم، التودد إليهم ، أنا واثق من قدرتك على ذلك.. هذا القميص حلو هذا اللون أفضل الألوان.. اللعب معهم .

قال عبد المحسن : رائع أبا عبدالله! آ.. يا دكتورة جريدة ما تقولين في عروس أخيك ؟

قالت : عفوا يا عمي ! أنا تعلمت منهم ما يراه عمي فهو الصحيح ، وما يفعله جهاد أسلم به وما دام قبل فألف مبارك يا جنة ! فأنا أختك .

فقالت وردة : فعلا نحن نعتبر قول حماي مقدس يا أخت جنة ! وأخي جهاد سيوجهك إلى كيف تتعاملين مع أطفاله .. المهم أنت تتقبلينهم بروح طيبة.

قالت جنة : هؤلاء أبنائي يا دكتورة ! وستثبت الأيام صحة قولي هذا .

قال جهاد : هي مسؤولية إلى حين .

قالت الأم : لست غريبا عنا يا دكتور ، وجنة ستضع قلبها وعقلها من أجل أطفالك، فهم اليوم أطفالها ، وهي أمهم إن شاء الله !

قالت جنة : أنا سأكون أما لهم بتوجيهات منك ؛ قلت إن المربية تشرف عليهم لكن أريد أن أفهم كيف سأكون أما ؟

قال جهاد : جيد ! عليّ توضيح قصدي أمامكم وأمام جنة .. أنا أحترم شخصك وثقتك بنفسك، ولن تري مني ظلما بعون الله .. المقصد أن تتعاملي معهم ؛ كأنك أم حقيقية لهم .. صراخ ، شتم ، ضرب صفع بصق إساءة أذى مرفوض .. كيف الأم لا تغضب من ابنها إلا نادرا ؟ اللطف والود والعطف مع حزم عند الحاجة إليه.

قالت بابتسامة : هذا وعد عليّ أن أكون عند حسن ظنك ، وظن عمي حبيب ووالديّ الغاليان .. وهل ستسمح لي بالعمل ؟

قال جهاد : سأسمح لك بالعمل ، مع أننا لسنا بحاجة للمال والراتب ، وأنا سأعمل؛ لأن العمل مطلوب ، ليس من أجل المال يا أبا نزار!

قال : مفهوم ، مفهوم يا ابني ! جنة تعلم أنك مليونير بفضل الله سبحانه .

قال جهاد : وأنا سأفعل مثل شقيقي عارف ، سأضع في حسابك مبلغا من المال تتصرفين به على الخير ، ثياب عطور هدايا كلها عليّ أنا ، وقد أدفع لك سهما في المؤسسة الطبية .. الخلاصة الأولاد هم الأهم حتى يكبروا ، واذا قدر الله وولدت مني فأنت مخيرة بين الاستمرار في العمل أو تركه.

قال عبد المحسن مادحا ومعجبا: أصيل يا ولدي ! لا تنسى جنة أنها ابنة أمة عظيمة ! والمرأة في بلادنا حياتها زوجها ، والزوجات أكثر نساء العالم طاعة لآبائهن وأمهاتهن وأزواجهن.. الجواب عندك يا جنة!

قالت : سيكون الأبناء أبنائي حقا ؛ وليس نفاقا، واذا عجزت عن رعايتهم وتنفيذ إرشاداتك فأنا أم فاشلة .. سأطلب أنا نفسي الانفصال بكل حب.. وأنا تربيت ألا أحب الفشل في أي مهمة يا عم حبيب !

قال حبيب : خلاص على بركة الله يا حاج عبد المحسن!

قال: مبارك عليك جهاد يا جنة !

فقامت تعانق والديها وصديقا والعم حبيب ووردة وجريدة ، وصافحت جهادا وهي تقول : أنا خطيبتك الآن ، وعندما تشاء سأكون حليلتك ، وسترى أنني أطوع إليك من بنانك ؛ لأن أبي يحبك ؛ كما يحبك العم حبيب ، وأخواتك لعلهنّ راضيات عني.

قالت وردة : مبارك لكما ، وما يحبه جهاد نحن نحبه .

وباركت جريدة ، وتمنت لهما التوفيق والسعادة .



كان مهران يمشي في شارع رمانة أطول شارع في بلدية بعنبس ، فهو يمتد من شارع تاج الزمان جنوبا حتى نهاية بعنبس شمالا ، وهو يفصل بين تسعة أحياء من المدينة ، والمحلات والمتاجر على طرفيه ، اجتاز ميدان رمانة الأول ، واقترب من حي هند على يسار الشارع صعودا للشمال عندما التقى بالمحامي الشاب إسامة فتصافحا ، وسأل كل واحد منهما عن سبب وجوده في الشارع ، فأشار إسامة إلى مقهى قريب في الشارع وقال : مقهى المحامين.

فقال مهران : وهل للمحامين مقهى ؟!

فقال أسامة : هنا كما ترى الآرمة (لوحة) مقهى المحامين ، يتجمع شبان القانون ومعارفهم لشرب الشاي ، المرطبات في مثل هذا الصيف ، القهوة ، والمطعم بجواره .

فقال مهران : يلعبون الورق!

فقال أسامة : ممنوع لعب الشدة هنا ، مالك المقهى محامي ، فقط خدمة الشاي والثرثرة والسياسة والانتخابات ، وأنت تمشي على قدميك !

فقال مهران : أول مرة أسمع به!

فقال أسامة : أغلب من يرتاده الخريجون الجدد .

فقال مهران : أنا كنت في عيادة صديقي أيمن زوو.

فقال أسامة : أعرفه ، عيادته هناك ـ وحرك سبابته تجاه البناية ـ في عمارة نبيل نعمان.. تفضل تعرف على مقهى الأخبار ونادي السياسة .. اجلس أعرفك على بعض الزملاء ، و تشرب الشاي أو كولا أم ستعود للعيادة.

فقال مهران : انتهت زيارته ، سنرى مقهاك وما يجري فيه من أخبار .

دخلا المقهى حيث ينتشر الرواد على الموائد ، بعضهم يشرب الشاي أو القهوة والمثلجات ، والدخان يشكل سحابا في سماء المقهى ، والأصوات هنا وهناك وبعضهم يدخن ويشاهد الأخبار ، وشاشة أخرى تبعد عنها تبث مباراة كورة ، ولما اقتربا من إحدى الموائد ، يجلس

قربها شابان ، وصاح أحدهم ناهضا : أين أنت يا رجل ؟ أنا أنتظرك من نصف ساعة .

فالتفت أسامة لمهران : هذا وهذا من عصابة الجواسيس .. الدكتور مهران زميلنا في المكتب .. وهذا الذي يصيح مازن وزميلنا جمال .. وهما مثلنا يعملون في القانون.

تصافح الجميع وتعارفوا ، وعادوا للجلوس، وقال : هذا المحامي الدكتور مهران فارس ، وهذا يا دكتور مازن محمود تخرج معي، وهو يعمل مع عمه المحامي إياد يمامة .

قال مازن : أهلا بالدكتور مهران .

وقال : هذا جمال كمال محامي أقدم منا ، وهو رجل الألغاز والمسابقات والحزازير .

رحبوا ببعضهم مرة أخرى ، وتبادلوا التحايا ، وأشار أسامة للجرسون ، وقال : أربعة شاي يا بطل !

ـ صغير أو كبير.

فقال أسامة : كبير يا راضي ! ولا تنسى الماء ، فسنسمع أخبارا تنشف الريق .. الحساب عليّ يا راضي .. سلم على المعلم طبوش يا أبا حمدي!

جرت تمتمات وهمسات حتى قال مازن : عندي خبر في قضية وائل زياد !

انتبه مهران فقال أسامة موضحا : أنا ومازن وجمال لنا اهتمام مشترك في متابعة حكايات ومغامرات الجواسيس .. فنحن نهتم بها أكثر منك يا دكتور مهران ! أنا حدثت الدكتور عنه كثيرا ؛ لأنه عاش بيننا ، أعني في بعنبس ، وبينت له ولزملاء المكتب كيف قتل الصعلوك في غزة ؟ ثم في هولندا .. ما هو الخبر الإضافي ؟ هذا يا دكتور يقرأ بالإنجليزية والفرنسية درسهما في معاهد خاصة .

فقال مهران : ما شاء الله ! أنت تشتغل عند عمك .

فقال مازن : نعم ، الدكتور إياد يمامة ، هل التقيت به في نقابة ، في محكمة؟

فقال مهران : أعرفه جيدا، اشتبكنا في قضايا مالية .. هذا من سنوات .

حضرت أكواب الشاي الكبيرة والماء ، واشتعلت السجائر ، قال مازن: معذرة يا دكتور أنا

وجمال للأسف ندخن.

فقال مهران : خذوا راحتكم ، أغلب زبائننا يدخنون في مكتبنا .

قال مازن: نعتذر .

قال جمال: عد لجاسوس غزة وقتيل أمستردام .

فقال مازن : يا سيدي أنا وجمال كمال قرأنا في موقع أمن ٨ أنهم وجدوا الطبيبة عشيقة وائل في أوروبا دايل ويت التي اشتبه بها في اغتيال وائل مخنوقة ، فهي لم ترجع لشقة الدعارة كما سمتها بعض صحفهم .

قال مهران : مقتولة خنقا أين؟!

قال أسامة :سمعنا أنها اختفت!

قال مازن : وجدوها مخنوقة في شقة في باريس.

- باريس!

فقال مازن : هربت لفرنسا ، ولما أصبحت مطلوبة للبوليس الفرنسي خنقت .

قال أسامة وهو يحدق بعيني مازن وجمال : يبدو يا دكتور أن الزميلين لديهم المزيد من المعلومات .

بعد ضحك خاطف قال جمو لقب جمال: لديك جهاز استشعار ؛ لكن قبل متابعة الخبر سمعنا أنك خطبت بنت الحلال أم إشاعة !

فقال أسامة : صحيح ! قرأنا الفاتحة ؛ كما يقال .. والعروس بنت أخت الدكتور مهران.

قال مهران مبينا : قال أسامة في مكتبنا قررت البحث عن بنت الحلال ، ونكمل الدين كنت بنصف دين والمرأة بتكمل ها الدين ، مررت على ثلاث عرائس ، ولم نوفق فقلت له : فلأخي زهران ابنة في سن الزواج ، ولأختي حليمة بنت فقدمتها في الرؤية على ابنة أخي ، فلما رأها ، قال نقف عندها ، فقلنا على بركة المولى .. سيقوم بالطقوس والترتيبات وعقبال عندكم .

فقال أسامة : سأدعوكم لن أنساكم

فقال جمال : والله لو نسيتنا ؛ كما يزعم أهل العريس دائما فسيدعونا خال العروس مبارك يا دكتور ويا وس.

قال مهران : على الرحب والسعة أنا ؛ كما يعلم وس أحب سماع قصص الجواسيس من أسامة .. وضحوا لفضولنا مقتل دايل ، ودرورها في اغتيال الطبيب العربي .

قال مازن : سبب اهتمامنا به ؛ لأنه عاش في بلدنا بعنبس كعميل بدون نشاط جاسوسي ، ثم انتشار مصرعه في غزة ، ثم تأكد موته في هولندا ، ومن الذي قتل في غزة ؟ وتبين مواقع أمنية فلسطينية أنه عربي يعمل مخبرا للشاباك ذهب لأداء مهمة في غزة فمات أو قتل على أنه وائل زياد ؛ فاذا هو ذيب محيسن من سكان بلدة يافا ، أما دايل كما اسمتها شرطة أمستردام فحاولت خداعهم بأنها بريئة من قتله ، فإسكندر رفيق الملاهي وغزة واليونان وبعنبس ، هو الفاعل الأول ، وهو الذي غدر بصديقه ، هو ليس صديق بالمعنى الدقيق ، هو جاسوس يوناني ضابط أمن يوناني جندته إسرائيل ؛ لأن والده صاحب مستودع أدوية في تاج الزمان من الطائفة اليونانية ، ولد في هذا البلد ورحل لليونان ليتعلم الطب داخل الجيش اليوناني ، وجندته إسرائيل ؛ ليكون واسطة بين شمويل ضابط في سفارة إسرائيل في اليونان ، ووائل في بعنبس ؛ لأن زيارته لوالديه لا تثير الشبهات اذا تكررت ، السفارات فيها مقرات أمن ومخابرات ؛ بل أسست واخترعت السفارات؛ لتكون مقرا للجواسيس من زمان .

قال مهران : ما دام وائل جاسوس ، لماذا يربط بجاسوس ؟

فقال مازن مفسرا : وائل جند ، ليكون فقط جاسوسا على الطبيب ينال الذي انتحر في بعنبس تذكرون ذلك .. الذي انتحر هنا من زمن يسير ينال روكبس تذكره!

فقال مهران : نعم ، ويومها أتهم بالجاسوسية ، وإن وائلا يعمل تحت إدارته ، ثم سحب هذا الاتهام .

فقال مازن : كان وائل يدرس هنا على نفقة أبيه زياد في كلية الطب الدولية ، ودرس عند ينال ثم قد انتشر على مستوى العالم ومجلات الأبحاث العلمية أن الدكتور استطاع تركيب سم

خاص به ـ لأنه عالم سموم كبير ـ ركب سما يقتل بعد سبعة ليالي ، يعني لو أسامة مثلا أخذه في أمريكا في موسكو وعاد للبلاد الشاخة بعد سبع ليال يمرض ويموت إلا اذا أعطي الضد قبل انتهاء الليالي السبع ، والأخطر أن هذا السم لا يظهر أثره على الميت بعد ساعة ونصف اذا شرح ، وعادة التشريح يتأخر لساعات ، وهذا العلم تبين أنه نشر في مجلات علمية ، والتقط الموساد هذا الخبر ، فجند وائلا التلميذ المحب لأستاذه على سرقته ، فهو لم يكن جاسوسا بمعنى الجاسوس ، وجاء إسكندر ليساعده في المهمة ، ولم ينجحا ؛ لأن زوجة الدكتور صرحت في مقابلة إن زوجها قتل بسبب السم.

فقال مهران : هو انتحر يا مازن!

فقال مازن : صحيح ! القصة الدكتور ذهب لأوروبا للمشاركة في ندوة علمية ، وهناك في الفندق تعرض لعصابة مسلحة سعوا إلى الفندق لأخذ العقار وضده ، ولم يكن العقار معه في تلك الرحلة ، وهددوه بالقتل بعدما رأوا أن خطفه غير مفيد ، والسموم تستخدم لعلاج للسعات وقرصات الأفاعي والعقارب والعناكب السامة وأدوية السرطان فلما فشلوا بالحصول على السم هددوه بالقتل إن لم يقدمه لهم ، وأنهم سيأتونه بعنبس للحصول عليه، فلما أخبره بواب الفيلا برجال مسلحين يرغبون باللقاء به ظن وغلب على ظنه أنهم العصابة ، فقتل نفسه للخلاص منهم ، والخلاص من مرض السرطان الذي لازمه من سنوات ، ورفض أي مال مقابل السم .. هو عرف من دفع العصابة لمحاولة خطفه ، فرفض التعاون معهم .

فقال مهران : من بين هذه المعلومات؟

فقال مازن : زوجته الآسيوية الأصل في مقابلة صحفية مع صحيفة المانية ، ومن ثم نشرت أيضا جزءا من مذكراته ، لتبين أنه عالم ، ولم يكن يشتغل للموساد أو أي جهاز مخابرات في العالم.

قال مهران معجبا بمتابعتهم : إذن امرأة ينال صرحت بسبب انتحار زوجها ، فظن الرجل أنه لن يستطيع التخلص منهم إلا بقتل نفسه ، حتى لا يسلمهم السم والترياق.

فقال مازن : تمام ؛ ولكنهم كانوا الأمن المحلي ، وتسرعوا بإعلان انتحاره كجاسوس ، وزوجته رفعت قضية على الجهاز ، والراجح أنها ستأخذ تعويضات .

قال أسامة : نعود لدايل .

قال جمال: البوليس الهولندي لما جمع صور الكاميرات بحث عن إسكندر ، وأصر على إلقاء القبض على دايل ؛ لأن ليزا العاهرة اعترفت أن دايل ضغطت عليها لتذهب معها إلى البيت مبكرا ، رغم أنها رحبت بلقاء وائل ليلا لتمارس معه الجنس ، فهذا آثار الريبة لدى ليزا ، وذكرت سبب ذهابها إلى شقة دايل ويب واختفاء إسكندر وخروجه من أمستردام ، ثم اختفاء دايل، طلبت شرطة هولندا من الشرطة الفرنسية الاهتمام بالمواطنة ؛ لأنها مشتبه بها في جريمة قتل ، تبين لهم في تحقيقاتهم أن إسكندر وصل فرنسا عن طريق المانيا روما بروكسل باريس عملية تمويه للشرطة .

تابع مازن القصة : استقر في باريس قبل أن يختفي ، تعقبت الشرطة الفرنسية دايل ثم تبين لهم أنها تعيش مع فتاة ليل شاذة سحاقية ، يعشن في ضاحية باريسية ممتلئة ببنات الهوى والشواذ ، ولما وجدت مخنوقة في شقة ، وقبض على فتاة باريس اعترفت أنها تعرفت عليها في رحلة لبروكسل في حانة وأعطتها عنوانها اذا جاءت يوما ما باريس ، فهذا سبب وجودها معها ، ولا تعرف من تفاصيل حياتها شيئا إلا أنها تمارس البغاء، ولما كانت تسافر إلى هولندا تقضي أياما في شقتها تمارسان السحاق والدعارة ، والسحاقية ترتاد ملاهي باريس للفجور والخمور ، واعترفت الشاذة أن الطبيب اليوناني هو الذي خنقها لمشاكل مالية بينهم ، وقد خرج من فرنسا إلى اليونان عن طريق إيطاليا.

وختم جمال فقال : ووجد مقتولا هو الآخر في فندق يوناني في مدينة اسبرطة جنوب اليونان والقاتل مجهول .

فقال أسامة معلقا : القاتل إسرائيل!

فقال مهران : وهذا هو الراجح فلما قتل دايل ووائلا أصبح غير صالح للعمل ، وهو مكشوف

للشرطة وأجهزة الأمن الأخرى فتخلصوا منه .

قال مازن : وهذا ما جمعناه أنا وجمال كمال وتعبنا في مطاردة المواقع الثورية والمخابراتية لتجميع وتنسيق المعلومات .

فقال مهران : هل بقي شيء من قصة وائل ورفاقه ؟

قال جمال : اعتقد أنه لم يبق شيء ، هو لم يكن جاسوسا بمعنى الجاسوس ، هو كلف بمهمة اختراق الدكتور ينال لسرقة معادلات السم وضده ، وجاء إسكندر لمساعدته ، ومع أحداث غزة أرسلوهم إلى هناك لأعمال لم تعرف بعد ، ثم حدثت الحاجة لتوريد المال للعملاء القصة المعروفة اليوم .. علينا أن نبحث عن حكاية جديدة وجاسوس نتسلى بأخباره، وأختم متى سنفرح بعريسنا؟

قال أسامة: إن شاء ربي قبل الشتاء. . نحن في آب ، ثم أيلول تشرين الأول والثاني كانون أول خمس شهور.

قال مهران : في آخر الخريف نوفمبر.

قال مازن : على البركة الربانية .

فقال مهران : يا سيد جمال سمعت أسامة يحدث أنك بارع في الألغاز .. هات علمني لغزا قبل انصرافي.

تنحنح جمال وقال : حبا وكرامة ! سأذكر لغزا ، ولما تعجز عن حله فاستعن بأسامة في مكتبكم .. مات رجل عن تسعة أبناء ، وواحد وثمانين شجرة زيتون كل وارث له تسع شجرات .. أليس كذلك؟

ـ صحيح ! أين اللغز ؟

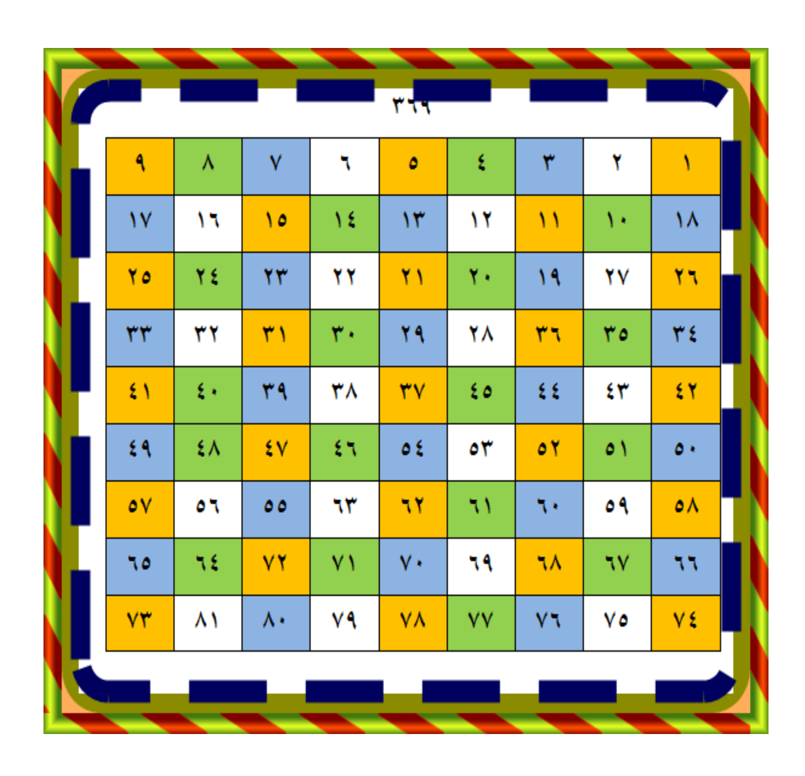
فقال جمال : اللغز الشجرة الأولى تنتج كيلو زيت واحد ، والثانية ٢ كغم ، والثالثة ٣ كغم ، والشجرة رقم ٧٠ تنتج ٧٠ كغم ، الشجرة الأخيرة ٨١ كغم.. فعليك أن تعرف كم كيلو

غرام للفرد أولا ، على أن يكون لكل وارث نفس الوزن وتعلم أرقام الشجر التسعة ، لكل واحد من التسعة مثلا الأول رقم ١ ، ٥، ٨ وهكذا دواليك .

نهض مهران قائلا : شكرا ! سأضع الحل بين يديّ الزميل أسامة ، وأرسل لك لغزا .. اسمحوا لي بالانصراف ، وفرصة طيبة أن تعرفت عليكم.

ـ حياك الله وبياك ، وجعل الجنة مأواك .

فقال مهران : جميعا إن شاء الله عز وجل .



٣٦٩

٩	٨	٧	٦	٥	٤	٣	٢	١
١٧	١٦	١٥	١٤	١٣	١٢	١١	١٠	١٨
٢٥	٢٤	٢٣	٢٢	٢١	٢٠	١٩	٢٧	٢٦
٣٣	٣٢	٣١	٣٠	٢٩	٢٨	٣٦	٣٥	٣٤
٤١	٤٠	٣٩	٣٨	٣٧	٤٥	٤٤	٤٣	٤٢
٤٩	٤٨	٤٧	٤٦	٥٤	٥٣	٥٢	٥١	٥٠
٥٧	٥٦	٥٥	٦٣	٦٢	٦١	٦٠	٥٩	٥٨
٦٥	٦٤	٧٢	٧١	٧٠	٦٩	٦٨	٦٧	٦٦
٧٣	٨١	٨٠	٧٩	٧٨	٧٧	٧٦	٧٥	٧٤

احتفل المهندس محسن سعيد بالمحامي جهاد وزوجته في صالة فندق ، وبارك لهما الزواج ، وحدثه أثناء الطعام عن متجر ومصنع الصناديق المعدنية . التحق جهاد بدراسة السنة الثانية من شهادة الدكتوراه ، وقد أجلت جنة إكمال الماجستير حتى تعود لبعنبس ، وتكمل دراستها وذلك في الصيف القادم .

ولما دخل شهر أكتوبر علمت جنة أنها في حالة حمل ، وفرح الزوجان بذلك وبشرت العائلات بعنبس بالحمل . كانا يجلسان في الصالة وحدهما يمضغان ويبلعان الفاكهة ، فسألت بصوت منخفض : سيدي اذا رأيت مني تقصيرا نحو أولادنا نبهني .

قال جهاد : الأمور بعون الله طيبة ، وتبلين بلاء حسنا ، وتقبل عبدالله ومي وجودك معنا .. حبيب صغير سهل عليه القبول لك.

قالت جنة : كيف أتقرب إليهم أكثر ؟

قال جهاد : الأمر سهل يا حبيبتي ! أولا لا يمكن أن تكون الأم البديلة مثل الأم الأصيلة لا تحلمي بذلك ؛ ولكنك تستطيعين أن تقتربي منهم كثيرا بالإحسان .

قالت جنة معترفة : الأم بينها وبين أطفالها رباط خفي ، يتكوّن مع الرضاعة ؛ كما يقال .. أنا قرأت بعجالة بعض كتب التربية والتنمية ، وقرى الأطفال والأيتام لديهم أساليب تتبع ؛ لتقوم الأم البديلة بمقام الأم .

قال جهاد : الأمر مع الزوج والأولاد يختلف ، هناك لا يوجد أب ، هناك العمل كالحضانة والمدرسة ، هنا أسرة ، أب زوجة زوار خادمة مربية كحالنا ، سأخبرك عليك أن تعيشي حياة طبيعية دون تكلف وتصنع ، وتراقبين زوجك تخشين الخطأ .. كلنا خطأ يا جنة ! ولا أريدك أن تهتمي بهم دون العناية بالزوج.. بإهمال الزوج يدفعه لتضخيم أخطاء الزوجة .. التوازن بين حقك ، حق زوجك ، حق أولاد زوجك ، لما تلدين لا تعملي تفرقة بينهم وبين أبناء الزوجة الميتة .. العدل والإحسان حتى يكبروا ، ويبقى لك في قلوبهم الأثر الحسن .. أنا وسالم

عشنا صغارا عند عمي وزوجته ، وكنا خلقا وتربية أفضل ممن عاشوا مع أمي .. تكلمي مع عبدالله بصوت حنون ، بإصغاء جيد يشعر به، بفرحك اذا فرح بضيقك اذا غضب ونفرز .. لا تعاقبيه عند أول خطأ ، وتجعلين منه ذنبا كبيرا .. لماذا ضربت أختك ؟ لماذا تصرخ في وجه المربية ؟ لماذا لا تسمع لها ؟ حرية منضبطة مناقشة قدر الإمكان حتى لا يشعر أنك رقيب عليه حارس ضابط شرطة رقابة .. متابعة خفية وتصحيح الخطأ بالحسنى.

قالت جنة : ما أحوجني عبدالله لرفع صوتي!

قال جهاد : بين فترة وأخرى اذهبي بهم للتسوق ، وساعديهم في شراء ما يرغبون هم به بدون توجيه ؛ لأنه بعد زمن سيستغني عما اشتراه ، ويتخلص منه ، حتى لا يشعر أنك أجبرتيه على شراء المعين ، سيحس أنه هو الذي اختار وابتاع الألعاب التي يرغب بها ، وكذلك الثياب ، ولما تصدفون شحاذا متسولا خذ يا عبدالله هذا الدينار ضعه في يد هذا المحتاج .. صندوق تبرعات أمام صيدلية متجر ضع هذا المال في هذا الصندوق .. مي افعلي مثل عبدالله ..ما رأيك أن تتبرع لهذا الصندوق لهذا الفقير ؟ عند خروجه للباص المدرسي رافقيه حتى تمسك بيده المعلمة وتقفي على البوابة حتى يمشي الباص فيتأكد أنك تهتمين به ، كما كانت تفعل والدته .. هذه الأفعال البسيطة ستترك أثرها النفسي عليه ، ويعرف أنك تهتمين به وبمصلحته .. وهكذا مي مع حافلة الروضة .. وحبيب أمره سهل ، لما يجلسون للطعام اجلسي معهم .. شاركي المربية مراقبتهم .. وبالنسبة للحمل أرشدني المهندس لعيادة نسائية من أفضل عيادات النساء في عمان ، تتعامل معها زوجته أثناء حملها هي وأخواتها .. سنذهب إليها في أقرب فرصة ، وظلي على اتصال مع أختي وردة فهي أخصائية نسائية مهمة في بعنبس .

قالت جنة : سأفعل إن شاء الله ! ذكرت لي الغذاء المثالي للحامل والمناسب .

قال جهاد : لا أحب أن تختفي شخصيتك المستلقة والتي رأيتها في بيت والدك .

قالت جنة : ممنونة لك ! أنت حياتي ومستقبلي .. نحن الباكستانيات أكثر نساء العالم خضوعا لأزواجهن يا سيدي !

قام عارف بزيارة عائلية لمنزل شقيقته جريدة وزوجها الدكتور احمد نبيل ، وجلسوا في غرفة الضيوف ، وقال احمد : يا أهلا وسهلا بالدكتور والسيدة أم محمد!

التفت عارف لشقيقته وقال : الحمد لله.. ما أخبار الدكتورة؟

فقالت : حبيبي عارف الحمد لله .. أهلا روز كيف حال أمك؟

ردت: الحمد لله ، تعافت من المرض ، وخرجت من مستشفى سامي مستشفى نوار .. ورفض المدير أخذ أي فلس .

قال احمد : سماه على اسم أخته يا عارف !

وقال عارف : نعم ، شقيقة سامي ابنة عمي اسمها نوار حبيب ، وهي زوجة المهندس حسن .. فنوار مشترك بينهم زوج وأخ .. هذا المستشفى كان يملكه الدكتور مالك نونا ، ولما توفاه الله عرض الورثة بيعه ؛ لأنه مستشفى حاص فاشتراه سامي وحسن.. وسامي وحسن الله موسع عليهم .. فللمستشفى صندوق للفقراء الذين يتعالجون في المشفى ، وزكاة سامي بالملايين .

فقال احمد: لما يتعالج الناس على بطاقة التامين الصحي لا يدفعون يا أم محمد وأخت الدكتور تراجع في قسم النسائية والولادة ، ولا يأخذون شيئا رغم أنني مؤمن وإياها في مستشفى الجامعة .. أحبت جريدة العلاج فيه ، ونتبرع بالمال لصندوق الفقراء.

قال عارف: كل العاملين مع سامي وحسن يتعالجون فيه مجانا ، وحتى مؤسستنا يسمح لهم بالعلاج فيه دون مقابل ، وجزاهم الله خيرا .. كيف الأمور معكم؟

وقال احمد : الأمور ـ كما قالت طبيبة جريدة ـ طيبة وأرسلت تطلب لها أدوية المانية تعالج التهابات الرحم ، وتحسن مستوى المبايض ، واذا لم تستجيب للأدوية سنلجأ لطفل الأنبوب ؛ كما فعلت الدكتورة وردة ، واستمعت لتفاصيل عمليتها وزرع الجنين في الرحم ، ونسبة النجاح ليست عالية ؛ ولكنها طريقة شائعة والناس تتقبلها ، بعض الأرحام تفشل في قبول الحمل بهذه الطريقة ، والأمر بيد الله .

قال عارف : إن شاء الله يتحقق حلم حبيبتي جريدة !

قالت : شكرا يا أخي الحبيب !

قال احمد : الكحول التي تخلصت منها بفضل الله مع الوقت سيزول أثرها عن جهازها التناسلي .. فالخمر كالدخان تحتاج لوقت ليذهب أثرهما عن الإنسان ، الكحول تتعب كما هو مشهور الكبد ، والأجسام تتفاوت في الدفاع ، بعض الناس يترك التبغ يحتاج لعمر حتى يزول أثر النيكوتين.

قال عارف : للأسف كانت أمنا تتعاطى الكحول كالماء ، وفتحت لنا الطريق ؛ لنتعلم شربها مثل الماء أو حتى بدل الماء.. زوج أمي بلص دائم السكر ؛ كأنه يشرب الشاي والقهوة .. دائما سكران حتى مات وهو سكران .

قالت جريدة : ما أخبار مؤسستك؟

قال عارف : حسنا غيرنا الحديث ! العمل تمام وفاق المخطط له ؛ كما يقول مجلس الإدارة .. وأنا مرتاح فيها جدا ، رغم مشقة التنقل بين الأقسام المتباعدة .. فلدينا خطة جديدة .

قالت : خطة جديدة !

قال عارف : سيكون كل قسم مستقل أي ثلاث مؤسسات ؛ لكل قسم مدير مستقل عن الأقسام الأخرى .. فالعمل يكبر ويتمدد ، وهناك اقتراح بإنشاء مبنى كبير يستوعب الأقسام والمخازن ، فسامي وحسن يخططان بإنشاء مبنى من عشر طوابق ، وتحويل مبنى عارف وجريدة لمستشفى كما خططنا في بداية الأمر وهو تابع للمؤسسة الطبية ؛ لأن المبنى ملك للمؤسسة ؛ لتستخدم فيه المواد التي تتكدس في المخازن بظهور مواد وأشياء أحدث منها .

قال احمد: فكرة جيدة ! كل يوم يخرج موديل أحدث أدوات تتطور سريعا .

وقال عارف : في آخر السنة عند مناقشة الموازنة ، والبناء يحتاج لوقت حتى يجهز فاقترح أحد المساعدين شراء مبنى جاهز ويعاد تأهيله .. وهذا رأي عصام قبل أن تكثر المواد التي تحتاج لإزالة أو تخزين .

كانت جنة تطبق وتنفذ إرشادات زوجها بكل همة وحماس ، وترافق الأولاد إلى الأسواق لشراء الألعاب والقصص والقرطاسية وعلب الألوان وأوراق الرسم والملابس ، وتدخل بهم المطاعم الفخمة ، وتجعلهم يختارون بأنفسهم الطعام خاصة عبدالله ومي ، واذا كان صندوق تبرعات في المكان أو مدخل المول تذكر الفتى والفتاة بوضع المال فيه، فيتبرع عبدالله بخمس دنانير ، ومي تضع دينارا وتارة يساعدون حبيبا بوضع دينار ، فقطع العملة الورقية في عمان تبدأ من الدينار الخمسة العشرة العشرين الخمسين دينارا ، وهناك عملة معدنية دون الدينار.

وكانت ترافقهم إلى الحدائق العامة المفتوحة للجمهور لممارسة الألعاب ، ولما يعودوا للبيت للراحة أو الطعام أو شرب المشروبات الطيبة ، يتحاور جهاد معهم حول المشوار ، وما فعلوا خاصة ابنه عبدالله ويتفاعل معهم ، ويثني على أعمالهم الحسنة.

فقال لعبد الله ذات مساء بعد جولة لهم في أحد مولات عمان الأسواق الكبيرة : كيف ماما جنة ؟هل اشترت لكم آيس كريم ؟

قال : ذهبنا لمحل كبير يبيع البوظة .. عشرات الأشكال والألوان .. يختار ما يأكل منها !

دخلت مي على خط الإجابة : أنا اشتريت آيس كريم مصرية .

قال جهاد : هل تبرعتم للفقراء ؟

نجحت جنة في فن التعامل مع أبناء زوجها ، حتى أصبحوا لا يترددون بمناداتها ماما جنة .. ماما جنة .. حبيبتنا وصديقتنا.. ماما جنة حبيبة بابا ، فكانت تلعب معهم في غرفة الرياضة والحركة ، في ألعاب الكرة ألعاب الليكو المكعبات وبناء الأكواخ والسيارات .. تجالسهم في غرفة الحاسوب وألعابهم عليه بدل المربية .. المهم ما مضى فصل الخريف حتى قبلها عبدالله ، وألف الجلوس معها ومشاورتها ، وقول القصة التي قرأها أو قرأتها المربية ، ويحدثها عن المواقف التي تحدث معه في المدرسة .

كان جهاد يتابع الجامعة ، وهو مطمئن على ذريته وعقدة زوجة الأب ، وفهمت أن محبة زوجها من محبة أبنائه ، ويستعد لكتابة الأطروحة وهو في راحة بال وهدوء وانتهى الفصل

الأول كغيره من الفصول بتوفيق من الله ﷻ .

وكان الرجل يدعم زوجته ، ويثني على حبها وطاعتها ونجاحها بأن تكون أما للصبية في أربعة شهور ، ودخلت في شهرها الخامس مع نهاية الفصل الأول من السنة الثانية . وما زالت الزيارات متبادلة بين أسرتي جهاد ومحسن والمحبة تجمعهما ، ومشاريعهما المشتركة أدت ثمرتها ونجاحها ، خزائن محسن وجهاد صارت ماركة معروفة في السوق ، ومدير المصنع يؤكد لهما القدرة على التصدير للعراق حسب الطلب والخليج كذلك ، ومحل السراميك استلم إدارته شقيق محسن بعد تركه الوظيفة . وقضى جهاد والأسرة الإجازة الشتوية ٢٠١٤ في عمان لمتابعة كتابة الرسالة ؛ حيث يتردد على المكتبات والمراجع ، والجلوس المستمر مع الدكتور المشرف على الأطروحة ، والذي ساعده في اختيار الموضوع ، وزار مؤسسات قانونية لأخذ صور ملفات ، ومكتبات جامعية أخرى حتى لا يقع في موضوع سبق إليه حتى لا يتهم بسرقة المخطوط ؛ لأن الكثير من الأطروحات تبقى حبر على ورق لا يقرأها أحد ، وبعضهم يطبعها بعدد قليل من النسخ ، هذه المباحث لا يقرأها إلا المختصون أو الطلبة، لا تجد فيها إبداعا ، فكلها توضع على رفوف المكتبة حتى الرسالات العلمية والتطبيقية مجرد ذكريات .

وفي مطلع حزيران وضعت جنة مولودها الأول بسلام من الله ، ولدت مع الفجر وفي المساء كانت في الفيلا حسب رغبتها ، وكان حولها زوجها والخادمة والمربية والأطفال ، وقد قبلها عبدالله ، ودعا لها بالسلامة ، وبارك لها الطفل حتى أنها همست : أنت عندي أفضل من هذا ؛ لأنك تحبني يا عبدالله!

وفعلت مي مثل شقيقها ، وسماه جهاد هماما للأثر الوارد في ذلك ، وغمرت جنة السعادة التي تنشدها كل أنثى صالحة ، وأرسلت صور ا إلكترونية لوالديها .

وتلقت ردا أنهم عن قريب سيزورون عمان ذات الجبال السبعة.

اختفاء

في الثاني عشر من حزيران ٢٠١٤ نهار الخميس اختفى ثلاثة مستوطنين إسرائيليين في جنوب الضفة الغربية المحتلة ، والتي عرفت فلسطينياً بعملية الخليل ؛ حيث تفترض إسرائيل أنهم قد خطفوا على أيدي حركة حماس ، ويعتقد بأن الاختفاء مرتبط بشكل مباشر بإضراب الأسرى الإداريين في السجون الإسرائيلية ، فيوم الاختفاء كان هو اليوم الخمسين لإضراب قرابة ٣٠٠ سجين إداري عن الطعام ، ويحتضر بعضهم في المستشفيات ، وكذلك إصرار إسرائيل على عدم إطلاق سراح الأسرى الفلسطينيين، وبعضهم بالسجون منذ عشرات السنين.

مساء يوم ١١ حزيران الساعة السادسة والنصف ، توجه المستوطنون الثلاثة نحو مستوطنة غوش عتصيون شمال الخليل ، والمستوطنون الثلاثة هم إيال يفراح وعمره ١٩ عاما ، من سكان بلدة إلعاد ، والتي يسكنها اليهود المتشددون ، والثاني هو غيلعاد شاعر ١٦ عاماً من مستوطنة طلمون من غربي رام الله ، والثالث هو نفتالي فرينكيل ١٦ عاما من نوف أيالون القريبة من الرملة ، وهو يحمل الجنسية الأمريكية والإسرائيلية .. وكثير من يهود إسرائيل يحملون جنسية البلاد التي أتوا منها ، فاليهودي يحصل على الجنسية الإسرائيلية بمجرد أنه يهودي، الجنسية عندهم على الدين .. وقد فقد أثر المستوطنين بعد الساعة العاشرة مساء نفس اليوم ١١ حزيران ، وقد شوهدوا آخر مرة عند محطة لاستيقاف على مفرق مستوطنة ألون شفوت. أحد المفقودين تمكن من الاتصال بالشرطة الإسرائيلية قبل أن يصبح في عداد المفقودين ،حيث استمرت المكالمة دقيقتين ، وتعقب الجيش تلك الدعوة بعد سبع ساعات إلى منطقة سنجر الواقعة بين الخليل ودورا. الشرطة الإسرائيلية كانت قد أرسلت دورية بعد ساعة من تلقيها البلاغ ؛ ولكن تأخرت لساعات عدة قبل إبلاغ الجيش والشاباك ، في الساعة ١١ صباحاً من يوم الجمعة، أصدر الجيش نداء بالتأهب وأعلن أن هناك اختطافا قد حصل ، وأن السيارة التي كان يستقلها الشبان هي من نوع هيونداي آي ٣٥ وهي تحمل لوحة ترخيص إسرائيلية ، وقد أشعلت النيران فيها في ليلة ١٢ حزيران ، وعثرت عليها الشرطة

الفلسطينية بالقرب من دورا جنوب الخليل ، ونشأت في المقابل تحليلات بأن السيارة التي أحرقت كانت من أجل التمويه على العملية. الجيش الإسرائيلي أعقب ذلك بإغلاق محافظة الخليل ، وبدأ بحملة عسكرية على المدينة وعلى بلدتها ، وأطلق على العملية تسمية "عودة الأخوة"، ومنع عمال المحافظة من دخول إسرائيل ، وكذلك من عبور معبر الكرامة ، وأغلق مداخل المدينة وقراها بمكعبات إسمنتية.

بلدات جنوب محافظة الخليل ، وكذلك مدينة الخليل نفسها كانت محور التحقيقات مع تواجد عدد كبير من قوات الجيش والشرطة والقوات الخاصة ؛ حيث جابت العديد من البلدات ، حلحول ، دورا، يطا ، السموع ، ترقوميا ، بيت كاحل ، تفوح ، فيما اعتقل الجيش خلال يومي ١٤ و١٥ حزيران نحو ٨٠ فلسطينيا، من بينهم قيادات في حركة حماس ، ويشتبه في أن يكون لهم صلة بعملية الاختطاف، الاعتقالات طالت قادة سياسيين ورجال دين، وأساتذة جامعات ونشطاء من حركتي حماس والجهاد الإسلامي في الضفة الغربية.

عقب اختفاء المستوطنين بدأت إسرائيل في إجراءات للحيلولة من تمكن نقل المخطوفين إلى قطاع غزة أو سيناء، فقد أغلقت مداخل محافظة الخليل بالمكعبات الإسمنتية كمدخل الخليل الشمالي ، ومدخل مخيم الفوار جنوب الخليل ، وكذلك الطريق بين بيت كاحل والخليل ، فيما نصب الجيش عشرات الحواجز العسكرية على الطرق المؤدية إلى مدينة الخليل من ناحية بلدات حلحول وسعير ودورا وطريق مخيم الفوار.

خلال الثلاثة أيام الأولى من فقدان المستوطنين الثلاثة شن الجيش حملة اعتقالات واسعة طالت أكثر من ٢٠٠ مواطن من الضفة الغربية ، بينهم نواب وقادة في حماس كحسن يوسف وعزيز الدويك ، وفي اليوم السادس على اختفاء الشبان اعتقل الجيش قرابة ٦٥ فلسطينياً في الضفة الغربية ، بينهم ٥١ معتقلاً تم الإفراج عنهم في إطار صفقة شاليط وفاء الأحرار ، وبعد مضي أسبوع على اختفاء الشبان كانت إسرائيل قد اعتقلت أكثر من ٣٢٠ فلسطينيا. بعد أسبوع على اختفاء الشبان كان الجيش الإسرائيلي قد اقتحم معظم مدن الضفة الغربية كمدينتي رام

الله والبيرة وبلدة الرام في محافظة القدس ، ومدينة نابلس ، ومخيم بلاطة ، ومدينة ومخيم جنين وقلقيلية ، وبيت لحم ، وبيت جالا، وهي أكبر عملية إعادة انتشار منذ عملية الدرع الواقي واحتلال الضفة عام ٢٠٠٢ خلال الانتفاضة الثانية .



بدأ الجيش الإسرائيلي حملة عبر وسائل الإعلام الاجتماعية والدعوة لعودة المخطوفين تحت هاشتاج معين ، وقد شن مؤيدو القضية الفلسطينية حملة مضادة عبر نفس الهاشتاج للمطالبة بعودة الأسرى الفلسطينيين. في ١٥ حزيران تجمع آلاف اليهود للصلاة عند الحائط الغربي حائط البراق في القدس من أجل الإفراج عن المخطوفين.

فقدان المستوطنين جاء في فترة يخوض فيها مئات الأسرى الفلسطينيين إضراباً مفتوحاً عن الطعام احتجاجاً على الممارسات الإسرائيلية من احتجازهم دون تهمة لفترات من ستة أشهر وأطول ، وبما يسمى الحجز الإداري ، توقيف دون قضية ومحاكمة ، وسبق أن تحدثنا عن سجون الاحتلال والحجز دون محاكمة ، وكثير من الفلسطينيين يؤيدون خطف الإسرائيليين كورقة مساومة من أجل العدالة ، وقد كانت صفقة جلعاد شاليط وتبادل الأسرى في عام ٢٠١١ سابقة مهمة لعودة السجناء الفلسطينيين مقابل عودة المخطوفين الإسرائيليين، وفي قطاع غزة ، احتفلت عائلات الفلسطينيين المسجونين من جانب إسرائيل ووزعوا الحلوى على المارة.

حسب موقع واللا العبري فإن زوج من النظارات تعود لأحد المستوطنين المخطوفين عثر عليها في خربة أرنبة قرب حلحول ، هي من قادت إلى مكان المستوطنين الثلاثة ، وهو عبارة عن بئر داخل مغارة في نفس المنطقة ، ففي عصر يوم الاثنين ٣٠ حزيران تمكن أحد المتطوعين المدنيين الإسرائيليين من العثور على طرف الخيط الذي مكن الجيش والاستخبارات من الوصول للجثث ، وحسب التقديرات الإسرائيلية فإن المستوطنين الثلاثة قتلوا فور صعودهم للمركبة التي تم اختطافهم بها.

عقب العثور على الجثث انطلقت مسيرات للمستوطنين تطالب بالرد والانتقام وهوجمت المركبات الفلسطينية بالحجارة من قبل مستوطنين غرب بيت لحم . الاربعاء يوم ٢ تموز اختطف الطفل محمد حسين أبو خضير من قبل مستوطنين في شعفاط وقتل حرقاً ، وعثر على جثته قرب أحراش دير ياسين ، عقب الترويج للانتقام من قبل الحكومة الإسرائيلية وجماعات يهودية متطرفة تحت شعار "الانتقام بالدم"

كان الاختطاف قرب مفرق ألون شفوت شمال غوش عتصيون ، وعثر على جثثهم قرب بلدة حلحول شمال الخليل ، وقد تم العثور على جثثهم بعد ١٨ يوما على اختفائهم. اتهمت إسرائيل اثنين تدعي أنهم من نشطاء حماس بالاختطاف والقتل ، وهما مروان القواسمي وعامر أبو عيشة . بعد مرور عدة أسابيع على العثور على الجثث بثت القناة الثانية شبه الرسمية في تلفزيون "زد دي إف" الألماني تقريراً عن الحادثة ؛ حيث ذكر التقرير بأن الشرطة وأجهزة الاستخبارات الإسرائيلية عرفتا بعد وقت قليل من وقوع الحادثة أن الأمر يتعلق بعملية قتل وليس باختطاف ، وأن رسالة استغاثة مسجلة تلقتها الشرطة الإسرائيلية من أحد المستوطنين الثلاثة سُمع فيها أمر بخفض الرؤوس أعقبه إطلاق عشر رصاصات ، وأوضح أن الحكومة الإسرائيلية كانت تعرف أن المستوطنين الثلاثة في عداد القتلى، لكنها أرسلت شرطتها وأجهزتها الأمنية لتشنا حملة واسعة من المداهمات والاعتقالات بالضفة الغربية بحثا عنهم وكأنهم أحياء. هذا الحادث دفع لاشتعال حرب غزة الثالثة بعد شهر .

كانت من عواقب عملية الخليل ، الحرب الثالثة على غزة ، بين إسرائيل وحركات المقاومة الفلسطينية في القطاع ، بدأ القتال فعلياً يوم ٨ تموز ٢٠١٤ ، أطلقت إسرائيل عليها عملية الجرف الصامد ، وردت كتائب القسام بمعركة العصف المأكول ، وردت حركة الجهاد بعملية البنيان المرصوص ، بعد موجة عنف تفجرت مع خطف وتعذيب وحرق الطفل محمد أبو خضير من شعفاط على أيدي مجموعة مستوطنين في ٢ تموز ٢٠١٤، وإعادة اعتقال العشرات من محرري صفقة شاليط ، وأعقبها احتجاجات واسعة في القدس وداخل عرب ٤٨ ، وكذلك مناطق الضفة الغربية، واشتدت وتيرتها بعد أن دهس إسرائيلي اثنين من العمال العرب قرب حيفا ، وتخلل التصعيد قصف متبادل بين إسرائيل والمقاومة الفلسطينية في القطاع ، تخلل هذه الحرب عدة عمليات عسكرية مثل عملية ناحل عوز وعملية العاشر من رمضان. شارك في المعمعة كتائب عز الدين القسام ، سرايا القدس، كتائب شهداء الأقصى، كتائب عبد القادر الحسيني، كتائب أبو علي مصطفى، كتائب جهاد جبريل، ألوية الناصر صلاح الدين. وكان الهدف المعلن من العملية الإسرائيلية هو وقف إطلاق الصواريخ من غزة إلى إسرائيل ، التي ازدادت بعد الحملة الإسرائيلية ضد حماس في الضفة الغربية في أعقاب عملية اختطاف وقتل ثلاثة مستوطنين إسرائيليين في ١٢ حزيران ٢٠١٤ من قبل حركة حماس كان هدف حماس هو الحصول على الضغط الدولي لرفع الحصار الإسرائيلي على قطاع غزة ، وإنهاء الهجوم الإسرائيلي، والحصول على طرف ثالث لمراقبة وضمان الامتثال لوقف إطلاق النار، وإطلاق سراح الأسرى الفلسطينيين والتغلب على حالة الانعزال السياسي المفروضة على الحركة. قال البعض إن إسرائيل كانت أول من كسر اتفاق وقف إطلاق النار مع حماس في ١٣ حزيران ، والذي كان قائمًا منذ نوفمبر ٢٠١٢ ، ومع ذلك ذكرت إسرائيل أن الغارات الجوية على غزة كانت بمثابة رد فعل لإطلاق الصواريخ من قطاع غزة.

وفي ٧ تموز، وبعد مقتل سبعة من نشطاء حركة حماس في انفجار نفق في خان يونس، الذي

نجم عن غارة جوية إسرائيلية وفقًا لكل من حماس ، ومسؤول كبير بجيش الدفاع الإسرائيلي أو انفجار عرضي للذخيرة وفقًا لجيش الدفاع الإسرائيلي تحملت حماس المسؤولية عن إطلاق الصواريخ على إسرائيل، إذ أطلقت ٤٠ صاروخًا باتجاه إسرائيل.

بدأت العملية رسميًا في اليوم التالي ، وفي ١٧ تموز تم توسيع العملية لتشمل الغزو الإسرائيلي لقطاع غزة بهدف تدمير نظام الأنفاق في غزة ؛ ثم انسحبت القوات البرية الإسرائيلية في ٥ آب وفي ٢٦ آب أُعلن وقف إطلاق نار مفتوح. وبحلول ذلك التاريخ ، أفاد جيش الدفاع الإسرائيلي أن حماس وحركة الجهاد الإسلامي وجماعات مسلحة أخرى أطلقت ٤٥٦٤ صاروخًا وقذائف هاون من قطاع غزة إلى إسرائيل، وتم اعتراض أكثر من ٧٣٥ مقذوفا أثناء القتال وإسقاطه بواسطة القبة الحديدية، أصابت معظم قذائف الهاون والصواريخ التي أُطلقت من غزة أراضٍ مفتوحة ، بينما أصابت أكثر من ٢٨٠ قذيفة مناطق متفرقة من غزة وأصاب ٢٢٤ منها مناطق سكنية. وهاجم الجيش الإسرائيلي ٥٢٦٣ هدفًا في غزة ؛ ويزعمون أنه تم تدمير ما لا يقل عن ٣٤ نفقا معروفا .

جرت عدة محاولات لتثبيت التهدئة بين إسرائيل والقطاع إلا أن تصاعد وتيرة العنف بعد مقتل الطفل محمد أبو خضير ، ومقتل اثنين من العمال العرب دهساً أدى إلى تصاعد القصف بين وإسرائيل والمقاومة ؛ حيث شن الجيش الإسرائيلي سلسلة غارات عنيفة على مطار جنوب القطاع ، وذلك عقب إطلاق مسلحين صواريخ عدة من القطاع على جنوب إسرائيل، وفي يوم الأحد ٦ تموز أطلق ٥ صواريخ أطلقت من القطاع، وسقطت في جنوب إسرائيل.

في فجر الأثنين ٧ تموز قتل عناصر من حركة حماس في غارة إسرائيلية استهدفت أحد الإنفاق في منطقة المطار شرق مدينة رفح جنوب قطاع . بدأ الجيش الإسرائيلي عملية عسكرية واستدعى الكابينت (المجلس الوزاري الإسرائيلي المصغر) ٤٠ ألف جندي احتياط ، وارتكب مجزرة في خانيونس أوقعت ١١ قتيلا فلسطينيا ، وأطلقت حركة الجهاد الإسلامي

نحو ٦٠ صاروخاً ، واستخدمت حركة حماس صاروخ سام ٧ ضد مروحية من طراز أباتشي، ووصلت صواريخ القسام إلى أكثر من ٣٥ كم.

مساء الثلاثاء اقتحمت عناصر "كوماندوز بحري" تتبع لكتائب القسام قاعدة زيكيم العسكرية القريبة من عسقلان ، واشتبكت مع جنود من جيش الإسرائيلي. كانت قد أعلنت كتائب القسام عن تفجيرها نفقا أسفل موقع كرم أبو سالم شرق مدينة رفح جنوب القطاع ، وبثت في اليوم الثاني مقطع فيديو للعملية. تمكنت صواريخ المقاومة الفلسطينية من الوصول إلى مطار بن غوريون في تل أبيب بواسطة صاروخ فجر ٥ أطلقته سرايا القدس، وقالت إسرائيل إن القبة الحديدية اعترضت الصاروخين ، وفي وقت لاحق قصفت كتائب القسام مدينة حيفا الواقعة شمال تل أبيب لأول مرة بصاروخ "ار ١٦٠".

كان الجيش الإسرائيلي قد أطلق صاروخ تحذيري على منزل يعود لعائلة كوارع في خان يونس واعتلى عقبها عشرات المواطنين المنزل لمنع قصفه ، إلا أن ذلك لم يحل دون قصف المنزل مما أدى إلى مقتل ٧ مواطنين ، من بينهم ستة أطفال ، وأصيب ٢٨ شخصًا، عشرة منهم إصاباتهم خطيرة.

بعد تعرض مدن هرتسيليا وريشون لتسيون والقدس وتل أبيب وحيفا لصواريخ بعيدة المدى لأول مرة ، طلبت قيادة الجبهة الداخلية الإسرائيلية بفتح الملاجئ أمام الإسرائيليين في مدينة القدس ومنطقة وسط إسرائيل التي تعرف باسم غوش دان. خلال ٤٨ ساعة كانت إسرائيل قد شنت نحو ٥٠٠ غارة على القطاع وطالت ٣٢٢ هدفًا ؛ حيث استهدفت البنى التحتية وشبكات الصرف الصحي والكهرباء والاتصالات ، ودمرت ٥٥ منزلاً واستهدفت مقار جهاز الأمن والحماية وجهاز الأمن الداخلي. في يوم الأربعاء ٩ يوليو شنت الطائرات الإسرائيلية عدة غارات دمرت خلالها منازل من عائلة عابد وقديح والجاروشة، وسقط قرابة ١٦ قتيلا حتى الرابعة عصراً من بينهم ثلاثة من عائلة المناصرة ، وفي فترة الظهيرة اندلع حريق هائل في محيط مستوطنة "شاعر هنيغيف" جراء سقوط أحد الصواريخ ، وحاولت ٨ فرق

إطفاء إخماد الحريق. في فجر يوم الأربعاء قصفت الطائرات الإسرائيلية منزلاً يعود لحافظ حمد، وهو أحد قيادات سرايا القدس في بلدة بيت حانون شمال قطاع، مما أدى إلى مقتل ٦ من أفراد عائلته. في صباح يوم الأربعاء أيضا قصفت كتائب القسام ولأول مرة مطار نيفاتيم العسكري بصاروخين من طراز إم٧٥ ويبعد المطار أكثر من ٧٠ كيلومتر.

عند الساعة السادسة مساءً ألقى خالد مشعل خطاباً قال فيه إن الاتصالات من كل أنحاء العالم من أجل التهدئة ، وذكر بأن المقاومة رد فعل طبيعي على ما يقوم به نتنياهو من جرائم ، وقال أيضاً في خطابه "لن يطول الزمن حتى لن تجدوا فلسطينيا يرضى بأرض الـ٦٧ كدولة فلسطينية، غيروا قيادتكم".

في حوالي الساعة الثامنة مساء أعلنت إسرائيل أن القبة الحديدية اعترضت صاروخا واحدا اطلق من القطاع في غلاف مدينة ديمونة النووية ، وأعلنت كتائب القسام أنها قصفت المدينة بثلاثة صواريخ من طراز ام ٧٥ ، في اليوم التالي نشر المكتب الإعلامي لكتائب القسام فيديو لعملية القصف ، وقد اعترفت إسرائيل بسقوط أحد الصواريخ في فناء مدرسة بالمدينة.

مساء الأربعاء وخلال استعداد عدد من المواطنين لمتابعة إحدى مباريات مونديال كأس العالم في استراحة على شاطئ ساحل القرارة في خان يونس، تم استهدافهم بشكل مباشر حيث كان يتواجد فيه نحو ١٥ مواطنا من سكان المنطقة المجاورة ، وقد أدى القصف إلى استشهاد ١٠ مواطنين.

١٠ يوليو بعد منتصف الليل أعلن دبلوماسيون إن مجلس الأمن الدولي سيجتمع صباح يوم الخميس لبحث العمليات العسكرية المتصاعدة بين إسرائيل والفلسطينيين ، وذلك بعد أن دعت المجموعة العربية في الأمم المتحدة لعقد الاجتماع. وفي وقت لاحق من اليوم وصلت صواريخ المقاومة إلى مناطق البحر الميت وشمال تل أبيب ، وكذلك مستوطنات معاليه ادوميم وشور ادوميم، وأعلن عن مقتل مستوطن في مدينة أسدود ، وكذلك أعلن عن عدة إصابات في صفوف الجنود في أشكول وبئر السبع.

صباح الخميس أعلنت كتائب القسام أنها قصفت مطار ريمون العسكري لأول مرة بصاروخين من طراز ام ٧٥ والذي يبعد إلى ٧٠ كيلو متر عن القطاع .

بعد ظهر الخميس قصفت كتائب القسام مدينتي اللد والرملة لأول مرة بعشرة صواريخ من طراز "سجيل ٥٥" والذي يستخدم لأول مرة، وقد أعقب ذلك استنفار في مطار بن غوريون القريب من اللد.

١١ يوليو : فجر الجمعة بلغت حصيلة القتلى الفلسطينيين ومعظمهم مدنيين جراء قصف الطائرات الإسرائيلية إلى ٩٥ قتيلاً وأكثر من ٦٥٠ جريحاً، وقد استمر القصف فجر الجمعة حيث دمرت الغارات مبنى تابع لجمعية الصلاح الخيرية في دير البلح، ومشفى الوفاء للتأهيل الطبي ، وفي الجانب الإسرائيلي أصيب ثلاثة إسرائيليين أحدهما جراحه خطيرة، إثر سقوط صاروخ تابع لكتائب القسام على محطة وقود في مدينة أسدود ، وقد تبنت كتائب القسام قصف المدينة. أطلقت المقاومة نحو ١٥٠ صاروخا، وأصاب أحدها مطار بن غوريون وتسببت بحرائق ضخمة في أسدود ومستوطنة زيكيم.

صباح الجمعة استهدف الطيران الإسرائيلي منزل يعود لعائلة غنام في رفح بثلاث صواريخ ، والمبنى مكون من ٣ طوابق بثلاثة صواريخ دون سابق إنذار ، وأدى ذلك إلى مقتل ٥ مدنيين.

عصر الجمعة عقد رئيس الوزراء الإسرائيلي مؤتمراً صحفياً في مبنى وزارة الدفاع في تل أبيب وقال: إنه لن يرضخ لأية ضغوط دولية لوقف الحرب ، وحمل حركة حماس المسؤولية عن الأضرار التي تحدث في غزة ، وقال : إن استعادة الهدوء للشعب الإسرائيلي هو الأولوية الأولى بالنسبة له ، ولم يستبعد إمكانية توسيع الهجوم من هجمات جوية إلى حرب برية.

خلال المؤتمر الصحفي وبحدود الساعة ٦:٣٧ مساء قصفت سرايا القدس مدينة تل أبيب بصواريخ من طراز فجر ٥ ، وسقطت الصواريخ دون إطلاق صفارات الإنذار ، ولم تطلق خشية هروب نتنياهو على الهواء مباشرة إلى الملاجئ.

١٢ يوليو : كانت مجزرة حي الشيخ رضوان ، مجزرة عائلة البطش، فجر السبت استهدفت

الطائرات الإسرائيلية جمعية "مبرة فلسطين" للمعاقين بالقرب من جامعة القدس شمال القطاع مما أدى إلى مقتل فتاتين ، وأصيب ٤ آخرين وتحول المكان إلى أنقاض.

شغلت إسرائيل بطارية صواريخ ثامنة تنتمي للقبة الحديدية لمواجهة صواريخ الفصائل الفلسطينية. ظهر السبت قصفت طائرة إسرائيلية مجموعة مدنيين في حي الشيخ رضوان شمال شرق المدينة ، وأوقعت ٧ قتلى وأكثر من ١٠ جرحى.

بحدود الساعة الثامنة مساءً بثت كتائب القسام رسالة باللغتين العربية والعبرية عبر فضائية الأقصى تفيد بأنها ستقصف تل أبيب وضواحيها الجنوبية بعد الساعة التاسعة مساءً ، وأنها تدعو المواطنين لأخذ الحيطة والحذر ، وطالبت وسائل الإعلام بتغطية الحدث ، وبعد حوالي ساعة من الرسالة بث الإعلام الإسرائيلي بشكل مباشر وقائع الهجمات؛ حيث أظهر السكان وهم يهرعون إلى الملاجئ، قد أطلقت القسام ٤ صواريخ على الأقل من طراز جي ٨٠ محلية الصنع على منطقة تل أبيب وغوش دان.

وبالتزامن مع خروج المواطنين من صلاة التراويح قصفت الطائرات الإسرائيلية منزل اللواء تيسير البطش بصاروخين على الأقل، وأدى إلى مقتل ١٨ مدنيا فلسطينيا ، وقد جاءت المجزرة الإسرائيلية عقب تهديد وقصف كتائب القسام مدينة تل أبيب.

كتائب القسام كانت قد أعلنت في أنها تصدت لقوة بحرية إسرائيلية فجر اليوم حاولت التسلل عبر شاطئ منطقة السودانية شمالي القطاع ، واعترف الجيش الإسرائيلي بإصابة أربعة من جنوده في الاشتباك الذي قالت سرايا القدس الجناح العسكري لحركة الجهاد الإسلامي إن مقاتليها شاركوا فيه وقالت : إن النار اشتعلت في زورق حربي إسرائيلي شارك في العملية.

قبل ظهر اليوم قصفت الطائرات منزل لعائلة الخطيب في مخيم النصيرات في المنطقة الوسطى ، وآخر في مخيم المغازي وسط القطاع، وثالث يعود لعائلة حميد في منطقة بئر النعجة شمال القطاع ، وقصفت كذلك شقة سكنية في أبراج الشيخ زايد شمال القطاع، ومنزلًا يعود لعائلة حبيب في حي الزيتون شرق مدينة، وأيضًا على موقع للمقاومة في مدينة خان يونس، وأراضي

زراعية في بلدة القرارة شرق خان يونس.

١٣ يوليو: كمنت مجموعة من كتائب القسام لوحدة متسللة من كوماندوز بحري صهيونية في منطقة السودانية ، وفتحوا نيران أسلحتهم باتجاهها فور وقوعها في الكمين، موقعين في صفوف الوحدة الإسرائيلية إصابات محققة إلا أن إعلام الإسرائيلي اكتفى بالاعتراف بإصابة ٤ من جنوده في الاشتباك.

١٤ يوليو: مئات المدنيين نزحوا إلى مدارس وكالة الأونروا هرباً من القصف الإسرائيلي العنيف ، حتى العاشرة مساء كان هناك ١٤ قتيلا جلهم من المدنيين، ومع غروب الشمس دمر الجيش الإسرائيلي مقرا للأمن الداخلي في خانيونس ومقرا لأمن الحماية.

كتائب عز الدين القسام أعلنت عن إرسالها طائرات بدون طيار أطلقت عليها أبابيل١ وحلقت إحداها فوق وزارة الدفاع الإسرائيلية ، في حين قال الجيش الإسرائيلي إن منظومة آرو حيتس المضادة للصواريخ البالستية اعترضت صباح اليوم طائرة بدون طيار أطلقتها المقاومة الفلسطينية من القطاع، وقد ذكر بيان القسام إن "طائراتنا قامت صباح اليوم بثلاث طلعات شاركت في كل منها أكثر من طائرة" مشيرة إلى أنه "فقد الاتصال مع طائرتين" بدون المزيد من التفاصيل وذكرت أن إحدى الطائرات رجعت بسلام ، وبثت قناة الجزيرة القطرية صورا حصرية لبعض المشاهد التي صورتها ، وقد تم إسقاط الطائرة على بعد نحو ثلاثين كيلومترا في العمق الإسرائيلي، حيث كشفت كتائب القسام في بيان أن مهندسيها طوروا ثلاثة نماذج من الطائرات دون طيار تحت اسم "أبابيل١" ، النموذج الأول **A١A** للمهام الاستطلاعية ، والثاني **A١B** للمهام الهجومية المتمثلة في إلقاء القنابل، والثالث **A١C** للمهام الهجومية الانتحارية.

في مساء الأثنين ١٤ يوليو نشرت وسائل الإعلام نص المبادرة المصرية لوقف اطلاق النار بين الفصائل وإسرائيل ، وسبقها بساعات حديث عن شروط التهدئة فقد ذكرت صحيفة يديعوت أحرونوت إسرائيل وحماس تطلبان العودة إلى تفاهمات ٢٠١٢، لكن حماس تقول إن

إسرائيل لم تلتزم بها، كما تطلب فتح معبر رفح، لكن المصريين وضعوا شروطا على حركة حماس كتولي أمن السلطة من رام الله شؤون المعبر وألا يكون معبر رفح مفتوحا طول الوقت.

وافقت إسرائيل على المبادرة المصرية، وذكرت أنها ستوقف إطلاق النار التاسعة صباح اليوم التالي أي ١٥ يوليو ، ولكن حركة حماس قالت :إنها لم تتسلم أي مبادرات رسمية من أية جهة، وأعلنت فصائل المقاومة بعد ظهر الثلاثاء رفضها للمبادرة المصرية.

١٥ يوليو :كانت إسرائيل قد أعلنت قبولها لمبادرة مصرية تتعلق بالتهدئة والتي لم تعرضها على المقاومة ، وأعلنت إسرائيل أنها ستوقف إطلاق النار ابتداءً من التاسعة صباحاً، ولكن صفارات الإنذار لم تتوقف خلال الساعتين التاليتين لإعلان وقف اطلاق النار من اتجاه واحد وضرب أحد الصواريخ مدينة حيفا للمرة السادسة منذ بداية الحرب ، بحدود الساعة السابعة مساء أطلقت المقاومة عشرات الصواريخ على إسرائيل، وقتل جندي إسرائيلي إثر سقوط قذيفة هاون اطلقتها المقاومة على معبر بيت حانون.

١٦ يوليو : خلال الليلة الماضية دمر طيران جيش الاحتلال أكثر من ٣٠ منزلاً في أنحاء القطاع ، وأعقب ذلك أن تعرضت مدينة تل أبيب والمدن المحيطة بها لأعنف الهجمات الصاروخية منذ العدوان ؛ حيث سقط فيها أكثر من ٤٠ صاروخا في الفترة بين الصباح حتى الظهيرة. بعد العصر تعرض محيط مسجد الكتيبة في خان يونس إلى قصف طال المدنيين ، كما ارتكب الطيران الإسرائيلي مجزرة طالت مجموعة أطفال كان يلهون على استراحة الشراع ، والتي تقع على الشاطئ في منطقة الشيخ عجلين ، وجميعهم من عائلة "بكر" ، وفي مساء الأربعاء قرر الكابينت استدعاء ٨ آلاف جندي إضافة إلى ٤٠ ألف مجند احتياط تم استدعائهم منذ بداية الحرب .

١٧ يوليو: بعد منتصف ليلة الخميس استهدفت سلسلة غارات بيوت المدنيين في القطاع ومن بينها منزل وزير الداخلية السابق فتحي حماد ، ومنزل في حي النصر ، ومنزل لعائلة عقيلان في شارع المخابرات غرب المدينة ، ومنزل لعائلة أبو عجوة شرق حي الشجاعية ؛ كما قصفت

الطائرات مركز البر والتقوى شمال رفح ، واستهدفت منزل القيادي في حركة حماس خليل الحية ، ومنازل تعود لعائلات اليازجي وحبيب ، كما دوت صافرات الإنذار قبل العاشرة صباحا في عسقلان وأسدود وتل أبيب وبئر السبع وبلدات أخرى في إسرائيل.

وقام وفد الشاباك بقيادة يورام كوهين بالتوجه إلى القاهرة للتوصل إلى اتفاقية وقف اطلاق نار وصولا إلى التهدئة ، كانت وكالة فرانس برس وبي بي سي البريطانية نقلت عن مسؤول إسرائيلي عصر الخميس أنه تم التوصل لاتفاق سيدخل حيز التنفيذ صباح الجمعة إلا أن إسرائيل وحماس نفتا توصلهما لهدنة وقف اطلاق نار. مع انتهاء وقف النار عادت صافرات الإنذار لتدوي في مدينة بئر السبع، ومركز مدينة عسقلان، ومحيط بلدات المجلس الإقليمي لساحل عسقلان، في فترة المساء تم رصد واعتراض طائرة بدون طيار أطلقت من القطاع بصاروخ أرض جو باتريوت قرب مدينة عسقلان، وأعلنت كتائب عز الدين القسام في بيان لها إرسال طائرة بدون طيار باتجاه إسرائيل. بعد مطالبة الأمم المتحدة كلاً من إسرائيل والمقاومة بهدنة إنسانية لمدة خمس ساعات تبدأ في الساعة العاشرة من صباح الخميس ، وتنتهي الساعة الثالثة لتمكين توصيل الاحتياجات الإنسانية للسكان، وفور بدء سريان التهدئة بدت شوارع القطاع نابضة بالحياة بفعل ضجيج السكان ، الذي خرجوا للتزود بحاجياتهم ومستلزماتهم ولم يسجل أي خرق . بحدود الساعة ٠٥:٢٧ بالتوقيت المحلي تناقل الإعلام الإسرائيلي بأن حدثاً امنياً يجري على الحدود دون أن يذكر التفاصيل، وبعد قرابة الساعة ذكر موقع رويتر العبري بأن مجموعة من المسلحين نجحت في التسلل لأشكول.

بعد استدعاء الكابينت لنحو ٨ آلاف جندي احتياط، أعلن الجيش الإسرائيلي عن بدء عملية برية تهدف إلى ضرب الإنفاق مع مصر ، وستعمل على منع اطلاق صواريخ حماس في اتجاه إسرائيل. عقب الإعلان عن العملية البرية ارتكبت المدفعية الإسرائيلية مساء الخميس مجزرة جديدة بحق أطفال من عائلة شحيبر في حي الصبرة جنوب غرب المدينة.

١٨ يوليو: منذ ساعات فجر الجمعة وحتى الساعة الواحدة ظهراً بالتوقيت المحلي أعلن عن

سقوط ٢٨ قتيلا من المدنيين من بينهم ٣ أطفال قتلوا بقصف إسرائيلي على أبراج الندى في بيت حانون ، كما سقط ٩ قتلى وعدة إصابات بالغة الخطورة في قصف استهدف منطقة القرارة شرق خانيونس، كما استهدفت طائرات الاحتلال برج الجوهرة وسط المدينة والذي يضم مكاتب إعلاميين وصحافيين. بحدود الساعة الثانية عشر أعلنت إسرائيل رسميًا مقتل رقيب وإصابة خمسة من الجنود اثنين منهم بحالة حرجة في الاشتباكات مع كتائب القسام قرب قرية أم النصر شمال القطاع ، بعد أن حاولت قوة إسرائيلية خاصة التسلل فجراً قرب موقع "عسقلان" التابع لكتائب القسام حيث نصب كميناً محكماً هناك يتكون من ٥ عبوات ناسفة وعدد من مقاتلي النخبة ، وأعلن في إسرائيل عن سقوط ٧٠ صاروخا حتى الساعة الثالثة عصراً.

١٩ يوليو : أعلن الناطق باسم وزارة الصحة ارتفاع عدد القتلى إلى ٣١٦ قتيلا وأكثر من ٢٣٠٠ جريحا منذ بدء العدوان الإسرائيلي على القطاع. صباح السبت أعلنت كتائب القسام تنفيذها عملية خلف خطوط قوات الجيش الإسرائيلي في المنطقة الوسطى من القطاع ، وشهدت منطقة اشكول والشوارع المحيطة بها توترا أمنيا لا سيما عسقلان تحسبا من عملية تسلل للمقاومة الفلسطينية.

مع دخول العملية البرية يومها الثالث نفذت المقاومة الفلسطينية عمليات وصفت بالنوعية، حيث أعلنت كتائب القسام بأن وحدات مختارة تتكون ١٢ مقاتلا تمكنت من التسلل صباحاً إلى موقع "أبو مطيبق" الإسرائيلي شرق المحافظة الوسطى وتمكنوا من إنزال خلف "خطوط العدو"، وتمكنوا من مهاجمة دورية مكونة من أربع جيبات ، وذكرت الكتائب أنها قتلت ستة جنود ، وفي فترة المساء تمكنت مجموعة أخرى من قوات النخبة في كتائب القسام من التسلل عبر نفق في منطقة الريان في محيط صوفا ، وتمكنت من قتل ٥ جنود بالرصاص، ثلاثة منهم في الرأس ، واثنان في مناطق مختلفة من الجسم حسب ما ورد في بيان الكتائب الذي وزع على الإعلام ، سرايا القدس الجناح العسكري لحركة الجهاد أعلنت مسئوليتها عن تفجير عبوة

أرضية شديدة الانفجار بدبابة إسرائيلية شمال مدينة بيت حانون شمال القطاع، وتفجير دبابة إسرائيلية ثانية في بيارة أبو رحمة ببيت حانون.

٢٠ يوليو : مركبة إسعاف الدفاع المدني الفلسطيني، تعرضت للتدمير بفعل القصف في حي الشجاعية. منذ فجر الأحد ٢٠ يوليو قصفت المدفعية الإسرائيلية بشكل عشوائي وعنيف حي الشجاعية. المقاومة الفلسطينية كانت قد خاضت معارك فجر الأحد شرق غزة ودمرت ناقلتي جند ودبابة من نوع ميركافا ، وقتلت ١٣ جنديا من لواء جولاني ، وأسرت الجندي شاؤول أرون ، وبعد إعلان كتائب القسام عن أسر الجندي عمّت احتفالات في القطاع ومدن الضفة الغربية.

وكالة الأونروا التابعة للأمم المتحدة تحدثت على أن هناك ٧٦٠٠٠ نازح جراء الحرب في قطاع وأن هنالك ٦٠ مدرسة تابعة للأونروا تعمل كملاجئ للطوارئ.

ووقعت قوة صهيونية خاصة في كمين محكم لكتائب القسام شرق جحر الديك، واشتبك المقاومون القساميون معها وجهاً لوجه، وأطلقوا تجاهها قذيفة **RPG**، ثم قاموا بالاشتباك مع قوة أخرى متحصنة داخل منزل بالجوار فأطلقوا تجاهها قذيفة **RPG** واشتبكوا معها بالأسلحة المتوسطة، ما أدى إلى اشتعال النيران في هذا المنزل، كما استهدفوا إحدى الدبابات المساندة، وقد أكدوا مقتل جنديين إسرائيليين وإصابة ٥ آخرين.

٢١ يوليو: فجر الأثنين تسللت قوة من كتائب القسام تتألف من ١٢ عنصرا عبر نفق أرضي قرب مستوطنة نيرعام شمال القطاع ، وكانوا يرتدون بزات وخوذات عسكرية ، واستدرجت مجموعة جنود وقتلتهم جميعاً ومن بينهم الكولونيل دوليف كيدار ، وبعد تنفيذ العملية ومع الانسحاب قصفت الطائرات الإسرائيلية المجموعة وقتلت ١٠ منهم ، وقد اعترف الجيش الإسرائيلي بمقتل ٧ جنود في هذا اليوم.

قصفت الطائرات الإسرائيلية بيتا لعائلة آل أبو جامع في محافظة رفح جنوب القطاع ، وسقط ٢٥ قتيلاً وعشرات الإصابات ، بعد الظهر قصفت الطائرات الإسرائيلية مستشفى شهداء

الأقصى في دير البلح وسط القطاع .

٢٢ يوليو: صباح الثلاثاء اعترف الجيش الإسرائيلي بأنه فقد أحد جنوده المشاركين في الهجوم على قطاع . ٢٣ يوليو: فجر الأربعاء تعرضت مناطق شرق خان يونس ، وهي خزاعة وعبسان الجديدة وعبسان الشرقية للقصف جواً وبراً ، واضطر السكان للبقاء في منازلهم وهم يستنجدون لإخراجهم مع قتلاهم، وقد سقط في خزاعة أكثر من ٢٩ قتيلاً وأكثر من ٦٠ إصابة ، ولم تتمكن سيارات الإسعاف التابعة للصليب الأحمر والهلال الأحمر من دخول بلدة خزاعة بسبب نيران القناصين ، وحسب شهود عيان فإن جيش الاحتلال عمد إلى تدمير أكثر من ثلثي بلدة خزاعة التي يسكنها قرابة ١١ ألف نسمة. في حين فجّر مقاتلون من كتائب القسام عبوة ناسفة برميلية بقوة راجلة غرب كيسوفيم ، واشتبكوا معها ففرّت إلى أحد المنازل الذي كان مفخخاً، فقام القساميون بتفجيره مما أدى إلى انهياره على من فيه من الجنود ، وقد اعترف الجيش الصهيوني بمقتل ٣ جنود أحدهم ضابط ، وإصابة ١٥ آخرين ٣ منهم حالتهم خطرة.

٢٤ يوليو: قصفت المدفعية الإسرائيلية مدرسة تابعة للأونروا في بيت حانون وكانت المدرسة ملجأً لفلسطينيين نزحوا من منازلهم ، أدى القصف إلى مقتل ١٦ فلسطينيًا وجرح ٢٠٠ آخرين، وأكد المتحدث باسم الأونروا كريس غانيس أن المنظمة أعطت إحداثيات المدرسة مسبقًا للجيش الإسرائيلي كتدبير وقائي لمنع الإغارة عليها ، مضيفًا أن طلبًا قدم للجيش الإسرائيلي لفتح نافذة للمدنيين لمغادرة المدرسة ، لكن الطلب لم يوافق عليه ، المتحدث باسم الجيش الإسرائيلي بيتر ليرنير كذّب كريس غانيس قائلًا : إن مهلة أعطيت من العاشرة صباحًا حتى الثانية بعد الظهر ، مضيفًا أنهم طلبوا من الأونروا إجلاء الناس منذ ثلاثة أيام المتحدث الإسرائيلي قال أيضًا إن الجيش "لا يعلم ما الذي سبب هذه المأساة"، لكنه أشار إلى أن "أجهزة الاستشعار" الإسرائيلية رصدت إطلاق حماس صواريخ ومقذوفات سقطت في بيت حانون.

أما مقاتلو كتائب القسام فتسللوا خلف القوات الصهيونية المتوغلة شرق حي التفاح وقتلوا ثمانية جنود من مسافة صفر ، ودمّروا ناقلة جند من نوع شيزاريت بقذيفة آر بي جي – ٢٩ ، وهاجمت مجموعة أخرى من القسام من قوات النخبة القسامية مجموعة من الآليات الصهيونية المتوغلة شرق حي القرارة بعبوتي شواظ، كما فجرت عبوة رعدية بقوةٍ راجلةٍ واشتبكت معها، وقد أكدت القسام قتل خمسة جنود صهاينة .

٢٥ يوليو : غارة إسرائيلية استهدفت دراجة نارية ، وقصف مدفعي في خان يونس جنوب القطاع ، أعلنت كتائب القسام عن مقتل ١٠ جنود إسرائيليين في كمين ببيت حانون بعد أن استدرجت قوة إسرائيلية خاصة إلى منزل في شرق بيت حانون ، وفجرته بعبوات ناسفة.

عقب صلاة الجمعة خرجت مسيرات في مدن الضفة الغربية ، وتحولت إلى مواجهات مع جيش الاحتلال الذي قتل خمسة فلسطينيين، ثلاثة منهم في محافظة الخليل واثنين في نابلس.

٢٦ يوليو (اليوم ٢٠للحرب) : في الساعة الثامنة صباحاً بالتوقيت المحلي بدأت هدنة تستمر لمدة عشر ساعات والتي وافقت عليها إسرائيل وحركات المقاومة .

منذ ساعات الفجر الأولى وحتى الساعة الثامنة صباحاً كثّف الجيش الإسرائيلي قصفه المدفعي والصاروخي ، فقد قصف الطيران منزل لعائلة النجار وسط مدينة خان يونس جنوب القطاع وسقط أكثر من ١٩ قتيلاً بينهم أطفال ونساء وعشرات الإصابات. خلال الهدنة الإنسانية تم انتشال أكثر من ١٣٢ جثة ، من بينها ٢٥ جثة في منطقة بيت حانون ، وبيت لاهيا شمال القطاع ، ونحو ٢٥ جثة من مناطق الشجاعية والزيتون شرقاً و١٣ جثة من مناطق وسط القطاع كالبريج ودير البلح والنصيرات و١٣ جثة من خان يونس ورفح.

وعلى الصعيد الدبلوماسي، شارك وزراء خارجية كل من الولايات المتحدة وقطر وتركيا وفرنسا وبريطانيا وإيطاليا وألمانيا وممثل للاتحاد الأوروبي في اجتماع في باريس سُمي "الاجتماع الدولي لدعم وقف إطلاق النار الإنساني في غزة ". حث بيان صادر عن الاجتماع إسرائيل والمقاومة الفلسطينية على إعلان هدنة جديدة مدتها أربع وعشرون ساعة قابلة للتمديد ،

وبدء مفاوضات تؤدي إلى هدنة دائمة. وقد ذكر الناطق باسم الخارجية رومان نادال أن الاجتماع يهدف إلى دعم المبادرة المصرية، وأنه نظم بالتفاهم مع القاهرة، لكن مصر لم تكن من بين المشاركين في الاجتماع.

في حين نصبت مجموعة قسامية كميناً لقوة صهيونية راجلة في منطقة "كيسوفيم"، واشتبكت معها من مسافة صفر، وقام الجيش الصهيوني بإطلاق القنابل الدخانية والنار بشكل كثيف للتغطية على إخلاء القتلى والجرحى من جنوده ، وقد اعترف الجيش الصهيوني بمقتل جنديين وإصابة آخرين.

٢٧ يوليو: هو اليوم الواحد والعشرين للحرب على القطاع ، ارتفع عدد الشهداء خلاله إلى ١٠٣١ فلسطينياً، منهم ٢٠٨ طفلًا و٨٢ سيدة و٤٠ مسنا، فيما جرح ما يزيد عن ٦٠٠٠ فلسطيني ١٥٦١ طفلا و١٠١٢سيدة و٢٠٣ مسنين. قصفت طائرات الاحتلال مقر مرئية الأقصى وسط المدينة ، كما واصلت إسرائيل قصفها على مركز الخدمات الطبية واستهداف محيط مستشفى الوفاء شرقي المدينة كما انهالت إسرائيل بقذائفها على أبراج الندى ، وشكلت بالصواريخ لوحة فنية من الدمار في هذه الأبراج وحولتها إلى خراب ودمار ولا تصلح للعيش.

٢٨ يوليو : دكت مدفعية كتائب القسام تجمعاً لجنود الاحتلال شرق خزاعة بعد رصد تقدمه للمنطقة بالهاون الثقيل، فسقطت القذائف على تجمعٍ للجنود لا يقل عددهم عن ٧٠ ، وقد أعترف الجيش الإسرائيلي بمقتل ٦ من جنوده وإصابة آخرين بجراحٍ بالغة رغم تعتيمه الإعلامي. كما شنت طائرات الاحتلال مئات الغارات الجوية المكثفة على كافة مناطق القطاع مترافقًا مع قصف مدفعي ، طواقم الإسعاف والصليب يتمكنان من دخول خزاعة لأول مرة منذ عدة أيام من الحرب على المنطقة ، رغم احتجازه لسيارة تتبع للدفاع المدني الفلسطيني .

٢٩ يوليو: يوم الثلاثاء كان أكثر أيام الحرب دموية، فقد بلغ عدد الشهداء ١٤٠ ، جاء ذلك بعد عمليات الإنزال (عملية ناحل عوز) التي قامت بها كتائب القسام فجر اليوم خلف

خطوط العدو وقتلت العشرات من جنود الاحتلال ، وتم تصوير العملية، وجن جنون الجيش الإسرائيلي ، وبدأ يقصف بقوة فقصف المساجد والمدارس، وفي المساء جاءت كلمة القائد محمد الضيف مرفقة بتصوير لعملية الاقتحام والتسلل خلف خطوط الجيش الإسرائيلي.

٣٠ يوليو: واصل الجيش الصهيوني قصفه للمدنيين حتى طال قصفه المساجد ومدارس الأونروا ، سقط هذا اليوم ١٢٩ قتيلًا فلسطينيًا وأكثر من ٤٠٠ جريح. ورداً على المجازر التي تحدث قامت كتائب القسام الجناح العسكري لحركة حماس بتفجير عربة من نوع "أمولوسيا" ـ المحملة بالمواد السائلة المتفجرة ـ بصاروخ كورنيت أدى ذلك لإبادة جميع من كان حول العربة من جنود وضباط إسرائيليين بالتزامن مع اندلاع نار بمساحة ضخمة. ، واستدرج مجاهدو القسام وحدةٍ صهيونية إلى مبنى مفخخ بـ(١٢) عبوة برميلية في منطقة الفراحين شرق خان يونس ، ثم تم تفجير المبنى، وقد اعترف العدو بوقوع ٢٠ من جنوده بين قتيل وجريح ، وسحبت إسرائيل قواتها المتمركزة على حدود القطاع إلى مواقع خلفية بهدف إبعادها عن مرمى قذائف الهاون التي تطلقها المقاومة الفلسطينية، وجاء هذا القرار بعد تعرض مواقع تجميع الدبابات وقوات الاحتياط لهجوم بقذائف الهاون الاثنين الماضي .

٣١ يوليو: كمنت مجموعة من قوات النخبة القسامية لقوة صهيونية خاصة قرب مسجد الفردوس شرق حي التفاح ، وخاضت معها اشتباكاً عنيفاً، ثم هاجمت قوة خاصة كانت تتحصن في أحد المنازل بالمنطقة ، وأجهزت على ٣ من جنود الاحتلال .

١ أغسطس: جرى الاتفاق على هدنة تدوم ٧٢ ساعة بدءًا من الثامنة صباحًا وتقرر بقاء القوات في أماكنها أثناء هذه الهدنة ، اتهمت إسرائيل حماس بقتل جنود وخطف آخر ، في اليوم التالي ردت كتائب القسام ببيان جاء فيه أنه لا علم لها بموضوع الجندي المخطوف أو مكان وظروف اختفائه ، وجاء في البيان: "لقد فقدنا الاتصال بمجموعة المجاهدين التي تواجدت في كمين نصبوه لجنود الاحتلال أثناء توغلهم ليلا شرقي رفح، ونرجح أن جميع أفراد هذه

المجموعة قد استشهدوا في القصف الصهيوني، فيما قتل معهم الجندي الذي يتحدث العدو عن اختفائه ، على افتراض أن هذه المجموعة من مقاتلينا قد أسرت هذا الجندي أثناء الاشتباك."

٢ أغسطس: المقاومة تقوم بعمليات نوعية وعمليات إطلاق صواريخ مختلفة الأنواع على وسط وجنوب فلسطين المحتلة رداً على المجازر الإسرائيلية المتواصلة في القطاع . حتى هذا اليوم تم إطلاق أكثر من ٣٠ ألف قذيفة مدفعية إسرائيلية على القطاع وأكثر من ٤٠٠٠ غارة جوية منذ بدء الحرب ، والقبة الحديدية تعترض ٥٠٠ صاروخ ، ونظام معطف الريح يعترض ١٠ صواريخ موجهة للدبابات. وسامي أبو زهري يعلن أن الوفد الفلسطيني يغادر للقاهرة دون مشاركة بسبب الوضع الأمني.

٣ أغسطس: ارتقاء عشر شهداء في مجزرة ضد عائلة الغول بمدينة .

٦ أغسطس: ولليوم الثاني على التوالي للتهدئة المتفق عليها منذ صباح أمس لمدة ٧٢ ساعة ، تواصل أعداد كبيرة من النازحين العودة إلى مناطقهم المدمرة ، ويترقبون جهود إعادة إعمار القطاع ، وبناء البنية التحتية وتوفير مقومات الحياة والصمود من كهرباء ومياه وصرف صحي ، وكذلك توفير مساكن مؤقتة، وانشغل عشرات المواطنين بتشييع شهدائهم الذين تم انتشالهم يوم أمس من تحت ركام المنازل .

وكان حوالي ٤٧٥ ألف مواطن قد نزحوا من أماكنهم ، منهم حوالي ٢٥٤ ألفًا نزحوا إلى مدارس وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين أونروا.

٢٠ أغسطس: محاولة إسرائيلية فاشلة لاغتيال محمد الضيف قائد كتائب القسام، والقسام تصدر بيانا تؤكد فيه تحذير شركات الطيران من استخدام مطار بن غوريون، وتحذر المستوطنين في محيطه من استهداف أماكن تواجدهم.

٢٤ أغسطس: دكت مدفعية كتائب القسام بعد الرصد والمتابعة مبنى الاستخبارات الصهيوني بموقع معبر إيرز فور دخول مجموعة من الجنود والضباط الصهاينة إليه ما أدى إلى وقوع عددٍ

كبيرٍ من الجنود بين قتيلٍ وجريحٍ، فيما اعترف الجيش الإسرائيلي بإصابة ٦ من جنوده ٣ منهم بحال الخطر رغم التكتيم الإعلامي، كما أدى القصف لاشتعال النار وانقطاع الكهرباء عن المكان.

٢٤ أغسطس: بعد رصد كتائب القسام رئيس أركان الاحتلال آنذاك وقائد اللواء الشمالي ٤٠١ وقائد فرقة والناطق باسم الجيش الإسرائيلي أثناء زيارتهم لناحل عوز، استهدفت مدفعية القسام المكان بعدد من قذائف الهاون مما أدى إلى فرارهم مذعورين بعد سقوط القذائف قرب منطقة تواجدهم . استخدمت كتائب القسام لأول مرة صاروخ محلي الصنع أطلقت عليه اسم آر١٦٠ ويصل مداه ١٦٠ كيلومتر ؛ حيث ضرب مدينة حيفا في ٨ تموز، كما أعلن عن صاروخ من طراز ج٨٠ ، وهو نوع جديد يصل إلى مدى ٨٠ كيلو متر ، كما استخدمت سرايا القدس لأول مرة صاروخ من نوع براق ٧٠ والذي سقط في مدينة تل أبيب والمفاجئة الأكبر كانت باستخدام صاروخ من نوع إم-٣٠٢ حيث يصل إلى ١٥٠ كيلومترا وقد سقط في منطقة الخضيرة، وتعتبر إسرائيل هذا النوع يهدد مناطق القدس وتل أبيب وأجزاء من منطقة الشمال وحقول الغاز في البحر.

في ١٤ يوليو ذكرت كتائب القسام أنها سيرت أكثر من طائرة بدون طيار نحو عمق إسرائيل، وأصدرت الكتائب بياناً كشفت فيه عن تصنيعها طائرات بدون طيار أطلقت عليها اسم أبابيل١ وذكرت أنها أنتجت ٣ نماذج. وفقًا لكبير المراسلين الدوليين لسي إن إن بين ويديمان، قال : تختلف هذه العملية عن سابقتها التي تمت أواخر ٢٠٠٨ ومطلع ٢٠٠٩ حيث أن الهجمات الحالية تركزت على مناطق ذات كثافة سكانية عالية مثل حي الشجاعية ، أما السابقة فاستهدفت مناطق إطلاق الصواريخ ، ويضيف بين ويديمان اختلاف آخر هو تطور قدرات مقاتلين حماس الذين أصبحوا "أكثر تدريبا واكتسبوا مهارات جديدة لم تتوقعها إسرائيل".

كان واضح منذ اليوم الأول من الحرب على استهداف الطائرات الإسرائيلية لمنازل المدنيين بقصد تدميرها كإجراء عقابي وكتحريض السكان ضد حركات المقاومة ، إحدى هذه

الغارات استهدف بيت يعود لعائلة كوارع في مدينة خان يونس وأدى إلى مقتل سبعة أشخاص ، وأصيب ٢٨ شخصا ، بينما قتل ٦ مدنيين جراء استهداف منزل يعود لعائلة حمد في بلدة بيت حانون.

قال وزير الخارجية الألماني فرانك فالتر: إن إسرائيل لديها الحق في الدفاع عن مواطنيها من الصواريخ التي تطلق من القطاع . دانت المتحدثة باسم وزارة الخارجية الإيرانية مرضية أفخم بشدة الاعتداءات الصهيونية على القطاع ، وقالت: قتل الفلسطينيين الأبرياء بذريعة اختطاف ثلاثة مستوطنين للكيان الصهيوني واهية ، وأضافت أن استشهاد الفتى الفلسطيني في القدس دليل على عجز الكيان الصهيوني أمام مقاومة وصمود الشعب الفلسطيني البطل.

دانت الحكومة الأردنية بشدة العملية العسكرية الإسرائيلية والتي تؤدي إلى مقتل الكثير من الفلسطينيين، مطالبة إسرائيل بوقف "الاعتداء الوحشي" فوراً. قالت الخارجية الجزائرية يوم الثلاثاء، إن صمت المجتمع الدولي "شجع إسرائيل على المضي في سياستها التوسعية والإجرامية في الأراضي الفلسطينية المحتلة". وقال بيان للخارجية الجزائرية عقب الهجوم الإسرائيلي : "هذه الهجمات الشرسة لم يكن لها أن تبلغ هذا المستوى من الترهيب للفلسطينيين والتضييق على أبسط حرياتهم لولا الصمت المذنب للمجتمع الدولي الذي شجع الاحتلال على التمادي في سياسته التعسفية، التوسعية والإجرامية". دعت الحكومة البريطانية الفلسطينيين والإسرائيليين إلى بذل ما في وسعهم لضبط النفس وتجنب سقوط المزيد من الضحايا الأبرياء، وقال وزير الخارجية البريطاني ويليام هيغ في بيان صحفي: "إنني أشعر بقلق عميق حيال تصاعد حدة أعمال العنف في كل من القطاع وجنوب إسرائيل مؤخرا".

أدان البيت الأبيض إطلاق الصواريخ على إسرائيل والتي وصلت إلى مدينة تل أبيب وعبر عن تأييده لحق إسرائيل في الدفاع عن نفسها من الاستهداف المتعمد للمدنيين من جانب "منظمات إرهابية" .

قال رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان : إن النهج الذي تتبعه إسرائيل تجاه

الفلسطينيين لا يختلف عن عقلية الزعيم الألماني الراحل أدولف هتلر، متهما تل أبيب بارتكاب "فظائع وحشية ممنهجة"، وانتقد أردوغان المجتمع الدولي بسبب ما وصفه بـ"التراخي" في إيقاف الاعتداءات الإسرائيلية، وتابع : "المجتمع الغربي والمجتمع الدولي يتجاهل مأساة فلسطين منذ عام ١٩٤٨". وأعلنت الخارجية السورية في بيان، أن "إسرائيل قامت بتصعيد عدوانها الوحشي على الشعب العربي الفلسطيني، وذلك عندما سمحت الحكومة الإسرائيلية لعصابات المستوطنين باختطاف طفل فلسطيني وحرقه وهو حي" ، ودانت "صمت مجلس الأمن وما يسمى الجامعة العربية غير المبرر، على هذه الجرائم المستمرة ضد الشعب الفلسطيني الشقيق"، وطالبت "مجلس الأمن والمجتمع الدولي بوقف العدوان الإسرائيلي، الذي يهدد الأمن والسلم في المنطقة". قال الرئيس الفنزويلي نيكولاس مادورو : إن حكومة بلاده تدين بشدة الرد العسكري الجائر وغير المتناسب من قبل دولة إسرائيل غير الشرعية ضد الشعب الفلسطيني البطل". قال رئيس الوزراء الكندي ستيفن هاربر "إن بلاده تقف حتى النهاية مع إسرائيل وتدعمها في حربها على القطاع "، وأضاف في بيان صحفي : إن القوات الفلسطينية تطلق الصواريخ باتجاه إسرائيل، بدون التفريق بين مدني وعسكري، قائلاً: "قولاً واحداً هذه أعمال إرهابية"، وأشار إلى أن "حماس تستخدم المدنيين دروعاً بشرية في القطاع ، وأن على المجتمع الدولي ألا يدين ما تقوم به إسرائيل من هجمات على الإرهابيين" على حد زعمه ، لافتاً أن كندا تدعو جميع حلفائها للوقوف بجانب "إسرائيل" في الحرب التي تخوضها ضد حماس التي تقتل المدنيين العزل ، كما زعم.. إنه الحقد الصليبي المتوارث !

قتلت القوات الإسرائيلية ثلاثة قادة من القسام في العشرين من آب ، نشرت صحيفة "يديعوت أحرنوت" على موقعها الإلكتروني : كيف تم اغتيال قادة القسام الثلاثة في رفح ؟ رائد العطار ومحمد أبو شمالة ومحمد برهوم .

فجر اليوم ٢٠ آب في مدينة رفح ، مشيرة الجريدة إلى أن غرفة القيادة المتقدمة لعمليات التصفية الخاصة في جهاز "الشاباك" في تل أبيب قد حبست أنفاسها الأخيرة في تمام الساعة

الثانية والنصف فجراً عند سقوط أول صاروخ على منزل كان بداخله رائد العطار ومحمد أبو شمالة ومحمد برهوم الذين ارتقوا شهداء . وقالت الصحيفة : عملية الاغتيال التي وصفت بالأنجح منذ عملية اغتيال رئيس هيئة أركان حماس السابق أحمد الجعبري مع بداية عدوان "عامود السحاب" في نوفمبر ٢٠١٢م. وتشير الصحيفة إلى أن سلاح الجو الإسرائيلي قد تمكن من إطلاق عدة قنابل أو صواريخ يزن الواحد منهم نحو طن من المتفجرات تجاه مبنى لأحد ناشطي حركة حماس برهوم في منطقة تل السلطان برفح ، حيث كان قد وفر مكاناً لاختفاء ٣ من هيئة أركان حركة حماس ، أبرزهم قائد لواء رفح رائد العطار ، وقائد المنطقة الجنوبية للقسام محمد أبو شمالة. ووفقاً لما جاء في الصحيفة فإن نائب رئيس الشاباك كان متواجداً بنفسه في غرفة القيادة المتقدمة في مدينة تل أبيب ، كما أنه قاد عن قرب العملية وذلك بتوجيه مباشر من رئيس جهاز الشاباك "يورام كوهين" والذي أعطى الضوء الأخضر لقيادة المنطقة الجنوبية وسلاح الجو في جيش الاحتلال بتنفيذ العملية. ووصفت الصحيفة ؛ كما نقلنا تقريرها في اغتيال الجعبري : أن عمليات مراقبة العطار وأبو شمالة قد استمرت لعدة أشهر ، وتم التركيز عليهم منذ بداية عدوان الجرف الصامد ، إلا أن الجيش خلال الحرب لم يتمكن من العثور عليهم طيلة أيام المعركة وذلك بسبب انعدام المعلومات الاستخباراتية الكاملة. وبحسب الصحيفة فإن المعلومة حول مكان قادة القسام في رفح قد وصلت إلى مقر قيادة الشاباك من خلال أسطوانة بداخلها صورة للمكان الذي تم استهدافه، وتم عرض تلك الصورة على شاشات كبيرة من أجل توضيح المنطقة المتواجد فيها المستهدفين في رفح. ومن ثم ترجم ممثلو قسم العمليات في الشاباك الجهود الاستخباراتية لعملية هجومية على أرض الواقع من خلال شن هجوم ضخم على المبنى الذي يتواجد فيه قادة القسام ، وكانوا قد قرروا استخدام أي سلاح أو صواريخ من أجل إنجاح هذه العملية، بغض النظر عن حجم وكمية المواد المتفجرة. كانت الخيانة من عميل فلسطيني ، قتلته عائلته لما ثبت دوره وخيانته في مد العدو بوجود القادة الثلاثة في المكان .

وهج الحرب على غزة



شن الجيش الإسرائيلي في الأعوام الثمانية الماضية ، ثلاث حروب ضد قطاع غزة، لأهداف قالت إسرائيل إنها تتعلق بوقف الهجمات الصاروخية تجاه بلداتها، وتدمير قدرات المقاومة الفلسطينية التي تعرض أمنها للخطر. ولم يتحقق أي هدف منها!

الحرب الأولى (٢٠٠٨)

حرب استمرت لـ ٢١ يوما ، في ٢٧ ديسمبر/ كانون الأول ، لعام ٢٠٠٨، شنت إسرائيل حرباً على قطاع غزة، أسمتها "الرصاص المصبوب"، فيما أطلقت عليها حركة المقاومة الإسلامية حماس اسم "حرب الفرقان". وكانت تلك "الحرب"، هي الأولى التي تشنها إسرائيل على قطاع غزة أثناء سيطرة المقاومة على حكم غزة ، وانتهت المعركة في ١٨ يناير/ كانون ثاني ٢٠٠٩ . اليوم الأول للحرب شنّت فيه نحو ٨٠ طائرة حربية إسرائيلية سلسلة غارات على عشرات المقار الأمنية والحكومية الفلسطينية التي كانت تسيطر عليها حركة حماس في آن واحد ، أسفر القصف الغادر عن مقتل ما يزيد عن٢٠٠ فلسطيني بالهجمة الجوية الأولى، وغالبيتهم من عناصر الشرطة.

وبعد مرور ثمانية أيام على قصف الجيش الإسرائيلي المكثف ، اتخذت الحكومة الإسرائيلية قرارًا بشن عملية عسكرية برية على قطاع غزة، بمشاركة سلاح المدفعية وجنود المشاة والدبابات.

واستخدمت إسرائيل، أسلحة غير تقليدية ضد الفلسطينيين العزل كان أبرزها قنابل الفسفور الأبيض، واليورانيوم المخفف المخصب ، الذي ظهر على أجساد بعض القتلى، وفق تقارير

صادرة عن خبراء ومراكز حقوقية ومؤسسات أوروبية وعالمية.

وأعلن رئيس الوزراء الإسرائيلي آنذاك أيهود أولمرت، عن وقف إطلاق النار من جانب واحد دون الانسحاب من قطاع غزة، ، تلاه في اليوم التالي إعلان الفصائل الفلسطينية هدنة لمدة أسبوع، كمهلة لانسحاب الجيش الإسرائيلي من القطاع. وقالت تقارير دولية إن الجيش الإسرائيلي ألقى في الحرب الأولى قرابة "مليون" كيلوجرام من المتفجرات على قطاع غزة.

وبحسب مؤسسة "توثيق"، فقد هدمت إسرائيل في تلك الحرب أكثر من (٤١٠٠) مسكن بشكل كلي، و(١٧٠٠٠) بشكل جزئي. وبلغت خسائر الحرب الاقتصادية في قطاع غزة أكثر من "مليار" دولار أمريكي، حسب "توثيق".

وبحسب إحصاءات لجنة توثيق الحقائق التابعة للحكومة الفلسطينية (حكومة حماس) والجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني (حكومي)؛ فقد أدت عملية "الرصاص المصبوب"، إلى مقتل أكثر من ١٤٣٦ فلسطينيًا بينهم نحو ٤١٠ طفلا و١٠٤ نساء ، ونحو ١٠٠ مسن، وإصابة أكثر من ٥٤٠٠ آخرين نصفهم من الأطفال.

وقد رفضت تركيا الحرب الإسرائيلية، ووصفتها بالعدوان على قطاع غزة. وحمّل رجب طيب أردوغان (رئيس الحكومة في ذلك الوقت) إسرائيل المسؤولية الكاملة عن اندلاع المعارك.

كما شن أردوغان هجوماً لاذعاً على قادة إسرائيل الذين، قال إنهم "يستهدفون تحقيق مكاسب انتخابية من جراء عدوانهم الوحشي ، والذي سيظل عاراً يلاحقهم". وعقب انتهاء الحرب، وبّخ أردوغان، الرئيس الإسرائيلي شمعون بيرس، خلال جلسة، جمعتهما في مؤتمر دافوس نهاية شهر يناير/ كانون ثاني ٢٠٠٩، حيث اتهم إسرائيل بقتل الأطفال والنساء، قبل أن ينسحب من الجلسة. وعقب الحرب، قدّمت الحكومة والمؤسسات الإنسانية التركية، مساعدات كبيرة إلى قطاع غزة ، وبدأت عدة منظمات خيرية ، بافتتاح مقرات دائمة لها، أبرزها وكالة التعاون والتنمية التركية "تيكا" ، ومؤسسة الهلال الأحمر التركي وهيئة الإغاثة الإنسانية التركية .

الحرب الثانية (٢٠١٢)

حرب استمرت لمدة ٨ أيام ، في الـ ١٤ من نوفمبر/ تشرين الثاني ٢٠١٢، شنت إسرائيل حرباً ثانية على قطاع غزة، أسمتها "عامود السحاب"، فيما أسمتها حركة حماس "حجارة السجيل"، وبدأت الحرب عقب اغتيال إسرائيل، لأحمد الجعبري، قائد كتائب عز الدين القسام ، الجناح العسكري لحركة حماس، في اليوم نفسه، تنفيذاً لقرار اللجنة الوزارية المصغرة للشؤون الأمنية الإسرائيلية (كابينت)، الذي اتخذته سراً في صبيحة اليوم السابق، على الرغم من التوصل إلى مسودة اتفاق تهدئة مع المقاومة بوساطة مصرية آنذاك.

وأسفرت تلك العملية العسكرية التي أطلقت عليها المقاومة الفلسطينية اسم معركة "حجارة السجيل"، عن مقتل ١٦٢ فلسطينيًا بينهم ٤٢ طفلاً و١١ سيدة ، وإصابة نحو ١٣٠٠ آخرين بحسب وزارة الصحة الفلسطينية، فيما قتل ٢٠ إسرائيليًا ، وأصيب ٦٢٥ آخرين، معظمهم بـ"الهلع"، بحسب وسائل إعلام إسرائيلية. وهدمت إسرائيل ٢٠٠ منزل بشكل كامل، خلال هذه العملية، ودمرت ١٥٠٠ منزل بشكل جزئي، إضافة إلى تضرر عشرات المساجد وعدد من المقابر والمدارس والجامعات والمباني والمؤسسات والمكاتب الصحفية.

وقال الجيش الإسرائيلي إنه استهدف ٩٨٠ منصة صاروخية موجهة تحت الأرض، و١٤٠ نفقًا أرضيًا لتهريب البضائع والأفراد ، و٦٦ نفقًا للمقاومة الفلسطينية، إضافة إلى استهداف ٤٢ غرفة عمليات تابعة لـ"حماس" و٢٦ موقعا لتصنيع الصواريخ والقذائف المحلية.

وأعلنت كتائب القسام حينها تمكنها من ضرب مواقع وبلدات إسرائيلية بـ ١٥٧٣ قذيفة صاروخية ، واستهدفت طائرات وبوارج حربية ومدفعيات إسرائيلية، واستخدمت لأول مرة صواريخ بعيدة المدى وصلت إلى "هرتسيليا" وتل أبيب والقدس المحتلة.

الحرب الثالثة (٢٠١٤)

في الثامن من يوليو/ تموز ٢٠١٤، شنت إسرائيل حربها الثالثة على قطاع غزة، أسمتها "الجرف الصامد"، فيما أطلقت عليها حركة المقاومة الإسلامية (حماس) اسم "العصف

المأكول". وكانت تلك "الحرب"، هي الثالثة التي تشنها إسرائيل على قطاع غزة، واستمرت "٥١" يوما، (انتهت في ٢٦ أغسطس/ آب ٢٠١٤).

وعلى مدار "٥١ يومًا" تعرض قطاع غزة، الذي يُعرف بأنه أكثر المناطق كثافة للسكان في العالم ، (١.٩ مليون فلسطيني) لعدوان عسكري إسرائيلي جوي وبري، تسبب بمقتل ٢٣٢٢ فلسطينيًا، بينهم ٥٧٨ طفلاً أعمارهم من شهر إلى ١٦ عاما ، و٤٨٩ امرأةً ، و١٠٢ مسنً ، بحسب وزارة الصحة الفلسطينية. وجرح نحو ١١ ألف آخرين ، وفقا لإحصائيات صادرة عن وزارة الصحة الفلسطينية. وارتكبت إسرائيل مجازر بحق ١٤٤ عائلة، قُتل من كل عائلة ثلاثة أفراد أو أكثر، بحسب التقرير. في المقابل، كشفت بيانات رسمية إسرائيلية عن مقتل ٦٨ عسكريًا من جنودها، و٤ مدنيين ، إضافة إلى عامل أجنبي واحد، وإصابة ٢٥٢٢ إسرائيلياً بجروح، بينهم ٧٤٠ عسكريًا، حوالي نصفهم باتوا معاقين، بحسب بيانات عبرية.

وشنت القوات الإسرائيلية قرابة ٦٠ ألف و٦٦٤ غارة على قطاع غزة، جواً وبراً وبحراً.

وحسب إحصائية أعدتها وزارة الأشغال ووكالة غوث وتشغيل اللاجئين (أونروا) بالتعاون مع برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، فإن عدد الوحدات السكنية المهدمة كلياً بلغت ١٢ ألف وحدة ، فيما بلغ عدد المهدمة جزئياً ١٦٠ ألف وحدة ، منها ٦٦٠٠ وحدة غير صالحة للسكن. وبحسب "الأونروا"، فإن مخلفات الحرب القابلة للانفجار، لا تزال تشكل تهديدا كبيرا ومستمرا للمدنيين ، ولعمليات إعادة الإعمار في غزة.

ووفق بيانات للأمم المتحدة، فإن مراكز الإيواء التابعة لـ "أونروا" استطاعت استيعاب ثلاثمائة ألف نازح ، في أكثر من واحد وتسعين مدرسة، ومنشأة تابعة للمنظمة الأممية، بفعل الحرب.

وخلال الحرب أعلنت كتائب القسام الجناح المسلح لحركة "حماس" في ٢٠ تموز ٢٠١٤ عن أسرها الجندي الإسرائيلي شاؤول آرون.

وتعهدت دول عربية ودولية في أكتوبر/ تشرين الأول ٢٠١٤ بتقديم نحو خمسة مليارات

ونصف دولار أمريكي، نصفها تقريباً تم تخصيصه لإعمار غزة ، فيما النصف الآخر لتلبية بعض احتياجات الفلسطينيين، غير أن إعمار القطاع، وترميم ما خلّفته الحرب، يسير بوتيرة بطيئة عبر مشاريع خارجية بينها أممية، وأخرى قطرية، وتركية.

وخلال ٥١ يومًا من الحرب، قدّرت وزارة الاقتصاد الفلسطينية الخسائر الإجمالية المباشرة وغير المباشرة ، في المباني والبنية التحتية ، وخسائر الاقتصاد الوطني في قطاع غزة بكافة قطاعاته بـ ٥ مليارات دولار تقريبًا. ولحق الضرر ٥٠٠ منشأة اقتصادية من المنشآت الكبيرة والاستراتيجية ، والمتوسطة والصغيرة. ووفق وزارة الزراعة ، فإن الحرب ، تسببت بخسائر في القطاع الزراعي، وصلت ٥٥٠مليون دولار

وتقول وزارة الأوقاف : إن إسرائيل دمرت خلال العدوان ٦٤ مسجدا بشكل كلي، إضافة إلى تضرر ١٥٠ مسجدًا بشكل جزئي. واستهدفت الطائرات الإسرائيلية أكثر من ٢٠ مستشفىً ومركزًا صحياً، بحسب وزارة الصحة. ووفق نقابة الصيادين ، فإن نحو ٤ آلاف صياد يعيلون أكثر من ٥٠ ألف نسمة، تعرضوا لخسائر فادحة طيلة العدوان، تجاوزت ٦ ملايين دولار.

وفي ٢٦ أغسطس/ آب ٢٠١٤، توصلت إسرائيل والفصائل الفلسطينية في قطاع غزة، برعاية مصرية ، إلى هدنة أنهت حرب الـ"٥١" يوماً، وتضمنت بنود الهدنة استئناف المفاوضات الفلسطينية الإسرائيلية غير المباشرة في غضون شهر واحد من بدء سريان وقف إطلاق النار.

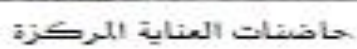


الحضانة مشعة الحرارة



نظام محوسب لتخطيط وتشخيص





حاضنات العناية المركزة

أصبح جهاد دكتورا في القانون منتصف تموز ـ أثناء العدوان الثالث على القطاع ـ واستعد للعودة للوطن ، فتم تسليم الفيلا لمالكها ، وانتقل للفندق يقضي فيه ما تبقى من ليال له في عمان . ترك مهمة التصرف في الأثاث لزميله المهندس محسن وشقيقه محمود مدير متجر السراميك ، وقال : حقيقة يا محسن كنت نعم الأخ لي خلال هذه الغربة ، وقد هونتها عليّ ، فقد ظفرت بأخ لم تلده أمي .. فلك جزيل الشكر ، وأتمنى أن ألقاك ضيفا في بعنبس .. هذا الأثاث كله تصرفا فيه ، خذا ما يلزمكما منه ، وتصدقا بما لا يلزمكم ، وسيارة جنة هدية لأختكم الفاضلة أم يوسف ، وسيارتي لك أو بعها لن آخذ معي شيئا لبلدي .. علينا أن نذهب لدائرة السير حتى تصبح السيارة لك بعون الله ، وسيارة جنة مسجلة باسم أختك اعتقد لا تحتاج لنقل ملكية .

قال محسن: نحن فعلنا ذلك ؛ لأن الوقت لكما كان قصيرا .

قال جهاد: مبارك على الجميع ، وسأمر على الوالد الفاضل ابن البلد أودعه وأمك .. رتب لنا ذلك يا أبا صهيب ! وسيستمر تواصلنا ما دمنا أحياء ، وبلادنا ترحب بكم .

قال محسن: إن شاء الله.. أنا ومحمود نزوركم !

قال جهاد: أهلا بكما في أي وقت ، واذا فكرت أنت وشقيقك يوما ما بامتلاك المتجر كاملا سأبيعكما حصتي دون تردد بعون الله ، وكذلك مصنع الخزائن .

قال محسن : حقيقة أنا عاجز عن شكرك وكرمك خلال هذه السنين العجيبة من حياتي!

قال جهاد: الخير كثير يا أخ محسن ويا محمود ! الله أكرمنا ، وعلينا أن نكرم الأصدقاء والناس .. أنا تركت مبلغا في حسابك هبة لك وللوالد الطيب .. أرجوك لا تعترض .. أنا ذكرت ذلك حتى لا تتشوش عندما يخبرك البنك به والأخ محمود هديته في هذا المغلف ـ ودفع إليه مغلفا بالمال ـ والله يا إخوان نحن نخرج زكاة كبيرة ، لم نكن نحلم بها يا محمود ! أما هذه فهبات ليست زكوات .

قال محمود : ليت كل الأغنياء مثلك ، ومثل إخوتك ؛ ربما انتهى الفقر بين المسلمين ، مليارات تنفق في أوروبا وأمريكا .

قال جهاد: بلادنا للأسف غير مستقرة ، والمال يحتاج لاستقرار وأمان .

قال محسن : حق ! منذ فرط عقد آل عثمان ! ونحن ننهش لحم بعضنا بعضا .

قال محمود : ليته نهشا ، بل أكلا .. الجزائر المغرب موريتانيا السودان مصر غزة اليمن .. أين الاستقرار؟!

قال جهاد : المال جبان.

قال محسن: لا تنسى لقاء الوالد والعم .

قال جهاد: أكيد سنمر عليكم بعون الله.

قال محسن: هل أحول لك أرباح المتجر والمصنع؟

قال جهاد: لا ،لا ، لا تحول شيئا ، كما اتفقنا تكفل بها بتدريس خمسة طلاب أو فتيات حسب الأرباح يدرسون في كلية الشريعة أو كلية الطب والباقي إلى الفقراء أو مؤسسة رعاية الأيتام .. هذه الأموال ستبقى هنا ، واذا تملكتم المصنع والمتجر نجعل هذا الصندوق المتخيل ضمن أرصدتك ، واذا احتجت لدعم اتصل بي ، سأحول لك ما تغطي بهم نفقاتهم ، وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ، وتعاونوا على البر والتقوى ، أهم شرط ركّزا عليه أن يكون طالب المساعدة من أهل الصلاة يا أخي محسن ! واذا احتجت لمزيد من الدعم العاجل والطارئ تعاون مع صديقنا الشيخ خليل حسين ، وهو يترأس جمعية خيرية ؛ لتعليم محبي الشريعة وأعجبت بنشاطه ، وسأمده من هناك بالمال والزكاة ؛ لأنه أعلمني بأن الزكاة تجوز على طلبة العلم والشريعة خاصة .. فحولت له عشرة آلا ف من زكاة ٢٠١٣ .

قال محسن: هو أخ كريم ، ويعمل على الخير ، ويقابل ويذهب بنفسه لطلبة التوجيهي ليتأكد من دراستهم المتفق عليها بينه وبينهم ويساعدهم .

قال جهاد: هدفهم نبيل والأمة بحاجة لطلاب الشريعة المتعلمين ؛ ليسوا مثقفين فقط ، ويتابع

الجامعات التي يتعلم فيها الطلاب المختارين ؛ ليتأكد من همتهم واستمرارهم وعدم تغيير تخصص الشريعة.. وهناك جمعيات أخرى قدمت لهم بعون الله صدقات وزكاة .. الخمسة ملايين التي ورثتها عن أبي وأمي زكاتها فوق المائة ألف فيجوز دفع جزء منها لطلبة العلم ؛ فالناس بحاجة لطب ودين .

فات أن نذكر أن المهندس حبيب عارف أنه يقدم مالا من التجارة والمزرعة لطلبة العلم والمحتاجين والمنكوبين ، صندق تكافل خاص به ، من حرق بيته ، أو سيارته، انهار منزله ، هذا الخير يقدمه لأهل بعنبس ، وكان يقدم للجمعيات والمؤسسات التي ترعى الأيتام كجمعية رحمة جمعيات رعاية المعاقين ، والفقراء عامة ، وفيما بعد أصبح سامي وحسن يضعان فيه ما تيسر ، وقبل على مضض ؛ لأنه أحب أن يكون مكلفا فيه وحده ، وكانت وجهة نظرهم صندوق واحد أفضل من عدة صناديق ، فتقبل حبيب الأمر .

وكان يساعده في إدارته والإشراف عليه شريك له في المزارع المتشاركة بينهم ، وكانت ملفات الصندوق في مكتب صغير في مكتبه الكبير في وسط المدينة قرب سوق بعنبس الكبير في شارع رمانة الشهير في بعنبس .

وكان جهاد لما ورثوا أباهم وأمهم كلف عارفا بفعل نحو هذا الصندوق الخاص بهم وقبل عارف المهمة بهمة ونشاط ، فكان الأخوة الأربعة يمولونه ، ثم لحقت بهم جريدة بعد زواجها بأحمد نبيل ، وصارت تحاكيهم ، وتعمل مثلهم ، وكان عارف يتلقى الأسماء المحتاجة من رئيس جمعة الإغاثة رحمة ، ومن جهاد ، ثم من الدكتور احمد ، ويساعد بزواجات الجمعية حسب الحاجة ، ثم أضاف عارف مهمة أخرى للصندوق دفع تكاليف العلاج أو مساعدة بعض المرضى الذين يصطدم بهم .

كانت زكاة أموالهم كبيرة ، ونشاطاتهم التجارية كثيرة ، تعلموا من عمهم استثمار المال بأنفسهم أفضل من تكديسه في البنوك ، ما دامت أجسامهم قادرة على الحركة فزكاة أموالهم

تصل سنويا للنصف مليون وتزيد .

كانت روز تساعد عارفا في إدارة الصندوق من خلال البيت ؛ بل كانت عندها فكرة طرحت وتنتظر عودة جهاد ، وهي تكلف نفقة حملة عمرة وحج على حسابهم ؛ كما يفعل سامي وحسن .

كان عارف عندما تقدم له الأسماء من الجمعية أو من جهاد يكلف باحثا اجتماعيا يعمل معهم في المؤسسة لدارسة تلك الحالات مقابل أجر إضافي ؛ ليتأكد من صحة المعلومات التي قدمت وحاجتهم للمساعدة والدعم ، لا يحب أن يكون مغفلا ، فلما يسمع ويقرأ تقرير الباحث الاجتماعي يقوم بنفسه بلقاء المحتاج ، وفتح حساب بنكي له ، ويضع الدفعة الأولى في حسابه هذا الصندوق نشط بعد موت زكية وبلص وطلاق ميرا.

ولو يخرج المسلمون زكاة أموالهم بحق لقلّ الفقر كثيرا ؛ لكن الشح والبخل يمنع ذلك ، والقوانين الوضعية لا تلزم أحدا بإخراج الزكاة خشية هرب رأس المال لدول كافرة عقديا ، الدول تهمها الضريبة ، ولا يشرع أن تكون الضريبة جزءا من الزكاة ؛ لأن الزكاة لها مصارف محددة ذكرها القرآن في الآية ستين من سورة التوبة ، والضرائب تصرف رواتب موظفين مهرجانات فنية مشاريع بنية تحية مستشفيات ملاهي شوارع ، الضرائب تكون على الأرباح فقط بنسبة عالية ، والزكاة على كل المال ، وهي نسبة ضئيلة اثنان ونصف في المائة بعد النصاب الشرعي والحول ، أما الضريبة فعلى الأرباح فقط .

لو تطبق الزكاة بشكل صحيح في البلدان التي تزعم الإسلام ؛ لحلت الكثير من المعضلات والمشاكل الاقتصادية ، ولأعتمدوا على أنفسهم ، وما احتاجوا للبنك الدولي ،ولا لصندوق النقد الدولي ، فهاتان المؤسستان أغرقتا الدول في الديون والقروض والربا ، ونشرت الفقر في الدول الفقيرة أصلا ؛ وهي فكرة استعمارية بدون جيش وعسكر واحتلال .

في ٢٦ آب انتهى عدوان غزة بهدنة جديدة ؛ لعلها تصمد ، وتركن إسرائيل للهدوء ؛ ليلملم الناس آلامهم وجراحاتهم .

قدم الدكتور جهاد حبيب أوراقه لجامعة بعنبس الدولية؛ للعمل محاضرا في كلية القانون والحقوق. وقدمت جنة أوراقها لمتابعة إكمال دراسة ماجستير الفيزياء السنة الثانية التي أجلتها بسبب زواجها وسفرها لعمان.

احتفل الدكتور إبراهيم وزملاؤه في صالة مطعم خاص بجهاد ، وقدموا له الهدايا الرمزية من الساعات والأجهزة الإلكترونية .

قال إبراهيم أثناء الاحتفال : يسرنا الاحتفاء بصديقنا ، وزميلنا جهاد نجيب عارف ، ونقدم لك التهنئة والتبريك .

وتكلم الدكتور مهران ، وقدم التهنئة ، والدكتور احمد ، والمحامية نوال شقيقة أسامة ، والدكتورة عوان ، وأسامة ، وحتى المراسل أبو خالد ، وحضر الاحتفال الدكتور عارف والمهندس سالم. وقام عارف بشكر الحاضرين نيابة عن جهاد ، وجلسوا إلى مائدة الطعام التي أعدها المطعم للدكتور إبراهيم ، وكان جهاد يجلس بجوار أسامة ، وأخته جنبه فقال لجهاد : عندي موضوع خاص أجلته حتى تنتهي من الدراسة ، وفي أي وقت مناسب اسمح لي بالحديث معك عشر دقائق أو ربع ساعة على الأكثر .

قال جهاد: ألا ينفع الآن ؟

قال أسامة : ينفع ؛ لكن الأفضل يا أبا عبدالله جلسة خاصة بيننا !

قال جهاد: متى تحب أن تكون ؟ .. هل صحيح أنك ستدرس الماجستير في جامعة بعنبس؟

قال أسامة : أنت أنهيت الدكتوراه ، وأنا سأبدأ الماجستير.

قال جهاد: هل سجلت أختك للدكتوراه ؟

كانت نوال على يمين أسامة تسمع ما يتهامسان به أثناء البلع والمضغ فهزّت رأسها بأنها ستفعل ، وزوجها وافق على ذلك ، بعدما سمح لها بدراسة الماجستير فقال : ماجستير بدون دكتوراه لا فائدة منه ، وباركت له الدكتوراه .

فشكرها بهزّ رأسه وقال: أرجو أن تقبل أن تكون دراستك على حساب صندوقنا الخاص

بالتعليم ؛ وكذلك أنت يا أم برقوق ؛ كأنه اسم ملك مملوكي!

قالت : اسم العائلة الأخير .

فقال : أرجو قبولكم هذا العون، فنحن الأخوة أنشانا الصندوق من سنوات ، نحن الأخوة الخمسة ، ففيه جزء وحصة للطلبة فأي شخص من طرفكم بحاجة لدعم مالي لطلب العلم فقدموه للدكتور عارف ، فهو المدير عليه ، الشرط أن يكون المقدم مصليا ، وليس شرطا اللحية الطويلة والدشداشة ، الصلاة والتربية الحسنة والحاجة، ذكرا كان أم أنثى .

ابتسموا فقال مهران : أشركونا همسكم.

فقال أسامة : لم نتحدث عن الجواسيس، الموضوع الذي استشرتك فيه.

فقال مهران : آ .. فهمت !

قال أسامة : بارك الله فيك يا دكتور جهاد ، ووسع الله عليكم ، كانت أم همام تكتب لصحيفة فجر الأمة .

قال جهاد: سمحت لها بمتابعة كتاباتها ، أنا مع حرية المرأة المنضبطة ، لست متشددا كما يشاع عني، اليوم البنات تقرأ والرجال يقرأون.

تابع جهاد بعد سكوت : التعليم مكلف ، وأنت عريس جديد ، ودخل المكتب لا يكفي للإنفاق على البيت والجامعة ، وأجاز العلماء الفقهاء دفع الزكاة لطلبة العلم يا دكتورة نوال !

قالت : أنتم آل عارف رجال عظام ! من تتبع أخلاقكم وأموالكم يلمس ذلك والدكتورة وردة سيدة مباركة لا تقبل أي أجرة عندما أرشدني الدكتور إبراهيم لعيادتها ، وغضبت لما حاولت الدفع ؛ لأن الدكتور كلمها .

فقال جهاد : نحن نخدم المجهول ، فكيف المعروف ؟ وأنت يا أسامة اذا احتاجت زوجتك إلى عيادة نسائية ، فوردة تحب ذلك من غير منة ، فالأموال بعون وفضل منه تعالى كثيرة ، فوردة تعمل لمساعدة الناس، وراتبها يذهب هنا وهناك .

مشروع كبير

اتصل سامي بأحفاد عارف الجد ، وطلب اللقاء بهم ببيت عصام التاسعة ليلا للعشاء وللحديث حول مشروع جديد ، ومهم سيقدمه لهم . لبى الجميع الدعوة ، وصحبوا زوجاتهم وأزواجهن للاجتماع المهم ، والذي أدهشهم عدم وجود العم حبيب في الاجتماع المهم.

فوضح سامي فقال: حبيب أبي وافق على المشروع ، وهو مع عمتكم فاطمة وابنها.

فقال عارف : أين حسن ونوار؟

فقال سامي : سيأتيان ، هما مع والدي في المستشفى ، فوالدي متوعك ، وكذلك والد حسن .

تقدم الجميع لقاعة الطعام الكبيرة في فيلا عصام حبيب ، تناولوا طعامهم بمرح وترقب ، وانتقلوا لصالون البيت تباعا ، وقدم لهم الشاي مشروبهم المفضل ، وبعضهم طلب نسكافيه القهوة الأمريكية .

قال سامي وهم يتسامرون ويتطلعون في عيون سامي : عندما يأتي حسن ونوار سيتحدث إليكم يا دكتور احمد عن المشروع الجديد .. كيف حالك يا دكتورة جريدة؟

قالت : الحمد لله يا سامي !

قال احمد بسعادة : الدكتورة بفضل الله تمكنت أخيرا من الحمل!

فهتفت وردة محتجة : ويحك لم تخبريني!

قالت : اليوم تأكد الحمل ، وكنت أرغب ألا يتحدث الدكتور حتى يثبت .

بارك القوم لها ، وغمرتهم السعادة والحبور ، وخرج تعقيب من هنا ، وآخر من هناك ، وشرح الدكتور احمد نبيل الموقف ، وقال : وقد استفادت من أدوية المانية خاصة بمشاكل والتهابات الرحم ، ومن وصفات الدكتور العشاب سعيد وزميليه ، والحمد لله ذو الفضل الكبير .. ونسأل الله تعالى أن يقر في القرار المكين ، وتقر أعيينا به ، ونسعد به في الدنيا والآخرة.

فقالوا آمين .

دخل حسن تتبعه نوار ، وصافح من تحل مصافحته ، وكذلك صافحت نوار من تحل

مصافحته ، وتعانقت مع النساء ، وطمأنتهم على صحة أبيها ، ووالد زوجها وبشرتهم بأنه سيكون غدا في البيت بمشيئة الله تعالى.

ولما شرب حسن الشاي الذي وضع بين يديه قال المهندس سامي : حسن سيتحدث لكم عن المشروع كفكرة ومشروع .

فقال عارف : شبعنا شوقا وانتظارا .. هات ما عندك يا ابن عمي!

فضجوا ضحكا ، فقال عارف : لماذا تضحكون ؟!

رد عصام : لأن حسنا سيتكلم لولا مقاطعتك.

فقال عارف: عفوا أيها المجتمعون !

قال سامي : حبيبي عارف والجميع ، سأتكلم قبل حسن .. المؤسسة الطبية سنعيد جمعها مطلع العام الجديد بعون الله ﷻ ، وستكون في بناية واحدة وقد قمت وحسنا بشراء وتملك عمارة مكونة من اثني عشر طابقا وأربعة تحتها مواقف سيارات ؛ لنعيد تجميع المؤسسة ما دامت أصبحت مشروعا موفقا بفضل الله تعالى وسيصبح مبنى عارف وجريدة مستشفى لهدف آخر ، وبدا عمالنا ومهندسونا بتأهيل المبنى ، ليكون مخازن ومقرا جديدا للمؤسسة ، وفي مطلع العام سنبدأ بنقل البضاعة رويدا رويدا .

قال عصام : باسم من العمارة يا سامي ؟ وهل هي في بعنبس؟

قال سامي : هي بناية في حي الجمل ، بنيت ؛ لتكون مجمعا تجاريا ضخما ، وتوفي المالك الرئيس قبل تشطيبها ، فقام الشركاء والورثة بعرضها علينا ، فبدأنا بعد نقلها لملكيتنا أنا وحسن بأعمال التشطيب ، فخلال مطلع العام سيكون جزء منها جاهزا للعمل ، ومع الزمن أيها الأصدقاء ستصبح كلها للمؤسسة ، لما نستد ثمنها فلا تستطيع المؤسسة حاليا دفع الثمن الكبير الذي دفعناه لامتلاكها ؛ عاما بعد عاما ـ إن شاء الله ـ تصير ملكنا جميعا.

علق وعقب من أحب الكلام ، ثم قال سامي باسما : لم أجمعكم في بيت شقيقي عصام لهذا الأمر . وأشار لحسن أن يتكلم .

تبسم حسن وقال : مساء الخير لكم أيها الأصدقاء والأحباب ! وحياكم الله في بيت أخي وصهري عصام حبيب .. وأيتها العائلة الكريمة ! لقد تشاورت وأخي ساميا وعمي حبيب لعمل مشروع جديد ، والعم قال بعد سماعه : لا بأس .

فقال عارف : ما دام العم قد وافق عليه ، فعلينا أن نوافق ، فالعم لا يوافق على شيء بدون تمعن ونظر .. وهل من مجال مهندس حسن لنرفض؟

قال حسن : طبعا يا دكتور عارف ! الأمر بالخيار ..الدعم المالي بالخيار .. هل أجبرنا أحدا للمشاركة في المؤسسة الطبية .. وضعنا تصوراتنا على الورق وقدمناها لمن رغب ، ثم حدث التطور والأفكار المعدلة والخطوات الفعلية خلال التطبيق ..والمبنى الذي اشتريناه للمؤسسة مبنى عارف وجريدة سيحول لمشفى كما رسما في البداية ، والكادر والإدارة بدأنا التعاقد معهم كما تعلم يا دكتور عارف !

فقال عارف : الله يوفق ويسدد النيات والخطوات .

ترددت كلمة آمين.. آمين

قال حسن متسائلا : هل نبقي المال كله في البنك؟ كم من الأسر استفادت من المشاريع التي وفقنا الله إليها ؟ رغم أن إيداع المال في البنك وأخذ الفائدة عليه مريح لكثير من الناس.. فالاستثمار أفضل رغم المعاناة ؛ لأن الحياة لا تخلو من المعاناة حتى لو نام المرء في بيته .. أما المشروع الجديد ...

قال عارف مقاطعا : قل لنا عن مشروعكم الجديد .. ماذا بقي من مشاريع؟

قال سامي: المشاريع والاستثمار والإعمار لا تنتهي إلا بموت الشخص ، والآخرون يتابعون يا دكتور عارف نجيب!

قال حسن : المشروع الجديد باختصار ، هو إنشاء جامعة خاصة ، وأنا وسامي أيضا شرعنا بالحصول على الموافقات الخاصة والتراخيص المطلوبة من الدولة وسنبدأ بخمس كليات الشريعة الحقوق الهندسة الإعلام وتأسيس لكلية طب ؛ لذلك سيتحول المشفى يا عارف فيها

بعد لكلية الطب ـ إن شاء الله ـ ما رأي عارف المتململ ؟

فقال عارف بحيرة وانبهار : والله ما خطر على بالي هذا المخطط الكبير! ما المطلوب منا ؟

قال حسن باسما : المطلوب منكم المال ، من يحب أن يساهم فليفعل ؛ كما فعلنا في المؤسسة الطبية ، وكلما تقدمنا زدنا الكليات ، وقررنا بأن يكون الدكتور الكبير احمد نبيل رئيسا للجامعة .

التفت جريدة لأحمد : لم تخبرني!

قال احمد بسعادة وبسمة : هكذا الأوامر ، مبارك علينا جميعا المشروع .

فقال عارف : هذه مؤامرة يا دكتور احمد !

فضحك احمد وقال : الإخوان بارك الله فيهما ، طلبا مني التفكير بهذا المشروع ، وأنا خبير إدارة كما تعلمون ، وطلبا مني عدم نشر الخبر ؛ ليس خوفا منكم ؛ كما بدا لعارف ؛ بل من أجل أن لا يصل للإعلام قبل الحصول على الموافقات ، وكلية الإعلام التي أشار إليها المهندس سيكون لها قناة فضائية تابعة لها فيما بعد طبعا يديرها طلبة الكلية مع مهندسي الاتصالات .

قال سامي : هذا هو المشروع الجديد الذي ستساهمون فيه رغبا لا رهبا .

قالت وردة الصامتة من أول الجلسة : هذا عمل ومشروع كبير أنا سأساهم فيه يا دكتور احمد و زوجي أنا عنه .. وماذا سميتم الجامعة ؟ لعلها على اسم عمي.

قالت نوار: فعلا ، فهذا الاسم المختار جامعة حبيب عارف الخاصة .

قال عارف: يا الهي!



سير خاص بقسم الولادة

رحب جهاد بأسامة في شقته : أهلا أخي ! ها نحن نجلس على انفراد كما رغبت .. نوّرت البيت .

أدخلت الخادمة رأسها قائلة : الدكتورة جريدة هنا .

فقام جهاد : وقال انتظر قليلا يا أخي حتى أسلم على شقيقتي!

قال أسامة : نؤجل اللقاء !

ـ لا داعي يا رجل اصبر !

تركه جهاد ، واحتضن شقيقته ، وربت على كتفها مرحبا ، وقبل رأسها ، وقبلته هي الأخرى ، وأخذت يده مقبلة لها تعبيرا عن حبها له ، ففعل مثلها : مرحبا بك في بيتنا .. أنا أحبك ؛ كما أحب حبيبتنا وردة !

قالت : وأنا كذلك .. الشيطان نزغ بيننا .. عندك ضيف!

قال جهاد : ربع ساعة وسينصرف ، سيتكلم في موضوع ، فهو زميل مكتب أيام إبراهيم .. تفضلي بالجلوس .. اجلسي يا جنة ! إنها تنتظر الأمر .. تفضلن يا حبيبتاي !

رجع لأسامة مرحبا من جديد ، وجلس وقال: آسف تفضل بالجلوس.

قال أسامة : حتى لا أطيل .

قال جهاد : خذ راحتك .

قال أسامة : الموضوع باختصار يا دكتور أن صحفيا صديق لي من أيام الدراسة الأولى اسمه عسير بلبل .

قال جهاد : عسير بلبل ! سمعت به يكتب في فجر الأمة الصحيفة المفضلة في بعنبس.

قال أسامة : صحيح ، نحن نسميها صحيفة بعنبس .. عسير هذا صديق لي وصحفي سياسي ، هو يكبرني بخمس سنوات ؛ لذلك قصة لا داعي لذكرها الآن لضيق الوقت ؛ وليس هي موضوعنا.. المهم ثقة أنا وإياه.

دخلت الخادمة بالقهوة بعد رشفة تركها على المنضدة ، وقال: هذا الصحفي سمع عن مذكرات أبيك التي أحضرتموها من كوبا.

قال جهاد : صحيح ! وهي في البنك .. احتفظ بها عمي .

قال أسامة : يرغب بالاطلاع عليها أو على شيء منها!

قال جهاد : جزء منها !

قال أسامة : الجزء الخاص باغتيال ضابط مخابرات إسرائيل في رام الله .. هل اطلعتم عليها؟

قال جهاد : هي مكتوبة بالإنجليزية يا أسامة ! أبي طبيب ، قرأت بعضها أثناء استلامي لها أثناء وجودي في كوبا ، كانت صفحاتها الأولى عن حياته هنا بعنبس وعلاقته بوالديه ، وزواج أبيه على أمه التي ولدت أختيه وأخاه حبيب ، ثم سافر بيروت والتحق بالجامعة الأمريكية ، وتخرج طبيبا ، وعمل مع الحركات اليسارية الصاعدة والبعث العربي والقوميين العرب ، وتأثر كغيره بنكبة فلسطين التي دفعت الشباب للعمل وإنشاء الأحزاب ، فعمل ضمن حزب ماركسي ، وعاد لبعنبس لتجنيد أعضاء يحملون الحلم الماركسي العالمي ، ولما ظهرت الحركات المسلحة في لبنان والأردن وأعلنت منظمة التحرير ، ذهب كعميل لمنظمة سرية في قلب رام الله ، ثم لم أتابع القراءة لانشغالنا بتركة أبي ولملمتها من بلاد الكاريبي.. وأنا لا مانع لديّ من اطلاع الرجل عليها .. بس عليه أن يتجنب الأمور الخاصة يا أسامة وليتذكر أن أبي ؛ ليس مسلما .. هو ملحد ؛ لذلك لم نقسم ثروته على الشريعة الإسلامية ، فليتجنب مغامراته النسائية ، لا فائدة من ذكرها أصلا .

قال أسامة : هو مهتم ؛ كما تناقشنا بقصة اغتيال ضابط مخابرات إسرائيلي التي وقعت قبل حرب حزيران ، والعيش مع الثورة في حضن بيروت ، ثم الاختفاء الطويل لمدة ربع قرن .

غادر أسامة ، وهو يفكر بترتيب لقاء بين جهاد وعسير ؛ لوضع النقاط على الحروف بشأن مذكرات نجيب عارف ، وودعه عند بوابة الفيلا ، وعاد للجلوس مع أخته ورحبا ببعضهم من جديد ، وقدمت له جنة تفاحة، فأخذها شاكرا ، ومد بها لجريدة ، وأخذتها وهي تقول:

أكلت واحدة .. أحببت رؤيتك ، فلما أراك أشعر بالسعادة والحياة !

قال جهاد : وأنا كذلك .. نفس الشعور !

قالت : قال لي احمد عندما تشعرين بالضيق اجلسي مع جهاد ، فقد كان يوم مشروع الجامعة صامتا مما أثار فضولي ، فقلت له اذا قال عمي حبيب شيئا لا يقول جهاد شيئا .

ضحك جهاد وقال : أحسنت الإجابة ! كيف الحمل؟

فقالت باسمة : صعب ومتعب .. حملته وهنا على وهن .. لكني أحمد ربي طال انتظاري ، وتصدقت بألف دينار ؛ ليثبته الله تعالى.

قال جهاد : أحسنت يا أخت جهاد! جنة ؛ كأنها اشتاقت للحمل.

قالت : حدثتني قبل قليل عن ذلك .

قالت جنة : الحمل نعمة كبيرة يا دكتورة ! والحمل أرى في الصغر أفضل من الكبر .. نحن أمي ولدتنا في فترة قصيرة سبع سنوات ، ثم اكتفت مع أن أمها أنجبت الضعف .. لله في خلقه شؤون !

قالت جريدة : وأمي ولدتنا في عشر سنوات .. نحن الخمسة وفور زواجهم.

قال جهاد : كان والدي يسابق الموت ، كان مطاردا من اليهود ؛ لمشاركته في اغتيال ضابط أمن صهيوني في عاصمة السلطة الأوسلوية رام الله !



رام الله

نختم الرواية بالتعرف على عاصمة السلطة الفلسطينية ومقرها حسب اتفاق أوسلو عام ١٩٩٣. رام الله مدينة فلسطينية عريقة ، ومركز محافظة رام الله والبيرة ، تحتل رام الله حاليا مركزا سياسيا يجعلها من أهم المدن الفلسطينية ، إذ أنها تُعتبر العاصمة الإدارية المؤقتة للسلطة الوطنية الفلسطينية، وفيها مقر المقاطعة القصر الرئاسي ، ومبنى المجلس التشريعي الفلسطيني، والمقر العام لجهاز الأمن الفلسطيني في الضفة الغربية، بالإضافة إلى معظم مكاتب ووزارات السلطة ، كما تعتبر العاصمة الثقافية لوجود عدد من المراكز الثقافية الفلسطينية النشطة فيها. فإن المدينة قد تأسست في القرن السادس عشر أثناء الحكم العثماني ، والتي ازدهرت في أواخر أيامهم ؛ إذ تأسس أول مجلس بلدي فيها عام ١٩٠٨، وقد احتفلت بلدية رام الله مؤخرا بمأويتها الأولى . وتقع رام الله ضمن سلسلة جبال القدس، حيث تطل على الساحل الفلسطيني للبحر المتوسط ، والذي يبعد عن المدينة حوالي ٤٥ كيلومترا إلى الغرب ، أما من جهة الشرق والجنوب فهي محاطة بالجبال ، وترتفع عن سطح البحر ما بين ٨٣٠ ـ ٨٨٠ مترا.

تعني كلمة رام المنطقة المرتفعة ، وهي كلمة كنعانية منتشرة في أماكن مختلفة من فلسطين ، فالكنعانيون من الأوائل الذين سكنوا فلسطين قبل الروم والفرس والعبرانيين ، وأضاف إليها العرب كلمة الله فأصبحت رام الله ، ولكن الثابت تاريخيا أن قبيلة عربية جاءت في أواخر القرن السادس عشر ، وسكنت في قرية أو غابة حرجية اسمها رام الله.

أسست مدينة رام الله على يد شيخ إحدى عشائر الكرك النصرانية ، يدعى الشيخ راشد الحدادين ، قرر الجلو عن موطنه بسبب خلافات عشائرية في القرن السادس عشر ، اشترى الشيخ راشد خربة رام الله من عائلات البيرة القدامى، دون أن يعلم أنه كان يؤسس لمدينة سيكون لها دور هام في تاريخ الفلسطينيين.

وتجسد تماثيل الأسود الخمسة الواقعة في ساحة المنارة وسط مدينة رام الله تاريخ المدينة ، حيث

أقام هذا المهاجر من الكرك هذه الأسود الخمسة رمزا لأبنائه.



وقد بدأ في رام الله مع نهاية القرن التاسع عشر تأسيس مدارس كانت من أول المدارس النظامية في فلسطين، اسمها "الفرندز" وتعني (الأصدقاء)، وهي من المدارس التبشيرية التي بادرت إلى إيجادها جماعة الكويكرز وهي منظمة دينية نصرانية أميركية ، وتضم مدرستين في رام الله والبيرة، الأولى للبنات وتعود للعام ١٨٨٩ والأخرى للصبيان تعود للعام ١٩٠١.

سقطت رام الله في عام ١٩١٧ بيد الجيش الإنجليزي خلال الحرب العالمية الأولى ، ودخلت المدينة مع باقي مدن فلسطين مظلة الانتداب البريطاني على فلسطين عام ١٩٢٠، وأصبحت رام الله مركزا لقضاء رام الله في تلك الفترة حتى وقوع النكبة.

قد ازدادت أهميتها في هذه الفترة نتيجة ثلاثة تطورات مهمة: أولها إنشاء أعمدة الإرسال الشاهقة لـ "محطة الإذاعة الفلسطينية" من قبل حكومة الانتداب البريطانية عام ١٩٣٦ على أراضي قرية البيرة التي يقع مدخلها على الشارع الرئيسي المتجه إلى قرية بيرزيت وقرى بني زيد ، وهو الشارع الذي أصبح اسمه منذ ذلك الحين "شارع الإذاعة" أو "شارع الإرسال"، وللشارع أهمية كبيرة في ذلك الوقت نظرا لوجود عدد من الفنادق "كفندق الحمراء" و"فندق حرب" وكان يجذب أهالي مدينة رام الله والقدس أيام الآحاد للاستمتاع بالجلوس في أحضان الطبيعة.

أما التطور الثاني فقد جاء نتيجة الثورة الفلسطينية الكبرى ١٩٣٦- ١٩٣٩ ، حيث أقامت حكومة الانتداب على غرار ما جرى في بقية المدن الفلسطينية، المبنى الضخم المعروف حاليا بمبنى المقاطعة ، وبالتالي فقد أصبحت معنية بتوسيع شبكة الطرق القريبة ؛ لتستوعب الضغط الناجم عن إنشاء هذا المبنى ومحطة الإذاعة ، أما التطور الثالث فكان له علاقة بالهجرة إلى الأميركيتين من قبل سكان رام الله والبيرة ، وتعاظم ثروة أهالي المدينتين مما أدى إلى توسع عمراني كبير على امتداد الشوارع الجديدة . وقد أدت هذه التطورات إلى توسيع شبكة الطرق في المدينتين، وخصوصا توسيع وتعبيد طريق الإذاعة وإنجاز خريطة التنظيم الهيكلية لرام الله عام ١٩٤٠.

وفي أوائل خمسينيات القرن العشرين خضعت رام الله للحكم الأردني بين حربي ١٩٤٨ و١٩٦٧، وأصبحت رام الله فيها بعد مركزا للواء رام الله التابع لمحافظة القدس ، وقد كانت المدينة هادئة نسبيا خلال سنوات الحكم الأردني، وكان السكان يتمتعون بحرية الحركة بين الضفة الغربية والأردن ولبنان وسوريا وأماكن أخرى ، وكان الأردن يطبق قانونه على الأرض بحكم وحدة الضفتين ، وسجن كثيرا من الفلسطينيين لكونهم أعضاء في ما كانت الحكومة الأردنية تعتبره أحزابا سياسية غير مشروعة ، بما في ذلك الحزب الشيوعي الفلسطيني وغيرها من الجماعات الاشتراكية والمؤيدة للاستقلال.

سقطت المدينة في يد إسرائيل عام ١٩٦٧، لتظل تحت الاحتلال لمدة ٢٧ سنة وتعاني من الإهمال الإسرائيلي لها كباقي المدن العربية الفلسطينية المحتلة، وقد بلغ عدد المستوطنات حتى نهاية عام ١٩٨٧م حوالي ٣٠ مستوطنة.

في عام ١٩٨٧، انخرط سكان مدينة رام الله بوقت مبكر في الانتفاضة الفلسطينية الأولى ، ضم الوفد الفلسطيني الأردني الموحد في عام ١٩٩١ إلى مؤتمر مدريد للسلام الدولي العديد من وجهاء رام الله والبيرة ، في ١٩٩٤ نقلت إسرائيل الحكم فيها للسلطة الوطنية الفلسطينية بموجب اتفاق أوسلو الموقع عام ١٩٩٣، أصبحت رام الله المقر المؤقت للسلطة الفلسطينية ،

وبسبب رفض إسرائيل أن يكون مقر السلطة الفلسطينية في القدس الشرقية.

تعرّض كثير من تلك المقرات في رام الله إلى دمار كبير ألحقته آلة الحرب الإسرائيلية كجزء من الهجمات المستمرة على المدينة في فترة الانتفاضة الفلسطينية الثانية انتفاضة الأقصى ، مما أدّى إلى تعطيلها إلى حدٍّ كبير، وعادت هذه المقرات للعمل في الفترة اللاحقة للاجتياح الإسرائيلي الكبير للمدينة في عام ٢٠٠٢ جاعلة رام الله العاصمة الإدارية ، يشار بالذكر إلى أن حكومة نتنياهو شرعت في إعداد دراسة تهدف إلى إقناع الفلسطينيين بأهمية مدينة رام الله كعاصمة بديلة من القدس الشرقية، لهذا السبب لم يسمح لياسر عرفات بزيارة القدس خوفاً من الجماهير التي ستستقبله.

رام الله مدينة جبلية ، مبنية على جبال مطلة إلى الغرب على الساحل الفلسطيني، أما من جهة الشرق والجنوب فهي محاطة بالجبال ، تبعد رام الله حوالي عشرة كم إلى الشمال من القدس ، وتبعد المدينة عن البحر المتوسط الذي يرى من تلالها حوالي ٤٥ كيلومترا ، كما تبعد عن نهر الأردن قرابة ٣٣ كم إلى الغرب ، تبلغ مساحتها ١٦ كم٢، كما بلغ عدد سكانها حوالي ٣٨٩٩٨ نسمة، بينما يبلغ عدد سكان المحافظة حوالي ٣٢ ألف نسمة .

ويتوسط موقع رام الله فلسطين التاريخية تقريبا، حيث تبعد عن نابلس ٣٦ كم إلى الجنوب، وجنين ٦٣ كم إلى الجنوب، والخليل ٨٢ كم إلى الشمال، وغزة ٨٢ كم إلى الشمال الشرقي، ويافا ٤٥ كم إلى الشرق، وحيفا ١٠٥ كم إلى الجنوب الشرقي.

وتلاصق رام الله مدينة البيرة حتى تتداخل مبانيهما وشوارعهما لتبدوان كمدينة واحدة، ومع أن مدينة البيرة أكبر من ناحية المساحة وعدد السكان ، إلا أن الأشهر بينهما هي مدينة رام الله.

تُقسم المدينة إلى عدة أحياء بالإضافة إلى البلدة القديمة ، منها: المنارة، المغتربين ، عين مصباح، الجبل، السرية، البيدر، القسطل، القديرة ، مار جرجس، المصيف، دار عواد، دار جغب ، دار إبراهيم، الجدول، الشقرة، بورسعيد، الحساسنة، المنطقة الصناعية، والإذاعة ، أما بالنسبة للطرق، فتقطع رام الله عدة طرق تربط مناطقها ببعض، كما تربطها بالمدن الملتصقة بها

كـالبيرة وبيتونيا، وباقي قرى ومدن فلسطين المجاورة كالقدس وبيت لحم ونابلس، ومن أهم هذه الطرق: شارع الإرسال، شارع فلسطين، شارع الإذاعة، شارع النهضة، شارع القدس، شارع الصناعة، شارع تشيلي ، شارع راشيل كوري.

مناخ رام الله هو مناخ البحر المتوسط ، وعلى العموم فإن مناخ رام الله لطيف منعش في الصيف دافئ . وبالرغم من أن رام الله كانت مدينة صغيرة ، إلا أن اللاجئين الفلسطينيين بعد النكبة عام ١٩٤٨ شكلوا جزءا رئيسيا منها ؛ كما أن الهجرة الداخلية وانتقال فلسطينيين للعمل في رام الله بعد قدوم سلطة الحكم الذاتي الفلسطينية جراء تحولها إلى مركز إداري للسلطة زاد من عدد السكان المستقرين القادمين من مدن أخرى.

ومن الملاحظ أن تكلفة المعيشة في مدينة رام الله هو أعلى مستوى من نظيراتها في المحافظات الأخرى، يقع جنوب رام الله في بلدة قلنديا ، مطار القدس الدولي أو "مطار قلنديا"، يقع على أراضي محافظة القدس تحديداً في بلدة قلنديا على طريق القدس ـ رام الله ، أنشيء المطار عام ١٩٢٠ تحت إدارة الانتداب البريطاني على فلسطين ، ثم في أوائل الخمسينات وضع تحت الإدارة الأردنية بعد انضمام الضفة الغربية إلى المملكة الأردنية الهاشمية، إلا أنه وقع بيد القوات الإسرائيلية في حرب ١٩٦٧، والتي سرعان ما غيرت اسمه إلى "مطار عطاروت" ، ومنذ انتفاضة الأقصى والمطار مهمل بالرغم من أنه تحت سيطرة الجيش الإسرائيلي.

تقع في رام الله مقرات شركات الاتصال الفلسطينية التي تزود الضفة الغربية بهذه الخدمة . وتعتبر رام الله مركزا للعديد من المراكز الثقافية الأجنبية كالمركز الثقافي الألماني الفرنسي، والمركز الثقافي البريطاني، والمركز الثقافي اليوناني.

وتضم رام الله كذلك ، عددا من الجمعيات الخيرية ، النسوية في مجملها، ويعود تأسيس بعضها إلى أربعينيات القرن الماضي ، وتهدف هذه الجمعيات التي تضاعفت أعدادها مرارا في العقدين الأخيرين، إلى توفير الدعم للعديد من فئات المجتمع، ومن بينها المرأة، الطفل، كبار السن، ذوي الاحتياجات الخاصة، الأيتام، وغيرهم.

بدأ التعليم في رام الله في مدرسة للروم الأرثوذكس أنشأتها البطريركية في القدس حوالي ١٨٤٠، عندما حضر مبشر من طائفة البروتستانت اسمه صموئيل غوبات وأسس خمس مدارس إحداها في رام الله ، فقد أسست جماعة الفرندز في عام ١٨٨٩ أول مدرسة من نوعها للإناث في رام الله ، والأولى من نوعها في فلسطين، وكان افتتاح هذه المدرسة حافزاً للروم الأرثوذكس لإنشاء مدرسة للبنات، وحذا حذوهم اللاتين ، وفي عام ١٩٠١ افتتح الفرندز مدرسة البنين في رام الله ، وفي رام الله اليوم ثلاث مدارس حكومية للذكور ومدرستان للإناث، وبعد عام ١٩٥٠ افتتحت بعض المعاهد مثل معهد المعلمات الحكومي والحق بالمعهد مدرسة للتطبيقات والتجارب التربوية ، والتعليم فيها مختلط، ولوكالة الغوث أربع مدارس للذكور ومدرستان للإناث في رام الله ، كما يتبع وكالة الغوث مركزا لتدريب المعلمين والفتيات، وكلية بيرزيت التي تحولت إلى جامعة ، وتعتبر من أهم الجامعات الفلسطينية.

يعود تاريخ جامعة بيرزيت إلى عام ١٩٢٤ عندما تأسست كمدرسة ابتدائية، وكان الهدف الرئيسي للمدرسة توفير فرص التعليم الأولية للفتيات من بيرزيت والقرى المجاورة في وقت انعدمت فيه المدارس تقريباً في تلك المنطقة. تطورت المدرسة لتصبح كلية عام ١٩٤٢، ولما كانت الكلية عندئذ هي المؤسسة الجامعية الوحيدة في المنطقة، فقد قررت التركيز على التعليم الجامعي، وتقرر أن تصبح الكلية نتيجة لذلك "جامعة بيرزيت" في ١٩٧٢.

كما أن مدينة رام الله تعتبر مركزاً للنشاط الثقافي في الضفة الغربية إذ تمتلئ بالمسارح ودور السينما والمراكز الثقافية، وفيها المعهد الوطني للموسيقى ومجموعة كبيرة من المنتديات الثقافية. يقع في وسط رام الله مقر الرئاسة الفلسطينية المؤقت منذ إنشاء السلطة الفلسطينية في عام ١٩٩٤، قامت بإنشائه حكومة الانتداب البريطاني على فلسطين، كنتيجة إلى الثورة الفلسطينية الكبرى ١٩٣٦-١٩٣٩، على غرار ما جرى في بقية المدن الفلسطينية، ليستوعب الدوائر الحكومية والسجون.

تعرض هذا المقر لحصار دام عدة أسابيع خلال اجتياح إسرائيل لرام الله والضفة الغربية عام

٢٠٠٢. دوار المنارة، وهو من أهم معالم رام الله ، حيث يتوسط المدينة، ويوزع الحركة إلى شوارعها الرئيسية ، وتجسد تماثيل الأسود الخمسة الواقعة فيه تاريخ المدينة، قامت سلطات الاحتلال بهدمه في ثمانينات القرن الفائت، إلا أن السلطة الفلسطينية قد أعادت بناءه في عام ١٩٩٩.

يوجد في منطقة رام الله ، ثلاثة مخيمات مُسجلة رسميا في وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (الأونروا)، وهي مثل باقي المخيمات في الضفة الغربية، فقد بُني معظمها فوق قطعة من الأرض قامت الأونروا باستئجارها من الحكومة الأردنية ، والمخيمات هي: مخيم الأمعري: قام الصليب الأحمر بتأسيس مخيم الأمعري في عام ١٩٤٩ ضمن حدود بلدية البيرة حيث قام بتوفير الخيام للاجئين الذين قدموا من مدن اللد ويافا والرملة، بالإضافة إلى الذين لجئوا من قرى بيت دجن ودير طريف وأبو شوشة ونانا وبيت نبالا ، وقد تسلمت الأونروا مسؤولية المخيم في عام ١٩٥٠ ، وعملت على بناء وحدات سكنية ذات أسقف إسمنتية ، وبحلول عام ١٩٥٧، كانت الأونروا قد أتمت استبدال كافة الخيام بالمساكن الإسمنتية ؛ حيث حصلت العائلات التي لا يزيد عدد أفرادها عن خمسة أشخاص على مسكن مؤلف من غرفة واحدة ، فيما حصلت العائلات الأكبر على مساكن من غرفتين ، ويفصل بين معظم المساكن مساحة تقل عن نصف متر؛ الأمر الذي يجعل التهوية داخل المخيم ضعيفة للغاية، ويرتبط المخيم بشكل كامل بشبكتي الماء والكهرباء البلدية.

مخيم الجلزون : تأسس المخيم عام ١٩٤٩ فوق مساحة من الأرض تبلغ ٠.٢٥ كيلومتر مربع على تلة صخرية تبعد مسافة ٧ كيلومترات شمال رام الله، وينحدر سكان المخيم من ٣٦ قرية تابعة لمناطق اللد والرملة ، وأصبح المخيم تحت السيطرة الإسرائيلية الفلسطينية المشتركة في أعقاب اتفاقيات أوسلو ، وتتصل كافة المساكن بالبنية التحتية لشبكتي الكهرباء والماء العامة.

مخيم دير عمار تأسس المخيم عام ١٩٤٩ فوق مساحة من الأرض تبلغ ٠.١٦ كيلومتر مربع على بعد ٣٠ كيلومتر إلى الشمال الغربي من رام الله ، وقد بني المخيم فوق قطعة من الأرض

تعود ملكيتها لسكان قرية دير عمار غير اللاجئين ، وفي المقابل، فإن منشآت الأونروا في المخيم تعمل على توفير خدماتها للقرويين من غير اللاجئين.

وتنحدر أصول سكان المخيم من القرى المدمرة التابعة لمناطق الرملة ويافا واللد ، وفي أعقاب اتفاقيات أوسلو ، أصبح المخيم واقعا تحت السيطرة المشتركة الفلسطينية الإسرائيلية.

سارعت إسرائيل في وضع الخطط بهدف إقامة العديد من المستوطنات لما احتلت غزة وباقي فلسطين ،وكانت رام الله جزءا من هذا المخطط، حيث بنت إسرائيل في منطقة رام الله حوالي ٣٠ مستوطنة .



اغتيال

ظهرت منظمة التحرير التي أسست ككيان للشعب الفلسطيني على غير رغبة الكثير من الدول العربية عام ١٩٦٤ ، وأنشأت جيش التحرير في غزة ومصر وسوريا ، نشطت الحركات الفلسطينية العلنية والسرية بإنشاء حركات مسلحة خارج اطار المنظمة ، وأشهرها منظمة فتح التي نهضت عام ١٩٦٥ وأنشأت قوات العاصفة الشهيرة .

تلقى الطبيب نجيب عارف إشارة من حزبه أو جماعته اليسارية التي تكونت أثر نكبة فلسطين في بيروت ، وتبنت الفكر الماركسي أن يدخل فلسطين ؛ ليعمل طبيبا في مخيم الجلزون شمال رام الله ، ويكوّن خلايا سياسية وعسكرية ؛ لفعل عمليات عسكرية في الوقت المناسب .

فاستأجر عيادة بين مخيم الجلزون ومركز ووسط رام الله والبيرة دوار المنارة قلب المدينة ، واستغل العيادة التي يتردد عليها رجال ونساء المخيم المحبطين من العودة لأراضيهم التي هجروها على أمل العودة إليها بأسرع وقت ، ولكن الرحلة طالت ، والغارات تعصف بهم والمجازر متتابعة، ويعانون من قلة العمل ، والبطالة مرتفعة ، وما أكثر مرضى المخيمات بسبب الفقر والبؤس !

رام الله فيها أربع مخيمات تأسست عام ١٩٤٩ الأمعري والجلزون ودير عمار وعلى طرفها مخيم قلنديا . استطاع من خلال العيادة ، ومن خلال الاحاديث عن الماركسية استطاع أن يجد أناسا يرون أن الحل للقضية بسيطرة الفكر الشيوعي الماركسي على الشعب لتحرير فلسطين من البحر إلى النهر؛ وشكل خلايا مع رفيق اسمه أكرم البس الذي مهد له الأرض في المخيم والمدينة للنضال ضد الأردن الحاكمة للضفة وإسرائيل .

منظمة فتح بدأت تنشط عسكريا داخل الضفة ، وتقنص جنود إسرائيل على الخط الأخضر ، وتضخم إعلاميا عملياتها الصغيرة لرفع معنوية الشعب المشرد واللاجئين.

استطاع نجيب ورفيقه أكرم ابن المخيم من عمل خلايا سرية تعتنق فكرهم ومبادئ ستالين وغيره .

ولما كثرت عمليات فتح ، وزاد الإقبال للعمل معها ، كشف أكرم لنجيب عن رجل من المخيم يعمل مخبرا لإسرائيل عن طريق ضابط سمى نفسه عادلا ، اعترف بكر لأكرم بأمره ، وأن هذا الضابط استغل فقره وحبه للخمر ، فصار ينقل له نشاط أهل المخيم والفدائيين .

فقرر نجيب والخلية باغتيال هذا الضابط عادل ؛ لتعلن حركته من بيروت بأنها استطاعت قتل ضابط أمن شاباك إسرائيلي ، وزعم أكرم لبكر أنه سيخلصه من خيانته لشعبه بقتل عادل ، واقتنع بكر بالفكرة واستسلم لها . وتمكن نجيب من الاحتيال على عسكري وسرق سلاحه خفية ، وأعطاه لأكرم ليقتل به الضابط عادلا .

تسلل عادل لمكان اللقاء ببكر ، عادة يأتي ببعص المال والدخان وزجاجة خمر كهدية لبكر مقابل الخدمة والأخبار التي جمعها من الأهالي خلال الأسبوع .

قام بكر بالذهاب للمكان ، ولما اقترب من المكان تابع أكرم المشي متظاهرا أنه بكر وقتل الضابط عادلا ، أطلق عليه الرصاص بسرعة ، وعاد للمخيم مطمئنا لبكر أن المهمة انتهت ، وعليه أن يختفي عن المخيم عدة أيام ، فنزل لبيت قريب له في مدينة رام الله.

لم يمت عادل على الفور ، واعترف بأن أحدهم غدر به ومات ، فاستطاع الأمن الإسرائيلي القبض على بكر ، واعترف بكر عن ابن المخيم أكرم البس ، فألقي القبض عليه ، فهرب نجيب لعمان ، ومنها لسوريا ، واستقر ببيروت بحماية جمعيته والمنظمات الفلسطينية ، وأصبح طريدا لأجهزة الأمن الصهيونية ؛ لأن أكرم سيعترف لهم بأنه هو الذي سلحه ووفر له الفرد وهناك التقى بزكية حسني وتزوجا ، وولدت له خمسة ، قصصنا عليك حكاياتهم ، وعام ٨٢ غادر لقبرص ؛ ومنها اختفى نجيب عارف ورحل لكوبا ، وتزوج عميلة المخابرات أماندا روشيه اند الكوبية التي كان نشاطها في بيروت ؛ لدعم المنظمات اليسارية الفلسطينية بالأسلحة الكوبية أو التي تبتاعها لهم بحكم علاقتها القوية بالاتحاد السوفيتي تلك الفترة القوية من العهد الروسي ، عاش باسم جديد جيفر كرانسي الذي عرفته من تفاصيل هذه القصة .


شارع القوس




الشقق السوداء

جمال شاهين

المكتبة الخاصة



جمال شاهين



المكتبة الخاصة


جمال شاهين
الحي
أبو
خروف
المكتبة الخاصة



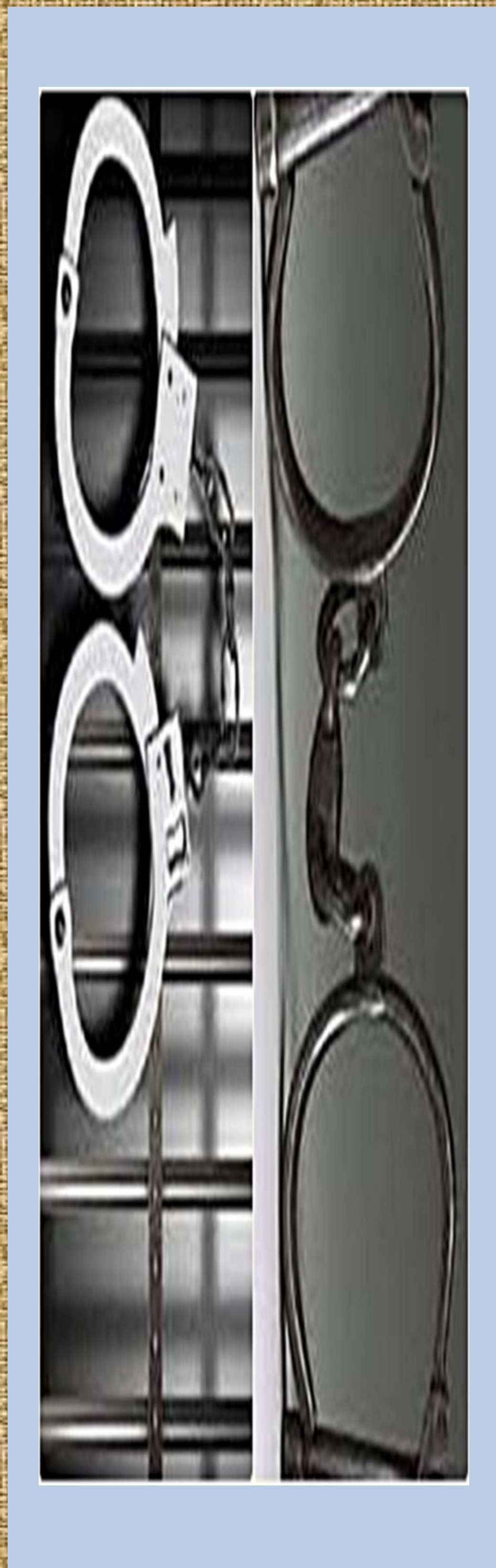
المكتبة الخاصة

شمس عَمري

رواية

جمال شاهين

دار المأمون
للنشر والتوزيع

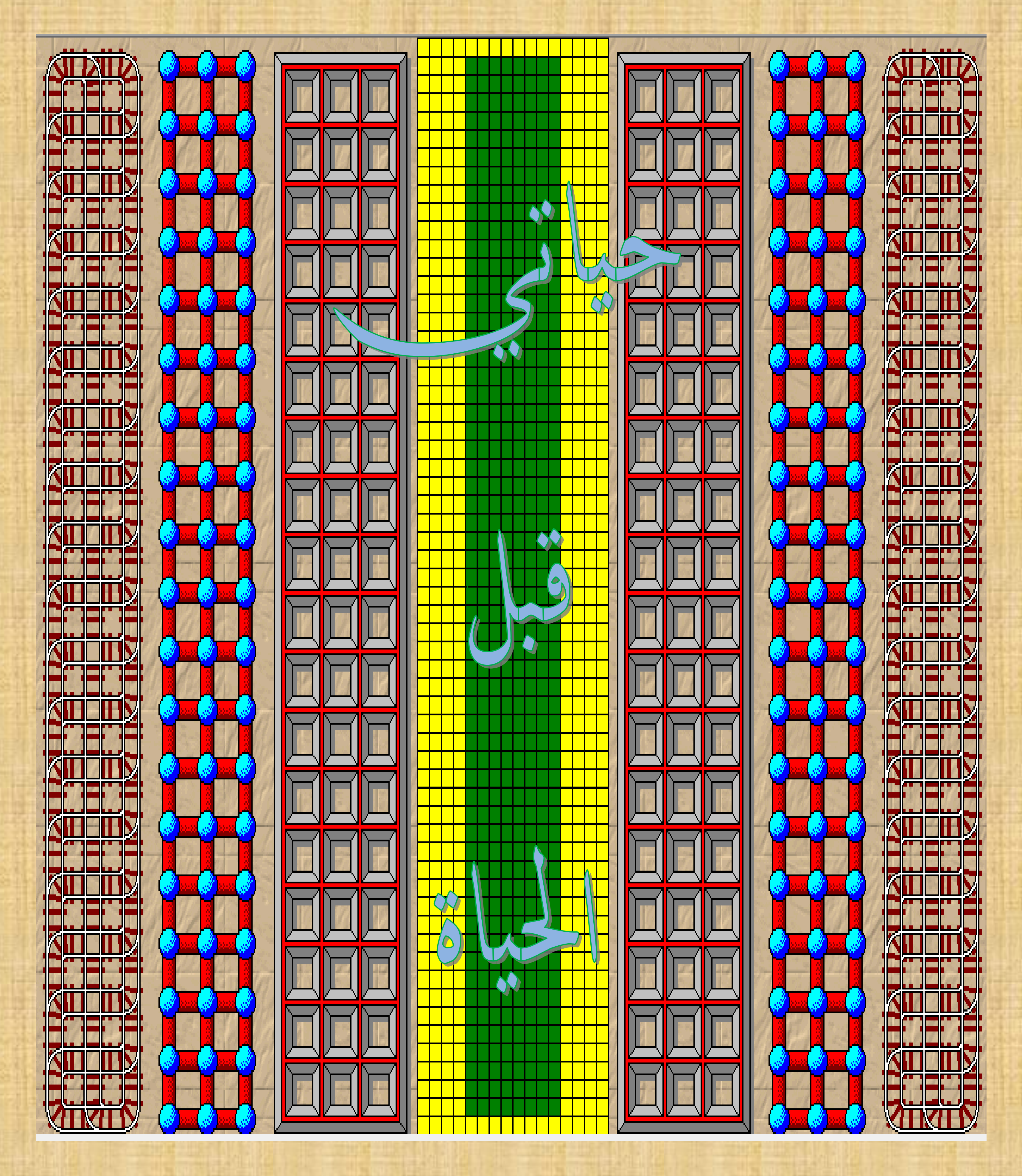


جمال شاهين



المكتبة الخاصة

رواية



جمال شاهين

المكتبة الخاصة


جمال شاهين
وهج الحرب
المكتبة الخاصة



قريتنا
هو انت لاجيء
وهج الحرب 2014